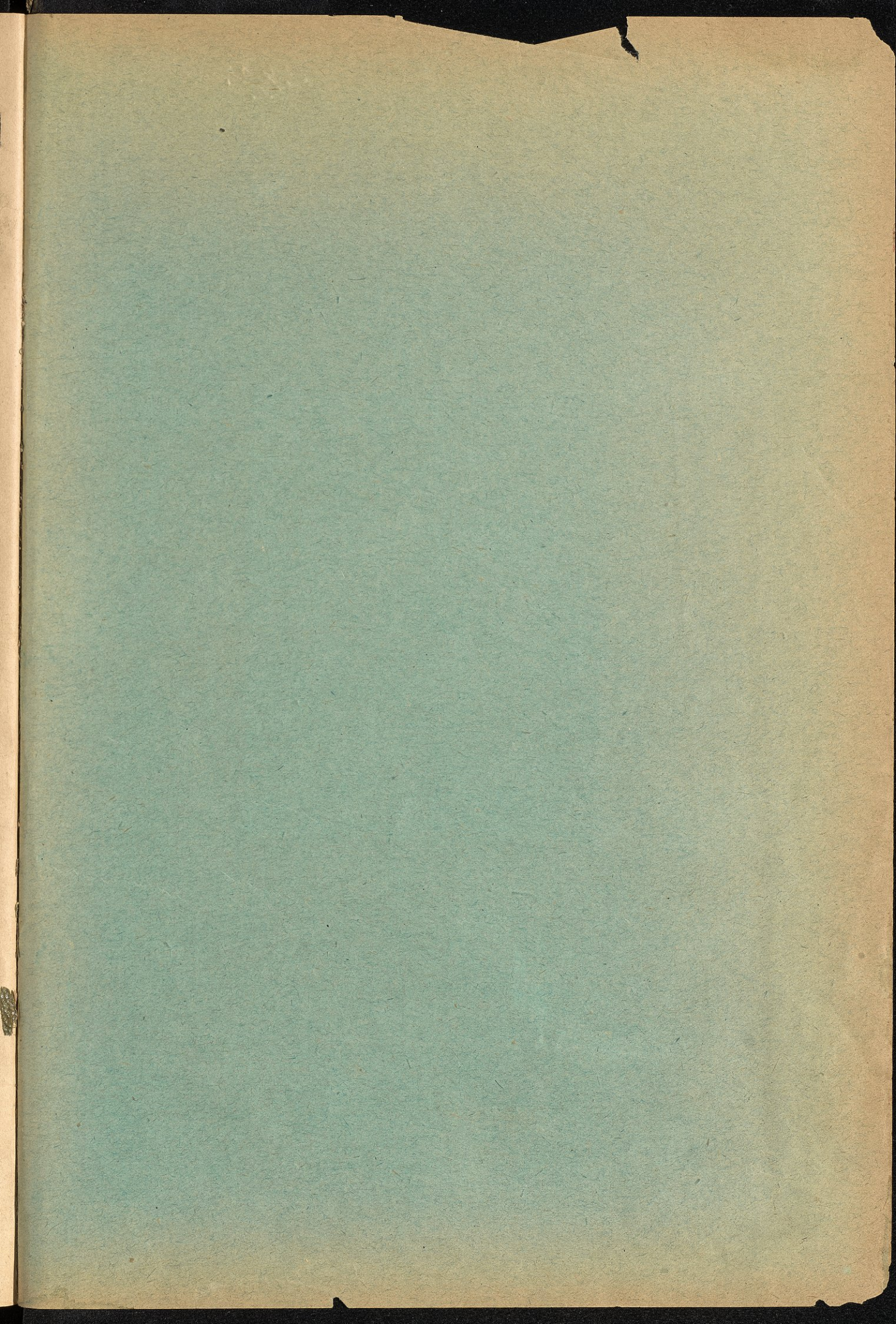


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

٥٩٢



(فهرسة مقدمة العلامة ابن خلدون)

صفحة	مقدمة	صفحة
٤	المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذهبيه والاماع لما يعرض للمؤرخين من المعاط والاهام وذكر شئ من اسبابها	٧٣
٢٢	الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب (وفيها ست فصول كبار)	٧٣
٢٦	الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات المقدمة الاولى في أن الاجتماع الانساني ضروري	٧٤
٢٧	المقدمة الثانية في قسمة العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقليم	٧٥
٣٠	تكملة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي من الارض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك	٧٦
٣٢	تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا	٧٧
٣٣	الاقليم الاول	٧٨
٣٥	الاقليم الثاني	٧٩
٤٠	الاقليم الرابع	٧٩
٤٧	الاقليم السادس	٧٩
٥٠	المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم	٧٩
٥٢	المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر	٨٠
٥٣	المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم	٨١
٥٦	المقدمة السادسة في أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة او بالرياضة وبقدمه الكلام في الوحي والرويا	٨٢
٥٧	حققة النبوة والكهانة والرويا وشأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب	٨٣
	الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتهميدات	٧٣
	فصل في أن أجيال البدو والحضر طبيعية	٧٣
	فصل في أن حيل العرب في الخليقة طبعية	٧٤
	فصل في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية أصل العمران والامصار مدلتها	٧٤
	فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر	٧٥
	فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر	٧٦
	فصل في أن معاناة أهل الحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم	٧٧
	فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل أهل العصبية	٧٧
	فصل في أن العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه	٧٨
	فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد للتوحشين في القفر من العرب ومن في معناتهم	٧٩
	فصل في اختلاط الانساب كمف يقع	٧٩
	فصل في أن الرياسة لا تزال في نصابها الخصوص من أهل العصبية	٧٩
	فصل في أن الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم	٨٠
	فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والمحقة لاهل العصبية ويكون لغيرهم بالجواز والشبه	٨١
	فصل في أن البيت والشرف للموالى وأهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم	٨٢
	فصل في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء	٨٣
	فصل في أن الامم الوحشية اقدر على التغلب	٨٣

صحيحة

من سواها

٨٤ فصل في ان الغاية التي تجرى اليها العصبية

هي الملك

٨٤ فصل في ان من عوائق الملك حصول

الترف وانغماس القبيل في النعيم

٨٥ فصل في أن من عوائق الملك حصول المذلة

للقبيل والانتقاد الى سواهم

٨٥ فصل في أن من علامات الملك التنافس في

الحلال الحميدة وبالعكس

٨٧ فصل في أنه اذا كانت الامة وحشية كان

ملكها أوسع

٨٧ فصل في أن الملك اذا ذهب عن بعض

الشعوب من أمة فلا بد من عودته الى

٨٨ فصل في أن المغلوب مولع أبدا بالاقضاء

بالتغلب في شجاعته وزيه وتكلمته وسائر

٨٨ فصل في أن الامة اذا غلبت وصارت في

ملك غيرها أسرع اليها الفناء

٨٩ فصل في أن العرب لا يتغلبون الا على

٨٩ فصل في أن العرب اذا تغلبوا على اوطان

٩٠ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا

بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم

٩١ فصل في أن العرب ابعد الامم عن سياسة

٩١ فصل في أن البدو ادى من القبائل

٩٢ الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول

العامية والملك والخلافة والمراتب السلطانية

وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه

قواعد ومتمات

٩٢ فصل في أن الملك والدولة العامة انما

يحصل بالقبيل والعصبية

صحيحة

٩٢ فصل في انه اذا استقرت الدولة وتهدت

فقد تستغنى عن العصبية

٩٣ فصل في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب

الملك دولة تستغنى عن العصبية

٩٤ فصل في أن الدول العامة الاسـتـيـلاء

العظيمة الملك اصلها الدين امان نبوة

او دعوة حق

٩٤ فصل في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في

اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها

من عدد

٩٥ فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية

لا تتم

٩٦ فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك

والاوطان لا تزيدها عليها

٩٧ فصل في أن عظم الدولة واتساع نطاقها

وطول امدها على نسبة القائمين بها في القوة

والكثرة

٩٨ فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل

والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة

٩٩ فصل في أن من طبيعة الملك الانفراد بالحد

٩٩ فصل في أن من طبيعة الملك الترف

٩٩ فصل في أن من طبيعة الملك الدعـة

والسكون

١٠٠ فصل في أنه اذا استحكمت طبيعة الملك من

الانفراد بالحد وحصول الترف والدعة

أقبات الدولة على الحرم

١٠١ فصل في أن الدولة لها اعمار وطبيعة كما

للشخص

١٠٢ فصل في انتقال الدولة من البدو الى

الحضارة

١٠٤ فصل في أن الترف يزيد الدولة في أولها

قوة الى قوتها

١٠٤ فصل في أطوار الدولة واختلاف أحوالها

وخلق أهلها باختلاف الأطوار

١٠٥ فصل في أن آثار الدولة كلها على نسبة

قوتها في أصلها

893.71656
T13

صفحة	صفحة
١٠٩	فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبته بالموالي والمصطنعين
١٠٩	فصل في أحوال الموالي والمصطنعين في الدول
١١٠	فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه
١١١	فصل في أن المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك
١١١	فصل في حقيقة الملك وأصنافه
١١٢	فصل في أن إرهاب الخدم مضر بالملك ومفسد له في الأكثر
١١٣	فصل في معنى الخلافة والامامة
١١٣	فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه
١١٦	فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة
١٢٠	فصل في انقلاب الخلافة الى الملك
١٢٤	فصل في معنى البيعة
١٢٤	فصل في ولاية العهد
١٣٠	فصل في الخطط الدينية الخلاقية
١٣٤	فصل في اللقب بأمر المؤمنين وإنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء
١٣٧	فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود
١٣٩	فصل في مراتب الملك والسلطان وألقابها
١٤٤	ديوان الاعمال والمحبات
١٤٦	ديوان الرسائل والكتابة
١٤٩	قيادة الاساطيل (وهي سفائن الحرب)
١٥٢	فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول
١٥٣	فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به
١٥٤	السريرو والمنبر والتخت والكرسي
١٥٤	السكة ١٥٦ الخاتم ١٥٨ الطراز
١٥٨	القساطيط والسياج
١٥٩	المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة
١٦٠	فصل في المحروب ومذاهب الامم في ترتيبها
١٦٢	فصل ومن مذاهب أهل السكر والقرفي المحروب ضرب المصاف وراء عسكرهم الخ
١٦٢	فصل ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتناكده في قتال السكر والقرصار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج في جندهم الخ
١٦٣	فصل وبلغنا أن أم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهام
١٦٣	فصل وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم الخ
١٦٥	فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها
١٦٦	فصل في ضرب المكرس أو آخر الدولة
١٦٧	فصل في أن التجارة من السلطان مضره بالرعايا مفسدة للجباية
١٦٨	فصل في أن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة
١٦٩	فصل ولما يتوقعه أهل الدولة من أمانات هذه المعاطب صار الكثير منهم يزعجون الى الفرار عن الرتب والتخلص من رتبة السلطان الخ
١٧٠	فصل في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية
١٧٠	فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران
١٧٢	فصل ومن أشد الظلمات وأعظم مهابي فساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق
١٧٢	فصل وأعظم من ذلك في الظلم وافساد العمران والدولة التسلط على اموال الناس بشراء ما بين ايديهم بالخمس الاثمان
١٧٢	فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وإنه يعظم عند الهرم
١٧٣	فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين
١٧٤	فصل في أن الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع
١٧٥	فصل في كيفية طروق الخلل للدولة
١٧٧	فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع
١٧٧	فصل في أن الدولة المستعدة إنما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزة
١٧٩	فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع

صحيحة

فيهما من كثرة الموتان والمجاعات

١٨٠ فصل في أن العمران البشري لا بد له من

سياسة ينظم بها أمره

١٨٥ فصل في أمر القاطن به وما يذهب اليه

الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك

١٩٦ فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام

على الملاحم والكشف عن معنى المحفر

٢٠٤ الفصل الرابع من الكتاب الاول في

البلدان والامصار ومنازل العمران وما

يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق

ولو احق

٢٠٤ فصل في ان الدول اقدم من المدن

والامصار وانما انما توجد ثانية عن الملك

٢٠٥ فصل في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

٢٠٥ فصل في أن المدن العظيمة والهياكل المرتفعة

انما يشيدها الملك الكثير

٢٠٦ فصل في ان الهياكل العظيمة جدا لا تستقل

ببنائها الدولة الواحدة

٢٠٦ فصل فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن

وما يحدث اذا غفل عن تلك المراجعة

٢٠٨ فصل ومما يراعى في البلاد الساحلية التي

على البحر أن تكون في جيل أو تكون بين

أمة من الامم الخ

٢٠٨ فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

٢١٢ فصل في أن المدن والامصار بافريقية

والمغرب قليلة

٢١٣ فصل في أن المباني والمصانع في الملة

الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من

كان قبلها من الدول

٢١٣ فصل في أن المباني التي كانت تحتطها

العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل

٢١٣ فصل في مبادئ الخراب في الامصار

٢١٣ فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة

الرفعة لاهلها ونفاق الاسواق انما هو في

تفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة

٢١٦ فصل في أسعار المدن

صحيحة

٢١٧ فصل في قصور أهل البادية عن سكنى

المصر الكثير العمران

٢١٧ فصل في أن الاقطار في اختلاف احوالها

بالرفعة والفقر مثل الامصار

٢١٨ فصل في تأثر العقار والضياع في الامصار

وحال فوائدها ومستغلاتها

٢١٩ فصل في حاجات المتولين من أهل

الامصار الى الجاه والمدافعة

٢١٩ فصل في ان الحضارة في الامصار من قبل

الدول وانما ترسخ باتصال الدولة ورسوخها

٢٢١ فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية

لعمره وانما مؤذنة بفساده

٢٢٣ فصل في ان الامصار التي تكون كراسي

للملأ تخرب بخراب الدولة وانتهاقها

٢٢٤ فصل في اختصاص بعض الامصار

ببعض الصنائع دون بعض

٢٢٤ فصل في وجود العصبية في الامصار

وتغلب بعضهم على بعض

٢٢٥ فصل في لغات أهل الامصار

٢٢٦ الفصل الخامس من الكتاب الاول في

المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع

وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه

مسائل

٢٢٦ فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما

وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية

٢٢٧ فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

٢٢٨ فصل في ان الخدمة ليست من المعاش

الطبيعي

٢٢٩ فصل في أن ابتغاء الاموال من الدفائن

والكنوز ليس بمعاش طبيعي

٢٣١ فصل في ان الجاه مفيد للمال

٢٣٤ فصل في ان السعادة والكسب انما يحصل

غالباً لاهل الخسوع والتواضع وان هذا

المخلق من أسباب السعادة

٢٣٤ فصل في أن القائم بامور الدين من القضاء

والقبول والتدريس والامامة والخطابة

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٢٥٠	فصل في صناعة الوراقة	٢٣٤	والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب
٢٥١	فصل في صناعة الغناء	٢٣٤	فصل في أن الفلاحة من معاش
٢٥٤	فصل في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلا		المستضعفين وأهل العاقبة من البدو
	وخصوصا الكتابة والحساب	٢٣٤	فصل في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها
٢٥٥	الفصل السادس من المكاتب الأول في	٢٣٥	فصل في أي أصناف الناس يحترف
	العلوم وأصنافها والتعلم وطرقه وسائر		بالتجارة وأهم ينبغي له اجتناب حرفها
	وجوهه وما يعرض في ذلك كله من	٢٣٥	فصل في أن خلق التجار نازلة عن خلق
	الاحوال وفيه مقدمة ولواحق		الإشراف والملوك
٢٥٥	فصل في أن العلم والتعلم طبع طبيعي في	٢٣٥	فصل في نقل التاجر لسلع
	العمران البشري	٢٣٦	فصل في الاحتكار
٢٥٥	فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع	٢٣٦	فصل في أن رخص الاسعار مضر بالمحترفين
٢٥٧	فصل في أن العلوم انما تتكثر حيث يكثر		بالرخص
	العمران وتعظم الحضارة	٢٣٧	فصل في أن خلق التجارة نازلة عن خلص
٢٥٨	فصل في أصناف العلوم الواقعة في		الرؤساء وبعده من المرواة
	العمران لهذا العهد	٢٣٧	فصل في أن الصنائع لا يدبها من المعلم
٢٥٩	علوم القرآن من التفسير والقراآت	٢٣٨	فصل في أن الصنائع انما تكمل بكمال
٢٦١	علوم الحديث		العمران المحضري وكثرته
٢٦٤	علوم الفقه وما يتبعه من الفرائض	٢٣٨	فصل في أن رسوم الصنائع في الامصار انما
٢٦٨	علم الفرائض		هو رسوم الحضارة وطول أمدها
٢٦٨	أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل	٢٣٩	فصل في أن الصنائع انما تستجد وتكثر
	والمخلافات		إذا كثر طالها
٢٧٢	علم الكلام	٢٤٠	فصل في أن الامصار اذا قاربت الحرب
٢٨٣	علم تعبير الرؤيا		انتقضت منها الصنائع
٢٨٧	العلوم العددية	٢٤٠	فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع
٢٨٧	ومن فروع علم العدد صناعة الحساب	٢٤٠	فصل في أن من حصلت له ملكة في صناعة
٢٨٨	ومن فروع علم الجبر والمقابلة		فقل أن يجيد بعدها ملكة أخرى
٢٨٨	ومن فروع علم أيضا المعاملات	٢٤١	فصل في الإشارة إلى أمهات الصنائع
٢٨٨	ومن فروع علم أيضا الفرائض	٢٤١	فصل في صناعة الفلاحة
٢٨٩	العلوم الهندسية	٢٤١	فصل في صناعة البناء
٢٩٠	ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة	٢٤٣	فصل في صناعة التجارة
	بالاشكال الكروية والمخروطات	٢٤٤	فصل في صناعة الخياطة
٢٩٠	المنظر من فروع الهندسة	٢٤٥	فصل في صناعة التوليد
٢٩٠	ومن فروع الهندسة المساحة	٢٤٦	فصل في صناعة الطب وأنها محتاج إليها في
٢٩١	ومن فروع علم الازياج		أحوالهم والامصار دون البادية
٢٩٣	الطبيعات	٢٤٨	فصل في أن الخط والكتابة من عداد
٢٩٤	فصل في ولادة من أهل العمران طب		الصنائع الانسانية
	يبنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على		

بعض الاشخاص الخ ٢٩٤ الفلاحه	٢٩٥
علم الالهيات ٢٩٦ علم السحر والطلسمات	٣٠٠
فصل ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية	٣٠٠
الاصابة بالعين ٣٠٠ علم اسرار الحروف	٣٠٣
ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج	٣٠٥
الاجوبة من الاسئلة	٣٠٥
الكلام على استخراج نسبة الاوزان	٣٠٥
وكيفياتها ومقادير المقابل منها وقوة	٣٠٥
الدرجة المتميزة بالنسبة الى موضع المعالي	٣٠٦
من امتزاج طبائع وعلم طب اوصناعه	٣٠٦
الكيمياء ٣٠٥ الطب الروحاني	٣٠٦
مطارح الشعاعات في موايد الملوك وبنينهم	٣٠٦
الانفعال الروحاني والانقياد الرباني	٣٠٦
اتصال انوار الكواكب	٣٠٦
مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة	٣٠٦
والطاعة والعبادة وحب وتعشيق وفناء	٣٠٧
الغناء وتوجهه وراقبة وخلة دائمة	٣٠٧
فصل في المقامات والنهاية	٣٠٧
الوصية والتختم والايان والاسلام والتخريم	٣٠٨
والانجيلية	٣٠٨
كيفية العمل في استخراج اجوبة المسائل	٣١٥
من زايرة جنة العالم بحول الله منقولا عن	٣١٥
لقيناه من القائلين عليها	٣١٥
فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من	٣١٧
جهة الارتباطات الحرفية	٣١٧
فصل في الاستدلال على ما في الضعائر	٣٢٥
الخفية بالقوانين الحرفية ٣١٩ علم الكيمياء	٣٢٩
فصل في ابطال الفلسفة وفساد منحلها	٣٢٩
فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف	٣٣٣
مداركها وفساد غايتها	٣٣٣
فصل في انكار قدرة الكيمياء واسـ تحاله	٣٣٨
وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها	٣٣٩
فصل في أن كثرة التاليف في العلوم	٣٣٩
عائقة عن التحصيل	٣٣٩
فصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في	٣٣٩
العلوم محلة بالتعليم	٣٣٩
فصل في توجيه الصواب في تعليم العلوم	٣٤٢
وطريق افادته ٣٤١ واعلم ايها المتعلم الخ	٣٤٢
فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها	
الانظار ولا تغرق المسائل	
فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب	٣٤٣
الامصار الاسلامية في طريقه	٣٤٥
فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم	٣٤٦
فصل في أن الرحلة في طاب العلوم ولقاء	٣٤٦
المشقة من يد كمال في التعلم	٣٤٦
فصل في أن العلماء من بين البشر ابعدهن	٣٤٧
السياسة ومذاهبها	٣٤٧
فصل في أن جملة العلم في الاسلام أكثرهم	٣٤٩
البحر ٣٤٩ فصل في علم اللسان العربي	٣٤٩
علم النحو ٣٥١ علم اللغة ٣٥٣ علم البيان	٣٥٥
علم الادب ٣٥٦ فصل في أن اللغة ملكة صناعية	٣٥٧
فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة	٣٥٩
مستقلة مغايرة للغة مضروحة	٣٥٩
فصل في أن لغة الحضرة الامصار قديمة	٣٦٠
بنفسها مخالفة للغة مضرة	٣٦٠
فصل في تعليم اللسان المضري	٣٦٠
فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة	٣٦٢
العربية ومستغنية عنها في التعليم	٣٦٢
فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل	٣٦٤
البيان وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل	٣٦٤
غالب المستعرب بين من العجم	٣٦٤
فصل في أن اهل الامصار على الاطلاق	٣٦٥
قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية	٣٦٥
التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعدهن	٣٦٧
اللسان العربي كان حصوله اصعب واعسر	٣٦٧
فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر	٣٦٧
فصل في أنه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم	٣٦٧
والمنثور مع الاطلاق	٣٦٧
فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه	٣٦٧
فصل في أن صناعة النظم والنثر انما هي في	٣٦٧
الالفاظ لا في المعاني	٣٦٧
فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة المحفظ	٣٦٧
وجودها بجودة المحفوظ	٣٦٧
فصل في ترفع اهل المراتب عن انتحال الشعر	٣٦٧
فصل في اشعار العرب واهل الامصار لهذا	٣٦٧
العهد (وفيه اشعار الهلالية والزناية)	٣٦٧
الموشحات والازجال للاندلس	٣٦٧

صفحة	الباب الاول في مواعظ الملوك	صفحة
١٠	الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين	١٢٨
٥٥	عند الامراء والسلاطين	١٢٩
٧٨	الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر	١٣٣
٨٦	الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهم السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يؤتى لاحد من بعده	١٣٤
٨٨	الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا	١٤٣
٩٤	الباب السادس في أن السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح	١٤٩
٩٧	الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض	١٥٣
٩٩	الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره	١٦١
١٠٠	الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية	١٦٨
١٠٢	الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها فيها نظام الملك والدول	١٨٠
١٠٥	الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها	١٨٣
١١٢	الباب الثاني عشر في التخصيص على الخصال التي زعم الملوك انها ازال دولتهم وهدمت سلطانهم	١٩٨
١١٥	الباب الثالث عشر في الصفات الرتبة التي زعم الحكماء أنه لا تدام معها ملكة	٢٠٠
١١٨	الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان	٢٠٣
١٢٠	الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان	٢١٤
١٢٢	الباب السادس عشر في ملاء أمور السلطان	٢١٨
١٢٣	الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان	٢٢٠
١٢٥	الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن	٢٢١
١٢٥	الباب التاسع عشر في خصال جامعة لآمر السلطان	٢٢٣
		٢٣٠
		٢٣٤

الباب الموقفي عشرين في الخصال التي هي أركان السلطان

الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم

الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والخبر

الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم

الباب الخامس والعشرون في المجلساء وآدابهم

الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان

الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة

١٦٥ فصل في النصيحة

الباب الثامن والعشرون في الحلم

الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب

الباب الثلاثون في الجود والسخاء الخ

الباب الحادي والثلاثون في بيان الشج والبخل وما يتعلق بهما

الباب الثاني والثلاثون في الصبر

٢٠٣ فصل في أقسام الصبر

الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر

الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن بسائر الخصال وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذي الجلال

٢٢٠ فصل في شكر اللسان

٢٢١ فصل في الشكر على الجوارح

٢٢٣ فصل في الكلام على الزيادة

الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عاينها الامير والمأمور ويستريح اليها الرئيس والمرؤوس مستخرجة من القرآن العظيم

٢٣٤ الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور

صحيحة	صحيحة
٢٨٧ الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المعتبرة في الولاية	وراحة القلوب وطبيعة النفوس
٢٩١ الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال	٢٣٦ الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها يلجأ الملوكة عند الشدائد ومعقل السلامين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال
٢٩٦ الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات	٢٣٧ الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان
٢٩٨ الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق	٢٣٨ الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والحاثر
٣٠٧ فصل في الفرق بين المداخنة والمداواة	٢٣٩ الباب المو في اربعين فيما يجب على الرعية اذا جاز السلطان
٣٠٨ الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته	٢٤٢ الباب الحادي والاربعون في كذا يكونوا يولى عليكم
٣١٦ الباب السابع والخمسون في تحريم السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤل اليه أمرهما من الاعمال الرديئة والعواقب الذميمة	٢٤٣ الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تصلح بها الرعية
٣٢٢ الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته	٢٤٦ الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية
٣٢٧ الباب التاسع والخمسون في القرح بعد الشدّة	٢٤٧ الباب الرابع والاربعون في التحذير من صحة السلطان
٣٤٢ الباب الستون في بيان الخصلة التي هي أم الخصال وينبوع الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلة وهي الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس	٢٥٠ الباب الخامس والاربعون في صحة السلطان
٣٤٥ الباب الحادي والستون في ذكر الحروب وتدبيرها وحيالها وأحكامها	٢٥٤ الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند
٣٥٦ الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطالب	٢٥٦ الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استجابة الخراج
٣٦٢ الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم الخ	٢٥٨ الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال
٣٦٩ فصل من نوادر برزجهم الخ	٢٦٣ فصل يتضمن مبالغ ما كان يستخرج لقرعون يوسف من أموال مصر
٣٧٠ فصل من حكم شياقي السندى الخ	٢٧٠ الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال
٣٧٣ فصل قال غيره لا ينبغي للمال ان يكون له ايام معلومة يظهر فيها الخ	٢٧٧ الباب المو في خمسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال
٣٧٣ فصل من نوادر كلام العرب من حكم أ كتم من صفي الخ	٢٨٢ الباب الحادي والخمسون في أحكام أهل الذمة ٢٨٥ فصل في نقض الذمي العهد
٣٧٦ الباب الرابع والستون مشتمل على حكم مشورة	٢٨٥ فصل في تقدير الجزية

(المقدمة)
(للعامة ابن خلدون)

(الجزء الاول)
من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في
أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوى السطان الاكبر وهو
تاريخ وحيد عصره العلامة
عبد الرحمن بن خلدون
المغربي رحمه الله
آمين



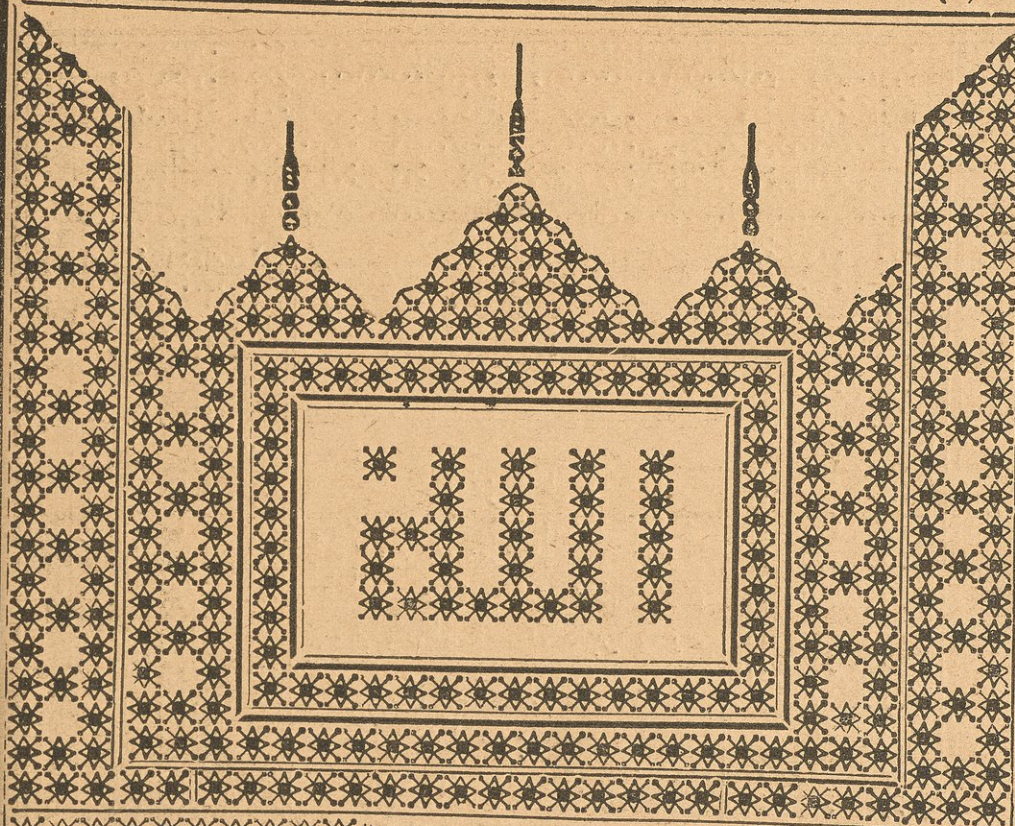
*(وبها مشه سراج الملوك للعلامة ابى بكر
محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى
المالكي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين)*

(محل مبيعه بالمطبعة الازهرية)
(ادارة الراعى من الله الغفران)
(حضرة السيد محمد رمضان)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣١١ هجرية)

١٦٧

الحمد لله الذي لم ينزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والا^٢ نار و كور النار على الليل
والليل على النهار العالم بالحقيات (٢) وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستوف بالليل وسار



الحمد لله الذي لم ينزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والا^٢ نار و كور النار على الليل
والليل على النهار العالم بالحقيات (٢) وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستوف بالليل وسار

الحمد لله الذي لم ينزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والا^٢ نار و كور النار على الليل
والليل على النهار العالم بالحقيات (٢) وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستوف بالليل وسار

بالحمد لله الذي لم ينزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والا^٢ نار و كور النار على الليل
والليل على النهار العالم بالحقيات (٢) وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستوف بالليل وسار

الحمد لله الذي لم ينزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والا^٢ نار و كور النار على الليل
والليل على النهار العالم بالحقيات (٢) وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستوف بالليل وسار

سبق المـكان وجوده في اين الاين لم يقتصر وجوده الى اين هو بعد خلق المـكان غني بنفسه كما كان قبل خلق المـكان وكيف يحل
فيما منه بدو يعود اليه ما هو انشاوان قلت ما هو فلا مائية لو وجوده وما موضوعه (٣) للسؤال عن الجنس والقديم تعالى

لاجنس له لان الجنس
مخصوص بمعنى داخل تحت
المائية وان قلت كم هو
فهو واحد في ذاته منفرد
بصفاته وان قلت متى كان
فقد سبق الوقت كونه
وان قلت كيف هو فن
كيف الكيف لا يقال له
كيف ومن جازت عليه
الكيفية جاز عليه النعت
وان قلت هو فلهما
والواو خلقه بل الزم الكل
الحديث كما قال بعض
الاشياخ لان القدم له فالذي
بالجسم ظهوره فالعرض
يلزمه والذي بالاداة
اجتماعه فقواها تمسكه
والذي يؤلفه وقت يفرقه
وقت والذي يقيمه غيره
فالضرورة تمسكه والذي
الوهم يطرقة فالتصوير
يرتقي اليه ومن آواه محل
ادركه اين ومن كان له
جنس طلبه كيف وجوده
اثباته ومعرفته توحيدة
وتوحيدة تميزه من خلقه
ما تصور في الاوهام فهو
بخلافه لا تخالفيه العميون
ولا تخالفيه الظنون ولا
تصوره الاوهام ولا تحيط
به الافهام ولا يقدر قدره
الانام ولا يحويه مكان
ولا يقاربه زمان ولا يحصره
امد ولا يسعه ولد ولا يحجمه

وتسـمـو الى معرفته السوقة والاعغال وتتنافس فيه الملوك والاقبال ويتساوى في فهمه العلماء
والجهال اذ هو في ظاهره لا يز يد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول تنفي فيها
الاقوال وتضرب فيها الامثال وتطرف بها الاندية اذا غصم الاحتفال وتؤدي اليها شأن الخلق
كيف تعلقت بها الاحوال واتسع للدول فيها النطاق والجمال وعمر والارض حتى نادى بهم الارتحال
وكان منهم الزوال وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للسكائن ومبادئ ديني وعلم بكيفية
الوقائع واسبابها عتيق فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق وجدير بان يعد في علومها وخلق وان
فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها ووسطروها في صفحات الدفاتر
وأودعوها وخلفوها المتطفلون بدسائس من الباطل وهو ما فيها أو ابتدعوها وزخارف من الروايات
المضعفة لفقوها ووضعوها واقفي تلك الآثار الكثر من بعدهم واتبعوها وأدوها اليها كما
سمعوها ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا فرضوا اثرها في الاحاديث ولا دفعوها
فالتحقيق قبل وطرف التفتيح في الغالب كليل والغلط والوهم نسب للاخبار وخليل والنقل يد
عريق في الاكديمين وسليـل والتطفل على القنون عرض وطويل ومرعى الجهل بين الانام وخـيم
وبيل والحق لا يقاوم سلطانه والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه والنقل انما هو يعلو وينقل
والبصيرة تنقد الصحح اذا تململ والعلم يحلوا صفحات الصواب ويصقل (هذا) وقد دون الناس في
الاخبار وكثروا وجمعوا وتوارى في الامم والدول في العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة
المعتبرة واستقر غوادوا من قبلهم في صحفهم المتأخرة هم قبلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل
ولا حركات العوام مثل ابن اسحق والطبري وابن السككي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر
الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير المتـيزين عن الجاهلـير وان كان في كتب المسعودي
والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الالباب ومشهور بين الحفظة الثقات الا ان الكفاية
اختصتهم بقبول اخبارهم واقفاء سذنتهم في التصنيف واتباع آثارهم والناقد البصير قسطاس نفسه في
ترييقهم فيما يتقنون أو اعتبارهم فلا مـر ان طبائع في احوال ترجع اليها الاخبار وتحمّل عليها
الروايات والآثار ثم ان أكثر التواريخ لم تؤولا العامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام
في الآفاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في المسأخذ والمتارك ومن هؤلاء من استوعب ما
قبل الملة من الدول والامم والامر العام كالمسعودي ومن نخامتها وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق
الى التقييد ووقف في العموم والاحاطة عن الشا والبعد فمقدشوار عصره واستوعب أخبار أرقه
وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره كما فعل أبو حيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن
الرفيقي مؤرخ افرقيـة والدول التي كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعده هؤلاء الا مقادير وبلد الطبع
والعقل او متبلد يندرج على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمال ويذهل عما حالته الايام من الاحوال
واسـئـبـدلت به من عوائد الامم والاجيال فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور
الاول صور اقد تجردت عن موادها وصفا طائفة من انما دها ومعارف تستنكر للجهل بطارفها
وتلادها انما هي حوادث لم تعلم أصولها وانواع لم نعت برأجناسها ولا لتحقق فصولها يكررون في
موضوعاتهم الاخبار المتداولة باعيناها اتبعا علمي عن من المتقدمين بشأنها وبغفلون أمر الاجيال
الناشئة في ديوانها بما عوز عليهم من ترجمانها فستجهم صحفهم عن بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة

عند قدره كرامته وبعدها انه علومه من غير قول ومحييه من غير نقل هو الاول والآخروا الظاهر والباطن القريب البعيد الذي
ليس كمثل شئ وهو السميع البصير واشهد له بالربوبية والوحدانية وما شهد به لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات العلى والنعت

الاول في آله الخلق والامر بآرك الله رب العالمين وامن بالله ولائكته وكتبه ورسوله لا تفرق بين احد من رسله ونحن له مسلمون
واشهد ان محمدا عبده المصطفى وامينه (٤) المرتضى ارسله الى كافة الورى بشير او نذير او داعي الى الله باذنه وسراجه منبر ارضي الله

نسوق اخبارها نسقا محافطين على نقلها واهما اوصدقا لا يتعرضون لبداهتها ولا يذكرون السبب
الذي رفع من رايها وظهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى افتقار
احوال مبادئ الدول وحرارتها مفتشاعن اسباب تراجها وتعاقبها باحثاعن المقنع في تبانيها او تناسبها
حسب ما نذكر ذلك كله في مقدمة الكتاب ثم جاء آخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء
الملوك والاختصار بمقتوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها اعدادا يامهم بحروف الغبار كما
فعله ابن رشيقي في ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر من الملوك وليس يعتبر هؤلاء بمقال ولا يعلوهم
ثبوت ولا انتقال لما اذهبوا من القوائد واخلوها بالماضي المعروفة للأورخين والعوائد (ولما طاعت)
كتب القوم وسبرت غور الامس واليوم نهت عين القرية من سنة الغفلة والنوم وسمعت
التصنيف من نقبي وانا المفلس احسن السوم فانشأت في التواريخ كتابا رفعت به عن احوال الناشئة
من الاجيال حجابا وفصلته في الاخبار والاعتبار بابا بابا وابدت فيه لاولية الدول والعمران عللا
واسما بابا وبنيته على اخبار الامم الذين عمر والمغرب في هذه الاعصار وماؤا كناف النواحي منه
والامصار وما كان لهم من الدول الطوال او القصار ومن سلف من الملوك والانصار وهم العرب
والبربر اذ هما الجبلان اللذان عرف بالمغرب ما واهما وطال فيه على الاحقاب مشواهما حتى لا يكاد
يتصور فيه ما اعداهما ولا يعرف اهله من اجيال الادميين سواهما فهذب مناحيه تهذيبا وقرينه
لافهام العلماء والخاصة تقريبا وسلك في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا واختر عنه من بين المناحي
مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة واسلويا وشرحت فيه من احوال العمران والتمدن وما يعرض في
الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتلئ بعلى الكوائن واسبابها ويعرفك كيف دخل اهل
الدول من ابوابها حتى تنزع من التقليد يدك وتقف على احوال من قبلك من الايام والاجيال وما
بعدك (ورتبته) على مقدمة وثلاثة كتب

(المقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذهبها والاماع بمغالط المؤرخين
(الكتاب الاول) في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب
والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العال والاسباب
(الكتاب الثاني) في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة الى هذا العهد وفيه الاماع ببعض
من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والعربانيين والفرس وبنو اسرائيل والقبط ويونان
والروم والترك والافرنجة

(الكتاب الثالث) في اخبار البربر ومن اليهم من زفاته ذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار المغرب
خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتلاء انوار وقضاء الغرض والسنة في مطافه
ومزاره والوقوف على آثاره في دواوينه واسفاره فافتت ما نقص من اخبار ملوك العرب بملك الديار
ودول الترك فعماد كره من الاقطار واتبعتهما ما كتبه في تلك الاسطر وأدرجتها في ذكر
المعاصر لتلك الاجيال من أم النواحي وملوك الامصار والنواحي سال الكاسبيل الاختصار
والتلخيص مقتديا بالمرام السهل من العويص داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على
الخصوص فاستوعب اخبار الخليقة اسما عابا وذلك من الحكم النافرة صعبا واعطى لمحوادث الدول
عللا واسما بابا واصبح للحكمة صونا وللناريج جرابا (ولما كان) مشتت على اخبار العرب والبربر

عليه وعلى اهل بيته
الظاهرين وأصحابه
المنتخبين وازواجه
الطاهرات امهات المؤمنين
(اما بعد) فاني نظرت في
سير الامم الماضية والملوك
الحالية وما وضعوه من
السياسات في تدبير الدول
والترزوم من القوانين في
حفظ النحل فوجدت ذلك
نوعين احكاما وسياسات
فاما الاحكام المشتقة على
ما اعتدوه من المحال
والحرام والبوع والاحكام
والانكحة والطلاق
والاجارات ونحوها والرسوم
الموضوعة لها والحدود
القائمة على من خالف شيئا
منها فاصطلحوا عليه
باعتقدهم ليس على شيء منه
برهان ولا انزل الله به من
سلطان ولا اخذوه عن
قدرو ولا تبعوا فيه رسولا
ولما هي صادرة عن خزنة
النيران وسنة ثبوت
الاصنام وعبدة الانداد
والاوثان وليس يجوز احد
من خلق الله ان يصنع
من تلقاء نفسه امثالا
واشباها واما السياسات
التي وضعوها في التزام
تلك الاحكام والذب عنها
والحماية لها وتعظيم من
عظمها واهانة من استهان

بها وخالفها فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها
والتزام النصفة فيما بينهم على ما توجبها تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السبل وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم

كل ذلك فقد سار واقع به بسيرة جيلة لا ينافي العقول شيء منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم يحفظ تلك الاصول الفاسدة كمن زخرف كنيها أو بني على ميت قصرا (٥) منيقاتو لوليس الحارث بن خازم

لقال الناس بالآل من حار
بخدمت محاسن ما انطوى
عليه سيرهم خاصة من
ملوك الطوائف وحكام
الدول فوجدت ذلك في
ست من الامم وهم العرب
والفرس والروم والهند
والسند والسند هند فاما
ملوك الصين وحكامهم
فلم يصل الى ارض العرب
من سياساتهم شيء كثير
لبعد الشقة وطول المسافة
وأما من عدا هؤلاء من الامم
فلم يكونوا اهل حكم بارعة
وقرائح نافذة واذهان
ناقبة وانما صدمت عنهم
الشيء اليسير من الحكمة
فنظمت ما ألفت في كتبهم
من الحكمة الباقية والسير
المستحسنة والكمالات الطيفة
والظريفة المألوفة والتوقيع
الجليل والاثرائيل الى
مارويته وجمعه من سير
الانبياء عليهم السلام وآثار
الاولياء وبراعة العلماء
وحكمة الحكماء ونوادر
الخلفاء وما انطوى عليه
القرآن العزيز الذي هو
بحر العلوم وينبوع الحكم
ومعدن السياسات ومغاص
الجواهر المكنونات ان
اختصر فلحمة دالة وشارة
خفية وان أطال فالفاظ
بارعة وآيات معجزة هو

من أهل المدن والوبر والامام عاصرهم من الدول الكبير وأفضح بالذكى والعبر في مبتدا
الاحوال وما بعد هان الخبر (سميته) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والمجمل والبربر
ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ولم أترك شيئاً أولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الاول
واسباب التصرف والحول في القرون الحالية والممال وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة
وحكمة وعزة وذلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة وكسب واضاعة واحوال متقلبة مشاعة وبدو
وحضرة وواقع ومنظر والاستوعبت جملة وأوصفت برأيه وعلاه في هذا الكتاب فذا لمضمة
من العلوم الغربية والحكمة المحجوبة القرينة وأنما من بعدهم ما وقع بالقصور بين أهل العصور
معترف بالحجز عن المضاعف في مثل هذا القضاء راغب من أهل البدل البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء
النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتعمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاعضاء فالبضاعة بين أهل
العلم من جات والاعتراف من اللوم منجاة والحسن من الاخوان مرتجاة والله أسأل أن يجعل أعمالنا
خالصة لوجه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل (وبعد) أن استوفيت علاجه وأنزلت مشكاته
للمستصرين وأذ كيت سراج به وأوصفت بين العلوم طريقه ومنهجه وأوسعت في فضاء المعارف
نطاقه وأدرت سياجه أتحقت بهذه النسخة منه (١) خزنة مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح
المجاهد المتحلي من ذخل التمام ولوث العمامة بحلى القانت الزاهد المتوشح من زكاة المناقب
والحماد وكرم الشماثل والشواهد باجل من القلائد في نحو الرولاند المتناول بالعزم القوى الساعد
والجهد الموائى المساعد والجهد الطارف والتالد ذواب ملوكهم الراسى القواعد الكريم المعالى
والمصاعد جامع أشتات العلوم والقوائد وناظم شمل المعارف الشوارد ومظهر الآيات الربانية

(١) قوله أتحقت بهذه النسخة منه الخ وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله أتحقت
وبعد قوله وأدرت سياجه ونصها التمس له الكف الذى يلعب بين الاستبصار فنونه ويلحظ بمداركة
الشريعة معياره الصحيح وقانونه ويميز رتبة في المعارف عمادونه فسرحت فكري في قضاء الوجود
وأجالت نظري ليل التمام والمجود بين التمام والتجود في العلماء الركن السجود والخلفاء أهل
الكرم والمجود حتى وقف الاختيار بساحة الكمال وطافت الافكار عوقف الآمال وظفرت أيدي
المساعي والاعمال بمسندى المعارف مشرقة فيه غرر الجمال ووجدت في العلوم الوارفة الظلال عن اليقين
والتمثال فأنتجت مطى الافكار في عرصاتها وجلوت محاسن الانظار على مناصاتها وأتحقت بديوانها
مقاصير ايوانها وأطلعته كوكبا وقادا في أفق خزانها ووصوانها ليكون آية للعالمية دون بمناره
ويعرفون فضل المدارك الانسانية في آثاره وهي خزنة مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح المساهد
الى آخر النعوت المذكورة هنا قال الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد ابن
مولانا الامير الطاهر المقدس الى عبد الله محمد ابن مولانا الخليفة المقدس أمير المؤمنين الى يحيى الى
بكر ابن الخلفاء الراشدين من أئمة الموحدين الذين جددوا الدين ونهجو السبل للمهتدين ومحو آثار
البغاة المفسدين من الجسمة والمعتدين سلاله الى حفص والفاروق والنبعة النامية على تلك المنابر
الزاكية والعروق والنور المتلائي من تلك الاشعة والبروق فاوردته من مودعها العلي بحيث مقرر الهدى
ورياض المعارف خضلة الندى الى آخر ما ذكره هنا لانه لم يقيد الامامة بالقارسة لكن النسخة المذكورة
مختصرة عن هذه النسخة المنقولة من خزنة الكتب الفاسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

المسادي من الضلالة والحاوى لحاسن الدنيا وفضائل الآخرة (ورتبته) ترتيباً أنيقاً وترجمته تراجم بارعة حاوية لمقاصد هاناً مائة
بحكمها ومضمونها يلج الاذن من غير اذن ويتوغل الناموس من غير استئذان الفاضل اقول الباعينها ليس الفاظها الى السمع بأسرع من

معانيها الى القلب فان نظام الكتاب بحمد الله وعونه واحسانه غاية في بابه غير ينافي فنونه واسما به خفيف المحمل كثير الفائدة لم يسبق
الى مثله أقلام العلماء ولا جالت (٦) في نظمه أفعار الفضلاء ولا حوته خزائن الملوك والرؤساء فلا يسمع به ملك

في فضل المذارك الانسانية * بذكره الثاقب الناقذ * ورأيه الصحيح المعاقذ * النير المذاهب والعقائد * نور
الله الواضح المرشد * ونعمته العذبة الموارد * ولطفه الحكام بالمراد للشدائد * ورحمته الكريمة المقاليد *
التي وسعت صلاح الزمان الفاسد * واسنقاة المسائد من الاحوال والعوائد * وذميت بالخطوب الاوابد *
* وخلعت على الزمان رونق الشهاب العائد * وجهته التي لا يبطلها انكار الجاحد ولا شبهات المعاند *
(أمير المؤمنين) ابوفارس عبدالعزيز بن مولانا السلطان الكبير المجاهد المقدس أمير المؤمنين * أعي
الحسن ابن السادة الاعلام من بني مرين * الذين جددوا الدين * وجرو السبيل للمهتدين * ومحو آثار
البعثة المفسدين * أفاء الله على الامة ظلاله * وبلغه في نصر دعوة الاسلام آماله * ويعتنه الى خزانهم
الموقفة لطيفة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حضرة ملاكهم * وكربى سلطانهم * حيث مقر الهدى
ورياض المعارف خضلة الندى * وقضاء الاسرار الربانية فسيح المدى * والامامة الكريمة الفارسية (١)
العزيزة ان شاء الله بنظرها الشريف وفضلها الغني عن التعريف * تبسط له من العناية مهادا * وتفتح
له في جانب القبول آما دافق وضحها ادلة على رسوخه واشهاد * في سوقها تنفق بضائع الكتاب * وعلى
حضرته تعكف ركائب العلوم والآداب * ومن مدد بصائرهم المنيرة تتألق القرائع والالباب * والله
يوزعناش كنعمتها ويوفر لنا حظوظ المواهب من رحتها * ويعيننا على حقوق خدمتها * ويجعلنا من
السابقين في ميدانها المحلحين في حومتها * ويضفي على أهل اياتها وما أوى من الاسلام الى حرم عملاتها *
لبوس جاليتها وحرمتها * وهو سبحانه المسؤول ان يجعل اعمالنا خالصة في وجهتها * بريئة من شوائب
الغفلة وشبهتها وهو وحسبنا ونعم الوكيل

(١) المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض
للمؤرخين من المغالط والاهام وذكري من أسماها

(اعلم) أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم القوائد شريف الغاية اذ هو يوقننا على احوال الماضين
من الامم في اخلاقهم * والانبياء في سيرهم * والملوك في دولهم وسياساتهم * حتى تتم فائدة الاقتداء
في ذلك لمن يروم في احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ما خدمت متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر
وتثبت يفضيان بصاحبهم الى الحق وينبكان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعمد فيها على مجرد
النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا في
الغائب منها بالشاهد والمحاضر بالذاهب فر بما لم يؤمن فيها من العتور ووزلة القدم والحب مدع جادة
الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على
مجرد النقل غشا أو سمي نالم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها بأشباهاها ولا سبروها بعميار الحكمة والوقوف
على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلواعن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط
سما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذهى مظنة الكذب ومطية
التهذرو لا بد من ردها الى اصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في
جيوش بني اسرائيل وأن موسى عليه السلام احصاهم في التيه بعد ان أجاز من يطبق حمل السلاح خاصة
من ابن عشرين خافوقها فكانوا ستمائة ألف او يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام
واتساعها مثل هذا العدد من الجيوش لكل ملكة من الممالك حصنة من الحماية تتسع لها وتقوم

(١) قوله الفارسية أي المنسوبة الى الأمير أبي فارس المتقدم ذكره اه

الاستدراك به ولا وزير
الاستدراك به ولا رئيس الا
استحسنه واستوسده
عصمة لمن عمل به من الملوك
وأهل الرياسة وجنة لمن
تخصن به من أولى الامر
والسياسة وجمال لمن تحلى
به من أهل الآداب
والحاضرة وعنوان لمن
فاوض به من أهل الجاهلية
والذاكرة (وسميته سراج
الملوك) يستغنى به الحكيم
بدراسة من مباحثه
الحكام والملوك عن
مشاورة الوزراء (واعلموا)
وفقهكم الله ان أحق من
أهديت اليه الحكيم
وأوصلت اليه النصائح
وجلت اليه العلوم من آناه
الله سلطانا فنفذ في الخلق
حكمه وجاز عليهم قوله
(ولما رأيت) الا حبل
المأمون تاج الخلافة عز
الاسلام فخر الانام نظام
الدين خالصة أمير
المؤمنين أباعه الله محمد
الاموي أدام الله لا عزاز
الدين نصره وأنفذ في
العالمين بالحق أمره وأوزع
كافة الخلق شكره وكفاهم
فيه محذوره وضره فقد
تفضل الله تعالى به على
المسلمين فبسط طيفهم يده
ونشر في مصالح احوالهم

كلمته وعرف الخاص والعام بمنه وبركته وتقدأمو را لرية وسار فيهم على أحسن قضية
متحرر بالصواب راغب في الثواب طال بالسبيل العدل ومنهاج الانصاف والفضل رغب في ان أخصه بهذا الكتاب فزاد لطف الله تعالى يوم
بوظائفها

تجد كل نفس ما عملت من خير محضر او ما عملت من سوء تؤدولون بينها وبينها امدابيد داو لنذكر فضائله ومحاسنه ما بقي الدهر كما قيل
الناس يهدون على قدرهم * لكنني اهدي على قدرى يهدون ما يقنى وأهدى الذى (v) * يبقى على الايام والدهر

فان العلم عصمة الملوك
والامراء ومعقل السلاطين
والوزراء لانه يمنهم من
الظلم ويردهم الى الحق
ويصدهم عن الاذية
ويعطهم على الرعية فن
حقهم ان يعرفوا حقهم
ويكرموا حلتهم ويستبطنوا
أهلهم (وهذه) أبواب هذا
الكتاب وعدتها أربعة
وستون بابا الباب الاول
في مواضع الملوك الباب
الثاني في مقامات العلماء
والصالحين عند الامراء
والسلاطين الباب الثالث
في ما جاء في الولاة والقضاة
وما في ذلك من الغرر
والخطر الباب الرابع في
معرفة ملك سليمان بن
داود ووجه طلبه للملك
وسؤاله ان لا يؤتاه احد من
بعده الباب الخامس في
فضل الولاة والقضاة اذا
عدلوا الباب السادس في
ان السلطان مع رعيته
مغبون غير غابن وخاسر
غير راجع الباب السابع في
بيان الحكمة في كون
السلطان في الارض الباب
الثامن في منافع السلطان
ومضاه الباب التاسع في
معرفة منزلة السلطان من
الرعية الباب العاشر في
معرفة خصال ورد

بوظائفها وتضييق عما فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش
البالغة الى مثل هذا العدد يبعدان يقع بينهما زحف أو قتال لضيق ساحة الارض عنها وبعدا اذا اصطفت
عن مدى البصر مرتين او ثلاثا وازيد فكيف يقتل هذان الفريقان أو تكون غلبة احد الصفيين وشئ من
جوانبه لا يشعر بالجانب الاخر والخاصير يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء (ولقد كان)
ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بخت نصر لهم والتهامه
بلادهم واستيلائه على ارضهم وتخريب بيت المقدس قاعدة مملكتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال عمالة
فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب
اوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبته
واعظم ما كانت جوعهم بالقادسية مائة وعشرون ألفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في
اتباعهم أكثر من مائتي ألف (وعن عائشة والزهرى) ان جوع رستم التي زحف بها السعد بالقادسية انما
كانوا مائتي ألفا كلهم متبوع واذا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لا تسع نطاق مملكتهم وانما
مدى دولتهم فان العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القاطنين بها في قتلها وكثرتها
حسب ما نسين في فصل الممالك من الكتاب الاول والقوم لم تسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من
الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذي بين موسى واسرائيل انما هو أربعة
آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن يصره بن قاهت بفتح الهاء وكسر هاء ابن لاوى بكسر
الواو وفتحها ابن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبة في التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودى قال
دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط وأولادهم حين اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر الى ان
خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة تقدموا لهم ملوك القبط من الفراعنة ويبعدان
يتشعب النسل في أربعة أجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا أن عدد تلك الجيوش انما كان في زمن
سليمان ومن بعده فبعيد ايضا اذ ليس بين سليمان واسرائيل الا أحد عشر أبافانه سليمان بن داود
ابن ايشابن عوفيد ويقال بن عوف بن باعز ويقال بنوعز بن سلوم بن نحشون بن عيم بنوذب ويقال
جيمناذب بن دم بن حصرون ويقال حصر بن يارس ويقال بيرس بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب
النسل في أحد عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المائتين والالاف فرما يكون وأما
أن يتجاوز الى ما بعده ما من عقود الاعداد فبعيد واعة بذلك في المحاضر المشاهدة والقرىب المعروف
تجد زعمهم باطلا لملقلم كاذبا (والذي ثبت في الاسرائيليات) ان جنود سليمان كانت اثنا عشر ألفا خاصة
وان مقر بانه كانت الفا واربع مائة فرس مرتبطة على أبوابه هذا هو الصحيح من أخبارهم ولا يلتفت الى
خرافات العامة منهم (وفي أيام سليمان عليه السلام وما كنه) كان عتقوا دولتهم واتساع ممالكهم هذا وقد تجد
الكفاة من أهل العصر اذا فاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم أو قريمانه وتفاوضوا
في الاخبار عن جيوش المسلمين وانصارى أو أخذوا في احصاء اموال الجبايات وخراج السلطان
ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء المومنين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس
الاغراب (١) فاذا شئت فكفت أصحاب الدواوين عن عساكرهم واستتبعت أحوال أهل التروقة في
بضائعهم وفوائدهم واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس

(١) قوله الاغراب بكسر الهمزة اه

الشرع فيها فبها نظام الملك والدول الباب الحادى عشر في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا يثبت له دونها الباب الثاني عشر
في معرفة الخصال التي زعم الملوك انها أزال دولتهم وهدمت سلطانهم الباب الثالث عشر في معرفة الصفات التي زعم الحكماء

انها لا تدوم معها ملكة الباب الرابع عشر في الخصال المحودة في السلطان وقد تدفق تحت الحكماء والعلماء عليهم السلام الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي يعز بها (٨) السلطان الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان

باب السابع عشر في معرفة خير السلطان وشر السلطان الباب الثامن عشر في معرفة منزلة السلطان من القرآن الباب التاسع عشر في معرفة خصال جامعة لامر السلطان الباب العشرون في معرفة الخصال التي هي اركان السلطان الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل ابن زياد في العلم الباب الثالث والعشرون في معرفة العقل والدهاء والمنكر الباب الرابع والعشرون في الوزراء واوصافهم الباب الخامس والعشرون في المجلساء وآدابهم الباب السادس والعشرون في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومجود عواقبه الباب التاسع والعشرون في ما يسكن به الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب الحادي والثلاثون في معرفة الشج والبخل وما يتعلق بهما الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجيل عواقبه الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن لساتر الخصال

بالغرائب وسهولة التجا وزلي اللسان والغفلة على المتعقب والمتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالب بها في الخبر يتوسط ولا عذرة ولا ير جمعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسم في مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزوا ويشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفة خاسرة (ومن الاخبار الواهية لماؤرخين) ما يتكلمونه كافة في اخبار النبوة ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افرريقية والبربر من بلاد المغرب وان افر يقش بن قيس بن صيفي من اعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام اوقبله بقليل غزا افر يقشة وأثن في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ماهذه البربر فآخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وأنه لما انصرف من المغرب حجز هناك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا باباها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبري والبحر جاني والمسعودي وابن الكلبي والبيهقي الى ان صنهاجة وكتامة من حمير وتاباه نسبة البربر وهو الصحيح (وذكر المسعودي ايضا) ان ذالاذغار من ملوكهم قبل افر يقش وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وأنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلحاً كالكثر الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبع الاخر وهو اسعد ابو كرب وكان على عهد يستأسف من ملوك الفرس الكيانية انه ملك الموصل وأذربيجان ولقي الترك فهزمهم وأثن ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيهم بلاد فارس والى بلاد الصغد من بلاد ام الترك وراء النهر والى بلاد الروم فلك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المغازة الى الصين فوجد اخاه الثاني الذي غزا الى سمرقند قد سبقه اليها فاتخذا في بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنائم وتر كوايلا لاد الصين قبائل من حمير فمهم بها الى هذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع (وهذه الاخبار) كلها بعدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط وأشبه باحاديث القصص الموضوعية وذلك ان ملك التبابعة انما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من المشرق وبحر السويس الهابط منه الى السويس من اعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصورا لمجغرافيا فلا يجد السالك من اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس والمسالك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قد مرحت بين فساد دونهما وبعدها أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عسا كرم وفورة من غير ان تصير من اعماله هذا المنفعة في العادة وقد كان بتلك الاعمال العمة الماتقة وكنعان بالشام والقبط بمصر ثم ملك العمة الماتقة مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم يقتل قط ان التبابعة حاربوا أحدا من هؤلاء الامم ولا ملكا كواشياً من تلك الاعمال وايضا فالشقة من البحر الى المغرب بعدة والازودة والوفة للعسا كرم كثيرة فاذا ساروا في غير اعمالهم احتاجوا الى انتهاب الزرع والنعيم وانتهاب البلاد فيعالمون عليه ولا يكفي ذلك للازودة والوفة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تنفي لهم الرواحل بنقله فلا بد وان يمر في طريقهم كما باعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العسا كرم بهؤلاء الامم من غير ان يهجمهم فتحصل لهم الميرة بالمسألة فذلك بعدوا شدة امتناعا فدل على ان هذه الاخبار رواهية او موضوعية (واما) وادي الرمل الذي يبحر السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة السالكه ومن يقص طريقه من الركب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من القرابة تتوفر الدواعي على نقله وأما غزوهم بلاد الشرق وارض الترك وان كانت طريقه اوسع من مسالك السويس الا ان الشقة هنا بعدوا أم فارس والروم معترضون

معرفة الشج والبخل وما يتعلق بهما الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجيل عواقبه الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن لساتر الخصال فيها

وزعم بالمرزب من الالاه والنعماء من ذى الجلال وهى الشكر الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يصلح عليها الامير والمأمور
وتسهل صحة الخلائق اجمعين الباب السادس والثلاثون فى بيان الخصلة التى فيها غاية (٩) كمال السلطان وشقاء الصدور وراحة

القلوب وطيبة النفوس
الباب السابع والثلاثون
فى معرفة الخصلة التى هى
ملك الملوك عند الشدائد
ومعقل السلاطين عند
اضطراب الممالك الباب
الثامن والثلاثون فى بيان
الخصلة الموجبة لذم الرعية
للسلطان الباب التاسع
والثلاثون فى مثل السلطان
العادل والجارى الباب
الاربعون فى ما يجب على
الرعية اذا جاز السلطان
الباب الحادى والاربعون
فى كتاب كونوا بولى عليكم
الباب الثانى والاربعون
فى بيان الخصلة التى بها
تصلح الرعية الباب الثالث
والاربعون فى ما يملك
السلطان من الرعية الباب
الرابع والاربعون فى
التحذير من صحة السلطان
الباب الخامس والاربعون
فى صحة السلطان الباب
السادس والاربعون فى
سيرة السلطان مع الجند
الباب السابع والاربعون
فى سيرة السلطان فى استجباء
المخارج الباب الثامن
والاربعون فى سيرة السلطان
فى الاتفاق من بيت المال
الباب التاسع والاربعون
فى سيرة السلطان فى بيت
المال الباب العاشر فى

فيه ادون الترك ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وانما كانوا يحاربون أهل فارس
على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والمحيرة والمجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما ما فى الاعمال
وقد وقع ذلك بين ذى الادعاع منهم وكىكاوس من ملوك الكيانية وبين تبع الاصغر أبو كرب ويستأسف
منهم أيضا ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم بمجاورة ارض فارس بالغزو الى بلاد
الترك والتبت وهو ممنوع عادة من أجل الامم المعترضة منهم والحاجة الى الازودة والعلوفات مع بعد الشقة
كما مر فلاخبار بذلك واهية مدخولة وهى لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قاذفا فاف كيف وهى لم
تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق فى خبر يثرب والاوز والخزرج ان تبعا الى خرسار الى المشرق
محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم اليها بوجه مما تقر فلا تنقن
بما يلقى اليك من ذلك وتأمل الاخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك محبصها بأحسن وجه والله
المادى الى الصواب

(فصل) وأبعد من ذلك واعرق فى الوهم ما ينقله المفسرون فى تقسيم صورته والفجر فى قوله تعالى
ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد فيجمعون لقطة ارم اسم المدينة وصفته بأنها ذات عماد أى
أساطين وينقلون أنه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده وهما شديدا
نخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسبع وصف الجنة فقال لابن من مثلهافبنى مدينة ارم فى صحارى عدن
فى مدة ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من
الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الشجر والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها أهل مملكته حتى اذا كان
منها على مسيرة يوم وليا له تبع الله عليهم صيحة من السماء فهدمها وكلمهم ذلك الطبرى والثعالى
والزخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابه من الصحابة انه خرج فى طلب ابل له
فوقع عليه اوجحىل منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معاوية فاحضره وقص عليه فبحث عن كعب الاخبار
وسأله عن ذلك فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أجر أشقر قصير على حاجبه
خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه
المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ فى شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التى زعموا انها بنيت فيها هى فى
وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها
أحد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فى عمارت من الالان كان أشبهه الآن ظاهر
كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهى المذيان ببعضهم
الى انها غابرة وانما يعثر عليها أهل الرياضة والبحر فراعهم كلها أشبهه بالخرافات والذى جعل المفسرين على
ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب فى لقطة ذات العماد انها صفة ارم وجعلوا العماد على الاساطين فتعين أن
يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات
التي هى أشبهه بالافاصيص الموضوعة التى هى اقرب الى الكذب المنقولة فى عداد المخفكات والافالعماد
هى عماد الاخبية بل الخيام وان اراد بها الاساطين فلا بدع فى وصفهم بانهم أهل بناء واساطين على
العموم بما لا شتم من قوتهم لانه بناء خاص فى مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كفى قراءة ابن الزبير
فعلى اضافة الفصلة الى القبيلة كما تقول قريش كنانة والباس مضر وربيعة نزار وى ضرورة الى هذا المجل
البعيد الذى تحلت لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التى ينزه كتاب الله عن مثلها بعد هذا عن الحق

(٢ - ابن خلدون) سيرة السلطان فى تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال الباب الحادى والخمسون فى أحكام أهل
الذمة الباب الثانى والخمسون فى بيان الصفات المعبرة فى الولاة الباب الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال

الباب الرابع والخمسون في هدايا المال والرشا على الشفاعات الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوءه (١٠) عاقبة الباب السابع والخمسون في السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤول اليه أمرهما من

(ومن الحكايات) المدخولة للأورخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسية اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وأنه لكانه بمكانهم ما من معاقرة اياهما الخراج لهم في عقد النكاح دون الخلو حرا على اجتماعهما في مجلسه وأن العباسية تحملت عليه في التماس الخلو به لما شغفها من حبسه حتى واقعها زعموا في حالة سكر فحملت ووشى بذلك للرشيد فاسد فغضب وهبها ذلك من منصب العباسية في دينها وابو يها وجلاهم لاؤها وانها انت عدا الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشرف الدين وعظماء الملة من بعده والعباسية بنت محمد المهدي ابن عبد الله أبي جعفر المنصور ابن محمد السجاد ابن علي ابني الخلفاء ابن عبد الله ترجان القرآن ابن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ابنة خليفته اخت خليفته محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومة وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهات اقر بية عهد بيداوة العرب بية وسداحة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراعات الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها واين توجد الطهارة والذكاء اذا فقد من بيتها او كيف تلحم نسب الجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي النجم بلكة جده من الفرس او بولاه جدها من عمومة الرسول واشرف قريش وغايتها ان جذبت دولتهم بضربه وضبح أبيه واستخلصتهم ورفقهم الى منازل الاشرف وكيف يسوغ من الرشيد ان يصهر الى موالي الاعاجم على بعد همته وعظم آباءه ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المصنف وقاس العباسية بامنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها وفي سلطان قومها واستنكره لو لم ينج في تكذيبه وأين قدر العباسية والرشيد من الناس وانما نكيب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الحماية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أموره بلكة فعظمت آثارهم وبعده صيتهم وعمر مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحنازوها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلع يقال انه كان يدار الرشيد من ولدي يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاجوا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان أبيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلب على امره وكان يدعوه يا ابت فتوجه الا يشار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانسبط الجاه عنددهم وانصرفت بنحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الاموال وتخطت اليهم من اقصى النجوم هدايا الملوك وتحف الامراء وسيرت الى خزائنهم في سيدل القزف والاستمالة اموال الحماية وافاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء وطوقوهم المنى وكسبوهم بيوتات الاشرف المعتمد وفكروا العاني ومدحوا بالممدح به خليفتهم واسنوا لعقائهم الجوائز والصلاة واستولوا على القرى وانضموا من الضواحي والامصار في سائر الاممال حتى آسفوا البطانة واحقدوا الخاصة واغصوا أهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد وصبحت الى مهاهم الوثر من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان يتوقح طبة احوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم تعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد واطف الرحمة ولا وعتهم اواصر القرابة وقارن ذلك عند نخدومهم نواشي الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن المحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالة وانتهى بها الاصرار على شأنهم الى كباثر الخلفة كقتلتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخى محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزل الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطه وبذل لهم

الافعال الرديئة والعواقب الذميمة الباب الثامن والخمسون في القصص وحكمته الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب الستون في الشجاعة وثمراتها الباب الحادي والستون في الحروب وتدابيرها الباب الثاني والستون في القضاء والقدر واحكامهم الباب الثالث والستون وهو جامع من اخبار ملوك العجم وحكاياتهم الباب الرابع والستون يشمل على حكم مشهورة وهو آخر الكتاب وكما لا ابواب

*) (الباب الاول في مواضع الملوك) *

لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا عا لم اياها الرجل وكلنا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان كانت كبارا الا انها مشغوفة بكثرة الاشغال فيستدعي من الموعظة ما يتوجع على تلك الافكار ويتغلغل في مكان تلك الاسرار فيرفع تلك الاستار ويفلك تلك الاكنة والاقفال ويصل ذلك الصدا والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع

الدنيا بانها متاع قليل وانت تعلم انك ما اوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعت به ولم تعص الله فيه فهو له ولعلب قال الله تعالى انما الحياة الدنيا لهو ولعب ثم قال وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تتبع ايها العاقل لعبا قليلا

يقني بحياة الأبد حياة لا تقني وشباب لا يقني كما قال الفضيل رحمه الله لو كانت الدنيا ذهباً يقني وكانت الآخرة خزفاً يقني لوجب أن تختار خزفاً يقني على ذهب يقني فكيف وقد اخترنا خزفاً يقني على ذهب يقني تأمل بعقلك (١١) هل آتاك الله من الدنيا ما آتى سليمان بن

داود عليهم السلام حيث آتاه ملك جميع الدنيا والانس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رضاء حيث أصاب ثم زاده الله ما هو أعظم منها فقال تعالى هـ ذاعطأونا فامنن أوامسك بغير حساب فوالله ما عـدها نعمة كما عدتموها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربي ليسوا في أشكر أم أكره وهذا أفضل الخطاب لمن تدبر أن يقول له ربه في معرض المنية هذا عطاؤنا فامنن أوامسك بغير حساب ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجاً من حيث لا يعلم هذا وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين تأمل بعقلك ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال لو كانت الدنيا ترز عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء وأنت سمعت إلى ما نزل به جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على محمد عليه السلام فقال يا محمد إن الله

فيه ألف ألف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد إلى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخليته سديله والاستبداد بحل عقاله حرماً للماء أهل البيت بزعمه ودالة على السلطان في حكمه * وسأله الرشيد عنه لما وشى به إليه فظن وقال أطلقته فأبدى له وجه الاستحسان وأمره أن ينفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثل عرشهم والقيت عليهم سمأؤهم وخسفت الأرض بهم وبدارهم وذهبت سلفاً ومثلاً لآل آخرين أيامهم ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محققاً لثمة الأسباب (وانظر) ما نقله ابن عبدربه في مقاضة الرشيد عن جده داود بن علي في شأن نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد في محاوراة الأصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم بتقهم أنه لما قاتلهم الغيرة والمنافقة في الاستبداد من الخليفة فغن دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيمادسوه للغن من الشعر احتيالاً على اسماعه للخليفة وتحريك حفاظهم وهو قوله ليت هنداً أنجزت ما تعد * وشقت أنفسنا مما نجد واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال اي والله اني عاجز حتى بعثوا بأماناً هذه كامن غيرته وسلاطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال (وأما) ما تموه به الحـكـاية من معاقرة الرشيد الحجر واقتراح سكره بسكر الندمان فاش لله ما علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السكالك والعمرى ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها (حكى) الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً ولقد زجر ابن أبي مريم مضحكة في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلوة لما سمعه يقرأ أو مالي لأعبد الذي فطرني وقال والله ما أدري لم فاعمالك الرشيد أن ضحك ثم التفت إليه مغضباً وقال يا ابن أبي مريم في الصلوة أيضاً أياك أياك والقرآن والدين وأنت ماشئت بعدهما وايضا فقد كان من العلم والسذاجة فكان لقرب عهده من سلفه المنتهين لذلك ولم يكن بينه وبين جده أبي جعفر بعيد من انما خلفه غلاماً وقد كان أبو جعفر يكره من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو القائل مالك حين اشار عليه بتأليف الموطأ يا أبا عبد الله انه لم يبق على وجه الأرض اعلم مني ومنك وانى قد شغلتنى الخلافة فضع أنت للناس كتاباً يتقون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشـدائد ابن عمر ووطئه للناس قوطئة قال مالك فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ ولقد أدركك ابنه المهدي أبو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوماً وهو بمجلسه يباشر الخياطين في ارفع الخلقان من ثياب عماله فاستنكف المهدي من ذلك وقال يا أمير المؤمنين على كسوة العمال عامنا هذا من عطائي فقال له ذلك ولم يصد عنه ولا سمح بالانفاق من أموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوته وما ربي عليه من امثال هذه السير في أهل بيته والتخاق بها ان يعاقر الخمر او يجاهر بها وقد كانت حالة الاشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكثير منهم والرشيد واثراً كانوا على نـجـ من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم والتخاق بالحامد ووصاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبري والمسعودي في قصة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين أحضر له السمك في مأثنته فخماه عنه ثم امر صاحب المائدة

يقول لك عش ماشئت فانك ميت واحبيب من شئت فانك مفارقة وعمل ماشئت فانك محزى به فانظر ما شملت عليه هذه الكلمات من تصرف العمر وفراق الاحبة والجزاء على الاعمال فلم ينزل من الدنيا غير هـالكـانت كافية انظر بفهمك الى ما رواه الحسين ان

النبي عليه السلام من منزل قوم قد ارتحلوا عنه واذا طامطروا فقل أترون هذا ما على امله فقالوا من هو انه عليهم القوم قال فوالذي نفسي بيده لا الدنيا لهمون على الله من هذا (١٢) على امله فجعل الدنيا لهمون على الله من الجيفة المطروحة وقال ابو هريرة قال لي النبي

عليه السلام الارياك الدنيا جمع بما فيها قات بلى قال فاخذ بيدي واتى الى واد من اودية المدينة فاذا من بلة فيها رؤس الناس وهذرات وخرق بالية وعظام البهائم ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تخرص على الدنيا كخرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم تساقط جلدا بلا عظم ثم هي صائرة رما دارمدا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكنسبوها من حيث اكنسبوها ثم قد فوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم ولباسهم ثم اصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكية على الدنيا فليذكر قال فيا برحمتنا حتى استبد بكأونا (وقال ابن عمر) اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب او كعابر سبيل واعدد نفسك في الموتى يا ايها الرجل ان كنت لا تدري متى يجهلك الاجل فلا تعتر بطول الامل

فانه يفسد القلب ويفسد العمل وقد عير الله اقواما مدغمين في الاجل فقسمت منهم القلوب وطال منهم الامل فقال تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يذكروا كآلذين اتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد

امثال

فانه يفسد القلب ويفسد العمل وقد عير الله اقواما مدغمين في الاجل فقسمت منهم القلوب وطال منهم الامل

فقال تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يذكروا كآلذين اتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد

فقتلهم وكثير منهم فاسقون احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر وسألتك الليالي فاعتبرت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر يا ايها الرجل اني الى سمعتك وادعني لبك (١٣) فان كنت لاتدرى متى الموت فاعلمن *

بانك لاتبقى الى آخر الدهر
ابن آدم ابن آدم ابو
الاولين والاخرين ابن
نوح شيخ المرسلين ابن
ادريس رفيع العالمين
ابن ابراهيم خليل الرحمن
ابن موسى الحكيم من
بين النبيين والمرسلين ابن
عيسى روح الله وكلمته رأس
الزاهدين وامام السائحين
ابن محمد د خاتم النبيين
وحبيب رب العالمين وسيد
الاولين والاخرين ابن
اصحابه الابرار المنتجبون
ابن الامم الماضية ابن
الملوك السالفة ابن القرون
الحالية ابن الذين نصبت
على مفارقهم التجان ابن
الذين اغتروا بالاجناد
والسلطان ابن اصحاب
السطوة والولايات ابن
الذين خفقت على رؤسهم
الاولوية والرايات ابن
الذين قادوا الجيوش
والعساكر ابن الذين
عمروا القصور والديار
ابن الذين أعطوا النصر
في مواطن الحرب
والمواقف ابن الذين دانت
لهم المشارق والمغرب ابن
الذين تمتعوا في اللذات
والمسا رب ابن الذين
اسرفوا على الخلائق كبرا
وعتيا ابن الذين راوحوا في

أمثال هذه الحكايات) مائة له ابن عبد به صاحب العقد من حديث الزنيل في سبب اصهار المأمون
الى الحسن بن سهل في بته بوران وانه عثر في بعض الليالي في تطوافه بسكك بغداد في زنبيل مدلى من
بعض السطوح بمعلق وجدل مغارة القتل من الحرير فاعتقده وتناول المعالي فاهتزت وذهب به صعدا الى
مجلس شأنه كذا ووصف من زينة فرشه وتنصيد ابنته وجال رؤيته ما يستوقف الطرف ويملك النفس
وان امرأة برزت له من خلل السور في ذلك المجلس رائقة الجمال فتانة الحسن فغتمته ودعته الى المنادمة
فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانه من منظره وقد شغفته حبا به على
الاصهار الى ايها وابن هذا كله من حال المأمون المعروفة في دينه وعلمه وواقته ثمانية من الخلفاء الراشدين
من آياته وأخذه سير الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته للعلماء وحفظه للحدود والله تعالى في صلواته
وأحكامه فكيف تصح عنه أحوال القساق (١) المستهترين في التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان
السمر سبيل عشاق الاعراب وابن ذلك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها وما كان يداريها من
الصور والعقاف وأمثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضعها
والحديث بها الانهمالك في اللذات المحرمة وهتك فناع الخدوات ويتعلمون بالناسي بالقوم فيما يأتونه من
طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلجئون باشباه هذه الاخبار وينقرون عنها عند تصفحهم لاوراق
الدواوين ولواثئسوا بهم في غير هذا من أحوالهم وصفات الكمال اللاتقة بهم المشهورة عنهم لكن خير لهم
لو كانوا يعلمون ولقد عدت يوما بعض الامراء من ابناء الملوك في كلفه بتعلم الغناء ولوعه بالانوار وقلت
له انيس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلاترى الى ابراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه
الصناعة ورئيس المغنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا تأسيت بأبيه واخيه او ما رأيت كيف فقد
ذلك يا ابراهيم عن مناصبهم فصم عن عزلي وأعرض والله بهم دى من يشاء (ومن الاخبار الواهية)
ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات في العميد بين خلفاء الشيعة بالغير وان القاهرة من نفهم
عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم الى اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك
على احاديث افقت للسنة تضعفين من خلفاء بني العباس ترلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفتناني الشتمات
بعدوهم حسب ما نذكر بعض هذه الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن القطن لشواهد الواقعات وادلة
الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم منفقون في حديثهم عن مبدء
دولة الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعي بكامة للرضي من آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويه على عبيد الله
المهدي وابنه الى القاسم خشي على نفسه ما فهر با من المشرق محل الخلافة واجتاز بمصر وانها خراج من
الاسكندرية في ذي التجار ونفي خبرهما الى عيسى النوشري عامل مصر والاسكندرية فصرح في طلبهما
الخيالة حتى اذا أدركا خفي خلفهما على تابعهما ما باليسوا به من الشارة والزى فأفلتوا الى المغرب وان
المعتضد اعز الى الاغلبة امرأه افر يقية بالغير وان بني مدرار امرأه سحلماسة باخذ الافاق عليهم ما واذكاه
العيون في طلبهما فغتر المسح صاحب سحلماسة من آل مدرار على خفي مكانه ما يبلده واعتقله ما مرضاة
للخليفة هذا قبل أن تظهر الشيعة على الاغلبة بالغير وان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب
وافر يقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في عمالك الاسلام ثم
الابله وكادوا يلجئون عليهم م مواطنهم ويزيلون من أمرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير
(١) قوله المستهتر باشي بالفتح المولع به لا يبالى بما فعل به وشتم له والذي كثرت ابا طيله اه قاموس

الحمل بكرة وعشما ابن الذين استلنوا الملايس انا ناور يا ابن الذين ملكوا ما بين الخافقين فخر اوعز ابن الذين فرشوا القصور وخرزوا
ابن الذين تضععت لهم الارض هيبة وهز ابن الذين استذلوا العباد قهرا واولا اهل تحبس منهم من أحد أو تمنع لهم مركز افناهم والله مقني

الامم وأبادهم بميد الرمح واخرجهم من سعة القصور واسكنهم في ضئلك القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لا ترى الامساكنهم
فغات الدود في أجسادهم واتخذهم قىلا في أبدانهم (١٤) فسالت العيون على الحدود وامتلأت تلك الافواه بالدود وتساقطت

الاعضاء وتمزقت الجلود
وتناثرت اللحوم وتقطعت
البطون فلم يبق منهم ما جمعوا
ولا أغنى عنهم ما كسبوا
اسمك الاحبة والاولياء
وهجر ك الاخوان
والاصفياء ونسبك القرباء
والبعداء فأمسيت ولو
نطق لا نشدت قولنا في
سكان الثرى ورهائن
الترب والبلبي

فقد اتصت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملاكم مقام ابراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن
الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقض أمرهم وشيعتهم في ذلك
كاه على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والمحبة فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل بن جعفر الصادق
ولقد خرجوا احرارا بعد ذهاب الدولة ودروس اثرهم اذ اعين الى بدعتهم هاتين باسماء صبيان من اعقابهم
يرعون استحقاقهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية من سلف قبلهم من الائمة ولوارثا بوافى نسبهم
لما ركبوا العناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في امره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب
نفسه فيما ينتحله (والعجب) من القاضي ابى بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة
المرجوحة ويرى هذا الراى الضعيف فان كان ذلك ما كانوا عليه من الاحاد في الدين والتعمق في
الرافضة فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيأ في كفرهم
فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك
به علم وقال صلى الله عليه وسلم لغاطمة يعظمها فاطمة اعلم فلان أغنى عنك من الله شيأ ومتى عرف أمرؤ
قضية او استيقن أمر او جب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال
الظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطاعة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعتهم وتسكروا خروجهم
من بعد أخرى فلا ذرت رجالا منهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل

فلو تسأل الايام ما سمى مادرت * وابن مكافى ما عرفن مكانيا

حتى لقد سمى محمد بن اسمعيل الامام جده عبيد الله المهدي بالاكثوم سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من
اخفائه حذرهم المتعلمين عليهم فتوصل شيعته بنى العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم
وازدلفوا بهذا الراى القائل للمستضعفين من خلفائهم وأعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون محروبوهم
مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وساطانهم معزة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام
ومهر والحجاز من البربر الكناامين شيعه العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاء ببغداد بغيرهم
عن هذا النسب وشهد بذلك عنه دهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريفة الرضى واخوه المرتضى
وابن البطحاوى ومن العلماء ابو حامد الاسفراينى والقدرى والصيرى وابن الاكفانى والابو وردى وابو
عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين واربعمائة
في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما شتهروا وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعه بنى
العباس الطاعنون في هذا النسب فقله الاخبار يرون كما سمعوه ورووه حسب ما عودوه والحق من ورائه وفي
كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار ببغداد ما صدق شاهد وأوضح
دليل على صحة نسبهم فالمعتضد اعد بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق للعالم تحجاب

مقيم بالحجون رهين رومس
واهل رائجون بكل واد
كافى لم كن لهم حبيبا
ولا كانوا الاحبة في السواد
فخرجوا الاسلام فان ابتم
قأوموا بالسلام على يعاد
فان طال المدى وصفنا خليل
سوانا فاذكروا صفو الوداد
وذاك أقل مالك من حبيب
وأخوه الى يوم التناد

فلو انما وقفكم وقفنا
سقيما الترب من مهج الفؤاد
(وقال) مكرم بن يوسف
للعابد أوحى الله الى نبي
من انبياء بنى اسرائيل ان
قف على المدائن والحصون
وأبلغهم عنى حرفين لا
تأكلوا الا طيبا ولا تتكلموا
الا بالحق ولما دخل يزيد
الرقاشي على عمر بن عبد
العز يز قال عفاي يا يزيد
قال يا امير المؤمنين اعلم

انك اول خليفة تموت فيك عمرو قال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الا اب
هيت فيك وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقطه قشيا يا ايها الرجل لا تغفلن عن تذكرة ما تنقنه من

خوف الغناء وتضي المسار بذهاب الازات وانقضاء الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حشرات وان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له (١٥) من صح فيها اسقم ومن سلم فيها مرم

ومن افترق فيها خزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرمانها عقاب ومتشابهها عتاب من ساعاها فاته ومن قعد عنها آتته ومن نظر اليها اعمته ومن بصر بها بصرته لاخيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا فيها الخلق بقاء يا أيها الرجل لا تخدع من قبلك فان الذي أصبحت فيه من النعم انما صار اليك دعوت من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تصر للجاهل ولو بقيت للاول لم تنتقل الى الآخر يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهباً وفضة ثم سلبت عليك بالخلافة وألقت اليك مقاليدها وأفلاذ كبدتها ثم كنت طريفة للوت ما كان ينبغي لك أن تنهنا بعيش لا نغرفها يزول ولا غناء فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال الاول قدر رقي وكيف يلا وكما قال الشاعر ولقد سألت الدار عن أخبارهم فتدبعت عجاويزهم حتى مررت على الكنيف فقال لي

اليه بضائع العلوم والصنائع وتلتمس فيه ضوال الحكم وتحدى اليه ركائب الروايات والاخبار وما تنق فيها تنفق عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن والسفسفة وسلبت النهج الامم ولم تجر (١) عن قصد السبيل تنفق في سوقها الابريز الخالص واللجين المصفي وان ذهبت مع الاغراض والمخفود وما حبت بعماسة البغي والباطل تنفق البرج والزائف والنقاد البصير قسطاس نظره وميزان بحشه وملتمسه (ومثل هذا) وأبعد منه كثير ما يتناجى به الطاعنون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم أجمعين الامام بعد ابيه بالمغرب الاقصي ويعرضون تعريض الحد بالتظن في المحل المختلف عن ادريس الا كبرانه لراشه دمولا هم فبجهم الله وابعدهم ما جهلهم اما يعلمون ان ادريس الا كبر كان أصهاره في البربر وانته من دخل المغرب الى ان توفاه الله عز وجل غريق في البعد وان حال البادية في مثل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأق في فيها الريب واحوال حرمهم اجمعين بما رأى من جاراتهم ومسمع من جيرانهم لتلاصق المجدران وتطامن البذيان وعدم القواصل بين المساكين وقد كان راشديتولى خدمة الحرم اجمع من بعدهم ولا يشهد من اوليائهم وشبهتهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصي عامة على بعة ادريس الاصغر من بعده ابيه وآقوه طاعتهم عن رضا واصفاق وبايعوه على الموت الاسحر وخاضوا دونه بحار المنايا في حروبه وغزواته ولو حدثوا أنفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت أسماعهم ولو من عدو كان من اموافق مراتب لتخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بني العباس اقبالهم ومن بني الاغلب عمالهم كانوا بافر يقية ولا تتم وذلك انه لما سافر ادريس الا كبر الى المغرب من وقعة سج او عزله لهادى الى الاغلبة انية عدو له بالمرصاد وديك كوا عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من دسيسة التشيع للعلوية واذا هابه في نجاته ادريس الى المغرب فقتله ودس السماسخ من موالى المهدي ابيه للتخيل على قتل ادريس فاطهر اللحق به والبرادة من بني العباس مواليه فاشعل عليه ادريس وخاطبه بنفسه وناولوه السماسخ في بعض خلواته سماسخه كنه به ووقع خبر مهلكه من بني العباس احسن المواقع لمارجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقترع جرتومتها ولما نادى اليهم خبر الجمل المخلف لادريس فلم يكن لهم الا كلالا واذا بالدعوة قد عادت والشريعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس قد تجددت فكان ذلك عليهم انكي من وقع السهام وكان الفشل والهزم قد نزل بدولة الغرب عن أن يسهوا الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الا كبر بكانه من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه الا التخيل في اهلا كنه بالسهم فبعد ذلك فزعوا الى اوليائهم من الاغلبة بافر يقية في سد تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المنوقع بالدولة من قبلهم واقفلا على تلك العروق قبل ان تشخ منهم مخاطبهم بذلك المؤمن ومن بعده من خلفائهم فكان الاغلبة عن برابرة المغرب الاقصي اعجز ولعلها من الذين على ملو كهم احوج لما طرق الخلافة من انتراء عمالك العجم على سادتها وامتنانهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طرعا اغراضهم في رجالها وجبايتها واهل خطتها وسائر نقضها وابرارها كما قال شاعرهم خلفة في قصص * بين وصف وبغا يقول ما قاله * كما تقول البيضا فخشى هؤلاء الامراء الاغلبة بواد السعيات وتلوا بالاعاذير فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب

(١) قوله ولم تجر بضم الجيم مضارع جارأى لم عمل اه

اموالهم ونوالهم عندي ولقد أصاب ابن السماسك لما قال له الرشيد يا ابن السماسك عظمي ويده شربة من ماء فقال يا أمير المؤمنين اريدت لو حبست عنك هذه الشربة اكمت تفديها بجم قال يكك قال تأمير المؤمنين فلو حبست عنك خروجهما كنت تفديها بجمك

قال نعم قال فلا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة ايها الشاب لا تغتر بشبابك فان اكثر من يموت الشباب والدليل عليه ان اقل الناس
الشيوخ يا ايها الشاب كم من جل (١٦) في التنوير وابوه يرمي وكمن مطلق في الغراب ويجده يحكي وقال علي بن ابي طالب

بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من اعقابهم يخاطبونهم بتجاوز حدود الخوم من عمله وينفذون
سكته في تحفهم وهذا ياهم ومرفع جباياتهم تعريضاً باستفحالته وتحويلاً باستداده وشوكة وتعظيمه لما دفعوا
اليه من مطالبته ومراسه وتهديده بقلب الدعوة ان ألجؤا اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس بمنزل ذلك
الطعن الكاذب تخفيضاً شأنه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعده المسافة وافن عقول من خلف من صبية بني
العباس ومخاليتهم العجم في القبول من كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا دأبهم حتى انقضى امر
الانابة ففرغت هذه الحكمة الشنعاء اسماع النوغا وصير عليها بعض الطاعنين اذنه واعتدها ذريعة
الى النيل من خلفهم عند المناقسة ومالهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين
المقطوع والمظنون وادريس ولد علي فراش ابيه والولد لا فراش على أن تنزيه اهل البيت عن مثل هذا
من عقائد اهل الايمان قاله سبحانه قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فغراش ادريس طاهر من
الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القرآن ومن اعقده خلاف هذا فقد باء بائمه وولوج الكفر عن بابه وانما
أطغيت في هذا الردس دالابواب الرب ودفعنا في صدور الحاسد لما سمعته اذناى من قائله المعتدى عليهم
به القادح في نسبهم بقرية ويهونه بقرية عن بعض مؤرخي المغرب ممن انخرع عن اهل البيت وارتاب في
الايمان بسلفهم والافحاح لمنزعه عن ذلك معصوم منه وفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكني
جادات عنهم في الحياة الدنيا وارجوان يجادلوا عني يوم القيامة (ولتعلم) ان اكثر الطاعنين في نسبهم انما
هم الحسد لا عقاب ادريس هذا من منتم الى اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاه هذا النسب الكريم
دعوى شرف عريض على الامم والاجمال من اهل الاتفاق فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بني
ادريس هؤلاء عموما منهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق ولا
يطمع احد في ذكره اذ هو نقل الامة والجحيم ل من الخلف عن الامة والجحيم ل من السلف وبيت جددهم
ادريس مختط فاس ومؤسسه يابن بيوتهم ومسجده لصق محلاتهم ودر وبهم وسيفه منتهى برأس المأذنة
العضامي من قرار بلادهم وغير ذلك من آثاره التي جاوزت اخبارها حدود التواتر وكرات تلحق
بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما آتاهم الله من امثالها وما عاضد شرفهم النبوي من
جلال الملك الذي كان اسلافهم بالمغرب واستيقن انه يعجز عن ذلك وانه لا يبلغ مداحدهم ولا نصيحه وان
غاية امر المنتمين الى البيت الكريم ممن لم يحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس
مصدقون في انسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والنسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود
كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعا حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى العناد
وارتكاب اللجاج والبهت بمنزل هذا الطعن القائل والقول المكذوب تعاللا بالمساواة في الظنة والمساواة
في طرق الاحتمال وهيئات لهم ذلك فليس في المغرب فيما نعلم من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ في
صراحة نسب به ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبرأؤهم لهذا العهد بنو عمران بقاس
من ولد يحيى الحوطي ابن محمد بن يحيى العوام ابن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم نقباء اهل البيت هناك
والساكنون ببيت جددهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسب ما نذكرهم عند ذكر الادارة
ان شاء الله تعالى (ويلحق) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب القائلة ما يتناولوه ضعة الرأى من فقهاء
المغرب من القدر في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشريعة والتبليس فيما آناه من
القيام بالتوحيد والحق والتبلي على اهل البغي قبله وتكذيبهم بجميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم

رضوان الله عليه لاسقف
قد اسلم عظمي قال يا امير
المؤمنين ان كان الله عليك
فمن ترجو قال احسنت
فزدي قال ان الله معك
فمن تخاف قال احسنت
فزدي قال احسب ان الله
قد غفر ذنب المذنبين
ليس قد غفرتهم ثواب
الحسين قال حسبي حسبي
وبكى اربعين صباحا وقال
الحسن قدم صعصعة يعني
عم الفرزدق على النبي
صلى الله عليه وسلم فسمعه
يقرا فن يعمل من قال ذرة
خير ابره ومن يعمل
من قال ذرة شر ابره فقال
حسبي حسبي لا ابالي ان
لا اسمع آية غيرها وقال
سليمان بن عبد الملك
محمد الطويل عظمي فقال
ان كنت اذا عصيت الله
ظننت انه يراك فقل
اجترأت على رب عظيم
وان كنت تظن انه لا يراك
قل قد كفرت برب عظيم
وكتب علي بن الحسين
رضي الله عنه الى سلمان
انما مثل الدنيا كمثل
الحبة المسهالين ويقتل
سمها فأعرض عنها واما
يعجبك منها القلة ما يعجبك
منها ودع عنك همومها
لما تيقنت من فراقها

وكن أسمر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخص منها الى
مكرهه وقال أبو العتاهية هي الدار دار الازى والقذا ودار الفناء ودار الغير ولولا انما يجد فيزها لم تلم ولم تقص منها وطير
الموحدون

أيام من يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضرر
ولما بلغ مراده من الدنيا أفضل ما سميت إليه نفسه و رقت إليه همته رفضها ونبذها

(١٧)

إذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر
وقال هذا سرور لولا أنه غرور

ونعيم لولا أنه عديم وملاك
لولا أنه هلاك وغناء لولا أنه
فناء وجسج لولا أنه ذميم
ومجد لولا أنه مقود وغنى
لولا أنه منى وارتفاع لولا أنه
اتضاع وعلاء لولا أنه بلاء
وحسن لولا أنه خزن وهو
يوم لو وثق له بغدا أيها
الرجل لا تكن كالنخل
يرسل أطيب ما فيه ويسلك
الحالة واعلم أن من قسا
قلبه لا يقبل الحق وأن
كثرت رذائله قال الله تعالى
فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيي الله الموتى
ويريكم آياته لعلكم
تعقلون ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة
أو أشد قسوة وذلك أن كثرة
الذنوب مانعة من قبول
الحق القلوب وولوج
المواعظ فيها قال الله تعالى
كلابل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون أي غطاها
وغشما فلا تقبل خير أو لا
تصيح لموعظة جاء في التفسير
إذا أذنب العبد نسكت في
قلبه نكتة سوداء ثم إذا أذنب
نكتت نكتة سوداء حتى
يسود القلب وقال حذيفة
القلب كالسيف فإذا
أذنب العبد انقبض
وقبض أصبعه إذا أذنب
انقبض وقبض أصبعه أخرى

الموحدون أتباعه من انتسابه في أهل البيت وانما سجل الفقهاء على تكذيبه ما يمكن في نفوسهم من حسده
على شأنه فانهم لما رأوا من أنفسهم مناهضة في العلم والفتيا وفي الدين برزهم ثم امتاز عنهم بأنه متبوع
الرأى مسموع القول موطن العقب نفوا ذلك عليه وعضوا منه بالقدح في مذاهبه والتكذيب لمذاهبه
وأياضا فكانوا يؤنسونه من ملوك المتنوعة أعدائه تحب له وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لما كانوا عليه من
السذاجة واتحال الديانة فكان لمحبة العلم بدواتهم مكان من الوجهة والانتصاب للشورى كل في بلده وعلى
قدره في قومه فاصبحوا بذلك شيعة لهم وجر بالعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتشريب
عليهم والمناسبة لهم شيعة المتنوعة وتعصب الدواتهم ومكان الرجل غير ممكنهم وحاله على غير معتقداتهم وما
ظنك برجل نقيم على أهل الدولة ما نقيم من أحوالهم وخالف اجتهاده فقهاءهم فسادى في قومه ودعا الى
جهادهم بنفسه فاقبلع الدولة من أصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعز أنصارا
وحامية وتساقطت في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قديا يعوده على الموت وقوه بانفسهم من
الملكة وتقربوا الى الله تعالى بالتلاف مهجهم في اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على
الكلم ودالت بالعدوتين من الدول وهو بحالة من التفتش والمحصن والصبر على المكاره والتمثل من
الدنيا حتى قبضه الله وليس على شيء من المحظ والمنازع في دنياه حتى الولد الذي ربما تجنح اليه النفوس
وتخادع عن تمنيه فليت شعري ما الذي قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من الدنيا في
عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانفسحت دعوته سنة الله التي قد خلت في عباده
(وأما) انكارهم نسبه في أهل البيت فلا تعضده حجة لهم مع انه ان ثبت انه ادعاه وانتسب اليه فلا دليل
يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون في أنسابهم وان قالوا ان الرئاسة لا تكون على قوم في غير أهل
جلالتهم كما هو الصحيح حسب ما يأتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قد رأس سائر المصامدة ودانوا
بأتباعه والانتقاد اليه والى عصابته من هرغة حتى تم امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب الفاطمي لم يكن
أمر المهدى يتوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه وانما كان اتباعهم له بعصبية المرغية والمصمودية
ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها وكان ذلك النسب الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند
عشيرته ينفقونه بينهم فيكون النسب الاول كانه انسلخ منه وليس جلدة هؤلاء وظهور فيها فلا يضره
الانتساب الاول في عصبية اذهو ومجهر عند أهل العصاة ومثل هذا واقع كثيرا اذ كان النسب الاول
خفيا (وانظر) قصة عرجة وجرير في رياسة بجيلة وكيف كان عرجة من الازد وليس جلدة بجيلة حتى
تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضي الله عنه كما هو مذكور تنقهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب
(وقد) كدنا أن نخرج عن غرض الكتاب بالاطناب في هذه المغالط فقد زلت أقدام كثير من الاثبات
والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والآراء وعالقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكفاة من ضعفة
النظر والعقلة عن القياس ونقوهمهم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت في محفوطاتهم حتى
صار فن التاريخ واهيا مختلطاً وناظره مرتبكاً وعدم من مناحي العامة فاذا احتاج صاحب هذا الفن الى العلم
بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد
والنحل والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بما حضر من ذلك وعمالة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو
بون ما بينه ما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على اصول الدول والمال ومبادئ ظهورها
واسباب حدوثها ودواعي كونها واحوال القائمين بها وأخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث

(٣ - ابن خلدون) ثم كذلك في الثالث والرابع حتى يقبض الكف كما ثم يطبع الله عليه فذلك هو الران وقال بكر بن عبد الله
إذا أذنب العبد صار في قلبه كوخ البرة ثم كلما أذنب صار فيه كوخ البرة حتى يعود القلب كالنخل

وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم ينفعه الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه قيل (١٨)

واذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالارض ان سبخت لم ينفع المطر ويروي ان ابا العتاهية مر بدارك الوراق واذا كتب فيه بيت من الشعر لن ترجع الانفس عن غيرها ما لم يكن منها لها زاجر فقال لمن هذا فقيل لاني نواس قال وددت انه لي بنصف شعري قال الاصمعي ان النعمان الذي هو امرؤ القيس الاكبر الذي بنى الخبز وزنى اشرف على الخوزنق يوما فاجابه ما اوتي من الملك والسعة ونفوذ الامر واقبال الوجوه ونحوه فقال لاصحابه هل اوتي احد مثل ما اوتيتم فقال له حكيم من حكماء اصحابه هذا الذي اوتيت شيئا لم يزل ولا يزال ام شيئا كان قبل ذلك زال عنه وصار اليك قال بل شيئا كان لمن قبلي زال عنه وصار الي وسيزول عني قال فمررت بشيئا تذهب منك لذته وتبقى تبعته قال فابن المهر ب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس امساحا وتلحق بجبل وتبدر بك فيه وتقر من الناس حتى يأتيتك احوال قال فاذا كان ذلك فغالى قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم فيه وصحة لا سقم فيها ومالك جديد لا يمل قال فابى خير فيما يقنى والله لا طلبن عيشا لا يزول ابدا وما كابدوا فالتخلع من ماله وليس الامساح وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعل لا يعبد ان الله حتى ماتوا وفيه يقول عدى بن زيد

واذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالارض ان سبخت لم ينفع المطر ويروي ان ابا العتاهية مر بدارك الوراق واذا كتب فيه بيت من الشعر لن ترجع الانفس عن غيرها ما لم يكن منها لها زاجر فقال لمن هذا فقيل لاني نواس قال وددت انه لي بنصف شعري قال الاصمعي ان النعمان الذي هو امرؤ القيس الاكبر الذي بنى الخبز وزنى اشرف على الخوزنق يوما فاجابه ما اوتي من الملك والسعة ونفوذ الامر واقبال الوجوه ونحوه فقال لاصحابه هل اوتي احد مثل ما اوتيتم فقال له حكيم من حكماء اصحابه هذا الذي اوتيت شيئا لم يزل ولا يزال ام شيئا كان قبل ذلك زال عنه وصار اليك قال بل شيئا كان لمن قبلي زال عنه وصار الي وسيزول عني قال فمررت بشيئا تذهب منك لذته وتبقى تبعته قال فابن المهر ب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس امساحا وتلحق بجبل وتبدر بك فيه وتقر من الناس حتى يأتيتك احوال قال فاذا كان ذلك فغالى قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم فيه وصحة لا سقم فيها ومالك جديد لا يمل قال فابى خير فيما يقنى والله لا طلبن عيشا لا يزول ابدا وما كابدوا فالتخلع من ماله وليس الامساح وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعل لا يعبد ان الله حتى ماتوا وفيه يقول عدى بن زيد

(١) قوله الجذم الاصل اه قاموس

انما وشباب لا هرم فيه وصحة لا سقم فيها ومالك جديد لا يمل قال فابى خير فيما يقنى والله لا طلبن عيشا لا يزول ابدا وما كابدوا فالتخلع من ماله وليس الامساح وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعل لا يعبد ان الله حتى ماتوا وفيه يقول عدى بن زيد

وتبين رب الخورنق اذ فكري يوم اوله دني تد كبر سره ماله وكثرة ماله * لك والبكره مقرر صا والسدير فارعوى قلبه وقد قال
ماغية طة حتى الى الممات يصير اين كسرى كسرى الملوك انوشير * وان أم اين قبله سابور (١٩) وبنو الاصفه الكرام ملوك الر

روم لم يبق منهم مذكور
لم يبقه ريب المتون فبادا
ملك عنه فبابه مهجور
وفيه يقول الاسود بن يعفر
ولقد علمت سوى الذي
انباتني

ان السبيل سبيل ذي
الاعواد

ماذا اول مل بعد آل محرق
تركو اماناتهم وبعدا ياد

أرض الخورنق والسدير
وبارق

والقصر ذي الشرفات من
سنداد

نزلوا بانقرة تسيل عليهم
ماء القرات يحيى عن أطواد

أرض يحبوها الطيب مقبلاها
كعب بن مالك وابن أم دواد

جرت الرياح على محل ديارهم
فكانهم كانوا على ميعاد

فأرى النعيم وكل ما يلهي به
يوما يصير الى بلا ونفاد

(وقال) وهب بن منبه
أصيب على غمدان وهو

قصر سيف بن ذي يزن
بارض صنعاء اليمن وكان

من الملوك الاجلة مكتوبا
بالقلم المسند فترجم بالعربية

واذا هي أبيات جليلة
وموعظة عظيمة

باتوا على قاتل الاجبال
فخرهم

غاب الرجال فلم تنفعهم
القال

انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب
والعصبية الذين قاموا بالملامة لهم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ
الخبري لا على وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا
عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحصر صون على تبليغ ذلك وتفهيمه للامة لا تصدهم عنه
لائمة الكبر ولا يزعجهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار اصحابه مع وفود العرب
يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين يعث في ذلك من اصحابه العشرة فبن بعدهم فلما استقر
الاسلام وشجبت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدي اهلها واستحالت بمرور الايام احوالها
وكثرت استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من
الخطا وصار العلم ما مكنة يحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنائع والحرف كما ياتي ذكره في فصل العلم
والتعليم واشتغل اهل العصبية بالقيام بالمالك والسلطان فدفع العلم من قام به من سواهم واصبح حرفة
للعاش وشمخت انوف المترفين واهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار
منتحله محتقرا عند اهل العصبية والملوك والحجاج بن يوسف كان ابوهم من سادات ثقيف واشرافهم ومكانهم
من عصبية العرب ومنافضة قر يش في الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لمذا
العهد من انه حرفة للعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب) ايضا
ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ اذ اسمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة في الحروب
وفود العساكر فتراحي بهم وساسوا ساهم الى مثل تلك الترتيب يحسبون ان الشأن في خطة القضاء لهذا
العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بابن ابي عامر صاحب هشام المسند عليه وابن عباد من ملوك
الطوائف باشيولية اذ اسمعوا ان آباءهم كانوا قضاة انهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتقنون لما وقع في
رتبة القضاة من مخالفة العوائد كما ينبغي في فصل القضاة من الكتاب الاول وابن ابي عامر وابن عباد كانا من
قبائل العرب القائلين بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن ينلهم
لما نالوه من الرياسة والمالك لمحة القضاء كما هي لهذا العهد بل انما كان القضاء في الامر القديم لاهل
(١) العصبية من قبيل الدولة ومواليها كاهي الوزاة لهذا العهد بالقرب وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف
وتقليد هم عظام الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنى فيها بالعصبية فغط السامع في ذلك ويحمل الاحوال
على غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضعف البصائر من اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في
مواطنهم منذ اعصار بعيدة لقضاء العرب ودوائهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبية من البربر فقيمت
(١) العصبية بفتح العين التعصب وهو ان يذب الرجل عن حريم صاحبه ويشمر عن ساق الجدي نصره منسوبة
الى العصبية محرركة وهم أقارب الرجل من قبل أبيه لانهم هم الذابون عن حريم من هو منتهاهم وهي بهذا
المعنى مدوحة واما العصبية المذمومة في حديث الجامع الصغير ليس منامن دعا الى عصبية وليس منامن
قاتل على عصبية وليس منامن مات على عصبية فهي تعصب رجال لقبيلة على رجال قبيلة اخرى لغير
ديانة كما كان يقع من قيام سعد على حرام نسبة الى العصبية بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير
اقاربه ظالمسا كان أو مظلوما في النماوى الخيرية من موانع قبول الشهادة العصبية وهي ان ينعض الرجل
الرجل لانه من بني فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ان كتاب الحرام في الحديث ليس منامن
من دعا الى عصبية وهو موجب للفسق ولا شهادة لمرتكبه قاله الاستاذ ابو الوفاء اه

واستزوا بعد عز من معاقلم * فاسكنوا حفر اياش ما نزلوا ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * ابن الاسرة والتيجان والحال
اين الوجوه التي كانت محجة * من دونها تضرب الاستار والكمال فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم * تلك الوجوه عليهم الدود يقتتل

قد طال ما كانوا وما مشربوا * فأصبحوا بعد ذلك الاكل قد اكوا قال شيخنا قري على القاضي ابي الوليد الباجي وانا سمع
لبعض الشعراء ويحك يا سماء ماشاني * (٢٠) اضللتني والله ماشاني الموت حق فاعلمى نازل * قرب لي لمدي وكفاني

قد كنت ذامال فلا والذي
اعطاني العيش واغناني
ماقرت العين به ساعة
الا تذكري فاشجاني
على بانى صائر للبللى
وفاقد اهلى وجيرانى
وتارك مالى على حاله
نهب الشيطان بن شيطان
لامرأة ابني اولزوج ابنتي
يال ك من غي وخسران
يسعدنى مالى واشقى به
قوم ذوو غل وشنان
ان احسنوا كان لهم اجره
وخف من ذلك ميزانى
ومن اسبى مصر من ابناء الملوك
فراى عيب الدنيا وفناءها
ونقصها وزوالها ابراهيم
ابن ادهم بن منصور من ابناء
الملوك ملوك خراسان من
كورة بلخ ولسافه فى
الدنيا زهد عن ثمانين
سمرى قال ابراهيم بن بشار
سألت ابراهيم بن ادهم
كيف كان بده امرك حتى
صرت الى هذا قال غير هذا
اولى بك قلت يرجك الله
لعل الله ينفعنى به يوم مات
سأله ثانية فقال ويحك
استغل بالله تعالى ثم سأله
ثالثة فقلت ان رايت
يرجك الله ان تخبرنى لعل
الله ان ينفعنى فقال كان
ابى من ملوك خراسان
وكان من المياسير وكان

انسابهم العرب بنية محفوفة والذرية الى العز من العصبية والتناصر مفعودة بل صاروا من جملة الرعايا
المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورغوا المذلة يحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون لهم بها
الغلب والتحكيم فتجد اهل الحرف والصنائع منهم متصددين لذلك ساعين في نياله فاما من باشر احوال
القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فليما يغلبون
في ذلك ويخطئون في اعتباره (ومن هذا الباب) ايضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها
فيذكرون اسمهم ونسبهم واباء وامه ونساء ولقبه وخاتم وقاضيه وطاحبه ووزيره كل ذلك ثقيل يدور على
الدولة من غير تقطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا ايضا يعنون تواريخهم لاهل الدولة
وابناءؤها منشوفون الى سير اسلافهم ومعرفة احوالهم ليقنعوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في
اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لابناء صنائعهم وذويهم والقضاة ايضا كانوا
من اهل عصبية الدولة وفي عداد الوزراء كذا كرهنا لك فيحتاجون الى ذلك كله واما حين تبأنت
الدول وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها
من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يناهضهم من الامم او يقصر عنها في الفائدة المصنف في هذا العهد في
ذكر الابناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها
أصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما جعلهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين
والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعرفت على
الملوك اخبارهم كالحجاج وبنى المهلب والبرامكة وبنى سهل بن نوفخت وكافورا الاخشيدي وابن ابي
عامر واما ملوكهم فغير كبير الامع بآبائهم والاشارة الى احوالهم لا تنظامهم في عداد الملوك (ولنذكر) هنا
فائدة نختم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل (فاما)
ذكر الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو أس للتأريخ تنبني عليها أكثر مقاصده وتبين به
اخباره وقد كان الناس يقدرونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتابه عروج الذهب شرح فيه احوال الامم
والآفاق في عصره في القرنين والثلاثين والثمانين غر باوشرقا وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال
والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصارا ماما للتأريخين يرجعون اليه واصلا يعولون
في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة
دون غيرهما من الاحوال لان الامم والاجيال لعده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد وهو
آخر المائة الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب الذي نحن شاهده وتبدلت بالجملة واعتاض من اجيال
البربر اهله على القدمين طرافيه من لدن المائة الخامسة من اجيال العرب بما كسر وهم وغلبوه
وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان الملكهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في
منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تصيف الامم وذهب باهل الجبل وطوى كثير من
محاسن العمران ومحاها وجاهل الدول على حين هزمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقل من
حدها واهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقص
البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وختل الديار والمنازل وضعت الدول والقبائل
وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكأني نادى
لسان الكون في العال بالخنول والانتقاض فيبادر بالاجابة والله وارت الارض ومن عاينها واذا تبدلت

قد حجب الى الصمد فينا انار كبر فرسا وكاي معي واثر ارتبوا وتعلبا فخر كت فرسي فسمعت
فدا من ورائي يا ابراهيم ليس لهذا خلف ولا لهذا امرت فوقفت انظر يمنة ويسرة فلم ارا احدا فقلت في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت

فرسى فسمعت نداء اقوى من الاول يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوفقت مشعرا انظر يمينه ويسره فلم ار شيئا فقلت لعن الله ابليس ثم حركت فرسى فسمعت من قرب بوس سرجي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت (٢١) ولا بهذا امرت فوفقت وقالت هيئات

جاءنى النذير من رب العالمين والله لاعصيت ربي ما عصمى به يدومى هذا فتوجهت الى اهلى وخلقت فرسى وحثت الى بعض رعاها ابى فأخذت جيته وكساهه والقيت اليه ثيابى فلم ازل ارض ثقلى وارضى تضعنى حتى صرت الى العراق فعمات بها اياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال علمك بالشام قال فانصرفت الى مدينة يقال لها المنصورية وهى المصيبة فعمات بها اياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان اردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل كثير قال فبينما انا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكرت انى انظر له بسنا فتوجهت معه فكنيت فى البستان اياما كثيرة فاذا انا بخادم قد اطل ومعه اصحاب له ولوعلمت ان البستان الخادم ما نظرنه فقعدي فى مجلسه ثم قال باناطور فأجبتة قال فاذهب فاتنا با كبر رمان تقدر علمه واعلم به فأنتبه برمان فأخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال

الاحوال جملة قسما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم باسمه وكانه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليفة والأتق وأجبالها والعرائد والنحل التى تبدلت لاهلها ويقوم اسلك المسعودى لعصره ليهكون أصلا يقتدى به من يأتى من المؤرخين من بعده (وأنا ذا كر فى كتابي) هذا ما مكنتى منه فى هذا القطر المغربى اما صريحاً او مندرجاً فى أخباره وتلويحاً بالاختصاص قصدى فى التأليف بالمغرب وأحوال أجباله وأعمه وذكراً لى كنه ما ريد منه والمسعودى إنما استوفى اطلاعى على أحوال المشرق وأعمه وان الأخبار والمناقلة لا توفى كنه ما ريد منه والمسعودى إنما استوفى ذلك ليه درجته وتقبله فى البلاد كما ذكر فى كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصر فى استيفاء أحواله وفوق كل ذى علم عليم ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله فى عونته تسرت عليه المذاهب وانجحت له المساعى والمطالب (ونحن) آخذون بعون الله فيما رمانه من أغراض التأليف والله المسدود والمعين وعليه التكلان (وقد) بقى علينا ان نقدم مقدمة فى كيفية وضع الحروف التى ليست من لغات العرب اذا عرضت فى كتابها هذا (اعلم) ان الحروف فى النطق كما أتى شرحه بعد فى كفيات الاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهايات وأطراف اللسان مع الحركات والخلق والاضراس او بقرع الشفتين أيضا فتعبر كفيات الاصوات بتغير ذلك القرع وتجيء الحروف متميزة فى السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما فى الضمائر وليست الامم كلها متساوية فى النطق بتلك الحروف فقد يكون لائمة من الحروف ما ليس لامة أخرى والحروف التى نطقت بها العرب هى ثمانية وعشرون حرفا كما عرفت ونجد للعبرانيين حروفا ليست فى لغتنا وفى لغتنا أيضا حروف ليست فى لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان أهل الكتاب من العرب اصطلموا فى الدلالة على حروفهم السبعة باوضاع حروف مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع ألف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذى ليس من حروف لغتهم بقى مهملا عن الدلالة الكتابية مغفلا عن البيان وربما رسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذى يليه من لغتنا قبله او بعده وليس ذلك بكافى فى الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله (ولما) كان كتابنا مشتملا على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا فى أسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابنا ولا اصطلاح أوضاعنا اضطررنا الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلناه لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطلمت فى كتابي هذا على ان أضع ذلك الحرف العجى بما يدل على الحرفين اللذين يكتملانه ليتوسطا القارئ بالنطق به بين مخارجي ذين الحرفين فتحصل تأديته وانما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف الاشمام كالصراط فى قراءة خلف فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا فى داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالسكاف المتوسط عند البربر بين السكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم بلعكن فأضعمها كافا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من أسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او نثنين فيدل ذلك على انه متوسط بين السكاف والجيم والقاف وهذا الحرف أكثر ما يجىء فى لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس أضعم الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين مع العلم القارئ انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكان قد صرفناه من مخارجى الى مخارج الحرف الذى من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب

باناطور وما هذا انت منذ كذا وكذا فى بسنا تناكل من فاكهة تاورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما كنت من فاكهة كمشاوما أعرف الحلو من الحامض قال فغمر الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن آدم ما زاد على هذا فلما كان من

التحدث الناس في المسجد بالصفة فجاء الناس عنقاً الى البيت فلما رأيت كثرة الناس اخفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان
ابراهيم بن ادهم يأكل من عمل يده (٢٢) مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين وكان يوماً يحفظ كراماً فخر به جندى فقال

عنه وفضله

*(الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخلية وما يعرض فيها من البدو والمخضر والتغلب
والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب)*

(اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم
على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتجها البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب
والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال (ولما كان) الكذب
متطرقاً للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فيها النشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على
حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التخييص والنظر حتى تبين صدقه من كذبه واذا خاخرها
تشييع لرأى او تخجلت قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والتشييع غطاء على عين
يصيرتها عن الانتقاد والتخييص فتقع في قبول الكذب ونقله (ومن الاسباب) المقتضية للكذب في
الاخبار ايضا الثقة بالناس في وقته من التخييص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح (ومنها) الذهول عن المقاصد
فكثير من الناس لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب
(ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في اكثر من جهة الثقة بالناس (ومنها) الجهل بتطبيق
الاحوال على الوقائع لاجل ما يداخلها من التلبس والتصنع فينقل الخبر كما راها وهي بالتصنع على غير
الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر لاصحاب النجاة والمراتب بالنسبة والمدح وتحسين الاحوال
واشاعة ذلك فيسقط فيسقط فيسقط الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس
متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغبة في الفضائل ولا متنافسين في
أهلها (ومن الاسباب) المقتضية له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران
فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان او فعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من احواله
فاذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضية اثارها اعانه ذلك في تخييص الخبر على
تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ في التخييص من كل وجه يعرض وكثير ما يعرض للسامعين قبول
الاخبار المستحيلة وينقلونها او تؤثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدمته دواب البحر عن بناء
الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب
صور تلك الدواب الشبهانية التي راها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك
الدواب حين خرجت وعانيتها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ
التابوت الزجاجي ومصادمة البحر وامواجه بحججه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسهم على مثل هذا
الغرر ومن اعتمدوا منهم فقد عرض نفسه للهلاكه وانتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك
اتلافه ولا ينتظرون به رجوعه من غروره ذلك طريقة عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا
تماثيل تختص بها انما هي قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فالتماثيل المراد به البشاعة
والتهويل لانه حقيقة (وهذه) كلها فادحة في تلك الحكاية والقادح الخيل لها من طريق الوجود بين
من هو ذا كاه وهو ان النفس في المساء لو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي وتسخن
روحاً بسرعة تغلبه فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو

اعطانا من هذا العنب فقال
ما امر به صاحبه فأخذ
يضربه بالسوط فطأ طأ رأسه
وقال اضرب رأساً طأ طأ
عصى الله فأنجز الرجل
ومضى وقال سهل بن
ابراهيم صحبت ابراهيم بن
أدهم فرفضت فاتفق على
نقطة فاشتبهت شهوة فباع
حماره واتفق ثمنه على فلما
تمت قلت يا ابراهيم
اين الحمار فقال بعناه فقلت
فعلام اركب قال يا اخي
على عنقي قال فخماني ثلاث
منازل رحمه الله وأنشدوا
شعرا

أيها المرء ان دنياك بحر
طافح موجه فلا تأمنها
وسيدل النجاة فيها مبین
وهو أخذ الكفاف والقوت
منها

و بلغني ان بالهند يوما يخرج
الناس فيه الى البرية فلا
يبقى في البلد بشر من طين
لا شيخ كبير ولا مولود
صغير وهذا اليوم يكون
بعد انقراض مائة سنة من
يوم مثله فاذا اجتمع الخلق في
صعد واحد ادى من ادى
الملك لا يصعد هذا الحجر
حجر هناك منصوب الا
من حضر في الجمع الاول
الذي قد خلا من مائة سنة
فربما جاء الشيخ الهرم الذي

قد ذهبت قوته وعي بصره وفي شبابه وتجيء العجوز ترحف لم يبق منها الا رسمها وقد اخني الدهر عليها فيصعد ان على الحجر السبب
الذي هناك ويقول الشيخ حضرت الجمع الاول منذ مائة سنة وانا طفل صغير وكان الملك فلانا يصف الجيوش الماضية والامم الخالية

وكيف طعنهم البلى وصاروا تحت اطباق الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس وينذركهم صرعة الموت وخسرة الفوت فيسكنى القوم ويؤوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخبرون عن التبعات ويصلحون على ذلك مدة (٢٣) وقال وهيب بن منبه صحب رجلا بعض

الربمان سبعة أيام ليستفيد منه شيئا فوجدته مشغولا

عنه يذكر الله تعالى والذكر

لا يفتر ثم التفت اليه في

اليوم السابع فقال يا هذا

قد علمت ماتر يدح

الدينار رأس كل خطيئة

والزهد في الدينار رأس كل

خير والتوفيق نتاج كل خير

فاحذر رأس كل خطيئة

وارغب في رأس كل خير

وتضرع الى ربك ان يهب

لك نتاج كل خير قال فكيف

اعرف ذلك قال كان جدى

رجلا من الحكماء قد شبه

الدينار بسبعة أشياء فشمها

بالماء المسالج يغرو ولا يروى

ويضر ولا ينفع وبسحاب

الصيف يغرو ولا ينفع وبظل

الغمام يغرو ويخذل وبزهر

الربيع ينضر ثم يصفر فيراه

هشعا ويا حلام الناس يرى

المسرور في منامه فاذا استيقظ

لم يكن في يده الا الحسرة

وبالعسل المشوب بالسم

الذعاف يغرو ويقتل

قد برت هذه الاحرف

السبعة سبعين سنة ثم زدت

حرفا واحدا فشمها بالغول

التي تهلك من أجابها وتترك

من أعرض عنها فرايت

جدى في المنام وقال يا بنى

السبب في هلاك أهل الجماعات اذا اطاعت عليهم عن الهوا والبارد والمتدين في الآبار والمطامير الحجة الموهى اذا سخن هواؤها بالعبادة فونة ولم تدخلها الرياح فتخلها فان المتدين في هياها لم يحينه وهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهوا لا يكفيه في تعديل رثته اذ هو حار بافراط والماء الذى يعدله بارد والهوا الذى خرج اليه حار فيستولى الحمار على روحه الحيوانى ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وأمثال ذلك (ومن الاخبار) المستحيلة مائة له المسعودى ايضا في ثمال الزرور الذى برودة تجتمع اليه الزرير في يوم مع لوم من السمنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون ذيتهم وانظر ما بعده ذلك عن الجحري الطبيعى في اتخاذ الزيت (ومنها) مائة له البكري في بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والمدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما يأتى وهذه خرجت عن أن يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معنصم وكما نقله المسعودى ايضا في حديث مدينة النحاس وانها مدينة كل بنائها نحاس بصحراء سجلماسة ظفر بها موسى بن نصير في غزوة الى المغرب وانها مغلقة الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على الحائط صفق ورعى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث مستحيل عادة من خرافات القصاص وصحراء سجلماسة قد نفخها الركب والادلاء ولم يبقوا له هذه المدينة على خير ثم ان هذه الاحوال التى ذكرناها كلها مستحيل عادة منافية للامور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية الوجود منها ان يصرف في الآنية (١) والخزنى وأما شيد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعده وأمثال ذلك كثير وتخصه انما هو بمعرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تخيص الاخبار وتميز صدقها من كذبها وهو سابق على التخصيص بتعديل الرواة ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممنوع واما اذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح ولقد عد أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله ان يؤول بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط (واما الاخبار) عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ينظر في امكان وقوعه وصار فيها ذلك اهم من التعديل ومقدم عليه اذ فائدة الانشاء مقدسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك فالتأني في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشرى الذى هو العمران وتميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون محضنا لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا منعنا عن شيء من الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما حكم بقبوله وما حكم بترقيقه وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتجرى به المؤرخون طريق الصدق والاصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تأليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الانسانى وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العواض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعها كان او عقليا (واعلم) ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة أعثر عليه البحث وادى اليه العوص وليس من علم الخطابة الذى هو أحد العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو

(١) قوله الخزنى بالضم اثاث البيت ام قاموس

أعرض عنها اوقات فبأى شيء يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعين والعين بالفكر ثم وقف الرامب وقال خذها منا فلا أراك خلى الامتير دا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به (قلت) وقد وصف الله تعالى الدنيا وأهلها بصفة اعم من هذه الصفة فقال

سبحانه اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث عثث أعجب الكفار بما أتاه ثم يخرج فقرا مصفرا ثم يكون حطاما في الآخرة (٢٤) عذاب شديد والكفار هم هنا الزراع كما أن الزرع يكون في أول نباته أخضر ناعما اهترت

الاقوال المقتضية النافعة في استعمال الجمهور الى رأى اوصدهم عنه ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذه الفنون اللذين ربما يشبهانه ولكنه علم مستنبط النشأة وله مرمى لم اقف على الكلام في منحه لاحد من الخليفة ما أدري لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم أولعلمهم كتبوا في هذا الغرض واسستوفوه ولم يصل اليها فاعلموا كثر ما وصل فإين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه الانساني متعددون وما لم يصل اليها من العلوم أكثر مما وصل فإين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح وابن علوم السكادانيين والاسريانيين وأهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونائجها وابن علوم القبط ومن قبلهم وانما وصل اليها علوم واحدة وهم يونان خاصة لكاف المأمون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الاموال فيها ولم تقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعقبة بطبيعة يصلح أن يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب أن يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يختصه لكن الحكماء لعلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا انما ثمرته في الاخبار فقط كما رأيت وان كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تخرج الاخبار وهي ضمنية فلها هذا هجره والله أعلم وما أوتيتم من العلم الا قليلا (وهذا الفن) الذي لاحظنا النظر فيه نجده من مسائل تجري بالعرض لاهل العلوم في ابراهيم علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحكماء والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب اثبات اللغات أن الناس محتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات أخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد في ان الزنا مخالط للانساب مفسد للنوع وأن القتل ايضا مفسد للنوع وان الظلم مؤذن بخراب العمران المقتضى لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا في هذه المسائل المماثلة (وكذلك) ايضا يقع المينا القليل من مسائله في كلمات متفرقة كالحكمة لكنهم لم يستوفوه (فن كلام) الموبدان بهرام بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي أيها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والنصرف تحت أمره ونهييه ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالاعادة ولا سبيل للامارة الا بالعدل والعدل بالميزان المنصوب بين الخليفة ونصبه الرب وجعل له قضاة وهو الملك (ومن كلام أنوشروان) في هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل بالصلاح والعمال واصلاح العمال باسماة الوزراء ورأس الكل باقتداد الملك حال رعيته بنفسه واقتراده على تأديها حتى يملكها ولا تملكه (وفي الكتاب) المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه الا أنه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراميين ومختلفا بغيره وقد أشاد في ذلك الكتاب الى هذه الكلمات التي نقلناها عن الموبدان وأنوشروان وجعلها في الدائرة القريبة التي أعظم القول فيها وهو قوله العالم بستان ساجه الدولة الدولة سلطان تحيا به السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك نظام يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق تجمعهم الرعية الرعية عبيد يكفهم العدل العدل مالوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم ترجع الى اول الكلام فهذه ثمان كلمات حكيمية سياسية ارتبط

الارض به بعد يدسها بغات في العيون كالمخ ما يكون ثم يخرج فقرا مصفرا أي يكبر ويستوى فيحجب ويحترق ويتكسر اعلاه ويستقل بسنبله ثم يداس فيكون حطاما أي تنبأ تمكسر امتقطعا وهذا مثل ضرب به الله ابني آدم اذ كانوا اطفالا اول الولادة وفي حال الطفولية كاحسن من رأى يحبون الآباء ويفتنون ذوى الاحلام والنهى ثم يكبرون فيصرون شيوخا منكسة رؤسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب حسنهم ونعمتهم وفي شبابهم وجالهم وذوت غضارتهم وفضارتهم واستولى عليهم الهرم والشيب ثم يموتون فيصرون حطاما في القبور كالتب في الحر يق هذا بعد ما وصفتها بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر وكان الصدر الاول يسمى الدنيا اختيرة ولولوجودها اسما اقبل منه لموها به وكانوا يسمونها ام ذفر والذفر النتن وقال مالك بن أنس بلغني ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زى عظيم فنشرت له الناس ينظرون اليه افواجا حتى مر برجل يعمل شيئا مكرما عليه لم يلتفت اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك بعضها

عليه وقال كل الناس ينظرون الى الانث فقال الرجل اني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فغارت هه وهو مسكين فذفن الى جنبه

وقال ابو العنانه وعظمتك احدث صمت * ونعمتك ازمنة خفت
وارتك قبرك في القبور * روات حتى لم تمت (٢٦) يا شامتا بمني * ان المنيه لم تمت ولربما انقلب السما *ت فحل بالقوم الشمت
وتكلمت عن اوجه * تبلى وعن صور سبت

(الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات)

(الاولى) في ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحـ كما عن هذا بقولهم الانسان مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغاذا وهذا الى التماسه بقطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الخنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والجنح والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات لاتتم الا بصناعات متعدده من حداد ونجار وفاخوري هب أنه يأكله حبا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله أيضا حبا الى اعمال اخرى أكثر من هذه من الزراعة والمصايد والدراس الذي يخرج الحبوب من غلاف السنبيل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعدده وصنائع كثيرة أكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفي بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر والكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحسن بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لا أكثر منهم باضـ عاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في الدفاع عن نفسه الى الاسـتـعانة بأبناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينهما جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكل من حظ الانسان فقدره الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدره الاسد والذئب عاف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بدفاعته ما يصل اليه من عادية غيره وجعل الانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليدفالية دمه مهمة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النابتة عن الخنايا والمخارحة والتراس النابتة عن البشيرات الجاسية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المقترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته ايضا باسـتـعمال الآلات المعدة للدفاعه لكثيرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذا ولا تتم حياته لما ركب الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء والسلاح للدفاع وقتت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني والالم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستتلافها يا هم وهـ ذاهو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في نفسه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فلم فليس أيضا من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بقضـ له ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع عنهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها موجودة بجيهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور

وروي ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رأى فاطمة رضي الله عنها مسجدة بثوبها بكى حتى رثى له ثم قال لكل اجتماع من خليلين فرقة

وان الذي دون الممات قليل أرى عدل الدنيا على كثيرة وصاحبها احتي الممات قليل وان افتقادي واحد بعد واحد

دليل على أن لا يدوم خليل *(وقال)*
الأيها الموت الذي ليس تاركى

أرختي فقد افنت كل خليل اراك بصيرا بالذين أحبهم كأنك تخون نحوهم بدليل ولما نقض يديه من ترابها تمثل بقول بعض بني أمية اقول وقد فاضت دموعي حسرة

أرى الأرض تبقى والاخلاء تذهب

اخلاي لو غير الحجام أصابكم عتبت ولكن ماءـ الى الموت معتب

(وقال العناني)

قلت للفرقدين والليل ملق سودا كنافه على الآفاق ابقيا ما بقيتما فسيرى بين شخصيه كما بسهم الفراق غر من ظن أن يقوت المنايا وعراها فلانئذ الاعناق

كم صغرين متعبا اجتماع * ثم صار الغربة واقتراق لا يدوم البقاء للخلق لكن دوام البقاء للخلق
وانشدني بعض الادباء اسعداني يا نختي حلوان * وارثيالي من ريب هذا الزمان واعمرى لو ذقتما حرق الفريقة ابكا كما الذي أبكاني جميع

واعلم ان قيمة ما ان نحسا * سوف ياتيكم فتفتقران * ولما سافر الرشيد الى طوس وعك في طريقه من حرا صابه فقال له الطبيب لا يريك الاجار النخل وكان تروله قريما من هاتين النخلتين فامر بقطع جارا حدى النخلتين (٢٧) فلما مثل بين يديه انشده بعض

الجلساء هذه الايات لبعض الشعراء في هاتين النخلتين فقال الرشيد لوسمعتهم ما امرت بقطعهما وما مات الاسد كندر قال ارسل طاطا اليك ايها الملك لقد حرر كتابا يكونك وقال بعض الحكماء من اصحابه كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم او عظ منه امس فنظمه ابو العتاهية فقال

كفى خزبا دفنك ثم انى
نقضت تراب قبرك من يديا
وكانت من حياتك لى
عظات

فانت اليوم او عظ منك حيا
ووجه دم مكتوبا على قبر
قهرنا من قهرنا فصرنا
للتناظرين عبرة (وقال
عبد الله بن المعتز)

نسبر الى الآجال فى كل ساعة
وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ارمثل الموت حقا كانه
اذا ماتت خطته الامانى باطل
وما اقيع التفريط فى زمن
الصبا

فكيف به والشيب فى
الراس شاعل

ترحل من الدنيا بزاد من
التقى

فعمرك ايام تعد قلائل
ولما دخل ابو الدرداء الشام

قال يا اهل الشام اسمعوا
كم بنوا شديدا وما ملوا

بعيدا وجعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم بورا ومسا
كنهم قبورا وروى الجافظ قال وجدته مكتوبا فى حجر ابن آدم لورأيت يسير

جميع الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غير بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك بهذا انه خاصة للانسان طبيعية ولا بد لهم منها وقد وجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كفى النحل والجراد لما استقرى فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم في خلقه وجماله ان ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وانها خاصة بطبيعة للانسان فيقرر هذا البرهان الى غاية وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتى به واحد من البشر وأنه لا بد ان يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراها اذ الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يقرضه الحكام لنفسه او بالعصبة التي يقتدر بها على قهرهم ووجهم على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون بالنسبة الى الجيوش الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والاكثر فضلا عن الحماية وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنحرفة في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فانه يتمتع وبهذا يتبين للعلماء في وجوب النبوات وأنه ليس بعقلي وانما مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولى التوفيق والهداية

* (المقدمة الثانية) *

* (فى قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم) *

(اعلم) انه قد تبين فى كتب الحكماء المناظرين فى احوال العالم ان شكل الارض كرى وانها محفوفة بعنصر الماء كانهما غنية طافية عليه فانحصر الماء عن بعض جوانبها اراد الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشرى الذى له الخلاق على سائر اوقديته وهو من ذلك ان الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما تحت الطبيعى قلب الارض ووسط كرتها الذى هو مركزها والكل يطلب به بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها وأما الماء المحيط بها فهو فوق الارض وان قيل فى شئ منها انه تحت الارض فبالاضافة الى جهة أخرى منه وأما الذى انحصر عنه الماء من الارض فهو النصف من سطح كرتها فى شكل دائرة أحاط العنصر المائى بها من جميع جهاتها ببحر يسمى البحر المحيط ويسمى أيضا بالابيه بنفخيم اللام الثانية ويسمى أوقيانوس اسماء أعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود ثم ان هذا المنكشف من الارض للعمران فيه القفار والحلاء أكثر من عمرانه والخالى من جهة الجنوب منه أكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة أميل الى الجانب الشمال على شكل مسطح كرى ينتهى من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرى ووراء الجبال القاصلة بينه وبين الماء العنصرى الذى بينهما سد ياجوج وما جوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهى من المشرق والمغرب الى عنصر الماء أيضا قطعة من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة أو أقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو ماطول الارض وأكبر خط فى كرتها كما أن منطقة فلك البروج ودائرة معدل النهار أكبر خط فى الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون

قول أخ لكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لى أراكم تبنون ما لا تسكنون وتبجعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وما ملوا
بعيدا وجعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم بورا ومسا كنهم قبورا وروى الجافظ قال وجدته مكتوبا فى حجر ابن آدم لورأيت يسير

فما بقي من أجلك لزمه دت في طول ما ترجو من أملاك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت عن حرصك وحملك وانما يلقاك غد اندمك
لوقد زلت بك قدمك واسلك اهلك (٢٨) وحملك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت في عملك زائد ولا الى أهالك

عائذ وقال مالك بن أنس
بلغني ان امرأتين اتتا عيسى
عليه السلام فقالا يا روح
الله ادع الله لنا ان يخرج
لنا ابانا فانه هلك ونحن
غائبان عنه قال تعرفان
قبره فقالتا نعم فذهب
معهما فاما قبراهما فقالتا هذا
هو فدعا الله فخرج لهما
فاذا هو ليس به فدعا فرد
ثم دلتهما على قبر آخر فدعا
ان يخرج فخرج فاذا هو
فلزمته وسلمتا عليه ثم قالتا
يا نبي الله يا معلم الخير ادع
الله ان يقيم معنا فقال
وكيف ادعوله ولم يبق له
رزق يعيش به ثم رده
وانصرف وانشدني بعض
الادباء

وأسفى من فراق قوم
هم المصابيح والماضون
والمزن والمدن والرواسي
والخير والامن والسكون
لم تتغير بنا الليالي
حتى توفهم المنون
فكل جمر لنا قلوب
وكل ماء لنا عيون
(وروى) أن النعمان بن
المنذر خرج متصيدا ومعه
عدى بن زيد فورا بشجرة
فقال عدى بن زيد يا أبا
المالك أتدري ما تقول هذه
الشجرة قال لا قال انها
تقول

فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال لان الميل اربعة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون
أصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة ماصق بعضها الى بعض ظهر البطن وبين دائرة معدل النهار
التي تقسم القللك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة
لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء اربع وستون درجة والباقي منها خلا لاعمارة فيه
لشدة البرد والجود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر كما تبين ذلك كله ان شاء الله تعالى ثم ان
الخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الامصار والمدن والجبال والبحار والانهار والقفار والرمال
مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وحاب كتاب زحار من بعده قسما وهذا المعمور بسبعة اقسام يسوونها
الاقليم السبعة محدود وهما بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الاول
أطول مما بعده وكذا الثاني الى آخرها فيكون السابع أقصر مما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحراس الماء
عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة أجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي
وفي كل جزء الخبر عن احواله وأحوال عمارته (وذكروا) أن هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في
الاقليم الرابع البحر الرومي المعروف ببدا في خليج متضيق في عرض اثني عشر ميلاً ونحوهما ما بين طنجة
وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقاً وينقسم الى عرض ستمائة ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من
الاقليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئه وعليه هنالك سواحل الشام وعليه من جهة
الجنوب سواحل المغرب أولها طنجة عند الخايج ثم افريقية ثم قرقة الى الاسكندرية ومن جهة الشمال
سواحل القسطنطينية عند الخايج ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق قبالة
طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشام وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل اقريطش وقبرص وصقلية وميورقة
وسردانية ودانية (قالوا) ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من خليج بين أحدهما مسامت
للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضيقاً في عرض مائة السهم ويمر ثلاثة بحار فيمتلئ بالقسطنطينية
ثم ينقسم في عرض اربعة أميال ويمر في جريه ستين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة
عرضها ستة أميال فيمد بحريطش وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض
هريقلية وينتهي الى بلاد الحخر رية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من الجانبين أهم من الروم
والترك وبرجان والروس والبحر الثاني من خليج هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على
سمت الشمال فاذا انتهى الى سمت الجبل انحرف في سمت المغرب الى بلاد البنادقة وينتهي الى بلاد انكلابية
على ألف ومائة ميل من مبدئه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم أهم ويسمى خليج البنادقة
(قالوا) وينساح من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق على ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء
بحر عظيم متسع يراى الى الجنوب قليلاً لا حتى ينتهى الى الاقليم الاول ثم يعرفه مغرباً الى أن ينتهى في الجزء
الخامس منه الى بلاد الحبشة والزينج والى بلاد باب المندب منه على اربعة آلاف فرسخ ونحوها من فرسخ من
مبدئه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد البر التي ذكرها
امرؤ القيس في شعره وليسوا من البر الذين هم قبائل المغرب ثم بلاد مقدشو ثم بلاد سفالة وارض الواق واق
وأهم آخر ليس بعدهم الا القفار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدئه ثم الهند ثم الهند ثم
سواحل اليمن من الاحقاف وزيد وغير هاتم بلاد الزنج عندها يتهو بعدهم الحبشة (قالوا) ويخرج من
هذا البحر الحبشي بحران آخران (أحدهما) يخرج من نهايته عند باب المندب فيمد متضيقاً ثم يمر

من رأنا فيحدث نفسه * أنه موف على قرب سؤال وصروف الدهر لا يبقى لها * ولما تأتى به صم الجبال مستبحرا
رب وكي قد اناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال عجزوا الدهر بعيش حسن * آمى دهرهم غير عيال

عصف الدهر بهم فانقرضوا * وكذلك الدهر حالاً بعد حال
ما تقول هذه المقبرة قال لاقال انها تقول أيا الركب الخبونا * على الارض المجدونا (٢٩) كما أنتم كذا كنا * كما نحن تكونونا
فقال النعمان قد علمت ان

الشجرة والمقبرة لا يتكلمان
وقد علمت انك انما أردت
تعطيني فجزاك الله عن خير
فالسيد الذي تدرك
به النجاة قال تدع عبادة
الاولئان وتعبد الله وحده
قال في هذه النجاة قال نعم
فترك عبادة الاولئان وتضمن
يؤمنذواخذ في العبادة
والاجتهاد (وقال) عبد
الله بن المعلم لم خرجنا من
المدينة حجاجاً فلما كنا
بالرويشة نزلنا فوق فبنا
رجل عليه ثياب رثة ليس
له منظر وهيئة فقال من
يبنى خادماً من بيني ساقياً
فقلت دونك هذه القرية
فاخذها فانطلق فلم يلبس
الا سبيرا حتى أقبل وقد
امتلات اثوابه طيناً
فوضعها كالمسور والضحك
ثم قال لكم غير هذا قلنا لا
وأطعمناه قرصاً بارداً فأخذه
وحمد الله تعالى وشكره
ثم اعتزل وقعد فأكله أكل
جائع فادركتني عليه الرأفة
فقممت اليه بطعام طيب
كثير فقلت له قد علمت انه
لم يقع منك القرص بوقع
فدونك هذا الطعام فظفر
في وجهي وتبسم وقال
يا عبد الله انما هي فورة
جوع فابالي بأي شيء
رددتها فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبى أتعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة
فتاب فخرج منها فقعد فاعرف له اناروا وقف له على خبر فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وأنسسته وقالت له هل لك ان تعادني فان معي

مستبحر الى ناحية الشمال ومغرباً قليلاً الى ان ينتهي الى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الاقليم الثاني
على ألف واربع مائة ميل من مبدئهم يسمى بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر من
هناك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز ودرجة ثم مدين وإيلة وفاران عنده
نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزيلع ثم بلاد الحبشة عند مبدئهم وآخره
عند القلزم يسامت البحر الرومي عند العريش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملوك في الاسلام وقبله
برومون خرق ما بينهما ما لم يتم ذلك (والبحر الثاني) من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الاخضر يخرج
ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحية الشمال مغرباً قليلاً الى ان ينتهي الى الابله من
سواحل البصرة في الجزء السادس من الاقليم الثاني على أربعة مائة فرسخ وأربعين فرسخاً من مبدئهم
ويسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابله عند نهايته ومن
جهة الغرب سواحل البحرين واليه مائة وعثمان والشحر والاحقاف عند مبدئهم وفيه ما بين بحر فارس
والقلزم خيرة العرب كانه داخل من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب
وبحر فارس من الشرق وتفضي الى العراق فيه ما بين الشام والبصرة على ألف وخمسة مائة ميل بينهما
وهناك الكوفة والقادسية وبعداداويوان كسرى والحيرة ووراء ذلك ام الاعاجم من الترك والخزر
 وغيرهم وفي خيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليمامة والبحرين وعمان في جهة الشرق
 منها وبلاد اليمن في جهة الجنوب منها وسواحلها على البحر الحبشي (قالوا) وفي هذا المعمور بحر آخر منقطع
 من سائر البحار في ناحية الشمال بارض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول ألف ميل في عرض ستمائة
 ميل في غربيه أذربيجان والديلم وفي شريقه أرض الترك وخوارزم وفي جنوبيه طبرستان وفي شماليه
 أرض الخزر والآن (هذه) جملة البحار المشهورة التي ذكرها أهل الجغرافيا (قالوا) وفي هذا الجزء المعمور
 انهار كثيرة أعظمها أربعة أنهار وهي النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيحون (فاما النيل) فمبدؤه
 من جبل عظيم وراء خط الاستواء بسبع عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل
 القمر ولا يعلم في الارض جبل اعلى منه يخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعضها في
 أخرى ثم يخرج أنهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من
 الجبل ول يخرج من هذه البحيرة نهران يذهب أحدهما الى ناحية الشمال على سمتيه ويمر ببلاد النوبة
 ثم بلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجاً وتصب كلها في البحر الرومي
 عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقه والواحات من غربيه ويذهب الآخر
 منعطفاً الى المغرب ثم يمر على سمتيه الى أن يصب في البحر المحيط وهو نهر السودان وأعمهم كلهم على ضفتيه
 (وأما الفرات) فمبدؤه من بلاد أرمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوباً في أرض الروم
 ومطية الى منبج ثم يمر بصفين ثم بالركة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة وواسط
 ومن هناك يصب في البحر الحبشي وتجلب اليه في طريقه أنهار كثيرة ويخرج منه أنهار أخرى تصب في
 دجلة (وأما دجلة) فمبدؤها عين ببلاد خلاط من أرمينية أيضاً وتخرج على سمت الجنوب بالموصل وأذربيجان
 وبعداداويان واسطاً فتفرق الى خليجان كلها تصب في بحيرة البصرة وتفضي الى بحر فارس وهو في الشرق
 على بين الفرات وينجلب اليه أنهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات ودجلة من أوله خيرة
 الموصل قبالة الشام من عدوى الفرات وقبالة أذربيجان من عدوى دجلة (وأما نهر جيحون) فمبدؤه

وردتها فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبى أتعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة
فتاب فخرج منها فقعد فاعرف له اناروا وقف له على خبر فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وأنسسته وقالت له هل لك ان تعادني فان معي

فضلا من راحلتي فجزاني خير اوقال لواردت هـ ذاك كان لي معدا ثم انس الى فجعل يحذني فقال انارجل من ولد العباس كنت اسكن
البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ (٣٠) واني امرت خادما لي ان تحشوق راسالي من حرير ومخدة بوردة ثمر ففعلت واني لانا ثم اذا بجمع

من بلغ في الجزء الثامن من الاقليم الثالث من عيون هناك كثيرة وتنجلب اليه انهار عظام ويذهب
من الجنوب الى الشمال فيمري به بلاد خراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم
الخامس فيصب في بحريرة البحر جانية التي باسقل مدينة تها وهي مسيرة شهر في مثله واليه ينصب نهر
فرغانة والشاش الا تقي من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون بلاد خراسان وخوارزم وعلى شرقيه بلاد
بخارى وترمز ومركزه ومن هنالك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخزمية وقام الاعاجم وقد ذكر
ذلك كله بطليموس في كتابه والشرقي في كتاب زجار وصور وفي الجغرافيا جميع ما في المعجم ومن الجبال
والبحار والادوية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لنا به اطوله ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي
هو وطن البربر وبالوطن التي للعرب من المشرق والله الموفق

(تكملة لهذه المقدمة الثانية)

(في ان الريح الشمالى من الارض اكثر عمرانا من الريح الجنوبي وذو ك السبب في ذلك)

ونحن نرى بالمشاهدة والاعمال المتواترة ان الاول والثاني من الاقليم المعجزة اقل عمرانا مما بعدهما وما
وجد من عمرانه فيتمخذه الخلا والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منهما واما هذين الاقليمين
واناسيهما المستقيم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك
فالقفار فيها قليلة والرمال كذلك او معدومة واما هاتان السبعون من الكثرة وامصارها ومدنها
تجاو زالحمد دعدو والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير
من الحكماء ان ذلك لافراط الحروق لثمة ميل الشمس فيها عن سمت الرأس فلو وضع ذلك بمرمانه
ويبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع
(فتقول) ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالى اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين
هي اعظم الدوائر المسارة من المشرق الى المغرب وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين في موضعه من الهيئة
ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة يومية يحرك بها سائر الافلاك التي في جوفه قهرا
وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان الكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب
الى المشرق ويختلف مؤداها باختلاف حركة الكواكب في السرعة والبطء وعمرات هذه الكواكب
في افلاكها توازيها كاهادائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة تلك البروج متقسمة
بأثنى عشر برجا وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لثمة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج
هما اول الحمل وأول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مائل عن معدل النهار الى الشمال
وهو من اول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مائل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان الى آخر الحوت
واذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة
معدل النهار يمر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدأ
الاقليم الاول من الاقليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالى يرتفع عن
آفاق هذا المعمور بالتدرج الى ان ينتهي ارتفاعه الى اربع وسبعين درجة وهنالك ينقطع العمران
وهو آخر الاقليم السابع واذا ارتفع على الافق تسعين درجة وهي التي بين القطب ودائرة معدل النهار
صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق
وهي الشمالية وستة تحت الافق وهي الجنوبية والعمارة فيما بين الاربعة والستين الى التسعين ممنوعة

وردة قد أغفلته الخادم
فقلت اليها فاجعها بضرها
ثم عدت الى مضجعي بعد
اخراج القمع من المخدة
فاتاني آت في منامي في
صورة فظيعة فنهزني وقال
افق من غشيتك ابصر من
خيرتك ثم انشأ يقول
ياخذنا لك ان توسد لي لنا
وسدت بعد الموت صم
الحندل
فامهـ دلنفسك صاعدا
تسعد به
فلنند من غدا اذ لم تفعل
فانتهت فرعا فخرجت
من ساعتى هار بالى ربي
(وقال) عبد الواحد بن
زيد ذكر لي ان في جوانب
الابلة جارية مجنونة تنطق
بالحكمة فلم ازل اطلبها
حتى وجدت في خرابة جالسة
على حجر وعليها جبة صوف
وهي مخلوقة الرأس فلما
نظرت الى قالت من غير
ان اكلمها رحبا بك يا عبد
الواحد فقلت لها رحب
الله بك وعجبت من معرفتها
لي ولم تر في قبل ذلك فقالت
ما الذي جاء بك ههنا فقلت
جئت لتعطيني فقالت
واعجباه لواعظ يوعظ ثم
قالت يا عبد الواحد اعلم
ان العبد اذا كان في كفاية
ثم مال الى الدنيا سلبه الله

حلاوة الزمرد في ظل حيران والمشافان كان له نصيب عند الله عاقبه وحياتي سره فقال عبدى أردت ان أرفع
قدرك عند ملائكتي وجملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي وأهل طاعتى في أرضى فأت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثك

بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدى ارجع الى ما كنت عليه ارجع لك ما كنت تعرفه من نفسك ثم تركتني
ووات عني وانصرفت عنها وقلبي حسرة منها وانشدوا انك في دارهم امد (٣١) يقبل فيها عمل العامل اُماترى الموت محيطا بها

يقطع فيها امل الامل
تعمل الذنب بما تشتهي
ونامل التوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة
ماذا يفعل المحازم العاقل
ولما نزل سعد بن أبي وقاص
الحيرة قيل له ههنا عجوز
من بنات الملوك يقال لها
الحرقبة بنت النعمان بن
المنذر وكانت من أجل
قبائل العرب وكانت اذا
خرجت الى بيتها نشرت
عليها ألف قطعة حرير
ودياج ومعها ألف وصيف
ووصيفة فارسل اليها سعد
فجاءت كالشن البالي فقالت
يا سعد كنت ملوك هذا
المصر قبلك ليحمل الينا
خراجه ويطيعنا أهله مدة
من المديد حتى صاح بنا
صائح الدهر فشتت شملنا
والدهر ذونائب وصروف
فلورأيتنا في أيامنا الارعدت
فرائضك فرعانا فقال
له سعد ما نعيم ما نعيم
به قالت سعة الدنيا علينا
وكثرة الاصوات اذا دعونا
ثم انشأت تقول
وبينا نسوس الناس والامر
أمرنا
اذ نحن فيهم سوقة ليس
ننصف
فتب الدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف

لان الحر والبرد حينئذ لا يحصلان بمترجين لبعده الزمان بينهما فلا يحصل التكوين فاذا الشمس تسامت
الرؤس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان ثم تقبل عن المسامطة الى رأس السرطان ورأس الجدى
ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار أربع وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقدار هبوطه
في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس
علت عليها البروج الشمالية مندرجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية
من الافق كذلك الى رأس الجدى لانحرافها الى الجانبيين في أفق الاستواء كما قلناه فلا ينزل الافق
الشمالي يرتفع حتى يصير أبعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت الرأس وذلك حيث يكون عرض
البلد أربع وعشرين في المحجاز وما يليه وهذا هو الميل الذي اذا مال رأس السرطان عن معدل النهار في
أفق الاستواء ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين
نزلت الشمس عن المسامطة ولا تزال في الانخفاض الى أن يكون ارتفاع القطب أربع وعشرين ويكون
انخفاض الشمس عن المسامطة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الافق مثلها فينقطع التكوين
لا فراط البرد والجهد وطول زمانه غير مترج بالحر ثم ان الشمس عند المسامطة وما يقاربها تبعث الاشعة
على الارض على زوايا قائمة وفيما تدور المسامطة على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة
عظم الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والمحاذاة فلهذا يكون الحر عند المسامطة وما يقرب منها أكثر منه
فيما بعد لان الضوء سبب الحر والتسخين ثم ان المسامطة في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند
نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدى
الا وقد صعدت الى المسامطة فبقى الاشعة القائمة الزوايا تلح على ذلك الافق ويطول مكثها او يدوم
فيشتعل الهواء حراره ويطرط في شدتها وكذا مادامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط الاستواء الى
عرض أربعة وعشرين فان الاشعة لمحطة على الافق في ذلك بقرب من المحاذي في خط الاستواء وفراط
الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويساعد على التكوين لانه اذا فطرط الحر جفت المياه والرطوبة وفسد
التكوين في المعدن والحيوان والنبات اذا التكوين لا يكون الا بالارطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن
سمت الرأس في عرض خمسة وعشرين فبعد نزلت الشمس عن المسامطة فيصير الحر الى الاعتدال أو
يعمل عنه ميلا قليلا فيكون التكوين ويتزايد على التدريج الى أن يطرط البرد في شدته لقلته الضوء وكون
الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين وينقص الان فساد التكوين من جهة شدة الحر أعظم منه من
جهة شدة البرد لان الحر أسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجهد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول
والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بقصان الضوء وفي السادس والسابع
كثير النقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند أولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها
الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي
أكثر وأوفر والله أعلم ومن هنا أخذ الحكماء خلاصه خط الاستواء وما وراءه وأورد عليهم انه معجور
بالمشاهدة والاخبار والمتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر أنهم لم يريدوا امتناع العمران فيه
بالكلية إنما ادأهم البرهان الى أن فساد التكوين فيه قوي بافراط الحر والعمران فيه اما ممنوع أو مكن
أقل وهو وكذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وان كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدا (وقد زعم) ابن

ثم قالت يا سعد انه لم يكن أهل بيت خير الا والدهر يعقبهم غيره حتى يأتي امر الله عن الفريقين فامر بردها فلما أرادت
القيام قالت يا سعد لا زال الله عنك نعمة ولا جعل لك الى شيء حاجة ولا أزال عن كريم نعمة ولا أزال عن عبد صالح نعمة الا جعل لك الله

سبيل الى ردها عليه ولبعضهم
يوم القيامة انارسته نضجه
لم يدرك ان المنايا سوف ترجعه
(وروي) ان عيسى عليه
السلام كان مع صاحب له
يسبحان فاصابهم ما الجوع
وقد انتهوا الى قرية فقال
عيسى لصاحبه انطلق
فاطاب لنا طعاما من هذه
القرية وقام عيسى يصلي
فجاء الرجل بثلاثة ارغفة
فأطأ عليه انصراف عيسى
فاكل رغيفا فانصرف عيسى
فقال أين الرغيف الثالث
فقال ما كانا الارغفين قال
فرا على وجوههم ما حتى
مرابطا ترمي فدعا عيسى
عليه السلام ظيما منها
فذكاه فأكل منه ثم قال
عيسى عليه السلام للظبي
قم يا ذن الله فاذا هو يشهد
فقال الرجل سبحان الله
فقال عيسى بالذي أراك
هذه الآية من صاحب
الرغيف قال ما كانا الا
اثنين قال فضييا على
وجوههم ما فإبراهيم عجاج
عظيم فاذ عيسى عليه
السلام بيده فشي به على
الماء حتى جاوز الماء فقال
الرجل سبحان الله فقال
عيسى عليه السلام بالذي
أراك هذه الآية من صاحب
الرغيف قال ما كانا الا اثنين
فخر جاحتي أتيا قرية
عظيمة خربة واذا قريب
منها ابن ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال السلام عليه فقال عليه السلام هذا مال واحدة لي واحدة لك واحدة لصاحب الرغيف المائة
فقال أنا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لك كاه افارقه فأقام عليه اليس معه ما يحمله عليه فخر به ثلاثة نفر فقط لموء وأخذوا

(٣٢)

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث مخبره * وانه بين جنات سجنه *
فكل شئ سوى التقوى به سيج * وما أقام عليه منه اسمجه * ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا *
رشد أن خط الاستواء معتدل وأن ما وراءه في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هذا
والذي قاله غير ممنوع من جهة فساد التكوين وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة أن
العنصر المائي غمر وجه الأرض هنالك الى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية قابلا للتكوين
ولما امتنع المعتدل لعلية الماء تبعه ما سواه لان العمران متدرج وياخذ في التدرج من جهة الوجود
لامن جهة الامتناع وأما القول بامتناعه في خط الاستواء فيرده النقل المتواتر والله أعلم * ولترسم بعد هذا
الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زجارتهم بأخذ في تفصيل الكلام عليها الخ

* (تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا) *

اعلم ان الحكاء قسموا هذه المعمورة كما تدم ذكره على سبعة أقسام من الشمال الى الجنوب يسمون كل
قسم منها اقليما فانقسم المعمور من الأرض كله على هذه السبعة الاقاليم كل واحد منها آخذ من الغرب
الى الشرق على طوله * فالاول منها ما من المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بحدوده من جهة الجنوب
وليس وراءه هنالك الا القفار والرمال وبعض عمارة ان صحت فهي كالأعمدة ويليها من جهة شمالية
الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخرها - مران من جهة
الشمال وليس وراء السابع الا الخلاء والقفار الى ان ينتهي الى البحر المحيط كالحال فيما وراء الاقليم
الاول في جهة الجنوب الا ان الخلاء في جهة الشمال أقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب * ثم ان
أزمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب
الشمال الى عن آفاقها في متفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الاقليم الاول
وذلك عند حلول الشمس برأس الجددي لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما - ما الى ثلاث عشرة
ساعة وكذلك في آخر الاقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس
السرطان وهو منقلبها الصيفي الى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند منقلبها الشتوي
برأس الجددي ويبقى للأقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة أربع وعشرين
الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر الاقليم الثالث مما يلي
الشمال أيضا ينتهيان الى أربع عشرة ساعة وفي آخر الرابع الى أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر
الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع الى ست
عشرة ساعة وهنالك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الأطول من ليالها ونهارها بنصف
ساعة لكل اقليم يتزايد من اوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على أجزاء هذا العدد
* واما عرض البلدان في هذه الاقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمت رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي
هو سمت رأس خط الاستواء وبمجموعه سواء ينخفض القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب
الشمال عنده وهو ثلاثة أبعاد متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل * والمتكلمون على هذه
الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طوله من المغرب الى المشرق بعشرة أجزاء متساوية
ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجمبال والانهار والمسافات بينها في المسالك
ويحسن الا أن نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهد البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونأخذ بذلك
ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي ألفه العلوي الادريسي المحدث في صقلية من الاخر نيج وهو زجارتهم
زجارتهم كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج صقلية من امارته مائة وكان تاليفه للكتاب في منتصف

منها ابن ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال السلام عليه فقال عليه السلام هذا مال واحدة لي واحدة لك واحدة لصاحب الرغيف المائة
فقال أنا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لك كاه افارقه فأقام عليه اليس معه ما يحمله عليه فخر به ثلاثة نفر فقط لموء وأخذوا

الابن فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال احد الباقيين تعال نقفل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا قال الاخر نعم وقال الذي ذهب يشتري الطعام اجعل في الطعام سمفاقتنه ما وآخذ اللبن ففعل (٣٣) فلما جاء قتلاه وأكل من الطعام الذي

جاءه فأتا فر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها منصرعين فقال هكذا تفعل الدنيا باهلها (وقال عبد الملك) بن عمر رأيت في هذا القصر عجبا رأيت رأس الحسين على ثوبين مصبوغين بين يدي ابن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختارين بين يدي المصعب بن الزبير ثم رأيت رأس المصعب بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان (وقال الاصمعي) لما زحف الرشيد بجباله وتحرم فيها وزرقها وصنع فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابي العتاهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعم هذه الدنيا فقال عيش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور يسعي عليك بما اشتبهت لدى الروح وفي البكور واذا النفوس تقهقعت في ضيق حشرة الصدور فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور فبكى هرون فقال الفضل ابن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لئلا تسره فاحتته فقال هرون دعه فانه رآنا في ضلالة وعي فذكره ان يزيدنا عي (وبروي) ان

المائة السادسة وجمع له كتبناجسة للسعودي وابن خرداذية والحوقلي والقدرى وابن اسحق المنجم و بطليموس وغيرهم وبنوا منها بالاقليم الاول الى آخرها والله سبحانه وتعالى يعصمنا عنه وفضله * (الاقليم الاول) وفيه من جهة غربيه الجزائر الخلدات التي منها يد ابطليموس يأخذ أطوال البـ لاد وليست في بساط الاقليم وانما هي في البحر المحيط بحر مـ كثيرة أ كبرها وأشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سقائن من الاقصر خرجت بها في أواسط هذه المائة وقالت لهم فغفوا منهم وسبوا وابعوا بعض أسرارهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال جزائريهم وانهم يحرقون الارض للزراعة بالقرون وان الحـ ديدم مقود بارضهم وعيشهم من الشـ غير وما شيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يرمونها الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون دينها ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر الا بالعثور ولا بالقصد اليها لان سـ قرا السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهاجها والى أين يوصل اذا مرت على الاستقامة من البـ لاد التي في عمر ذلك المهب و اذا اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذ به القلم محاذة يحمل السفينة بها على قوانين في ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذي هم رؤساء السفن في البحر والبلاد التي في حقا في البحر الرومي وفي عدوته مكتوبة كلها في صحيفة على شكل ما هي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح وعمارتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص وعليها يعتمدون في أسفارهم وهذا كله مقود في البحر المحيط فلذلك لا تلج فيه السفن لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل ان تهـ دى الى الرجوع اليها مع ما ينقد في جوهـ هذا البحر وعلى سـ طع مائه من الابخرة الممانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تتركها اضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتكلمها فلذلك عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها وأما الجزء الاول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل الا في من مبدئه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب الى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة اوليك وعلى هـ ذا النيل مدينة سـ لاوتكرور وغانة وكلها مـ هذا العهد في ملكة ملك مالى من أمم السودان والى بلادهم تسافر تجار المغرب الاقصى وبالقرب منها من شمالها بلاد ملتونة وسائر طوائف المسلمين ومقاويز يجولون فيها وفي جنوبي هـ ذا النيل قوم من السودان يقال لهم الملم وهم كفار ويكثرون في وجوههم وأصداعهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسـ بونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب وكلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتـ بر الاناسى أقرب الى الحيوان العجم من الناطق يسكنون القيا في والكهوف ويا كلون العشب والحبوب غير مهـ آتور بما يـ كل بعضهم بعضا وليسوا في عـ داد البشر وفوا كد بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وكدرارين ووركلان في كان في غانة فيقال ملك ودولة لقوم من العـ لويين يعرفون بني صالح وقال صاحب كتاب زجرائه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هـ ذه الدولة لهـ ذا العهد وصارت غانة السلطان مالى وفي شرقي هـ ذا البلاد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثاني وكان ملك كوكو قائما بنفسه ثم اسـ تولى عليها سلطان مالى وأصبحت في ملكه وخربت لهـ ذا العهد من أجل فتنة وقعت هناك نذ كرها عـ دذ كردولة مالى في محله امن تاريخ البر بروفي جنوبي بلد كوكو بلاد كاتم من امم السودان وبعدهم ونغارة على ضـ فة النيل من شماليه وفي شرقي بلاد ونغارة وكاتم بلاد زغاوة وتاجرة

(٥ - ابن خلدون) سليمان بن عبد الملك لئلا تسره فاحتته فذكره ان يزيدنا عي (وبروي) ان يخرج الى الجمعة وقال لجاريته كيف ترين فقال أنت نعم المتاع لو كنت تبتقي غير ان لابقاء الانسان ليس فيما يد النامك عيب

عابه الناس غير انك فاني
من حوله فصل ورجع بين

(٣٤)

فأعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجود فركبته المحي فلم يزل صوته ينعص حتى ما سمع
اثنتين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي في صحن الدار

قالت ما رأيته ولا قلت
شيأ وان لي بالخروج الى
صحن الدار فقال ان الله وانا
اليه راجعون نعمت الى
نفسى ثم عهد عهد وواصي
وصيته فلم تدر عليه المجعة
الاخرى الا هو في قبره
(ووجد) مكتوباً على قصر
سيف بن ذي بزن
من كان لا يطأ التراب برجله
وطئ التراب بناعم الخد
من كان بينك في التراب

وبينه
شبران كان بغاية البعد
لو بعثت للناس أطباق
الثرى

لم يعرف المولى من العبد
(وقال المهشم بن عدى)
وجدوا غار في جبل لبنان
زمان الوليد بن عبد الملك
وفيه رجل مسجى على
سرى من ذهب وعند رأسه
لوح من ذهب مكتوب فيه
بالرومية أنا سبأ بن نواس
ابن سبا خدمت عيص بن
اسحق بن ابراهيم خليل
الرب الديان الملك الاكبر
وعشت بعده عمر اطويلا
ورأيت عجبا كثيرا لم أر
فما رأيت أعجب من
غافل عن الموت وهو يرى
مصارع آبائه ويقف على
قبر احبائه ويعلم انه صائر
اليهم ثم لا يتوب وقد علمت

المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء
الى البحر الرومى في الشمال ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بست عشرة درجة
واختلفوا في ضبط هذه اللقطة فضبطها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قر السماء لشدة بياضه وكثرة
ضوئه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من أهل الهند وكذا ضبط ابن
سعيد فيخرج من هذا الجبل عشرين عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينها ستة أميال ويخرج من كل
واحدة من البحريتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بطيخة واحدة في أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية
الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربي منه الى بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط
ويخرج الشرقي منه ذاهبا الى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما ويتقسم في أعلى أرض مصر
فيصوب ثلاثة من جداوله في البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودومياط ويصب واحدة في بحيرة ملحمة
قبل أن ينصل بالبحر في وسط هذا الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد
الواحات الى أسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهى في غربي هذا النيل وبعدها عتلة وبلق
وبعدهما جبل الجنادل على ستة مراحل من بلق في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة
النوبة فينفذ فيه النيل ويصب في مهبوى بعيد صباه ولا فلاح يمكن أن تسلكه المراكب بل يحول الوسق
من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلد أسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى
فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة وانواحات في غربيها عدة النيل وهى الآن
خراب وبها آثار العمارة القديمة وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس من بلاد الحبشة على وادي أقي من
وراء خط الاستواء ذاهبا الى أرض النوبة فيصوب هناك في النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من
الناس وزعموا أنه من نيل القمرو بطليموس ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل والى
وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس ينتهى بحر الهند الذى يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم
الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التى في داخله وهى متعددة يقال تنتهى
الى ألف جزيرة او فيما على سواحل الجنوبية وهى آخر المعمرور في الجنوب او فيما على سواحل من جهة
الشمال وليس منها في هذا الاقليم الاول الا طرف من بلاد الصين في جهة الشرق وفي بلاد اليمن وفي
الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندى الى جهة الشمال وهما
بحر قلزم وبحر فارس وفيما بينهما جزيرة العرب وتشمل على بلاد اليمن وبلاد البحر في شريقها على ساحل
هذا البحر الهندى وعلى بلاد الحجاز واليمامة وما اليهما كما نذكره في الاقليم الثاني وما بعده فاما الذى على
ساحل هذا البحر من غربيه فبلاد الزالع من اطراف بلاد الحبشة ومجالات البجة (١) في شمال الحبشة ما بين
جبل العلاقي في أعلى الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندى وتحت بلاد الزالع من جهة الشمال
في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هناك بمزاجة جبل المندب المائل في وسط البحر
الهندى مما مع ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك
الى أن يصير في عرض ثلاثة أميال ونحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل
السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلال وقبلها من غربيها مجالات البجة من
أرض السودان كما ذكرناه ومن شرقيها في هذا الجزء هاشم اليمن ومنها على ساحلها بلد على بن يعقوب وفي جهة

(١) قوله البجة بضم الباء وفتح الجيم ويقال أيضا البجاة وأما زالع فهى زيلع اه

ان الاجلاف الجفافة سينزلونى عن سرى ويملونى وذلك حين يتغير الزمان وتناثر الصبيان ويكثر الحدثان فمن الجنوب
أذكر هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا (ويروى) ان الاسكندر مر بمدينة قدامه كما املاك سبعة وبادوا فقال هل بقي من نسل

العظمة ان كانت بغيتي
عندك قال وما بغيتك قال
حياة لا موت فيها وشباب
لا هرم فيه وغني لا يبعه
فقروا سرور لا بعتره مكر
قال ما اقدر على هذا قال
فانفذ لسانك وخاني اطالب
بغيتي عن هي عنده فقال
الاسكندر هذا احكم من
رايت (وروى) في
الاسر ائيليات ان عيسى بن
مريم عليه السلام يدعى
هو في بعض سياحته اذ مر
بجمجمة نخرة فامر هان
تتكلم فقالت يا روح الله
انا ابوالوام بن حفص ملك
اليمن عشت ألف سنة وولدت
لى ألف ذكر وافتضضت
ألف بكر وهزمت ألف
عسكر وقتلت ألف جبار
واقمت تحت ألف مدينة فن
رأى في فلا يعتر بالذنب كما
غررتي فما كانت الا تحلم
ائم فبكى عيسى عليه السلام
(ووجد) مكتوباً على قصر
بعض الملوك وقد باداه له
واقفرت ساحته
هذى منازل اقوام عهدتهم
يوفون بالعهد مذ كانوا
وبالذم
نبيكى عليهم ديار كان
يطربها
ترنم المجدين الحلم والكرم
(وقال) عبد الله بن ابي

(الاقليم الثاني) * وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مر ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منهما أرض قنورية وبعدها في جهة الشرق أعلى أرض غانة ثم مجالات فغاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منها صحارانية مسر متصلة من الغرب الى الشرق ذات مغاوير تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات المثلثين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة ولتونة ومسرارة ولوطنة ووركة وعلى سمت هذه المغاور شرقاً أرض فزان ثم مجالات اركار من قبائل البربر ذاهبة الى اعلى الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من أم السودان ثم قطعة من أرض الباجويين وفي أسافل هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقية أرض ودان وعلى سمتها شرقاً أرض سمنترية وتسمى الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من اعلاه بقية أرض الباجويين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حقا في النيل الذاهب من مبدئه في الاقليم الاول الى مصبه في البحر فغير في هذا الجزء بين الجبلين الجاذرين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلاد اسناو وأرميت ويتصل كذلك حقا فيهِ الى أسبوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنالك على شبعين ينتهي الايمن منها في هذا الجزء عند اللاهون واليسر عند دلاص وفيما بينهما ما أعلى ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عية ذاب ذاهبة في الجزء الخامس الى أن تنتهي الى بحر السويس وهو بحر القلزم الملباط من البحر الهندى في الجنوب الى جهة الشمال وفي عدوته الشرقية من هذا الجزء أرض الحجاز من جبل يللم الى بلاد يثرب وفي وسط الحجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلد عية ذاب في العدو الغربية من هذا البحر

نوح نزل حتى من العرب شعبا من اليمن فداخنا وفيه واختلفوا واستعدوا للقتال فاذا صاح صبح يا هؤلاء على رساكم علام القتال في فوالله لقد ماكني سبعون أعور كلهم اسمه عمر و* (فصل) * أيها الرجل اعتبر بمن مضى من الملوك والأقوال وخلا من الأمم والأجيال

وكيف بسطت لهم الدنيا وأنشئت لهم الآجال وانفسخ لهم في المني والآمال وامدوا بالآلات والعدد والاموال كيف طعنهم بكلكله
المنون واختدعهم بزخرفه (٣٦) الدهر الخئون وأسكنوا بعدسة القصور بين الجنادل والصخور وعاد العيين أثرا والمال

وفي الجزء السادس من غريبه بلاد نجد أعلاها في الجنوب وتباله وبحرش الى عكاظ من الشمال وتحت
نجد من هذا الجزء بقية أرض الجحاز وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وخيبر وتحتها أرض الحامه وعلى
سمت نجران في الشرق أرض سابو مارب ثم أرض الشحر وينتهي الى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط
من البحر الهندي الى الشمال كما ويذهب في هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه
قطعة مثله عليها من أعلاه مدينة قلهاة وهي ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد
البحرين وهجر منها في آخر الجزء وفي الجزء السابع في الأعلى من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل
بالقطعة الاخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانبها الأعلى كله وعليه هنالك بلاد الهند الى بلاد مكران
ويقبلها بلاد الطوبران وهي من الهند ايضا فيتصل السند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء وتحول
المفاوز بينه وبين أرض الهند ويمر فيه نهره الآتي من ناحية بلاد الهند ويصب في البحر الهندي في الجنوب
وأول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي سمتها شرقا بلاد بلهارا وتحتها الملتان بلاد الصنم المعظم عندهم
ثم الى أسفل من السند ثم الى أعالي بلاد سيجستان وفي الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهارا من الهند
وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منيما وفي الجانب الأعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب
الأسفل أرض كابل وبعد هاشرقا الى البحر المحيط ببلاد القنوج ما بين قشيمر الداخلية وقشيمر الخارجية عند آخر
الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الاقصى ويتصل فيه الى الجانب الشرقي فيتصل
من أعلاه الى العاشر وتبقى في أسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة شيغون ثم تتصل بلاد
الصين في الجزء العاشر كله الى البحر المحيط والآن ورسوله أعلم وبه سبحانه التوفيق وهو ولي الفضل والكرم
(الاقليم الثالث) هو متصل بالثاني من جهة الشمال في الجزء الاول منه وعلى نحو الثالث من أعلاه
جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر ارم
لا يحصيههم الا خالقهم حسب ما يأتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط
منها رباط ماسة ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سيجماسه ثم قطعة
من صحراء نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو
قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى أن يسامت وادي ملوية فتكثر ثنايا ومسالكه الى
أن يشتمى وفي هذه الناحية منه أم المصامدة ثم هنتانة ثم تينه لك ثم كدميه ثم مشكورة وهم آخر المصامدة
فيه ثم قبائل صنهاكة وهم صنهاكة وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه
جبل اوراس وهو جبل كامة وبعد ذلك ام أخرى من البرابرة تذكرهم في أماكنهم ثم ان جبل درن هذان
جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفيه في الناحية الجنوبية من بلاد مراكش
واغناس وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة مسالا وفي الجوف عن بلاد مراكش بلاد فاس
ومكاسة وتادلا وقصر كامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف أهلها وعلى ساحل البحر المحيط منها
بلدان أصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها التماسان وفي سواحلها على
البحر الرومي بلدهين ووهران والجزائر لان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في
الناحية الغربية من الاقليم الرابع ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضائق
غير بعيد انفسخ جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان على ساحله من هذا الاقليم
الثالث الكثير من بلاده ثم يتصل ببلاد الجزائر ثم من شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في

خبر اقاما اليوم فقد ذهب
صفوا الزمان وبقي كدره
فالموت اليوم تحفة لكل
مسلم كان الخير أصبح خاملا
والشر أصبح ناظرا وكان
الغبي أصبح ضاحكا
والرشد باكوا كأن العدل
أصبح غائرا وأصبح الجور
عاليا وكان العقل أصبح
مدفونا والجهل منشورا
وكان اللؤم أصبح باسقا
والكرم خاويا وكان الود
أصبح مقطوعا والبغضاء
موصولة وكان الكرامة قد
سلبت من الصالحين
وتوخى بها الاشرار وكان
الحب أصبح مسيقظا
والوفاء نائما وكان الكذب
أصبح مثمرا والصدق ماحلا
وكان الاشرار أصبحوا
يسامون السما وأصبح
الاخيار يردون بطن
الارض اما ترى الدنيا تقبل
اقبال الطالب وتدبر ادبار
المهارب وتتصل وصال
المهلك وتنفارق فراق
العجول فخيرها يسير وعيشها
قصير واقبالها خديعة
وادبارها خبيعة ولذاتها
قانية وتبعاتها باقية فاغتنم
عقوة الزمان واتهنز فرصة
الامكان وخذ من نفسك
لنفسك وتزو من يومك
لعدك ولا تنافس أهل

الدنيا في خفض عيشهم واين رياشهم ولكن انظر الى سرعة طعنهم وسوء منقلبهم قال الشاعر
رب مغروس يعاش به * عدمته عين مغترسه وكذلك الدهر مائة * أقرب الاشياء من عرسه

الشرق
وقد قال الناهي

تنافس في الدنيا غروا وانما * قصارى غناها ان تؤول الى الفقر وانما في الدنيا كركب سفينة * تظن وقوفها الزمان بها يجري
ولبعض الشعراء تروح الى الدنيا غير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور امور (٣٨) وتجري الليالي باجمة ساع وفرة

وتطلع فيها النجوم وتعود
فمن ظن ان الدهر باق

سروره

فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عن صبر الهم واحدا
وأيقن ان الدائرات تدور
(وقال وهب بن منبه)

قرأت في كتب بعض

الاتباء عليهم السلام ان

المسيح اجتاز بجمجمة هائلة

عظيمة نخرة فقال له أصحابه

يا روح الله لو سألت الله

تعالى ان يستنطق هذه

الجمجمة فعمى تخبرنا بما

وأنة من العجائب ففعل

فأنطقها الله تعالى فقالت

يا روح الله اني عشت ألف

سنة واستولدت ألف ذكر

وافتحت ألف مدينة

وهزمت ألف جيش

وقتل ألف جبار وصيحت

الدهر واختبرته وامتنعت

تقلبه وانقلابه فلم أر شيئا

أشد من طالح بلي أمر صالح

ولم أجدهم ذا الدهر شيئا

أنفع من الصبر ومساملة

أهله ولم أر هلاك أهله الا في

الحرص والطمع ووجدت

العز في الرضا بالقسم وقال

محمد بن أبي العتاهية آخر

شعره قال أبي في مرضه الذي

توفي فيه رحمه الله

الهي لا تعذبني فاني

مقر بالذي قد كان مني

اذا فكرت في قديمي عليها

عضضت أنامل وقرعت سني

أجن بزهر الدنيا جونا * وأقطع طول عمري بالتي

وبين يدي ميعات عظيم * كافي قد دعيت له كافي

الشرق منها وفي آخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد ومرفقها الى جنوب المغرب
الاولى بلد اشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدتها سكرية تحت جبل أوراس المتصل بدرن كما مر ذلك عند
آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو
الثالث من جنوبه ذاهبا فيه من غرب الى شرق فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله
فالقطة الجنوبية بيعة عن جبل درن غربا فيها كله مغاور وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقا ارض
ودان التي بقيتها في الاقليم الثاني كما مر والقطة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب
منها جبل أوراس وتبسة والاولى على ساحل البحر بلابونة ثم في سمت هذه البلد شرقا بلاد افر يقية
فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهديّة وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر
وقفصة ونقزوة وفيما بينهما وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسلات وسيطة وعلى سمت هذه
البلاد كلها شرقا بلد طرابايس على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبل درن وقرة من قبائل هواة متصلة
بجبل درن وفي مقابلة غدامس التي مر ذكرها في آخر القطة الجنوبية وية وآخرة هذا الجزء في الشرق وسوية
ابن مشكورة على البحر وفي جنوبها بحالات العرب في ارض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم يمر
ايضا فيه جبل درن الا أنه ينقطع عند آخره الى الشمال ويذهب على سمتة الى أن يدخل في البحر الرومي
ويسمى هنالك طرف أو ثان والبحر الرومي من شماله غمر طائفة منه الى أن يضايق ما بينه وبين جبل درن
فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية ارض ودان وبحالات العرب فيها ثم زوية ابن خطاب ثم
رمال وقفار الى آخر الجزء في الشرق وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار
تجول فيها العرب ثم اجدانية ثم برقة عند منقطع الجبل ثم طلوسة على البحر هنالك ثم في شرق المنعطف من
الجبل بحالات هيب ورواحة الى آخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الاعلى من غربيه صحارى
برقيق وأسفل منها بلاد هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة منه الى الجنوب
حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى بينه وبين آخر الجزء قفار تجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا بلاد القيوم وهي
على مصب أحد الشعابين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الاقليم
الثاني ويصب في بحيرة قيوم وعلى سمتة شرقا ارض مصر ومدينتها الشبهيرة على الشعب الثاني الذي يمر
بداص من بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني ويقترق هذا الشعب اقترقة ثانية من تحت مصر على
شعبين آخرين من شطونف وزقني وينقسم الايمن منهما من قرمط بشعبين آخرين ويصب جميعها في البحر
الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلاد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلدرشيد وعلى مصب
الشرقي بلاد ميناو وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية أسافل الديار المصرية كلها المحشوة
عمرانا وفلجا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام وكثيرا على ما وصف وذلك لان بحر القلزم
يشتمل من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لانه في ممره مبدئ من البحر الهندي الى الشمال
ينعطف آخذا الى جهة الغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طوية فيتمت في الطرف الغربي
منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم ايلة مدين ثم الحو راء في آخرها
ومن هنالك ينعطف بساحله الى الجنوب في ارض الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي
الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثير من غربيه عليها القمر والعر يش
وقارب طرفها بلاد القلزم فيضايق ما بينهما من هنالك وبقي شبه الباب مقصيا الى ارض الشام وفي غربي

في الى حيلة الارجائي * وعفوك ان عقوت وحسن ظني * وكمن زلة لي في البرايا * وأنت على ذو فضل ومن

عضضت أنامل وقرعت سني * أجن بزهر الدنيا جونا * وأقطع طول عمري بالتي * وبين يدي ميعات عظيم * كافي قد دعيت له كافي

ولو اني صدقت الله فيها
ايكم يعرف قس بن ساعدة

(٣٨)

قلت لاهلها اظهر الحن (وقال ابن عباس) لما ورد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال رجل لست انساه بعكاظ على جل احمر وهو يخطب

الناس ويقول ايها الناس
اجتمعوا فاذا اجتمعتم
فاسمعوا فاذا سمعتم فعدوا
فاذا وعدتم فقولوا فاذا قلتم
فاصدقوا من عاش مات
ومن مات فات وكل ما هو
آت آت ان في السماء كنجرا
وان في الارض اعبرام هاد
موضوع وسقف مرفوع
ونجوم تدر وبجر لا يدر
اقسم قس قسم حقي لا
كذب فيه ولا اثم لئن كان
في الارض رضا لكونن
خطا ان الله ديناهو
احب اليه من دينكم هذا
الذي انتم عليه مالي ارى
الناس يذهبون ولا
يرجعون ارضوا بالقسام
فقاموا اوتركو اعلى حالهم
فناموا ثم قال ايكم يروى
شعره فانشده
في الذاهبين الاولى
ن من القرون لنا بصائر
لما رايت موارد
للموت ليس لها مصاد
ورايت قومي نخوها
تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي
لما ولا من الباقيين غابر
سكنوا البيوت فوطنوا
ان البيوت هي المقابر
ايقنت اني لاحما
لما حيث صار القوم صائر

هذا الباب فخص التيه ارض جرداء لا تنبت كانت مجالا لابي اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم
الى الشام اربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طائفة من خيرة
قبرس وبقية في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المتضيق للبحر
السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذه البحر ثم تخط هذه
القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وغزة وهنالك ينتهي البحر الرومي في
جهة الشرق وعلى هذه القطعة أكثر سواحل الشام في شرقه عسقلان وبناحراف يسير عنها الى الشمال بلد
قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا ثم غزة ثم يعطف البحر الى الشمال في الاقليم الرابع
ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم
ويذهب في ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى أن يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكانه حاجر
بين ارض مصر والشام في طرفه عند ايلة العقبة التي يمر عليها الحجاج من مصر الى مكة ثم بعده في
ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل السراة يتصل من عند جبل اللكام المذكور
من شمال العقبة ذاهبا على سمت الشرق ثم يعطف قليلا وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار غوث وديار
ودومة الجندل وهي أسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في جهة الجنوب عنها وفيما بين
جبل السراة وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمال جبل السراة مدينة القدس عند جبل اللكام ثم الاردن
ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى اذرعاء وفي سمتها شرقا دومة الجندل آخر هذه الجزء وهي آخر الحجاز
وعند معطف جبل اللكام الى الشمال من آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من
القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينهما وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة
حاص في الجهة الشمالية آخر الجزء عند معطف جبل اللكام وفي الشرق عن بعلبك وحصن بلد تدمر
ومجالات البادية الى آخر الجزء وفي الجزء السادس من أعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة
ما بين جبل العرج والسمان الى البحرين وهجر على بحر فارس وفي أسافل هذا الجزء تحت المجالات بلد
الحيرة والقادسية ومغايض الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس
عند عبادان والابلة (١) من أسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر دجلة بعد أن ينقسم
بجداول كثيرة وتحتلط به جداول أخرى من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصب في بحر فارس وهذه
القطعة من البحر متسعة في أعلاه متضيقة في آخره في شرقه وضيقة عند متاه متضيقة للحد الشمالي منه
وعلى عدوتها الغربية منه أسافل البحرين وهجر والاحسا وفي غربها أخطب والصمان وبقية ارض
اليمامة وعلى عدوتها الشرقية سواحل فارس من أعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قد
امتد من هذا البحر مشرقا ووزاءه الى الجنوب في هذا الجزء جبال الققص من كرمان وتحت هـ رخر على
الساحل بالديراف ونيجير على ساحل هذا البحر وفي شرقه الى آخر الجزء وتحت هـ رخر بلاد فارس مثل
صابور ودارا بجر دونسا واصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال
عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز ونستر وصدى وصابور والسوس ورام هرخر وغيرها
وأرجان وهي حد ما بين فارس وخوزستان وفي شرق بلاد خوزستان جبال الاكراد متصلة الى نواحي
اصهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراها في ارض فارس وتسمى الرسوم وفي الجزء السابع في الاعلى منه

(١) قوله الابلة بضم الهمزة والباعوت شديد اللام اه

ثم قال الرجل لقد رايت منه عجايبا فاجتمعوا واديا فاذا انابا بين
جارية وروضة مدهامة وشجرة عادية واذا بقس بن ساعدة قاعد في أصل الشجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سبع كثيرة فكما

وردد سبع على صاحبه ضرر به بالعصا وقال تنع حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما رأيت ذلك ذعرت فعرشيد فالتفت الى وقال لا تخف فالتفت فاذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذا ان القبران قال هما قبر اخوي كانا يعبدان الله (٣٩) تعالى معي في هذا الموضع وأنا أعبد

الله بينهما حتى ألحق بهما
فقلت له ألا تلحق بقومك
فتكون في جبرتهم فقال لي
تلك أمك أو ما علمت
ان ولدا سمعيل تركت دين
أبيه واتبعك الا صنام
وعظمت الانداد ثم تركني
وأقبل على القبرين وقال
خليلي هب اطعمك قد قدما
أجد كما تقضيان كراكما
أرى النوم بين الجمل والعظم
منكما

كان الذي يسقى العقار
سقاكما

ألم تعلم أني بسمعان مفرد
ومالي فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست نازحا
طوال الليالي أو يجيب
صداكما
أبديكما طول الحياة وما
الذي

يرد على ذي غصة أن بكما كما
كانكما الموت أقرب غاية
بروح في قبريكما فداكما
سلام وتسليم وروح ورجة
ومغفرة المولى على ساكما كما
فلو جعلت نفس لنفسي
وقاية

لمحت بنفسي أن تكون
فداكما

وفي الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان
قس بن ساعدة يبعث أمة
وحده يعني ان كل أمة

من المغرب بقية جبال القفص ويلها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الرودان
والشيران وجيرفت ويزدشير والبحرج وتحت أرض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس الى حدود
اصبهان ومدينة قاصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في المشرق عن بلاد كرمان وبلاد
فارس أرض سجستان وكوهستان في الجنوب وأرض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان
وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا الجزء المفاوز العظمى القليلة المسالك لصعوبتها ومن
مدن سجستان بست والطاق وأما كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس
وقوهستان آخر الجزء وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه بحالات الجبل من أهم الترك متصلة بأرض
سجستان من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه الحالات جبال الغورو وبلادها
وقاعدتها غزنة فريضة الهند وفي آخر الغور من الشمال بلاد استراباذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد هرة
أوسط خراسان وبها السقران وقاشان وبوشنج ومرو الروذ والطالقان والجوزجان وتنتمي خراسان هنالك
الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان من غربيه مدينة بلخ وفي شرقيه مدينة ترمذ ومدينة
بلخ كانت كرسى مملكة الترك وهذا النهر نهر جيحون يخرج من بلاد جارف حدود بنخشان مما يلي الهند
ويخرج من جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى
هنالك نهر خراب ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمته الى أن يصب في بحيرة خوارزم
في الاقليم الخامس كما نذكره وبعده عند انعطافه في وسط الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة أنهار عظيمة من
بلاد الختل والوخش من شرقيه وأنهار أخرى من جبال البتم من شرقيه أيضا وجوف الجبل حتى يتسع
ويعظم بما لا كفا له ومن هذه الأنهار الخمسة الممددة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي بين الجنوب
والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا بانحراف الى الشمال الى أن يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال
هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط الجنوب في هذا الجزء ويذهب مشرقا بانحراف الى
الشمال الى أن يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة
الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الختل وليس فيه الامسال واحد في وسط
الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا وبني فيه بابا كسديا جوج وما جوج فاذا خرج نهر
وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فيمر تحتته في مدى بعيد الى أن يعرف في بلاد الوخش ويصب في
نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر بها بطا الى الترمذ في الشمال الى بلاد الجوزجان وفي الشرق عن بلاد
الغور قريبا بينها وبين نهر جيحون بلاد الناسان من خراسان وفي العدو الشرقية هنالك من النهر بلاد
الختل وأكبرها جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم ثم يخرج من طرف خراسان
غربي نهر جيحون وتذهب مشرقة الى أن يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت ويمر تحتته
نهر وخشاب كما قلناه في متصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وأنهار أخرى
تصب فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من
جبال البتم من مبدئه عند الجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلاد آدم من
خراسان وفي شرقي النهر من هنالك أرض الصغد وأسر وشنة من بلاد الترك وفي شرقها أرض فرغانة أيضا
الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك تحوزها جبال البتم الى شمالها وفي الجزء التاسع من غربيه أرض
التبت الى وسط الجزء وفي جنوبها بلاد الهند وفي شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي أسفل هذا الجزء

أمنت بنبيها تبعث أمة وحدها لا يخاطها غيرها ويبعث قس أيضا وحده أمة ليس معه أحد (ويروي) ان المهدي نام يوما فأنشد في نومه
هذه الأبيات كلني هذا القصر قد بادأه له واوحش منه ركنه ومنازله فلم يبق الا ذكره وحديثه ينادي بابل معولات ثواكله

فما أنت عليه عشرة عشرة حتى مات (وأشددني) القاضي أبو العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة هذه الايات بالله ربك كم قصر مررت به
قد كان يعمر بالذات والطرب (٤٠) طارت عقاب المنيا في جوانبه * فصاح من بعده بالويل والحرب وأشددني أيضا

شمالا عن بلاد التبت بلاد الخنزلية من بلاد الترك الى آخر الجزر شرقا وشمالا ويتصل بها من غربها
أرض فرغانة أيضا الى آخر الجزر شرقا ومن شرقها أرض التغرغر من الترك الى آخر الجزر شرقا وشمالا
وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين وأسافلها وفي الشمال بقية بلاد التغرغر ثم شرقا عنهم
بلاد خرخير من الترك أيضا الى آخر الجزر شرقا وفي الشمال من أرض خرخير بلاد كتمان من الترك
وقبالتها في البحر المحيط جزيرة الباقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى
أعلامه من خارجه صعب في الغاية وفي الجزيرة حياة قتالة وحصى من الياقوت كثيرة فيحتال أهل تلك
الناحية في استخراجها بما يلهوهم الله اليه وأهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع والعاشر فيمورا وخراسان
والجبال كلها بحالات للترك أم لا تحصى وهم طواغيت ورجال أهل ابل وشاه وبقرو خيل للنتاج والركوب
والاكل وطوائفهم كثيرة لا يحصوهم الا خالقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون ويعزون
الكفار منهم الدائنين بالجنسية قبيحة عن رقيتهم لمن يليهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق
(الاقليم الرابع) يتصل بالثالث من جهة الشمال * والجزء الاول منه في غربيه قطعة من البحر المحيط
مستطيلة من أوله جنوبا الى آخره شمالا وفي الجنوب مدينة طنجة ومن هذه القطعة تحت طنجة من
البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج متضيق بمقدار اثني عشر ميلا من طرفي الجزيرة الخضراء
شمالا وقصر الحجاز وسبعة جنوبا وبو يذهب مشرقا الى ان ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم
وينفتح في ذهابه بتدرج الى ان يغمر الاربعة اجزاء أكثر الخامس ويغمر عن جانبه طرفان من الاقليم
الثالث والخامس كما سنذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي أيضا وفيه جزائر كثيرة أعظمها في جهة الغرب
يابسة ثم ما يرقه ثم منقرة ثم سردانية ثم صقلية وهي أعظمها ثم بلونس ثم افرطس ثم قبرص كما نذكرها
كلها في اجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من
الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال ثم ينحرف عند وسط الجزء من جوفه ويمر مغربا
الى ان ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه أيضا في آخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس
خليج القسطنطينية يمر في الشمال متضيقا في عرض رمية السهم الى آخر الاقليم ثم يقضي الى الجزء الرابع
من الاقليم السادس وينحرف الى بحر زبطين ثم يذهب الى الشرق في الجزء الخامس كله ونصف السادس من
الاقليم السادس كما نذكر ذلك في أماكنه وعند ما يخرج هذا البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة
وينفتح الى الاقليم الثالث يبقى في الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على
مجمع البحرين وبعدها مدينة سبته على البحر الرومي ثم طاون ثم بادريس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا
الجزء شرقا ويخرج الى الثالث وأكثر العمارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي كلها بلاد
الاندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي وله ساطر يف عند مجمع البحرين وفي الشرق منها
على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط
غربا وعلى مغربه منه شريش ثم لبلبة وقبالتها فيه جزيرة قادس وفي الشرق عن شريش وبلبله اشبيلية ثم
اسبجة وقرطبة ومديلة ثم غرناطة وجيان وأبدية ثم وادياش وبسطة وتحت هذه شجرة وشلب على
البحر المحيط غربا وفي الشرق عنهما بطليوس وماودة وبابرة ثم غافق وبزجالة ثم قلعة رياح وتحت هذه
اسبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر باجة وفي الشرق عنها شترين وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة
السيف ويسامت اشبونة من جهة الشرق جبل الشارات يمد من المغرب هنالك ويذهب مشرقا مع آخر

أيها الرفع البناء ويد
لن تذود المنون عنك المباني
ان هذا البناء يبقى ويبقى
كل شيء ابقى من الانسان
(وقال المحكم بن عمرو)
قال ابو جعفر المنصور عند
موتة اللهم ان كنت تعلم
أني ارتكبت الامور العظام
جرأة مني عليك فانك
تعلم اني قد اطعتك في أحب
الاشياء اليك شهادة ان
لا اله الا الله منامك لا منا
عليك * وكان سبب احرامه
من الخضراء أنه كان يوما
نائما فأتاه آت في منامه
فقال

كأن في هذا القصر قد بادأه
واوحش منه أهله ومنازله
وصار عديد القصر من بعد
بهجة
الى تر به تسقى عليه جناده
فاستيقظ مرعوبا ثم نام فأشدد
أبا جعفر حانت وفاتك
وانقضت

سنوك وأمر الله لا بد واقع
فهل كاهن أعددته ومنجم
أبا جعفر عنك المنية دافع
فقال يا ربيع اثنتي
بطه وري فقام واغتسل
ولبى وتجهز للجمع ثم قال
يا ربيع القتي في حرم الله
تعالى (وأشددني) القاضي أبو
العباس الجرجاني بالبصرة

ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك قارون زم الامور وفاعطته مقادتها *
وسخر الناس بالتشديد واللين حتى اذا ظن ان لا شيء غالبه * ومكنت قدماه أي تمكين راحت عليه المنيا بروحة تركت *
الجزء

ذا الملك والعز تحت الماء والطين وأنشدني أبو محمد التميمي ببغداد
إذا ما صار أخواني رفاتا * وصرت لفقدهم فردا وحيدا * أعان معشر المهمل شكول * (٤١) وأشكال كالي دعاة تنقوا للحدود

(ومن زهد في الدنيا) وأصغر

عبو بهما من أبناء الملوك

أبو عقاب علوان بن الحسن

من بني الأغلب وهم ملوك

المغرب وكان ذا نعمة ومالك

وله فتوة طاهرة قناب إلى

ربه ورجع عن ذلك رجوعا

فارق نظرا له فرفض المال

والاهل وهجر البناء والوطن

وبلغ من العبادة مبلغا ربي

فيه على المجتهدين وعرف

باجابة الدعوة وكان عالما أدبيا

قد صبح عدة من أصحاب

سجنون وسمع منهم ثم انقطع

إلى بعض السواحل فصحب

رجلا يكنى أباهرون

الاندلسي منقطعا متبلا

إلى الله تعالى فلم يرمه

كبير اجتهاد في العمل فينا

أبو عقاب يتجهدي بعض

الديالى وأبو هرون نائم

اذغالبه النوم فقال لنفسه

يا نفس هذا عابد جليل

القدر ينام الليل كله وأنا

أسهر الليل كله فلو أرحت

نفسى فوضع جنبه ف رأى

في منامه شخصا فتلا عليه

أم حسب الذين اجترحوا

السئات أن يحملهم كالذين

آمنوا وعملوا الصالحات

إلى آخر الآية فاستيقظ

فزعو علم أنه المراد فأيقظ

أباهرون وقال له سألتك

بالله هل أتيت كبيرة قط

قال لا يا ابن أخي ولا صغيرة

الجزء من شماله فتمت إلى مدينة سالم فبعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلبة برة في الشرق من
فوزنه ثم طليطلة ثم وادي الحجاز ثم مدينة سالم وعند أول هذا الجبل فيما بينه وبين أشبونة بلد قلريه
هذه غربي الاندلس * وأما شرقي الاندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد المارية قرطاجنة ثم لفتة
ثم دانية ثم بلنسية إلى طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها شامالا ليرة وشقورة تتأخران بسطة
وقلة قرياح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة تحت بلنسية شمالا ثم شقورة ثم طرطوشة ثم
طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالا أرض منجالة وريدة متأخران لشقورة وطليطلة من الغرب ثم
افراغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة أيوب ثم سرقسطة
ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثاني من هذا الاقليم غمر الماء بجميعه الاقطعة من غربيه
في الشمال فيها بقية جبل البرنات ومعناه جبل الشنايا والسالك يخرج اليه من آخر الجزء الاول من
الاقليم الخامس يبدأ من الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوا وبوشرقا ويمر في
الجنوب بانحراف إلى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع من ارتفاع الجزء الاول منه إلى هذا الجزء الثاني
فيقع فيه قطعة منه تفضى ثناياها إلى البر المتصل وتسمى أرض غش كوني وفيه مدينة خريدة وقرقشونة
وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برة ثم أربونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر
كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغر هافي غربيه جزيرة سردانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة
الاقطار يقال ان دورها سبع مائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها سرقسطة وبلر وطرابرعة
ومازرومسيني وهذه الجزيرة تقابل أرض افرقية وفيها بين ما جزيرة أعدوش ومالطة والجزء الثالث
من هذا الاقليم مغمورا أيضا بالبحر الاثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها أرض قلوريه والوسطى
من أرض ابكرده والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمورا أيضا بالبحر كما مر
وجزائره كثيرة وأكثرها غير مسكون كافي الثالث والمعمور منها جزيرة بلونس في الناحية الغربية الشمالية
وخريرة افرطيش مسطوية من وسط الجزء إلى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا
الاقليم غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها إلى آخر الجزء في الشمال
وينتهي الضلع الجنوبي منها إلى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو
الثلث يمر الشمال منها إلى الغرب منقطع مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها أسافل الشام ويمر في
وسطها جبل اللكام إلى أن ينتهي إلى آخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ذاهبا إلى القطر الشرقي
الشمالى ويسمى بعد دانية فاجبل السلسلة له ومن هنالك يخرج إلى الاقليم الخامس ويجوز من عند
منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة إلى جهة الشرق ويقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة
بعضها بعض إلى أن ينتهي إلى طرف خارج من البحر الرومي متأخر إلى آخر الجزء من الشمالى وبين هذه
الجبال ثنايا تسمى الدروب وهي التي تفضى إلى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين
جبل السلسلة فأمال جهة الجنوبية التي قدمنا فيها أسافل الشام وأن جبل اللكام معترض فيها بين
البحر الرومي وآخر الجزء من الجنوب إلى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد أنطرطوس في أول الجزء من
الجنوب متاخمة لغزة وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث في شمال أنطرطوس جبل ثم اللاذقية
ثم اسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم وأما جبل اللكام المعترض بين البحر وآخر الجزء
بحفافيه فيصاقيه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوبا من غربيه حصن الحوانى وهو الخشيشة

(٦ - ابن خلدون) عن تميم والمحمد لله فقال أبو عقاب لهذا انعام أنت ولا يصلح لمثلى الا الكد والاجتهاد ثم دخل إلى مكة ولزم بيت
الله الحرام ورجع مرارا ورجع إلى عباد المشرق وكان يعمل بالقرية على طهارة بقوة ومات بمكة وهو ساجد في صلاة الفريضة بالجمعة

الحرام سنة ست وتسعين وما ثنين وقال له رجل كان يعجبه يوم الى اليك حاجة فقال له بعد المجهد به حاجتك مقضية قال ان كان لك شهوة
أخبرني بها قال نعم أشتري أن آكل (٤٢) رأسا قال فاشتريت له رأسين ولققتهم في رفاق وجئته بهما ثم سأله بعد أيام هل طاب لك

الرأسان قال لا ما هو الا أن
فتحتهم فاذا هم محشوان
دود ليس فيه ما البتة
ثم الا الدود فأتيت الرأس
فاخبرته فأطرق متعجبا ثم
قال ما ظننت أن في زماننا
احدا يحصى عن المحرام
هذه الحماية تلك الرؤس
كانت من غنم اتيها بعض
العمال ثم أعطاني رأسين
من غير تلك الغنم فأتيت
بهما اباعا قال فاكلهما
فاخبرته بما قال الرأس
فبكي ثم قال يارب ما كان
يستحق عبدك أبوعقال
مثل هذه الحماية ولا كنهه
يارب فضلك وكرمك فلك
على يارب أن لا آكل طعاما
بشهوة أشتريها حتى ألقاك
ان شاء الله تعالى وكانت
له أخت متعبدة فلما ماتت
لمحت قبره بمكة وبكت
عليه وكتبت عليه هذه
الابيات
ليت شعري ما الذي عاينته
بعد دوم الصوم مع نفي
الوسن
مع عزوف النفس عن
أوطارها
والتخلي عن حبيب وسكن
يا شقيق ليس في وجدى به
علة تمنعني عن أن أجن
وكما تبلى وجوه في الثرى
فكذلك تبلى عليهن الحزن

(و روى) ان رجلين تنازعا في أرض فانطق الله لينة من جدار تلك الأرض فقالا في كنت ملكا من الملوك والفرات
ملكك الدنيا الف سنة ثم وصرت رميا الف سنة فاخذني بخراف واتخذني خرفا ثم اخذني وضربني لبنا وانا في هذا الجدار كذا وكذا

سنة فلم تمانع ان في هذه الارض (ومن اعجب) ماروي في الاسماء ان ابنة من بنات الملوك تزهت في الدنيا وتابت وخرجت من ملكها ففقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها اثر وكان هناك دير للمعتدين فلحق بهم شاب (٤٣) يتبعه فابصر وامنه من الاجتهاد والجد

والقرات قبل مجيئهم ما بعد ادهى بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقتها ببغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلاد جلولا وفي شرقها عند الجبل بلاد حلوان وصيرة واما القطعة الغربية من الجزء فيعتبرها جبل يمد من جبل الاعاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهردرو ويقسمها بقطعتين وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلاد خوجان في الغرب والاعمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد الملوس وفي وسطها بلدانها وند وفي شمالها بلد شهردرو وفي باعند ما تبقى الجبلين والدينور شرقا عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق يسمى بارياو وهو مسكن للكراد والزبان الكبير والصغير الذي على دجلة من ورائه وفي آخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز والبيلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نبطش وهو بحر الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم من غربه وجمو به معظم بلاد الملوس وفيها همزان وقزوين وبقية في الاقليم الثالث وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها من الجنوب جبل يخرج من غربها ويمر بالاقليم الثالث ثم ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق في شرقيه الذي مر ذكره هنالك وأنه يحيط ببلاد الملوس في القطعة الشرقية ويحيط هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد الملوس من شرقها وتحت ههناك قاشان ثم قم وينعطف في قرب النصف من طريقه مغربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنخرقا الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل على منطقة واسعة تدارته على بلاد الري في شرقيه ويبدأ من منعطفه جبل آخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه من هنالك قزوين ومن جانبه الشمالي وجانب جبل الري المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من بحر طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو النصف من غربه الى شرقه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر على سمته مشرقا وبانحراف قليلا الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل الري وههنا الجبل من عند مبدئها بالاجرجان فيما بين الجبلين ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقعة المفازة التي بين فارس وخراسان وهي في شرقي قاشان وفي آخرها عند ههنا الجبل بلاد اساترا باذو حقا في ههنا الجبل من شرقيه الى آخر الجزء بلاد نيسابور ومن خراسان في جنوب الجبل وشرق المفازة بلاد نيسابور ثم مرو والشاهان آخر الجزء وفي شماله وشرق جرجان بلد مهرجان وخازرون وطوس آخر الجزء مشرقا وكل ههنا تحت الجبل وفي الشمال عنها بلاد نسا ويحيط بها عند ذواوية الجزأين الشمال والشرق مفازة عظيمة وفي الجزء الثامن من ههنا الاقليم وفي غربيه ههنا رجيحون ذاهبا من الجنوب الى الشمال ففي عدوته الغربية روم وآمل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل استراباذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في ههنا الجزء من غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقعة بلاد هراة ويمر الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجورجان حتى يتصل بجبل البتم كذا كراهه هنالك وفي شرقي نهر رجيحون من هذا الجزء وفي الجنوب منه بلاد بخارى ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اسروشة ومنها خجندة آخر الجزء مشرقا وفي الشمال عن سمرقند واسروشة

الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود في بعض الامرافكرمه ابن هود ثم اخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخرائس امواله وما حوته من البضياء والمجرا وأحجار الباقوت والجواهر وأمنالها ونفائس الاعلاق والجوارى والحشم والاجناد والكرام والسلاح

فأقاموا في ذلك أياما فلما انتهت قال له كيف رأيت ما لي قال قد رأيت ما كوا لكنه يعوزك فيه خصلة ان أنت قدرت عليها فقيها نظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك (٤٤) لا شيء قال وما تطلب الخصلة قال تعمدت صنع غطاء عظيم احصينا قويا وتكون مساحته

قدر البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله اوي قدر البشر على هذا فقال العلي يا هذا انقذت بامر تتركه غدا ومثال من يقتخر بما يقوى كمن يقتخر بما يراه في النوم (ويروي) ان ملكا من الملوك بنى قصر او قال انظر وامر عاب منه شيئا فاصلى حوه وأعطوه درهمين فأنا به رجل فقال ان في هذا القصر عيبين قال وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه وترك الدنيا (ومن عجائب) أخبار الخضر عليه السلام سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رأيته في الدنيا في طول سياحتك وكثرة خلواتك وقطعتك القفار والقلوات قال أعجب ما رأيته اني مررت على مدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فساءلت بعضهم متى بنيت هذه المدينة قالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا اجدادنا متى بنيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحن وامر خمسة عام وعبرت عليها بعد ذلك

ارض يلاق ثم في الشمال عن يلاق ارض الشاش (١) الى آخر الجزء شرقا و يأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضا في الجزء الثامن الى أن ينصب في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض يلاق نهر ياتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يمد من الاقليم الخامس وينعطف شرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطا بأرض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هناك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض بخارى وخوارزم مفاوز معطلة وفي زاوية هذا الجزء من الشمال والشرق ارض خجندة وفيها بلد السنجاب وطراز وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد ارض فرغانة والشاش ارض الخزر لينة في الجنوب وارض الخليجية في الشمال وفي شرق الجزء كله ارض الكيما كية ويتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوقيا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هنالك وهو جبل أجوج ومأجوج وهذه الامم كلها من شعوب الترك انتهى (الاقليم الخامس) * الجزء الاول منه أكثره معمر وبالماء الا قليلا من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط بهذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فأما المنكشف من جنوبه فقطعة على شكل مثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنها ماضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بقية غرب الاندلس سبعة وعشرون على البحر عن دواول الجزء من الجنوب والغرب وسلسلة شرقا منها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن سلسلة يلة آخر الجنوب وارض قسالة شرقا منها وفيها مدينة شقونية وفي شمالها ارض ليون وبرغشت ثم وراءها في الشمال ارض جليقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع الغربي بلد شنيافو ومعناه يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندلس مدينة شطلمة عند آخر الجزء في الجنوب وشرقاً عن قسالة وفي شمالها وشرقها وشقة وينبلونة على سمتها شرقا وشمالا وفي غرب ينبلونة قسالة ثم ناجزة فيها بينا وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذ للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به وبطرف البحر عند ينبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل ان يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حجرا على بلاد الاندلس من جهة الشرق وثناياه ابواب لها تنفض الى بلاد غشكوينة من امم الفرنج فيها من الاقليم الرابع برشلونة واربونة على ساحل البحر الرومي وخريدة وقرقشونة وراهما في الشمال ومنها من الاقليم الخامس طلوشة شمالا عن خريدة وأما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مسطيل زاوية الحادة وراء البرنات شرقا وفيها على البحر المحيط على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرنات بلديونية وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء ارض بنطون من الفرنج الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في الناحية الغربية منه ارض غشكوينة وفي شمالها ارض بنطون وبرغشت وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكوينة في شمالها قطعة ارض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة الى الشرق قليلا واصوات بلاد غشكوينة في غربها داخل في جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نيت جون وفي شماله وعلى سمتها ارض برغونة

(١) في المشترك اقليم يلاق متصل باقليم الشاش لافضل بينهم وهو بكسر الهمزة وسكون الياء بعدها اه

واذا هي غاوية على عروشها ولم أر أحد أسأله واذا رعاة غنم قد نوت منهم فقلت أين المدينة التي كانت ههنا

وفي

قالوا سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا اجدادنا أنه قط كانت ههنا مدينة فعبت عنها نحن وامر خمسة عام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك

المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية ففقات لبعض الغواصين منذ كان هذا البحر ههنا فقال سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا أجدادنا الآن هذا البحر مذبح الله الطوفان ثم غبت عنها نحو من خمسمائة عام (٤٥) ثم انتهت اليها واذا ذلك البحر قد غاض ماءه واذا مكانه غبضة

وفي الشرق عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف آخر خارج منه يبق بينهما جون داخل من البر في البحر في غريبه بيش وفي شرقيه مدينة رومة العظمى كرسى ملك الافرنجية ومسكن البابا بتر كهم الاعظم وفيها من المبانى الضخمة والهياكل المهولة والكنائس العادية ما هو معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجارى في وسطها من المشرق الى المغرب مغروش قاعه ببلات النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الخواريين وهما مدفونان بها وفي الشمال عن بلاد رومة بلاد افرنجية الى آخر الجزء وعلى هذا الطرف من البحر الذى في جنوبه رومة بلاد تابل في الجانب الشرقى منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء وانتهى الى نحو الثالث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلاية في الاقليم السادس وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في غريبه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط بهما من شرقيه يوصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين حراما من البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء في شرقى بلاد قلورية بلاد انكلاية في جون بين خليج البنادقة والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجون في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت الشمال ثم ينعطف الى الغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالى ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه في الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى ان ينتهى قبالة خليج في شماليه وفي بلاد انكلاية من أم المانية ين كند كرو على هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ما دامنا ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبنا الى المغرب فبينهم ما بلاد حروا يانهم بلاد الالمانيين عند طرف الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعه من البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مضرسة كلها بقطع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين كل ضرسين منها طرف من البحر في الجون بينهما وفي آخر الجزء شرقا قطع من البحر ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر نيظس في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلاد القسطنطينية في شرقى هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهى المدينة العظيمة التى كانت كرسى القيصرية وبها من آثار البناء والضخامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التى ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء وفيها بالادمة ودونية التى كانت لابونانيين ومنها ابتداء ملوكهم وفي شرقى هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من أرض باطوس وأظهر هذا العهد مجالات للترك وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بها برصة وكانت من قبلهم للروم وغلبهم عليها الامم الى ان صارت للترك وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غريبه وجنوبه أرض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقى عمورية نهر قباقيب الذى يمد القرات يخرج من جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يخالط القرات قبل وصوله من هذا الجزء الى عمرة في الاقليم الرابع وهنالك في غريبه آخر الجزء في مبداء نهر سيجان ثم نهر جيحان غريبه الذاهبين على سمتهم وقد مر ذكرهما وفي شرقه هنالك مبداء نهر الدجلة الذاهب على سمتهم وفي موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفي الزاوية التى بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذى يبدأ منه نهر دجلة بلاد ميفارقين ونهر قباقيب الذى ذكرناه يسمه هذا الجزء بقطعة بين احدهما غريبه جنوبية وفيها أرض

ملقة بالقصب والبردى والسباع واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق صغار فقات لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقال سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا أجدادنا كان ههنا قط بحر فغبت عنها نحو من خمسمائة عام ثم انتهت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة على حاله الاولى والخصون والقصور والاسواق قائمة فقات لبعضهم أين الغبضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا أجدادنا الآن هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحو من خمسمائة عام ثم انتهت اليها فاذا عاليا ساقلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر احدا أسأله ثم رأيت رعايا نسألتهم أين المدينة التى كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا أجدادنا الآن هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومقني البالد ووارث

الارض ومن عليها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الشاعر) قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتوشوقا فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى فعرز الملتقى كم قد وقفت بها أسائل مخبرا * عن أهلها واناطقا أو مشقفا

(ومن الشعر) المستحسن في هذه الابيات قول القائل رب ورفاء هتوف بالضحى ذات شجوصدحت في فتن ذكرت القلادهر اصالحا
فبكت حزنا فهاجت حزني فبكائي ربما رقتها (٤٦) وبكاهار بما رقتي فاذا تسعدني أسعدها واذا اسعد هتاسعدني ولقد تشكروا فافهمها

باطوس كما قلناه واسافلها الى آخر الجزء شمالا وراء الجبل الذي يدا منه من قرب اقاب ارض عمورية كما
قلناه والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثلث في الجنوب منها مبدأ الدجلة والفرات وفي الشمال بلاد
البيلقان متصلة بارض عمورية من وراء جبل قباقيب وهي عريضة وفي آخرها عند مبدأ الفران بلاد
خرشنة وفي الزاوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر نيطنس الذي يده خليج القسطنطينية وفي الجزء
السادس من هذا الاقليم في جنوبه وغربه بلاد ارمينية متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق
وفيها بلاد اردن في الجنوب والغرب وفي شمالها تقيس وديبل وفي شرق اردن مدينة خلاط ثم بردعة وفي
جنوبها بانحراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك مخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك
بلاد المارعة في شرقي جبل الاكراد المسمى بارمي وقدمرذ كره في الجزء السادس منه ويتاخم بلاد ارمينية في
هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد اذربيجان و آخرها في هذا الجزء شرقا بلاد
اردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان
وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان ويبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية
في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس فقمرية منه منطقة ومحطة
بيلا ميفارقين ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسة في أسافل الشام ومن
هنالك يتصل بجبل الاسكاف كما مرو بين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانيا كالبواب تقضي من
الجانبة بين في جنوبها بلاد الابواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة
باب الابواب وتتصل بلاد الابواب في الغرب من ناحية جنوبها ببلاد ارمينية وبينها ما في الشرق
وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من
هذا الجزء في غربها مكة السري في الزاوية الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء كله قطعة أيضا
من بحر نيطنس الذي يده خليج القسطنطينية وقدمرذ كره ويحفظ به هذه القطعة من نيطنس بلاد
السرير وعليها منها بلاد اطرابريده وتتصل بلاد السرير بين جبال الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى
ان ينتهي شرقا الى جبل حاجر بينهما وبين ارض الخزر وعند آخرها مدينة وصول ووراء هذا الجبل الحاجر
قطعة من ارض الخزر تنتهي الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان و آخر الجزء
شمالا والجزء السابع من هذا الاقليم غربيه كله مغموور بحر طبرستان وخرج من جنوبه في الاقليم
الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم الى قزو وفي غربي تلك القطعة
متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع ويتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء
السادس من شرقه أيضا وينكشف من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهران
في هذا البحر ويبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات للغز من أم الترك
يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى مادون وسطه فينطفئ
الى الشمال الى ان يلاقى بحر طبرستان فيحذف به ذهابا معه الى بقيته في الاقليم السادس ثم ينطفئ مع
طرقه ويفارقه ويسمى هنالك جبل سياه ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع
جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين ارض
السرير وارض الخزر واتصلت ارض الخزر في الجزء السادس والسابع حق في هذا الجبل المسمى جبل
سياه كما سيأتي والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجالات للغز من أم الترك وفي الجهة الجنوبية

ولقد تشكروا فافهمها
غير اني بالجوى أعرفها
وهي ايضا بالجوى تعرفني
(ونظر) وجبل من العباد
الى باب ملك من الملوك
وقد شيدوا آتقنه وزوقه
فقال باب حديد وموت
عقيد ونزع شديد وسفر
بعيد (ولما نقل) عبد
الملك بن مروان رأى غسالا
يلوى يده ثوبا فقال
وددت اني كنت غسالا
لا أعتش الابعاء اكسبه
يوما فيوما فبلغ ذلك أبا
حازم فقال الحمد لله الذي
جعلهم يتنون عند الموت
ما نحن فيه ولا نمتي عنده
ما هم فيه (وقال) رسول
الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اعوذ بك من علم
لا ينفع ونفس لا تشبع
وقلب لا يمشع وعين
لا تدمع هل يتوقع أحدكم
من الدنيا الا غني مطعيا
او فقرا منسبلا او مرضا مقسدا
او هراما مقننا او الدجال
والدجال شر غائب ينظر
او الساعة والساعة أدهى
وأمر (وقال) عيسى عليه
السلام اوحى الله الى الدنيا
من خدمني فاحدميه
ومن خدمك فاستخدميه
يادنا تمررى على أوليائى
ولا تحلولى لهم ففقتنهم

(وقال) مؤرق العلي بابن آدم في كل يوم يؤتى برزقك وتحزن وينقص عمرك وأنت لا تحزن تطلب ما يطعمك الغربية
وعندك ما يكفيك لا قبله لا تنفع ولا يكثير تشبع (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) في خطبته أيها الناس ان الايام تطوى والاعمار

تبقى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يترا كضان ترا كض البريد يقر بان كل بعيد ويخلفان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما لم ي
عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح (٤٧) كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا

وكالكاس من العسل في

اسفله السم للذائق منه

حلاوة عاجلة وله في اسفله

لموت الذعاف وكالاحلام

للناغم التي تفرحه في منامه

فاذا استيقظ انقطع الفرح

وكالبرق الذي يضيء قليلا

ويذهب وشيكا ويبقى

رائيه في الظلام مقمعا

وكدودة الابر يسم التي

لا يزداد الابر يسم على

نفسه انقا الازدادت من

الخروج بعدا (وفيه قال

القائل)

كدود كدود القز ينسج

دائما

ويهلك فيما وسط ما هو

ناسجه

ومثال من يستعجل زهرة

الدنيا ويعرض عن الدار

الاخرة مثال رجلين لقطا

من الارض جنى عنب

فاما احدهما فجعل يص

الحبة التذاذ بها ثم بلعها

واما الاخر فزرع الحبة فلما

كان بعد زمان النضيا

فاما الذي زرع الحبة وجدها

قد صارت له كرما وكثرت

ثمرته وفكر الاخر في صنعه

في الحبة فوجدها قد صارت

عذرة وليس عنده منها شيء

الا الحسرة على تفریطه

والغبطة لصاحبه (وقال)

وهب بن منبه اوحى الله

الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثلثمائة ميل ويصب فيها نهر كنديرة من
ارض هذه الجبال وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة عرعون دورها اربع مائة ميل وماؤها حلو وفي
الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغار ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل بالجزء
وفي الجنوب عن بحيرة عرعون جبل من الحجر الصلد لا يذوب شيئا سمي عرعون وبه سميت البحيرة وينجذب
منه ومن جبل مرغار شمالا الى البحيرة انهار لا تنحصر عدتها فتصب فيها من الجانبين وفي الجزء التاسع من
هذا الاقليم بلاد اركس من اعم الترك في غرب بلاد الغزو وشرق بلاد الكيما كيتو ويحفر به من جهة
الشرق آخر الجزء جبل قوقما المحيط بيا جوج وما جوج يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حتى
ينطف أول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله
احتف هنالك بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انعطفت مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع
الى مادون نصفه واحاط من اوله الى هناء بلاد الكيما كيتو ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس
فذهب فيه مغربا الى آخره وبقيت في جنوبه من هذا الجزء قطعة مستطيلة الى الغرب قبل آخر بلاد
الكيما كيتو ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقه وفي الاعلى منه وانعطفت قريبا الى الشمال وذهب على
سمته الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما نذكره وبقيت منه القطعة التي احاط بها
جبل قوقما عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد يا جوج
وما جوج وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم ارض يا جوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت
طراف في شرقه من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوقما حين مر
فيه وما سوى ذلك فارض يا جوج وما جوج والله سبحانه وتعالى اعلم

(الاقليم السادس) فالجزء الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار شرقا مع الناحية الشمالية ثم
ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فاذ كشفت قطعة من هذه
الارض في هذا الجزء داخلية بين طرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالبحر فيه وينفتح
طولا وعرضا وهي كلها ارض بريطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء
بلاد صاقس متصلة ببلاد بنطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس والجزء الثاني
من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فخرج به قطعة مستطيلة اكبر من نصفه الشمالي من
شرق ارض بريطانية في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه
وانفتححت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة انكاطرة وهي جزيرة عظيمة
مستعرة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الاقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها
في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد ارمندية وبلاد افلا دس متصلين بها ثم بلاد افريقية جنوبيا وغربا
من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا منها وكلها الامم الافريقية وبلاد اللاتين في النصف الشرقي من الجزء
في جنوبه بلاد انكا لاية ثم بلاد برغونية شمالا ثم ارض لويكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية
الشمالية الشرقية ارض افريرة وكلها الامم اللاتين وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في الناحية
الغربية بلاد مرتانية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية بلاد انكا لاية في الجنوب
وبلا دلوونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلوط داخل من الجزء الرابع ويمر مغربا بالبحر راف الى
الشمال الى ان يقف في بلاد شطونية آخر النصف الغربي وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب ارض

تعالى الى نبي من انبياء بني اسرائيل ان اردت ان تسكن معي في حضرة القدس فكن في الدنيا اوحيا دافريدا مهموما وحشيا بمنزلة الطير
الوحيداني الذي يظل في الارض الفلاة يأكل من رؤس الشجر ويشرب من ماء العميون فاذا كان الليل اوى وحده ولم يأو مع الطير

استئناسا به (وابعضهم)
مالست اعلمه اليك باب

كم للحوادث من صروف عجائب * ونوايب موصولة بنوايب ولقد تقطع من شبايك وانقضى *
(٤٨) تبني من الدنيا الكثير وانما * يكفيلك منها مثل زاد الراكب (وقال مالك بن انس)

بلغني ان عيسى عليه السلام
انتهى الى قرية قد خربت
حصونها وجفت أنهارها
وتسعت شجرها فنادى
يا خراب أين أهلك فلم يجبه
أحد ثم نادى يا خراب أين
أهلك فلم يجبه أحد فنودي
عيسى بن مريم بادوا
وتضمنتم الارض وعادت
أعمالهم فلا تذهبن أعناقهم
الى يوم القيامة فبكى عيسى
عليه السلام (قال مالك)
سئلت امرأة من بقية قوم
عادي قال لها هرمة أى
عذاب الله رأيت أشد قال
كل عذاب الله شديد وسلام
الله ورحمته على ليلة لا ربح
فيها ولقد رأيت العير تحملها
الريح بين السماء والارض
(وقال) مجاهد كان طعام
يحيى بن زكريا بالعشب
وان كان ليبيكى من خشية
الله تعالى ما لو كان القار
على عينيه لاحرقه ولقد
كانت الدموع اتخذت
مجرى في وجهه (ومر)
بعض الملوك بسقراط
الحكيم وهو نائم فركضه
برجله وقال قم فقام غير
مرتاع منه ولا ملفت اليه
فقال له الملك ما تعرفني قال
لا ولكن أرى فيك طبع
الدواب فهو يتركض
بارجلها فغضب وقال أتقول

جنولية وتحتها في الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلوط من اول الجزر غربا الى أن يقف في
النصف الشرقى وفي شرق ارض جنولية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية
ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومى وعند مدفقه في بحر نيطس فيقع قطعة من بحر نيطس
في أعالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ويمدها الخليج وبينهما في الزاوية بلاد مسنداه * وفي الجزء
الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نيطس يتصل من الخليج في آخر الجزء
الرابع ويخرج على ستمه مشرقا في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل
من مبدئه في عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء في غربها الى
شرقها بر مستطيل في غربها هرقلية على ساحل بحر نيطس متصلة بارض البيلقان من الاقليم الخامس وفي
شرقها بلاد الانية وقاعدتها سوتلى على بحر نيطس وفي شمال بحر نيطس في هذا الجزء غربا ارض ترخان
وشرقا بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية تحيط ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء
من شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم * وفي الجزء
السادس في غربيه بقية بحر نيطس ويخترق قليلا الى الشمال ويبقى بينه هناك وبين آخر الجزء شمالا
بلاد سانية وفي جنوبه ومنفتح الى الشمال ما تخترق هو كذلك بقية بلاد الانية التي كانت آخر جنوبه
في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي
الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الشرقية الجنوبية ارض بلجر يجوزها هناك قطعة
من جبل سياه كوه المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعدمقارقه مغربا فيجوز
في هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هناك بجبل الابواب وعليه من
هناك ناحية بلاد الخزر * وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما جازة جبل
سياه بعدمقارقه بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزء غربا وفي شرقها القطعة
من بحر طبرستان التي يجوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل سياه في الناحية الغربية
الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض سحر وبو يحنك وهم أمم الترك
* وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض الجوخ من الترك في الناحية الشمالية الغربية
والارض المنتنة وشرق الارض التي يقال ان يا جوج وما جوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض
المنتنة مبدأ نهر الان من اعظم أنهار العالم وعمره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم
الخامس في الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنتنة من ثلاث ينابيع
تجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب الى آخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء
السابع من الاقليم السابع فيمر في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع
ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف نائبة الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من الاقليم السادس
ويخرج منه جدول يذهب مغربا ويصب في بحر نيطس في ذلك الجزء ويمر هو في قطعة بين الشمال
والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس ثم ينعطف نائبة الى الجنوب وينفذ
في جبل سياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع منه فيصب هناك في
بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجزء التاسع من
هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفساخ من الترك وهم قفجاق وبلاد التركس منهم هم أيضا وفي

لى هذا وانت عبدى فقال له سقراط بل انت عبد عبدى قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قد ملكتك وأنا ملكك الشرق
الشهوات فقال أنا الملك ابن الاملاك السادة أملاك من البلاد كذا ومن الاموال والرجال كذا قال أراك تفخر على ما ليس من نفسك وانما

سبلك ان تخزع على نفسك ولا تكن تعال تخلع ثيابنا ونلبس بجمعنا ثم ما في هذا النهر ونسلكم اذ يبين القاضل من المفضل
فانصرف الملك خيلاً * وهأنا انا حكى لك امراً صابني طيش عقلي وبلبل حرمي (٤٩) وقطع نياط قلبي فلا يزال مراة لي حتى

يواري التراب وذلك اني
كنت يوم بالبحر اراق وأنا
أشرب ماء فقال لي صاحب
لي وكان له عقل يا فلان
لعل هذا السكوز الذي
تشرب فيه الماء قد كان
انساناً يوماً من الدهر فأت
فصار تراباً فانفق للفخاري
ان أخذ تراب القبر وضربه
خزفاً وشواه بالنار فانتظم
كوزاً كما ترى وصار آنية
يتمن ويستخدم بعد ان
كان بشراً سوياً كل
ويشرب وينعم ويلذ
ويطرب فاذا الذي قاله من
الحجرات فان الانسان اذا
مات عاد تراباً كما كان في
النشأة الاولى ثم قد يتفق
ان يحفر لحده ويحجج بالماء
ترابه فيستخدمه آنية فتمتن
في البيوت اولبنة فتبنى في
الجدار او طين به سطح
البيت او يفرش في البلاد
فيوطأ بالاقدام او يجعل
طيناً على الجدار وقد يحجز
ان يغرس عند قبره شجرة
فيستحيل تراب الانسان
شجرة وورقا وثمره فترعى
البهائم اوراقها ويأكل
الانسان ثمرها فينبت منها
مجموع ينشمر منها عظمه او
تأكل تلك الثمرة الحشرات
والبهائم فينبعا كان يقنات
صار قوتاً ونبعا كان يأكل
صارماً كولا ثم يعود في

الشرق منه بلاد يا جوج يفصل بينهما جبل قوقيا المحيط وقد مر ذكره يمد من البحر المحيط في شرق الاقليم
الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم في الشمال ويفارقه مغرباً وانحراف الى الشمال حتى يدخل في الجزء
التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمته الاولى حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من جنوبه
الى شماله بانحراف الى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمته الى الاقليم
السابع وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه الى الجنوب الى ان يليق البحر المحيط في شماله ثم ينعطف معه من
ههنا الى مغرباً الى الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيمتصل ههنا بالقطعة من البحر المحيط في غربيه وفي
وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكر عبد
الله بن خرداذبه في كتابه في الجغرافيا ان الوثائق رأى في منامه كأن السد انفتح فانبثه فزعا وبعث سلاماً
الترجمان فوقف عليه وجاء بخبره ووصفه في حكاية طويلة است من مقاصد كتابنا وفي الجزء العاشر من
هذا الاقليم بلاد ما جوج متصلة فيه الى آخره على قطعة من ههنا الى البحر المحيط أحاطت به من شرقه
وشماله مستطيلة في الشمال وعرضه بضعة بعض الشيء في الشرق

(الاقليم السابع) والبحر المحيط قد غمر عامته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل
قوقيا المحيط بيا جوج وما جوج فالجزء الاول والثاني مغموران بالماء الاما انكشف من جزيرة انكلاطرة
التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطف بانحراف الى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر
مستديرة عليه في الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هناك والجزء منها الى البر في هذه القطعة
سبعة اثنى عشر ميلاً وهذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة روس لانده مستطيلة من الغرب الى
الشرق والجزء الثالث من هذا الاقليم مغموراً كثره بالبحر الاقطعة مستطيلة في جنوبه وتوسع في شرقها
وفيها ههناك متصل ارض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وأنها في شماله وفي القطعة
من البحر التي تقوم هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتتصل بالبر من باب في جنوبها
يقضي الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة بوقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق والجزء
الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغموراً بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبه منه ككشف وفي
غرب ارض قيماراك من الترك وفي شرقها بلاد طست ثم ارض روس لانده الى آخر الجزء شرقاً وهي دائرة
الثلوج وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه وفي الجزء
الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى قطعة من البحر
المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية الشرقية منه متصل ارض القمانية التي على
قطعة بحر نيطش من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرمي من هذا الجزء وهي
عذبة تنجلب اليها أنهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء
ارض التتارية من التركان الى آخره وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصلة ببلاد
القمانية وفي وسط الناحية بحيرة عمور عذبة تنجلب اليها الأنهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة
دائماً شدة البرد الا في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانية بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الاقليم
السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا
الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبدؤها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء
السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار من عطف نهر اثل القطعة الاولى الى الجنوب كما مر وفي

(٧ - ابن خلدون) بطن الانسان رجباً فيعذف في بيت الرخاضة او يعراين بذبالعراء ويجوز اذا حفر قبره ان تسقى الرياح ترابه
فتتفرق اجزؤه في بطون الاودية والثلول والرهاد ليس في هذا ما أذهل العقول وطيش المحلوم ومنع اللذات وهان عنده مفارقة الاهلين

والمال والحق بقل الجبل والانسان بالوحوش حتى يأتي امر الله اليس في هذا ما صدغ الدنيا وما فيه اليس في هذا ما حقر المال عند من عظمه والمال عند من جمعه (٥٠) اليس في هذا ما زهد في اللذات وسلى عن الشهوات (وقال) كم من مستقبل يوم لا

آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض يخناك من اعم الترك وكان مبدؤهما من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبيله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض سحر ثم بقية الارض المنتمية الى آخر الجزء ثم قافى آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتمية وفي شرقها الارض المحفورة وهي من الجانب خرق عظيم في الارض بعيد المهوى فسيح الاقطار تمتع الوصول الى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والانيان في الليل تضيء وتختفي ويرى ارضها فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المناخلة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصل من الشرق الى الغرب وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفساخ وهو مرقع بقع يجوزها جبل قوقيا حين ينقطع من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسطه هنالك سدا جوج وما جوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض يا جوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مسطوية اطحط به من شرقه وشماله والجزء العاشر غمر البحر جمعه هذا آخر الكلام على الجغرافيا واقاليمها السبعة وفي خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات للعالمين

(المقدمة الثالثة)

(في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم)

(قد بينا) ان المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو وسطه لا قراط الحرف في الجنوب منه والبردي الشمال ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع اعدل العمران والذي حفا فيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذي يليهما والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعيد كثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والاقوات والفواكه والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما واولانا واخلاقا واديانا حتى النبوات فالتماثل في الاكثريه والتمتع على خير بعثة في الاقاليم الجنوبية والشمالية وذلك ان الانبياء والرسل انما يختص بهم اكل النوع في خلقهم واخلقهم قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وذلك لاتباع القبول لما ياتيهم به الانبياء من عند الله واهل هذه الاقاليم اكل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المنجدة بالبحارة المنمقة بالصناعة ويتناغون في استجادة الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالنقد والعززين ويعدون عن الانحراف في عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسنند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجة والمجالات والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء اوفر بياهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها انها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثاني والسادس

يستكملها ومنه نظر غدا وليس من اجله انكم لو ابصرتم الاجل ومسيره لا بغضتم الامل وغروره (ولما) بنى المأمون بن ذى النون وكان من ملوك الاندلس قصره وانفق فيه بيوت الاموال جاء على اكل بديان في الارض وكان من عجائبه ان صنع فيه بركة ماء كانا بحيرة وبنى في وسطها قبة وساق الماء من تحت الارض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد احكمه المهندسون وكان الماء ينزل من اعلى القبة حوالها محيطا بها متصل ببعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء سبكا لا يفترو المأمون قاعد فيها فرى عنه انه يمشي هو قائم اذ سمع من شدا ينشد هذين البيتين
أبني بناء الخالدين وانما بقاؤك فيها لوعقت قليل لعد كان في ظل الاول كفاية
لمن كل يوم يفتضه رجيل فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى قضى نحبها (ووجد) مكتوبا على قصر قباد اهلها وأفقرت منازلها
هذه منازل اقوام عهدتهم في خفض عيش نفيس ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر ولو قبل للدنيا صفى نفسك لما عدت هذا البيت والسابع
ومن يؤمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خائنه فزوج الاصابع (وروى) ان الحجاج قال في خطبته أيها الناس ان ما بقى من

الدنيا شبه عمارضى من الماس بالمال ولولا عظيم ما مضى من الدنيا بعمامتى هذه ما قبلته فكيف آسى على ما بقى منها (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلاً لابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما (٥١) حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لى خيلاً

مكرماً وثراً وقد حضرنى من أمر الله تعالى ماترى فاذا عندك فيقول هذا امر الله غلبنى عليك لا أستطيع ان أنفـس كـربك ولا كن ها أنا بين يديك فخذ منى زاداً فيفعل ثم يقول للثاني قد كنت عندى أثر الثلاثة وقد نزل بى من أمر الله تعالى ماترى فما عندك قال هذا أمر الله غلبنى عليك ولا أستطيع ان أنفـس كـربك ولا كن سأقوم عليك فى مرضك فاذا مات أتقنت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسدك وعورتك وقال للثالث قد نزل بى من أمر الله ماترى وكنت أهون الثلاثة على فماذا عندك قال انى قـربك وحليقت فى الدنيا والاخرة أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج معك حين تخرج منه ولا افارقك أبداً فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثانى اهله والثالث عمله (ولما) اتى ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له قد كنت أحب لقائك فعظمى فقراً الحسن أفـ رأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى

والسابع فأهلها أبعدهم من الاعتدال فى جميع أحوالهم فبناؤهم بالطين والقصب وأقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من أوراق النخـر يـخـصـفونـها عليهم أو الجلود أو أكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وأدمها غريبة التكوين مائلة الى الانحراف ومعاملاتهم بغـير الحجر ين الثرى يمين من نحاس أو حديد أو جلود يقدرونها للمعاملات واختلافهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات الجحـم حتى ينقل عن الكثير من السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون العشب وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضاً وكذا السباعية والسبب فى ذلك أنهم لم يبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض اخرجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات الجحـم ويبعدون عن الانسانية بقدر ذلك وكذلك أحوالهم فى الديانة أيضاً فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة الامن قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو فى الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين للبحر الدائنين بالنصرانية فى ما قبل الاسلام وما بعده هذا العهد ومثل اهل مالى وكوكو والتكر والمجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دنوا به فى المسألة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من أم الصقالبة والافرنجة والترك من الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقاليم المنحرفة جنواً وشمالاً فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الاناسى قريبة من أحوال البهائم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود الدين وحضر موت والاحقاف وبلاد الحجاز واليمامة وما اليها من جزيرة العرب فى الاقليم الاول والثانى فان جزيرة العرب كلها أحاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبتها أثر فى رطوبة هوائها فنقص ذلك من البس والانحراف الذى يقتضيه المحرور صار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا ببلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه مظهر أثرها فى لونه وفيما جعل الله من الرق فى عقبه وينقلون فى ذلك حكاية من خرافات القصص ودعا نوح على ابنه حام قد وقع فى التوراة وليس فيه ذكر السواد وإنما دعا عليه بان يكون ولده عبيداً لولد اخوته لا غيره وفى القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة المحرور البرد وأثرهما فى الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك أن هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثانى من مزاج هوائهم الحارارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤسهم مرتين فى كل سنة قريبة احدهما من الاخرى فتطول المسامة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويلج القيط الشديد عليهم وتسود جلودهم لافراط المحرور ونظيره ذين الاقليمين ما يقابلهم ما من الشمال الاقليم السابع والسادس شمل سكانهما ايضا البياض من مزاج هوائهم البرد المفرط بالشمال اذ الشمس لاتزال باقهم فى دائرة مرثى العين أو ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض الوان أهلها وتنتهى الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها فى الاعتدال الذى هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع أبلغها فى الاعتدال غاية النهاية فى التوسط كما قدمناه فكان لاهلها من الاعتدال فى خلقهم وخلقة ما تقتضاه مزاج هوائهم وتبعه عن جانبه الثالث والخامس وان لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا اقليم الى الجنوب الحار وهذا اقليم الى الشمال البارد الا انهما لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة متحرفة وأهلها كذلك فى خلقهم وخلقتهم فالاول والثانى للمحرور والسواد السابع

عنهم ما كانوا يتمتعون فقال عليك السلام أباسـ عبيد فقد وعظت احسن موعظة واعجبا كل العجب بالكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى الاول واعجبا كل العجب للشاك فى قدرة الله تعالى وهو يرى خلقه واعجبا كل العجب بالكذب بالنشور وهو يموت فى كل يوم وليلة ويحيا واعجبا كل العجب للصديق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور واعجبا كل العجب للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود حبيطة

وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به (وروي) ان الله تعالى أوحى الى آدم عليه السلام جماع الخير كله في أربع واحدة الى وواحدة الى وواحدة
بيني وبينك وواحدة بينك (٥٢) وبين الناس فاما التي الى قعبدي لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاعمل ما شئت فاني اخبرك به واما التي

والسادس للبرد والبياض ويسمى سكان الجنوب من الاقلية من الاول والثاني باسم الحبشة والزنج
والسودان اسماء مترادفة على الامم المتغيرة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بن اتجاه مكة واليمن
والزنج بمن اتجاه بحر الهند وليس هذه الاسماء لهم من أجل انتسابهم الى آدمي اسود لاحام ولا غيره وقد
نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف الى البياض فتبيض الوان
اعقابهم على التدريج مع الايام بالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال والرابع بالجنوب تسود الوان
اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب
بازننج حرق - ير الاجسادا * حتى كساد - لودها سوادا
والصقبا كنسبت البياضا * حتى غدت - لودها بياضا

وأما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم يكن
فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية موافقة واعتاده وجدنا سكانه من الترك والصقابة والطغرغر
والخزرو اللان والاكثير من الافرنجة ويا جوج وما جوج اسماء متفرقة واجبا لامتددة مسمين باسماء
منوعة وأما اهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة اهل الاعتدال في خلقهم وخلقتهم وسيرهم وكافة الاحوال
الطبيعية للاعتبار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والملوك فكانت فيهم
النبوات والملوك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصنائع الفاتكة وسائر
الاحوال المعتدلة وأهل هذه الاقاليم التي وقفتنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنو اسرائيل
اليونان وأهل الهند والصين وما رأى النسابون اختلاف هذه الامم بسماتهم واسماؤهم احسبوا
ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في الوانهم فتكفروا ونقل تلك
الحكاية الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم اوا كثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة وأهل الوسط
المنتحلين للعلوم والصنائع والمال والشرائع والسياسة والملوك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق في
انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما هو اخبار عن الواقع لأن تسمية اهل الجنوب بالسودان
والحبشان من أجل انتسابهم الى حام الاسود وما أدهم الى هذا الغلط الاعتقادهم ان التمييز بين الامم انما
يقع بالانساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجبل والامة يكون بالنسب في بعضهم كاللعب وبنو اسرائيل
والفرس ويكون بالجهة والسمعة كالزنج والحبشة والصقابة والسودان ويكون بالعداوة والعداوة والنسب كما
للعب و يكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول في اهل جهة معينة من جنوب
او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شغلهم من نخلة أولون أو سمعة وجدت لذلك الاب انما هو من الاغالب
التي اوقع فيها الغفلة عن طبائع الكوان والجهات وان هذه كلها تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها
سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا والله ورسوله أعلم بغيبه واحكم وهو المولى المنعم الرؤف الرحيم

(المقدمة الرابعة في اثر الهواء في اخلاق البشر)

(قد رأينا) من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرت الطرب فتجددهم مولعين بالرقص على
كل توقيع موصوفين بالخي في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك انه تقر في موضع من الحكمة ان
طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيوانية وتنشيطه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكافئه
وتقرر ان الحرارة مفسدة للهواء والبخار الخفيفة لانه زائدة في كيمته ولهذا يجب ان ينشئ من الفرح والسرور
ملا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة النحر في

بيني وبينك فعليك الدعاء
وعلى الاجابة وأما التي
بينك وبين الناس فكن
لهم كما تحب ان يكونوا لك
(وقال) سليمان بن داود
عليهما السلام اوتينا ما أوتي
الناس وما لم يثتوا وعلما
ما علم الناس وما لم يعلموا فلم
نجد شيئا أفضل من خشية
الله تعالى في الغيب
والشهادة وكلمة الحق في
الرضا والغضب والقصد في
الغنى والفقر (وكتب)
معاوية الى عائشة رضي
الله عنها ان اكتب لي كتابا
توصيني فيه ولا تكثري
علي فكاتبته اليه سلام عليك
أما بعد فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول
من التمس رضا الناس بسخط
الله وكله الله الى الناس
والسلام (وما) ضرب
ابن لمجم عمار رضي الله عنه
دخل منزله فاعتزته غشية
ثم أفاق ودعا الحسن
والحسين رضي الله عنهما
(فقال) أوصيكما بكتوى
الله والرغبة في الآخرة
والزهد في الدنيا ولا تأسفا
على شيء فاتك كما منها عملا
الخبر وكونا لظالم خصما
ولظالم عونا ثم دعا حمدا
وقال له أما سمعت ما
أوصيت به أخوك قال
بلى قال فاني أوصيك به
وعليك ببر أخوك وتوقيرهم ومعرفة فضلهم ما لا تقطع امرادونهم ثم أقبل عليهم فقال أوصيكما به

خير افانه أخوك كما وابن أبيكما وانما تعلمان ان أباكما كان يحبه فاحباه ثم قال يا بني أوصيكما بكتوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق

الروح

في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء
يأبى ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل (هـ) بلا دون النار عافية يابى من أبصر عيب

نفسه شغل عن عيب غيره

ومن رضى بقسم الله لم يحزن

على ما فاتة ومن سل سيف

البغي قبل به ومن حفر

لأخيه بئر وقع فيها ومن

هتك حجاب أخيه انكشف

عورات بيته ومن نسي

خطيئته استعظم خطيئته

غيره ومن أعجب برأيه

ضل ومن استغنى

بعقله ذل ومن تكبر على

الناس ذل ومن خالط

الانذال احتقر ومن جالس

العلماء وقرو من يجب

صاحب السوء لا يسلم ومن

يجب صاحب الصالحات يغم

ومن دخل مداخل السوء

اتهم ومن لا يملك نفسه ندم

ومن خرج استخف به ومن

أكثر من شيء عرف به ومن

كثر كلامه كثر خطؤه ومن

كثر خطؤه قل حياؤه ومن

قل حياؤه قل ورعه ومن

قل ورعه مات قلبه ومن

مات قلبه دخل النار

يابنى الادب خير ميراث

وحسن الخلق خير قرين

يابنى العافية عشرة أجزاء

تسعة منها فى الصمت الاعن

ذكر الله تعالى والواحدة

فى ترك مجالسة السفهاء

يابنى لا شرف اهل من

الاسلام ولا كرم اهل من

التقوى ولا عقل اهل من

الورع ولا شفيع انجع من

الروح من مزاجه فينبغي الروح وتجنبي طيبة القرح وكذلك نجد المنة ميم بالجمامات اذا تنفسوا في
هوائها واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم فتمتخنت لذلك حدث لهم فرح وورع انبعث الكثير منهم
بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على أفرجهم وفي
أصل تكوّنهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالقياس
الى ارواح أهل الاقليم الرابع أشد حرا فتكون أكثر تنفسا فتكون أسرع فرحا وسرورا وأكثر انبساطا
ويجى الطيب على أثره وهذا كذلك يلحق بهم قليلا لأهل البلاد البحرية لما كان هواؤه ممتدعا ف
الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بساط البحر وأشعته كانت حصصهم من تواضع الحرارة في الفرح
والخفة وجودة أكثر من بلاد التلول والجمال الباردة وقد نجد يسير من ذلك في أهل البلاد الجزيرية
من الاقليم الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريضة في الجنوب عن الارياف والتلول واعتبر
ذلك أيضا بأهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريبا منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة
والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون أقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ما كلفهم من أسواقهم ولما
كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقي أطراف
الحزن وكيف أفرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم لا يدخر قوت سنتين من حبوب الخنطة ويبارك
الاسواق لشراء قوته لبومه مخافة أن يبرز أشياء من مدخره وتتبع ذلك في الاقليم والبلدان تجد في الاخلاق
أثر من كفيات الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان
وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعديله فلم يأت بشيء أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحق
الكندي ان ذلك لضعف أدمغتهم وما نشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا محصل له ولا برهان فيه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(المقدمة الخامسة)

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم
(اعلم) ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجب فيها الخصب ولا كل سكانها في رغبة من العيش بل فيها
ما يوجب دلاله خصب العيش من المحبوب والادب والخنطة والقوا كذا كاه المنابت واعة ذال الطينة
ووفور العمران وفيها الارض الحرة التي لا تنبت زرع ولا عشب بابا الجلة فسكانها في شطف من العيش مثل
أهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل المثلثين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين
البربر والسودان فان هؤلاء يفتقدون المحبوب والادب جملة وانما اغذيتهم وأقواتهم الالبان واللحوم ومثل
العرب أيضا المجاثلين في القفار فانهم وان كانوا يأخذون المحبوب والادب من التلول إلا أن ذلك في الاحايين
وتحت ربة من حامتها وعلى الاقلال لقله وجددهم فلا يتوصلون منه الى سد الخلة أو دونها فضلا عن الرغد
والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان وتعرضهم من الخنطة أحسن معاض وتجيد
مع ذلك هؤلاء الفاقدون للمحبوب والادب من أهل القفار أحسن حال في جسامهم واخلاقهم من أهل
التلول المنعمين في العيش قالوا انهم اصفي وابدانهم انقى واشد كالمهم أتم واحسن واخلاقهم ابعدهم
الانجراف واذهابهم أثقب في المعارف والادراكات هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين
العرب والبربر فيما وصفناه وبين المثلثين وأهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله أعلم ان
كثرة الاغذية ورطوبتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعدا قار في غير نسبة وقوة كثيرة الاخلط

التوبة ولا لباس اجل من العافية المحرص مفتاح التعب ومغمة النصب التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم يشس الزاد للمعاد العدوان
على العباد فطوبى لمن اخاص الله عمله وعمله وجبهه بغضه واخذته وتركه وكلامه وصمته وقوله وقوله (وروى) عن عمر بن الخطاب رضي

الله عنه انه لما طعن دعا بلبن فشر به فخرج من طعنته فقال الله اكبر فحمل جساؤه يثنون عليه فقال وددت ان اخرج منها كفا فاكما
دخلت فيه الوان الى اليوم ما طلعت عليه (٥٤) الشمس وغربت لا قد ديت به من هول المطلاع (قال) ابن عمر ولما حضرت الوفاة عمر

الفاسدة العفنة وينبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات
على الازهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من انجرتها الرديئة فينجي البلاء والغفلة والانحراف عن
الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والنعام والمهي والزرافة والحمر
الوحشية والبقر مع أمثالها من حيوان التلول والارياف والمراعي الخصبية كيف تجدد بينها بونا بعيدا
في صفاء أديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضائها وحيدة مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة
اخو البعير والحمار والبقر اخو الحمار والبقر واليون بينهما ما رأيت وما زلت الا لاجل ان الخصب في التلول
فعل في أبدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لمحيوان القفر حسن
في خلقها واشكالها ماشاء واعتبر ذلك في الادميين ايضا فانما نجد ادمي الاقاليم الخصبية العيش
الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلاء في أذهانهم والخشونة في أجسامهم
وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والخنطة مع المتعشقين في عيشهم المقتصرين على الشجر أو الذرة
مثل المصامدة منهم واهل غمارة السوس فتجد هؤلاء أحسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذا اهل بلاد
المغرب على الجملة المنغمسون في الادم والبر مع اهل الاندلس المفقود بارضهم السمن جمة وغالب عيشهم
الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا اهل
الضواحي من المغرب بالجملة مع اهل الحضرة والمصارفان اهل الامصار وان كانوا اكثر من مثلمهم من
الادم ومحصين في العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العالج بالطبخ والتلطيف بما يتخلطون معها
فيذهب لذلك غاؤها ويرق قوامها وعامة ما كاهم محوم الضأن والدجاج ولا يغبطون السمن من بين
الادم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في أغذيتهم ويخف ما تؤديه الى أجسامهم من الفضلات الرديئة
فذلك تجد جسوم اهل الامصار اللطيف من جسوم البادية الخشنة في العيش وكذلك تجد المعودين
بالجوع من اهل البادية لافضلات في جسومهم غليظة ولا طيفة وواعلم ان أثره هذا الخصب في البدن
واحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة فتجد المتعشقين من اهل البادية أو الحضرة ممن يأخذ نفسه
بالجوع والتجاني عن الملاذ أحسن دينا واقبالا على العبادة من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين
قايمين في المدن والامصار ما يجمعهم من القساوة والغفلة المتصلة بالاكثر من اللحمان والادم وليس باب البر
ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتعشقين في غذائهم من اهل البوادي وكذلك نجد حال اهل
المدينة الواحدة في ذلك مختلفا باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك نجد هؤلاء الخصبين في
العيش المنغمسين في طبيعته من اهل البادية واهل الحواضر والامصار اذا نزلت بهم السنون وأخذتهم
المجاعات يسرع اليهم الملاك اكثر من غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما يليغنا لا
مثل العرب اهل القفر والحجر ولا مثل اهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افرقية
لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان
هؤلاء وان أخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال أولئك ولا يكثر فيهم الملاك بالجوع بل ولا
يندرو السبب في ذلك والله أعلم ان المنغمسين في الخصب المتعودين للادم والسمن خصوصاً اكتسب من
ذلك أمعاؤهم رطوبته فوق رطوبتها الاصلية المزاجية حتى تجاوز حد ما فاذا خولف بها العادة بقلة
الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء أسرع الى المعنى اليأس والانكماش
وهو عضو ضعيف في الغاية فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه دفعة لا به من المقاتل فلهذا يكون في

غشى عليه فاخذت رأسه
فوضعتها في جري فقال ضع
رأسى بالارض لعل الله
يرحمي فدمج خديه بالتراب
وقال ويل لعمل ويل لامة
ان لم يغفر له فقلت وهي
نفذي والارض الاسواء
يا ابتاه فقال ضع رأسى
بالارض لأم لك كما أمرت
فاذا قضيت فأسرعوا بي
في حفرتي وانما هو خير
تقدموني اليه أو شرتضعونه
عن رقابكم ثم بكى فقبل له
ما يبكيك قال خبر السماء
لا ادري الى جنة ينطلق بي
او الى نار (ولما) حضرت
عمر بن عبد العزيز الوفاة قال
اللهم انك امرتني فقصرت
ونهبتي فعصيت وانعمت
علي فافضلت فان عقوبت
فقدمنت وان عاقبت
فخاطمت الا اني اشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله
ثم قضى رحمه الله (ولما)
حضرت هشام بن عبد الملك
الوفاة نظر الى أمه لم يكن
حوله فقال جادا كم هشام
بالدين اوجدتكم له بالملك وترك
لكم ما جمع وتركتم عليه
ما حمل ما أعظم منقلب هشام
ان لم يغفر الله له (ودخل)
على المؤمنون في مرضه الذي
مات فيه فاذا هو قد أمر ان

يقرب له جل الدابة ويسط عليه الرماد وهو راقده عليه يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول
ملكه (وروى) ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طائر واقع على شجرة فقال طوي لي يا طائر تطير فتقع على الشجر وتأكل من الثمر

وليس عليك حساب ولا عقاب يا ليتني كنت مثلك والله لو ددت اني شجرة الى جنب طريق فر على بعير فاخذني فلا كني ثم ازددتني ثم
اخرجنى بعرا ولم اك بشرا (وقال) عاصم بن عبد الله اخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥٥) تبة من الارض فقال يا ليتني كنت مثل

هذه التبة يا ليتني لم تلدني

أي يا ليتني كنت نسيما من نسيما

(وقال) ابن مسعود وددت

اني طائر في منكب ريش

(وسمع) رجلا يقول يا ليتني

كنت من اصحاب اليمن

فقال ابن مسعود يا ليتني

اذامت لم ابعث (وقال)

عمران بن حسين لو ددت

اني رماد فتنسقي الرياح

في يوم عاصف (وقال) ابو

الدرداء يا ليتني كنت شجرة

تعص وتوكل ثم ربي ولم

اك بشرا (وروي) ان علي

ابن أبي طالب رضي الله

عنه لما رجع من صفين

فدخل اوائل الكوفة فاذا

هو بقبر فقال قبر من هذا

فقالوا قبر خباب بن الارت

فوقف عليه وقال رحم الله

خبابا اسلم راغبوا هاجر طائعا

وعاش مجاهدا وابتنى في

جسمه آخر الاولن يضيع

الله اجر من احسن عملائهم

مضى فاذا قبر ورفحاء حتي

وقف عليها فقال السلام

عليكم اهل الديار الموحشة

والحال المفقرة انتم لنا سلف

ونحن لكم تبع وبكم عا

قليل لاحقون اللهم اغفر

لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم

طوي لمن ذكر المعاد وعل

الحساب وقنع بالكفاف

ورضى عن الله تعالى ثم

الحجاء انما اقتلهم الشبح المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق * وأما المتعودون لقلة الادم واليمن
فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدها من غير زيادة وهي قابلة لجميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في
معاهم تبدل الاغذية بيس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب
وكثرة الادم في المساكين كل وأصل هذا كله ان تعلم ان الاغذية واثلاؤها اوترا كما انها هوبالعادة فمن عود
نفسه غداء ولا معه تناول له كان له ما لو فاق صارا الخروج عنه والتبدل به داء ما لم يخرج عن غرض الغذاء
بالجملة كالسموم واليتوع (١) وما أفرط في الانحراف فاما ما وجد فيه التغذية والملازمة فيصير غداء ما لو فاق
بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضا عن الحنطة حتي صار له ديدنا فقد حصل له
ذلك غداء واستغنى به عن الحنطة والمحجوب من غير شك وكذا من عود بنفسه الصبر على الجوع والاستغناء
عن الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فاننا نسمع عنهم في ذلك اخبارا غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها
والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا الفت شيئا صار من جبلتها وطبيعتها انها كثيرة التلون فاذا حصل
له اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها وما يتوهمه الاطباء من ان الجوع
مهلك فليس على ما يتوهمونه الا اذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه حينئذ
ينحسم المني ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك * وأما اذا كان ذلك القدر تدريجيا ورياضة باقلال
الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة فهو بمنزلة الهلاك وهذا التدريج ضروري حتي في الجوع عن
هذه الرياضة فانه اذا رجع به الى الغذاء الاول دفعة خفيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما بدأ في
الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما وصا لاواكثر * وحضر اشياخنا مجلس
السلطان أبي الحسن وقد رفع اليه امر اتان من اهل الجزيرة الخضراء وردت حديثا انفسهم ما عن الاكل
جملة منذ سنين وشاع امرهم او وقع اختيارهم افسح شأنهم ما واصل على ذلك حالهم الى ان ماتوا وراينا
كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المميز يلتمس نديها في بعض النهار او عند الافطار
ويكون ذلك غذاء واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستنكر ذلك * وعلم ان الجوع
اصح للبدن من الكثرة الاغذية بكل وجه من قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثرافي الاجسام
والعقول في صفاتها وصلاحها كما قلناه واعتبر ذلك بانار الاغذية التي تحصل عنها في الجسم فقد رأينا
المتغذين بالحموم والحيوانات الفاسخة العظيمة الجسمان تنشأ احياءهم كذلك وهذا ما شاهد في اهل السادة مع
اهل الحاضرة وكذا المتغذون بالابل والحومها ايضا مع ما يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتمال
والقدرة على حمل الاثقال الموجود ذلك للابل وتنشأ امعاؤهم ايضا على نسبة امعاء الابل في الصحة والغلظ
فلا يطرقها الوهن ولا الضعف ولا يناله من مضار الاغذية ما يناله غيرهم فيشربون اليتوعات
لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالمنظ قبل طبخه والدرياس والفريون ولا ينال امعاءهم من اضرر
وهي لو تنالها اهل الخضرة الرقيقة امعاؤهم بما نشأت عليه من لطيف الاغذية لكان الهلاك اسرع
اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده
اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالمحبوب المطبوخة في بعرا لابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء
(١) قوله قال في القاموس اليتوع كصبر او اتنو وكل نبات له لبن دار مسهل محرق مقطوع والمشهور ومنه
سبعة الشبرم واللابة والعروطينا والماسودانه والماساريون والفجاشات والعشروكل اليتوعات اذا
استعملت في غير وجهها اهلكت اه

قال يا اهل القبور اما لارواح فقد نكحت واما الديار فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت فهذا خير ما عندنا فساخبر ما عندكم ثم التفت
الى اصحابه وقال اما انهم لو تسكاهم والقالوا وجدنا ان خير الزاد التقوى (الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء

والسلاطين) دخل الاخنس بن قيس على معاوية وعليه شعلة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته غيظه فأقبل عليه وقال له فقال الاخنس يا امير المؤمنين اهل البصرة (٥٦) عدد يسير وعظم كبير مع تنابح المحول واتصال من الدخول فلما اكثر منها قد اطرق

والدجاج منها اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذالك البعر مع البيض المحض فيجىء دجاجها في غاية العظم وامثال ذالك كثير فاذا راينا هذه الاثار من الاغذية في الابدان فلاشك ان الجوع ايضا آثار في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبة المختلطة الخلة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذالك الجسم والله محيط بعلمه

(المقدمة السادسة)

(في اصناف المدركين للغييب من البشر بالقطرة أو بالريضة وتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا)

(اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصا فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم ويأخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يليقهم اليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والاخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم الاواني لا أعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من خاصيته وضروبه الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضر ين معهم مع غطيط كأنها غشيا او انغماء في رأي العين وليست منهم ما في شيء وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم ينزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام فيبتهمه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تنجب الى عنه تلك الحال وقد وعى ما ألقي اليه قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الوحي احيانا يا تبنى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفهم عنى وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ويدركه ان شاء ذلك من الشدة والغطى ما لا يعبر عنه في الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفهم عنه وان جبينه ليرقى فصدع عرقا وقال تعالى انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له ربي او تابع من الجن وانما ابس عليهم بما شامدوه من ظاهرك تلك الاحوال ومن يضلل الله فماله من هاد ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم قبل الوحي خلق الخير والزر كالغمامة المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى العصمة وكونه مغطى وعلى التنزه عن المذمومات والمنافرة لها وكونها منافية لجملة وفي الصحيح انه جل الحجرة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها في ازاره فانكشف فسقط مغشياً عليه حتى استتر بازاءه ودعى الى مجتمعه واجمة فيها عرس ولعب فأصابه غشى النوم الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيئا من شأنهم بل نزهه الله عن ذلك كله حتى انه يجملته ينتهز عن المذمومات المستكرهه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فقبل له في ذلك فقال اني اناحي من لا تتساجون (وانظر) لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها بحال الوحي اول ما فجأه وارادت اختباره فقالت اجعاني بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب النساء وكذلك سأله عن أحب الثياب اليه ان يأتبه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك يعني ان البياض والخضرة من الوان الخير والملائكة والسواد من الوان الشر والشياطين وامثال ذلك ومن علاماتهم ايضا دعاؤهم الى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدل خديجة على صدقه صلى الله

والاقل منها قد أمتى وبلغ به الخنق فان رأى أمير المؤمنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسبر ويسهل العسير ويصقم عن الدخول ويدوى المحول ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء وتزول الآلاء والوان السيد من يغمر ولا يخص ويدعو الجفلى ولا يدعو النقرى ان احسن اليه شكر وان أسى اليه غفر ثم يكون من وراء الرعية عماد ايدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المضلات فقال معاوية ها هنا يا ابا بجرثم قرأوا لعرفتهم في تحن القول (وقال) سفيان الثوري لما سأل المهدى قال لا بد لي من سفيان فوضعوا الى الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثل بين يديه أدنانى ثم قال لاي شيء لا تأتينا فاستشيرك في أمرنا فامرنا من شيء صرنا اليه وما نهيننا عن شيء انتهياعنه فقالت له كم أنفقت في سفرك هذا قال لا أدري لي امانة ووكلاء قلت فما عذر ذلك عند اذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سأل قال لعلامه كم أنفقت في سفرك هذا قال يا امير المؤمنين ثمانية عشر دينارا قال ويحك ان جفنا يبيت مال المسلمين (وقال) عليه

الزهري ما سمعت باحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح عليه

دينك ومالك وأخرك ودينك قال لا تعد احدا عدة وانت لا تريد انجازها ولا يغرنك مرتقي سهل اذا كان المتحدور عراوا علم ان الاعمال جزاء فاحذر العواقب والدهر تارات فيكن على حذر (ولما دخل) ابن السماك (٥٧) على هارون الرشيد قال له عظمي قال

يا امير المؤمنين ان الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك فلا ترض من نفسك الامارضى الله به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت اولى الناس بذلك يا امير المؤمنين من طلب فكلك رقبته في مهلة من أجله كان خليفته ان يعتق نفسه يا امير المؤمنين من ذوقته الدنيا خلاوتها بكون منه اليها اذا قه الاخرة مرارتها بتجافيه عنها يا امير المؤمنين ناشدتك الله ان تقدم الى الجنة عرضها السموات والارض وقد دعيت اليها وليس لك فيها نصيب يا امير المؤمنين انك تموت وحدك وتحاسب وحدك وانك لا تقدم الا على نادم مشغول ولا تخاف الامم فتونا مغرور وانك واينا في دار سفرو حيران طعن (ولما) حج سليمان بن عبد الملك استخضر ابا حازم فقال له تسلم يا ابا حازم فقال فيم انكم قال في الخروج من هذا الامر قال يسيران أنت فعلته قال وما ذلك قال لا تأخذ الاشياء بالحقها ولا تضعها الا في أهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من الامر ما قلده عظمي يا ابا حازم قال

عليه وسلم بذلك وكذا قال ابو بكر ولم يحتاج في امره الى دليل خارج عن حاله وخلة به وفي الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يدعه الى الاسلام احضر من وجديله من قريش وفيهم ابو سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيما سأل ان قال سمى يا حرم فقال ابو سفيان بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف الى آخر ما سأل فأجابته فقال ان يكن ما تقول حقا فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذي (١) اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلا على صحة نبوته ولم يحتاج الى معجزة فدل على ان ذلك من علامات النبوة (ومن علاماتهم) ايضا ان يكونوا ذوى حسب في قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في معجزة من قومهم وفي رواية اخرى في ثروته من قومهم استدركه الحاكم على الصحيحين وفي مسأله هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل والرسول تبعث في احساب قومها ومعاها ان تكون له عصبة وشوكة تمنعه عن اذى الكفار حتى يبلغ رساله ربه ويتم مراد الله من اكمل دينه ومملته (ومن علاماتهم) ايضا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدتهم وهي افعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم ولاناس في كيفية وقوعها ودلائلها على تصديق الانبياء خلاف فالتكلمون ببناء على القول بالفاعل المختار قائلون بانها واقعة بقدرة الله لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عنه المعتبرة صادرة عنهم الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها عنه دساتر المتكلمين الا التحدى به باذن الله وهو ان يستدل به النبي صلى الله عليه وسلم لم قبل وقوعها على صدقه في مدعاه فاذا وقعت تنزل منزلة القول الصريح من الله بانه صادق وتكون دلائله احيث تدعى الصدق قطعية فالمعجزة الدالة بجموع المحارق والتحدي ولذلك كان التحدي جزأ منها (وعبارة المتكلمين) صفة نفسها وهو واحد لانه معنى الذاتى عندهم والتحدي هو الفارق بينهما وبين الكرامة والسحر اذا لاحت فيهما الى التصديق فلا وجود للتحدي الا ان وجد اتفاقا وان وقع التحدي في الكرامة عنه فمن يميزها وكانت لها دلالة فانه على الولاية وهي غير النبوية ومن هنا منم الاسماء ابا سفيان وغيره وقوع الخوارق كرامة فتراد من الاتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية وقد ارى انك المغيرة بينهما وانما يتحدى بغير ما يتحدى به النبي فلا يلبس على أن النقل عن الاسماء في ذلك ليس صريحا ورمح اجل على انكار ان تقع خوارق الانبياء لهم بناء على اختصاص كل من القرينين بخوارقه وأما المعتبرة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من افعال العباد وافعالهم معتادة فلا فرق وأما وقوعها على يد الكاذب تلبسها فهو محال اما عند الاشعرية فلان صفة نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة والتصديق كذبا واستحالت الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلان وقوع الدلائل شبهة والهداية ضلالة فبيح فلا يقع من الله وأما الحكماء فالحارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في الايجاب الذاتى ووقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الاسباب والشروط الحادثة مستندة اخيرا الى الواجب الفاعل بالذات لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق بقدرة وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم مجبول على النصر يف في الاكوان مهما توجه اليها واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك والحارق عندهم يقع للنبي كان للتحدي اول يمكن

(١) قوله الذي اشار اليه هرقل الظاهر ابو سفيان اه

(٨ - ابن خلدون) يا امير المؤمنين ان هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك ثم قال يا امير المؤمنين نزهت بك في عظمتك عن أن يراك حيث نهالك او يفقدك حيث أمرك يا امير المؤمنين انما انت سوق فما نقي عنك جل اليك

من خير او شرفا خير لنفسك ايها ما شئت قال فقال لا تأتينا قال وما صنع باني انك ان اذنتي فتنتي وان اقصيتي اخرنتي وليس عندي ما اخافك عليه ولا عندك ما ارجوك (٥٨) له قال فارفع اليها حوائجك قال قد رفعتها الى من هو اقدر منك عليها فا اعطاني منها قبلت وما معنى

وهو شاهد بصدقه من حيث دلالة على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من خواص النفس النبوية لا بانه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلائلهم قطعية كما هي عند الملة كامين ولا يكون التحدي جزأ من المعجزة ولم يصح فارقا لمسا عن البحر والكرامة وفارقها عندهم عن السحران النبي مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر فلا يلزم الشرب بخوارقه والساحر على الضد فافعاله كلها شروفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة كالصعود الى السماء والنفوذ في الاجسام الكنيهة واحياء الموتي وتكليم الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كتنكير القليل والحديث عن بعض المستقبلي وامثاله مما هو قاصر عن تصرف الانبياء ويأتي النبي بجميع خوارقه ولا يقدر هو على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبوه في طريقتهم ولقنوه عن اخبرهم واذا تقرر ذلك فاعلم ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المدعي وهو الخارق المعجز فشاهدته في عينه ولا يقتصر الى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو اوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا واتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الى فان ارجوان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة يشير الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصديق لها كثر لوضوحها فكثير المصدق المؤمن وهو التابع والامة

(ولذلك لا تنعكس حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرؤيا ثم شأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول)

*(اعلم) ارشدنا الله واياك اننا شاهد هذا العالم بما فيه من الخلقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالاسباب واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضي عجايبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وايدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني والاولا عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعدا من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد الا ان يستحيل الى ما يليه صاعدا او هابطا ويستحيل بعض الاوقات والصاعدا منها الاطف مما قبله الى ان ينتهي الى عالم الافلاك وهو اطف من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها الى الحركات فقط وبها يتبدى بعضهم الى معرفة مقاديرها واورضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بدية من التدريج آخر افاق المعادن متصل باول افاق النبات مثل الحشائش وما لا بذله وآخر افاق النبات مثل النخل والكرم متصل باول افاق الحيوان مثل الحزوز والصدف ولم يوجد لهما الا قوة اللبس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكنونات ان آخر افاق منها مستعد بالاستعداد الغريبي ان يصير اول افاق الذي بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية يرتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك اول افاق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم اننا نجد في العوالم على اختلافها آثارا متنوعة ففي عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر وفي عالم التكوين آثار من حركة التوالد والادراك تشهد كلها بان لها مؤثر امباين لا اجسام فهو روحاني ويتصل بالمكنونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها

منها رضى يتقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فن ذا الذي يستطيع ان ينقص من كثير ما قسم الله او يزيد في قليل ما قسم الله قال فبكي سليمان بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه اسأت الى امير المؤمنين قال ابو حازم اسكت فان الله تعالى اخذ ميثاق العلماء بليغته للناس ولا يكتمونه ثم خرج من عنده فلما وصل الى منزله بعث اليه بمال فردده وقال للرسول قل له يا امير المؤمنين والله ما ارضاه لك فكيف ارضاه لنفسى (وقال) الفضل بن الربيع سج هرون الرشيد فبينما انا نائم ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المؤمنين بن فخر جت مسرعا فاذا انا به امير المؤمنين فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الى ابيك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخبر به الا عالم انظر لي رجلا اسأله قلت له ههنا سفيان بن عيينة قال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير

المؤمنين لو ارسلت الى ابيك قال جدما جئنا له فنادته ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض دينه ثم انصرف فانا فقال ما اغني عنى صاحبك شيئا فانظر لي رجلا اسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام قال امض بنا اليه نسأله فأتيناه فقرعت عليه

الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً قال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك فقال جدماً جئتاً له فحاده ساعة
ثم قال له عليك دين قال نعم فقال يا عباسي اقض دينه ثم انصر ففنا فقال ما أغنى عني (٥٩) صاحبك شيئاً فانظري رجلاً أسأله

فقلت ههنا الفضيل بن
عباض قال امض بنا إليه
فأتيناه واذ هو قائم يصلي
في غرفة يملو آية من كتاب الله
ورددنا فقرعت الباب
فقال من هذا فقلت أجب
أمير المؤمنين فقال مالي
ولا مير المؤمنين فقلت
سبحان الله اما عليك طاعة
فقال اوليس قد روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ليس للمؤمن ان يذل
نفسه ففزل ففتح الباب ثم
ارتقى الغرفة فأطلق السراج
ثم التجأ الى زاوية من
زوايا الغرفة فجلسنا
نحول عليه بايدينا فسمعت
كف الرشيد كفي اليه فقال
أواه من كف ما لي بهان
نحت غدام عذاب الله
تعالى قال فقلت في نفسي
لكلمة من الله بكلام نقي من
قاب نقي فقال جدماً جئتاً
له ربحك الله قال وفيم جئتاً
جئت على نفسك وجيعة من
معتك حملوا عليك حتى لو
سألهم عندك انكشاف
الغطاء عنك وعنهم ان
يحملوا عنك شقصام
ذنب ما فعدوا ولا كان
أشدهم جبالك أشدهم
هر يامنك ثم قال ان عمر بن
عبد العزيز لما ولي الخلافة
دعا سالم بن عبد الله ومحمد

وذلك هو والنفس المدركة والحركة ولا بد فوقهما وجود آخر يعطيهما قوى الادراك والحركة ويتصل
بها أيضاً ويكون ذاته ادراكاً صافاً وتعلقاً محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون للنفس
استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقوام الاوقات في لحظة
من الاممات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحية بالفعل كما نذكره بعد ويكون لها اتصال بالافق الذي
بعدها شأن الموجودات المرتبة كما قدمناه فلها في الاتصال جهتا العلو والسفل هي متصلة بالبدن من
أسفل منها ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعدها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة
الاعلى منها بالافق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فان عالم الحوادث موجود في تعلقاتهم من
غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود باتصال ذاتها وقواه بعضها ببعض ثم ان هذه
النفس الانسانية غائبة عن العيان وآثارها ظاهرة في البدن فكانه وجيع اجزائه مجتمعة ومفترقة
آلات للنفس ولقواها اما الفاعلية فاللبطش بالبدن والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة بالكلية
بالبدن متداخلة وأما المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرتبة الى القوة العلمية او من المفكرة
التي يعبر عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهرة بآلاته من السمع والبصر وسائر ما يرتقي الى الباطن وأوله
الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة ولموسة وغير هافي حالة واحدة وبذلك
فارتقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم عليها في الوقت الواحد ثم يؤديه الحس المشترك الى
الخيال وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط وآلاتها بين القوتين
في تصرفهما البطن الاول من الدماغ مدمعة للاولى ومؤخرة للثانية ثم يرتقي الخيال الى الواهمة
والحافظة فالواهمة لا تدرك المعاني المتعلقة بالاشخصيات كمداد وزيد وصدقة عمر وورقة الاب واقتباس
الذئب والحافظة لا يداع المدركات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالحزنة تحفظها الوقت الحاجة اليها
والآلاتها بين القوتين في تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ اوله للاولى ومؤخرة للآخرى ثم ترتقي جميعها
الى قوة الفكر وآلاته البطن الاوسط من الدماغ وهي القوة التي يقع بها حركة الروية والتوجه نحو التعقل
فتحرك النفس بهادئاتها مركب فيها من النزوع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية
وتخرج الى الفعل في تعلقاتها مشبهة بالمالا الاعلى الروحاني وتصير في اول مراتب الروحانيات في ادراكها بغير
الآلات الجسمانية فهي متحركة دائماً وموجهة نحو ذلك وقد تنسلخ بالكلية من البشرية وروحانياتها
الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الجملة والفطرة الاولى في ذلك
(والنفوس البشرية) على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني فينقطع
بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة والواهمة على قوانين
محدودة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي لا تفكر في البدن وكلها خيالي
منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهي الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسدت فسد ما بعده وهذا هو
الغلب نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدمهم وصنف
متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يفتقر الى الآلات البدنية بما جعل
فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري
ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها الانطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه
مدارك العلماء الاولياء اهل العلوم الدنية والمعارف الربانية وهي المحصلة بعد الموت لاهل السعادة في

ابن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذه البلاء فاشيروا علي فعدا الخلافة بلا وعد دنتها أنت وأصحابك نعمة فقال له
سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة من عذاب

الله غدا فليكن كبير المسلمين لك اباؤا وسطهم عندك انا واصغرهم ولدا غير اباك وارحم اخاك ونحن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان اردت النجاة من عذاب الله (٦٠) غدا فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت مت واني

البرزخ وصنف مفعول على الانسلاخ من البشرية جلة جسمانيته وروحانيته الى الملائكة من الافق الاعلى لبصير في لحظة من اللحظات ما كان الفعل ويحصل له شه هو ذالملا الاعلى في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة وهو لاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجلة صورهم فيها ونزهم عن موانع البدن وعوائقه مادام والاسباب لها بالبشرية بتمسك في غرائزهم من القصد والاساس تقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادات تكشف بتلك الوجهة وتسيخ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤوا وبذلك الفطرة التي فطروا عليها الاباكتساب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشريةهم وتلقوا في ذلك الملا الاعلى ما يتلقونه عاجوابه على المدارك البشرية منزلا في قواها الحكمة التبليغ للعبادة فتارة يسمع دوايا كانه رزمن الكلام بأخذ منه المعنى الذي اتى الله فلا ينقضى الدوى الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه رجلا فيكمه ويبي ما يقوله والتلقى من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما تلقى عليه كله كانه في لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فيظهر كأنها سريرة ولذلك سميت وحيلا ان الوحي في اللغة الاسراع (واعلم) ان الاولى وهي حالة الدوى هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققه والثانية وهي حالة تمثيل الملك رجلا لا يخاطب هي رتبة الانبياء والمرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سأله الحرث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول وإنما كانت الاولى أشد لانها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج الى المدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو مدارك البصر وفي العبارة عن الوحي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء مجيء التمثيل لمحات الوحي فتدل الحالة الاولى بالدوى الذي هو في المتعارف غير كلام وأخبر أن الفهم والوعي يتبعه غيب انقضائه فماسب عند تصوره برانقضائه وانفصاله العبارة عن الوعي بالماضي المطابق للانعضاء والانقطاع ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوعي فماسب العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد واعلم ان في حالة الوحي كلها صعبه وبه على الجملة وشدة قد أشار اليها القرآن قال تعالى اناس لن يأتى عليهم قول ولا تمثلا وقالت عائشة كان عيا على من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغبط ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قرناه بمقارفة البشرية الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فيحدث عنه شدة من مقارفة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها الى ذلك الافق الاخر وهذا هو معنى الغط الذي عبر به في مبدأ الوحي في قوله فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يقضى الاعتماد بالتدريج فيه شيئا فشيئا الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في ترول سورة براءة في غزوة تبوك وأنها نزلت كلها أو أكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من

لا قول لك هذا واني لا خاف عليك أشدا لمخوف يوم تزل الأقدام فهل معك رجلك الله مثل هذا القوم من يأمر بك مثل هذا فيكي هرون بكاء شديد حتى غشي عليه فقلت ارفق يا امير المؤمنين فقال يا ابن أم الربيع قتلتني أنت وأصحابك وارفق به انا ثم افاق فقال زدني فقال يا امير المؤمنين بلعني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكاليه سهر افكتب اليه عمر بن عبد العزيز يا اخي اذكر سهر أهل النار في النار وخلود الابد فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك ان تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما قدمك قال له خلعت قلبي بكائك لاوليت لك ولاية أبدا حتى أتى الله تعالى فيبكاه هرون بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله امرني على اماراة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي فقس فحيها خيرا من اماراة

لا تخصها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون أمير افافعل فيكي هرون الرشيد بكاء قصار شديد اثم قال زدني برجلك الله قال يا حسن الوجه انت الذي يسأل الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا

الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي قبلك غش لرعبك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاش لم يرح رائحة الجنة فبكاه شديد ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي (٦١) ان سألتني والويل لي ان نادشني

والويل لي ان لم يلهمني حتى قال انما اعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا امرني ان اصدق وعده واطمع امره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هذه الف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقربها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا ادلك على النجاة وتكافئي بمنزل هذا اسمك الله ووفقت ثم صمت فلم يكلمنا فخر جنا من عنده فقال لي هرون اذ دلتني على رجل فدلتني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (وروي) ان امرأة من نساءه دخلت عليه فقالت له يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال ففرجناه فقال انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بهير يأكلون من كسبه فلما كبر فخره فأكلوا لحمه موتوا يا اهل جوعا ولا تذبحوا فاضلنا فسمع الرشيد ذلك قال ادخل فعسى ان يقبل المال قال فدخلنا فلما علم بنا الفضيل

قصارا لمفصل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك كان آخر منزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في الطول بعد ان كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والعلق وأمثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المكي والمدني من السور والآيات والله المرشد للصواب هذا محصل امر النبوة (وأما الكهانة) فهي أيضا من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم لنا في جميع ما حررنا للنفس الانسانية استعدادا للاصلاح من البشرية الى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الانبياء بما فطر واعليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشئ من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدينية كالأفعال الحركية ولا باع من الامور انما هو انصلاح من البشرية الى الملكية بالفطرة في لمحة اقرب من لمح البصر واذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية فيعطي التقسيم العقلي ان هناك صنف آخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا أعطى تقسيم الوجودان هناك صنف آخر من البشر مقطوعا على ان يتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عندهما ببعضها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجملة فيكون لها بالجملة عند ما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بامور جزئية محسوسة او متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجج الكلام وما سنع من طير او حيوان فيستدسم ذلك الاحساس او التخيل مستعيناً به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشبع له هذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس مقطوعة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها في الجزئيات أكثر من الكميات ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذات ما في نوم أو يقظة وتكون عندها حاضرة عنيدة تحضرها الخيلة وتكون لها كالمראה تنظر فيها دائماً ولا يقوى الكهان على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجج والموازنة ليشغل به عن الحواس ويقوى بعض الشئ على ذلك الاتصال الناقص فيجس في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبي ما يقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتم نقصه بامر اجنبي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ولا يكون موثوقا به وربما يفرع الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزمعه وتمويهها على السائلين وأصحاب هذا السجج هم المخصوصون باسم الكهان لانهم ارفع سائر اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقد قال ابن صياد حين سأله كاشف غايبه حاله بالاختبار كيف يأتيك هذا الامر قال يأتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني أن النبوة خاصتها الصدق فلا يعتر بها الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبي بالملا الأعلى من غير مشيوع والاستعانة باجنبي والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية كانت داخلية في ادراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصار مختلطاً بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان تكون نبوة وانما قلنا ان أرفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معنى السجع أخف من سائر المغيبات من المراثي والمسموعات وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشئ (وقد زعم) بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجيم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة وان ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهان انما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت

خرج وجلس على التراب على السطح فجاء هرون الرشيد فجاس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف يرحل الله فانصرفنا (ووعظ) شبيب بن شبة المنصور فقال يا امير المؤمنين ان الله لم

يجعل فوقك أحد افلا تجعل فوق شكر الله شكر (ودخل) عمر بن عبد على المنصور فقرأ الفجر ولبال عشر حتى بلغ ان ربك لما مرصاد
لمن فعل مثل فعلهم فاتق الله (٦٢) يا امير المؤمنين فان بيابك نيرانا تاجح لا يعمل فيها بكباب الله ولا بسنة رسول الله وانت

السكاهة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم السكاهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم
ايضا كما قررناه ايضا فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السماع وهو ما يتعلق
بجبر البعثة ولم يمنعوا عما سوى ذلك وايضا فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت
بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب
والسراج عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم الذي يخفي معه كل نور ويذهب وقد زعم
بعض الحكماء انهم اتوا جديدين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لان وجود النبوة
لا بد له من وضع فلا يكتفي به وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك
الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى السكاهان على
ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود السكاهان اما واحدا او
متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكامله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة
فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلاني يقتضي بعض اثره وهو غير مسلم فلعل الوضع
انما يقتضي ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض اجزائها فلا يقتضي شيئا لانه يقتضي ذلك الاثر ناقصا
كما قالوه ثم ان هؤلاء السكاهان اذا عاصر وا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة مجزته لانهم
بعض الوجدان من امر النبوة كمال كل انسان من امر اليوم ومعرفة تلك النسبة موجودة لا كاهن باشد
عما للنائم ولا يصددهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب الا قوة المطامع في انها نبوة لهم فيقعون في العناد
كما وقع لامية بن أبي الصلت فانه كان بطمع ان يتنبأ وكذا وقع لابن صياد ومسلمة وغيرهم فاذا غلب
الايان وانقطعت تلك الاماني آمنوا أحسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب وكان لهما
في الفتوحات الاسلامية من الاثار الشاهدة بحسن الايمان (واما الرؤيا) حقيقة فما مطالعة النفس
الناطقة في ذاتها الروحانية المحضة من صور الواقعات فانها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات
فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تجرد عن المواد الجسمانية
والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك المحضة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس بها علم ما تشوف اليه من الامور
المستقبلة وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقتباس ضعيفا وغير جلي بالحس كالمثال في الخيال
لتخلطه فيحتاج من أجل هذه المحسوسة الى التعبير وقد يكون الاقتباس قويا يستغني فيه عن المحسوسة فلا
يحتاج الى تعبير لخلوصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه المحضة للنفس انها ذات روحانية بالقوة
مستكملة بالبدن ومداركها حتى تصير ذاتها متعلقا بمحسوسات كمال وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا
روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية الا ان نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة اهل الافق
الاعلى على الذين لم يستكملوا ذاتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لهما ما
دامت في البدن ومنه خاص كالذي للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الرؤيا * واما الذي للانبياء
فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكوتية المحضة التي هي أعلى الروحانيات ويخرج هذا
الاستعداد فيهم مستكرافي حالات الوحي وهو عند ما يرجع على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع من
الادراك شيئا بحال النوم شبها بينا وان كان حال النوم أدون منه بكثير فلاجل هذا شبهه عبر الشارع عن
الرؤيا بانها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلاثة وأربعين وفي رواية ستة وسبعين وليس
العدد في جميعها مقصود بالذات وانما المراد الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في

مسؤول عما اجتروا وليسوا
مسؤولين عما اجتروا فلا
تصلح دنياهم الا بفساد
آخرتك اما والله لو علم
عمالك انه لا يرضيك منهم
الا العدل لتقررب به اليك
من لا يريده فقال له
سلمان بن مجاهد اسكت
وقد غممت امير المؤمنين
فقال له عمرو وويلك يا ابن
أم مجاهد اما كفالك انك
خزنت نصيحتك عن امير
المؤمنين حتى أردت ان
تحول بينه وبين من
ينصحه اتق الله يا امير
المؤمنين فان هؤلاء قد
اتخذوك سلبا الى شهواتهم
فانت كالسالك بالقرون
وغيرك كالحب وان هؤلاء
لن يغنوا عنك من الله شيئا
(وقال) الا وراعي لالصور
في بعض كلامه يا امير
المؤمنين اما علمت انه
كان بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم جريدة يابسة
يستاك بها ويردع بها
المتافقين فانه جبريل عليه
السلام فقال يا محمد ما هذه
الجريدة بيدك اقدفها لا
تتلافوا بها رعا فكيف
من سفلت دماء المسلمين
وشقق أستارهم وانت تب
أموالهم ان المغفور له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر دعاء

الى القصاص من نفسه يخدشه خدشها اعرابا من غير تعمد فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارا تكسر
قرون وعيتك يا امير المؤمنين لو ان ثوبان النار شرب على ما في الارض لاجتته فكيف بمن يتقصصه ولو ان ذنوبان النار صب على ما في

الارض لاجتته فكيف بمن يتجرعه ولوان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يسلسل فيها ويرد فضلها على عنقه
(ودخل) بعض العقلاء على سلطان فقال له ان احق الناس بالاحسان من احسن الله اليه واولاهم (٦٣) بالانصاف من بسط يديه بالقدرة

فاستدم ما اوتيت من النعم
بتأدية ما عليك من المحق
(وروي) ان اعرابيا قام
بين يدي هشام بن عبد
الملك فقال ايها الامير انت
على الناس سنون ثلاث اما
الاولى فأكلت اللحم وأما
الثانية فاذابت الشحم
وأما الثالثة فهاضت العظم
وعندك فضول اموال
فان كانت لله فاقسمها بين
عباده وان كانت لهم فلم
تحصرها عليهم وان كانت
لكم فقصمها فان الله
يجزي المتصدقين فامر هشام
بمال فقسم بين الناس
وأمر للاعرابي بمال فقال
ألكل المسلمين منك مثل
هذا قال لا يقوم بذلك بيت
المال قال لا حاجة لي فيما
يبعث لائمة الناس على أمير
المؤمنين (وقال) رجل
لعمر بن عبد العزيز يا أمير
المؤمنين اذكر لما في هذا
لا يشغل الله عنك كثرة
من يخاصم من الخلائق
يوم تلقاه بلا نقمة من
العمل ولا براءة من الذنب
فبككهم بكاء شديدا ثم
استردهم بالكلام فجعل
يردهم وعمر يبكي ويشتحب
ثم قال ما حاجتك قال
عاملك باذربحجان اخذ
مني اثني عشر الف درهم

بعض طرقه وهو لكثير عند العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من ان الوحي كان في
مبتدئه بالرؤيا سنة أشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف
السنة منها جزء من ستة وأربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن
أين لسان هذه المدة وقعت لغيرة من الانبياء مع ان ذلك انما يعطى نسبة زمن الرؤيا من زمن النبوة ولا
يعطى نسبة حقيقة تمام حقيقة النبوة واذا تبين لك هذا اذكرناه أولا علمت أن معنى هذا الجزء نسبة
الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القرئيب الخاص بصنف الانبياء القطري لهم صلوات الله
عليهم اذ هو الاستعداد البعيد وان كان عاما في البشر ومعه عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن
أعظم تلك الموانع المحواس الظاهرة فطر الله البشر على ارتفاع حجاب المحواس بالنوم الذي هو جيب لهم
فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تنكشف اليه في عالم المحق فتدرك في بعض الاحيان منه لحظة
يكون فيها الظفر بالمطلوب ولذلك جعلها الشارح من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا
وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له (وأما سبب ارتفاع حجاب
المحواس) بالنوم فعلى ما أصفه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وفعالها بالروح الحيواني
الجسماني وهو بخار لطيف مركزه بالتجويف الاسبر من القلب على ما في كنب النشربح لجالينوس وغيره
ويبعث مع الدم في الشريانات والروق فيعطى الحس والحركة وسائر الافعال البدنية ويرتفع لطيفه
الى الدماغ فيعدل من برده وتم أفعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة انما تدرك وتعمل بهذا الروح
البخاري وهي متعلقة بما اقتضته حكمته التكوينية في ان اللطيف لا يؤثر في الكيف ولما لطف هذا
الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار محلا لآثار الذات المبينة له في جسمانيته وهي النفس
الناطقة وصارت آثارها حاصلة في البدن بواسطة وقد كنا قد مدنا ادراكها على نوعين ادراك بالظواهر
وهو بالمحواس الخمس وادراك بالباطن وهو بالقوى الدماغية وان هذا الادراك كله صار في المسامع
ادراكا مافوقهما من ذواتها الروحانية التي هي مسندة له بالفطرة ولما كانت المحواس الظاهرة
جسمانية كانت معرضة للوسن والفشل بما يدركها من النعم والكلال وتعشى الروح بكثرة التصرف
فخلق الله لها طالب الاستحسان لتجرد الادراك على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحناس الروح
الحيواني من المحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من
البرذائل فتطلب الحرارة الغريزية أعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشبعة مركها
وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل فاذا انحنس الروح عن
المحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعها ورجعت الى
الصورة التي في المحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور خيالية وأكثر ما تكون معتادة لانها من ترعة
من المدركات المتعاهدة قد يماثلها الحس المشترك الذي هو جامع المحواس الظاهرة فيدركها على
انحاء المحواس الخمس الظاهرة وربما التفقت النفس لقمة الى ذاتها الروحانية مع منازعتها القوى الباطنية
فتدرك باذراكها الروحاني لانها مطورة عليه وتقسم من صور الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها
حينئذ ثم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة فيعملها بالحقيقة والخيال كافي القوالب المعهودة والخيال كافي
هذه هي الحاجة للتعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور المحافظة قبل أن تدرك من تلك اللوحة
ما تدركه هي اصغاث أحلام (وفي الصحيح) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا

قال لا تكتبون له حتى يرد عليه ماله (ولما) دخل زيد على عمر بن عبد العزيز قال يا زيدا لا ترى ما ابتليت به من امرأة
محمد صلى الله عليه وسلم فقال زيد يا امير المؤمنين والله لو ان شعرة منك نطقت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل لنفسك في

المخرج عما انت فيه يا امير المؤمنين كيف حال رجل له خصم الدفال سبي المال قال فان كان له خصم ان الدان قال اسواله قال فان
كانوا ثلاثة قال لا يشته عيش (٦٤) قال فوالله ما احدث من امة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فبكي حتى تميت ان

من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير
من الملك واضغات الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان يسوع الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما
يسببها وشيعة من النوم وهى خواص للنفس الانسانية موجودة فى البشر على العموم لا يخلو عنها أحد
منهم بل كل واحد من الانسائي رأى فى نومه ما صدر له فى يقظته مرار غير واحدة وحصل له على القطع ان
النفس مدركة للغيب فى النوم ولا بدواذ جاز ذلك فى عالم النوم فلا يتعنى فى غيره من الاحوال لان الذات
المدركة واحدة وخواصها عامة فى كل حال والله الهادى الى الحق بمنه وفضله

(فصل) ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالباً انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما تكون النفس
مشتوفة لذلك الشئ فيقيم لها تلك اللصحة فى النوم لانها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع فى كتاب الغاية وغيره
من كتب اهل الرياضات ذكر اسماء تذكروا عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يشوف اليه ويسمونها
الحالومية وذكروا منها مسئلة فى كتاب الغاية حالومية سماها حالومية الطباع التام وهو ان يقال عند النوم بعد
فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات العجيبة وهى تساغس بعد ان يسود وغداس نونفا غادس
ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه فى النوم (وحكى) ان رجلاً فعل ذلك بعد رياضة ليالى فى
مأكله وذكروا فتمثل له شخص يقول له انا طبايعك التام فسأله واخبره عما كان يشوف اليه وقد وقع لى انا
بهذه الاسماء فى عجيبة واطلعت بها على أمور كنت انشوف اليها من أحوالى وليس ذلك بدليل على ان
القصد للرؤيا يحدتها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا فى النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوى الاستعداد
كان أقرب الى حصول ما يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما أحب ولا يكون دليلاً على اي قاع
المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشئ فاعلم ذلك وتدبر فيما تجد من أمثاله والله الحكيم الخبير
(فصل) ثم انما نجد فى النوع الانسائي أشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم
عن سائر الناس ولا يرجعون فى ذلك الى صناعته ولا يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما نجد
مدادهم فى ذلك بمقتضى فطرتهم التى فطر واعليها وذلك مثل العرافين والناظرين فى الاجسام الشفافة
كالمريا وفساس الماء والناظرين فى قلوب الحيوانات وكبادها وعظامها وأهل الزجر فى الطير والسباع
وأهل الطرق بالحصى والمحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة فى عالم الانسان لا يسع أحدا
مجدها ولا انكارها وكذلك الجنانين ياتى على استنهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت
لاول موته او نومه يتكلم بالغيب وكذلك أهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك فى الغيب على سبيل
الكرامة معروفة ونحن الانسائي نتكلم على هذه الادراكات كلها وننتدى منها بالكهانة ثم نأتى عليها
واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة فى ان النفس الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب فى
جميع الاصناف التى ذكرناها وذلك انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كما ذكرناه
قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن وأحواله وهذا أمر مدرك لكل أحد وكل ما بالقوة فله مادة
وصورة وصورة هذه النفس التى بها يتم وجودها هو عين الادراك والتعقل فهى توجد أولاً بالقوة
مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما
يعودها بورد مدركاتها المحسوسة عليها وما تتمتع من تلك الادراكات من المعانى الكلية فتتعقل الصور
مرة بعد أخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل طوراً بالفضل فتم ذاتها وتبقى النفس كالمحلول والصور
متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولذلك نجد الصبي فى أول نشأته لا يقدر على الادراك الذى لها

لا كن قلت له ذلك
(وقال) محمد بن كعب
أعمر بن عبد العزيز يا امير
المؤمنين انما الدنيا سوق
فمنها خرج الناس بماربخوا
فيها الا حترتهم وخرجوا
بما يضرهم فكم من قوم
غرمهم مثل الذى اصبحنا
فيه حتى اتاهم الموت
فخرجوا من الدنيا مرملين
ياخذوا من الدنيا لالاخرة
فاقتسم ما لهم من لا يحمدهم
وصاروا الى من لا يعذرهم
فانظر الى الذى تحب ان
يكون معك مقدمه بين
يديك حتى تخرج اليه
وانظر الى الذى تنكره ان
يكون معك اذا قدمت
فابتغ به البديل حيث يجوز
البديل ولا تذهبن الى سلة
قد بارت على غيرك ترجو
جوازها عنك يا امير
المؤمنين افتح الابواب
وسهل الحجاب وانصر
المظلوم (وحضر) رجل بين
يدى بعض الملوك فأعاظ
له السلطان فقال له الرجل
انما انت كالسما عاذا
ارعدت وأبرقت فقد قرب
خيرها فسكن غبطة
وأحسن اليه ولم يحتاج
المنصور بن ابى عامر ملك
الاندلس ان يأخذ ارضا
محبسة ويعاوض عنها خيراً

منها استخضر الفتاه فى قصره فاقتوا بانها لا يجوز فغضب السلطان وارسل اليهم رجلاً من الوزراء مشهوراً بالحكمة
والعجلة فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين يا مشيخة السوء يا مستحلى اموال الناس يا آكلى اموال اليتامى ظالم يا شهده الزور يا آخذى

الرشا ومثل في الخصوم ومثل في الشرور وملبس الامور وملبس الروايات لا تباع الشهوات تبالك ولا ترائكم فهو اعز الله واقف على فسوقكم قديم وخونكم لاماناتكم معص عنه صابر عليه ثم احتاج الى دقة نظركم في حاجة مرة (٦٥) واحدة في دهره فلم تسعوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم

وليس كسفن ستورك
وليس سخن الاسلام فيكم
واخس عليهم هذا ونحوه
فاجابه شيخ منهم ضعيف
المنة فقال تنوب الى الله عما
قاله امير المؤمنين ونسأله
الاقالة فرد عليه زعيم القوم
محمد بن ابراهيم بن حيويه
وكان جلد اصارما فقال
للكلام محم تنوب يا شيخ
السوء نحن برآء من متالك
ثم اقبل على الوزير فقال
يا وزير بنس المبلغ انت
وكما نسبته اليناعن امير
المؤمنين فهو صفتكم معاصر
خدمه فانتم الذين تأكلون
أموال الناس بالباطل
وتستحلون ظلمهم بغير حق
وتحبون معاشهم بالرشا
والمصانعة وتبغون في
الارض بغير الحق وأما نحن
فلمست هذه صفاتنا ولا
كرامة لا يقولها لنا الا متهم
في الديانة فنحن أعلام
الهدى وسراج الظلمة بنا
يتخصن الاسلام ويفرق
بين الحلال والحرام وتنقذ
الاحكام وبناتقام
الفرائض وتثبت الحقوق
وتحقن الدماء وتستحل
الفرج فهل اذعيب
علينا سيدنا امير المؤمنين
بشي لا ذنب فيه لنا وقال

من ذاتها الانوم ولا بكشف ولا بغيرهما وذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم يتم
بعد بل لم يتم لها انتزاع الكلمات ثم اذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها مادامت مع البدن نوعان من الادراك
ادراك بالآلات الجسم تؤديه اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس
في البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس ابداء جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه أولا من الادراك
الجسماني وربما تنغمس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لمخطة ما بالخاصية التي هي للانسان
على الاطلاق مثل النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق او بالرخصة مثل اهل
الكشف من الصوفية فتنفذ حينئذ الى الذوات التي فوقها من المالا على ما بين أفعها وأفعهم من
الاتصال في الوجود كما قررناه قبل وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالغة عمل وفيها صور
الموجودات وحقائقها كما مر في تجلي فيها شيء من تلك الصور وتقبس منها علوما وربما دفعت تلك الصور
المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع الحس بما دركت اما مجردا وفي قوالبه
فتخبر به هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي والرجوع الى ما وعدنا به من بيان أصفاته
(فأما) الناظرون في الاجسام الشفافة من المريا وطساس المياه وقلوب الحيوان وكبدنها وعظامها واهل
الطرق بالحصى والنوى فكلامهم من قبيل الكهان الا أنهم اضعف رتبة فيه في اصل خلقهم لان الكهان
لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كثير معاناة وهؤلاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد
منها واشرفها البصر فيعكف على المرئي البسيط حتى يبيد دوله مدركة الذي يخبر به عنه وربما يظن ان
مشاهدة هؤلاء ما يروونه هو في سطح المرأة وليس كذلك بل لا يزلون ينظرون في سطح المرأة الى ان يغيب
عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرأة حجاب كأنه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم فيشبهون
اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفى او اثبات فيخبرن بذلك على نحو ما أدر كوه واما المرأة وما
يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو
نفساني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني الحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض
لناظرين في قلوب الحيوانات وكبدنها ولناظرين في الماء والطساس وامثال ذلك وقد شاهدنا من
هؤلاء من يشغل الحس بالبحور فقط ثم بالغرائم للاستعداد ثم يخبر كما أدر ك ويرجعون أنهم يرون الصور
متشخصة في الهواء تحكي لهم أحوال ما يتوجهون الى ادراكه بالتمثال والاشارة وغيبية هؤلاء عن الحس
أخف من الاولين والعالم ابو الغرائب واما الزبر وهو ما يحدث من بعض الناس من التسكك بالغيب عند
سنوح طائر او حيوان والفكر فيه بعد مغيبه وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه
من مرئي او مسموع وتكون قوته الخيالية كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مسعينا بما رآه او سمعه فيؤديه
ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة الخيالية في النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين الحسوس المرئي في يقظته
وتجمله مع ما عاينته فيكون عنها الرؤيا واما المجازين فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد أفرجهم
غالب اضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مسعرة في الحواس ولا منغمسة فيها بما شغلها في
نفسها من ألم النقص ومرضه ويزاوجها على التعليق به روحانية اخرى شيطانية تشبث به وتضعف هذه عن
مما نعتما فيكون عنه التخييل فاذا اصابه ذلك التخييل افساد مزاجه من فساد في ذاتها او مزاجه من النفوس
الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه جملة فادرك نحوه من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها الخيال
وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه

(٩ - ابن خلدون) بالغيط ما قاله تأنيث لا بلاغنا رسالتنا بهون من الخاشك وعرضت لنا بانكاره حتى فهمنا منك فأجبتك عنه
بما يصلح الجواب عنه فيه فكنت تزين على السلطان ولا تقشي سره وتستحيين بما استقبلتنا به فنحن نعلم ان امير المؤمنين لا يتعادي على

هذا الرأي فبنا ولا يعتمد هذا المعنى في صفاتنا وانه سراج بصيرته في اثارنا ونعز يزنا فلو كنا عنده على هذه الحال التي وصفه قتها عنا
 والعياذ بالله من ذلك لابلط (٦٦) عليه كل ماصنعه وعقده من أول خلافته الى هذا الوقت فثبت له كتاب من حرب ولا

لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس الابد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قرناهم ومن ذلك يحيى
 الكذب في هذه المدارك وأما العرافون فهم المتعلقة بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون
 الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه يأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من منادى
 ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا تحصيل هذه الامور)
 وقد تكلم عليهم المسعودي في مروج الذهب فاصادف تحقيرا ولا اصابو يظهر من كلام الرجل انه كان
 بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهل هذه الادراكات التي ذكرناها موجودة
 كلها في نوع البشر فقد كان العرب يقزعون الى السكنان في تعرف الحوادث ويتسافرون اليهم في
 الخصوصيات ليعرفوهم بالحق فيهم اذراك غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في
 الجاهلية شق من انمار بن نزار وسطحي بن مازن بن غسان وكان يدرج كيدرج الثوب ولا عظم فيه الا
 الجحمة ومن مشهور الحكيمايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة بن مضر وما أخبراه به من ملك الجبشة للين
 ومالك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش ورؤيا المويدان التي اولها سطح لما بعث اليه
 بها كسرى عميد المسيح فاخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان
 في العرب منهم كثير وذكروهم في اشعارهم قال

فقلت لعراف اليمامة داوئي * فانك ان داوئي ليطيب
 جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شقياني
 وقال الآخر فقال لا شقاء الله والله مالنا * بما جعلت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجدان الباقي الاسدي (ومن هذه المدارك الغيبية) ما يصدر
 لبعض الناس عند مقارعة البقعة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي يتشوف اليه بما يعطيه غيب
 ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادى النوم عند مقارعة البقعة وذهاب الاختيار في الكلام
 فيتكلم كأنه مجبول على النطق وغايته ان يسمعه ويقفه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مقارعة رؤسهم
 وأوساط أبدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين أنهم قتلوا من سجنوهم اشخاصا
 ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب أمورهم في أنفسهم فأعلموهم بما يستبشع وذكر مسئلة في كتاب
 الغاية له في مثل ذلك ان آدميا اذا جعل في دن علمه يدهن السمسم ومكث فيه اربعين يوما يغذى بالثين
 والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤون رأسه فيخرج من ذلك الدهن فين يحفف عليه
 الهوا يجيب عن كل شيء يسئل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من منا كبر أفعال
 السحرة لكن يفهم منه عجائب العالم الانساني ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياسة
 فيحاولون بالمجاهدة متواصلين ما عابا بماتة جميع القوى البدنية ثم يحو آثرا التي تلونت بها النفس ثم
 تغذيها بالذكرك ليرتداد قوة في نشأها ويحصل ذلك بجمع الغيرة وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا
 نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع
 لهم قبل الموت ما يقع لهم بعد الموت وطلعت النفس على المعينات ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية يرتاضون
 بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المعينات والتصرفات في العوالم واكثر هؤلاء في الاقاليم المنخرقة جنوبا
 وشمالا خصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الحوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار
 عنهم في ذلك غريبة وأما المتصوفة فرياضتهم دينية وعريقة عن هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون

سلم ولا شرع ولا بيع ولا
 صدقة ولا حدس ولا هبة
 ولا عتق ولا غير ذلك الا
 بشهادتنا هذا ما عندنا
 والسلام ثم قاموا منصرفين
 فلم يكادوا يبلغوا باب القصر
 الا والرسل تناديهم فادخلوا
 القصر فلقاهم الوزراء
 بالاعظام ورفعوا منازلهم
 واعتذروا اليهم عما كان
 من صاحبهم وقالوا لهم أمير
 المؤمنين يعتذر اليكم من فرط
 موجدته ويستجير بالله من
 الشيطان الرجيم ونزغته
 التي حملته على الجفاء عليكم
 ويعلمكم انه نادى على ما
 كان منه اليكم وهو مستبصر
 في تعظيمكم وقضاء حقوقكم
 وقد أمر كل واحد منكم
 ما ترون من صلة وكسوة
 عامة لرضاه عنكم فدعوا له
 وقبضوا ما أمرهم وانصرفوا
 غابرين لم يمسهم سوء (ولما)
 نظر مالك بن دينار الى
 المهلب بن أبي صفرة يجبر
 أذنيه ولا يتجترق أبواب
 خيالاته ناداه ان ارفع من
 ثيابك فقال له المهلب أو ما
 تعرفني قال له مالك بلى اني
 أعرفك اولك نطفة مذرة
 وآخرك خيفة قدرة وانت
 فيما بين ذلك تحمل العذرة
 ويروي ان رجلا قال
 لعبيد الله العمري هذا

هر رن الرشيد في الطواف قد اخلى له المسعى فقال له لاجزاءك الله غني خيرا كلقتي أمرا كنت عنه غنيا ثم جاء اليه فقال
 له يا هر رن فلما نظر اليه قال لبيك يا عم قال لم ترى ههنا من خلق الله فقال لا يحصيهم الا الله عز وجل فقال اعلم أيها الرجل ان كل واحد

منهم يسئل عن خاصة نفسه وأنت واحد تسئل عنهم فأنظر كيف تكون قال فبكي هرون وجاس وجعل يعطونه منديلا منديلا
لدموع ثم قال له فيما قال ان الرجل ليسر ع في مال نفسه فيسحق الحجر عليه فكيف (٦٧) فيمن أسرع في مال المسلمين فيقال

ان هرون كان يقول بعد ذلك اني أحب ان احج في كل عام وما يعني من ذلك الا عبيد الله الع-مري و يروي ان الحسن بن محمد ابن الحسين رضي الله عنهم دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال له عمر ايه اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وجنا على ركبتيه فقال الحسن من اذ ارضي لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن اذا قد لم يتناول ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فقدم غلام منهم له كلام وكان حديث السن فقال له عمر لينطق من هو أسن منك فقال الغلام أصليح الله أمير المؤمنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبدا سالنا لفظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله ومن سمع خطابه ولو ان الامري أمير المؤمنين بالنس لكان في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك فقال صدقت

جميع المهمة والاقبال على الله بالكفاية ليحصل لهم ادواق اهل العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجموع التغذية بالذكرك فيهم اتهم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكرك كانت أقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكرك كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي لتقصده التصرف والاطلاع على الغيب واخسر به اصفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من آثار العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا شيا سواه واذا حصل انشاء ذلك ما يحصل في بالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يقر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسية وكشفوا ما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك ينكسر في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وابو محمد بن أبي زيد المالكي في آخرين فراد من التباس المجزئة بغيرها والمأول عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتعدي فهو وكاف وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للحكاية من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن ذئب كان قائدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط مع المشركين في معترك وهم بالانضمام وكان يقر به جبل يتجهز اليه فرفع لعمر ذلك وهو يخطف على المنبر بالمدينة فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية وهو يمد يده ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله ايضا لابي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنهم في شأن ما نحلها من أوسق التمر من حديثه ثم نبهها على جذاذه لتخوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هم اخوانك وأختك فقالت انما هي اسماء فن الاخرى فقال ان ذابطن بنت خارجة اراها جارية في كانت جارية وقع في الموطا في باب ما لا يجوز من التحلل ومثله هذه الوقائع كثيرة لهم ولما بعدهم من الصالحين وأهل الاقتداء الا ان أهل التصوف يقولون انه يقدل في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حالة بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المريد اذا جاء للمدينة النبوية يسأل حاله مادام فيها حتى يفارقها والله يرفعها لهادية ويرشدنا الى الحق (فصل) ومن هؤلاء المرديد من المتصوفة قوم بهاليل معتموهون أشبه بالجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقيين وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع انهم غير مكافين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتعبدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال الجانين وانما فقد لهم العقل الذي ينط به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يشهد بها نظره ويعرف أحوال معاشه واستقامة منزله وكأنه اذا ميز أحوال معاشه واستقامة منزله لم يبق له عذر في قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بقاذا نفسه ولا ذاهل عن حقيقةه فيكون موجودا الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش والاستحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفااء الله لعباده لمعرفة على شيء من التكليف واذا صح ذلك فاعلم انه ربما يلتبس حال هؤلاء بالجانين الذين نفسهم نفوسهم الناطقة ويلتحقون بالبهائم ولأن

قل ما بدالك فقال الغلام أصليح الله أمير المؤمنين نحن وفدتهم لاول فدر مرزئو قد أتيناك من الله الذي من علينا بك ولم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة إما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا وإما الرهبة فقد انا جورك بعد ذلك فقال له عمر عظمي يا غلام فقال الغلام أصليح الله أمير

المؤمنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول املهم وكثرة ثناء الناس عليهم فنزلت بهم الاقدام فهو وافي النار فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وكثرة ثناء الناس عليك فنزل بك قدمك فالحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والحق بصالحى

(٦٨)

في تمييزهم علامات منها ان هؤلاء البهائم لا يتجدد لهم وجهة ما يتخلون عنها أصلا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا يتجدد لهم وجهة أصلا ومنها انهم يخلقون على البهائم من أول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالحيية ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بهذا الكلام اليه والله المرشد للصواب (فصل) وقد نزع بعض الناس ان هنامدارك للغيب من دون غيبة عن الحس ففهم المنجمون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالنظار ويتأدى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على التأثير النجومية وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد حدث يقف به الناظر على تفصيله في الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محله ان شاء الله وهو لو ثبت فغايبته حدس وتخمين وليس مما ذكرناه في شيء ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا الاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعية سموا خط الرمل نسبة الى المادة التي يصفون فيها عملهم وحصول هذه الصناعة انهم صيروا من النقطة اشكالاً ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيهم ما كانت ستة عشر شكلاً لانها ان كانت أزواجاً كلها أو افراداً كلها فاشكالان وان كان الفرد فيهم ما في مرتبة واحدة فقط فاربعة أشكال وان كان الفرد في مرتبتين فستة أشكال وان كان في ثلاثة مراتب فاربعة أشكال جاءت ستة عشر شكلاً يميزوها كلها باسمائها وانواعها الى سبعين ونحوها شأن الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بينا طبيعية نزعهم وكانها البروج الاثنا عشر التي للفلك والاوتاد الاربعة وجعلوا لكل شكل منها بنية واحظوظا ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حاذوا به فن النجامة ونوع قضائه الا ان احكام النجامة مستندة الى اوضاع طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما مستندة الى اوضاع فلكية وأهواء اتفاقية ولا دليل يقوم على شيء منها ويزعمون ان أصل ذلك من النبوة القديمة في العالم ووربما نسبوها الى دانيال او الى ادریس صلوات الله عليهم ما شأن الصنائع كلها ووربما يدعون مشروعيةها ويحتجون بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخط فخن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تخصص له فيه لان معنى الحديث كان نبي يخط فباتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في أن يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فخن وافق خطه فذاك النبي فهو ذلك أي فهو صحيح من بين الخط بمساعدة من الوحي لذلك النبي الذي كانت عادته أن ياتيه الوحي عند الخط وأما اذا أخذ ذلك من الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا وهذا معنى الحديث والله اعلم فاذا أرادوا استخراج مغيب بزعمهم عدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقطة سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كرروا ذلك اربع مرات فتجئ عشرين سطورا ثم يطرحون النقطة ازواجا ويضعون ما بقي من كل سطر زوجا كان أو فردا في مرتبة على الترتيب فتجئ اربعة اشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال أخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قبلها من الشكل الذي بازائه وما يجتمع مع منها من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلاً تحتها باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين أيضاً من زوج او فرد فتكون اربعة اشكال أخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلاً

هذه الامة ثم سكت فسأل عمر الغلام عن سنة فاذا هو ابن احدى عشرة سنة ثم سأل عنه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقتل عمر عند ذلك فقال تعلم فليس المرء بولد عالما وليس أخوه علم كن هو جاهل

وان كبير القوم لا علم عنده صغير اذا التفت عليه المحافل وفي مثل هذا قيل للعتابي وكان لا يسالي ما لبس مالك لا يتجبد الملبوس فقال انما يرفع الرجل أديه وعقله لادبته وحلته فحى الله امرأ يرضي ان ترفعه همته ومجاليه لا والله حتى يشرفه اصغراه لسانه وقلبه ويعلمه بأكبراه همته ولبه ولما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن المنذر وهو ملك وكان ضمرة ذارياً وعقله انحقرته عيناه لدما مشه فقال لان تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فقال ضمرة آبيت اللعن ان القوم ليسوا بجزور تجزروا انما المرء باصغر به قلبه ولسانه فاذا نطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بخنان والرجال لا تكال بالفقران ولا توزن بالقيان فأعجب

المنذر بكلامه وروى ان روح بن زنباع وكان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا فاضربت لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فغيتهم ما هم كذلك اذ ايامهم براع فدعاه للطعام فاني وقال اني صائم قال له روح في مثل ذلك

هذا اليوم الحارقال أفادع أيامي تذهب باطلا قال روح لقد ظننت يا ربك يا ربك ان اذ جاء بهار وروح بن زبناح وروى ان اغرايا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا امير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته (٦٩) فان وراءه ما تحب ان قبلته قال هات

يا اعرابي قال ساطق اساني
بما خست به اللسان اداء
لمحق الله ولمحق امانتك
انك قد اكنفتك رجال
أساؤا الاختيار لانفسهم
وابتاعوا دنياك بدينهم
و رضاك بسخط ربهم
خافوك في الله ولم يخافوا
الله فيك فلا تصلح دنياك
بفساد آخرتك فاعظم
الناس غمنا يوم القيامة من
باع آخرته بدنائه فقل
له سليمان اما أنت فقد
نصحت وأرجو ان الله
سيعيننا على ما قلنا وقد
جرت لسانك فهو سيق
فقال أجل يا امير المؤمنين
وهو لك لاعليك وقال ابن
أبي عروبة حج الحجاج فنزل
بعض المياه بين مكة والمدينة
ودعا بالغاذا وقال لجاومه
انظر من يتغدى معي وأساء له
عن بعض الامر فظن نحو
المجل واذا هو براع بين
مخلفين نائم فضر به برجله
وقال له انت الامير فانه
فقال له الحجاج اغسل يدك
وتغمد معي فقال دعاني من
هو خير منك فاجبه قال
ومن هو قال الله تعالى
دعاني الى الصيام فصمت
قال في هذا الحر الشديد
قال نعم صمت ليوم هو أشد
منه خرا قال فاطر وصم

كذلك تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته أشكاله من السعودة والخوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على أصناف الموجودات وسائر ذلك تحتها كما غريبها وكثرت هذه الصناعة في العمران ووضعها فيها التاكليف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهي كما رأيت تحتكم وهوى والتحقيق الذي ينبغي ان يكون نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المقطورين على الرجوع عن عالم المحس الى عالم الروح ولذلك يسمى المتبحرون هذا الصنف كلهم بالزهر بين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة برزخهم في أصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من أهل هذه الخاصة وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام او غيرها الشغل المحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات لمحة ما فهم من باب الطرق بالخصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا الشفقة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة وانها تعبد ذلك فهد من القول والاعمال والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه القطرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبي أنهم عند توجههم الى تعرف الكائنات يترجمهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتثاؤب والتقطط ومبادئ الغيبة عن المحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجه له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تنقيح كذبه

(فصل) ومنهم طوائف ايضا ممن قواني لا استخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من المحس المبني على تأثيرات النجوم كإزعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجهلون بها كاصيد لاهل العقول المستضعفة ولست أذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع به الخواص فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النجم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين من الملوك وهو ان تحسب الحروف التي في اسم أحدهما بحسب الجمل المصطلح عليه في حروف أبجد من الواحد الى الالف آحادا وعشرات ومئين وألوف فاذا حسبت الاسم وتوصل اليك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان كان العددين مختلفين في الكمية وكانا معاز وجين او فردين معا فاحسب الاقل منهما ما هو الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معاز وجان فالملوب هو الغالب وان كان معا فردين فالطالب هو الغالب ويقال هنا لك بيتان في هذا العمل اشتهر بين الناس وهما

أرى الزوج والافراد يسمو أقلها * وأكثرها عند النخالف غالب
ويغلب مطلوب اذا الزوج يستوى * وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا المعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا معروفا عندهم في طرح تسعة وذلك أنهم جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي ١ الدالة على الواحد و ١٠ الدالة على العشرة وهي ١٠ دة في مرتبة العشرات و ١٠٠ الدالة على المائة لانها واحد دة في مرتبة المئين و ١٠٠٠ الدالة على الالف لانها واحد دة في مرتبة الالف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر حروف أبجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي ايقش

غدا قال ان ضمنت لي البقاء الى غدا قال ليس ذلك الى قال فكيف تسألني عاجلا بل لا تقدر عليه قال لانه طيب قال لم تطيبه أنت ولا الطباخ واسكن طيبة العافية وما حج هرون الرشيد بعث الى مالك بن أنس بكيس فيه خمسة مائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف ودخل

المدينة بعث الى مالك بن انس أن أمير المؤمنين يجب أن تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخائه وقال
الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم (٧٠) لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان مالك كان يقن الناس ويحمله على كل لحم

ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث وأسقطوا مرتبة الآلاف منها لانها كانت آخر
حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي ب الدالة على اثنين
في الاتحاد وك الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و ر الدالة على اثنين في المئتين وهي
مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على ثلاثة
فنشأت عنها كلمة جلس وكذلك الى آخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الآحاد وهي
ايقش بكر جلس دمت هنت وضح زعد حفظ طضع مرتبة على توالي الاعداد ولكل
كلمة منها عدد الذي هي في مرتبة فالواحد لكلمة ايقش والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة
جلس وكذلك الى التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فاذا أرادوا طرح الاسم بسبعة
نظروا كل حرف منه في أي كلمة هو من هذه الكلمات واخذوا عدد ما كانه ثم جمعوا الاعداد التي
ياخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل عنها والاخذوه كما هو
ثم يقرءون كذا بالاسم الآخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه والسفر في هذا القانون بين
وذلك ان الباقي من كل عدة من عقود الاعداد بطرح التسعة انما هو واحد فكل كلمة يجمع عدد العقود
خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كانها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين
والالفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثمائة والثلاثة آلاف كلها ثلاثة ثلاثة
فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على أصناف العقود في
كل كلمة من الآحاد والعشرات والمئين والالوف (١) وصار عدد الكلمة الموضوع عليها نائبا عن كل حرف فيها
سواء دل على الآحاد والعشرات أو المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كلها
الى آخرها كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامم القديمة وكان بعض من لقيناه من شيوخنا
يرى ان الصحيح فيها كلمات أخرى تسعة مكان هذه ومتواليه كتواليها ويقولون بها في الطرح تسعة مثل
ما يقع لونه بالآخرى سواء هي هذه أرب يسقت جزلط مدوص هف تحذن عش خنغ نضظ
تسع كلمات على توالي العدد ولكل كلمة منها عدد الذي في مرتبة فيها الثلاثي والرباعي والخماسي وليست
جارية على أصل مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا يلقونها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من السجيا
وأسرار الحروف والحجامة وهو أبو العباس بن البناء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في طرح
حساب النيم أصبح من العمل بكلمات ايقش والله أعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة
الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب النيم غير معزى الى ارسطو وعنده المحققين لما فيه من
الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد بذلك تصفحه ان كنت من أهل الرسوخ اه ومن هذه
القوانين الصناعات لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزايرة المسماة بزايرة العالم المعزولة الى أبي
العباس سيدي احمد السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائتين السادسة عمرا كش ولعهد أبي
يعقوب المنصور من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صناعات وكثير من الخواص يوالعون بافادته
الغيب منها بجمالها المعروف بالمعروف فيحرضون بذلك على حل رزقه وكشف غامضه وصورته التي يقع العمل
عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للافلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك
من أصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام فلكها اما البروج واما العناصر أو غيرهما

الخزير يرفاقى برجل أفضل
أهل زمانه فاعظم الناس
مكانه وهما لم امره فراوده
على أكل لحم الخزير فلم
يقبل ففرق له صاحب
شرطة الملك فقال له أنا
أنتك يجدي نذبحه بما
يجل لك أكله فاذا دعا الملك
لحجم خنزير آتيتك به
ففعل ثم أتى به الملك فدعا
لحجم الخزير يرفاقى صاحب
الشرطة بذلك المجدي
فامر به الملك أن يأكله فإني
ان يأكله فجعل صاحب
الشرطة يغمزه ان يأكله
فإني ان يأكله فامر الملك
صاحب الشرطة ان يقتله
فلما ذهب به قال ما منعك
ان تأكل وهو اللحم الذي
نذبحته أنت أظننت اني
جئت بغيره قال لا قد علمت
انه هو ولكني خفت أن
يقتل الناس بي فان أكرهوا
على أكل الخزير قالوا
قد أكله فلان فيستني بي
فاكون فنته لهم فقتل رجه
الله وروى ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال
لكعب الاحبار يا كعب
خوفنا قال اوليس فيكم
كتاب الله وسنة رسوله قال
بلى يا كعب ولكن خوفنا
قال يا أمير المؤمنين ان عمل
عمل رجل لو وافيت يوم

القيامة بعمل سبعين نبيا لا زدرت عملهم مما ترى فنهكس عروا طرق مليا ثم أفاق ثم قال يا كعب
خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فجع من جهنم قدر من خزير نور بالشرق ورجل بالمغرب لعلى دماغه حتى يسيل من حرقه فنهكس عروا ثم أفاق

فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتفرز فرقة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الاخر على ركبته حتى يخرج
ابراهيم خليل الرحمن على ركبته يقول يا رب لا أسألك اليوم لانفسى واستأذن أبودهمان (٧١) على بعض الامراء فخبه ثم أذن له

فلما دخل قال ان هذا الامر

الذي صار اليك قد كان في
يد غيرك فامسوا والله
حديثا فان خيرا خيرا وان
شرا فشر فتجيب الى عباد
الله بحسن البشرولين
الجانب وتسهل الحجاب
فان حب عباد الله موصول
بحب الله وبغضهم موصول
ببغضه لانهم شهداء الله
على خلقه (ولما) دخل
محمد بن واسع سيد العماد
في زمانه على بلال بن أبي
بردة أمير البصرة وكان
نوبه الى نصف ساقه فقال
له بلال ما هذه الشهرة
يا ابن واسع فقال له ابن
واسع انتم شهرتمونا هكذا
كان لباس من مضى وانما
انتم طولتم ذيلكم فصارت
السنة بدتكم بدعا وشهرة
وأما أنا فلما دخلت على
ملك مصر وهو الافضل بن
امير الجيوش فقلت سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته
فرد السلام على نحو ما سلمت
ردا جميلا وكرما اكراما جريلا
وأمرني بدخول مجلسه
وأمرني بالجلوس فيه فقلت
أيها الملك ان الله سبحانه
وتعالى قد أحلك مجلا
عاليا شامخا وأنت لم تنزل
شر يفا باذنا وملا بك
طائفة من ملايكه وأشركاك

وخطوط كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حرف متتابعة موضوعة فنها برشوم (١)
الزمام التي هي أشكال الاعداد عند أهلي الدواوين والحساب بالمغرب لهذا العهد ومنها برشوم الغبار
المتعارفة في داخل الزايرة وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهر الدوائر جدول
متذكر البيوت المتقاطعة طولها وعرضها يشتمل على خمسة وخمسين بيتا في العرض ومائة واحد وثلاثين في
الطول جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد وأخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك
الاعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العائرة من الخالية وحقا في الزايرة جبهة آيات من
عروض الطويل على روى اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايرة جبهة
الانها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والجلال في بعض جوانب الزايرة جبهة بيت من الشعر منسوب
لبعض أكابر أهل المحدثان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اشبيلية كان في الدولة المملوكية ونص
البيت سؤال عظيم الخلق خرت فصن اذن * غرائب شك ضبطه الحمد مثلا

وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزايرة جبهة وغيره فاذا أرادوا
استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم أخذوا الطالع لذلك
الوقت من بروج الفلك ودرجه وعودوا الى الزايرة جبهة ثم الى الوراء المكتنف فيها بالبرج الطالع من أوله
مارا الى المركز ثم الى محيط الدائرة قبالة الطالع فبدأوا بحرف المكتوب عليه من أوله الى آخره
والاعداد المرسومة بينهم ما يصير ونها حرفا بحساب الجمل وقد ينقلون أحادها الى العشرات وعشراتها
الى المئين وبالعكس فيهما كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى
ذلك جميع ما على الوراء المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من أوله الى المركز فقط
لا يتجاوزونه الى المحيط ويقلعون بالاعداد ما فعلوه بالاول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون
حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية
ثم يضربون عدد درج الطالع في أس البرج رأسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه
الاس عند أهل صناعة الحساب فانه عندهم الم بعد عن أول المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمى
الاس الاكبر والدور الاصل ويدخلون بما تجمع لهم من ذلك في بيوت الجداول على قوانين معروفة
وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون أخرى ويقابلون بما معهم في
حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد
معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور يعاودون ذلك بعدد
الادوار المعينة عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات منظومة في
بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسبما نذكر
ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة جبهة وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهاقنون على
استخراج الغيب منها بتلك الاعمال ويحسبون ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب
دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لانه قد مر ان الغيب لا يدرك بالمرصناعي البتة وانما
المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب
مستقيما أو موافقا للسؤال ووقع ذلك بهذه الصناعة في تكسير الحروف المتجمعة من السؤال والاوتار

(١) قوله برشوم أي موضوعة برشوم بضم الراء جمع رشيم بالشين المعجمة اه

في حكمه ولم يرض ان يكون أمرا - د فوق امرك فلا ترض ان يكون أحد - د أولى بالشكر منك وان الله تعالى قد ألزم الورى طاعتك فلا
يكون أحد أطوع لله منك وان الله تعالى امر عباده بالشكر وليس الشكر باللسان ولا كنهه بالفعل والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل

داود شكرنا واعلم ان هذا الملك الذي اصبحت فيه انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة (٧٢) فان الله سائلك عن النقيير والقطمير والقنيل قال الله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا

يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بجذافيها سليمان بن داود عليه السلام فمخزله الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخزله الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عدها نعمة ولا حسبها كرامة كما حسبتوها بل خاف ان تكون استدرجا من الله تعالى ومكرابه فقال هذا من فضلي لربي ليعلموني الشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظالم يوم اعانك الله على ما قلته لك وجعلك كهفا للكهوف وامانا للخائف ثم اتهمت المجلس بان قلت قد دونت البلاء شرقا وغربا فاخترت عاكمة تزوجت فيها وولدت لي غير هذه المملكة ثم انشدت شعرا والناس اكيس من ان يحمدا وارجلا حتى يروا عنده آثارا احسان

والدخول في الجدول بالاعداد المجتمعة من ضرب الاعداد المقرضة واسـ استخراج الحروف من الجدول بذلك وطرح أخرى ومعاودة ذلك في الادوار المعـ ودودة ومقابلة ذلك كما بهـ روف البيت على التوالي غير مستندـ كـ وقد يدقح الاطـ لاع من بعض الاذكياء على تناسب بين هـ هذه الاشـ ما فبقـ له معرفة الجهل فالتناسب بين الاشـ ما هـ سـ بـ المحصول على الجهل من المعـ لوم الحاصل للنفس وطريق لمصولة سـ ما من أهل الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفـ كـ وقد مر تعليل ذلك غير مرة ومن أجل هذا المعنى ينسبون هذه الزايرة في الغالب لاهل الرياضة فهي منسوبة للسدي ولقد وقفت على أخرى منسوبة لسهل بن عبد الله ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاناة المحيية والجواب الذي يخرج منها فالسري في خروجه منظوما يظهـ رلى انما هو المقابلة بحـ روف ذلك البيت ولهـ ذا يكون النظم على وزنه ورويه ويدل عليه انا ووجهـ دنا اعمالا أخرى لهم في مثل ذلك أسقطوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك في موضعه وكثير من الناس تصديق مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونقوده الى المطلوب فيـ كـ صحتها ويحسب انها من التخييلات والايهامات وأن صاحب العمل بها يشد حروف البيت الذي ينظمه كما يريد يدين أثناء حروف السؤال والاولى وبقـ عل تلك الصـ ناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يحى بالبيت ويوهم أن العمل جاء على طريقة منضبطة وهذا المحسـ بان توهم فاسد جعل عليه القصود عن فهم التناسب بين الموجودات والمعدومات والتفاوت بين المدارك والعقول وليكن من شأن كل مدرك انكار ما ليس في طوقه ادراكه ويكفيه في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والمحدث القطعي فانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح لا مزية فيه عند من يباشر ذلك ممن له ذكاء وحسد واذا كان كـ ير من المعايات في العدد الذي هو أوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفائها فافانك بمثل هـ ذامع خفاء النسبة فيه وغيابها فلنـ ذ كـ مسألة من المعايات يتضح لك بها شيء مما ذكرنا مثاله لوقيـ لـ كـ خذ عددا من الدراهم واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي أخذت واشتر بها طائر اثم اشتر بالدراهم كلها طيور اربـ عـ ذلك الطائر فكم الطيور المشترا بالدراهم فجوابه أن تقول هي تسعة لانك تعلم أن فلوس الدراهم أربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وأن عدة ثمان الواحد ثمانية فاذا جمعت الثمن من الدراهم الى الثمن الاخر فـ كان كله ثمن طائر فهي ثمانية طيور وعدة ثمان الواحد وترتد على الثمانية طائرا آخر وهو المشـ ترى بالفلوس المأخوذة أولا وعلى سعره اشترى بالدراهم فتكون تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضـ بر التناسب الذي بين اعداد المسئلة والوهـ م أول ما يليق اليك هـ هذه وأمثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذي لا يمكن معرفته وظهر أن التناسب بين الامور هو الذي يخرج مجهولها من معلومها وهذا انما هو في الواقع الحاصلة في الوجود والعلم واما الكائنات المستقبلة اذا لم تعلم اسباب وقوعها ولا يثبت لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في الزايرة كلها انما هي في استخراج الجواب من الفاظ السؤال لانها كما رأيت استدباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب آخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينهما ما يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك التناسب تبصر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين والجواب يدل في مقام آخر من حيث موضوع الفاظه وتراكيبه على وقوع أحد طرفي السؤال من نفي أو اثبات وليس هـ ذامن المقام الاول بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سيبل الى معرفة ذلك من هـ ذه الاعمال بل

وكتب حكيم الى حكيم اني سائلك عن ثلاثة أشياء ان اجبت عنها صرت لك تلميذا أي الناس أولى البشر بالرحمة ومتى تضيع أمور الناس وهم تتلقى النعمة من الله تعالى فكتب اليه ان أولى الناس بالرحمة ثلاثة البهر يكون في سلطان فاجزفهو

الدهر شري ما يرى ويسمع والعاقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر مغمو ومواكريم يحتاج الى اللثيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيق أمور الناس اذا كان الرأي عندهم لا يقبل منه والسلاح عندهم لا يستعمله (٧٣) والمال عندهم لا ينفعه وتتلقى النعمة

من الله تعالى بكثره شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فصار تليد الى ان مات (وقال يحيى بن سعيد) حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فلما أشرفا على عقبة عسقان نظر سليمان الى السراقات قد ضربت له فقال له يا عمر كيف ترى قال ارى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضا وانت المسئول عنها المؤخوذ بها فبينما هما كذلك اذطار غراب من سرادات سليمان في منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول هذا الغراب قال عمر ما أدري ما يقول ولكن ان شئت أخبرتك بعلم قال أخبرني قال هذا غراب طار من سراداتك في منقاره كسرة أنت بهما مأخوذ وعنها مسئول من أين دخلت ومن أين خرجت قال انك لتخبرنا بالجنائب قال أولا أخبرك بأعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف عصاه ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش قال لقد غشيت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار (ويروى) ان بلال بن أبي

الشر محبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

(الفصل الثاني)

(في العمران البدوي والاعم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتهميدات)

١ *(فصل في ان احوال البدو والحضر طبيعية)*

(اعلم) ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نجاتهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجي والكمالي فنهضوا من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمز والكل والدود لتنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائلون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه مئسع لما لا يتسع له المحاضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو امر اضريهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفاء انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للجزع او راء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثر وامن الاقوات والملابس والتأنيق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر ثم تزيد احوال الرفه والدعة فتجني عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنيق في علاج القوت واستجداء المطامح وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباغ وغير ذلك ومعالة البيوت والصروح واحكام وضعها في تجيدها والانتفاء في الصنائع في الخروج من القوة الى الفعل الى غاياتها فيخذون القصور والمازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويمالغون في تجيدها ويخلفون في استجداء ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس او فراس او آنية او ماعون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضر ومن اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم ثمى وأرفه من اهل البدو لان احوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجددهم فقد تبين ان احوال البدو والحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه

٢ *(فصل في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي)*

قد قدمنا في الفصل قبله ان اهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الانعام وانهم مقتصرون على الضروري من الاقوات والملابس والمساكن وسائر الاحوال والعوائد ومقتصرين عما فوق ذلك من حاجي او كمالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر او الشجر او من الطين والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاسستظلال والكن لا ما وراءه وقديا وون الى الغير ان والكهوف واما اقواتهم فيتناولون بها يسيرا بعلاج او بغير علاج البتة لا امامته النار فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به اولى من الظعن وهؤلاء سكان المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والا عاجم ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الاغلب لا ريبا في المسارح والمياه والحيواناتهم فالقلب في الارض اصليح بهم ويسمون شايبة ومعناه القائلون على الشاة والبقر ولا يبعدون في الفقر لفقدها في المسارح الطبيعية وهؤلاء مثل البربر والترك واخوانهم من التركمان والصقالبه وامان كان معاشهم في الابل فهم اكثر ظعنا وابعد في الفقر بخلاف الان مسارح النمل ونباتها وشجرها لا يستغني بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقرو وورود مياه المحلة والقلب فصل الشتاء في نواحيه فرار من اذى البرد الى دفاءه هو طبعه وطبعه ما خض

(١٠ - ابن خلدون) بردة خرج في جنازة وهو امير على البصرة فنظر الى جماعة وقوف فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكرك الناس فقال لو صيف معي اذهب الى مالك بن دينار فقل له يرتفع اليك القبر فجاه الوصف فادى الرسالة الى مالك فصاح به مالك مالي اليه

حاجة فأجيبه فيها فان تمكن له حاجة فليجيئ الى حاجة نفسه فلما دفعوا ميتهم قام بلال بن رباح معه الى حلقة مالك فلما دنا منه نزل ونزل من معه ثم جاء بشي الى الحلقة حتى جلس (٧٤) فلما رآه مالك بن دينار سكبت فاطال السكوت فقال له بلال يا أبا يحيى ذكرنا فقال ما نسيت

شأنا فأذكر لك به قال فحدثنا قال اما هذا فنعم قدم علينا أمير من قبل على البصرة فبات فدفعناه في هذه الجحانة ثم اتينا بربنحي فدفعناه الى جنبه فوالله ما أدرى أيهما كان أكرم على الله سبحانه فقال بلال يا أبا يحيى أتدري ما الذي جرى لك علينا وما الذي أسكتنا عنك لأنك لم تأكل من دراهمنا شيئا اما والله لو أخذت من دراهمنا شيئا ما جترأت علينا هذه الجرأة فافاد هذا الحديث علما ألافاتقوا دراهمهم (ودخل) ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحذر ثمانية أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال حدثونا أن الله تبارك وتعالى اذا

استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين بن أبي خليفه اقرب الى الله ام خليفة ليس بنبي قال بل بنبي خليفة قال فانا حدثك يا أمير المؤمنين بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله لنبي خليفة فاطنك بخليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغروننا عن ديننا (وروي) زيد عن مالك

٣ * (فصل في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران والامصار مددلهما) * قد ذكرنا ان البدو هم المقتضرون على الضرورى في احوالهم العاجزون عما فوقه وان الحضرة المعتنون بحاجات الترف والسكال في احوالهم وعوائدهم ولا شك ان الضرورى اقدم من العاجى والسكالى وسابق عليه لان الضرورى اصل والسكالى فرع ناشئ عنه فالبدو اصل والمدن والحضر وسابق عليه - ما لان اول مطالب الانسان الضرورى ولا ينتهى الى السكال والترف الا اذا كان الضرورى حاصل لا خشونة البدوة قبل رفقة الحضرة ولهذا نجد المدن غاية للبدوى يجرى اليها وينتهى بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذى يحصل له به احوال الترف وعوائده عاج الى الدعة وأمكن نفسه الى قياد المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم والحضرى لا يتشوف الى احوال البادية الا للضرورة تدعو اليها ولتقصير عن احوال أهل مدينته ومما يشهد لنا ان البدو اصل للحضر ومتقدم عليه اننا اذا فتننا أهل مصر من الامصار وجدنا اولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفى قراه وأنهم أيسر وافسكون والمصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضرة وذلك يدل على ان احوال الحضرة ناشئة عن احوال البدو - ادوة وانها اصل لما فنقمهم ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنبه فرب حى اعظم من حى وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة أكثر عمران من مدينة فقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار وأصل لما ساء أن وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التى هى متأخرة عن عوائد الضرورة المعاشية والله أعلم

٤ * (فصل في ان أهل البدو اقرب الى الخير من أهل الحضرة) *

وسببه أن النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متبهة لقبول ما يرد عليها وينطبق فيها من خير أو شر قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وبقدرة ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعه عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبقته الى نفسه عوائد الخير وحصلت له ما لا يكره بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقته اليه أيضا عوائده وأهل الحضرة أكثر ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في احوالهم فتجد الكثير منهم يقصدون فى أقوال الفحشاء فى مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارهم لا يصددهم عنه وازع الحشمة ما أخذتهم به عوائد السوء فى التظاهر بالفواحش قولوا وعملوا أهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا أنه فى المقدار الضرورى لافى الترف ولا فى شئ من أسباب الشهوات والذات ودواعيها فعوائدهم فى معاملاتهم على نسبتهما وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى أهل الحضرة أقل بكثير فهم اقرب

الى الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله لنبي خليفة فاطنك بخليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغروننا عن ديننا (وروي) زيد عن مالك

ابن انس قال بعث الى ابو جعفر والى ابن طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نصبت يديه انطاع قد بسطت يديه جلاوزة يديهم السيوف يضربون الاعناق واوما اليئان اجلسا فجلسا فاطرق (٧٥) عناطويلا ثم رفع راسه والتفت الى

ابن طاوس وقال حدثنا
عن ابيك قال نعم اني سمعت
ابي يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اشد
الناس عذابا يوم القيامة
رجل اشرك الله في ملكه
فادخل عليه الجور في حكمه
فامسك ابو جعفر ساعة
قال مالك فضعمت ثيابي
مخافة ان ينضحني بدمه
فامسك ابو جعفر ساعة
حتى اسود ما بيننا وبينه ثم
قال يا ابن طاوس ناولني هذه
الدواة فامسك عنه ثم قال
ناولني هذه الدواة فامسك
عنه ثم قال ما يمنعك ان
تناولنيها قال اخشى ان
تكذب بهما مصيبة فأكون
شريكا فيها فلما سمع ذلك
قال قوم اعني قال ابن طاوس
ذلك ما كنا نبتغي منذ اليوم
قال مالك فما زلت اعرف
لا بن طاوس فضله من
ذلك اليوم (وقال احمد بن
ابي الحواري) سمعت رجلا
يحدث عن ابن السمال
قال بعث الى هرون فلما
انتهيت الى باب القصر اخذ
حرسا بضمي فاعجلاني
في دهاليز القصر فلما انتهيت
الى باب القاعة لقيني خصبان
فاخذاني من الحرسين
فاعجلاني في قاعة القصر
فانتهيت الى البهو الذي هو

الى القطرة الاولى وابعد عما ينطبع في النفس من سوء الممالك بكثرة العوائد المذمومة وتجبها فيسـهل
علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد توضيح فيما بعد ان الحضارة هي نهاية العمران وخروجه الى
الفساد ونهاية الشر والبعث من الخير فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر والله يحب
المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الاكوع وقد بلغه انه خرج
الى سكنى البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعرفت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن
لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول الاسلام على اهل مكة لئلا يكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث
حل من المواطن ينصر ونه ويظاहरुنه على امره ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان
اهل مكة يمسهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية
الاعراب وقد كان المهاجرون يسمعون من الله من التعرب وهو سكنى البادية حيث لا تجب الهجرة وقال
صلى الله عليه وسلم لم في حديث سعد بن ابي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم
على اعدائهم ومعناه ان يوفقههم لالزمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدوا بها
وهو من باب الرجوع على العقب في السعي الى وجه من الوجوه وقيل ان ذلك كان خاصا بما قبل الفتح حين
كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلعة المسلمين واما بعد الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا وتكفل الله لندبه
بالعصمة من الناس فان الهجرة ساقطة حينئذ ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقط
انشاؤها عن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها عن اسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجعون على انها بعد
الوفاة ساقطة لان الصحابة افترقوا من يومئذ في الافاق وانتشروا ولم يبق الا فضل السكنى بالمدينة وهو
هجرة فقول الحجاج لسلمة حين سكن البادية ارتددت على عقبيك تعرفت نعي عليه في ترك السكنى بالمدينة
بالاشارة الى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعدائهم وقوله تعرفت اشارة الى انه صار
من الاعراب الذين لا يهاجرون واجاب سلمة بانكار ما ألزمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له
في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمه وعناق ابى بردة او يكون الحجاج انما نعي عليه ترك السكنى
بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لان النبي صلى الله عليه وسلم لم اولى
وافضل مما آثر به واختصه الا المعنى علمه فيه وعلى كل تقدير فليس دليلا على مذمة البدو الذي عبر عنه
بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو
فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله سبحانه اعلم وبه التوفيق

٥ * (فصل في أن أهل البدو اقرب الى الشجاعة من أهل الحضر) *

والسبب في ذلك ان اهل الحضر القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف
وكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت
حراستهم واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم والحزر الذي يجول دونهم فلا يهجمهم هبة ولا ينفر لهم صيد
فهم غارون آمنون قد ألقي السلاح وتوالى على ذلك منهم الاحمال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم
عيال على ابي منوالهم حتى صار ذلك خلقا يتنزل منزلة الطبيعة وأهل البدو لفقردهم عن المجتمع وتوحيشهم
في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الاسوار والابواب قائلون بالمدافعة عن انفسهم لا يكلونها
الى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائمائهم السلاح ويتلقون عن كل جانب في الطرق وينتجعون
عن الهجوع الاغرا في المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب ويتوجسون للتباعد والهيئات ويتقدرون

فيه فتلقاني خصيان دونهم فاخذاني فاعجلاني في البهو فقال لهما هرون ارفقا بابا شيخ فلما وقفت بين يديه قلت له يا امير المؤمنين
ما ربي يومئذ ولدني امي اتعب فيه من يومى هذا فاتق الله في خلقه واحفظ محمدا في امته وانصحب لنفسك في رعيتك فان لك مقاما بيني

يدى الله تعالى انت فيه اذل من مقامى هذا بين يديك فأتى الله واعلم ان من اخذ الله وسطوانته على اهل المعصية كيت وكيت قال
فاضطرب على فراشه حتى نزل (٧٦) الى مصلى بين يدي فراشه فقلت يا امير المؤمنين هذا اذل الصفة فكيف ولورأت ذل المعايمة

في القفر والبيد اعدلين بآسهم واثقين بانفسهم قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سحجية يرجعون اليها
مضى دعاهم داع او استنفرهم صارخ واهل الحضرمهم ما خالطوهم في البادية او صاحبوهم في السمرقريال
عليهم لا يمدكون معهم شيئا من امر نفسهم وذلك مشاهد باليمان حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد
المياه ومشارع السبل وسبب ذلك ما شرعناه واصله ان الانسان ابن عواده وما لوفه لا ابن طبيعته
ومزاجه فالذى آلفه في الاحوال حتى صار خلقا وملاكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجملة واعتبر ذلك في
الآدميين تجده كثير اصححا والله يخلق ما يشاء

٦ * (فصل في أن معاناة اهل الحضرم للباس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم) *

وذلك انه ليس كل احد مالك امر نفسه اذ الرثاء والامراء المالكون لامر الناس قليل بالنسبة الى
غيرهم فمن الغالب ان يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعانى منها
حكم ولا منع وصدا كان من تحت يدها مدلين بما في انفسهم من شجاعة اوجبن واثقين بعدم الوازع حتى
صار لهم الادلال جملة لا يعرفون سواها واما اذا كانت الملكة واحكامها بالقهر والسطوة والاحافقة كسر
حينئذ من سورة باسهم وتذهب المنفعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة كنيبته
وقد نسي عمر سعد ارضى الله عنهم ما عن مثلها لما اخذ زهرة بن حو بقتل بالنوس وكانت قيمته خمسة
وسبعين الفان الذهب وكان اتبع الجاندوس يوم القادسية فقتله واخذ نسبه فانتزع منه سعد
وقال له لا تنظرت في اتباعه اذنى وكتب الى عمر يس تأذنه فكتب اليه عمر تعمد الى مثل زهرة وقد
صلى بما صلى به وبقي عليه ما بقي من حريك وتكسر فوقه وتفسد قلبه وامضى له عمر نسبه واما اذا
كانت الاحكام بالانقياد فذهب للباس بالكلية لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة
التي تكسر من سورة باسه بلا شك واما اذا كانت الاحكام تأديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا أثرت
في ذلك بعض الشيء لم يراه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا بآسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل
البدو واشد باسا ممن تأخذ الاحكام ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملاكتهم ان لدن مرباهم في التأديب
والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من باسهم كثير ولا يكادون يدفعون عن انفسهم
عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم
والتأديب في مجالس الوقار والهيبة فيهم وهذه الاحوال وذهابها بالمنفعة والبأس ولا تستنكر ذلك بما وقع
في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشرعية ولم ينقص ذلك من باسهم بل كانوا أشد الناس بأسا لان
الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعهم فيه من انفسهم لما تلى عليهم من
الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعي ولا تأديب تعليمي انما هي احكام الدين وآدابه المتلقاة نقلا
ياخذون انفسهم بها بما روي فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تنزل سورة باسهم مستحكمة كما كانت
ولم تخدشها اطفالار التأديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا ادبه الله حرصا على ان يكون
الوازع لكل احد من نفسه هو يقتضيان الشارع اعلم بمصالح العباد ولم تناقص الدين في الناس واخذوا
بالاحكام الوازع ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق
الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة
للأأس لان الوازع فيها اجنبى واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام
السلطانية والتعليمية مما تؤثر في اهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكة منهم بمعاناتهم في وليدهم

قال فكادت نفسه تخرج
فقال يحيى للخصمين اخرجوه
فقد ابكى امير المؤمنين ثم
دخل مرة اخرى فقال عظمي
واوجز قال يا امير المؤمنين
ان الذى اكرمك بما
اكرمك به لمحقى ان تحب
ما يحب وتبغض ما يبغض
فوالله لقد احب الله دارا
وابغضتها وابغض دارا
واحببتها كأنما اردت
خلاف ربك او اردت
سواه واعلم يا امير المؤمنين
ان الذى في يدك لو بقي
على من كان قبلك لم يصل
اليك فكذلك لا يبقى لك
كالم يبق لغيرك فأتى الله
في خلافته واحفظ وصية
محمد صلى الله عليه وسلم في
امته ودخل هرون على
بعض النساء فسلم عليه
فقال وعليك السلام ثم
قال ايها الملك تحب الله
قال نعم قال فنعصيه قال نعم
قال كذبت والله في حبك اياه
انك لو احببته اذاما عصيته
ثم انشأ يقول
تعصى الاله وانت تظهر
حبه

هذا العمري في المقال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته
ان الحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بعمرة
منه وانت لشكر ذلك مضيع

(وروي زيد بن اسلم عن ابيه) قال قلت لجمعة بن سليمان بن عبد الله بن ابي طالب الهاشمي والى المدينة احذر
ان يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسبة ولا اب ولا جد فيكون اولي برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون اولي بنوح

ولو طاعهم السلام من زوجهم ما وكما كانت زوجة توح ولو طأولى بفرعون من زوجته من ابطابه عمله لم يسترع به نسبه ومن اسرع به عمله لم يبطئ به نسبه وقال بشر بن السري بينما الحجاج جالس في الحجرة اذ دخل رجل (٧٧) من اهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه فقال اذا

خرج من طوافه فاتي به فلما فرغ من طوافه اتاه به فقال له من انت قال من اهل اليمن قال افلك علم بمحمد بن يوسف قال نعم قال فاخبرني عنه قال لقد تر كته ابيض

بضاسمينا طويلا عريضا قال ويالك ليس عن هذا اسألك قال فعمه قال عن سيرته وطعمته قال

فأجور السير واخبرني الطعم واعدى العدا على الله

واحكامه قال فغضب الحجاج وقال ويالك اما

علمت انه اخي قال بلى قال افانت ما علمت ان الله ربي

والله هو امنع بي منك اكثر منك لا خيك قال اجل

ارسله يا غلام (وقال الاصمعي) حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت

محمد بن ابراهيم يحدث قال شهدت ابا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل

من قريش واهل بيت من المهاجرين ليسوا قريش فقالوا لابي جعفر اجعل

بيننا وبينهم ابن ابي ذئب قال ابو جعفر لابن ابي ذئب

ما تقول في بني فلان قال اشتر من اهل بيت اشتر

قالوا له يا امير المؤمنين عن الحسن بن يزيد وكان

عامله على المدينة قال ما تقول في الحسن قال يا امير المؤمنين لو سألتك لرمالك بداهية ونعمتك بشر قال ما تقول في قال اعني يا امير المؤمنين قال لا بد ان تقول قال انك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية فتغير وجهه

وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والاداب ولهذا قال محمد بن ابي زبيد في كتابه في احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب أحد من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة أسواط نقله عن شريح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء الوحى من شأن الغط وأنه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغط ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

٧ * (فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية) *

* (اعلم) ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال فالفهمها في ذورها وتقواها والشر اقرب الحلال اليه اذا اهل في مرعى عوانده ولم يهذه الاقتداء بالدين وعلى ذلك النجم الغفير الامن وفقه الله ومن اخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه الا ان يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فاعلة لا يظلم

فأما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على ايدي من تحتهم من الكافة ان يمتد بعضهم على بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون (١) بحكمة القهر والسلطان عن التظالم الا

اذا كان من الحماكة بنفسه وأما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة أو الغرة لئلا أو العجز عن المقاومة نهرا أو يدفعه زيادة الحماية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة وأما

احياء البدو فيزعم بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوفاق والتجلة وأما دلهم فأنما يزدعونهم من خارج طامية الحى من انجادهم وقتبانهم المعروفين بالنجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشدد شوكتهم ويخشى

جانهم اذ نغرة كل أحد على نسبه وعصبية اهلهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنغرة على ذوى ارحامهم وقر بانهم موجودة في الطبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رغبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لايه اثن اكله الذئب ونحن عصبية

انا اذ الخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدو ان على أحد مدع وجود العصبية له وأما المتفردون في أنسابهم فقل ان تصيب احدا منهم نغرة على صاحبه فاذا أظلم الجوب بالشر يوم الحرب تسال كل واحد دمه منهم يعني

النجاة لنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقدرون من أجل ذلك على سكنى الفقير لما أنهم حينئذ طعمة لمن يلمتهم من الأمم وسواهم واذ اتبين ذلك في السكنى التي تحتاج للدافعة والحماية فيمثلة يتبين

لك في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوة واقامة ملك أو دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طبائع البشر من الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه آنفا فالتحذير هذه اماما

تقتدى به فيما نورد عليك بعد والله الموفق للصواب

٨ * (فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه) *

وذلك ان صلة الرحم طبعي في البشر الا في الاقل ومن صلتها النغرة على ذوى القرى واهل الارحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة فان القرى يجب في نفسه غصاصة من ظلم قريبه او العدا عليه ويود لو يحول

(١) قوله بحكمة بفتح الحاء والكاف اه

عامله على المدينة قال ما تقول في الحسن قال يا امير المؤمنين لو سألتك لرمالك بداهية ونعمتك بشر قال ما تقول في قال اعني يا امير المؤمنين قال لا بد ان تقول قال انك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية فتغير وجهه

جعفر فقام ابراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصـل وقال طهر في بدنه يا امير المؤمنين قال له ابن ابي ذئب اقعدي ابني فليس في ذم رجل يشهد ان لا اله الا الله طهور (٧٨) ثم تدارك ابن ابي ذئب الكلام فقال دعنا يا امير المؤمنين عما نحن فيه بلغني انك رزقت

بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهاالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جد بحيث حصل به الاتحاد والاتحام كانت الوصلة ظاهرة فاسمعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء فرمما تنوسى بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على النصر لذوى نسبه بالاخر المشهور منه فرار من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والخلف اذ نغرة كل احد على اهل ولائه وحلفه للالفة التي تلحق النفس من اهتمام جارها او قريبها ونسبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لجة النسب او قريبها منها ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم يعني ان النسب انما فائدتـه هذا الاتحاد الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنغرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذا نسب امرؤهمى لاحقية له ونفعه انما هو في هذه الوصلة والاتحام فاذا كان ظاهرا واضحا جل النفوس على طبيعتها من النغرة كما قلناه واذا كان انما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدتـه وصار الشغل به مجانا ومن اعمال الله والمنهى عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهه الا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدتـه الوهم فيه عن النفس وانتفت النغرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ ذوالله سبحانه وتعالى اعلم

٩ * (فصل في أن الصريح من النسب انما يوجب جدلته وحشيش في القفر من العرب ومن في معناه)

وذلك لما اختصوا به من كذا العيش وشطف الاحوال وسوء المواطن حاتمهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل وتناجها ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجيرة وتناجها في رماله كما تـدم والقفر مكان الشطف والسـغب فصار لهم الفواو عادة ودر بيت فيه احياءهم حتى تمكنت خلاقا وجيلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهمهم في حالهم ولا يأس بهم احد من الاجيال بل لو وجدوا احد منهم السبيل الى القرا من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوفة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبنو اسد وهذيل ومن جاوهم من خزاعة لما كانوا اهل شطف ومواطن غيرة ذات زرع ولا ضرع وبعدوا من ارياف الشام والعراق ومعادن الاثم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة محفوفة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب * واما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الخصب للمراعى والعيش من حجير وكهـلان مثل الحمر وجندام وغسان وطبئ وقضاة وايدافا خلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلف عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل الجحيم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا العرب فقط قال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدثهم عن اصله قال من قرية كذا هذا اى لما حق هؤلاء العرب اهل الارياض من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعى الخصبة فكثرت الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسر من جند دمشق جند العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لا طراح العرب امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عنه اذ امرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع الجحيم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودرثت فدرثت العصبية بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

ابن ابي ذئب العراقي يعني المهدي قال اما ان قلت ذلك انه لم يصوم البعد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن ابي ذئب فخرج فقال ابو جعفر اما والله ما هو بمستوثق العقل ولقد قال بذات نفسه (ودخل ابو النصر) سالم مولى عمر بن عبد الله على عامل الخليفة فقال له يا ابا النصر انه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجـد بدامـن انفاذاها فاذا ترى قال ابو النصر قد اناك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فايها اتبعك كنت من اهلـه * (الباب الثالث فيما جاء في الولاية والقضاء وما في ذلك من الغرور والخطر) قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديك فتود ان يكون الحق للذي لك منه خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود عليهم السلام ملكه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي اصاب سليمان ابن داود عليهم السلام

فصل

ان ناسا من اهل جرادة امراته وكانت من اكرم نسائه عليه تحاكوا اليه مع غيرهم فاحب

ان يكون الحق لاهل جرادة فيقضي لهم فغضب حين لم يكن هو افيهم واحدا ومن ذلك آية الملوك التي انزلها الله تعالى في السلاطين لما

اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء الممالك وثبوت الدول قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ثم سمي المنصورين
وأوضح شرائط النصر فقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة (٧٩) وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا

عن المنكر فضعن الله تعالى
النصر للملوك وشرط عليهم
شرائط كما ترى فمن
تضعفت قواعدهم
وانتقص عليهم من أطراف
عمالهم أو ظهر عليهم عدو
أو باغ فتنة أو حاسد نعمة أو
اضطربت عليهم الامور أو
رأوا السباب الغير فيلجئوا الى
الله تعالى ويستجئوا من
سوء أقداره بأصـلاح ما
بينهم وبينه بأقامة الميزان
القسط الذي شرعه الله
تعالى لعباده وركوب

سبيل العدل والحق الذي
قامت به السموات والارض
واظهار شرائع الدين ونصر
المظلوم والاخذ على يد
الظالم وكف يد القوى عن
الضعيف ومراعاة الفقراء
والمساكين وملاحظة ذوي
الخصاصة والمستضعفين
وليعلموا انهم قد أخذوا
بشي من الشرائط الاربع
التي شرطت في النصر
(وروي) ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ألا كلـكم
راع وكـكم مسـؤل عن
رعيته فالامام الذي على
الناس راع وهو مسؤل عن
رعيته والرجل راع على
أهل بيته وهو مسؤل عن
رعيته والمرأة راعية على
أهل بيت زوجها وولدها

١٠ * (فصل في اختلاط الانساب كيف يقع) *

* (اعلم) انه من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب آخر بقرباية اليهم أو حلف أو
ولاء أو قرار من قومه بجناية أصابها فبذلك ينسب هؤلاء بعد منهم في عمراته من النغرة والقود وحمل
الديات وسائر الاحوال وأذا وجددت عمرات النسب فكانه وجدلانه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن
هؤلاء الا جريان احكامهم وأحوالهم عليه وكانه التحم بهم ثم انه قديمتا في النسب الاول بطول الزمان
ويذهب أهل العلم به فيخفي على الأكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم
بآخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والعجم * وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين
لك شئ من ذلك ومنه شأن بجيلة في عريضة بن هرثة لما ولده عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا
لزيق أي دخيل ولصيق وطلبوا أن يولى عليهم حريز فاسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة صدقوا يا أمير
المؤمنين أنا رجل من الازد أصدت دما في قومي ولحقت بهم وانظر منه كيف اختلط عرفجة ببجيلة ولبس
جلدتهم ودعى بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجهم ولو غفلوا عن ذلك وامتنعوا من
لتنوسي ببجيلة وعدم منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خلقته ومثل هذا كثير لهذا العهد
ولما قبله من اليهود والله الموفق للصواب بمنه وفضله وكرمه

١١ * (فصل في ان الرياسة لا تزال في نصابها الخصوص من أهل العصبية) *

* (اعلم) ان كل حي أو بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففهم أيضا عصبية أخرى
لانساب خاصة هي أشد التحاما من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو اخوة بني أب
واحد لا مثل بني العم الاقربين أو الابعدين هؤلاء أقعد بنسبهم الخصوص ويشاركون من سواهم من
العصائب في النسب العام والنغرة تقع من أهل نسبهم الخصوص ومن أهل النسب العام لانها في النسب
الخاص أشد لقرب المحمة والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت
الرياسة انما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب
بها وتم الرياسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين ان الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب الخصوص اهل
الغلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الأخرى النازلة عن عصابتهم في الغلب لما تمت لهم
الرياسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم الى فرع ولا تنتقل الا الى الأقوى من فروعهم لما
قلناه من سر الغلب لان الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للكون والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت
العناصر فلا بد من غلبة أحد هوالا ليمتد التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ومنه تعين
استمرار الرياسة في النصاب الخصوص بها كقافر رناه

١٢ * (فصل في ان الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم) *

وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد في الرياسة على
القوم أن تكون من عصبية غالبية عصبيتهم واحدة واحدة لان كل عصبية منهم اذا أحست بغلب عصبية
الرئيس لهم أقر وأبالا ذعان والتابع والساقط في نسبهم بالجمله لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو
(١١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفاسية وهو موجود في النسخة التونسية واثباته أولى لي مطابق
كلامه أول الفصل ١٢ اهـ

وهي مسؤلة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤل عنه ألا كلـكم راع وكلـكم مسؤل عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
كل ناظر في حق غيره راعيا واللفظ ما خوذ من الرعاية والمراعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من يأكله فهو الهالك كما قال الشاعر

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها * فكيف اذا الذئاب هارعا (وروى مسلم) في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ يلى امر المسلمين ثم لم يجتهد لهم وينصح الالم يدخل الجنة معهم وقال معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم (٨٠)

ما لى بى وغاية التعصب له بالولاء والخلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم ابنة واذا فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسى عهده الاول من الالتصاف وليس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام او لاحد من سلعه والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبة فالاولية التى كانت لهذا الماصق قد عرفت فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذ فكيف تنوالت عنه وهو على حال الا لصاق والرياسة لا بد وأن تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبة وقد ينشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب الى انساب يلحقون بها اما الخصوصية فضيلة كانت فى أهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكرك كيف اتفق فيترعون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القرح في رياستهم والطعن في شرفهم وهذا كثير فى الناس لهذا العهد فى ذلك ما يدعى زناثة جملة انهم من العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بنى عامر احد مشعوب زغبة انهم من بنى سليم ثم من الشريد منهم لمحق جدتهم بنى عامر نجارا يصنع الحرجان (١) واختلط بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازى * ومن ذلك ادعاء بنى عبد القوى بن العباس بن توجين انهم من ولدا العباس بن عبد المطلب وزغبة فى هذا النسب الشريف وغلط باسم العباس بن عطية أبى عبد القوى ولم يعلم دخول أحد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ أول دواتهم على دعوة العلويين أعدائهم من الادارسة والعبيديين فكيف يسقط العباس الى أحد من شيعة العلويين وكذلك ما يدعى أبناء زيان ملوك تلمسان من بنى عبد الواحد انهم من ولد القاسم بن ادريس ذهبا الى ما شتهر فى نسبهم انهم من ولدا القاسم فيقولون بلسانهم -م الزناني أنت القاسم أى بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس أو القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجير بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم فى باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الوجود فى الادارسة فتوهوا ان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان مناهم للملك والعزة انما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شئ من الانساب وانما يحتمل على هذا المنقر بون الى الملوك بمنازعتهم ومذاهمهم ويشتر حتى يبعد عن الرد * ولقد بلغنى عن يفراس بن زيان مؤثر سلطانهم انه لما قيل له ذلك أنكروه وقال بلغته الزناثة -م مانهما أما الدنيا والملك فملئناه بسبوقنا لهذا النسب وأمانته فى الآخرة فردوا الى الله وأعرض عن التقرب اليه بذلك * ومن هذا الباب ما يدعى بنو سعد وشيوخ بنى يزيد من زغبة انهم من ولدا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبنو سلامة شيوخ بنى يلدن من توجين انهم من سليم والزواودة شيوخ زياح انهم من عقب البرامكة وكذا بنو مهني أمراء طيى بالشرق يدعون فيما بلغنا انهم من عقبهم -م وامثال ذلك كثير ورياستهم فى قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل تعين أن يكونوا من صريح ذلك النسب وأقوى عصبياته فاعتبر واجتنب المغالط فيه ولا تجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحد -دين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة فى هرمة قومه وانما رأس عليهم بعد اشتباهه بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة فى دعوته وكان مع ذلك من أهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

١٣ (فصل فى ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبة ويكون غيرهم بالحجاز والنسب) * وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد الرجل فى آباءه أو أشرفا مذكورين (١) قوله الحرجان بكسر الحاء جمع حرج بفحتمين نعت الموقى اه

يقول ما من عبد يستتره الله رغبة فلم يحطها بنسبه الالم يحيد راحة الجنة (وروى) عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ستحرضون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت امرئى يا رسول الله قال انها امانة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الامن أخذها بحجة او أدى الذى عليه فيها (وروى) البخارى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه وفى الحديث) من ولى من امر المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنسبه كالمحيط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فأبى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيوقف على جسرجه ثم يأمر الله سبحانه الجسر فينفض انفضاضه فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يأمر الله العظام فترجع الى مكانها ثم يسأله فان كان لله تعالى طائعا أخذ بيده وأعطاها كفلين من رحمته وان كان لله

عاصم - ما خرق به الجسر في هوى به في جهنم مقدار سبعين خريفاً فقال عمر سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان أي والله يا عمر ومع السبعين سبعين خريفاً وادلت به (٨١) التها بما فقال عمر بيده على جبهته أنا لله

وأنا إليه راجعون من يأخذها بما فيها قال سلمان من سلب الله أنفقه وألصق خده بالأرض (وروي) أن العباس رضي الله عنه قال أمرني يا رسول الله فاصيب واستر يش فقال له يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم نفس تحميم أخير من أمانة لا تحميم إلا أحد نكح عن الأمانة أو لها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها حسرة يوم القيامة (وروي) أبو داود في السنن جابر رجل فقال يا رسول الله إن أبي عريف علي الماء وإنني أسألك أن تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم العرافة في النار (وروي) الساجي عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذاباً يوم القيامة إلا ما من المجائر وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض إلا ويؤتي به يوم القيامة حتى يقف بين يدي الله سبحانه على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرقنها على رؤس

تكون له بولادته - مياها والانتساب إليهم تجل في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلته خلفه وشر فهم بخلافهم والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا يعني الحسب راجع إلى الانتساب وقد بينا أن ثمره الانتساب وفائدتها التماهي العصبية للنعرة والتناصر حيث تكون العصبية موهوبة وخشية ومانعة فيها زكي محي تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى وتعيد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها فيكون الحسب والشرف أصيلاً في أهل العصبية لوجود ثمره النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سرها ولا يكون للنفرد من أهل الأمصار بيت إلا بالبحار وان توهموه فزخرف من الدعاوى وإذا اعتبرت الحسب في أهل الأمصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفاً في خلال الخير ومحاطة أهله مع الركون إلى العافية ما استطاع وهذا ما غير أسر العصبية التي هي ثمره النسب وتعيد الآباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالبحار لعلاقة ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالمة وليس حسباً بالحقيقة وعلى الإطلاق وإن ثبت أنه حقيقة فيهم ما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال ثم ينسحبون منه لذهابها بالخضرة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم من أشراف البيوت أهل العصاب وليسوا منها في شيء لذهاب العصبية جملة وكثير من أهل الأمصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لأول عهدهم - موسوسون بذلك وأكثر ما رشح الوسواس في ذلك لبني إسرائيل فإنه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالنبوة أولاً تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملته - وشريعته - ثم بالعصبية ثانياً وما آتاهم الله به من الملك الذي وعدهم به ثم انسحبوا من ذلك أجمع وضررت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في الأرض وانفردوا بالاستعجاب للسكران لا قامن السنين وما زال هذا الوسواس مصاحباً لهم فتجدد لهم يقولون هذا هاروني هذا من نسل يوسف هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة وكثير من أهل الأمصار وغيرهم المنقطعين في أنسابهم عن العصبية يذهب إلى هذا المذهب وقد غلط أبو الوليد - دبن رشدي هذا الماذر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الأول والحسب هو أن يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لمسا ذكرناه وليست شعري ما الذي يتفقه قدم نزلهم بالمدينة أن لم تكن له عصابة يرهب بها جانبهم وتحمل غيرهم على القبول منه - فكانه أطلق الحسب على تعدد الآباء فقط مع أن الخطابة إنما هي استعمال من تؤثر استمالته - وهم أهل المحل والعقد وأما من لا قدر له البتة فلا يلتفت إليه ولا يقدر على استعماله أحد ولا يستمال هو وأهل الأمصار من الحضرة بهذه المثابة إلا أن ابن رشد ربي في جيل ولد لم يمارسوا العصبية ولا أنسوا أحوالها بقي في أعراب البيت والحسب على الأعرام مشهور من تعدد الآباء على الإطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الخليقة والله بكل شيء عليم اه

١٤ * (فصل في أن البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع إنما هو بما لهم لا بانسابهم) *

وذلك أنا قد مننا أن الشرف بالأصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصبية فإذا اصطنع أهل العصبية قوماً من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي والتحموا به كما قلناه ضرب معهم أولئك الموالى والمصطنعون بنسبهم في نلب العصبية وليسوا بجلدتها كأنها عصبيتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحلف وليس نسب

(١١ - ابن خلدون) الخلائق فإن كان عادلاً لنجاه الله بعده وإن كان غير ذلك انتقض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه مسيرة سنة ثم ينخرق به الصراط فيبقى قعر جهنم لا يحرق وجهه (وروي) معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القاضي

يُرْزَلُ فِي مَرْقَلَةٍ أَبْعَدَ مِنْ عَدْنٍ فِي جَهَنَّمَ (وَقَالَتْ) عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُؤْتَى بِالْقَاضِيِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي شِدَّةِ الْحِسَابِ عَلَى مَا قَضَى (٨٢) حَتَّى يُوَدَّ أَنْهُ لَمْ يَقْضَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي عُمَرَةٍ (وَرَوَى) الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَلَدَتْهُ بَنَافِعُ لَهُ فِي تِلْكَ الْعَصْبَةِ إِذْ هِيَ مَبَايِنَةٌ لِذَلِكَ النَّسَبِ وَعَصْبِيَّةٌ ذَلِكَ النَّسَبُ مَقْدُودَةٌ لَذَهَابِ سِرِّهَا عِنْدَ التَّحَامَةِ بِذَلِكَ النَّسَبِ الْآخِرُ وَقَدْ نَادَاهُ أَهْلُ عَصْبِيَّتِهِ أَفِيضْ بَيْنَ مَنْ هُوَ لَا وَيُنْزَجُ فِيهِمْ فَإِذَا تَعَدَّدَتْ لَهُ الْآبَاءُ فِي هَذِهِ الْعَصْبَةِ كَانَ لَهُ بَيْنَهُمْ شَرَفٌ وَبَيْتٌ عَلَى نَسَبِهِ فِي وَلَا تُهْمُ وَاصْطَنَاعُهُمْ لَا يَتَجَاوِزُهُ إِلَى شَرَفِهِمْ بَلْ يَكُونُ أَدْوَنُ مِنْهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهَذَا شَأْنُ الْمَوَالِي فِي الدُّوَلِ وَالْخِدْمَةِ كُلِّهَا فَهُمْ أَعْلَى شَرَفُونَ بِالرُّسُوخِ فِي وَلَاءِ الدُّوَلَةِ وَخِدْمَتِهَا وَتَعَدُّدِ الْآبَاءِ فِي وَلَايَتِهَا لَا تَرَى إِلَى مَوَالِي الْإِتْرَاقِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْإِبْنِي بَرْمَكُ مِنْ قَبْلِهِمْ وَبَنِي نُوحَيْتُ كَيْفَ أَدْرَكَوا الْبَيْتَ وَالشَّرَفَ وَبَنُوا الْجِدْوََالَاصَالَ بِالرُّسُوخِ فِي وَلَاءِ الدُّوَلَةِ فَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ بَيْتًا وَشَرَفًا بِالْإِتْسَابِ إِلَى وَلَاءِ الرُّشِيدِ وَقَوْمُهُ لَا بِالْإِتْسَابِ فِي الْقُرْسِ وَكَذَلِكَ مَوَالِي كُلِّ دَوْلَةٍ وَخِدْمَتِهَا أَعْلَى بَيْتٍ وَشَرَفٍ بِالرُّسُوخِ فِي وَلَايَتِهَا وَالْإِتْسَابِ فِي اصْطِنَاعِهَا وَيَضْمَلُ نَسَبُ الْأَقْدَامِ مِنْ غَيْرِ نَسَبِهَا وَيَبْقَى مَبْنًى لَعِبْرَةٍ بِهِ فِي أَصَالَتِهِ وَمَجْدِهِ وَإِنَّمَا الْمَعْتَبَرُ نَسَبُهُ وَلَايَتُهُ وَاصْطِنَاعُهُ إِذْ فِيهِ سِرُّ الْعَصْبِيَّةِ الَّتِي بِهَا الْبَيْتُ وَالشَّرَفُ فَكَانَ شَرَفُهُ مُشْتَقًّا مِنْ شَرَفِ مَوَالِيهِ وَبَنَائِهِ مِنْ بَنَائِهِمْ فَلَمْ يَتَفَعَّ نَسَبُ وَلَا دُنْيَا وَإِنَّمَا بَنِي مَجْدِهِ نَسَبُ الْوَلَاةِ فِي الدُّوَلَةِ وَتَحْجَةُ الْإِصْطِنَاعِ فِيهَا وَالتَّرَبُّيَّةُ وَقَدْ يَكُونُ نَسَبُهُ الْأَوَّلُ فِي تَحْجَةِ عَصْبِيَّتِهِ وَدَوْلَتِهِ فَإِذَا ذَهَبَتْ وَصَارَ وَلَايَتُهُ وَاصْطِنَاعُهُ فِي أُخْرَى لَمْ يَتَفَعَّ الْأَوَّلُ لَذَهَابِ عَصْبِيَّتِهَا وَانْتَقَعَ بِالثَّانِيَةِ لَوْجُودِهَا وَهَذَا حَالُ بَنِي بَرْمَكٍ إِذَا مَنَعُوا أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْقُرْسِ مِنْ سِدْنَةِ بَيْتِ النَّارِ عِنْدَهُمْ وَلَمَّا صَارُوا إِلَى وَلَايَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ يَكُنْ بِالْأَوَّلِ اعْتِبَارًا وَإِنَّمَا كَانَ شَرَفُهُمْ مِنْ حِمْتٍ وَلَا يَتِمُّ فِي الدُّوَلَةِ وَاصْطِنَاعُهُمْ وَمَا سَوَى هَذَا قَوْمُهُمْ تَوَسَّسَ بِهِ النُّقُوسُ الْجَاهِلَةُ وَالْحَقِيقَةُ لَهُ وَالْوُجُودُ شَاهِدٌ بِمَا قُلْنَا هُوَ أَنَّ كَرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

١٥ * (فصل في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء) *

* (اعلم) * أَنَّ الْعَالَمَ الْعَنْصَرِيَّ بِمَا فِيهِ كَائِنٌ فَاسِدٌ لَا مِنْ زَوَانِهِ وَلَا مِنْ أَحْوَالِهِ فَالْمَكُونَاتُ مِنَ الْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ وَجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ كَأَنَّهَا فَاسِدَةٌ بِالْمَعْيَانَةِ وَكَذَلِكَ مَا يَعْرِضُ لِلْهَلَاكِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَخُصُوصًا الْإِنْسَانِيَّةُ فَالْعُلُومُ تَنْشَأُ مِنْ تَدْرُسٍ وَكَذَا الصَّنَائِعُ وَأُمُورُ الْحَسْبِ مِنَ الْعَوَارِضِ الَّتِي تَعْرِضُ لِلْكَامِيْنِ فَهُوَ كَائِنٌ فَاسِدٌ لَا مُحَالَةٌ وَلَيْسَ يُوْجَدُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْخَلْقَةِ شَرَفٌ مُتَصِلٌ فِي آبَائِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَمَاتُهُ وَحِدَايَتُهُ عَلَى السَّرْفِ وَأَوَّلُ كُلِّ شَرَفٍ خَارِجِيَّةٌ كَمَا قِيلَ وَهِيَ الْخُرُوجُ عَنِ الرِّيَاسَةِ وَالشَّرَفِ إِلَى الضَّعْفِ وَالْإِتْدَالِ وَعَدَمُ الْحَسْبِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ شَرَفٍ وَحَسْبٍ فَعْدَمُهُ سَابِقٌ عَلَيْهِ شَأْنٌ كُلِّ مَحْدَثٍ ثُمَّ أَنْ نَهَيْتُهُ فِي أَرْبَعَةِ آبَاءٍ وَكَذَلِكَ أَنَّ بَنِي الْمَجْدِ عَالَمٌ بِمَا عَانَاهُ فِي بَنَائِهِ وَمَحَافِظٌ عَلَى الْحِلَالِ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ كَوْنِهِ وَبَقَائِهِ وَابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ مُبَاشِرٌ لَابْنِهِ قَدْ سَمِعَ مِنْ ذَلِكَ وَأَخَذَهُ عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ مَقْصَرٌ فِي ذَلِكَ تَقْصِيرُ السَّمْعِ بِالشَّيْءِ عَنِ الْمَعَانِ لَهُ ثُمَّ إِذَا جَاءَ الثَّلَاثُ كَانَ حُظُّهُ الْإِقْتِفَاءُ وَالْتِقَالُ بِدَاخِلَةِ قَفْصِهِ عَنِ الثَّانِي تَقْصِيرُ الْمَقْلَدِ عَنِ الْمُجْتَمَعِ ثُمَّ إِذَا جَاءَ الرَّابِعُ قَفْصُ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ جِهَةً وَأَضَاعَ الْحِلَالَ الْمَحَافِظَةَ لِبَنَائِهِمْ مَجْدَهُمْ وَاحْتَقَرَهَا وَتَوَهَّمُوا أَنَّ ذَلِكَ الْبَنِيَانُ لَمْ يَكُنْ بِمَعَانَاةٍ وَلَا تَكْلَافٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَجِبَ لَهُمْ مِنْذُ أَوَّلِ النِّشْأَةِ بِمَجْدِ دَانَسَابِهِمْ وَلَيْسَ بِعَصَابَةٍ وَلَا بِخِلَالٍ مَا يَرَى مِنَ التَّجَلُّلِ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ حَدُوثُهَا وَلَا سَبَبَهَا وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُ النَّسَبُ فَقَطْ فَيُرَى بِأَنَّهُمْ عَنْ أَهْلِ عَصْبِيَّتِهِ وَيُرَى الْفَضْلُ لَهُ عَلَيْهِمْ وَثُوقًا بِمَا رُبِيَ فِيهِ مِنْ اسْتِبْطَاعِهِمْ وَجْهَهُ الْأَيْمَانُ أَوْ جِبَ ذَلِكَ اسْتِبْطَاعُ مِنَ الْخِلَالِ الَّتِي مِنْهَا التَّوَاضُّعُ لَهُمْ وَالْإِخْلَاقُ بِجَمَاعِ قُلُوبِهِمْ فَيَحْتَقِرُهُمْ بِذَلِكَ فَيَنْغْصُونَ عَلَيْهِ وَيَحْتَقِرُونَهُ وَيَدِيلُونُ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْبِتِ وَمَنْ فَرَّغَهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْعَقَبِ لِلْإِذْعَانِ لِعَصْبِيَّتِهِمْ كَمَا قُلْنَا بَعْدَ الْوُثُوقِ بِمَا يَرْضُونَهُ مِنْ خِلَالِهِ فَيَتَمَوَّضُونَ هَذَا وَتَذَوُّونَ

دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ يَسْتَعْمَلُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَلِي فَقَالَ أَقْعُدْ فِي بَيْتِكَ وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيُودُنُ أَقْوَامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ وَقَعُوا مِنْ الثَّرِيَاءِ لَمْ يَكُونُوا أَعْرَاءَ عَلَى شَيْءٍ وَكَمْ مِنْ مَتَحَوِّلٍ فِي مَالِ اللَّهِ وَمَالِ رَسُولِهِ لَهُ النَّارُ عِنْدَا (وَفِي) الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ صَنَعْنَا مِنْ أُمَّتِي لَا تَتَّكِلُهَا شَقَاغِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ ظَالِمٍ غَشُومٍ وَغَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٍ مِنْهُ (وَقَالَ) أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا مِنْ أَمِيرٍ يُؤْمَرُ عَلَى عَشْرَةِ الْأَحْيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبًا لَا يَنْجَاهُ عَمَلُهُ أَوْ أَهْلًا بِهِ (وَقَالَ) طَاوُسُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَلْ تَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ اشْرَكَهُ اللَّهُ فِي مَا لَكَ فَخَرَفَ فِي حُكْمِهِ فَاسْتَلْقَى سُلَيْمَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَهُوَ يَبْكِي وَمَا زَالَ يَبْكِي حَتَّى قَامَ عَنْهُ جَلَسَاؤُهُ (وَقَالَ) حَزِيقَةُ بْنُ الْيَمَانِ مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ أَعْرَاءَ فَجَرَةٌ وَقِرَاءُ كَذِبَةٍ وَأَمْنَاءُ خُونَةٍ وَعِلْمَاءُ فُسْطَةٍ وَعَرَفَاءُ ظُلْمَةٍ (وَقَالَ) عَمِيدُ بْنُ عَمِيرٍ مَا زَادَ رَجُلٌ مِنَ السُّلْطَانِ قَرًّا بِالْإِزْدَادِ مِنَ اللَّهِ بَعْدَ

وَلَا كَثْرَتِ أَعْمَالِهِ وَلَا كَثْرَتِ مَالِهِ إِلَّا كَثُرَ حَسَابُهُ (وَفِي الْحَدِيثِ) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ فَرُوعٌ اِثْنَانِ فِي النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ رَجُلٌ قَضَى بغير علم فهو في النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى بِعِلْمٍ فَجَارَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى بِالْحَقِّ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ وَرَجُلٌ

بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاء صبيان الى عميدة السملاني يتخايرون اليه في الواحهم فلم ينظر فيها وقال هذا حكم ولا أتولى حكما أبدا (وتخاير) غلامان الى ابن عمر فجعل ينظر الى كتابتهما وقال هذا حكم (٨٣) ولا بد من النظر فيه * والمصنفون

يرسلون في كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم الى القضاء فقد ذبح بغير سكين (وفي أخبار) القضاء ان قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل ودين فقال له أيها القاضي أبلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغ ان أمو والناس ضائعة في بلدنا فحيت تحيرها قال لا قال أفأكرهك السلطان على ذلك قال لا قال فاشهد أني لا أمالك بحسب أسا ولا أؤدى عندك شهادة أبدا (وروي) أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهده الله في ماله ورغبه فيما في يده غيره واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جذل الظاهر خزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره ومحى ظله حاسبه الله فاشد حسابه وأقل عقوه (وذكر) السلطان لا عراي فقال والله لئن عز وافي الدنيا بالحدود لقد ذلوا في الآخرة بالعدل وبقليل فان رضوا عن

فروع الاول ويندم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا الخطت بيوت نشأت بيوت أخرى من ذلك النسب ان بشايد همكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزير واشترط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والافقديد ثرا البيت من دون الاربعة ويتلاشى ويندم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا أنه في الخطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر له ومقدم وهادم وهو أقل ما يمكن وقد اعتمدت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم الكريم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم اشارة الى أنه بلغ الغاية من المجد وفي التوراة ما معناه أنا الله ربك فماتني غير مطالب بذنوب الاباء للبنين على الثواب وعلى الروابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب ومن كتاب الاغانى في اخبار عزيز الغواني أن كسرى قال للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باي شيء قال من كان له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فاليه من قبيلته وطلب ذلك فلم يجد له الا في آل حذيفة بن بدر الفزاري وهم بيت قيس وآل ذى الجدين بيت شيمان وآل الاشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم المنقرى من بني تميم فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائريهم وأقدمهم الحكام والعدول فقام حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقرايته من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيمان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا ونثروا فقال كسرى كلهم سيدي يصلح لموضع عه وكانت هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعديني هاشم ومعه بيت بني الذبيان من بني الحرث بن كعب بيت النبي وهذا كله

يدل على ان الاربعة الاربعة في الحسب والله أعلم

١٦ * (فصل في أن الأمم الوحشية قدر على التغلب عن سواها) *

* (اعلم) * انه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجمل الوحشي اشد شجاعة من الجمل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الامم بل الجمل الواحد يختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكما نزلوا الارياق وتغنوا النعيم والقواء واخذ الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بقرعة دارماتقص من توحشهم وبدوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الطباء والبقر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين واخصب عيشها كيف يختلف حالها في الاتهاض والشد حتى في مشيتها وحسن اديمها وكذلك الادمي المتوحش اذا انس وآلف وسببه ان تكون السجيا والطباع انما هو عن المألوفات والعوائد اذ كان التغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق في البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواء اذا تقاربا في العدد وتكافأ في القوة والعصبية وانظر في ذلك شأن مضر مع قبلهم من حمير وكه لان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين ارياف العراق ونعيمه لما بقي مضر في بداوتهم وبقدمهم الاخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم كيف ارمقت البداوة حدهم في التغلب فغلبوهم على ما في أيديهم وانتزعوه منهم وهذا حال بني طيئ وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور من بعدهم لما تأخروا في باديتهم عن سائر قبائل مضر واليمن ولم يلبسوا بشيء من دنياهم كيف أمسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلفهم اذهب الترف حتى صاروا أغلب على الامم منهم وكذا كل حي من العرب يلي نعيمها وعيشا خصبادون الحي الاخر فان الحي المبتدى يكون أغلب له واقدرا عليه اذا تكافأ في القوة والعدد سنة الله في خلقه

كثير باق وانما يكون الندم حين لا ينفع الندم (وقال) أبو بكر بن أبي مريم حج قوم فسات صاحب لهم بارض قلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا دلنا على الماء قال احلفوا لي ثلاثا ولا تثنى يميننا انه لم يكن فيكم صراف ولا ميكاسا ولا عريفا ولا يرود ولا عرفا

فأنا أدلكم على الماء فله واله ثلاثين يمينا فدلهم على الماء ثم قالوا له على غسله فقال احذروا الى ثلاثين يمينا
كما تقدم ذكره فله واله فاعانهم
(٨٤)

١٧ * (فصل في أن الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك)

وذلك لأننا قدمنا أن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يحتاج مع عليه وقد منان
الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع وحكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان
يكون متعلما عليهم بتلك العصبية والام تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرياسة
لأن الرياسة انما هي سودود صاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه وأما الملك فهو التغلب والحكم
بالقهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة طلب ما فوقها فاذ بلغ رتبة السودود والاتباع وجد السبيل الى
التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها متبوعا
فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رأيت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات
متعددة فلا بد من عصبية تكون اقوى من جميعها تغلبها وتستبغها وتلحم جميع العصبيات فيها وتصير
كانها عصبية واحدة كبرى والواقع الافتراق المفضي الى الاختلاف والنزاع ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسد الارض ثم اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبيعتها التغلب على
أهل عصبية اخرى بعيدة عنها فان كافتها او منعتها كانوا اقربا وانظارا وكل واحدة منهم ما للتغلب على
حوزتها وقومها شأن القبائل والامم المتفرقة في العالم وان غلبتها واستبغتها التحمت بها أيضا وزادت قوتها
في التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية الاولى وأبعد وهكذا دائما حتى
تكفي بقوتها قوة الدولة فان أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها مناع من اولياء الدولة أهل العصبيات
استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك أجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم
الدولة وانما قارن حاجتها الى الاستظهار بأهل العصبيات انتظمتها الدولة في أولياتها استظهر بها على ما يعين
من مقاصدها وذلك ملك آخر دون الملك المستبد وهو كواقع للترك في دولة بني العباس ولصناعة وزانة
مع كلمة ولبنى جددان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبية وانها
اذ بلغت الى غايتها حصل للقبيلة الملك اما بالاستبداد او بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك
وان عاقبها عن بلوغ الغاية عوائق كمنعها وقت في مقامها الى أن يقضى الله بامر

١٨ * (فصل في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم)

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض التغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم
والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بنسبهم وحصص بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان
كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها فيه اذ عن ذلك القبيل لولايتها
والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شيء من منازع الملك
ولا اسبابه انما همتمهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ
بمذاهب الملك في المباحي والملابس والاستكثار من ذلك والتأني فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف
وما يدعوا اليه من توابيح ذلك فتذهب خشونة البدن وادوة وتضعف العصبية والبساقو يتنعمون فيما
آتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم واعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة انفسهم وولاية حاجاتهم
ويستكفون عن سائر الامور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتقص عصبيتهم
وبسالتهم في الاجيال بعدهم بتعاقبها الى ان تقرض العصبية فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم
ونعمتهم يكون اشرفهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة

يمينا كما تقدم فصل على عليه
ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا
وكان يزعمون انه الخضر عليه
السلام (وقال) ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه
وسلم اشد الناس عذابا
يوم القيامة رجل قيل
نبييا وقتله نبي وامام ضلالة
ومثل من الممثلين (وقال)
أبو ذر قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ست
أيام أعقل يا أبا ذر ما أقول
لك ثم لما كان في اليوم
السابع قال اوصيك
بثقوى الله في أمر شرك
وعلا نيتك فاذا أسأت
فاحسن ولا تسأل أحدا
وان سقط سوطك ولا
تؤوين أمانة ولا تؤوين
يتيما ولا تقضين بين اثنين
(وقال) أبو ذر أيضا قال لي
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا أبا ذر اني أحب لك
ما أحب لنفسي واني أراك
ضعيفا لا تتأمرن على اثنين
ولا تلين مال يتيم (وروى)
أبو ذر أيضا قلت يا رسول
الله ألا تسعمني فضرب
بيده على منكبي وقال لي
يا أبا ذر انك ضعيف وانها
أمانة وانها يوم القيامة
خزى وندامة الا من أخذها
بحقها وادى الذي عليه
فيها (وروى) علي بن أبي

طالب رضي الله عنه قال بعني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأنا حديث السن فقلت
يا رسول الله انك تبغني الى قوم شيوخ ذوي أسنان ولا علم لي بالقضاء فقال ان الله سبحانه هادي قلبك ولسانك فاذا جلس الخصة

فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الاخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضى (فان قال قائل) كيف تهى اباذر عن القضاء و آخر عليا بالقضاء مع ما فيه من التغرير وماروى بان من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين (٨٥) وفيه البعد عن حضرته والتمتع بالشهادة

وتعلم سنده وشرائع دينه
والخلق باخلاقه وشيخه
وايهما افضل المتوليين
يديه والكون بحضرته
ومشاهدو الصلاة خلفه

أو القضاء في غيبته مع البعد عنه (قلنا) نعم انه هى اباذر لمعنى فيه يقصر به عن رتبة القضاء مما كان ضده في على رضى الله عنه ثم قال في آخره الامن اخذها بحجة وأدى الذى عليه فيها فاستدلنا بذلك على ان من استخفعت فيه شروط القضاء وكان قويا على انفاذ لم يدخل تحت النهى ومما بعد ضعفه عن القضاء طلبه اياه اذ لم يدركه عواقبه وقد وصف الله سبحانه المتسرع الى الامانة بالجهل فقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابدين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا أى ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة امره والدليل على صحة هذا التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم القضاء ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل عرف الحق ففضى به فهو فى الجنة

ورجل عرف الحق فلم يقض

به وجار فى الحكم فهو فى النار ورجل لم يعرف الحق ففضى للناس على جهل فهو فى النار (قلت) فهذان الرجلان ضعيفان عن رتبة القضاء احدهما بعينه وظلمه والاخر بجهله وقد عابت جهلة بنى اسرائيل طالوت فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم

العصية التى بها التغلب واذا انقضت العصية قصر القبول عن المدافعة والحجاية فضلا عن المطالبة والتمتعهم الامم سواهم فقد تبين ان الترف من عوائق الملك والله يؤتى ملكه من يشاء

١٩ ﴿فصل فى ان من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم﴾

وسبب ذلك ان المذلة والانقياد كاسران لسورة العصية وشدها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فارتدوا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فاولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك فى بنى اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام واخبرهم بان الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها قوم اجبارين واننا نندخلها حتى يخرجوا منها اى يخرجهم الله تعالى منها بضرب من قدرته غير عصيته نأوتكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجؤا وارتكبوا العصيان وقالوا له اذهب انت وربك فقاتلا وما ذلك الاما آتسوا من انفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر فى تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد ومارغوا من الذل للقبط احقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان الشام لهم وان العمالة الذين كانوا باربعاء فرسيتهم يحكم من الله قدره لهم فأقصر واعن ذلك وعجزوا تعوىلا على ما علموا من انفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما اخبرهم به نبيهم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالنقمة وهوانهم تاهوا فى قعر من الارض ما بين الشام ومصر اربعين سنة لم يأووا فيها العمران ولا نزلوا مصر او لا خالطوا بشرا كما قصه القرآن لغلبة العمالة بالشام والقبط بمصر عليهم فحجزهم عن مقاومتهم كزعموه ويظهر من مساق الآية ومفهومها ان حكمة ذلك التبيه مقصودة وهى فناء الجبل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلعوا به وفسدوا من عصبيتهم حتى نشأ فى ذلك التبيه جيل آخر عز يز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذل عصبية اخرى اقتدر وابها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك ان الاربعين سنة اقل ما يأتى فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر سبحانه الحكيم العليم وفى هذا اوضح دليل على شأن العصبية وانها هى التى تكون بها المدافعة والمقاومة والحجاية والمطالبة وان من فقد ما عجز عن جميع ذلك كله ولحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب فان القبيل الغارمين ما أعطوا اليه من ذلك حتى رضوا بالمذلة لفقية لان فى المغارم والضرائب ضمما ومذلة لا تحتملها النفوس الابية الا اذا استهوتته عن القتل والتلف وان عصبيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحجاية ومن كانت عصبية لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة عاتقة كما قدمنا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى شأن الحرث لما رأى سكة الحرث فى بعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم لا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب للمذلة هذا الى ما يجب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رايت القبيل بالمغارم فى رتبة من الذل فلا تطمع له بالمال آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زبانية بالمغرب كانوا شايبة يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر فمقاله شهر براز مال الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهر براز امانه على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي فى ايديكم وصغرى معكم فخرجما بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذولونا بالجزية فتوهنوا العدوكم فاعتبروا هذا فيما قلناه فانه كاف

٢٠ ﴿فصل فى ان من علامات الملك التناقس فى الخلال الحميدة وبالعكس﴾

به وجار فى الحكم فهو فى النار ورجل لم يعرف الحق ففضى للناس على جهل فهو فى النار (قلت) فهذان الرجلان ضعيفان عن رتبة القضاء احدهما بعينه وظلمه والاخر بجهله وقد عابت جهلة بنى اسرائيل طالوت فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم

يؤت سعة من المال فعاوبه بخصالتين الفقر وأنه ليس من سبط المملكة فقال لهم نبيهم إن الله اضطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
فبين شروا الولايات والممالك (٨٦) وأنها تنقصر إلى العلم الذي به يحكم وإلى القوة التي بها تنفذ الأحكام دون ما ظنه بنو إسرائيل

لما كان الملك طبيعياً للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان أقرب إلى خلال الخير
من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر إنما جاء من قبل القوى الحيوانية التي
فيه هو أمان حيث هو انسان فهو إلى الخير وخاله أقرب والمالك والسياسة إنما كان له من حيث هو
انسان لانه اخاصة للانسان لا للحيوان فاذن خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والمالك اذا الخير
هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان المجدله اصل ينبنى عليه ويتحقق به حقيقة وهو العصبية والعشيرة
وفرع يتم وجوده ويكمل به وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لقروعه ومتمماتها وهي
الخلال لان وجوده دون متمماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء وظهره عريان بين الناس واذا كان
وجود العصبية فقط من غير اتصال الخلال المحيطة نقصا في اهل البيوت والاحساب فظنك باهل الملك
الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا فالسياسة والمالك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد
لتنفيذ احكامه فيهم واحكام الله في خلقه وعبادته انما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع واحكام
البشر انما هي من الجهل والسيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما
اذ فاعل سواء فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة وانست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام
الله في خلقه فقد تبها للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان اوثق من
الاول واضمح مني فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك من وجدت له العصبية فاذا نظرنا في اهل
العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يثنافسون في الخير وخاله من
الكرم والعقود عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدوم والصبر
على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعميم الشريعة واجلال العلماء والمعلمين
لها والوقوف عند ما يجدونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعمق اهل الدين والتبرك بهم ورغبة
الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايخ وتوقيرهم واجلالهم والانتقاد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف
المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والانتقاد للحق والتواضع للسكين واستماع شكوى
المستغثين والدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجافي عن الغدور والمكر والخديعة
ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا اساسا لمن
تحت أيديهم وعلى العموم وأنه خير ساقه الله تعالى اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم
ولا وجدنا منهم والمالك أنسب المراتب والخبرات لعصبيتهم فعملنا بذلك ان الله تأذن لهم بالمالك وساقه
اليهم وبالعكس من ذلك اذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة جعلهم على ارتكاب المذمومات واتكال
الردائل وسلوك طرقها فنقص القضاء السياسية منهم جعله ولا تزال في انتقاص الى أن يخرج الملك من
أيديهم ويبدل به سواء لم يكون نعياع عليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل في أيديهم
من الخير واذا أردنا ان نعلم قرية أمرنا متر فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واسمى ذلك
وتبعه في الامم السابقة تجد كثيرا ما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) ان من خلال
الكمال التي يتنافس فيها القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالمالك اكرام العلماء والاصالحين
والاشراف واهل الاحساب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل
وأهل العصبيات والعشائر ينزههم في الشرف ويجاذبهم حبيل العشيرة والعصبية ويشاركونهم في اتساع
الجاه امر طبيعي يحتمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه أو الخفاقة من قوم المكرم او التماس مثاهلته وأما امثال

وأما قولك أيهما أفضل
القضاء في غيبته أو المحضور
بين يديه والكون في
حضرته فالجواب ان اوامره
عليه السلام فرض يعصى
بتركه والكون في حضرته
مستحب بعد الهجرة
لا يعصى بتركه فعملنا بهذا
انه انما بعث علما رضى الله
عنه للقضاء لانه افضل من
سكناه بحضرته لانه مبلغ
عنه الى الخلائق شريعتهم
التي بعثه الله بها فهو خلقه
في ذلك يدل على هذا انه
أوجب الجنة لمن قضى
بالحق

*(الباب الرابع في بيان
معرفة ملك سليمان بن
داود عليهم السلام ووجه
طلبه الملك وسؤاله أن
لا يؤتى لاحد من بعده)*
قال هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي فطلب
الملك ثم زاد على ذلك بان
لا يؤتى مثله أحد بعده
وكان ظاهره يؤذن بالبخل
والكلام على هذه الآية
من وجوه (أحدها) انه
انما سأل هذا بعد ان سلبه
الله تعالى ملكه ثم أعاده
الملك فطلب الملك كان
ملكاً فكانه قال هذا الملك
الذي جددته لي هب لي
على صفات لا أعصيت فيها

فتسلبني اياه وتعاقبني يدل عليه انه بدأ بالمغفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا أي ملكا لا أعصيت
فيه فتواخذني والدليل على صحة هذا قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او أمسك به غير حساب فيك أنه أجاب دعاءه فقال تصرف كيف شئت

فلا حساب عليك فيه وقيل ان اعطيت اجرت وان امسكت فلا تبعه عليك فيه وهذا يخص بص سليمان بن داود عليهما السلام ولم يخص به احدا من ولد آدم سواه لان الله تعالى قال للثلاثي فوربك لنسألنهم اجمعين (٨٧) عما كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي لاحد

من بعدى فيمنه لا سلبه في باقي عمرى فيصير لغيرى كما سلبته فيما مضى من عمرى وقيل لا تسلط على فيه شيطانا مثل الذي قد سلطت على وقيل انما سأل ذلك ليكون علماء على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل انما سأل ذلك ليكون آية انبوتة وعلم على معجزته وقال مقاتل كان سليمان بن داود ملكا وليكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى فسخرنا له الريح الى آخرة الآية وقيل ان سليمان كان ملكه في خاتمة ولهذا ذهب ملكه بذهاب خاتمه فقال لا ينبغي لاحد من بعدى يعني اجعل ملكي في نفسي لاني خاتمي حتى لا يملكه احد غيري فان ابليس لما اخذ خاتم سليمان تحول ملك سليمان الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى انكرت بنو اسرائيل احكامه وكان قد اتى عليه شبهه (وقال) عمرو بن عثمان المكي انما اراد به ملك النفس

هؤلاء ممن ليس لهم عصية تنقي ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقتاله واثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله ونظراته وكرام الطارين من اهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للجاه اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بما في ايديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيهم لم يوجد ذلك من اهل عصيته انما وهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد تآذن بوجودها فيهم لم يوجد علامتها ولهذا كان اول ما يذهب من القبيل اهل الملك اذا تآذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رأيت قد ذهب من أمة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب عنهم وارث قب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له والله تعالى اعلم

٢١ * (فصل في انه اذا كانت الامم وحشية كان ملكها اوسع) *

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقد رتبهم على محاربة الامم سواهم ولاهم يتزولون من الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات النجس وهو لا يمثل العرب ووزانة ومن في معناهم من الاكراد والتركمان واهل الشام من صنهاجة وابضا فهو لا يمثل وحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا يديحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فهذا لا يقتضون على ملكة قطرها وما حاورهم من البلاد ولا يقفون عند حدود اقطارهم بل يتفرون الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكي في ذلك عن عمر رضي الله عنه لما يبيع وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى عليه اهلها الا بذلك أين القراء المهاجرون عن موعد الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فقال ليطهره على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وجيركيف كانوا يخطون من اليمن الى المغرب مرقوا الى العراق والمند أخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال المسلمين من المغرب لما نزعوا الى الملك طرفة وامن الاقليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السددان الى الاقليم الرابع والخامس في ملك الاندلس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع نطاقا وابعد من مراكزها نهاية والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا شريك له

٢٢ * (فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من أمة فلا بد من عوده

الى شعب آخر منها مادامت لهم العصية) *

والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لهم من سائر الامم سواهم فيتعين منهم المباشر وللأمر المحامون لسرير الملك ولا يكون ذلك لغيرهم لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المزاوجة والغيرة التي تفتح أنوف كثير من المتطاولين للرتبة فاذا تعين أولئك القائلون بالدولة انفسوا في النعيم وغرقوا في بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك الجبيل وانفقوا في وجوه الدولة ومذابها وبقي الذين بعدوا عن الأمور وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لم يذهب عنهم عن الترف واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام وأباد غرضاءهم الهرم فطبختهم الدولة وكل الدهر عليهم وشرب بما اوهف النعيم من حدهم واشتفت غريزة الترف من مائهم وبلغوا غايتهم من طمعية التمدن الانساني والغلب السياسي (شعر)

وقهر الهوى يدل عليه ما روى سليمان الشيباني قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال ارايت سليمان وما آناه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء فخشع الله تعالى حتى قبضه الله تعالى وزاد غيره انما اراد ملك النفس وقهر هائله لا يثبت في ملكه ولهذا قدم

سؤال المغفرة على طلب الممالة وقال بعض الوعاظ انما اراد حتى انتقم لا دم من ابليس وذريته حيث كان سديا في اخراجه وذريته من الجنة (وروي) البخاري في صحيحه (٨٨) ان النبي عليه السلام قال ان عقر يثامن الجن جعل يتفلس على البارحة ليقطع على

كرد والقر يذبح ثم يقنى * بمركز نسجته في الانعكاس

كانت حينئذ عصبية الاخرين موفورة وسورة عليهم من الكاسر محفوفة وشارتهم في الغلب معلومة فذسموا آملهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم وترفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامرو يصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقي ايضا متبذاعنه من عشائر امهم فلا يزال الملك ملجأ في الامة الا ان تنكسر سورة العصبية منها او يقنى سائر عشائرها سنة الله في الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين واعتبرهم ذابما وقع في العرب لما انقرض ملك عاد قام به من بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العمالة ومن بعدهم اخوانهم من جبر ومن بعدهم اخوانهم التباينة من جبر ايضا ومن بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمضر وكذا القريش لما انقرض امر الكيفية ملك من بعدهم الساسانية حتى تأذن الله بانقرضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقرض امر مغراوة وكما الملوك الاول منهم رجيع الى صنهاجة ثم الملمين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عباده وخلقه وأصل هذا كله انما يكون بالعصبية وهي متفاوتة في الاجيال والملك يتخلقه الترفو ويذهب به كما سئذ كره بعد فاذا انقرضت دولة فانما يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لمجيع العصبيات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم تبدل كبير من تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته فينبذ يخرج عن ذلك الجدل الى الجحيل الذي يأذن الله ببقائه بذلك التبديل كما وقع لمضر حين غلبوا على الامم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا كيوحين عنه احقابا

٢٣ * (فصل في ان المغلوب مولع ابدا بالاعتقاد بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر احواله وعوائده) *

والسبب في ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه او لما تعالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبعي انما هو لكمال الغالب فاذا غا طت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانتقلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء او لما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب ليس بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتخلته من العوائد والمذاهب تغا ط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للاول ولذلك ترى المغلوب يشبه به ابدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر احواله وانظر ذلك في الانباء مع آياتهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله زى الحمامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا التشبه والاعتقاد حفظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع امة الخلافة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستبداد والامر له وتأمل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من باب اذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية ممتدة دون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الانباء باياتهم والمتعلمين بعلمهم والله العليم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق

٢٤ * (فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليه القناء) *

صلاتي وان الله تعالى امكنتى منه فصر عنه ولقد هممت ان اربطه الى ساريته من سوارى المسجد حتى يصبح فتظرون اليه كما كنم فذكرت قول سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى فرده الله خاسئا (فان قيل) فاعني قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم (قلت) يستفاد من الآية ان من حصل بين يدي ملك لا يعرف قدره أو امة لا يعرفون فضله فخاف على نفسه او اراد ابراز فضله جازله ان ينهبهم على مكانه وما يحسنه دفعا لشر عن نفسه او اظهار الفضله فيجعل في مكانه وفيه فائدة أخرى وهو انه اذا رأى الامور في يد الخوينة واللصوص ومن لا يؤدى الامانة ويعلم من نفسه أداء الامانة مع الكفاية جازله أن ينهبه السلطان على امانته وكفايته ولهذا قال بعض العلماء من أصحاب الشافعي من كمل فيه الاجتهاد وشروط القضاء جازله أن ينهبه السلطان على مكانه ويخطبه خطة القضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك عليه اذا كان الامر في يدي من لا يقوم به

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الارض يدفع القوي عن

والسبب

*(الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا) *

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الارض يدفع القوي عن

الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوى الضعيف وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينظم لهم حال ولا يسعهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق باقامة السلطان فقال تعالى (٨٩) ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في

اقامة السلطان فيأمن الناس به فكون فضله على الظالم كف يده عن المظلوم وفضله على المظلوم كف يده الظالم عنه (وروى) أبوهريرة أن النبي عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يقطر ودعوة المظلوم (وروى) ان النبي عليه السلام قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (وروى) كثير بن مرة قال قال النبي عليه السلام السلطان ظل الله في أرضه يا وى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر (وروى) أبوهريرة يرفعه قال لعمر الامام العادل في رعيته يوما أفضل من عبادة العابد في أهله

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم في قصر الامل ويضعف النسل والاعتماد انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب التحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وعجزوا عن المداخلة عن أنفسهم بما خضعوا له من شوقهم فاصبحوا مغلبين لكل متغلب طمعة لكل آكل كل وسوء كانوا حصلوا على غايتهم من الملك أو لم يحصلوا وفيه والله أعلم لم يتركوا عن غايته عزه تكاسل حتى عن سبع بطنه الاستخفاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غايته عزه تكاسل حتى عن سبع بطنه وري كيدته وهذا موجود في أخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تسافر اذا كانت في ملكة الا كدمين فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قدماء في العالم كثيرة ولم تافيت حامية في أيام العرب بقي منهم كثير وأكثروا الكثير يقال ان سعدا أحصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفا منهم سبعة وثلاثون ألفا من القارب بيت ولم يتحصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا وثرى واكثر لم يكونوا ولا تحسبن ان ذلك الظلم نزل بهم أو عدوان شملهم فملكه الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره ولهذا انما تدع للارق في الغالب أعم السودان لقص الانسانية فيهم وقر بهم من عرض الحيوانات النجم كما قلناه ومن يرجو بانتظامه في رتبة الرق حصول رتبة وافادة مال أو عز كما يقع لملك الترك بالشرق والعلاج من الحلالقة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٢٥ * (فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط) *

وذلك انهم بطبيعة التوحش الذي فيهم لم اهمل انتهاب وعيت ينتهبون ما قد رواه عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى متبعهم بالفر ولا يذهبون الى المزاخمة والمخاطبة الا اذا دفعوا بذلك عن أنفسهم فكل معقل أو مستعصب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتعة عليهم بما وعار الجمال بمنجاة من عيشهم وفسادهم لانهم لا يتسمنون اليهم المضارب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسائط متى اقتدروا عليها بافقدان الحماية وضعت الدوة فهي نهب لهم وطعمة لا كاهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم لم الا أن يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لاوب غيره

٢٦ * (فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب) *

والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجملة وكان عندهم ملذوذ ما فيه من الخروج عن رتبة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافاة للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك منافق للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجج مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه أثافي للقدرة فينتقلونه من المبانى ويخربونها عليه ويعودونه لذلك والخشب أيضا انما حاجتهم اليه لعمروا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه ليوثهم فيخربون

(١٢ - ابن خلدون)

مائة سنة أو تسعين سنة (وقال) قيس بن سعد ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة (وروى) أن سعد بن ابراهيم واباسمته بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا السعيد بن سليمان

ابن زيد بن ثابت ثابت لقضاء يوم بالحق أفضل عند الله من صد لانتك عمرك وسيضع لك صحة هذه الاقوال اذا وقعت على مانالته الرعية من
الصالح بصلاح السلطان (واعلم) (٩٠) ارشدك الله ان الانسان اعز جواهر الدنيا واغلاها قدرا واشرفها منزلة وبالسلطان صلاح

الانسان اذا فهو واعز اطلاق الدنيا واعها بركة ولذلك خلق الله تعالى دارين دار الدنيا ودار الآخرة ثم لما كان السلطان صلاح الدارين فخلق شخص يعينه العباد والبلاد ويصلح بصلاحه الدنيا والآخرة ان يكون شرفه عند الله عظيما كما كان قدره في العقول جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه عيما وعلى قدر عـوم المنفعة تشرف الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنفعة الاترى ان الانبياء عليهم السلام اعم خلق الله نفعاهم اجل خلق الله قدر الانهم تعاطوا اصلاح الخلق واخراجهم من الظلمات الى النور كذلك سلطان الله في الارض هو خلافة النبوة في اصلاح الخلق لا في ادعائهم الى فناء الرحمن واقامة دينهم وتقويم اودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الانبي مرسل او ملا مقرب فانخذ عظم قدر السلطان عندك حجة لله تعالى على نفسك وناصحه على قدر ما تفعل وليس نفعه مقصورا على بحالة من حطام الدنيا يحملك بها ولكن صيانة جحمتك وصيانة حريمك وحراسة مالك عن البغاة اعم نفعك ان عقلت وليس لله سلطان الاوقد اخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة

السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في اخذ أموال الناس حديثهم اليه بل كلما مدت اعيانهم الى مال او متاع وما عون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالغلب والمالك بطالت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وايضا فلانهم يتلقون على اهل الاعمال من الصنائع والمخرف اعمالهم لا يرون لها قينة ولا قس طامن الاجر والثمن والاعمال كما سنذكره هي اصل المكاسب وحقيقةها واذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت المال في المكاسب وانقبضت الايدي عن العمل وابذر السالك وفسد العمران وايضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المقاسد ودفاع بعضهم عن بعض انما هم مائاخذونه من أموال الناس نهبا او مغرما فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما بعدهم من تسديد احوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن اغراض المقاسد وربما فرضوا العقوبات في الاموال حرصا على تحصيل الفائدة والجباية والاستسكان منها كما هو شأنهم وذلك ليس بمغن في دفع المقاسد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك زائدا في الاسسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكيتهم كانوا فوضى دون حكم والقوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من ان وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضا فانهم متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اياه او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره من أجل الحياء فيتعبد الحكام منهم والامراء وتختلف الايدي على الرعية في الجباية والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما سألته عن الحجاج واراد الشناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخلقة كيف تقوض عمرانه واقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير الارض فالنقر اراهم خراب الاقلام من الامصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس اجمع والشام هذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ اول المائة الخامسة وقرسوا بها النثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها اوعادت بساكنة خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدن اشرف والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٧ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة والسبب في ذلك أنهم لم يخلقوا التوحش الذي فيهم اصعب الامم انقياد بعضهم لبعض للغاظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما يجتمع أهواؤهم فاذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشتملهم من الدين المذهب للغاظة والانفة الوازع عن التحاسد والتنافس فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله وذهب عنهم مذمومات الاخلاق وبأخذهم بحججهم وذهابوا في كل ما لا يظهار الحق ثم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والمالك وهم مع ذلك اسرع الناس قبول الحق والهدى لسلامة طبائعهم من عوج الملكات وبرائتهم من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعانة المتربى لقبول الخيرية قائمه على الفطرة الاولى وبعدمه عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

فصل في بيان حرمات وصيانة حرماتك وصيانة مالك عن البغاة اعم نفعك ان عقلت وليس لله سلطان الاوقد اخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة

السلطان الشرير الجائر رتبة اشر برلان شرهيم كمان خير الاول يعم وكمان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتسال الزاني الى الله تعالى والقوز بجنة المأوى كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتغترف المعاصي والا^{٩١} ثم (٩١) وتورث دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في

٢٨ * (فصل في ان العرب ابعدا لام عن سياسة الملك) *

رعيته فاقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل خسات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فارسات السماء غيبتها واخرجت الارض بركايتها ومنت تجاراتهم وزادت زروعهم وتناسلت انعامهم ودرت ارزاقهم ورنخت اسعارهم وامتلات اوعيتهم فواسي البخيل وافضل الكريم وقضيت الحقوق واعيرت المواعين وتهادوا فصول الاطعمة والتحف فهان الحطام لسكرته وذل بعد عزته فقامت على الناس مروآتهم وانحفظت عليهم اديانهم وبهذاتين الملك ان الوالي ماجور على ما يتعاطاه من اقامة العدل وما جاور على ما يتعاطاه الناس بسببه واذا جاور السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد ففرقت اديانهم واضمحلت مروآتهم ففشت فيهم المعاصي وذهبت اماناتهم فضعت النقوس وقنطت القلوب خنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل وبخسوا المكيال والميزان وجوزوا

والسبب في ذلك انهم اكثر بدوة من سائر الامم وابعدهم جلا في القفر واغنى عن حاجات النول وحبو بها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك ولأنهم وحش ورثتهم محتاج اليهم غالباً لا عصبية التي بها المدافعة فكان مضطراً الى احسان ملكهم وترك مراغمتهم لئلا يحتل عليه شأن عصبية فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسيااسة الملك والسلطان تقتضي ان يكون السائس وازعاً بالقهر والالتم تستقيم سياسته وايضا فان من طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة والتجافي عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع باخذ ما في ايديهم وتركوها ما سوى ذلك من الاحكام بينهم ورعوا ما جعلوا العقوبات على المفسد في الاموال حرصاً على تكثير الجبايات وتخصيل الفوائد فلا يكون ذلك واذا عور بما يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على المفسد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه فنتمه والمفسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كانهما فوضى مستطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعا شأن القوضى كما قدمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سيااسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية نحو اذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحميهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدواتهم في المللة الماشية بدلهم الدين امر السياسة بالشرعية واحكامها المرعية لمصالح العمران ظاهر او باطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم كان رستم اذا رأى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول لكل عمر كبدي يعلم الكلاب الا^{٩٢} آداب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة احيال بنو^{٩٣} والدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع اهل الدولة بعدهم عن الانقياد واعطاء النصبة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا انهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ولا ذهاب امر الخلافة وانحى رسمها انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليهم العجم دونهم واقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لاحد من الامم في الخلق ما كان لاجيالهم من الملك ودول عادية ودول عمالة وجير والتبابعة شهادة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بنى امية وبنى العباس لكن بعدهم بالسياسة الماشية والدين فرجعوا الى اصلهم من البدوة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كالحكم في المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وغايته الاتخير ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يتولى ملكه من يشاء

٢٩ * (فصل في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار) *

قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البادية وانما توجد لديهم في مواطنهم امور الفلح وموادها معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد لديهم بالكلية من نجار وخياط وحداد واثقال ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفلح وغيره وكذا الدنانير والدراهم مفعولة لديهم وانما يابايديهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان او فضلاته البناناوا وباراوا شعراواها بما يحتاج اليه اهل الامصار فموضوعهم عنه بالدنانير والدراهم الا ان حاجتهم الى الامصار في الضرورى وحاجة اهل الامصار اليهم في الحاجي والسكالي فهم محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم فاداموا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الامصار فهم محتاجون الى اهلها

البرج فرفعت منهم البركة وامسكت السماء غيبتها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها فقل في ايديهم الحطام فقتطوا ومسكوا الفضل الموجود وتاخروا عن المفقود فنعوا والذكوات المفروضة ونجوا بالامانة المسنونة وقبضوا ايديهم عن الميكارم وتنازعوا المقدار اللطيف

وتجاءدوا القدر المحسوس ففتشت فيهم الايمان الكاذبة والمختل في البصير والمخدع في المعاملة والمكروا الحيلة في القضاء والاقتضاء ولا يمنعه من السرقة الا العار ومن (٩٢) الزنا الا الحياء فيظل احدهم عاريا عن محاسن دينه ومجردا عن جلباب مروءته واكثر

ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوه الى ذلك وطالبوهم به وان كان في مصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في مصر ملك فلا بد فيه من رياسة ونوع استبداد من بعض اهله على الباقيين والا انتقص عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه اماطو عابذل المال لهم ثم يبدى لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تمت قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقيين فيضطر الباقيين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهات أخرى لان كل الجهات معمور بالبدو والذين غلبوا عليهم او منعواهم من غيرهم فلا يجد هؤلاء لهجأ الا طاعة المصير فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر فوق عباده وهو الواحد الاحد القهار

(الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول العامة والملك والخلافة والمرتبة السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات)

١ *(فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصبية)*

وذلك اننا قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النغرة والتذاخر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والمال والنفسانية فيقع فيه التنافس غالبا وقل أن يسلمه أحد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضى الى الحرب والقتال والمغالبة وشي منها لا يقع الا بالعصبية كما ذكرناه آنفا وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومننا سون له لانهم نسوا عهد تهديد الدولة منذ اولها وطال امد مرباهم في الحضارة وتعاظم فيها جيل بعد جيل فلا يعرفون مافعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب الدولة وقد استحكمت صيغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبية في تهديد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله ومالقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصا اهل الاندلس في نسيان هذه العصبية واثرها اطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبية بما تلاشي وطنهم وخلامن العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل

٢ *(فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية)*

والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للغرابة وان الناس لم بالقوام كما هو ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة في اهل النصاب الخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت النفوس شأن الاولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صيغة الرياسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على امرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا حينئذ في امرهم الى كبر عصابه بل كان طاعتها كتاب الله لايميل ولا يعلم خلافه ولا مر ما يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام على العقائد الايمانية كانه من جملة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما بالموالي والمصطنعين الذين نشؤوا في ظل العصبية وغيرها واما بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين في ولايتها ومثل هذا وقع لبنى العباس فان عصبية العرب كانت قدست لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالي من العجم والترك والديلم والسجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم الاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدوا اعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وكوها وصادرا الخلائق في حكمهم ثم انقرض

همه قوت دينه اعظم مسراته من هذا الخطام ومن عاش كذلك فبطن الارض خير له من ظاهرها (قال) وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله النقص في اهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شيء واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبد العزيز يزتهلك العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله سبحانه واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوليد ابن هشام ان الرعية لنفسد بفساد الوالي وتصلح بصلاحه (وقال) سفيان الثوري لا يجمع غفر المنصوراني لا علم رجل ان صلح صلحت الامة قال ومن هو قال أنت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا فنزل على رجل له بقرة فراحته البقرة فحلبت له قدر حلب ثلاثين بقرة فعجب الملك لذلك وحدث نفسه باخذها فلما راحته عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها ناقص اذعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن اظن ما يملكها باخذها امرهم فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم اوهم بالظلم ذهب البركة فعاهد الملك الله سبحانه في نفسه ان لا يأخذها فراحته من الغد فحلبت حلب

حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها ناقص اذعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن اظن ما يملكها باخذها امرهم فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم اوهم بالظلم ذهب البركة فعاهد الملك الله سبحانه في نفسه ان لا يأخذها فراحته من الغد فحلبت حلب

ثلاثين بقرة قتال الملك وعاهد زبه لاعدان ما بقيت ومن المشهور في ارض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأة له احبته فيها القصب
المخلو وان قصبة منها تاتى مصر قد حافزهم على اخذها منها ثم اتاهوا سألها عن ذلك (٩٣) فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم

تبلغ نصف قدح فقال لها ابن الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الان يكون السلطان قد عزم على اخذها مني فارتفعت بركتها قتال السلطان واخلص الله نية ان لا ياخذها ابدا ثم امرها فعصرت فخامل القدح وحديثي بعض الشيوخ ممن كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب تمر ولم يكن في الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل في ذلك العام شيئا ولا ثمرة واحدة (قال) شيخنا رحمه الله قال لي شيخ من اشباخ الصعيد اعرف هذه النخلة في الغربية تبخني عشرة ارادب ستين ويمة وكان صاحبها يبيعها في سنين الغلاء كل ويمة بدينار (قال) الشيخ رضي الله عنه وشهدت انا بالاسكندرية والصعيد في الخليج مطلقا للربعة والسمك فيه يغلي المساء به كثرة ويصيده الاطفال بالخرق ثم يحجزه الى البحر ويمنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحدة الى يومنا هذا وهكذا تعدي

امرهم وملك السجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض امرهم وزحف آخر التاروقية لولا الخليفة ومحو رسم الدولة وكذا صدها بالبحر فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة او ما قبلها واستمرت لهم الدولة منقصة الظل بالمهدية وبجاية والقاهرة وسائر ثغور افريقية وربع انتري بتلك الثغور من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى تأذن الله بانقرض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة فمحو آثارهم وكذا دولة بني أمية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على أمرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا على الدولة وانتزى كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشمخ بانعه وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فلقبوا بالاقاب الملك وليسوا اشارته وأمنوا من ينقض ذلك عليهم او يغيره لان الاندلس ليس بدار عصابات ولا قبائل كما سذكروا واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف

ما يزدني في ارض اندلس * أسماء معتصم فيها ومعتصد

القباب ملكة في غير موضعها * كالمحكي انتفاخ صورة الاسد

فاستظهروا على أمرهم بالموالي والمصطنعين والطرائع على الاندلس من أهل العدو من قبائل البربر وزناتة وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين ضعفت عصبية العرب واستبد ابن أبي عامر على الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل واحد منها بجانب من الاندلس وحظ كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم يزلوا في سلطانهم ذلك حتى جاز اليهم البحر المرابطون أهل العصبية القوية من المتونة فاستبدلوا بهم وأزالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يقدر رواعي مدافعهم لفقدان العصبية لديهم فبهذه العصبية يكون تمهيد الدولة وحمايتهم من أولها وقد ظن الطرطوشي أن حامية الدولة باطلاقهم الخند أهل العطاء المفروض مع الأهلة ذكر ذلك في كتابه الذي سماه سراج الملوك وكلامه لا يتناول تأسيس الدول العامة في أولها وانما هو مخصوص بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما ادرك الدولة عندهم ما وخلق جدها ورجوعها الى الاسنة ظهار بالموالي والصنائع ثم الى المستخدمين من ورائهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوائف وذلك عند اختلال دولة بني أمية وانقرض عصبيتها من العرب واستبداد كل أمير بقطره وكان في ايلة المستعين ابن هود وبنيه المظفر أهل سرقة ولم يكن بقي لهم من أمر العصبية شيء لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلثمائة من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلطانا مستبدا بالملك عن عشارته قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقيت العصبية فهو لذلك لا ينزع فيه ويسعين على امره بالاجراء من المرتزة فأطلق الطرطوشي القول في ذلك ولم ينطق بكيفية الامر منذ أول الدولة وأنه لا يتم الا لاهل العصبية فتنقطن انت له وافهم شمر الله فيه والله يؤتي ملكه من يشاء

٣ * (فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغنى عن العصبية) *

وذلك انه اذا كان لعصبية غلب كثير على الامم والاجيال وفي نفوس القاطنين باعده من أهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانبت عن مقر ملكه ومنبت عزه اشتهلوا عليه وقاموا بامرهم وظاهروه على شأنه وعزوا بتهيم دولته برجون اسنة مقراره في نصابه وتناوله الامر من يد أعباءه وجزاه لهم على مظهرته باصه طفاقم لرب الملك وخطه من وزارة او قيادة او ولاية ثغور لا يطعمون في مشار كنه في شيء من سلطانه تسليم العصبية وانقيادها استحكمت له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة ايمانية

سراثر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خير الخيرة وان شرافهم (وروى) اصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا في زمان الحجاج يتلاقون يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وامثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع

واتخاذهم منع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والصانع والضايع وشق الانهار وغرس الاشجار وما لى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نكاح (٩٤) وطعام فكان الناس يتحدثون في الاطعمة الدقيقة ويتوسعون في الانكحة والسراري

استقرت في الاذعان لهم فلوراموها معه اودونه لزلزال الارض فزلزلها وهذا كواقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيدين باقر يقيمة ومصر لما انتمى الطالبيون من المشرق الى القاصية وابعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طليهم ابدى بنى العباس بعد ان استحكمت الصبغة لبني عبد مناف لبني امية اولاً ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فأوربة ومغيلة للادارسة وكامة وصنهاجة وهوارة للعبيدين فشدوا دولتهم ومهدوا بعصائبهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افر يقيمة ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين يمتد الى أن ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الا انهم شقوا لابلية وهؤلاء البرابرة القائلون بالدولة مع ذلك كلهم مسلمون للعبيدين امرهم مذعنون لمذكمهم وانما كانوا ينافسون في الرتبة عندهم خاصة تسليمها حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكمت من الغلب لقر يش ومضم على سائر الامم فلم يزل الملك في أعقابهم الى أن انقرضت دولة العرب بأسرها والله يحكم لامعقب الحكمة

٤ (فصل في أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة المالك اصلها الدين امامن نبوة أو دعوة حق) وذلك لان الملك انما يحصل بالغلب والتغلب انما يكون بالعصبة وانفاق الاهواء على المطالبة وجمع القلوب وتواليها انما يكون بدعوة من الله في اقامة دينه قال تعالى لو أنفقت ما في الارض جيعاً ما ألقت بين قلوبهم وسره ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرف الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهاتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الحكامة لذلك فعظمت الدولة كما تبين للبعد ان شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لارب سواه

• (فصل في ان الدعوة الدينية تزييد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عدد) السبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرق الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم متمسكون عليه وأهل الدولة التي هم طابوها وان كانوا اضع عافهم فاغراضهم متباينة بالباطل واتخاذهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم القناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كواقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين الفا في كل معسكر وجوع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجوع هرقل على ما قاله الواقدي أربع مائة ألف فلم يقف للعرب احد من الجاهليين وهزمهم وغلبوهم على ما بأيديهم واعتبر ذلك ايضا في دولة المنونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصبية او يشف عليهم الا ان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاسماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كفي ينة قضا الامرو يصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصائب المكافحة لها او الزائدة القوة عليهم الذين غلبتهم مضاعفة الدين لقوتها ولو كانوا اكثر عصبية منها واشد بدوة واعتبر هذا في الموحدين مع زناتة لما كانت زناتة ابدي من المصامدة واشد دتو حشاو كان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا صابغتها وتضاعفت قوة عصبيتهم بها فغلبوا على زناتة اولاً واستتبهم وهم وان كانوا من حيث العصبية والبدوة اشد منهم فلا خلوا عن تلك الصبغة الدينية انقضت

ويعرون مجالسهم بذلك ولما لى عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكوردك في كل ليلة وكم تحفظ فلان ومتى يجتم وكم تصوم من الشهر وامثال ذلك

• (الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غريغاب وخاسر غري راجح) *

اعلم والارشدكم الله ان السلطان خطره عظيم وبليته عامة وقد ينظره من الافات ويخوشه من الامور والمهلكات ما يجب على كل ذي لب ان يستعين بالله عما حله ويشكره على ما عصمه لا تمدا فكم ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر له الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف ألف عدو والرجل يضيق بتدبير أهل بيته وانا له ضيقه وتقديره معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع أهل ملكته وكلما ارتق فتقام حواشي ملكته انفق آخره وكما وم منها عشرات آخره وكما قع عدوا ارضه له أعداء

الى سائر ما يعاناه من اخلاق الناس ويقاسيه من خصوماته ونصب الولاة والقضاة وبعث الجيوش وسد النغور واستجاء الاموال ودفع المظالم ثم من الحب الجباب ان له نفسا واحدة وانه برزأمن الدنيا قوتها كاي رزأ حاد الرعايا ثم يسأل غدا عن

جميعهم ولا يسألون عنه في الله ولا بالعجب من رجل رضى ان ينال رغبة ويحاسب منها على آلاف آلاف رغبة ويا كل في معي واحد
ويحاسب على آلاف آلاف معي ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على آلاف (٩٥) آلاف من الانفس وعلى هذا النمط

عليهم زناة من كل جانب وغلبوهم على الامروا نزعوه منهم والله غالب على امره

٦ * (فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم) *

وهذا لما قدمناه من أن كل أمر يحمله عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر باعثة
الله نبالا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهو اولى الناس بخرق العوائد فاطنك بغيرهم
أن لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع
النعلين في التصوف ثار بالاندلس داعيا الى الحق وسمى اصحابه بالمرايطين قيل دعوة المهدي فاستتب له
الامر قليلا لشغل المتنوعة بمادهم من أمر الموحدين ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عن شأنه
فلم يلبث حين استولى الموحدون على المغرب أن أذن لهم ودخل في دعوتهم وتابعتهم من معقله بخصن
اركش وأمكنهم من تغره وكان أول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين ومن هذا الباب
احوال الثوار القاطنين بتغيير المنكر من العامة والعقهاء فان كثير من المنتهلين للعبادة وسلوك طرق الدين
يذهبون الى القيام على أهل الجور من الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف والنهي
النواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتشبهون بهم من الغوغاء والدهماء يعرضون أنفسهم في ذلك
للهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم
وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزعزحها ويهدم بناءها الا المطالبة
القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصائب وهم المأجورون من الله بالكون كله لو شاء الله ان يجرى الامور
على مستقر العادة والله حكيم عليهم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به الانفراد
عن العصبية فطاح في هوة الهلاك وأما ان كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر ان تعوقه
العوائق وتقطع به المهالك لانه امر الله لا يتم الا برضاه واعاقته والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك
في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وأول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل
الامين وأبطل المأمون بنجراسان عن مقدم العراق ثم عهد لابي بن موسى الرضا من آل الحسين فكشف بنو
العباس عن وجه التكبر عليه وتداووا للقيام وخلع طاعة المأمون والاساس تبدل منه وبيع ابراهيم بن
المهدي فوق الهرج ببغداد وانطلقت ايدي الزعرة بهامن الشطار والحريية على أهل العافية والصون
وقطعوا السبيل وامتلأت ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الاسواق واستعدى اهلها الحكم
فلم يعدوهم فتوافر أهل الدين والصالح على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد
الدرديوس ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فأجابته خلق وقاتل أهل الزعرة فغلبهم واطلق
يده فيهم بالضرب والله كبريل ثم قام من بعده رجل آخر من سواد أهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة
الانصاري ويكنى ابا حاتم وعلق محققا في عنقه ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل
بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فاتبه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن
دعوتهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف بيعة ددو منع كل من أخاف المسارة ومنع الخفاوة لاولئك
السطار وقال له خالد الدرديوس اننا لا أعيب على السلطان فقال له سهل لكني اقاتل كل من خالف الكتاب
والسنة كائن من كان وذلك سنة احدى ومائتين وجهز له ابراهيم بن المهدي العساكر فغلبه وأسره وانحل

في جميع احواله يحمل
أثقالهم ويربح أسرارهم
ويجاهد عدوهم ويسد
تغورهم ويدافع مناوئهم
ومناصبهم ويعصى ربه
فيهم ويخالف أمره ويركب
نهيهم من أجلهم ويعتقم
جرائم جهنم على بصيرة فيهم
ثم تجدهم له قائلين وعنه غير
راضين ولولا ان الله تعالى
يحول بين المرء وقلبه لم
يرض عاقل بهذه منزلة ولا
اختارها اليه مرتبة وكل
ما ذكرته في هذا الباب
أحكمه الله الذي عليه
السلام في كلمة فقال
مالك ولا عرائي لكم صفو
أمرهم وعليهم كدروهم ومثال
السلطان مع الرعية
كالطباخ مع الاكلة العناء
ولهم المناء وله الحار ولهم القار
طلب لقومه الراحة ففضل
على الشعب وطلب لهم النعيم
فاخطأ الصراط المستقيم
وعن هذا قالوا سيد القوم
أشقاكم وفي الحديث ساقى
القوم آخرهم شر باو كان
بعض سلاطين المغرب يستمر
بوماو بين يديه الوزراء
نظر الى جماعة من التجار
فقال لو زيره اتحب ان
أريك ثلاث طوائف
طائفة لهم الدنيا والاخرة
وطائفة لا دنيا ولا آخرة

وطائفة دنيا بلا آخرة قال وكيف ذلك أيها الملك فقال الذين لهم الدنيا والاخرة فهو هؤلاء التجار يكسبون أقواتهم ويصلون صلاتهم ولا
يؤذون أحدا وأما الذين لا دنيا ولا آخرة فهو هؤلاء السمرط والخدمة الذين بين أيدينا وأما الذين لهم دنيا بلا آخرة فأننا وأنفسنا وسائر السلاطين

فحق على جميع الورى أن يمدوا السلطان بالمناصبات ويخضوه بالدعوات ويعينه على سائر المحاولات ويكونوا له أعيناً ناظرة وأيدياً
باطشة وجنناً واقية والسنة (٩٦)

أمره سرعاً وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم بإقامة الحق
ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامته من العصبية ولا يشعرون بمغربة أمرهم وما كل أحوالهم والذي
يحتاج إليه في أمره هو لا ما المداواة ان كانوا من أهل الجحون وأما التنكيل بالقتل أو الضرب ان أحد ثوا
هرجا وأما إزاء السخرية منهم وعدهم من جملة الضفاعةين وقد يتسبب بعضهم إلى الفاطمي المنتظر أما
بأنه هو أو بأنه داع له وليس مع ذلك على علم من أمر الفاطمي ولا ما هو أو أكثر المنتخمين لمثل هذا تجدهم
موسوسين أو مجانين أو ملبسين يطالبون بمثل هذه الدعوة رياسة امت لا تهابها جواهرهم وعجزوا عن
التوصل إليها بشيء من أساليب العادية فيحسبون أن هذا من الأسباب البالغة بهم إلى ما يؤملونه من ذلك
ولا يحسبون ما ينالهم فيه من الهلكة فيسرع إليهم القتل بما يجدونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد
كان لأول هذه المأثرة خرج بالسوس رجل من المنصوفة يدعى التوبذري عمداً إلى مسجد ماسة بساحل
البحر هنالك وزعم أنه الفاطمي المنتظر تلبس على العامة هنالك بمأملات قلوبهم من الخدثان بانتظاره
هنالك وان من ذلك المسجد يكون أصل دعوته فتهافتت عليه طوائف من عامة البربر تهافتت الفرائش
ثم خشي رؤسائهم اتساع نطاق الفتنة فسد إليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسبيوى من قتله في فراشه
وكذلك خرج في غمارة أيضاً لأول هذه المأثرة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نعيته
الاردلون من سقاه تلك القبائل وغمارهم وزحف إلى بادس من أمصارهم ودخلها عنوة ثم قتل لاربعة
يوماً من ظهور دعوته ومضى في الهالكين الأولين وأمثال ذلك كثير والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار
العصبية في مثلها وأما ان كان التلبس فأحرى أن لا يتم له امره وان يوعا بماله وذلك جزاء الظالمين والله
سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لأرب غيره ولا معبود سواه

٧ * (فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها) *

والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائمون بها الممهدون لها لا بد من توزيعهم حصصاً على الممالك
والثغور التي تصير إليهم ويستولون عليها الجاهل بها من العدو وأما حكام الدولة فيها من جمالية وورد وغير
ذلك فإذا توزعت العصائب كلهم على الثغور والممالك فلا بد من نفاذ عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ
إلى حد يكون ثغر الدولة وتحمها لوطنها ونطاقها مركز مملكتها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على
ما يدها بقي دون حامية وكان موضع الانتهاز الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على الدولة بما
يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما كانت العصابة موفورة ولم ينفذ عددها في توزيع الحصص
على الثغور والنواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى ينفتح نطاقها إلى غاية والعلية
الطبيعية في ذلك هي قوة العصبية من سائر القوى الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الأفعال فشأنها
ذلك في فعلها والدولة في مركزها الشدعي يكون في الطرف والنطاق وإذا انتهت إلى النطاق الذي هو الغاية
عجزت وأقصرت عما وراءه شأن الأشعة والأنوار إذا انبعثت من المراكز والدوائر المنفصلة على سطح الماء
من النقر عليه ثم إذا أدركها الهرم والضعف فأنما تأخذ في التناقص من جهة الأطراف ولا يزال المركز
محفوظاً إلى أن ينأذن الله بانقراض الأمثلة فينمذ يكون انقراض المركز وإذا غلب على الدولة من مركزها
فلا ينفقها بقاء الأطراف والنطاق بل تصح لوقتها فان المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فإذا غلب
القلب ومملكته انهمز جميع الأطراف وانظر هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المدائن فلما غلب المسلمون
على المدائن انقراض أمرفارس اجتمع ولم يقع يزجر دمابقي بيده من أطراف مملكته وبالعكس من ذلك

هذا قال بعض السلاطين
يوماً لأصحابه أعلموا ان
السلطان والجمعة لا يجتمعان
(قال) شيخنا رحمه الله
وحدثني رجل له قدر قال
أرسل إلى السلطان ان
طلق امرأتك وكان قد
أرادها لبعض أصحابه
فأبى ذلك وراجعت
الرسول غير مرة فقال لي ناصح
منهم خذ الأمر قبل فانه لا
حيلة لك فان السلطان لا
يخاف في الدنيا عار ولا في
الآخرة ناراً ففارقها
(وروي) عن عبد الملك
ابن مروان انه لما ولي
الخليفة أخذ المصحف
فوضعه في حجره ثم قال هذا
فراق بيني وبينك ولما حج
هرورن الرشيد لقيه عبد
الله العمري في الطواف
فقال له باهرورن قال لميك
يا عم قال كم ترى ههنا من
الخلق قال لا يحصيهم الا
الله فقال اعلم أيها الرجل
ان كل واحد منهم يسأل
عن خاصة نفسه وانت واحد
تسأل عنهم كلهم فانظر
كيف تكون فيكي هرورن
وجلس فجعلوا يعطونه
منديلان منديلان لادموع
ثم قال له والله ان الرجل
ليسرع في مال نفسه فيستحق
الجحيم عليه فكيف بمن أسرع
في مال المسلمين ويقال ان هرورن كان يقول والله اني أحب ان أجمع كل سنة وما يمنعي إلا الرجل من

ولدمع يجمع ما أكره وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أجمع من السلطان ومن أجهل من عصاني

ومن أعز من اعتزني يا راعي السوء دفعت اليك غنما سمنا صاخا فاكات اللحم وشربت اللبن واثنت ذمت باليمن ولبست الصوف
وتركتها عظاما متعقع ولم تأو الضالة ولم تحير الكسير اليوم انتقم لها منك (٧٩) * (الباب السابع في بيان الحكمة في كون

السلطان في الارض) *
اعلموا أرشدكم الله ان في
وجود السلطان في الارض
حكمة لله تعالى عظيمة
ونعمة على العباد خيرة
لان الله سبحانه جيل الخلق
على حب الانتصاف وعدم
الانصاف ومثلهم بلا
سلطان مثل الحيتان في
البحر يزرد الكبير الصغير
حتى لم يكن لهم سلطان قاهر
لم ينظم لهم امر ولم يستقم لهم
معاش ولم يهتوا بالحياة
ولهذا قال بعض القدماء
لورفع السلطان من الارض
ما كان لله في اهل الارض
من حاجة ومن الحكم التي
في اقامة السلطان انه من
حجج الله تعالى على وجوده
سبحانه ومن علاماته على
توجيهه لانه كما لا يمكن
استقامة امور العالم
واعتداله بغير مدبر يتفرد
بتدبيره كذلك لا يتوهم
وجوده وتربيته وما فيه
من الحكمة ودقائق
الصنعة بغير خالق خلقه
وعالم اتقنه وحكيم دبره
وكما لا يستقيم سلطانان في
بلد واحد لا يستقيم الهان
للعالم والعالم بأسره في سلطان
الله تعالى كابلد الواحد
في يد سلطان الارض ولهذا
قال علي بن أبي طالب

الدولة الرومية باسم ما كان مركزها القسطنطينية وغلبهم المسلمون بالشام تحيروا الى مركزهم بالقسطنطينية
ولم يضرهم نزاع الشام من أيديهم فلم ينزل ملكهم متصلا بها الى أن تأذن الله بانقرضه وانظرا ايضا شأن
العرب اول الاسلام لما كانت عصائبهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر
لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من الهند والمجيشة وافر يقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما
تفرقوا حصصا على الممالك والشعور ونزلوها حامية ونفذ عددهم في تلك التوزيعات اقصروا عن الفتوحات
بعدوا ونهت امر الاسلام ولم يتجاوز تلك الحدود ومنه انراجعت الدولة حتى تأذن الله بانقرضها وكذا كان
حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائلين بها في القلة والكثرة وعند نقاد عددهم بالتوزيع
يقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

٨ * (فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائلين بها في القلة والكثرة) *

والسبب في ذلك ان الممالك انما يكون بالعصبة واهل العصبة هم المحامية الذين ينزلون بممالك الدولة
وأقطارها وينقسمون عليهم انما كان من الدولة العامة قبيلها واهل عاصبتها أكثر كانت أقوى وأكثر
ممالكها وأوطانها وكان ممالكها الواسع لذلك واعتبر بذلك بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على
الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف وعشرة آلاف
من مضر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا للطلب ما في أيدي
الامم من الممالك لم يكن دونه حتى ولا زفرافاسه تبع حتى فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين في العالم
لعهدهم والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس
الاقصى ومن اليمن الى الترك بأقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صنهاجة
والموحدين مع العبيديين قبلهم لما كان قبيل كرامة القائلين بدولة العبيديين أكثر من صنهاجة ومن
المصامدة كانت دولتهم أعظم فلكوا افر يقية والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة
لما كان عددهم أقل من المصامدة قصر ملكهم عن ممالك الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة
منذ اول أمرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد زناتة بني مرين وبني عبد الواد لما كان عدد بني
مرين لاول ملكهم أكثر من بني عبد الواد كانت دولتهم أقوى منها وأوسع نطاقا وكان لهم عليهم الغلب
مرة بعد أخرى يقال ان عدد بني مرين لاول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بني عبد الواد كانوا ألفا الا أن
الدولة بالرقة وكثرة التابع كثرت من أعدادهم وعلى هذه النسبة في اعداد المتغلبين لاول الممالك يكون
اتساع الدولة وقوتها وأما طول امدها ايضا فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدول
انما هو بالعصبة فاذا كانت العصبة قوية كان المزاج تابعا لها وكان امدها طويلا والعصبة انما هي
بكثرة العدد وفوره كما قلناه والسبب الصحيح في ذلك ان النقص انما يمد في الدولة من الاطراف فاذا كانت
ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فستكثر ازمان
النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بقص وزمان فيكون امدها طويلا وانظر ذلك في دولة
العرب الاسلامية كيف كان امدها أطول الدول لابن العباس اهل المركز ولا بنو أمية المستبدون
بالاندلس ولم ينقص أمر جميعهم الا بعد الاربعة مائة من الهجرة ودولة العبيديين كان امدها قريبا من
مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد معز الدولة افر يقية بلالين بن زيري في سنة
ثمان وخمسين وثلاثمائة الى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة

(١٣ - ابن خلدون) رضي الله عنه امران جميلان لا يصلح احدهما بالتفرد ولا يصلح الاخر بالمشركة وهما المالك والراي
فكلا لا يستقيم المالك بالمشركة لا يستقيم الراي بالانفراد به ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية بلاسلطان مثال بيت فيه هراج منير

وحوله فقام من الخلق يعالجون صنائعهم فيبيناهم كذلك طغى السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وخشخش الهام الحسيس (٩٨) فذبت العقرب من مكمنها وفسدت القارة من حجرها وخرجت الحية من معدنها وجاء اللص

الموحد من لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في أعمالها على نسبة القائمين بها سنة الله التي قد خلت في عبادته

٩ ﴿فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة﴾

والسبب في ذلك اختلاف الآراء والاهواء وان رأى منها وهوى عصبية فتمانع دونها فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية من تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بأفريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول الذي كان لابن أبي سرح عليهم وعلى الافرنجة شيباء وأعدوا دواء به ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الانتخان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بيد الخوارج مرات عديدة قال ابن أبي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فبا بعده وهذا معني ما ينقل عن عمران افريقية مقرقة لقلوب أهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الاذعان والانقياد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها من فارس والروم والكافة دمهاء أهل مدن وأمصار فلما غلبهم المسلمون على الامرو انتزعوه من أيديهم لم يبق فيها مانع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تحصى وكلهم بادية وأهل عصائب وعشائر وكلما هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال امر العرب في تهيم الدولة بوطان افريقية والمغرب وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم ويونان والعمالة وكريش والنبط من جانب الجزيرة والموصل مالا يحصى كثرة وتوعدا في العصبية فصعب على بني اسرائيل تهيم ودولتهم وروسخ أمرهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد أخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موطن سائر ايامهم الى أن غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر أمرهم عند الجلاء والله غالب على أمره وبالعكس هذا أيضا الاوطان الخالصة من العصبية يسهل تهيم الدولة فيها ويكون سلطانها وزاقلته الهرج والانتفاض ولا تحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذ هي خلو من القبائل والعصبيات كان لم يكن الشام معدنهم كما قلناه فلك مصر في غاية الدعوة والروسخ لالة الخوارج وأهل العصائب انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصائهم يهيمون على الامرو واحد بعد واحد وينقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسي من أعقاب الخلفاء ببغداد وكذا الشأن الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن الاجر سلطانها لم تكن لاول دولتهم بقوية ولا كانت كرات انما يكون أهل بيت من بيوت العرب أهل الدولة الاموية بقوا من ذلك القبيلة وذلك أن أهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية منه وملكهم البربر من لمتونة والموحد من ستموا ملكتهم وثقلت وطأتهم عليهم فأشربت القلوب بغضاهم وأمكن الموحدون والسادة في آخر الدولة كثير من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار به على شأنهم من تملك الحضرة مرا كش فاجتمع من كان بقي بها من أهل العصبية القديمة معادن من بيوت العرب تجافي بهم المنبت عن الحضرة والامصار بعض الشيء ورسخوا في العصبية مثل ابن هود وابن الاجر وابن مردئش وأمثالهم فقام ابن هود بالامرو ودعا بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق ووجعل الناس على الخروج على الموحد بن فنبذوا اليهم العهد وأخرجوهم واستقل ابن هود بالامرو بالاندلس

بحيلة وهو هاج البرغوث مع حقارته فتعطت المنافع واستطارت فيهم المضار كذلك اذا كان قائما را لرعته كانت المنفعة به عامة وكانت الدماء في أهلها محبوبة والحرم في خدورهن مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان القاضل ظاهر والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من أهل الفسوق والدعارة خامل واذا انحطل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم الناس حولا في كفة كان هرج ساعة أعظم وارجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفي زوال السلطان أضعف شوكة سوق أهل الشر ومكسب الاجناد ونفاق أهل العبارة والسوقة والاصوص والمناجبة وقال الفضيل جورستين سنة خير من هرج سنة ولا يتقي زوال السلطان الا جاهل مغرور وفاشق يتنى كل محدور فحقبى على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى في اصلاح السلطان وان تبذل له نفعه وتخصه بصالح دعائها فان في صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساده

فساد العباد والبلاد وكان العلماء يقولون اذا استقامت لكم أمور السلطان فاكثروا حمد الله تعالى وشكروا وان جاءكم منه مات كرهون وجهه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم واقبحوا عذر السلطان لا تشار الامور عليه

وأكثر ما يكبد من ضيق وجوانب المملكة وأسلاف الأعداء وأرضاء الأولياء وقلة الناصح وكثرة التدليس والطمع وفي كتاب التاج
هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وأبواب الملوك مشغولة بكل شيء وأبواب السوقة (٩٩) مشغولة بغير شيء والجاهل منهم يعذر

نفسه مع ما هو عليه من
الراحة ولا يعذر سلطانه
مع شدة ما هو عليه من
المؤنة ومن هناك يعز الله
سلطانه ويرشده وينصره
وعن هذا قالت حكماء العجم
لا تستوطن الأبداء فيه
سلطان قاهر وقاض عادل
وسوق قائمة وطبيب عالم
ونهر جار

*(الباب الثامن في منافع
السلطان ومضاره)*
(قال) حكماء العرب والعجم
مثل مضار السلطان في
جنب منافع مثل الغيث
الذي هو سقى الله تعالى
وبركات السماء وحياة
الأرض ومن عليها وقد
يتأذى به المسافرو يتداعى
له البنيان وتكون فيه
الصواعق وتندرس يوله
فتهاك الناس والدواب
والذخائر ويوج له البحر
فتمتد بليتة على أهله ولا يمنع

ذلك الخلق إذا نظروا إلى
آثار رحمة الله تعالى في
الأرض التي أحياها والنبات
الذي أخرج والرزق الذي
بسط والرحمة التي نشر أن
يعظم موارجة ربه -م-
ويشكروها ويلغوا ذكر
خواص الأذية التي دخلت
على خواص الخلق (ومثاله)

أيضا مثل الرياح التي يرسلها
الله تعالى نشر ابن يدي رحمة فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات ورواحا للعباد وينهشهم منها وينقلون فيها وتجري بها مياههم
وتقد بها نيرانهم وتسبب بها في البحر أفلا كهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص إلى أنفسهم فيشكروها الشاكرون

ثم سمع ابن الأجر للامر وخالف ابن هود في دعواه فدلها هؤلاء لابن أبي حفص صاحب أفر يقية من
الموحد دين وقام بالامر وتناول به عصاة قليلة من قرابته كانوا يسمون الرؤساء ولم يحتج لاكثر منهم لقلة
العصائب بالاندلس وانها سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بمن يحيز اليه البحر من اعياص
زناة فصاروا معه عصبة على المناغرة والرباط ثم سمع صاحب المغرب من ملوك زناتة امل في الاستيلاء
على الاندلس فصاروا تلك الاعياص عصاة ابن الأجر على الامتناع منه الى أن تأمل امره ورسخ وألقه
النفوس وعجز الناس عن مطالبته وورثه أعقاب لهذا العهد فلا تظن أنه غير عصاة فليس كذلك وقد
كان مبدؤه بعصاة الا أنها قليلة وعلى قدر الحاجة فان قطر الاندلس لقلة العصائب والقبائل فيه يعني
عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غني عن العالمين

١٠ * (فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد)

وذلك ان الملك كما قدمناه انما هو بالعصبة والعصبية متألفة من عصابات كثيرة تكون واحدة منها أقوى
من الاخرى كلها فتغلبها وتستولي عليها حتى تصير هاجية في ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على
الناس والدول وسره ان العصبية العامة للقبيل هي مثل المزاج للتركيب والمزاج انما يكون عن العناصر
وقد تبين في موضعه ان العناصر اذا اجتمعت من كثرة فلا يقع منها مزاج أصلا بل لابد ان تكون واحدة
منها هي الغالبة على الكل حتى تجتمعها وتوافقها وتصير هاجية واحدة شاملة لجميع العصائب وهي
موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون قوم أهل بيت ورياسة فيهم ولا بد ان يكون
واحد منهم رئيسا لهم غالب عليهم فيتمتعون برئيسا للعصبيات كلها الغلب منتهى مجملها وادانتهم له ذلك من
الطبيعة الحيوانية خالق الكبر والافتخار فيألف حشدا من المساهمة والمشاركة في استئثارهم والتحكم
فيهم ويجبى الخلق النأله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف
الحكام لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فتجدع حينئذ انوف العصبيات ويفلج شكائهم عن ان يسموا
الى مشاركتهم في التحكم وتقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر
لاناقة ولا جلا فينفرد بذلك الجذب بكماله ويدفعهم عن مساهمته وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد
لا يتم الا للثاني والثالث على قدر ممانعة العصبيات وقوتها الا انه أمر لا بد منه في الدول سنة الله التي قد خلت
في عبادته والله تعالى أعلم

١١ * (فصل في ان من طبيعة الملك الترف)

وذلك ان الامة اذا تغلبت وملك ما يبدى أهل الملك قبلها كثر ياشمونها وتمتعت كثير عوائدهم
ويتجاوزون ضرورات العيش وخشوتهم الى نوافله ورقته وزينتته ويذهبون الى اتباع من قبلهم في
عوائدهم وأحوالهم وتصير تلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال
في المطاعم والملابس والفرش والاثنية ويتفاخرون في ذلك ويتفاخرون فيه غيرهم من الاعمى في كل
الطيب ولبس الانبي ورؤس الفارو وينبغي خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم
يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة ان تبلغها بحسب قوتها وعوائدهم
من قبلها سنة الله في خلقه والله تعالى أعلم

١٢ * (فصل في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون)

وذلك ان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايها الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضت

الله تعالى نشر ابن يدي رحمة فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات ورواحا للعباد وينهشهم منها وينقلون فيها وتجري بها مياههم
وتقد بها نيرانهم وتسبب بها في البحر أفلا كهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص إلى أنفسهم فيشكروها الشاكرون

وقد يتأذى بها كثير من الناس ولا يزيلها ذلك عن منزلتها من قوام عبادته وتمام نعمته (ومثاله) أيضا مثال الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا (١٠٠) للحرث والنسل وتباجيل الحب والثمر يحصيهما البرد بأذن الله ويخرجهما الحر بأذن الله

السعي اليها (قال الشاعر)

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصر واعن المتاعب التي كانوا يكافونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس فينبون القصور ويحرون المياه ويعرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويؤثرون الراحة على المتاعب ويتأقون في احوال الملابس والمطاعم والآنفة والقرش ما استطاعوا وبالفن ذلك ويؤثرونه من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى أن يتأذن الله بامرهم وهو خير الخائمين والله تعالى اعلم

١٣ * (فصل في انه اذا استخف كمت طبيعة الملك من الانفراد بالجد

وحصول الترف والدعة أقبلت الدولة على الهرم)

وبيانه من وجوه * الاول انها تقتضي الانفراد بالجد كما قلناه وهما كان المجد مشتركا بين العصابة وكان سعيهم له واحدا كانت مهمتهم في التغلب على الغير والذب عن الحوزة أسوة في طموحها وقوة شكاها وعمرهم الى العز جميع وهم يستطيون الموت في بناء مجددهم ويؤثرون الهداية على فسادها واذا انقرد الواحد منهم بالجد قرع عصيتهم وكبح من اعنتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغزو وفشل ربحهم ورغوا المذلة والاستعباد ثم ربي الجيل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء أجر من السلطان لهم على الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواء وقل أن يستأجر أحد نفسه على الموت فيصير ذلك وهما في الدولة وخضما من الشوكة وتقبل به على مناحي الضعف والهرم لفساد العصبية بذهاب البأس من أهلها * الوجه الثاني ان طبيعة الملك تقتضي الترف كما قدمناه فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والترف يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك في اجيالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوائدهم وتسهم الحاجة وتطالبهم بملوكهم يحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليحة عنها فيوقعون بهم العقوبات وينتزعون ما في أيدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم فيضعفونهم لذلك عن اقامة أحوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم وأيضاً اذا كثرت الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح عائلهم والحماية مقدارهم لهم ولا تتريد ولا تنقص وان زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الحماية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحماية حينئذ دعما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحماية وثالثا ورابع الى ان يعود العسكر الى أقل الاعداد فتضعف الحماية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من هومت يديها من القبائل والعصائب ويأذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليفته وأيضاً فالترف مفسد للحاق بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسفسطة وعوائدها كما يأتي في فصل المضادة فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعله الله من ذلك في خليفته وتأخذ الدولة بمبادئ العطب وتتضعف أحوالها وتنزل بها أمراض من منة من الهرم الى أن يقضي عليها * الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه واذا اتخذوا الدعة والراحة مألفا

فمنه يجمع على اعتدال الى غير ذلك من منافعهما وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما وسوءهما وما وزمهم به ما وهما مع ذلك لا ينسبان الى الصلاح والخير وقد غر صلاحهما أذيتهم (ومثاله) أيضا مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكونا ولباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش له اخو الفقير ويسارع فيه أهل الدعارة والفساد والمصوص وتعذو فيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات الحجة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يراص غير ضرره بكبير نفعه (ومثاله) أيضا مثال النهار الذي جعله الله ضياء ونورا ونشورا واكتسابا وانتشارا وقد تكون فيه المحروب والغارات والتعب والنصب والشحوص والمخوصات فتستريح الخلق منه الى الليل ثم لم ينس العباد نعم الله عليهم فيه وهكذا كل جسيم من أمور الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شيء يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام ولو كانت نعم الدنيا صغورا

من غير كدر وميسورهما من غير معسور كانت الدنيا هي الجنة التي لا تعب فيها

ولا نصب (وقد قال الشاعر) لا تخرج شيئا طائفا بنفعه * فالغيث لا يخلو من العيب * (الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية)

وخلقا

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذ صفت الروح من الكدوس صرت الى الجوارح سليمة وصرت في جميع اجزاء الجسد فقام الجسد من الغير فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم امر الجسد وان تكدرت (١٠١) الروح او فسدت جوارحها فباوج

الجسد قسرى الى الحواس

والجوارح كدرة وهي

منخرقة عن الاعتدال

فأخذ كل عضو وحاسة

بقسطه من الفساد فرضت

الجوارح وتعطلت فتعطل

نظام الجسد وجرالى

الفساد والهلاك (ومثال)

السلطان ايضا مثال النار

ومثال الخلق مثال الخشب

فما كان منها معتدلا لم يحتج

الى النار وما كان منها

متأودا احتاج الى النار ليقام

أوده فبعدل عوجه فان

أفرطت النار احترق

الخشب قبل ان يستقيم

أوده وان قصرت النار لم يلبس

الخشب لقبول الاعتدال

فيمتد متأودا واذا كانت

النار معتدلة اعتدل الخشب

كذلك السلطان في أطواره

ان أفرط اهلك الخلق

وان فرط لم يستقيم واوان

اعتدل اعتدلا (ومثاله)

ايضا مثال عين خرازة في

أرض خوارة فان حذلا

مشر به وعذب طعمه

وسلمت من الكدور والفساد

أوصافه اختلج في الارض

فابتاعته صافيا صر فاشم

شربته عروق الاشجار

فاغتذت به كذلك فغذاظت

سوقها وقرعت أغصانها

وامتدت افنانها ثم أخرجت

وخلقا صار لهم ذلك طبيعة وجب له شأن العوائد كلها واياها فاقترى أحياءهم المحادثة في غضارة العيش ومهاد الترف والدعة ونبه خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود الافتراس وركوب البهلاء وهـ داية القفر فلا يفرق بينهم وبين السوق من المحضر الا في الثقافة والشارة فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم وتخذشوا كتهم ويعودون الى الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون يتأوتون بعوائد الترف والمخاضرة والسكون والدعة وركة الخماشية في جميع أحوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخشونة وينسجون عن أشياء فشيئا وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حماية أخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدول التي أخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبه وربما يحدث في الدولة اذا طرقتها هذا الهرم بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصارا وشبيعة من غير جلدتهم ممن تعودوا الخشونة فيتخذهم جندا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشدة ائذ من الجوع والشتطف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقتها حتى يأذن الله فيها بامرهم وهذا كما وقع في دولة الترك بالشرق فان غالب جندها الموالى من الترك فتخير ملوكهم من أولئك المماليك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون أحرأ على الحرب وأصبر على الشطط من أبناء المماليك الذين كانوا قبلهم وروا في ماء النعيم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثير ما يتخذ أجناده من زناتة والعرب ويستأثر منهم ويترك اهل الدولة المعودين للترف فتستجد الدولة بذلك عمرا آخر سامنا الهرم والله واثق الارض ومن عليها

١٤ (فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كمالا لشخاص) *

اعلم ان العمر الطبيعي للشخص على ما زعم اطباء والمختصون مائة وعشرون سنة وهي سنوالة من الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرائن فيز يدعى هذا ويتقص منه فتكون أعمار بعض اهل القرائن مائة تامة وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرائن عند الناظرين فيها وأعمار هذه الملة ما بين الستين الى السبعين كفي الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون الا في الصور النادرة وعلى الاوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه السلام وقيل من قوم عاد وثور ودوا ما رالدول أيضا وان كانت تختلف بحسب القرائن الا ان الدولة في الغالب لاتعدو أعمار ثلاثة أجيال والجميل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين الذي هو انتهاء النور والنشوا الى غاية قال تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة وله ذاقنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجميل ويؤيده ما ذكرناه في حكمة التيه الذي وقع في بني اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجميل الاحياء ونشأة جيل آخر لم يهدوا الذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في عمر الجميل الذي هو عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة لا يهدو في الغالب ثلاثة أجيال لان الجميل الاول لم يزلوا على خلق البداوة وخشونة وتواضعهم من شطط العيش والبسالة والافتراس والاشترار في الجدد لاتزال بذلك سورة العصبية مخفوفة فيهم فذهبهم مرهف وجانبهم مذهب والناس لهم مغلوبون والجميل الثاني تحول حالهم بالملك والترف من البداوة الى المخاضرة ومن الشطط الى الترف والخصب ومن الاشتراك في الجدد الى انفراد الواحدية وكسل الباقيين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتكم سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما

أوراقها وأبرزت أزهارها ثم قذفت ثمارها فاجت على اتم طبيعتها كبروا طعمها ولونا ورثمة فقفوت بها العبادوا كالت حظوظها البهائم والحشرات وسقط عليها الطير فاحرز كل منها قوته واسقام النظام وان كان في حواشي الارض ما يدق عن الانبات والنقع ويكدي عن

الزكاة والربيع او كان فيهما من الشجرة ما يبرز جملة ويقل ريعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه وأطلع ما في قواه ولم يغادر مكنيا الا وقاه وان كان في العين كدر أو فساد او ملح (١٠٢) شربها الاشجار كذلك ففسد مزاجها أو أضر الجزء الفاسد بالطيب فزقت سوقها وضعت

أدركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى الجود ورامهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فيزدسون عهد البداءة والخشونة كان لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبة بما هم فيه من مذلة القهر ويبلغ فيهم الترف غاية بما تذكروه من النعم وغضارة العيش فيصيرون عيال على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبة بالتجمل وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزى وركوب الخيل وحسن الثقافة يوهون بها وهم في الاكثر ارجح من النسيان على ظهورها فاذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعتهم فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالى وبصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقرضها فتهرب الدولة عما حلت فتهذه كما تراه ثلاثة احوال فيها يكون هرم الدولة وتخلتها ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في ان الجود والحسب انما هو في أربعة آباء وقد اتيناك فيه ببيان طبيعى كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمل فلو ان تعدد وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدد الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عرض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا لا مستتبليا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء المطالب لما وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التريدي الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجرى على السنة الناس في المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يجمع لك عدد الايام في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استرقت في عددهم وكانت السنين الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الايام فان نقصت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بجعل فقد غلط عددهم بزيادة واحدة في عمود النسب وان زادت بمثل فقد سقط واحد وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك فتأمله تجد في الغالب صحيحا والله يعقد الليل والنهار

(فصل في انتقال الدولة من البداءة الى الحضارة)

١٥

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغلب الذي يكون به الملك انما هو بالعصبة وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداءة فطور الدولة من أولها بداءة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الاحوال والحضارة انما هي تقين في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوده ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل واحواله فكل واحد منها صنائع في استجداته والتأنيق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتتكرر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتسليم باحوال الترف وما تتلون به من العوائد فصارت طورا للحضارة في الملك يتبع طورا البداءة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك وأهل الدول ابدا يقلدون في طورا الحضارة واحوالها للدولة السابقة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابنائهم ولم يكونوا لذلك العهد في شئ من الحضارة فقد حكى انه قدم لهم المرقى فكانوا يحسبونه رقا وعثروا على الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عجينهم للحلأ وأمثال ذلك فلما استعبدوا أهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك

أغصانها وتغيرت أوراقها وقالت أزهارها وشوارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة وهي ترر قدرها ردى طعمها كاسف لو نها فدخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الحشرات لتموت في أجرتها هز الا يذنب ابن آدم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء غياها ومنعت الارض نباتها فهلك الهوام والحشرات والدواب

(الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها في انظام الملك والدول) وهي ثلاثة المكين وترك الفظاظة والمشاورة وان لا يستعمل على الاعمال والولايات واعب فيها ولا طالب لها ولما علم الله تعالى ما فيها من انتظام امر الملة واستقامة الامر نص عليها الله سبحانه ورسوله اعلم ان هذه الخصال من أساس الممالك وقل من يعمل بها من الملوك اثنتان ثلثا من السماء وواحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم اما الالهية فقال

الله تعالى في ممارسة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واسع تغفر لهم وشاورهم في الامر وفي الآية اشارتان احدهما ان الفظاظة تنفر الاصحاب والجساسة وتفرق الجوع والحشم وانما الملك والقومة

ملك بحسائه وأصحابه وحشيه واتباعه وأخلق بخصلة تنفرا لواباء وتطعم الاعداء فقام بكل سلطان رفضها والاخترا من سوء مغبتها
ولتكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * وروى أن النبي (١٠٣) صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه

فجاء رجل فقال أيكم ابن
عبد المطلب فقالوا هذا
الابيض المتكئ فقال الرجل
يا ابن عبد المطلب فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد
أجبتك دل الاثر على انه
ما استأثر بشرف المجلس
ولا فاتهم بزي ولا مقعد
وقد يبلغ بالدين ما لا يبلغ
بالغلاظة الا ترى أن الرياح
تهون أصواتها فيمتد اخل
لها الشجر وتعتطف الافنان
والاغصان وفي القسوط
تنكسر الاغصان والماء
يلبسه في أصول الشجر
يقطعها من أصلها وإذا
كانت الحية مع صعوبتها
وسمها وتغيها في حجرها
ترقى بالكلام حتى تستعطف
فتخرج فلا تسان أخرى ان
يسمى بالبين القول وحسن
المنطق فاذا أردت ان تتقم
من سبي اليك فكافئه
بكل كلمة سوء قالها كلمة
جيدة وحسن ثناء عليه
والاشارة الثانية انه قال
وشاورهم في الامر فاذا قيل
لنا كيف يشاورهم وهو
نبيهم وامامهم هو واجب
عليهم مشاوريته وان لا
يفصلوا امرادونه قلنا هذا
آدم أوب الله تعالى نبيه
عليه السلام به وجعله
مأدبة لساثر الملوك والامراء

والقومة عليه أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن
في احواله فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترقى في الاحوال واس- تجادة المطاعم والمشارب
والملايس والمباني والأسلحة والفرش والآنية وسائر المساعون والحرفى وكذلك احوالهم في أيام المباشرة
والولائم والى الاعراس فتاوم من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله المسعودى والطبرى وغيرهما في اعراس
المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوه الحاشية المأمون حين وافته في خطبتها الى داره بقم الصلح
وركب اليها في السفين وما انفق في املاكها وما نخلها المأمون وانفق في عرسها تنفق من ذلك على العجب
فنه ان الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذى حضره حاشية المأمون فنثر على الطبقة الاولى منهم
بنادق المسك ملثوثة على الرقاع بالاضباع والعقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما اداه
اليه الاتفاق والبحت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة
الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان انفق في مقامة المأمون بداره أضعاف ذلك ومنه ان المأمون اعطاها في
مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الباقوت وأوقد شعوع العنبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلثان (١)
وبسط لها فرشاً كان المحصر منها منسوجا بالذهب مكلالا بالدر والياقوت وقال المأمون حين رآه قائل
الله أبانواس كانه أبصر هذا حيث يقول في صفة الحجر

كان صغيرى وكبرى من فواقعها * حصاء در على ارض من الذهب

وأعد بدرا الضبخ من الحطب ليلة الولاية نقل مائة وأربعين بغلامدة عام كامل ثلاث مرات في كل يوم وفى
الحطب لليلتين واوقدوا الحجر يدصبون عليه الزيت وارسل الى النواتية باحضار السفن لاجازة الخواص
من الناس بدجلة من بغداد الى قصور الملوك بمدينة المأمون لحضور الولاية فكانت الحراقات (٢) المعدة لذلك
ثلاثين الفا أجازوا الناس فيها أخريات نهارهم وكثير من هذا وأمثاله وكذلك عرس المأمون بن ذى النون
بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حبان بعد أن كانوا كلهم في الطور الاول من البدوة عاجزين
عن ذلك جملة لفققدان اسبابه والقائمين على صنائعه في غضا صنتهم وسذاجتهم يذكرون الحجاج أولم في اخمستان
بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائهم الفرس وقال اخبرني باعظم صنيع شهدته فقال له نعم
أيها الأمير شهدت بعض مرازبة كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعا أحضر فيه صحاف الذهب على أخونة
الفضة أربعا على كل واحد وتحمله أربع وصائف ويجلس عليه أربعة من الناس فاذا طعموا اتبعوا
أربعتهم المائدة بصحافها ووصائفها فقال الحجاج يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه
الابهة وكذلك كان * ومن هذا الباب أعطية بنى أمية وجوارثهم فانما كان أكثرها لابل أخذاء ذاهب
العرب وبداوتهم ثم كانت الجوارث في دولة بنى العباس والعبيديين من بعدهم ما علمت من احوال المال
وتحوت الثياب واعداد الخيل بما كبرها وهكذا كان شأن كلمة مع الاغلبة بافر يقيمة وكذا بنى طغج بمصر
وشأن المتنونة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشأن زناتة مع الموحدين وهم لم جراتنقل
الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى أمية وبني العباس
وانتقلت حضارة بنى أمية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة
بنى العباس الى الديلم ثم الى الترك ثم الى السلجوقية ثم الى الترك المماليك بمصر والنتر بالعراقين وعلى قدر

(١) قوله وثلثان الذى في كتب اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية الثلثان اه

(٢) الحراقات بالفتح جمع حراقة سقينة فيها رمى نار يرمى بها العدو اه مختار

والسلاطين لما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الادب مع المجلس ومساها- مته في الامور فان نفوس الجاساء والنصحاء والوزراء
يصلح عليه وقيل اليه وتخضع عنوة بين يديه شرعة لنبيه عليه السلام ولذوى الامرة من أهل ملته صلى الله عليه وسلم الا ترى أن النبي عليه

السلام كان في غزوة فأمرهم بالنزول فقال له سعد بن مسعود يا رسول الله ان كان هذا بامرك فسمع وطاعة وان كان غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا ومن أقبح (١٠٤) ما يوصف به الرجال ملو كانوا أو سوقة الاستبداد بالراى وترك المشاورة وسنة عقد

للمشاورة بان شاء الله تعالى
والخصلة الثالثة ما روى
البخارى ومسلم وغيرهما
ان رجلا قال يا رسول الله
استمعاني فقال النبي عليه
السلام انا لا نستعمل على
عملنا من اراده والمرفيه ان
الولايات امانات وتصرف
في ارواح الخلائق واموالهم
والسرع الى الامانة دليل
على الحيانة وانما يخاطبها
من يريد اكلها واذا اتفق
خائن على موضع الامانات
كان كاسترعاء الذئب على
الغنم ومن هذه الخصلة
تفسد قلوب الرعايا على
ملوكها لانه اذا اختصمت
حقوقهم وأكلت أموالهم
فسدت نباتهم وأطلقوا
الستهم بالدعاء والتشكي
وذكر واسائر الملوك بالعدل
والاحسان فكانوا كالبيت
السائر الذي انشدناه
وراعى الشاة يحمى الذئب
عنها
فكيف اذا الرعاة لها ذئاب
فاذا خان أهل الامانات
وفسد أهل الولايات كان
الامر كما قال الاول
بالملح يصلح ما يحشى تغيره
فكيف بالملح ان حلت به
التغير

(وقال آخر)

ذئب تراه مصليا * فاذا مرت به ركع
يحل بها اذا العلا * ان الفؤاد قد انصدع

يدعو وجل دعائه * ما للفريسة ماتع
ومن اشراط الساعة التصدي للامانة وخطبة الولاية

الوفود

عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة اذ امور الحضارة من توابع الترف والترفع من توابع الثروة والنعمة
والثروة والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه أهل الدولة وعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره
وتفهمه وتأمله تجده صحيحا في العرآن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

١٦ * (فصل في ان الترف يزيد الدولة في أولها قوة الى قوتها) *

والسبب في ذلك ان القبول اذا حصل لهم المال والترف كثر التماس والولد والعمومة فكثر العصابة
واستكثر وايضاً من الموالى والصنائع وربيت أجيالهم في جو ذلك النعيم والرفه فازدادوا بهم عددا الى
عددهم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصابات حينئذ بكثرة العدة دفقا اذهب الجبل الاول والثاني
واخذت الدولة في الهرم لم تستقل أولئك الصنائع والموالى بانفسهم في تأسيس الدولة وتمهيد ملكها لانهم
ليس لهم من الارث شيء انما كانوا عيالاً على أهلها ومعونة لها فاذا ذهب الأصل لم يستقل الفرع بالرسوخ
فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الاسلام
كان عدد العرب كما قلناه لهذه النبوة والخلافة مائة وخمسين ألفاً او ما يقاربها من مضر وقحطان وما بلغ
الترف مبالغه في الدولة وتوفر نعمتهم بتوفر النعمة واستكثر الخلقاء من الموالى والصنائع بلغ ذلك العدد الى
أضعافه يقال ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحتها في تسعمائة الف ولا يبعد دمث هذا العدد ان يكون
صحيحا اذا اعتبرت حاميتهم في الثغور والدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند المحاملين معبر الملك والموالى
والمصطنعين وقال المسعودي احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة أيام المأمون للاندفاع عليهم فكانوا
ثلاثين الفاً بين ذكران وإناث فانظر مبالغ هذا العدد لقل من مائتي سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذي
حصل للدولة ووربى فيه أجيالهم والافعد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قري يمانه والله الخلاق العليم

١٧ * (فصل في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق أهلها باختلاف الاطوار) *

(اعلم) ان الدولة تنفذ في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من
احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر لان الخلق تابع بالاطمع لمزاج الحال الذي هو فيه
وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة اطوار اطوار الاول طور الظفر بالبغيه وغلب المدافع
والممانع والاستئيب لاء على المال وانتزاعه من ايدى الدولة السالفة قبلها فمكون صاحب الدولة في هذا
الطور واسوة قومه في اكتساب الجود وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا يفردونهم بشي لان
ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بجبالها الطور الثاني طور الاستئيب لاء على
قومه والا نفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساومة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا
الطور ومعنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع والاستكثار من ذلك المدح أنوف أهل عصبية
وعشيرة المقاسمين له في نسبة الضاربين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الأمر ويصددهم عن موآرده
ويردهم على أعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقر الأمر في نصابه ويفرد أهل بيته بما يني من مجده فيعاني من
مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الأمر أو أشد لان الاولين دافعوا الاجانب فكان ظهورهم
على مدافعهم أهل العصبية بأجمعهم وهذا يدافع الاقارب لا يظهروه على مدافعهم الا الاقل من الابعاد
فيركب صعبا من الأمر الطور الثالث طور الفراغ والدعة للخصيل ثرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه
من تحصيل المال وتحليله الا كما روي بعد الصبب فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والمخرج واحصاء
النققات والقصد فيها وتشديد الممانى المحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والهيكل المرتفعة واجازة

(وروى) عن النبي عليه السلام انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما فيئخذ عو عليه الضعيف واهل
الصلاح ويقعد له بالمرصاد الشرير ويخامر عليه القوى ويقبح ثناؤه عند الجماعة (١٠٥) ويتمنون الراحة منه وينظرون

من يصلح لها سواها

(الباب الحادى عشر فى بيان معرفة الخصال التى هى قواعد السلطان ولا ثبات له دونها)

فالمراد بالخصال والحقها بالرعاية العدل الذى هو قوام الملك ودوام الدول وأساس كل مملكة سواء كانت نبوية أو صلاحية اعلم ارشدك الله ان الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه ان ليس كل النفوس يصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يأمر بالعدل

والاحسان وابتداء ذى القربى فلو وسع الخلق العدل ما

قرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يزد على العدل كيف يصلح اذ لم يبلغ به العدل والعدل ميزان الله فى الارض الذى به يؤخذ للضعيف من القوى

ولحق من المبطل وليس موضع الميزان بين الرعية فقط بل بين السلطان والرعية أيضا فمن أزال

ميزان الله الذى وضعه من القيام بالقسط فقد تعرض لسخط الله تعالى * واعلم أيها الوالى ان الملك بمنزلة رجل فرأه أنت وقبله وزيرك وبيده أعوانك ورجلاه

الوفود من اشراف الامم ووجوه القبائل واثام المعروف فى اهل هذه الامم التوسعة على صنائعهم وحاشيتهم فى احوالهم بالمال والجاه واعتراض جنودهم وادرار زاقهم وانصافهم فى اعطياتهم لكل لى لى حتى يظهر أثر ذلك عليهم فى ملابسهم وشكوتهم وشاراتهم يوم الزينة فيما هي بهم الدول المسالمة ويرهب الدول المحاربة وهذا الطور آخر اطوار الاستبداد من اصحاب الدولة لانهم فى هذه الاطوار كلها مستقرون بآرائهم بانون اعزهم موضوعون الطريق لمن بعدهم الطور الرابع طور التنوع والمسالمة ويكون صاحب الدولة فى هذا قانعا بما يبنى ولوه سلبا لانظاره من الملوك واقناله مقلدا للمساكين من سلفه فيتبع آثارهم حذو النعل بالنعل ويعتق طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان فى الخروج عن تقليد هم فساد أمره وانهم ابصر بما ينوون من مجده الطور الخامس طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة فى هذا الطور متفلا لما جمع أولوه فى سبيل الشهوات والملاذ والمكر على بطانه وفى مجالسه واصطناع اخدان السوء وخضراء الدمن وتقليد هم عظيمات الامور التى لا يستقلون بحملها ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها من مفسدا لكبار الاولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضطجعا من جنده بما اتفق من اعطياتهم فى شهوراته وحجب عنهم وجهه مباشرة وتفقده فيكون مخربا لما كان سلفه يؤسسون وهادما لما كانوا يبنون وفى هذا الطور تحصل فى الدولة طبيعة الهرم ويستولى عليها المرض المزمن الذى لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معبر الى أن تنقرض كناية فى الاحوال التى تسرها والله خير الوارثين

١٨ * (فصل فى ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها فى اصلها) *

والسبب فى ذلك ان الآثار فى القوة التى بها كانت اولها وعلى قدرها يكون الاثر فى ذلك مبانى الدولة وهياكلها العظيمة فاما تكون على نسبة قوة الدولة فى اصلها لانها تتم الابكثرة الفعلة واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحجم الجوانب كثيرة الممالك والرايا كان الفعلة كثير بين جندا وحشروا من آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا ترى الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القرآن عنهم ما وانظر بالمشاهدة ان كان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه عزم الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاد عنه وشروع فيه ثم ادركه العجز وقصة استشارته ليحيى بن خالد فى شأنه معروفة فانظر كيف تقدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء فى السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بنى امية بقرطبة والقنطرة التى على واديها وكذلك بناء الحنايا لحلب المساء الى قرطاجنة فى القنطرة الراكبة عليها وآثار شمرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار الماثلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول فى القوة والضعف واعلم ان تلك الافعال لا لاقدمين انما كانت بالهندام واجتماع الفعلة وكثرة الايدي عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما تتوهمه العامة ان ذلك اعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا فى اطرافها واقطارها فليس بين البشر فى ذلك كبير بون كما تجد بين الهياكل والآثار ولة دول القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطر واعن عاد وثمود والعالمات فى ذلك اخبار اعريقة فى الكذب من اغربها ما يحكون عن عوج بن عناق (١) رجل من العمالة الذين قاتلهم بنو اسرائيل فى الشام زعموا انه كان لطوله ينساول السمك من البحر ويشويه الى الشمس ويزيدون الى جهلهم باحوال البشر الجهل باحوال

(١) قوله ابن عناق الذى فى القاموس فى باب الحميم عوج بن عوق بالواو والمشهد ورعى السنة الناس عنق بالنون اه

(١٥ - ابن خلدون) رعبتك وروحك عدلك وما بقا جسدك بلاروح واذا اردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة انفس كبير وصغير ووسط فاجعل كبيرهم ابا ووسطهم اخا وصغيرهم بنافير اباك واكرم اخاك وارحم ابنك فانك واصل بذلك الى بر الله وكرامته ورحمته واعلم

ان عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته وفي منوره الحكم سلطان جائر أربعين عاما خير من رعية مهملة ساعة واحدة (١٠٦) من النهار اذا عدل السلطان فيما قرب منه صلح له ما بعد عنه فضل الملوك في الاعطاء وشرفها

الذكوا كب لما اعتقدوا ان الشمس حارة وانها شديدة فمما قرب منها ولا يعلمون ان الحر هو الضوء وان الضوء فمما قرب من الارض اكثر لا انعكاس الاشعة من سطح الارض بقا بله الاضواء فتضاعف الحرارة هنالاجل ذلك واذا تجاوزت مطارج الاشعة المنعكسة فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث يجاري السحاب وان الشمس في نفسها الحارة ولا باردة وانما هو جسم بسيط مضى لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكره من العمالة او من السكنايين الذين كانوا فرسية بنى اسرائيل عند فتحهم الشام واطوال بنى اسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا يشهد لذلك ابواب بيت المقدس فانها وان خربت وجدت لم تنزل المحافظة على اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل عصره بهذا المقدار وانما مشار غلطهم في هذا انهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصر فوه الى قوة الاجسام وشدها بعظم هياكلها وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة فرعا لا مستند له الا التحكم وهو ان الطبيعة التي هي جبهة الاجسام لمسا برأ الله الخلق كانت في تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال وكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال تلك الطبيعة فان طر والموت انما هو بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية نشأته تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم ينزل ينقص لنقصان المادة الى ان بلغ الى هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال ينقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا راى لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين وابوابهم وطرقهم فيما احدهم من البنين والهياكل والديار والمساكن كديار عمود المنخوتة في الصلدمن الصخر بيوت اصغار وابوابها ضيقة وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى انها ديارهم ونهى عن استعمال مياههم وطرح ما عجن به وأهرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما أصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قررناه ومن آثار الدول ايضا حالها في الاعراس والوالثم كما ذكرناه في ولية بوران وصنيع الحاج وابن ذى النون وقد مر ذلك كله ومن آثارها ايضا عطايا الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على الهرم فان المهمم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبتهم للناس والهمم لا تزال مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعة بذلك بجوار ابن ذى نزن لو قد قرىش كيف اعطاهم من ابطال الذهب والفضة والاعبد والوصائف عشر اشهر او من كرش العنبر واحدة واضعف ذلك بعشرة امثاله لعبد المطالب وانما ملكه يومئذ قرارة الامن خاصة تحت استبداد فارس وانما ساجله على ذلك همه نفسه بما كان لقومه التبابعة من الملك في الارض والغلب على الامم في العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون بافر يقيمة ايضا اذا اجازوا الوفد من امره زناة الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال اجمالا والكساء وتخوتا مملوءة والجمالات جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة وجوائزهم ونفقاتهم وكانوا اذا كسبوا معدما فاعطاهم والولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستنفده يوم اوبعض يوم واخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول جارية هذا جوهر الصقلي الكاتب قائد جيش العبيدين لما ارتحل الى فتح مصر استعد من القيروان بالالف جل من المال ولا تنتهي اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جمع النواحي ونقلته من جراب الدولة (غلات السواد) سبع وعشرون ألف ألف درهم

في العفو وعزها في العدل عدة السلطان ثلاثة مساورة النجاة وثبات نيات الاعوان واقامة سوق العدل افضل الازمنة أزمنة أئمة العدل ثم العدل ينقسم قسمين قسم المي جاءت به الرسول والانبياء عليهم السلام عن الله تعالى والثاني ما يشبه العدل وهو السياسة الاصلاحية التي هرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير وبعيدان يبقى سلطان أو تسقيم رعية في حال ايمان أو كفر بل العدل قائم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك ما لا يجوز ولا يمكن وقد ذكرنا في أول السكبان سليمان بن داود سلب ملكه حين جالس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصة بسليمان فقال في نفسه ووددت ان يكون الحق الخاصتي فاقضى له فسلبه الله تعالى ملكه وقد الشيطان على كرسيه فاجعل العدل راس سياستك فتسقط عنك جميع الافات المفسدة للسياسة وقوم لك جميع الشرائط التي تقوم بها المملكة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه امام عادل خير من مطروايل وأسد حطوم خير من سلطان ظلم و سلطان ظلم خير من قننة تدوم وقال ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله اجر مرتين وعليك الشكر وان كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليه السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك واتفق حكما

مرتين

العرب والجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند أساسه فإذا قوى الأساس دام البناء وإن ضعف الأساس انهار البناء فلا سلطان
الاجند ولا جند الامال ولا مال الاجبية ولا جباية الاجمارة ولا عمارة الابعدل (١٠٧) فصار العدل أساس السائر الاساسات

فاما العدل النبوي فان
يجمع السلطان الى نفسه
حمله العلم الذين هم حفاظه
ورعاه وفقهائه وهم الادلاء
على الله تعالى والقائمون بامر
الله والمحافظون لمحدود
الله والناسخون لعباد الله
وروى أبو هريرة ان النبي
عليه السلام قال ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا
لمن يا رسول الله قال لله
وليكاتبه ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم فالتخذ
أيها الملك العلماء شعارا
والصالحين دنارا فتدور
المملكة بين نصاب العلماء
ودعوات الصالحين وأخلاق
العلماء يدور بين هاتين
الخصلتين ان تقوم عمده
ويطول أمده وكيف لا
وقد فرقهم الله في سلطانه
واصل طفاهم بخالص
معرفة فقال جل من قائل
شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة وأولو العلم
قائما بالقسط فبدا بنفسه
وثني بملكته وثالث بأولي
العلم وهم ورثة الانبياء عليهم
السلام الموفقون عن الله
تعالى لان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وإنما
ورثوا العلم ففي تعظيمهم
وتقديسهم امتثال لأمر الله

مرتين وثمانمائة ألف درهم ومن الحمل النجراية مائة مائة حلة ومن طين الختم مائتان واربعون رطلا
* (كنز) * احدى عشر ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم * (كوردجلة) * عشرون ألف درهم
درهم وثمانية دراهم * (حلوان) * أربعة آلاف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم * (الاهواز) *
خمس وعشرون ألف درهم مرة ومن السكر ثلاثون ألف رطل * (فارس) * سبعة وعشرون ألف درهم
درهم ومن ماء الورد ثلاثون ألف قارورة ومن الزيت الاسود عشرون ألف رطل * (كرمان) * أربعة
آلاف ألف درهم مرتين ومائتا ألف درهم ومن المتاع اليافى خمسة مائة ثوب ومن الثمر عشرون ألف رطل
* (مكران) * اربعة مائة ألف درهم مرة * (السند وما يليه) * احدى عشر ألف درهم مرتين وخمس مائة
ألف درهم ومن العود الهندى مائة وخمسون رطلا * (سجستان) * أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومن
التياب المعينة ثلاثمائة ثوب ومن القانيد عشرون رطلا * (خراسان) * ثمانية وعشرون ألف درهم
مرتين ومن نقر الفضة ألفان قرة ومن البراذين أربعة آلاف ومن الرقيق ألف رأس ومن المتاع عشرون
ألف ثوب ومن الاهليلج ثلاثون ألف رطل * (جران) * اثناعشر ألف ألف درهم مرتين ومن الابريسم
ألف شقة * (قوهس) * ألف ألف مرتين وخمس مائة ألف من نقر الفضة * (طبرستان والروبان ونهاوند) *
سنة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرس الطبرى ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ومن
التياب خمسة مائة ثوب ومن المناديل ثلثمائة ومن الجمامات ثلثمائة * (الري) * اثناعشر ألف ألف درهم
مرتين ومن العسل عشرون ألف رطل * (همدان) * احدى عشر ألف ألف درهم مرتين وثلثمائة ألف ومن
رب الرمانين ألف رطل ومن العسل اثناعشر ألف رطل (ما بين البصرة والكوفة) عشرة آلاف ألف
درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم (ماسبدان والدينار) اربعة آلاف ألف درهم مرتين * (شهرزور) *
سنة آلاف ألف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم * (الموصل وما يليها) * اربعة وعشرون ألف ألف
درهم مرتين ومن العسل الابيض عشرون ألف ألف رطل * (اذربيجان) اربعة آلاف ألف درهم
مرتين * (الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات) * اربعة وثلاثون ألف ألف درهم مرتين ومن الرقيق
ألف رأس ومن العسل اثناعشر ألف رطل (٢) ومن البزاة عشرة ومن الاكسية عشرون * (ارمينية) * ثلاثة
عشر ألف ألف درهم مرتين ومن القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسة مائة وثلاثون رطلا ومن المسايح
السورماهى عشرة آلاف رطل ومن الصوف عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ومن المهرة ثلاثون
* (قنسرين) * اربعة مائة ألف دينار ومن الزيت ألف رطل * (دمشق) * اربعة مائة ألف دينار
وعشرون ألف دينار * (الاردن) * سبعة وتسعون ألف دينار * (فلسطين) * ثلاثمائة ألف دينار
وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل * (مصر) * ألف ألف دينار وتسعمائة ألف
دينار وعشرون ألف دينار * (برقة) * ألف ألف درهم مرتين * (افريقية) * ثلاثة عشر ألف ألف
درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون * (اليمن) * ثلثمائة ألف دينار وسبعمائة ألف دينار سوى
المتاع * (الحجاز) * ثلاثمائة ألف دينار تهى واما الاندلس فالذى ذكره الثقات من مؤرخيها ان
عمد الرحمن الناصر خلف في بيوت أمواله خمسة آلاف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها
بالقناطير خمسة مائة ألف قنطار ورأيت في بعض تواريخ الرشيد أن المول الى بيت المال في أيامه

(١) قوله والدينار الظاهر انها الدينور وفي الترجمة التركية ماسبدان وديان اه

(٢) قوله ومن البزاة الخ في التركية ومن السكر عشرة صناديق اه

تعالى وتعظيم لمن أنشئ الله عليه ويجب ترفيع بحجاسهم وتتميز مواضعهم عن سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا
العلم درجات وفيه استعمال قلوب الرعية وخلص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته فواجب على السلطان ان لا يقطع أمرادونهم

ولا يفصل حكمنا الا بشاؤ رتبهم لانه في ملك الله يحكم وفي شريعه يتصرف وأقل الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه مع الله منزلة ولا ياتيه معه ألدس اذا خالف واليه أمره (١٠٨) ومارس له من الاحكام عزله وعاقبه ولم يأمن سطوته واذا امتثل أو امره وازجر من

زواجه دخل منه مجل
الرضا فوا عجباً لمن يغضب
على واليه اذا خالفه ثم
لا يخاف سطوته به عليه
اذا خالفه فهذه طريق
اقامة العدل الشرعي
والسياسة الاسلامية
الحاكمة لوجوه المصلحة
الاخذة لازمة التدبير
السالمة من العيوب المعهدة
لاستقامة الدنيا والدين وكما
ان الملك المحازم لا يتم حزمه
الا بشاؤرة الوزراء والاخبار
كذلك لا يتم عدله الا
باستفتاء العلماء الابرار
وقد وقع المأمون في قصة
مظلم من عمرو بن مسعدة
يا عمر اعمر نعمتك بالعدل فان
الجور يهدمها وفي اشاعة
العدل قوة القلب وطيبة
النفوس وزوم اليقين
وأمان من العدو ولما
استأذن الهرمزان على عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه
لم يجد عنده حاجباً ولا باباً
فقبل له هو في المسجد فأتى
المسجد فوجده مستلقياً
متوسداً كوماً من الحصباء
ودرته بين يديه فقال له
عدلت فانت فممت وقال
الحسن رأيت عثمان بن
عقان رضي الله عنه وقد
جمع الحصباء في مسجد
النبي عليه السلام عند

سبعة آلاف قنطار ونحوه قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكر
ما ليس به عهد عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتصديق حوصلتك عند ملتقط الممكات فكثير من
الحواص اذا سمعوا أمثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادربالانكار وليس ذلك من الصواب فان
أحوال الوجود والعمران متفاوتة ومن أدرك منها رتبة سقلى أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن
اذا اعتبرنا ما نقل لنا عن دولة بنى العباس وبنى أمية والعباسيين وناسبنا الصحيح من ذلك والذي لاشك
فيه بالذي نشاهده من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة اليها وجدنا بينها وبينها وهو ما بينهما من التفاوت في
أصل قوتها وعمران ممالكها فالأكثر كمالها جارية على نسبة الأصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار
ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستقيض والمتواتر وفيها
المعاني والمشاهد من آثار البناء وغيره فنحذف من الاحوال المنقولة مراتب الدول في قوتها اوضاعها وخصامتها
أو صغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك انه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي
عنان من ملوك بني حرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة (١) كان رحل منذ عشرين سنة قبلها
الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد
شاه واتصل بمالكها الذي العهد وهو فيروزجوه وكان له منه مكان واسع تجمعه في خطة القضاء بذهب
المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من
البحائب بممالك الارض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من أحواله بما ليس متغير به
السامعون مثل أن ملك الهند اذا خرج الى السمرقند اصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض
لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبر فيه الناس كافة
الى صحراء البالد ويطوفون به وينصب أمامه في ذلك الحفل مخبئات على الظهر ترمى بها أشك الدراهم
والدنانير على الناس الى ان يدخل ايوانه وأمثال هذه الحكايات فتناجي الناس بتكذيبه ولقيت
أباً من وزير السلطان فارس بن وردا را بعيد الصيت ففأوضته في هذا الشأن وأريته انكار اخبار ذلك
الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال
الدول بما أنك لم تره فتكون كالبوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزيراً اعتمد له سلطاناً ومكث في
السجن سنين ربي فيها بنه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل عن اللحم الذي كان يتغذى به فقال له
أبوه هذا اللحم الغنم فقال وما الغنم فيصفه له أبوه بشيئاها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه
ويقول ابن الغنم من الفار وكذا في لحم الابل والبقرا لم يعاين في محبسه من الحيوانات الا الفار فيحبس بها
كلها أبناء جنس الفار وهذا كثير مما يعترى الناس في الاخبار كما يعترىهم الوسواس في الزيادة عند قصد
الاعراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى أصوله وليكن مهتماً على نفسه ومميزاً بين طبعه
الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فادخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس
مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه واسع شيء فلا يقرض حدابين الواقعات وانما مرادنا الامكان
بحسب المادة التي للشيء فاننا اذا نظرنا اصل الشيء وبنسبه وصنقه ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم من
نسبة ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقبل رب زدني علماً وانت ارحم الراحمين
والله سبحانه وتعالى اعلم

(١) كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانتهى أوها سنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرة انحو ٧ كرايس اه

رأسه وقد وضع أحد جانبي رداءه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه وكتب عامل
جنى الى عمر بن عبد العزيز ان مدينته حصص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور

والسلام وقالت الحكمة من حرم العدل فلا خير فيه ولا للناس في سلطانه وقال يحيى بن اكرم ما شئت المأمون في بستان والشمس عن يساري
والمأمون في الظل فلما رجعنا وقعت الشمس أيضا على فقال لي المأمون تحول (١٠٩) مكاني وأتحول مكانك حتى تكون في الظل

كما كنت وأقبلت الشمس
كما وقفتني فان أول العدل

ان يعدل الرجل على بطائه

ثم الذين يلونهم حتى يبلغ

العدل الطبقة السفلى فعزم

على فتحويلات وكان يقال

ليس شيء أبعد من بقاء ملك

الغاصب وقيل للاستكندر

لأكثر من النساء حتى

يكثرنسلك ويحيي ذكر

فقال انما يحيي الذكر

الافعال الجميلة والسيرة

الحيدة ولا يحسن بمن يغلب

الرجال ان تغلبه النساء

وقال الحكيم من اتخذ

العدل سنة كان له أحسن

جنة ومن استشرع حلة

العدل استكمل زينة

الفضل وقال أبو عبيد بن

عبد الله بن مسعود ان

الامام العادل ليس كنت

الا من الله وان الله وان

الامام الجاثم لكثرة

الشكاية الى الله تعالى

وقال الحكيم لا يزال

السلطان مهما لا حتى يتخطى

الى أركان العساة ومباني

الشريعة فينبذ ويرج الله

منه وقالوا لا تظلم الضعفاء

فتكون من لئام الاقوياء

وقال بعض الحكماء أمير

بلاعدل كغيم بلا مطر

وعالم بلا ورع كارض بلا

نبات وشاب بلا توبة كشيخ

١٩ * (فصل في استظهار صاحب الدولة وقومه واهل عصبيته بالموالي والمصطنعين) *

(اعلم) ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم عصبته وهو ظاهر اثاره على شأنه ويظهره في قمارع
الخوارج على دولته ومنهم من يقلد اعمال عمليته ووزارته دولته وجباية امواله لانهم اعوانه على الغلب
وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائرهم - ماته هذا مادام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور الثاني
وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالحدود دفعهم عنه بالاراح صاروا في حقيقة الامر من بعض اعدائه واحتاج
في مدافعهم عن الامر وصدهم عن المشاركة الى اولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم
دونهم فيكونون اقرب اليه من سائرهم واخص به قربا واصله طنا واوليا واثارا وجاهلهم بالمال - يستقيمون
دونه في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم والرتبة التي القواها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة
حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة والايثار ويقسم لهم مثل مال - كثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال
والولايات من الوزارة والقيادة والجمباية وما يختص به لنفسه وتكون خالصة له دون قومه من القاب
المملكية لانهم حينئذ اولياؤه الاقربون ونصحاؤه المخلصون وذلك حينئذ مضمون باهتضام الدولة وعلامة
على المرض المزمن فيها الفساد العصبي التي كان بناء الغلب عليها معرض لقلب اهل الدولة حينئذ - فمن
الامتنان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعودون بالذلك على الدولة ولا يطمع
في برئها من هذا الداء لانه ماضى يتأكد في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعتبر بذلك في دولة بني امية
كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولايه اعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن ابى وقاص
وعبيد الله بن زياد بن ابى سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابى صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن
هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن ابى بردة بن ابى موسى الاشعري ونصر بن سيار وامثالهم من رجالات
العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيهم ايضا برجال العرب فلما صارت الدولة
للافراد بالحدود كبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبنى سهل
ابن نو بخت وبنى طاهر ثم بنو يه وموالي الترك مثل بغا ووصيف وانا مش وباكناك وابن طولون
وابنائهم وغير هؤلاء من موالي العجم فتكون الدولة لغريم من مهدا والعزلة - ير من اجتهله سنة الله في
عباده والله تعالى اعلم

٢٠ * (فصل في احوال الموالي والمصطنعين في الدول) *

اعلم ان المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة بتفاوت قديمهم وحديثهم في الالتحام
بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبيته من المدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر في
ذوى الارحام والقرى والتخاذل في الاجانب والبعدها كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق أو بالملف تنزل
منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبعيا قائما هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو العشرة
والمدافعة وطول الممارسة والصحة بالمرتبى والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك
جاءت النعرة والتناصر وهذا ما شهد بين الناس واعتبر من له في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن
اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تنزل هذه المنزلة وتؤكد كد العمة وان لم يكن نسب فتمرات النسب
موجودة فاذا كانت هذه الولاية بين القبيل وبين اوليائهم قبل حصول الملك لم يكن كانت عروفتها أو شج
وعقائدها أو نسبها اصرح لو جهين أحدهما منهم قبل الملك اسوة في حالهم فلا يتميز النسب عن الولاية الا
عند الاقل منهم فيستولون منهم منزلة ذوى قرابتهم وأهل ادحامهم واذا اصطنعوههم بعد الملك كانت مرتبة

بلاثر وغنى بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال كسرى اتفتت ملوك العجم على
أربع خصال ان الطعام لا يثو كل الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والمال لا يصلح الا للطاعة والرعية لا يصلح الا للعدل

وأحق الناس بأجبار نفسه على العدل الملوكة الذين بعدهم يعدل من دونهم والذين إذا قالوا أو فعهلوا كان نافذا غير مردود وقالت الحكمة
رم ما شئت بالانصاف وأنا زعيم (١١٠) لك بالظفر به والظلم ادعى شئ الى تغيير نعمة أو تعجيل نعمة وقال الحكيم شر الزاد

الى المعاد الذنب بعد
الذنب وشرم من هذا
العدوان على العباد ومضى
أراد السلطان حسن الصيت
وجيل الذك فليقم سوق
العدل وان أحب الزاني
عند الله وشرف المنزلة عنده
فليقم سوق العدل وان
أحب ما جبه فليقم سوق
العدل والذي يخاد به ذكر
الملوك على غابر الدهور
عدل واضح وجور فاضح
هذا هو جب له الرحمة وهذا
هو جب له اللعنة

(فصل) فاما القسم
الثاني من العدل وهو
السياسة الاصلاحية وان
كان أصلها على الجور فترى
بها أمر الدنيا وكأنها تشاكل
مراتب الانصاف على نحو
ما كانت عليه ملوك
الطاوائف في أيام الفرس
وكانوا كفارا يعبدون
النيران ويتبعون هواجس
السلطان فوضعوا بينهم
سنا وأسسوا لهم أحكاما
وأقاموا لهم مراتب في
النصفة بين الرعايا واستجاء
الخارجات وتوظيف
المكوس على التجارات كل
ذلك بعقولهم على وجوه
ما أنزل الله بهام سلطان
ولا نصب عليهم برهان
يبدأ به أساطير الشريعة

الملك حمزة السعيد عن المولى ولاهل القرابة عن أهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه أحوال الرياسة والملك
من تميز الرتب وتفاضلها وتميز حاتمهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم أضعف والتماس
لذلك أبعد وذلك أنقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثاني ان الاصطناع قبل الملك يعدل معه
عن اهل الدولة بطول الزمان ويخفى شأن تلك اللحمة ويظن بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصبة
وأما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى في معرفته الاكثر فتميز اللحمة وتميز عن النسب فتضعف
العصبة بالنسبة الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات تجده فكل من كان
اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده أشد التجاميه واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة
ابنائهم واخوانه وذوي رجة ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من
القرابة واللحمة ما للاولين وهذا ما شاهد بالعيان حتى ان الدولة في آخر عمرها ترجع الى استعمال الاجانب
واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بنوا المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ بأوليتهم ومشارفة الدولة
على الانقراض فيكونون منخطين في مهاوى الضعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدل
اليهم عن اوليائهم الاقدمين وصنائعها الاولين ما يترتبهم في انفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة
الخضوع له ونظرة بما ينظر به قبيله واهل نسبه لتأكد اللحمة منذ العصور والمنطولة بالمرضى والاتصال
بآبائهم وساق قومهم والانتظام مع كبراء اهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فيمنافهم بسببها
صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا
يبلغون رتب المجد ويعقون على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول في اواخرها وأكثر ما يطلق اسم
الصنائع والاولياء على الاولين وأما هؤلاء المحدثون فخدم وأعاون والله ولي المؤمنين وهو على كل شئ وكيل

٢١ *(فصل فيما يعرض في الدول من حرج السلطان والاستبداد عليه)*

إذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القائمين بالدولة وانفردوا به ودفعوا سائر القبيل
عنه وتداوله بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشيح فربما حدث التغلب على المنصب من وزرائهم
وحاشيتهم وسببه في الاكثر ولاية صبي صغير أو مضعف من اهل المنبت يترشح للولاية بعده أو بترشيح
ذويه وخوله ويؤنس منه الحجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء أبيه وحاشيته ومواليه وقبيله
ويؤري بحفظ أمره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس
ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله ويسميه في مراعيها متى أمكنه وينسبه النظر في الامور
السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد أن حظ السلطان من الملك انما هو جلود السرب
واعطاء الصفة وخطاب التهنيل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحمل والربط والامر والنهي
ومباشرة الاحوال الملوكية وتقددها من النظر في الجيش والمال والشعور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك
الى أن تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويحول الملك اليه ويؤثر به عشيرته وابنائهم من بعده كواقع
لبنى بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالشرق ولانصور بن ابي عامر بالاندلس وقد يفتن ذلك
الحجور المغالب لشأنه فيحاول على الخروج من ربة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب
على أيدي المتغلبين عليه اما بقتل او برفع عن الرتبة فقط لان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا أخذت
في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل أن تخرج عنه لان ذلك انما هو جد في الاكثر عن احوال
الترف ونشأة أبناء الملك منغمسين في نعيمه قد نسوا عهد الرجولة والفواخلاق والدايات والاعطار وروبو

من عبد الله تعالى على لسان نبيه صاحب المجزة محمد صلى الله عليه وسلم فمنها ما أقرته في نصابه
ومنها ما نسخته وأبطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة الى الله تعالى والحكم بما أنزل الله وبطل ما سواه وكان ملكهم محقة وظاير عايتهم

للقوانين المألوفة بينهم فانقطع بذلك حبل المهمل فكانوا يقومون بها واجب الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وعليهم ومن هذا كان يقال ان السلطان الكافر المحافظ لشرائط السياسة الاصلاحية ابقى واقوى من السلطان (١١١) المؤمن العدل في نفسه المضيق للسياسة

النبوية العادلة والجور
المرتب ابقى من العدل
المهمل اذ لا شيء اُصلح لامر
السلطان من ترتيب الامور
ولا شيء افسد له من اهمالها

واعلم ان درهما يؤخذ من
الرعية على وجه الاهمال
والخرق وان كان عدلا
افسد لقلوبها من عشرة
تؤخذ منها سياسة على زمان
معروف ورسم مألوف وان
كان جورا فلا يقوم السلطان
لاهل الايمان ولا لاهل
الكفران الا باقامة العدل
النبوي وما يشبه العدل
من الترتيب الاصطلاحي
وقال ابن المقفع الملوك ثلاثة
ملك دين وملك خرم وملك
هوى فاما ملك الدين فانه
اذا قام لاهل المملكة دينهم
كانوا راضين وكان الساخط

فيه بمنزلة الراضي واما ملك
الخرم فيقوم به الامر ولا يسلم
من الطعن والسخط وان
يضر طعن الدليل مع خرم
القوى واما ملك الهوى
فلعب ساعة ودمار دهر
ولقد بلغنا ان ملكا كان
ملوك الهند نزل به صمم
فاصبح متوجعا متهما
بامور المظالمين وانه لا يسمع
استغاثتهم فامر مناديه ان
لا يلبس احد في ملكته
ثوبا اجر المظالم وقال

لئن منعت سمعي لم منع بصري فكان كل من ظلم لبس ثوبا أجرو وقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته قال شيخنا وأخبرني أبو العباس
الحجازي وكان من دخل الصين بسيرة عجبية غريبة الملوكة في سياستهم وذلك ان للبيت الذي يكون فيه الملك ناقوسا موصولا بسلسلة

عليها فلا ينعون الى رياسته ولا يعرفون استبداد من تغلب انما هم مهم في القنوع بالابدية والنقن في
الاذات وأنواع الترف وهـ ذ التغلب يكون للموالي والمصطنعين عند استبداد عشير الملك على قومهم
وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدمناه وهـ ذ ان عرضا لبرء الدولة منهم الا في
الاقل النادر والله يؤتي ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

٢٢ * (فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك) *

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاؤليه منذ اول الدولة بعصبة قومه وعصبيته التي اسستهم حتى
استحكمت له ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها الخفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا التغلب
وان كان صاحب عصبة من قبيل الملك او الموالي والاصناف فعصبيته من درجة في عصبة اهل الملك
وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهر او انما يحاول انتزاع ثمراته
من الامر والنهي والحل والعقد والابرام والنقض يوهم فيها اهل الدولة انه متصرف عن سلطانة منقذ في
ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجاف عن سمات الملك وشاراته والقباه جهده ويبيعه نفسه عن
الهمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان وأولوه
على أنفسهم عن القبيل منذ اول الدولة ومغالط عنه بالنباية ولو تعرض لشي من ذلك لنفسه (١) عليه اهل
العصبة وقبيل الملك وحاولوا الاستئثار به دونه لانه لم تستح كم له في ذلك صبغة تجعلهم على التسليم له
والانقياد فيل لاول وهلة وقد وقع مثل هذا العبد الرحمن بن الناصر بن المنصور بن أبي عامر حين سما الى
مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم يقنع بما قنع به أبوه وأخوه من الاستبداد بالحل والعقد
والمراسم المتباعدة فطلب من هشام خليفته أن يعهد له بالخلافة فيفس ذلك عليه بنوعه وان وسائر قرش
وبايعوا لابن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا عليهم وكان في ذلك خراب دولة
العامرين وهـ ذ لا المؤيد خليفته واستبدل منه سواه من أعباص الدولة الى آخرها واختلت مراسم
ملكهم والله خير الوارثين

٢٣ * (فصل في حقيقة الملك وأصنافه) *

الملك منصب طبيعي للانسان لا ناقد بينا ان البشر لا يمكن حمايتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على
تحصيل قوتهم وضرب رواتهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم
يده الى حاجته يأخذها من صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمنعه
الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي الى القتالة
وهي تؤدي الى المخرج وسفك الدماء وذهاب النفوس المفضي ذلك الى انقطاع النوع وهو مما خصه
الباري سبحانه بالمحافظة فاستحال بقاؤهم فوضي دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل
ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من
العصبة لما قدمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبة وهذا الملك كما تراه منصب شريف
توجه نحوه المطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شيء من ذلك الا بالعصبيات كما مروا بالعصبيات متفاوتة
وكل عصبة فلها حكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل العصبة وانما الملك على
الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويحيي الاموال ويبعث البعث ويحمي الثغور ولا تكون فوق يده القاهرة
(١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر الفاء يقال نفس عليه الشيء كفرح لم يره أهلاله كافي القاموس

وطرف السلسلة في خارج الطريق وعليها أمنا للسلطان وحفظه فيأتي المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس فيأمر
بإدخال المظلوم في كل من حرك (١١٢) السلسلة تسمى تلك الحفظة حتى تدخله على السلطان * (الباب الثاني عشر في التنصيص

وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فنقصرت به عصبية عن بعضها مثل حماية الثغور وأجباية الأموال
أو بعث البعث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كواقع الكثير من ملوك البربر في دواة الأغلبة بالقيصر وان
الملوك الجهم صدر الدولة العباسية ومن قصرته به عصبية أيضا عن الاستعلاء على جميع العصبية
والضرب على سائر الأيدي وكان فوقه حكم غيره فهو أيضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهؤلاء مثل أمراء
النواحي ورؤساء الجهات الذين تجتمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المنسعة النطاق أعني
توجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهجة مع العبيدين
وزناتة مع الأمويين تارة والعبيدين تارة أخرى ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل أمراء البربر
وملوكهم مع الفرنجة قبل الإسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع الاسكندر وقومه اليونانيين
وكثير من هؤلاء فاعتبره سبحانه والله القاهر فوق عباده

٢٤ * (فصل في ان ارهاق المحمض بالملك ومفسد له في الاكثر) *

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحته وجهه أو عظم جسمه
أو اتساع عمله أو جودة خطه أو ثقب ذهنه وإنما مصلحة لهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان
من الامور الاضافية وهي نسبة بين منسبين فحقيقة السلطان انه الملك للرعية القائمة في امورهم عليهم
فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث اضافته لهم هي التي تسمى الملكية
وهي كونه يملكونهم فاذا كانت هذه الملكية وتوابعها من الجودتين كان حصل المقصود من السلطان على اتم
الوجوه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سنية متعسفة كان ذلك ضررا عليهم
واهلا كلهم ويعود حسن الملكية الى الرفق فان الملك اذا كان قاهرا باطش بالعقوبات منقباعن عورات
الناس وتعديذنبو بهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلفوا بها وفسدت
بصائرهم وأخلاقهم وورعوا خلوهم في مواطن الحرب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات وربما
أجمعوا على قتله لذلك ففسد الدولة ويخرب السياج وان دام أمرهم وقهره ففسدت العصبية لما قلناه
أو لا ففسد السياج من أصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقا بهم متجاوبا عن سيئاتهم استأمنوا اليه ولاذوا
به وأشر بواجبته واستأمنوا دونه في محاربة أعدائه فاستقام الامر من كل جانب وأما توابع حسن الملكية
فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم
فن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التجنب الى الرعية واعلم انه كلما تكون ملكة
الرفق فيمن يكون يقظا شديد الزكاه من الناس واكثر ما يوجد الرفق في الغفل والمتغفل واقل ما يكون في
البقظ انه يكاف الرعية فوق طاقتهم المنقود نظره فيما وادارهم واطلاعه على عواقب الامور في مبادئها
بالمعنة فيها يكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سير واعلى سير اضعفكم ومن هذا الباب اشترط الشارع في
الحاكم قلة الافراط في الذكاه وما أخذه من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال لم عزلتني
يا امير المؤمنين الجحزم لحيانة فقال عمر لم اعزلك لواحده منهم ما ولاكني كرهت ان اعمل فضل عقلت على
الناس فأخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكاه والسكيس مثل زياد بن ابي سفيان وعمر بن
العاصي لما يتبع ذلك من التعسف وسوء الملكية وجعل الوجود على ما ليس في طبعه كما يأتي في آخر هذا
الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا أن الكيس والذكاه عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر
كما ان البلادة افراط في الجود والاطراف مذمومة وان من كل صفة انسانية والمجود هو التوسط كما في الكرم مع

على الخصال التي زعم
الملوك انها أزال دولتهم
وهدمت سلطانهم *
أيها الملك احرص كل
الحرص ان تكون خيرا
بأمرور عمالك فان المسمى
يقرب من خبرتك به قبل ان
تصيبه عقوبتك والمحسن
يستشير بملكك به قبل ان
يأتيه ثوابك قال أبو جعفر
المنصور ما زال أمر بني أمية
مستقيما حتى أفضى أمرهم
الى ابتائهم المترفين
فكانت همهم من عظيم
شأن الملك وجلالة قدره
قصد الشهوات وإيثار
اللذات والدخول في معاصي
الله ومساخطه جهلا منهم
باستدراج الله تعالى وأما
مكره فسلهم الله العز وقل
عنهم النعمة قال عبيد الله
ابن مروان ومروان هذا
هو المعروف بمروان الحمار
وهو آخر ملوك بني أمية
قتل في أرض مصر في كورة
بوصير لما زال ملكه
وهربت الى أرض النوبة
فبعثت ابي من أصحابي
فسمع ملك النوبة بخبري
فجاءني ففقد على الأرض
ولم يقع على فراش افترشته
فقلت له لا تنفد على
ثيابنا قال لا قلت ولم قال
لاني ملك وحق على كل

ملك ان يتواضع لأمر الله سبحانه اذ رفعه ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطؤون الزرع

بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الديباغ والخمر وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل انصارنا

وانتصروا يقوم من الاعاجم دخلا وينزلوننا عبيدا واتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق مليا بقلب كفي به وينكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحلتم محرم الله وظلمتم فيما ملكت ايمانكم فسلبكم الله العز بنو بكم (١١٣) ولله فيكم نعمة لم تبلغ غايتها واخاف

التبذير والخل وكفى الشجاعة مع الموح والجبين وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومتشيطان وامثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

٢٥ * (فصل في معنى الخلافة والامامة) *

ما كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضر وري للمشر ومقتضاء التغلب والقهر للذان هـ ما من آثار الغضب والحيوانية كانت احكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق محجة بمن تحت يده من الخلق في احوال دنياهم لجهلهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من اغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجي العصية المفضية الى الهرج والقتل فوجب أن يرجع في ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم واذ اختلفت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلائها واستئثار الله في الذين خلوا من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وكبر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء والله يقول اخس بتم انما خلقناكم عبدا فامقصود بهم انما هو دينهم المفضى بهم الى السعادة عادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فاجرت به على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع فما كان منه مقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في رعاها فمحور وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه مقتضى السياسة واحكامها فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فلا له من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور آخرتهم واعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسة هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدينية ودفع المضار والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخر وية والدين وية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نوره عليك من بعد والله الحكيم العليم

٢٦ * (فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه) *

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نابعة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وامامة والقائم به خليفة وامام فاما ما تسميته اماما فمشبه بابامام الصلاة في اتباعه والافتدائه ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلا يكونه يخالف النبي في امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فأجاز بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي لا دمين في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله جعلكم خلائف الارض ومنع المجهور منه لان معنى الآية ليس عليه

أن يحل بكم العذاب وانتم بملدي فيصينني معكم وانما انضافة ثلاثة أيام فتر ودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلدي فتر ودنا وارتحلنا وسئل بزرجه ر ما بال ملك آل ساسان صار الى ماصار اليه بعد ما كان فيه من قوة السلطان وشدة الاركان فقال ذلك لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال وعن هذا قالت الحكماء موت ألف من العلية أقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة وفي الامثال ان زوال الدول باصطناع السفلى وقال الشافعي رضي الله عنه أظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا فأر به وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل وسئل بعض الملوك بعد زوال ملكه ما الذي سلبك ملكا قال اعطاؤنا من بطروطين ورفع عمل اليوم لغد وسئل بعض الملوك بعد ان سلبوا ملكهم ما الذي سلبك عزكم وهدم ملككم فقال شغلتمنا اذ اتينا عن التفرغ لهما تناو وثقنا بكفائتنا فتروا رافقهم علمنا وظلمنا عملنا رعبنا فانفسدت نياتهم لنا وقتلوا الراحة منا وجل على اهل

(١٥ - ابن خلدون) خراجنا فقل دخلنا وبطل عطاء عبيدنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصدنا عدونا فقل ناصرنا وكان أعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا وقالت الحكماء أسرع الخصال في هدم السلطان وأعظمها واسرعها في افساده وتفرق الحق الخراج عنه

أظهار الحباة لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبيلة ففى اعان بحب قبيلة فقد برئ من قبائل وقد يما قيل الحباة مقدسة وقال مهيود الموبدان من زوال السلطان ت قريب (١١٤) من ينبغي ان يباعد ومباعدة من ينبغي ان يقرب وحينئذ حان اوان الغدر وقيل للملك

وقد نهى أبو بكر عنه لما دعى به وقال است خليفته الله ولاكنى خليفته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان الاستخلاف انما هو فى حق الغائب وأما الحاضر فلا ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه فى الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعه أبى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه فى أمورهم وكذا فى كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى فى عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا عادى الى وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه العقل وأن الاجماع الذى وقع انما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وانما واجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منقردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فى ما لم يكن المحاكم الوازع افضى ذلك الى المخرج المؤذن به لالك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهـذا المعنى بعينه هو الذى لحظه الحـكماء فى وجوب النبوات فى البشر وقد نهىنا على فساد هـ وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسـطوة الملك وقهر اهل الشوكة ولولم يكن شرع كما فى أم الجحوس وغيرهم ممن ليس له كتاب أولم تبلغه الدعوة او تقول يكفى فى رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل فادعائهم ان ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء اهل الشوكة او بامتناع الناس عن التنازع والنظام فلا ينهض دليلهم العقلى المبني على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذى قدمناه وقد شبه بعض الناس فقال بعدم وجوب هـ هذا النصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عندهؤلاء انما هو امضاء احكام الشرع فاذا توافقت الامة على العدل وتنفيذ احكام الله تعالى لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء محجوجون بالاجماع والذى جملهم على هذا المذهب انما هو القرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمناح بالدين امارا او الشريعة عملة بدم ذلك والنبي على اهـ له ومرغبة فى رفضه واعلم ان الشرع لم يدم الملك لذاته ولا حضر القيام به وانما دهم المفسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمنع بالذات ولا شك ان فى هذه مقاسد محظورة وهى من توابعه كما اثبت على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه وأوجب بازائها الثوب وهى كلها من توابع الملك فاذا انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كاذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركه ما بالكلية لدعاية الضرورة اليها وانما المراد تصير يقه ما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهم ما الملك الذى لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله تعالى واكرم الخلق عنده ثم تقول لهم ان هـ هذا القرار عن الملك بعدم وجوب هـ هذا النصب لا يغنيكم شيئا لانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها الملك فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما قررتم عنه واذا تقرران هـ هذا النصب واجب باجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل العقد والحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وأما شروط هذا المنصب فهى أربعة العلم والعدالة والكفاية وسـلامة الحواس والاعضاء مما يؤثر فى الرأى والعمل واختلف فى شرط خامس وهو النسب القرشى فاما الشـترط العلم فظاهر لانه انما يكون منقذ للاحكام الله تعالى اذا كان عالما بما هو عالم يعلمها لا يصح تقديمها ولا يكفى من العلم الا أن يكون مجتهدا لان التقليد نقص

بعد ذهاب ملكه ما الذى اذهب ملكه كم قال ثقتى بدواتى واستبدادى بعرفتى واغفالى استشارتى واعجالى بشدنى واضاعتى الخيلة وقت حاجتى والثانى عند الخيلة ولما أحيط بمروان الجعدى وهو آخر ملوك بني أمية قال له فاه على دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه نسـمى ل وكان من أولاد أشرف الروم من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر أصابه مثل هذا وسـمى بعض العلماء ما الذى اذهب ملك بني مروان قال تحاسد الاكفاء وانقطاع الاخبار وذلك ان زيدين عمر كان يجب أن يضع من نصر بن سيار وكان لا يده بالرجال ولا يرفع الى السلطان ما يورده عليه من اخبار خراسان فلما رأى ذلك نصر بن سـمى ارقال أرى خلل الرماد وميض نار فبوشك أن يكون لها ضرام وان النار بالعودين تذكو وان الحرب أولها الكلام فقلت تجاهلا ياليت شعرى أيقاظ أمية أم نيام وكان العباسيون يؤسسون لدولتهم ولا تصل اخبارهم الى بني أمية حتى استعمل أحدهم وضعف أمر بني أمية وسئل مروان بن محمد الجعدى وهو آخر ملوك بني أمية ما الذى أضعف ملكك بعدد قوة السلطان وثبات الاركان فقال الاستبداد برأى ما كثر على كتب نصر بن سيار

والامامة الى بني أمية حتى استعمل أحدهم وضعف أمر بني أمية وسئل مروان بن محمد الجعدى وهو آخر ملوك بني أمية ما الذى أضعف ملكك بعدد قوة السلطان وثبات الاركان فقال الاستبداد برأى ما كثر على كتب نصر بن سيار

امده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستئثار من الاموال بما يظهر من فساد الدولة قبله وهيئات ان ينهض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان * (الباب الثالث عشر في الصفات الرابعة التي (١١٥) زعم الحكماء انها الاندام معها الممكة) *

ومن أعجب العجائب دوام الملك مع الكبر والاعجاب اعلو ان الكبر والاعجاب يسلمان القضاء ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة والمكبر يحل نفسه عن رتبة المتعلمين والعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين وحسبك من ذليلة تمنع من سماع النصيح وقبول النأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من المسئلة وكل كبر ذكركم الله في القرآن ففقرن بالشرك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس ان هناك عن الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يغضب منهما وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حق لم يدرك صاحبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاحنف بن قيس ما تكبر احد الامن ذلة يجدها في نفسه ولم تنزل الحكماء تنجى الكبر وتأنف منه قال الشاعر فني كان عذب الروح لامن خصاصة ولكن كبر ان يقال به كبر ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ظنك

والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتقاء العدالة فيه بقس المجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي انتفائها بالبدع الاعتقادية خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جرياً على اقامة الحدود واقحام الحروب بصيرتها كفيلا بحمل الناس عليها عارفاً بالعصبة واحوال الدهاء قوي على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح واما سلامة الحواس والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والعصم والمحرص وما يؤثر فحده من الاعضاء في العمل كفقْد اليدين والرجلين والاثنيين فتشترط السلامة منها كلها التاثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقْد احدى هذه الاعضاء فشرط السلامة منه شرط كمال و يلحق بفقْد الاعضاء المانع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والمجزع من التصرف بجملة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض اعدائه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المسألة تولى فان جرى على حكم الدين والعدل وحمد السياسة جاز اقراره والاستئثار المسلمون بمن يقض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى ينقذ فعل الخلافة واما النسب القرشي فلا جماع العجائب يوم السبق فقه على ذلك واحتجت قر يش على الانتصار لما هو وايومئذ بيعة سعد بن عباد وقالوا من امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الاتمة من قر يش وبأن النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم وتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فخجوا الانتصار ورجعوا عن قولهم من امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في هذا الحى من قر يش وامثال هذه الادلة كثيرة الا انه لما ضعف امر قر يش وتلاشت عصبيته بمكانهم من الترف والنعيم وبما انتقمهم الدولة في سائر اقطار الارض عجز وابذل عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الاعاجم وصار الحى والعقد لهم فاشبهه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي ذور بيعة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والقرض للبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومنه قول عمر لو كان سالم مولى حذيفة حيالوليته او لما دخلت في فيه الظنة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضا فولى القوم منهم وعصية الولاء حاصلة لاسلم في قر يش وهي القائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى شروطها كانوا مقودة في ظنه سعد دل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من النسب المفقد للعصية كما نذ كرو لم يبق الى صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذا القائدة في النسب انما هي العصية وهي حاصلة من الولاء فكان ذلك حرصا من عمر رضي الله عنه على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تحقه فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة ومن القائلين بنى اشتراط القرشية القاضي أبو بكر الباقلاني لما أدرك عليه عصية قر يش من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك الحى على الخلافة فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لرأى الخوارج لما رأى عليه حال الخلافة لعهد بني الجهور على القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقوى بها على امره لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصية فقد ذهبت الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع ولنتكلم الا في

وان أعدائى مثلك في الحقيقة قالت الحكماء قد يدوم الملك مع معظم النقائص قرب فقير ساد قومهم ورب اجنى ساد قبيلة منهم الا قرع ابن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاجنى المطاع قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من ذليلة تسلب السيادة

واعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المنكب بن فقال سبحانه وتعالى الملك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبير بالفساد (١١٦) ومنعنا من دخول الجنة وقال جل وعز سا صرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير

الحق وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول دأؤه في يعني اني اكبر عليه واعلم ان الكبير يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ومن أبغضته بطائفة كان كن غص بالماء ومن كرهه الحجة تطاولت عليه الاعداء واما الاعجاب فيحمله على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات التي لا تقوم معها المملكة الكذب والغدر والخبث والجور والسخف وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والمسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان كذا لم يوفق بوعده ولا بوعده فلم يرج خيره ولم يخف شره ولا بهاء لسلطان لا يرهيب وقال الحكماء خراب البلاد وفساد العباد مقر ونان باطل الوعد والوعيد من الملوك والكذب اسقط الاخلاق وأغلب شئ على صاحبه وأحرى أن لا ينزع عنه لضرارته وقيل لا عرابي لم تكذب قال لو تعزرت به ماتر كنه وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة وأصله اسنة عذاب المني وهو أضغاث فكر الحق ومن يلبته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طائفة قسبت اليه قال الشاعر حسب الكذوب من الما * نه بعض ما يحكي عليه واذا سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه (وقال غيره)

حكمة اشترط النسب ليحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشترط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وان كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصل لا تكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد ان من المصلحة في اشترط النسب وهي المقصودة من مشروعيها واذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها الا اعتبارا العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها للصاحب المنصب فنسكن اليه الملة وأهلها ويتنظم جبل الالف في فيها وذلك ان قر يشا كانوا عصبية مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لعلمهم فلوح جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بتخالفهم وعدم انقيادهم ولا يقدروا غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكثرة فتعثر في الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذور من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتمات بينهم لتحصل اللجعة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قر يش لانهم قادرين على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يراهم منهم فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيون حينئذ يدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فاذن لهم سائر العرب وانقادت الامم سواهم الى أحكام الملة وطبعت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في أيام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى أن اضمحل أمر الخلاف وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقر يش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبارا والعرب وسيرهم وتفطن لذلك في أحواهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره فاذا ثبت أن اشترط القرشية انما هو لدفع التنازع عما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بحيل ولا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشترطنا في القائم بامو والمسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها العصر ما ليس بمتبعه وامن سواهم وتجمع الحكمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والا فاق كما كان في القرشية اذا الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت واقية بها فغلبوا سائر الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر عن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلاف لم تعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نائبا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا من له قدرة عليه ألا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب (١) في شأن النساء وانهم في كثير من الاحكام الشرعية جعلوا تبعاً للرجال ولم يدخلوا في الخطاب بالوضع وانما دخلوا عنه بالقياس وذلك لما لم يكن لهم من الامر شئ وكان الرجال قوامين عليهم اللهم الا في العبادات التي كل أحد فيها قائم على نفسه فخطابهم فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامرامة أو جيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفا للامر الوجودي والله تعالى اعلم

٢٧ * (فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة) *

(١) قوله الامام الخطيب هو الفخر الرازي قاله نصر اه

اعلم
قسمت اليه قال الشاعر حسب الكذوب من الما * نه بعض ما يحكي عليه واذا سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه (وقال غيره)

الى سلطانهم فاذا احتجب فهنالك سلاطين كثيرة يالها الملك المغرور احتجبت عن الرعية بالحجاب والابواب وجعلت دونهم هم بروجها مشيدة وحظائر بالحجارة والماء (١١٨) والطين مانعة وباب الله مفتوح للسائلين ليس هنالك لاحجاب ولا ابواب قال الله تعالى

بالنار من ذاهب فيه الى ذلك منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار ابن ابي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن بلغه مثل هذا عنه ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذمات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الائمة لا يتجاوز الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم الواقفية فبعضهم يقول هو حي لم يميت الا انه غائب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه وقالوا مثله في محمد بن الحنفية وانه في جبل رضوى من ارض الحجاز وقال شاعرهم

الا ان الائمة من قريش * ولالة الحق اربعة سواء

على والثلاثة من بنيهم * هم الاسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبة كربلاء

وسبط لا يدوق الموت حتى * يقود الجيش يقدمه اللواء

تغيب لا يرى فيه مزمنا * برضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثني عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من ائمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم بالحملة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيعلا الارض عدلا لا يشير بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم الى الان ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب يبسب السرداب وقد قدموا مراكبهم تقفون باسمه ويدعون للخروج حتى تشبث النجوم ثم ينفضون ويرجعون الامر الى اللبلة الالة تبه وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هؤلاء الواقفية يقول ان الامام الذي مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن الكريم من قصة اهل الكهف والذي مر على قرية وقتل بني اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق المجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها وكان من هؤلاء السيد الحجيرى ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال * وعلاه المواصل ط بالخصاب

فقد ذهب بشاشته وأودى * فقم يا صاح نيك على الشباب

الى يوم تثوب الناس فيه * الى دنياه موقبل الحساب

فليس بعائد ما فات منه * الى أحد الى يوم الاياب

أدين بان ذلك دين حق * وما أنا في التشور بذي ارباب

كذلك الله أخبر عن اناس * حيوا من بعد درس في التراب

وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة ائمة الشيعة فانهم لا يقولون بها ويطلبون احتجاجهم عليها وأما الكيسانية فساقوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية ثم افترقوا فخرج منهم من ساقها بعده الى اخيه علي ثم الى ابنه الحسن بن علي وآخرون يزعمون ان ابا هاشم لما مات بارض السراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس واوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح واوصى هو الى اخيه عبد الله ابي جعفر الملقب بالنصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحدا بعد واحد الى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائلين

الامن شاء ان يتغذى ذالى
ربه سبيلا وقال معاوية
ليس بين أن يملك السلطان
رعيته أو تملا كنه الاطهرم
والتواني وكما له أمران شدة
في غير افراط ولين في غير
امتهان وسئل بزرجمهر اى
الملوك أكرم قال من ملك
جده هزله وقهر لبه هواه
وأعرب عن ضميره فعله
ولم يخندعه رضاه عن حظه
ولا غضبه عن كيدته وقال
بعض الحكماء زوال الدول
في اصطناع السقل ومن
طال عدوانه زال ساطانه
وقالوا من لم يستظهر باليقظة
لم ينتفع بالحفظة وقال يحيى
ابن خالد أحسن ما وجدت
في طراز الحكم من البلاغة
البخل والجمل مع التواضع
خير من السخاء والعلم مع
الكبر في الها حسنة غطت
على سيئين ويا لها سيئة
غطت على حسنتين
(الباب الرابع عشر في
المصالح المحمودة في
السلطان)

وقد اتفقت العلماء والحكماء
عليها فقالوا اياها الملك ان
قصرت قوتك عن عدوك
فتتلق بالاخلاق الجميلة
التي ليس لعدوك مثلها فان
الكفاية من الغارة الشعواء
وقال معاوية لصعصعة بن

صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا من
الكبر قويا لا لعدوه بل لغيره الباب مقرر بالصواب رفقا بالضعيف غير محاب للقاء ولا يخاف للقرىب وقالوا المنفعة

توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمناصرة توجب الالفة والصدق يوجب الثقة والامانة توجب الطمأنينة
والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة (١١٩) وسوء الخلق يوجب المباغدة والانبساط

يوجب المؤانسة والانقباض

يوجب الوحشة والكبر

يوجب المقت والتواضع

يوجب المقة والجود يوجب

التمجد والبخل يوجب المذمة

والتواضي يوجب التضيق

والجد يوجب رجاء الاعمال

والهوى يوجب الحسرة

والحزم يوجب السرور

والتغريب يوجب الندامة

والحذر يوجب العذر

واصابة التدبير يوجب

بقاء النعمة وبالتأني تسهل

المطالب ويلاين كنف

المعاشرة تدوم المودة وبحفظ

الجانب تأنس النفوس

وبسعة خلق المرء يطيب

عيشه والاستهانة يوجب

التباعد وبكثرة الصمت

تكون الهيبة وعدل المنطق

يوجب الجمالة وبالنصفه

تكثر المواصلة وبالافضال

يعظم القدر وبالصالح

الاخلاق تزكو الاعمال

وباحتمال المؤن يجب

السودود بالحلم عن السفه

تكثر انصارك عليه وبالرفق

والتؤدة تستحق اسم الكرم

وبترك ما لا يعينك يتم

لك الفضل واعلم ان السياسة

تكسوا أهلها المحبة

والفظاظة تخلع عن صاحبها

ثوب القبول ومن صغر

الهمة الحسد للصادق على

بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية
وربما يعضدون ذلك بان حقهم في هذا الامر يصل اليهم من العباس لانه كان حيا وقت الوفاة وهو أولى
بالوراثة بعصبة العمامة واما الزيدية فساوا الامامة على مذهبهم فيها وأنها باختيار اهل الحل والعقد
لابا لنص فقالوا بابامامة على ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو
صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية بابامامة ابنه
يحيى من بعده فغضى الى خراسان وقتل بالجور جان بعد أن أوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن
السيبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالجاز وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر المنصور فقتل وعهد الى أخيه
ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه اليهم المنصور عساكره فهزم وقتل ابراهيم وعيسى
وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم الى ان الامام بعد
محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو أخوزيد بن علي فخرج محمد بن
القاسم بالطالقان فقبض عليه وسبق الى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية ان الامام
بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور وتلقوا الامامة في
عقبه واليه انتسب دعي الزنج كما نذر في اخبارهم وقال آخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن عبد
الله أخوه أدريس الذي فر الى المغرب ومات هناك وقام بامر ابنه ادريس واخط مدينة فاس وكان من
بعده عقبه ملوك بالمغرب الى أن انقرضوا كما نذر في اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم
وكان منهم الداعي الذي ملأ طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن
الحسين السيبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو
الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر أخوزيد بن علي فكانت لبنية بطبرستان دولة وتوسل الديلم
من نسبهم الى الملوك والاستبداد على الخلفاء بعد ذلك كما نذر في اخبارهم وأما الامامية فساوا الامامة
من علي الرضا الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى أخيه الحسين ثم الى ابنه علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد
الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقواها الى ولده اسمعيل ويعرفونه بينهم
بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقواها الى ابنه موسى الكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني
عشر من الائمة وقولهم بغيبته الى آخر الزمان كما مر فاما الاسماعيلية فقالوا بابامامة اسمعيل الامام بالنص
من أبيه جعفر وفائدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل ابنه انما هو بقاء الامامة في عقبه كقصة
هرون مع موسى صلوات الله عليهم ما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى ابنه محمد المكنوم وهو أول
الائمة المستورين لان الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتروا تكون دعائه ظاهرين اقامة للحجة على
الخلق واذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته قالوا بعد محمد المكنوم ابنه جعفر الصادق وبعده ابنه
محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته ابو عبد الله الشيعي في كلمة
وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القير وان المغرب وملك بنوه من بعده
مصر كما هو معروف في اخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بابامامة اسمعيل ويسمون ايضا
بالباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن اي المستور ويسمون ايضا المجددة لما في ضمن مقالاتهم من الاتحاد
وهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا
بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها الى أن توزعها الملوك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتار بالعراق

النعمة والمنظر في العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غم ومن سكت سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن
فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأني السلامة زارع البر يحصد السمر ور صاحب العقل مغبوط صادق

الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زلت فارجع واذا سأت فاندبم واذا ندمت فاقطع واذا افضت فاكتم واذا منعت فاجعل واذا
أعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم (١٢٠) من بدأك بغيره فقد شغلك بشكره المروآت كلها تبع للعقل الراى تبع للتجربة العقل

فانقضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذ كورة في كتاب المال والتحل للشهر ستانى وأما الاثنا عشرية
فرىما خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لوفاة أخيه
الكبير اسمعيل الامام في حياة أبيهما جعفر فنص على امامة موسى هـ ذاثم ابنه على الرضا الذى عهد اليه
المأمون ومات قبله فلم يتم له أمر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه على الهادى ثم ابنه محمد الحسن العسكرى ثم ابنه
محمد المهدي المنتظر الذى قد مناه قبل وفي كل واحدة من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير الا أن هذه
أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعتها فليعلم بكتاب المال والتحل لابن خزم والشهر ستانى وغيرهما
ففيها بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهتدى من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلى الكبير

٢٨ * (فصل في انقلاب الخلافة الى الملك) *

اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصبة ليس وقوعه عنها اختيارا إنما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من
قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحتمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبة اذا المطالبة لا تتم الا بها كما
قدمناه فالعصبة ضرورية للملة وبوجودها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبيها الا في منعة من قومه
ثم وجدنا الشارع قد ذم العصبة ونادى الى اطراحها وتر كها فقال ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية (١)
وفخرها بالآباء أنتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ووجدناه أيضا قد ذم الملك
وأهله ونهى على أهله أحوالهم من الاستمتاع بالخلاق والاسراف في غير القصد والتسكيب عن صراط الله
وانما حض على الالفة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا كلها واحوالها عند الشارع
مطية للاخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من أفعال البشر أو
يندب الى تركها ما له بالكلية او اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية إنما قصده
تصريفها في اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتند الوجهة كما قال صلى الله
عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فحجته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او
امرأة يتزوجها فحجته الى ما حارب اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعته من الانسان فإنه لو زالت منه قوة
الغضب لتقدم منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان وللأغراض
الذميمة فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان الغضب في الله والله كان مدحوا وهو من شيمائه
صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد بباطلها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا في
حقه وانما المراد تصريفها فيما ينبج له باشتماله على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوعا او امر
الاهمية وكذا العصبة حيث ذمها الشارع وقال ان تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم فأنما مراده حيث تكون
العصبة على الباطل وأحواله كما كانت في الجاهلية وأن يكون لاحد فخر بها او حق على أحد لان ذلك
مجان من أفعال العلة وغير نافعة في الاخرة التي هي دار القرا فاما اذا كانت العصبة في الحق واقامة
أمر الله فأمر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبة كما قلناه من قبل وكذا المال لما
ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه لما فيه من التغلب
بالباطل وتصريف الاكديمين طوعا او اغراضا والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس
أنه لله ومجملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله عليه رب هب
لى ما كالا ينبغي لاحد من بعدى لما علم من نفسه أنه بمنزل عن الباطل في النبوة والمال وما لى معاوية

(١) قوله عبية الجاهلية قال المجذو العبية وبالكسر الكبير والفخر والنخوة اه

أصله التثبت وثمرته
السلامة والتوفيق أصله
العقل وثمرته النجوع
والتوفيق والاجتهاد
زوجان فالاجتهاد سبب
والتوفيق ينتج الاجتهاد
قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا والاعمال كلها تبع
للقدر واختار العلماء
أربع كلمات من أربع
كتب من التوراة من
قنع شبع ومن الزبور
من سكنت سلم ومن
الانجيل من اعتزل نجا ومن
القرآن ومن اعتصم بالله
فقهدهدى الى صراط
مستقيم المحم شرف والصبر
ظفر والمعروف كنز والمجهل
سفه والا يام دول والدهر
غير والمرء منسوب الى
فعله وما أخذ به لاصطناع
المعروف يكسب الحمد
أكرموا المجلس يعمر ناديك
أنصقوا من نفوسكم يوثق
بكم اياكم والاخلاق الدنيئة
فانها تضيع الشرف وتهدم
المجد ذمهم الجاهل
أهون من جريرته رأس
العشيرة يحمل انقالها
وأجعت حكماء العرب
والعجم على أربع كلمات
لا تحمل بطنك ما لا تطيق
ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا

تعتبر امره ولا تنق بعمال وان كثر * (الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان) * وهى الطاعة قال ملك عمر
فارس لمو بندان مو بندان ما شئ واحد يعز به السلطان قال الطاعة قال التودد الى الخاصة والعادل على العامة قال

صدق الامانة معقل الطاعة والطاعة زينة الملك وكان يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه على الرغبة والرغبة والمحبة والديانة ولما دخل سعد العشرة على بعض ملوك حير قال له يا سعد ما صلاح الملك قال معدلة (١٢١) شائعة وهيئة وازعة ورعية طاعة

فان في المعدلة حياة الانام
وفي الهيئة نفي الظلام وفي
طاعة الرعية التآلف
والالتمام طاعة الائمة فرض
على الرعية كما ان طاعة
السلطان مقرونة بطاعة الله
اتقوا الله بحجة والسلطان
بطاعته من اجل الله
احلال السلطان عادلا كان
او جائرا الطاعة تؤلف شمل
الدين وتنظم امور المسلمين
عصيان الائمة يهدم اركان
الملة اولى الناس بطاعة
السلطان ومناصته أهل
الدين والنعم والمروآت اذ
لا يقوم الدين الا بالسلطان
ولا تكون النعم والحرم
محقوقة الا به الطاعة ملاك
الدين الطاعة معاقبة
السلامة ورفع منازل
السعادة الطريقة المثلى
والعروة الوثقى قوام الامة
وقيام السنة بطاعة الائمة
الطاعة عصمة من كل فتنة
ونجاة من كل شبهة طاعة
الائمة عصمة لمن لجأ اليها
وحرز لمن دخل فيها وليس
للعصمة ان تعترض على
الائمة في تدبيرها وان
سوات لها أنفسها بل عليها
الاتقياد وعلى الائمة الاجتهاد
بالطاعة تقوم الحدود
وتؤدى القرائض وتحقق
الدماء وتأم من السبل
الامامة عصمة للعباد وحياة

عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ما عند قدمه الى الشام في أبيه الملك وزيه من العديدين والعدة استنكر ذلك
وقال اكسروية يا معاوية فقال يا أمير المؤمنين اناني تغرب تجاه العدو وبنائي مباهاة من بينة الحرب
والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقصود من مقاصد الحق والدين فلو كان القصود رفض
الملك من أصله لم يقنع به هذا الجواب في تلك الكسروية وانتم لها بل كان يحرض على خروجه عنها بالجمل
وانما أراد عمر بالكسروية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغي
وسوء ملوك سبله والغفلة عن الله واجابه معاوية بان القصود بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما
قصودهم اوجه الله فسكت وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك وأحواله ونسبهم ان عوانده حذر من
التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخاف ابا بكر على الصلاة اذ هي أهم امور
الدين وارتضاه الناس للخلافة وهي حمل الكفاية على احكام الشريعة ولم يجز للملك ذلك كما أنه مظنة للباطل
ونحلة يومئذ لاهل الكفر وأعداء الدين فقام بذلك أبو بكر ماشاء الله متبعه اسن صاحبهم وقاتل أهل الردة
حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاقبى اثره وقاتل الامم فغلبهم ثم واذن للعرب في انتزاع
ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوه منهم ثم صارت الى عثمان بن عفان ثم الى علي رضي الله
عنهم ما وكل مبروث من الملك من كيون عن طريقه واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام
وبداوة العرب فقد كانوا بعد الامم عن احوال الدنيا وترفعها لان حيث دينهم الذي يدعوهم الى الزهد في
النعم ولا من حيث بدائوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفة الذي ألفوه فلم تكن
امة من الامم اسغب عيشا من مضرها كانوا بالحجاز في أرض غيرة ذات زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من
الارياق وجبوا بها بعدوها واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتناولون الى خصبها ولقد
كانوا كثيرا ما يكونون العقارب والخنفساء ويقفون بأكل العلهز وهو وبر الابل يهونه بالحجارة في
الدم ويطيخونه وقر يمان هذا كانت حال قريش في مطاعمهم ومساكنهم حتى اذا اجتمعت عصمية
العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى أم فارس والروم وطلبوا
ما كتب الله لهم من الارض بوعدها الصديق فابتزوا ما كرمهم واستباحوا دنياهم فزحزح بحار الرفه لديهم
حتى كان الفارس الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون ألفا من الذهب أو نحوها فاستولوا من ذلك
على ما لا يأخذ هذه المحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرفع ثوبه بالجلد وكان على يقول
يا صقرا عوا يا بيضاء غري غري وكان أبو موسى يتجافى عن أكل الدجاج لانه لم يعهدها للعرب لقلته يومئذ
وكانت المناخل مقلودة عندهم بالجمل وانما كانوا يأكلون الخنطة بنخلها وما كسبهم مع هذا أتم ما كانت
لاحد من أهل العالم قال المسعودي في أيام عثمان اقتبى الصحابة الضياع والمسال فكان له يوم قتل عند
خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف
دينار وخلف ابلا وخلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاة خمسة عشر ألف دينار وخلف
ألف فارس وألف أمة وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك
وكان على بن مطرب عبد الرحمن بن عوف ألف فارس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من
متروكه بعد وفاته اربعة وثمانين ألفا وخلف يزيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير
ما خلف من الاموال والضياء عتبة ألف دينار وبنو الزبير داره بالبصرة وكذلك بني مصر والكوفة
والاسكندرية وكذلك بني طلحة داره بالكوفة وشيخه داره بالمدينة وبنو ابا الجحس والاسج وبنو

(١٢ - ابن خلدون) للبلاد اوجب الله لمن خصه بقضله واجله اعباءها الطاعة فقرتها بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء بنورها وموئل لمن جافظ عليها الخارج من الطاعة

منقطع العصمة يرى من الذمة مبدل بالكفر بالذمة طاعة الأئمة حبل الله المتين ودينه القويم وحنته الوافية وكفايته العالمة أيا كم والخروج عن أنس الطاعة (١٢٢) الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الأئمة وعليكم بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى

سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرافات وبنى المقداد داره بالمدينة وجعلها محصنة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقار وغير ذلك ما قيمته ثلث مائة ألف درهم اه كلام المسعودي فكانت مكاسب القوم كمتراهم ولم يكن ذلك من مباح عليهم في دينهم اذ هي أموال حلال لانها غنائم وفيه ولم يكن تصرفهم فيها باسراف انما كانوا على قصد في احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك بقادح فيهم وان كان الاستكثار من الدنيا مذمومًا فانه يرجع الى ما أشرنا اليه من الاسراف والخروج به عن القصد واذا كان حالهم قصداً ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغضاضة الى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم حكم ذلك الرقة والاستكثار من الاموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي ولا يشار باطل اولاً لاستعمار حقده كما قد يتوهمه متوهم وينزع اليه المد وانما اختلف اجتهدهم في الحق وسبقه كل واحد منظر صاحبه باجتهداه في الحق فاقتتلهوا عليه وان كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل انما قصده الحق وأخطأ والسكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية ان يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنوامية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من اتباعهم فاعصوه وعلو عليه واستماتوا دونه ولوجاههم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالمر لوقوع في افتراق الكرامة التي كان جمعها وتأييدها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبر مخالفة وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول اذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر لو كان لي من الامر شيء لوليت له الخلافة ولو اراد ان يعهد اليه لقبل وليكنه كان يخشى من بني أمية اهل الخلل والعقد ما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا كما انما اجل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل وفرضنا ان الواحد انفرده بوضوئه في مذاهب الحق وجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه ولقد انفرده سليمان وابوه داود صلوات الله عليهم بالملك بنى اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفاً من افتراق الكرامة كما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الامر الى من سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه مع ان ظنهم كان به صالحاً ولا يرتاب احد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن لبعهد اليه وهو يعتقد ما كان عليه من القسوق حاشا لله لمعاوية من ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكاً فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب اهل البطالة والبغي انما كانوا متحريين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورتهم لم يلزمهم على بعض ما مثل خشية افتراق الكرامة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتراء وما علم السلف من احوالهم فقد احتج مالك في الموطأ بعلم عبد الملك وأما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين وعد التهم معروفة ثم تدرج الامر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالملك الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز ففرغ الى طريقة الخلفاء الاربعة والخصامة جهده ولم يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد

سلطان ليدلوه الا اذهم الله قبل ان يموتوا الطاعة مقرونة بالخدمة طاعة الحق افضل من طاعة الهبة للرعية على السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعامل عليهم والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة بالرعية من الحاجة الى الراعي ما ليس بالراعي من الحاجة اليهم لولا الرعاة هلكت الرعية ولولا المسيح هلكت السوائم

باب السادس عشر في ملاك أمور السلطان قال سليمان بن داود عليه السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك وقال زياد ملاك السلطان ثلاثة أشياء الشدة على المذنب والتجاسة للخصم وصدق القول ولما غزا عاصم بن عمرو الاكاف ملك الروم وأخرب بلاده وقتل جنده وأقضى بطارقه قال له ملك الروم انك قد قتلت وأخربت فاجابني ما الامر الذي تشئت به حتى قويت على ما أرى وبلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك فان كان مما يضبط الامر

بمثله أدبت اليك الخراج وصرت كعض الرعية في الطاعة لئلا يقال له سابوراني لم أزد في السياسة على عثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهى ولم أخلف في وعد ولا وعيد ووليت أهل الكفاية وأثبت على العناء لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب فيها

وأودعت قلوب الرعية المحبة من غير جراءة وهيئة من غير ضغينة وعممت بالقوت ومنعت الفضول فأذن له وأدى إليه الخراج وكتب الوليد إلى الحجاج أن يكتب له بسيرة فكتب إليه أني أيقظ رأيي وأنت هوأي (١٢٣) وأذنت السيد المطاع في قومه ووليت

الحرب الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفى لامانتة وقسمت لكل خصم من نقسي قسما يعطيه حظامن نظري ولطيف عنايتي وصرف السيف إلى البطر والمسيء تخاف المذهب صولة العقاب وتسمك الحسن بحظه من الثواب وقال أبو عبيدة إذا كان الملك محصنا السر بهي دامن ان يعرف ما في نفسه مخبرا للوزراء بهيما في أنفاس العامة مكافئا بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المجرم كان خليفيا لبقاء ملكه (الباب السابع عشر في خبر السلطان وشي السلطان) أفضل الملوئ من كان شكره بين الرعايا لكل واحد منهم فيه قسطه ليس أحدا حق به من أحدا يطمع القوى في حيفه ولا يياس الضعيف من عدله كان النبي صلى الله عليه وسلم تأخذه الامة من اماء المدينة فتطوف به على سلك المدينة حتى تقضي حاجتها وفي حكم الهند أفضل السلطان من أمنه البريء وخافه المجرم وشي السلطان من خافه البريء وأمنه المجرم وقال عمر لا غير لما

فيها واعتماد الحق في مذهبها فكأن ذلك عماد الناس إلى أن نعوا عليهم افعالهم وأدوا بالبدعوة العباسية منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدالة يمكن وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذهبهم ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم أفضى الامر إلى بنيهم فاعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبتوا الدين وراعاهم ظهر يافتأذن الله بحربهم وانتزاع الامر من ايدي العرب جملة وامكن سواهم منه والله لا يظلم من ظلم ذرة ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واختلفا في فحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى المسعودي مثله في احوال بني أمية عن أبي جعفر المنصور وقد حضر عروسته وذكر واني أمية فقال أما عبد الملك فكان جبارا لا يسأل عما صنع وأما سليمان فكان همه بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عريان وكان رجل القوم هشام قال ولم ينزل بنو أمية ضابطين لما هداهم من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسخيمهم معالي الامور ورفضهم دنيا تها حتى أفضى الامر إلى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصدا للشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلا باستدراجهم وأمنالهم كرمع اطراحهم صيانة للخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والديارهم الذل ونفي عنهم النعمة ثم استخضر عبد الله بن مروان فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضه فأرا أيام السفاح قال ائت مليا ثم أتاني ما لكم فقعده على الارض وقد بسطت له فرش ذات قيمة فقلت له ما منعك من القعود على ثيابنا فقال اني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لي لم تسربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا قال فلم تطؤون الزرع وبدوا بكم والفساد محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا فاجبه لهم قال فلم تلبسون الديباغ والذهب والمخبر وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك وانصرفنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا واذلنا على الكرمنا فاطرق ينكت بيده في الارض ويقول عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع رأسه إلى وقال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحلتم محرم الله عليكم وأنتيم ما عنه نهيتكم وظلمت فيما لم يكن فسلبك الله العز والدياركم الذل يذنبوكم والله نعمة لم تبلغ غايتها فيكم وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلي فينا ناني معكم وانما الضيافة ثلاث فترودا ما احتجت اليه وارتحل عن أرضي فنجب المنصور وأطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة إلى الملك وان الامر كان في اوله خلافة ووازع كل احد فيهم ان نفسه وهو الدين وكانوا يؤثرونه على أمور دينناهم وان افضت إلى هلاكهم وحدهم دون الكافة فهذا عثمان لما حصر في الدار جاءه الحسن والحسين (١) وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم يريدون المدافعة عنه فإني ومنع من سل السيواف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظ الالة التي بها حفظ الكلمة ولو أدى إلى هلاكه وهذا على أشار عليه المغيرة لا ول ولا يشته باستمقاء الزبير ومعاوية وطلحة على اعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من أمره وكان ذلك من سياسة الملك فإني فرار من الغمش الذي ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد أشرت عليك بالامس بما أشرت ثم عدت إلى نظري فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وأن الحق فيما رأيته أنت فقال على لا والله بل اعلم انك نهيتني بالامس وغششتني اليوم وليكن مني ما أشرت به ذاندا الحق وهكذا كانت احوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا من نرفع

(١) قوله البيعة بفتح الموحدة أما بكسر هاء على وزن شعبة يسكون الباء فيها فهي معبد النصراري اه

ولاه الكوفة يا مغيرة لما منك الابرار ولتخفك الفجار وفي حكم الهند أيضا شر المال لا ينفي منه وشرا الاخوان الخنازل وشرا السلطان من خافه البريء وشرا البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن وخير السلطان من أشبه النسر وحوله الجيف لا من أشبه الحبيقة وحوله النسر

وعن هذا المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها وفي الامثال العامة رهيبوت خير لك من رحوت وكان يقال شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء (١٢٤) والقسوة على الضعفاء والجل عند الاعطاء وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاثة من القواقر

جار ملازم ان رأى حسنة
سـترها وان رأى سيئة
أذاعها وامرأة ان دخلت
عليها السننك وان غبت
عنهم لم تأمنها و سلطان ان
أحسنك لم يحمدك وان
أسأت قتلك وقال رجل
لبعض العلماء متى أضل
وأنا أعلم فقال اذا لم تكن
امراة ان أعطتهم ثم أذكوك
وان عصيتهم قتلوك وقال أبو
حازم سليمان بن عبد
المالك السلطان سوق ما
نقى عنده أتى به وفي كتاب
ابن المقفع الناس على دين
المالك الا القليل فان يكن
للبر والمروءة عنده نفاق
فسيكسد بذلك التفجور
والدناءة في آفاق الارض
وسمع زيارد جـ لا يذم
الزمان فقال لو كان يدري
ما الزمان لعاقبته ان الزمان
هو السلطان وقال معاوية
لابن الكواء صـ فلي
الزمان فقال أنت الزمان
ان تصلح يصلح وان تفسد
تفسد والمثل السائر في كل
زمان وعلى كل لسان الناس
على دين الملك وقال بعض
الحكماء ان أحق الناس
ان يحـذر العدا والنـجـار
والصديق الغادر
والسلطان الخائن وقال
بزرجمهر آدم ان تعب صحبة

فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج الحق ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديننا ثم انقلب عصبة وسيفاً وهكذا كان الامر لهدم معاوية ومروان وابنه عمداً الملك والصـدر الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعـض ولده ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر له كما يحتمل وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت في اغراضها من القهر والظلمة في الشهوات والملاذو هـكذا كان الامر لولد عبد الملك ولـن جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقيا فيهم لبقاء عصبة العرب والخلافة والمالك في الطورين ملتبس بعضهم ببعض ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبة العرب وفناء جيلهم وتلاشي أحوالهم وبقي الامر له كما يحتمل كما كان الشأن في ملوك العجم بالمشرق يديون بطاعة الخليفة تبركا والمالك بجميع القاب ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنـهاجة مع العبيدين ومغراوة وبني يقرن ابضا مع خلفاء بني أمية بالاندلس والعبيدين بالقيـر وان فقدت بين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولا ثم التفت معانيهم ما واختلطت ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبيته من عصبة الخلافة والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار

٢٩ * (فصل في معنى البيعة) *

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على انه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمر المسلمين لا ينـازعه في شيء من ذلك وبيعة هي فيما يكلفه به من الامر على المنشط والمـكره وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيـدا للعهد فاشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصاحفة بالأيدي هـذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المـراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم لـه العقبـة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء ومنه أيمان البيعة كان الخلفاء يستخفون على العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسمي هذا الاسـم لعاب ايمان البيعة وكان الاكرام فيها أكثر وأغلب ولهذا لما أفتى مالك رضي الله عنه بسقوط عين الاكرام أنكرها الولاة عليه ورأوا هـا قاذحة في أيمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه وأما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تعجيل الارض واليد أو الرجل أو الذيل أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخـضوع في التحية والتزام الاداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صارت حقيقة عرفية واسـم غني بها عن مصاحفة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصاحفة لكل احد من التـنـزل والابتـدال المنافين للرياسة ووصون المنصب الملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فبأخذبه بنفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه كما يدعى الانسان معرفته لما يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون أفعاله عبثا ومجانا واعتبر ذلك من أفعال الملوك والله القوي العزيز

٣٠ * (فصل في ولاية العهد) *

اعلم اننا قدمنا الكلام في الامامة ومشر وعينها ما فيها من المصلحة وان حقيقة النظر في مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو واجبهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقبـلهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ويثـقون بنظرهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع قوله عبد الله كذا في النسخة التونسية وبعض القاسية وفي بعضها عبد الملك وأظنه تحـصيفاً قاله نصر

السلطان السبيعي الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابتليت بحجة سلطان لا يريد صلاح رعيته فقد خـيرت بين الامة أمرين ليس بينهما ما خيرا اما الميل مع الوالي على الرعية فهو هـالك الدين وأما الميل مع الرعية على الوالي فهو هـالك الدنيا فلاحيلة لك الا

الموت أو الهرب منه وقالوا الملك العادل كانهما الصافي ينتفع به الاشرار والاختيار ولا يضر أحد والمالك السوء مثل الجحمة يسرع اليها شرا
الحيوان ويتحاماها الناس (الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن) * (١٢٥) روى عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال ان
الله ليرعى بالسلطان مالا
يرعى بالقرآن معناه أي
يدفع وقال كعب بن مالك
الاسلام والسلطان والناس
مثل القسطاط والعمود
والاطناب والاولاد
فالقسطاط الاسلام والعمود
السلطان والاطناب
والاولاد الناس لا يصلح
بعضهم الا ببعض وقال
أردشير لابنه يابني ان الملك
والدين اخوان لا غنى
لا أحدهما عن الآخر
فالدين أس والمالك حارس
ومالم يكن له أس فهو
مهذوم ومالم يكن له حارس
فضائع يابني اجعل حديثك
مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد وبشرى لأهل
الدين وسرك لمن عناهما
عناك ولتكن من أهل
العقل وكان يقال الدين
والسلطان توأمان
* (الباب التاسع عشر في
خصال جامعة لأمير
السلطان) *

الامة على جوازها وانعقادها ذوق بعد أبي بكر رضي الله عنه لأمير بمحض من الحكمة وأجازوه وأوجبوا على
أنفسهم به طاعة عمر رضي الله عنه وعنهم وكذلك عهد عمر في الشورى الى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن
يختاروا المسلمين ففرض بعضهم الى بعض حتى أفضى ذلك الى عبد الرحمن بن عوف فاجتهدوا بنظر المسلمين
فوجدتهم متفقين على عثمان ودلى على فاشترع عثمان بالبيعة على ذلك لموافقة اياه على لزوم الاقتداء
بالشيخين في كل ما بين دون اجتهاده فانه قد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملائمة من الحكمة حاضرون
للاولى والثانية ولم ينكره أحد منهم فدل على انهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعية
والاجماع حجة كما عرف ولا يتهم الامام في هذا الامر وان عهد الى ابيه وابنه لانه أمون على النظر له في
حياته فاولى أن لا يحتمل فيها تبعه بعد مماته خلافا لمن قال باتهامه في الولد والوالد أول من خصص التهمة بالولد
دون الوالد فانه بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من ايثار مصلحة او
توقع مقسدة فنمت في الظنة عند ذلك رأسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق
الناس له حجة في الباب والذي دعاه معاوية لا يشار به يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في
اجتماع الناس واتفاق اهوائهم بما يتفق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية اذ بنوا أمية يومئذ
لا يرضون سواهم وهم عصاة قريش وأهل الملة اجمع وأهل الغلب منهم فاشترع بذلك دون غيره من يظن
انه أولى بها وعدل عن الغضاض الى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذي شأنه أنهم عند
الاشراع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعد الله وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضورا كابر الحكمة لذلك
وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا بمن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية بمن تأخذ
العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك وعد اتهم مانعة منه وفرا عبيد الله بن عمر من ذلك انما هو
محمول على تو رعه من الدخول في شيء من الامور ربما كان او محظورا كما هو معروف ولم يبق في
الخالفه لهذا العهد الذي اتفق عليه المجاهد والابن الزبير وندور الخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من
بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية
والسقاخ والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وأمثالهم عن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين
والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايثاراً ببناءهم واخوانهم وخرجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشأنهم غير
شأن أولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل أحد وازع من
نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره واكلوا كل من يستعمل الى ذلك الى وازعه وأما
من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف
واحتيج الى الوازع السلطاني والعصبي فلو عهد الى غير من ترتضيه العصية لردت ذلك العهد وانقض
أمره سر يعاوصرت الجماعة الى الفرقة والاختلاف * سأل رجل عليا رضي الله عنه ما بال المسلمين اختلوا
عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال لان ابابكر وعمر كانا والدين على مثلي وانا اليوم والى مثلك يشير الى
وازع الدين أفلا ترى الى المأمون لما عهد الى علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف انكرت
العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا العباسية ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل
وتعدد الثوار والخوارج ما كاد أن يصطلم الامر حتى بادى المأمون من خراسان الى بغداد ودارهم لمعاودة
فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات
وتختلف باختلاف المصالح والكل واحد منها احكم يخصه الله فاما ان يكون القصص بالعهد

وسلاحه كفاءته وماله وعبته وقالت حكما الهند لا تظفر مع بغى ولا صحة مع منهم ولا بناء مع كبر ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شبح ولا
اجتناب محرم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سود مع انتقام ولا ثبات ملب مع تهاون وجهالة وزارة ولا ولى أبو بكر رضي الله عنه

خطب فقال أيها الناس إنه لا أحد أقوى عندى من المظلوم حتى آخذله بحقه ولا أضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه وقبل للاستكندر
 بمثل ما نلت قال باسمه (١٢٦) الاعداء والاحسان الى الاصدقاء وقال بزرجه رسوسوا أحرار الناس بمحض المودة

والعامة بالرغبة والرغبة
 والسعة بالخفاقة وقال
 الموبدان الساسة التي بها
 صلاح الملك الرفق بالرعية
 وأخذ الحق منهم في غير مشقة
 وسد القروج وأمن السبل
 وإن ينصف المظلوم من
 الظالم ولا يحمل القوى
 على الضعيف وقالوا الوالى
 من الرعية كالروح من
 الجسد لا حياة له إلا به
 وبعد الوالى من اصلاح
 الرعية مع افساد نفسه
 كبعد الجسد مع البقاء بعد
 ذهاب الرأس والسلطان
 خليف أن يعود نفسه الصبر
 على من خالف رأيه من ذوى
 النصيحة والتجريح إمارة
 قوهم ولا ينبغي أن يحسد
 إلا على حسن التدبير ولا أن
 يكذب لأن احدا لا يقدر
 على استكراهه ولا أن
 يغضب لأن الغضب
 والقدرة لقاح الشر والندامة
 ولا أن يخجل لأنه أقل الناس
 بخوفهم من الفقر ولا أن يحقد
 لأن قدره جل عن المجازاة
 ولا ينبغي للوالى أن يستعمل
 سعيه فيما يكتفى فيه
 بالسوط ولا سوطه فيما يكتفى
 فيه بالحبس ولا حبسه فيما
 يكتفى فيه بالجفاء والوعيد
 وقال معاوية انى لا أضع
 سيفي حيث يكفني سوطي
 ولا سوطي حيث يكفني

حفظ التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده ينبغي أن
 تحسن فيه النية ما أمكن خوفاً من العتب بالمنصب الدينية والملك لله يؤت به من يشاء وعرض هنا أمور
 تدعو الى الضرورة الى بيان الحق فيها فبالاول منها ما حدث في يزيد من الفسق ايام خلافته فإياك ان تظن
 بمعاوية رضي الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل من ذلك وافضل بل كان يعذله ايام حياته في سماع
 الغناء وينهاه عنه وهو أقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة وما حدث في يزيد ما حدث من الفسق
 اختلف الصحابة حينئذ في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين
 وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم ما ومن اتبعهم في ذلك ومنهم من أباه لما فيه من اثار القنعة وكثرة القتل
 مع العجز عن الوفاء لان شوكة يزيد يومئذ هي عصاة بني أمية وجهود أهل الحل والعقد من قریش
 وتسيب عصبية مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فأقصر واعن يزيد بسبب ذلك
 وأقاموا على الدعاء بهدايته والراحة منه وهذا كان شأن جمهور المسلمين والكل محبة لدون ولا ينكر على
 احدهم الفريقين فمقاصدهم في البر وتحرى الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم والاعمال الثاني هو شأن
 العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته على رضي الله عنه وهو أمر لم يصح ولا نقله
 أحد من أئمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس لكتب الوصية وأن عمر منع من ذلك
 فدليل واضح على انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال ان أعهد فقد عهد
 من هو خير مني يعني أبابكر وان أترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك
 قول علي لعباس رضي الله عنه ما حين دعاه للدخول الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن شأنهم في
 العهد فإني على من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطمع فيها آخر الدهر وهذا دليل على ان علياً علم انه لم
 يوص ولا عهد الى أحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من أركان الدين كما يزعمون وليس
 كذلك وانما هي من المصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ولو كانت من أركان الدين لكان شأنها شأن
 الصلاة ولكان يستخلف فيها كما استخلف أبابكر في الصلاة ولكان يشتر كما اشتهر أمر الصلاة واحتجاج الصحابة
 على خلافة أبي بكر بقياسها على الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فلا نرضاه
 لديننا دليل على أن الوصية لم تقع ويدل ذلك ايضا على أن أمر الامامة والعهد بهما يمكن معاً كما هو اليوم
 وشأن العصبية المرافعة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ ذلك الاعتبار لان امر الدين
 والاسلام كان كماه بخوارق العادة من تأليف القلوب عليه واسماتة الناس دونه وذلك من أجل الاحوال
 التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لتصرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة
 تتلى عليهم فلم يحتج الى مراعاة العصبية لمساخيل الناس من صيغة الانقياد والاذعان وما يستفهم من تتابع
 المعجزات المخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجوا منها ودهشوا من تتابعها
 فكان أمر الخلافة والملك والعهد والعصبية وسائر هذه الأنواع من درج في ذلك القليل كما وقع فلما انقضى
 ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات ثم بقضاء القرون الذين شاهدوها فاستحال تلك الصيغة قليلاً لا قليلاً
 وذهبت الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر أمر العصبية ومجاري العوائد فيما يشأ عنهما من
 المصالح والمفاسد وأصبح الملك والخلافة والعهد بهما من المهمات الالكيدة كما زعموا ولم يكن ذلك من
 قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم لم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الالهية
 زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحجابة والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا

لساناً ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت اذامدوها خلتها واذا خلوها مددتها ونحو هذا
 قول الشعبي كان معاوية كالجمل الطيب والجمل الطيب هو الخاق بالشئ لا يضع يده الا حيث تبصر عينه ويشغى له أن يعلم رعيته أنه

لا يصاب خبره إلا بالمعونة له على الخير ولا ينبغي له أن يدع تفقد لطيف أمور الرعية أن كلاً على نظره في جسمها فإن للطيف موقع ينتفع به وقد آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليهم السلام ثم تفقد الطير فقال مالي لا أرى (١٢٧) الهدى لان النهاون باليسير أساس

الوقوع في الكبير وقد قال الشاعر

لا تحقرن شبيها

كم جزر شبيب
وقالوا أصل الأشياء كلها

شيء واحد ولا تدع مباشرة

جسيم أمره فالحكيم موضع

ان غفل عنه تفاهم ولا يلزم

نفسه مباشرة الصغير أبدا

فيضيع الكبير وقال

زياد الحاجبه وليت حجابتي

وعزيتك عن أربع المؤذن

للصلاة وصاحب الطعام

فان الطعام اذا أعيد سخنه

فسد وصار خاليل لشردها

وصاحب البر يدف التهاون

بالبر يدساعة يخرب عمل

سنة وكان أبو العباس

السفاح يقول لايمان اللين

حتى لا ينفع الا بالشد

ولا كثرن من الخاصة

ما منهم - إلى العامة

ولا غدن سبني حتى يسله

الحق ولا عطين حتى لأرى

للعطية موضعا وقال أردشير

لما كمل ملكه وأباد

أعداءه انه لم يحكم حاكم

على العقول كالعبر ولم

يحكمها محكم كالبحر بة

وليس شيء أجمع للعقل من

خوف وحاجة يتأمل بها

صفحات حاله وكان عمر

يقول ان هذا الامر لا يصلح

له الا اللين في غير ضعف

بالخير في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الامور للائفة على الحياية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن القرقة والتخاذل ومنشأ الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين فاعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تنبع من اجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة ولا يتعين الخطئ منها والتأنيث مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وان كل مجتهد مصيب فأحرى بنفي الخطا والتأنيث وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية وهذه احكامه والذي وقع من ذلك في الاسلام انما هو واقعة على معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك فأما واقعة على فان الناس كانوا عند مقتل عثمان معترفين في الامصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر وأسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخاض وفضالة بن عبيد وأمثالهم من اكابر الصحابة والذين كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته أيضا الى الطلب بدم عثمان وتركو الامر فوضي حتى يكون شهودي بين المسلمين لمن يولونه ووطنوا به على موافقة في السكوت عن نصر عثمان من قاتله لافي الممالاة عليه فغاش الله من ذلك ولقد كان معاوية اذا صرح بعلامته انما يوجهها عليه في سكوتة فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى على أن بيعته قد انعدت ولزمت من تأخر عنها باجماع من اجتمع عليها بالمدنية دار النبي صلى الله عليه وسلم ووطن الصحابة وأرجأ الامر في المطالبة بدم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتممكن حينئذ من ذلك ورأى الآخرون ان بيعته لم تنعد ولا فترق الصحابة اهل الحل والعقد بالآفاق ولم يحضر الا قليل ولا تكون البيعة الا باتفاق اهل الحل والعقد ولا يلزم بعقد من تولاها من غيرهم او من القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضي فيطالبون أولا بدم عثمان ثم يجتمع معون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمر بن العاصي وأم المؤمنين عائشة والزبير وابنه عبد الله وطلحة وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين اختلفوا عن بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الآن اهل العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين اجمعين وتصويب رأيه فيما ذهب اليه وتعين الخطان جهة معاوية يقومون كان على رايه وخصوصا طلحة والزبير لانتقاضهما على على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التائيم عن كل من الفريقين كالشأن في المجتهدين وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني على احد قولي اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصغين فقال والذي نفسي بيده لا يموتن احدا من هؤلاء وقلبه نقي الادخل الجنة يشير الى الفريقين نقله الطبري وغيره فلا يقعن عندك ريب في عدالة احدهم ولا قدح في شيء من ذلك فهم من علمت واقوالهم وافعالهم انما هي عن المستندات وعد التهم مقر وغنها عند اهل السنة الاقوال المعترلة فيمن قاتل عليا لم يلتفت اليه احدا من اهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت انها كانت فتنة ابتلى الله بها الامة بينة ما المسلمون قد اذهب الله عدوهم وما مكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم

والقوة في غير عنف وقال الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق يقول لفظها ويسهل حفظها تكون لاغراضها التقوا لمقاصدها وفقات شرع المستبهم وتوضح المستبحم قلت نعم يا امير المؤمنين دخل اكنتم بن صيني حكيم العرب على بعض

ملوكها فقال له اني سائلك عن شياء لاتزال بصدري محتلمة وماتزال الشكوك عليها والحنة فاجبتني بما عندك فيها فقال آيةت اللعن
سألت خبير او استنبأت بصيرا والجواب (١٢٨) يشقعه الصواب فسل عما يدرك قال ما السواد فقال اصطناع المعروف عند العشرة

بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكانا كثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفالة لم يستكثروا من صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبهم سيرته وآدابه ولا ارتاضوا بخلقهم مع ما كان فيهم في الجاهلية من الجفاء
والعصبية والتفاخر والبعده عن سكينه الايمان واذابهم عند استفحال الدولة قد اصبحوا في ملكة المهاجرين
والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل واهل الحجاز ويثرب السابقة بين الاولين الى الايمان
فاستنكفوا من ذلك وغصوا بهما يرون لانفسهم من التقادم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم
مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة والازد من اليمن وتميم وقيس من مضر فصاروا
الى الغض من قريش والانفة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك بالنظم منهم والاستعداد عليهم
والطعن فيهم بالهجر عن السرية والعدل في القسم عن السوية وفشت القالة بذلك وانتهت الى المدينة وهم
من علمت فاعظموه وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف له الخبر بعث ابن عمر وعجدة بن مسعدة
واسامة بن زيد وامثالهم فلم يتركوا على الاعراض شيئا ولا رأوا عليهم طعننا وادوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن
من اهل الامصار وما زالت الشناعات تنمو وورحى الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه
جماعة منهم وحده عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسألون عزل العمال وشكروا الى
عائشة وعلى والزبير وطلمحة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم ينقطع بذلك ألسنتهم بل وفدس عيدين
العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولا ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن
معه من الصحابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه عن العزل فأبى الا أن يكون على جرحه ثم نقلوا النكير الى
غير ذلك من أفعاله وهو متمسك بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجمع قوم من الغوغاء وجأوا الى المدينة
يظهرون طلب النصفة من عثمان وهم يضمر ون خلاف ذلك من قبله وفيهم من البصرة والكوفة ومصر
وقام معهم في ذلك على وعائشة والزبير وطلمحة وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان الى رأيهم
وعزل لهم عامل مصر فانصرفوا قليلا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتب مدلسين يزعمون أنهم لقوه في يد حمله الى
عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك فقالوا ما كنا من مروا فانه كاتبك لخلاف مروا فقال
عثمان ليس في الحقكم أكثر من هذا فاصروه بداره ثم يتوه على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب
القتلة فدخل كل من هؤلاء عذرا فمما وقع وكاهم كانوا مهتمين بامر الدين ولا يضيعون شيئا من تعلقاته ثم نظروا
بعده هذا الواقع واجتهدوا والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لانظن بهم الا خير الماشه هدت به
أحوالهم ومقالات الصادق فيهم واما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره بعثت
شيعة اهل البيت بالكوفة للحسين ان يأتيهم فيقوموا بامرهم فرأى الحسين ان الخروج على يزيد ممتنع
من أجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنهم انهم بنفسه باهليته وشوكتهم فاما الالهية فكانت كما ظن
وزيادة واما الشوكة فغلط برحمة الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد
مناف وعصبية عبد مناف في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما
نسى ذلك أول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين
فأغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعتها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في
الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها يحكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع
أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحقكم بعض الشيء للعوائد فعدت العصبية كما كانت ولمن كانت
وأصبحت مضر اطوع لبني أمية من سواهم كما كان لهم من ذلك قبل (فقد تبين لك غلط الحسين الا أنه

واحتمال الخمريرة قال
في الشرف قال كف الاذى
وبذل الندى قال في
المجد قال جل المغارم وابتناء
المكارم قال في الكرم
قال صدق الاخاء في الشدة
قال في العز قال شدة
العز وكثرة العدد قال
في السماحة قال بذل
النائل وحب السائل قال
في الغنى قال الرضا بما
يكفي وقلة التقي قال في
الرأى قال لب تعينه
تجربة قال له الملك أوريث
زناد بصيرتي وأذكيت
نار حيرتي فاحتكم قال لكل
كلمة هجيمة قال هي لك
قال الاصحى فقال لي الرشيد
ولك بكل كلمة بدرة
فانصرفت بثمانين ألفا
وكان قس بن ساعدة
يفد على قيسر فيكرمه
فقال له يوما ما أفضل العقل
قال معرفة الرجل بنفسه
قال ما أفضل العلم قال
وقوف الرجل عند علمه قال
في أفضل المروءة قال
استيقاء الرجل ما وجهه
قال في أفضل المال قال
ما قضى به الحق وق
*) (الباب الموفى عشرين
في الخصال التي هي أركان
السلطان*)
قال أبو جعفر فرأى منصور

ما كان أحوجني أن يكون على باي أربعة لا يكون على باي أعف منهم قيل من هم يا أمير المؤمنين في
قال هم أركان الملأ لا يصلح الملأ الا بهم كما أن السرير لا يصلح الا بأربعة قوائم فان نقص قائمة واحدة عابه ذلك أحدهم قاض لا تأخذه

في الله لومة لائم والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستصوي ولا يظلم الرغبة فاني غني عن ظلمهم ثم عرض على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه قال من هو يا امير المؤمنين (١٢٩) قال صاحب بر يد يكتب بخبر هؤلاء على

الصحة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا باربع خصال ان تقصت واحدة لم يصلح له امر ولا نهى قوة على جمع المال من ابواب حله ووضع في حقه وشدة لا جبروت فيها ولاين لاوهن فيه

(الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم)

قال ابن المقفع اذا اكرمك الناس لمال اوسلطان فلا يعجبك ذلك فان زوال الكرامة بزوالها ولا يمكن يعجبك ان اكرمك لادب او علم او دين اعلم ارشدك الله ان اكثر الناس حاجة الى النعمة ا اكثرهم عيالا واتباعا وحشما واصحابا والخائى مستمدون من السلطان ماله من الخلائق السنية

والطرائق العملية مقترون اليه في الاحكام وقطع التناجر وفصل الخصام فهو اخرج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم وشخص بالعلم كبلد بلا اهل وافضل ما في السلطان خصوصاً وفي الناس عموماً محبة العلم والتخلي به والشوق الى استماعه والتعظيم لجلته فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعده من البهيمية ومضاهاته

في أمر دنوى لا يضره الغلط فيه وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه القدر على ذلك ولقد عزل ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية اخوه وغيره في مسيره الى الكوفة وعلموا غلظه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فمروا أن الخروج على يزيد وان كان فاسقاً لا يجوز ما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاقصر واعن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا اتعوه لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأنيهم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصرته فانهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلا على فضله وحقه ويقول سألوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد المخدري وأنس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن أرقم وأمثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصرته ولا تعرض لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط أن تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد يكون ذلك كما يحذر الشافعي والمالكي الحنفي على شرب النبيذ واعلم ان الامريس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن اجتهادهم وانما انقرب قتاله يزيد واصحابه ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقاً قاوم مجر هؤلاء الخروج عليه فأفعله عنه دهم صحيحة واعلم انه انما ينفذ من أعمال الفاسق ما كان مشروعاً وقتال البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعله لانه المؤمن كدفعه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتهاد وقد غلط القاضي ابو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن أعدل من الحسين في زمانه في امامته وعدالته في قتال اهل الاراء وأما ابن الزبير فانه رأى في منامه ما رآه الحسين في وطن كطائف وغلط في أمر الشوكة أعظم لان بني أسد لا يقاومون بني أمية في جاهلية ولا اسلام والقول بتعيين الخطافي جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع على لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك قضى لثنا به ولم نجد ههنا وأما يزيد فعين خطاه فسقه وعبد الملك صاحب ابن الزبير أعظم الناس عدالة وثنا به بعد الله احتجاج مالك بفعله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز مع أن الكثير من الصحابة كانوا يرون أن بيعته ابن الزبير لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل العقد والحل كبيعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهم ما والقتل الذي نزل به بعد تقرير ما قررناه يجبي على قواعد الفقه وقوانينه مع أنه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريمه الحق هذا هو الذي ينبغي ان تحمل عليه أفعال السلف من الصحابة والتابعين فهم هم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة للقدح فن الذي يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين او ثلاثاً ثم يقشوا الكذب بفعل الخير وهى العدالة مختصة بالقرن الاول والذي يليه فإياك ان تعود نفسك أو لسانك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالرأي في شئ مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما استطعت فهم أولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا او قتلوا الا في سبيل جهاد او اظهر الحق واعةتد مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقندي كل واحد من يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه وأكوانه واعلم انه على كل شئ قدير واليه المرجع والمصير والله تعالى اعلم

(١٧ - ابن خلدون) للعالم العلوي وهو من أوكدم ما يتجيب به الى الرغبة واذا كان الملك خالياً من العلوم ركب هواه وأضر برعيته كالداية بالارسن تمر في غير طريق وقد تلف ما تضر به واعلم أن زهر القضايل وحسن المناقب وبهاء الخاسن وما ضا ذلك من تبحر

المطالب ونفس الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة وشرف الخطوة فيكون حسنك أحسن كما يكون
قبلك أفتح وليس أحسن أهل (١٣٠) الدرجات السنية والمراتب العلية أخرج الى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب

٣٢ * (فصل في الخطط الدينية الخلافية) *

لماتين ان حقيقة الخليفة نابعة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسيااسة الدنيا فصاحب الشرع
متصرف في الامرين اما في الدين فيمقتضى التكليف الشرعية الذي هو ما مورب تبليغها وحمل الناس
عليها واما سيااسة الدنيا فيمقتضى رعاية مصالحهم في العمران الدشري وقد قدمنا ان هذه الامور ان
ضروري للدشروا رعاية مصالحهم كذلك لثلايق سدان اهملت وقد قدمنا ان الملك وسطوته كاف في حصول
هذه المصالح نعم انما تكون اكل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم به هذه المصالح فقد صار الملك
يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينقر اذا كان في غير الملة وله على كل حال
مراتب خادمة ووظائف تابعة تبين خطط وتوزع على رجال الدولة وظائف فيقوم كل واحد بوظيفة به
حسب ما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه بسلطانه واما المنصب
الخلافي وان كان الملك يندرج تحت به هذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص بخطط ومراتب
لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فلذلك ان الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الملوكية
السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والقتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة
تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها
وداخلية فيها العموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر احوال الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ احكام الشرع فيها
على العموم فاما امارة الصلاة فهي ارفع هذه الخطط كلها وارفح من الملك بخصوصه المندرج معها تحت
الخلافة ولقد شهد بذلك استدلال الصحابة في شأن ابي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه
في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينه فلا ترضاه لديننا فلولوا ان الصلاة ارفع من
السياسة لما صبح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية
معدة للصلوات المشهودة واخرى دونها مختصة بقرى ومجلى وليست للصلوات العامة فاما المساجد العظيمة
فامر هاراجع الى الخليفة او من يفوض اليه من سلطان او وزير او قاض فينصب لها الامام في الصلوات
الخمسة والجمعة والعيدين والخسوف والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق الاولى والاستحسان
ولثلايق الرعايا عليه في شئ من النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب
اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبا * واما المساجد المختصة بقرى ومجلى فامر هاراجع الى
الحجيران ولا تحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها والمواالي فيها معروفة في كتب
الفقه ومبسوطة في كتب الاحكام السلطانية للماوردي وغيره فلا تطول بذكرها وقد كان الخلفاء الاولون
لا يقلدون غيرها غيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الاذان بالصلاة وترصدهم لذلك
في اوقاتها يشهد ذلك بالباشرة لهم وانهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا كان رجال الدولة الاموية
من بعدهم استنارها واستعظام لمرتبها يحكي عن عبد الملك انه قال لمحاجبه قد جعلت لك حجابة بابي
الا عن ثلاثة صاحب الطعام فانه يقصد بالتأخير والا ذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان في تأخير
فساد القاصدة فلما حات طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والرفع عن مساواة الناس في دينهم ودنياهم
استنابوا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنزيها
فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيد بن صدد ودولتهم واما القتيبة والخليفة نفع اهل العلم
والندريس ورد القتيالي من هو اهل لها واعانته على ذلك ومنع من ليس اهل لها وزجره لانها من مصالح

العلوم والحكم ومطالعة
دواوين العلماء ومجامع
الفقهاء وسير الحكماء من
السلطان وانما كان ذلك
من وجهين أحدهما انه
قد نصب نفسه لممارسة
أخلاق الناس وفصل
خصوصاتهم وتعاطي
حكوماتهم وكل ذلك يحتاج
الى علم بارع ونظر ثاقب
وبصيرة بالعلم قوية ودراسة
طويلة فكيف يكون
حاله لو لم يعد هذه الامور
عندتها ولم يقدم لها أهميتها
والثاني أن من سواه من
الناس لا يعدون من
ينكر عليهم ويعارضهم
ويذكرهم مساوئهم
ويخالفهم في مذاهبهم
فيكون ذلك مما يعينهم
على رياضة أنفسهم وتعلمهم
مراسدهم ومناظرة الاكفاء
ومعاشرة النظر راء تلقيج
العقول وتهذيب النفوس
وتدرييب المأخذ الاحكام
بخلاف السلطان فان
ارتفاع درجته يقطع عنه
جميع ذلك اذ لا يلقاه
ولا يجالس الا المعظم لقدره
مبجل لشأنه وسائر مساويه
ومادح له بما ليس فيه
وانما جوابه لهم صدق
الامير وعلى قدر المرتبة
يكون علو السقطة كما ان
على قدر ارتفاع الحائط يكون صوت الوجبة * (فصل) * يا ايها الملك ليس أحد غرق أن يؤمر بتقوى الله ولا احد دون المسلمين
ان يؤمر بتقوى الله ولا أحد أجل قدر من أن يقبل أمر الله ولا أرفع خطر من أن يتعلم حكم الله ولا اعلى شأن من أن يتصف بصفات الله ومن

صفاة الله العلم الذي وصف به سبحانه نفسه وتمدح بسعته فقال تعالى وسع كرسيه السموات والارض والكرسي هو العلم والكرسي هم العلماء واذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوى الاخطار والاقدار والاشراف (١٣١) والشيوخ فيه أولى لان الخطأ فيهم اقبح

والابتداء بالفضيلة فضيلة

(حكى) ان ابراهيم بن المهدي دخل على المأمون

وعنده جماعة يتكلمون

في الفقه فقال يا عم ما عندك

فيما يقول هؤلاء فقال يا أمير

المؤمنين شغلونا في الصغر

واشغلنا في الكبر فقال

المأمون لم لا تتعلم اليوم

فقال او يحسن بمثلي طلب

العلم فقال نعم والله لان

تموت طالبا للعلم خير من أن

تعيش قانعا بالجهل قال

والى متى يحسن العلم قال

ما حسنت بك الحياة

وروى أن بعض الحكماء

رأى شخصا يطلب العلم

ويحب النظر فيه ويستحي

فقال يا هذا استحي أن

تكون في آخر عمرك أفضل

مما كنت في أوله ولان

الصغير أعذر وان لم يكن في

الجهل عذر وفي منثور

الحكماء جهل الشباب معذور

وعلمه محذور فاما الكبير

فالجهل به أقبح ونقصه

علمه أفضح لان علوا السن

اذ لم يكسبه فضلا ولم يفده

علما كان الصغير أفضل

منه لان الامل فيه أقوى

وحسبك نقيصة في رجل

يكون الصغير المساوى له

في الجهل أفضل منه وكما

ذكرنا من حاجة الشيخ الى

المسلمين في اديانهم فوجب عليه مراعاتها لا يتعرض لذلك من ليس له باهل فيضل الناس وللمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبنه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في أتمها كما مر فلا بد من استئذانه في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون لكل أحد من المفتين والمدرسين راجع من نفسه يمنعه عن التصدي لما ليس له باهل فيضل به المستهدى ويضل به المسترشد وفي الأثر أجروكم على الفتيا أجروكم على جرائم جهنم فلا سلطان فيهم لذلك من النظر ما توجه به المصلحة من اجازة أو رد * وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسنة للتداعي وقطع للنزاع الا انه بالاحكام الشرعية المتقدمة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة ومنه درجاني وعموما هو كان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعرون القضاء الى من سواهم وأول من دفعه الى غيره وفوضه فيه عمر رضي الله عنه فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى أبا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء وهي مستوفاة فيه يقول أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذه وأس بين الناس في وجهك وبجسالك وعدالك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يأس ضعيف من عدلك البيعة على من ادعى واليمين على من أنكر والصالح جائز بين المسلمين الاصلح أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فرأجت اليوم فيه علة وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماسه في الباطل الفهم الفهم فيما تجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بيعة أمدا ينتهي اليه فان حضر بيئته أخذت له بحقه والا استحللت القضية عليه فان ذلك أنفي للشك وأجلى للجماء المسلمون عدول بعضهم على بعض الاجلود في حد أو بحر بأعليه شهادة زور أو ظني في نسب أو ولاء فان سبحانه عقا عن الايمان ودرأ بالبيئات واياك والفتن والضجر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في موطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى كتاب عمر وانما كانوا يقلدون القضاء لغيرهم وان كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة أشغالهم من الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم اعظم العناية فاستحقوا القضاء في الواقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به تحفيضا على انفسهم وكانوا مع ذلك انما يقلدون به أهل عصبيتهم بالنسب أو الولاء ولا يقلدون به بعد عنهم في ذلك واما احكام هذا المنصب وشروطه فمعرفة في كتب الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية الا ان القاضي انما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك أمورا أخرى على التدرج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكرى واستقر منصب القضاء آخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من الجنان والبله والفقير والمفلسين وأهل السفه وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتوزيع الايام عند فقد الاولياء على رأى من رآه والنظر في مصالح الطرقات والابنية وتصفيح الشهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدل والمجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوابع ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج الى علو يد عظيم رهمة تسمع الظالم من الخصمين وتزجر المتعدى وكأنه يضي ما عجز القضاء أو غيرهم عن امضائه ويكون نظره في البيئات

العلم فحاجة السلطان اليه أكثر ودواعيه الى اكتسابه أشد لان من عداه انما تخصه نفسه الواحدة فيقرب عليه تحصيل ما يقوم بهه والمالك من نصيب سياسة اهل مملكته وتعليمهم وتقويم اودهم فهو الى العلم أحوج قال الشاعر
اذ لم يكن من السنين مبرجا

عن الفصل في الانسان سمعة طفلا وماتنفع الاعوام حتى تعدها ولم تستدفيهن علما ولا عقلا ارى الدهر من سوء التصرف ماثلا
الى كل ذي جهل كان به جهلا (١٣٢) وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة وكيف يستدرك

ملك اودومنزلة عليقة عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين في أقصى المغرب على بحر الظلمات الى لقاء الخضر ليتعلم منه فلما ظفر به قال هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا هذا هو نبي الله وكليمه وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصافته من جميع خلقه قد اوصاه به وعلمه كيف يستنزل ما في خزائنه فقال وقل رب زدني علما فلو كان في خزائنه أشرف من العلم لنبيه عليه وهذا آدم عليه السلام لما انفرت الملائكة بتسبيحها وتقديسها الرب انخر آدم بالعلم فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلما عجزوا أمرهم بالسجود له وأخلى بخصلة تستدعي السجود لحاملها ان يتنافس فيها كل ذي لب وهذا فصل الخطاب لمن تدبره ولا تنصن لك عذرا بما روى في بعض الاخبار مثل الذي يتعلم العلم في الصغر كالوشم على الصخر والذي يتعلم في الكبر كالنقش على الماء فقد سمع الاحنف رجلا يقول النعم لم في

والنقر يروا اعتماد الامارات والقرائن وتأخير الحكم الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود وذلك أوسع من نظر القاضي وكان الخلفاء الاولون يباشرونها بانفسهم الى أيام المهدي من بني العباس وربما كانوا يجعلونها لقضاةهم كما فعل عمر رضي الله عنه مع قاضيه أبي ادريس الخولاني وكما فعله المأمون ليحيى بن أكرم والمعتصم لاجد بن أبي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطوائف وكان يحيى بن أكرم يخرج أيام المأمون بالطائفة الى أرض الروم وكذا مئذ بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بني أمية بالاندلس فكانت تولية هذه الوظائف انما تكون للخلفاء أو من يجعلون ذلك له من وزير مفوض أو سلطان متغلب وكان أيضا النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة العباسية والاموية بالاندلس والعبيديين بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهي وظيفة أخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النطاق فيها عن أحكام القضاء قليلا فيجعل لاهلها في الحكم مجالا ويقرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود النابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ثم تنويسي شأن هاتين الوظيفتين في الدول التي تنويسي فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجعا الى السلطان كان له تقويض من الخليفة أو لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك في هذه الدول كما يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالي وتارة باسم الشرطة وبقسم التعازير واقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعا في مع ذلك للقاضي مع مائة دم وصار ذلك من توابع وظيفته ولايته واسمته تقرر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبة الدولة لان الامراء كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبتهم من العرب ومواليهم بالحلف أو بالرق أو بالاصطناع ممن يوثق بكفايته أو غنائمه فيما يدفع اليه ولما انقرض شأن الخلافة وطوروا صار الامر كله ملكا أو سلطانا صارت هذه المخطط الدينية بعيدة عنه بعض الشيء لانها ليست من القاب الملك ولا مراسمه ثم خرج الامر من العرب وصار الملك لسواهم من أمم الترك والبربر فازدادت هذه المخطط الخلافية بعد انهم منحها وعصبتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشرعية دينهم وان النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأحكامه وشرائعه نجاتهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك انما يولونها جانا من التعظيم لما ادانوا بالملة فقط فصاروا يقلدونهم من غير عصابتهم من كان تأهل لها في دول الخلفاء السالفة وكان أولئك المتأهلون لما أخذهم ترف الدول منذ مئتين من السنين قد نسوا عهد البداءة وخشوتها والندسوا بالحضارة في عوائد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن أنفسهم وصارت هذه المخطط في الدول الملوكة من بعد الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في اهل الامصار ونزل أهلها عن مراتب العز لفقد الأهلية بانسابهم وما هم عليه من الحضارة فحقهم من الاحتقار ما لحق الخضر المنهسيين في الترف والدعة البعدهاء عن عصبة الملك الذين هم عيال على الحماية وصار اعتبارهم في الدولة من اجل قيامها بالملة واخذها باحكام الشرع لما انهم المحاملون للاحكام المقنون بها ولم يكن ايتارهم في الدولة حينئذ اكرامالذواتهم وانما هو لما يتلمع من التجميل بمكانهم في مجالس الملوك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيما من المحل والعقد شيء وان حضر وهو فصور رسمي لاحقية وراعاة اذ حقيقة المحل والعقد انما هي لاهل القدرة عليه فن لا قدر له عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا أخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلق

الفتاوى
وقد كان أصحاب النبي عليه السلام يسلمون شيئا وكهولا واحدا كانوا يتعلمون العلم والقرآن والسنة وهم يحور العلم وأطواد الحكم

والفقه غير أن العلم في الصغر أرخص وأسبق فروعاً وليس إذا لم يحضره بقوة كماله قال رجل لابي هريرة رضي الله عنه اني اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال ابو هريرة كفي بترك كماله تضييعاً وبعض الخير خير (١٣٣) من كل الشر وانما مثل الجاهل تحت

غيب الجهل مثل الجاهل تحت جبل ثقل فانه كلما اعيا نقصه قليلاً قليلاً يوشك ان ينقصه كله فيستريح منه وان هو لم يطرح القليل حتى يطرح الكثير فما اوشكه ان يصرفه كله وكذلك الجاهل اذا تعلم قليلاً قليلاً يوشك ان يأتي على بقیته وان لم يتعلم في الكبر لما فاتته في الصغر فاوشكه ان يموت تحت غيب الجهل

(الباب الثاني والعشرون في وصية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب)

رضي الله عنه لكيلا ينقص من زيادتي العلم واهله قال كيلا ينقص من زيادتي الخي خرجت مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى الجبانة فلما اصغر تنفس الصعداء ثم قال يا كيلا ينقص من زيادتي القلوب اوصية فخيرها واوعاها للخير احفظ عني ما قول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومثلي علي سبيل نجات وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيوا بنور العلم ولم يلجؤا منه الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكوك

الافتاوى منهم فذبح والله الموفق وربما يظن بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الملوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة من الشورى مرحوح وقد قال صلى الله عليه وسلم لم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما ظنوه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيداً عن السياسة فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقتضي لهم شيئاً من ذلك لان الشورى والحل والعقد لا تكون الا لصاحب عصبة يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك وأما من لا عضبة له ولا يملك من امر نفسه شيئاً ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى أو أي معنى يدعوا الى اعتباره فيها اللهم الا شورا فيما يعلمه من الاحكام الشرعية فوجوده في الاستفتاء خاصة واما شورا في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبة والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الملوك والاعراء الشاهدة لهم بحجيميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينسب اليه باي جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم لم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء في الغالب لهذا العهد وما احتف به انما جلا الشريعة اقوالاً في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكبرهم ولا يتصفون الا بالاقل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم واهل الدين والورع من المسلمين جلا الشريعة اتصافها وتحققها بما ذاهبها في جملة اتصافها وتحققها دون نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة التشيرى ومن اجتمع له الامر ان فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء على اثرهم واذا انفردوا من الامة باحد الامرين فالعابد احق بالورثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد واث صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئاً انما هو صاحب اقوال ينصها علينا في كيفية العمل وهؤلاء اكثر فقهاء عصرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ما هم

(العدالة) وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصرفه وحقه هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملاً عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس واملاهم وديونهم وسائر معاملاتهم وشروط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام فصولها ومن جهة احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران (١) على ذلك والممارسة له اختصاص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القائمون به كانوا محتصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشروط العدالة فيهم وان لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهد عليه في ذلك كله وهو ضمان دركها واذ اتعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمت الفائدة في تعيين من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباها الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فيعولون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في سائر الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس عليها فيتعاهد هم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقيدهم بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركة بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله تعالى اعلم

(الحسبة والسكة) اما الحسبة فهي وظيفة دينية من قوله المران بكرم الميم التمرن والاعتيا على الشيء اه

الانفاق والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم المال محكوم عليه ومحبة العالم دين يدان الله به يكسبه الطاعة في حياته وجبل الاحدوث بعد وفاته مات خزان الاموال وهم احياء والعلم باقون ما بقي الدهر اشخاصهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة هان ههنا واشان

بمنه الى صدره لعلم اجالواصبته له جملة بلى قد اصبته له لثنا غير مأمون عليه يستعمل آله الدين للدين فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه او كما قال وبنعمته على عباده (١٣٤) او منقاد الالهل الحق لا بصيرة له في اخباته ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة

باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه أمه لا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزرو ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الجمالين واهل السقن من الاكثاري الحمل والحكم على اهل المبالى المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع واستعداد بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوى مظالم في ما يتعلق بالنفس والتدليس في المعاش وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضا حمل الماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكانها أحكام ينزه القاضي عنها مومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعهما على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب والامويين بالاندلس داخلية في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختباره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاما في امور السياسة اندرجت في وظائف الملك وافردت بالولاية (وأما السكة) فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يد اخاها من الغش والنقص ان كان يتعامل بها عددا أو ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداء والخموص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد تحت ذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدينار بعد أن يقدر ويضرب عليه بالمطرقه حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبيل والتخلص في متعارف أهل القطر ومذاهب الدولة المحكمة فان السبيل والتخلص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا وقف أهل أفق او قطر على غاية من التخلص وقفوا عندها وسوها ما ماعيا باعتبارون به نقودهم ويتقدونها بما ثلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتدرج تحت الخلافة وقد كانت تدرج في عموم ولاية القاضي ثم افردت لها هذا العهد كموقع في الحسبة هذا آخر الكلام في الوظائف الخلاقية وبقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه وأخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والمخارج صارت سلطانية تتكلم عليها أما كنها بعد وظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد بطلت بطلانه الا في قليل من الدول عيارسونه ويدرجون أحكامه غالبا في السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة أو الحق في بيت المال قد بطلت لدنو الخلافة ورسموها وبالجملة قد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم المال والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الامور كيف يشاء

٣٣ * (فصل في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء) *

وذلك انه لما بويع ابو بكر رضي الله عنه كان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل الامر على ذلك الى أن هلك فلما بويع لعمر بعده اليه كانوا يدعونه خليفة الله صلى الله عليه وسلم وكانهم اسئله لواء هذا اللقب بكثرة وطول اضافته وانه يتزايد فيما بعد دائما الى أن ينتهي الى الهجينة ويذهب منه التميز بتعدد الاضافات وكثرها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب الى ما سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فعيل عليه ونذكر ههنا منافع

الا لا ذولا ذاك أو مهموما بالذات سريع الانقياد للشهوات أم آخر شأنه جمع المال والادخار ليسامن رعاة الدين أقرب شهما بهم الانعام السائلة اللهم فكذلك يموت العلم يموت حامله ولا يمكن ان تخلو الارض من قائم لله سبحانه بحجة ثلاث تبطل حجج الله وبياناته ومن أولئك وأين أولئك أولئك الاقلون عددا الاكثر عند الله قدرا تخزن الحكمة في قلوبهم حتى يزعموها في قلوب أشباههم ويودعوها في صدور نظرائهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلنوا ما استوحشه المتبرفون واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأجساد ارواحها منعلقة بالخل الاعلى أولئك تعلقوا بالله في بلاده ودعائه الى دينه أه شوقا الى رؤيتهم

(الباب الثالث والعشرون في العقل والدعاء والمخبت) قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل وأقسامه ومحله وأحكامه بما لمزيد عليه ونذكر ههنا منافع

ومداركه ولباب ما تحرر من القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد على الغائب فن كان في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه وذلك أن من نظر الى قسم من

قد كل بنيانه وحصنت أركانه وجعلت فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنوه فاشرف عليه انسان فرأى بيتا متطوعة وأبوابا منصوبة
وفرشامقروشة وزرابي مبثوثة وموائد موضوعة وصحاف مصفوفة وأرائك منصوبة (١٣٥) وجلال مشدودة وطسوت وأباريق

وبيوت ماء وميازيب
تصب الماء وتحتها بالأيح
لغرض الماء الى سائر
ما يستعد العلاء فلا تنفعا
ثم فكر هل هذا القصر
بما حواه صنعة قادر صانع
عالم حي أو اتفق لنفسه
وتركب على صورته بلا
صانع فيستقر في عقله
بالضرورة استحالة وجوده
من غير صانع وأنه مقتدر
الى صانع صنعه وهذا علم
يجمع على العقول لا يقتصر
الى نظر واستدلال وإنما
كثرت لك هذه الامثلة
لان ما في الانسان من
الاعضاء ولطف الصنعة
والعجائب أكثر مما في
القصر بأضعاف مضاعفة
فاذا نظرت الى ما في نفسه
فرأى فيها من العجائب
والتركيب ومنفعة كل
عضو وتخصيصه بما يحتاج
نفع أو دفع ضرر فأنظر
في عضو واحد مثلا وهو
فمه فيرى في اوله اسنانا
تشبه الفأس تصلح للقطع
وفي آخره طواحين مدرسة
تصلح للطحن وشدين
كانهما ثغال الرحي يمنعان
ان ينهرق الطعام الى
خارج لسانا يرد ما انقلب
من الطعام اليه على
الطواحين ثم يبل ذلك

من الامارة وقد كان المجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الحجابة أيضا
يدعون سعد بن ابى وقاص أمير المؤمنين لآمارته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذ اتفق أن
دعوا بعض الحجابة عمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان أول
من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل يزيد جاء بالفتح من بعض
البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر يقول أين أمير المؤمنين وسمعه اصحابه فاستحسنوه وقالوا
أصبت والله اسمعنه والله أمير المؤمنين حقا فدعوه بذلك وذهب لقبه في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده
سنة لا يشاركون فيها أحد سواهم سائر دولة بني أمية ثم ان الشيعة خصوا عليا باسم الامام نعمتاله بالامامة التي
هي أخت الخلافة وتعرضا بذهبهم في انه أحق بالامامة الصلوة من ابى بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه
بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالامام ماداموا يدعون لهم
في الخفاء حتى اذا استولون على الدولة يتحولون للقب فيمن بعده الى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس
فأنهم ما زالوا يدعون أنهم بالامام الى ابراهيم الذي جهر وبالبدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما
هلك دعى أخوه السفاح بامير المؤمنين وكذا الرافضة باقرية فأنهم ما زالوا يدعون أنهم من ولد اسمعيل
بالامام حتى انتهى الامر الى عبيد الله المهدي وكانوا أيضا يدعون بالامام ولا ينفكوا عن القاسم من بعده فلما
استوثق لهم الامر دعوا من بعدهما بامير المؤمنين وكذا الادوية بالمغرب كانوا يلقبون ادريس بالامام
وابنه ادريس الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بامير المؤمنين وجعلوه سنة لمن يملك
الحجاز والشام والعراق الموطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة واهل الدولة والفتح وازداد ذلك في
عنقوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يميز به بعضهم عن بعض لما في أمير من الاشتراك بينهم فاستحدث
ذلك بنو العباس حجابا لاسمائهم الاعلام عن امتناعها في السنة السوقة وصونهم لما عن الابتذال فلقبوا
بالسلاج والمصور والمهدي والرشيد الى آخر الدولة واقنوا أثرهم في ذلك العبيديون
باقرية ومصر وتجنبا بنو أمية عن ذلك بالمشرق قبلهم من الغضاضة والساجدة لان العروبة
ومنازعها لم تفارقهم حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداءة الى شعار الحضارة وأما بالاندلس فلقبوا كسلفهم
مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة والبعده عن دار
الخلافة التي هي مركز العصبة وانهم انما منعوا بامارة القاصية أنفسهم من مهالك بني العباس حتى اذا جاء
عبد الرحمن الداخل الاخر منهم وهو الناصر بن محمد بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول
المائة الرابعة واشتهر مانال الخلافة بالمشرق من الحجاز واسد ابداد الموالى وعيشهم في الخلفاء بالعزل
والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافر بقبيلة وتسمى
بامير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله وأخذت من بعده عادة ومذهب لقن عنه ولم يكن لابائه وسلف
قومه واستمر الحال على ذلك الى أن انقرضت عصبة العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالى
من العجم على بني العباس والصنائع على العبيدين بالقاهرة وصنعة على أمراء افر بقبيلة وزبانية على المغرب
وملوك الطوائف بالاندلس على اربى أمية واقدموه وافتقر امر الاسلام فاختلقت مذاهب الملوك
بالمغرب والشرق في الاختصاص باللقاب بعد أن تسوا جميعا باسم السلطان فاما ملوك المشرق من العجم
فكان الخلفاء يخصصونهم باللقاب تشرقية حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف
الدولة وعز الدولة ووركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملوك وبهاء الدولة وذخيرة الملوك

بلعوم لا زدراده بعد الطحن علم بادنى تأمل ان هذه الخلق ما انعمت بنفسها اتفقا بل هي مفتقرة الى قصد قاصد وجعل جاعلى وعلى هذا
الخط لودهننا نذكر منفعة كل عضو لو قففت على العجب ولكن تركناه كراهية التطويل وعلى هذا المعنى نبه الكتاب المهين فقال تعالى

وفي أنفسكم أفلا تبصرون وهذه العبرة تستقل العقول بآيات الصانع وتستغنى عن النظر في الجواهر والاعراض فالعلم المقيّد لا يثبت
الصانع في الشاهد مثل البناء والتجار (١٣٦) والخياط وأشباههم بعد النظر في صنائعهم على اضطرار العلم المثبت للصانع سبحانه

عند النظر في حدوث العالم
علم استدل اعتبارا
للغائب بالشاهد فلا فرق
في القول بين صنعة
وصنعة في اقتضاء صانع
وانما كان العلم في الشاهد
ضروريا لان الانسان لم
ينزل يرى البناء يدني
والخياط يخيط والتجار
ينجز الخشب ولم تر العقلاء
القديم سبحانه يخلق
ويخترع وانما استفادوه
من النظر في الشاهد فان
قيل فاي العلمين أقوى في
النقوس وأثبت في العقول
العلم بالصانع النظر في
السرير واقتضائه للتجار
أم العلم بالاله عند النظر في
السموات والارضين وما
بينهما فالجواب ان هذا
يستدعي تفصيلا وتدقيقا
وليس هذا الكتاب
موضوع لذلك فيثبتنا علم
ان معه عقلا غير يزيا
ونسميه عاقلا ونوجه
التكليف عليه وهو العقل
التكليفي واذا ثبت هذا
فألم ان الله تعالى خلق
الخلق على أربعة أنحاء
ملائكة وآدميين
وشياطين وبهائم فاما
الملائكة فعقول بلا شهوات
ولا هوى يقارنه وأما البهائم
فشهوات بلا عقول وأما

وامثال هذه وكان العبيدون أيضا يخصون بها أمرا صحتها فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه
اللقاب وتجاؤا عن القاب الخلافة أديا معا وعدوا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدين كما
قلناه قبل ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قوى استبدادهم على الملك وعلا كبرهم في الدولة والسلطان
وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة إلى انتحال اللقب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور وزيادة
على القاب يختصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاة والاصطناع عما أضافوها إلى
الدين فقط فيقولون صلاح الدين أسد الدين نور الدين وأما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا القاب
الخلافة وتوزعوها لثلاثة أسبغادهم عليها كما كانوا من قبيلها وعصبيتها فاقسموا بالناصر والمنصور والمعمد
والمظفر وأمثالها كما قال ابن أبي شرف يعني عليهم

مما نرشدني في ارض أندلس * اسماء معتمد فيها ومعتمد

اللقاب ملكة في غير موضعها * كالمركبي انتفاخ صورة الاسد

وأما صحتها فاقصر واعلى القاب التي كان الخلفاء العبيديون يلقبون بها المتنويه مثل نصير الدولة
ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما أدلوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين
الخلافة ونسوا عهدا فنسوا هذه القاب واقتصر واعلى اسم السلطان وكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب
لم ينتحلوا شيئا من هذه القاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البدو والغضاضة ولما حصى رسم
الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فخلع العديتين وكان
من أهل الحير والافتداع نزعته به همته إلى الدخول في طاعة الخلافة تكريما لاسم دينه فخاطب
المسلمة فظهر العباسي وأوفد عليه ببيعة عبد الله بن العربي وانه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطالبان
توليته اياه على المغرب وتقليده ذلك فانتقلوا اليه بعهد الخلافة له على المغرب واستشعار زعيمهم في لبوسه
وربته وخاطبه فيه بامير المؤمنين تشرى بقاله واختصاصا فاختارها لقبوا وقال انه كان دعي له بامير المؤمنين
من قبل أديامع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع السنة وجاء
المهدي على أثرهم داعيا إلى الحق أخذوا بمذاهب الاشعرية ناعيا على أهل المغرب عدوهم عنها إلى تقليد
السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول اليه ذلك من التجسيم كما هو معروف من مذهب
الاشعرية وسمى اتباعه الموحدين تعريضا بذلك النكير وكان يرى رأى أهل البيت في الامام المعصوم
وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالامام اوليا قلناه من مذهب الشيعة في
اللقاب خلفائهم وأردف بالمعصوم إشارة إلى مذهبهم في عصمة الامام وتنزهه عن اتباعه عن أمير المؤمنين
أخذوا بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الانحمار والولدان من أعقاب أهل الخلافة
يومئذ بالمشرق ثم انتحل عبد المؤمن ولي عهده اللقب بامير المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد
المؤمن وآل أبي حفص من بعدهم استشارا به عن سواهم لما دعا اليه شيخهم المهدي من ذلك وأنه
صاحب الامر وأولياؤه من بعده كذلك دون كل احد لا تنفع عصبية قریش وتلاشيها فلك ذلك دأبهم
ولما انتقض الامر بالمغرب وانتزع زبانه ذهب أولهم مذاهب البدو والسذاجة واتباع لمتونة في انتحال
اللقب بامير المؤمنين اديامع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها النبي عبد المؤمن أولا ولبنى أبي حفص من
بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب بامير المؤمنين وانتحلوه هذا العهد استبلاغا في منازع الملك وتقيما
لمذاهبه وسماته والله غالب على امره

الشياطين والجن فركب الله فيها العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في نبي آدم العقل والهوى والشهوة
فغلبت شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا أوقاتهم بالخلق المذمومة بالكبر والحب والمقت والفخر والدعوى والحسد

والاذية وسائر الاخلاق المهلكة وأما البهايم فتقتض أوقاتها في شهوات البطن والفرج وأما الآدميون فركب فيهم عقول الملائكة وأخلاق الشياطين وشهوات البهايم فن غالب عقله هو اه منهم فكانه من عالم (١٣٧) الملائكة كالانبياء والرسل والاولياء

والاصفياء وقلة من ما هم
وأما من كان عقله مغلوبا
بهواه وشهواته فان كان
ذلك من المباحات من
المطاعم والملابس
والمراكب والنساء والخيل
المسومة والانعام والمحرمات
فكل وتمتع بعد ان كسبه
من حله فهذا من عالم البهايم
وانما الحقة بعالم البهايم
لانه لا تكلف على البهايم
وكذلك هذه المباحات لا
خرج في الاستمتاع بها بعد
ان يكون كسبه من حله
وان كان الغالب عليه
أخلاق الشياطين من
الكبر والعجب والتعبد
والغش الى سائر الاخلاق
المذمومة فهذا من عالم
الشياطين وان اجتمع في
الشخص افراط الشهوات
واتباع الهوى والاخلاق
المذمومة فيكون آدميا في
صورته شيطانيا في خلقاته
بهيمة في شهواته فلا يصح
للحجة وان ثبت هذا فاعلم
ان هذا العقل الغريزي
أطول رقدة من العين
وأوج الى الشك من
السيف (فصل) فلما
العقل المكتسب وهو
نتيجة العقل الغريزي فهو
ثقابة المعرفة واصابة
الذاكرة وليس له حد ينتهي
اليه لانه يتو اذا استعمل

٣٤ (فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود) *

(اعلم) ان الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرائعها ويكون كالخليفة فيهم
للهي فيمما جاء به من التكاليف والنوع الانساني ايضا بما تقتضيه من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع
البشري لا بد له من شخص يحملهم على مصالحهم وينزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة
الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا وعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا وكرها اتخذت
فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القاطنين بها اليها معا وامام اسوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم
عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا ولا في المدافعة فقط فصار القاطن بها امر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك
وانما وقع الملك لمن وقع منه بالعرض ولا مرغبه في ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية لما فيها من الطلب
للملك بالطبع لما قدمناه لانهم غير مكلفين بالتغلب على الامم كفي الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة
دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليهم انخوا ربهم بمائة سنة
لا يعتنون بشيء من امر الملك انما هم اقامة دينهم فقط وكان القائم به بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة
موسى صلوات الله عليه يقيم لهم امر الصلاة والقربان ويشترون فيه ان يكون من ذرية هرون صلوات
الله عليه لان موسى لم يعقب ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتولون
أحكامهم العامة والكوهن اعظم منهم رتبة في الدين وابتعد عن شغب الاحكام واتصل ذلك فيهم الى ان
استحكمت طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة للملك فعملوا الكنعانيين على الارض التي اورثهم الله بيت
القدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله عليه فخار بهم أمم الفلستين والكنعانيين
والارمن واردين وعمان ومأرب ورياسهم في ذلك راجعة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحو امان
اربعمائة سنة ولم تكن لهم صولة الملك وضجر بنو اسرائيل من مطالبة الامم فطلبوا على لسان شعويل من
انبيائهم ان يأذن الله لهم في تملك رجل عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلستين ثم ملك بعده
داود ثم سليمان صلوات الله عليهم ما واستعمل ملكا وامتد الى الحجاز ثم اطراف اليمن ثم الى اطراف بلاد
الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين
كانت احدهما بالجزيرة والموصل للاسباط العشرة والآخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم
غلبهم ثم تختصر ملك بابل على ما كان بأيديهم من الملك أولا الاسباط العشرة ثم ثانيا بني يهوذا وبيت
القدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخرب معبدهم وأحرق توراتهم وأمات دينهم ونقلهم الى اصبهان
وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكيمانية من الفرس الى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من
خروجهم فينبوا المسيح وأقاموا امر دينهم على الرسم الاول للكهنة فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر
وبنويونان على الفرس وصار اليه وفي ملكتهم ثم فشل أمر اليونانيين فاعتزل اليه ودعاهم بالعصبية الطبيعية
ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم ومقام ملكهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشمتاي وقائلوا يونان
حتى انقرض أمرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت أمرهم ثم رجعوا الى بيت المقدس وفيها بنو هيردوس اصهار
بني حشمتاي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة وأخشعوا في القتل والهدم والتخريب وخرّبوا
بيت المقدس وأجلوهم عنها الى رومة وماوراءها وهو الخراب الثاني للمسيحية يسمى اليهود بالجملة الكبرى
فلم يبق لهم بعد هدم ملكهم لفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملك الروم ومن بعدهم يقيم لهم أمر دينهم
الرئيس عليهم المسمى بالكوهن * ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بمجاهاهم به من الدين

(١٨ - ابن خلدون) وينقص ان أهمل ونمأ، يكون باحد وجهين اما ان يقارنه من مبدأ المشوذة كعوض حسن فطنة كالذي قال
الاصمعي قالت لعلام حدث من اولاد العرب كان يجردني وأمتعني الله بقصاحته وملاحته أسيرك ان يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحق

قال لا والله قلت ولم قال أخاف ان يحني على حقي جناية تذهب بمالي ويبقى على حقي فاستخرج هذا الصبي بفرط ذكائه ما يدق على من هو أكبر منه سنا وقيل لبعض

(١٣٨)

الصبيان

والنسخ لبعض أحكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من إبراء الأكمه والابصر وإحياء الموتى واجتماع عليه كثير من الناس وأمنوا به وأكثرتهم الحواريون من أصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلا إلى الآفاق داعين إلى ملته وذلك أيام أوغسطس أول ملوك القيصرية وفي مدة هيردوس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمناى إصهاره فغضبته اليهود وودوا كذبوه وكتب هيردوس ملكهم ملك القيصرية أوغسطس يغريه به فأذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من أمره وافترق الحواريون شيعة وأدخل أكثرهم بلاد الروم داعين إلى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القيصرية ثم كتبوا الانجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى انجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم إلى اللسان اللاتيني وكتب لوقا منهم انجيله باللاتيني إلى بعض أكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللاتيني ونسبه إلى مرقس تلميذه واختلفت هذه النسخ الأربع من الانجيل مع أنها ليست كلها وحياصر قابل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وكلها مواضع وقصص والاحكام فيها قليلة جدا واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصبروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها مذالك الكتاب التي يجب قبولها والعمل بها من شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة أسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا وأسفار الملوك أربعة وسفر بنيامين وكتاب المقدس لابن كريبون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب أيوب الصديق ورامير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وزير سليمان ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الأربع وكتب القتاليقون سبع رسائل ونامنها الايريكسيس في قصص الرسل وكتاب بولس أربع عشرة رسالة وكتاب اقليمنطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالمسيس وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي واختلف شأن القيصرية في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم أهلها ثم تركها الأخرى والتسلط عليهم بالقتل والنجى إلى أن جاء قسطنطين وأخذ بها واستمر على ما كان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه خلفاءه إلى ما بعده عنده من اعم النصرانية ويسمونه الاسقف أي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويقيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب وأكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بهادين النصرانية إلى أن قتله نير وزخامس القيصرية فحين قتل من البطاريق والاساقفة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اريوس وكان مرقس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو أول البطاركة فيها وجمع له اثني عشر قسا على أنه اذا مات البطرك يكون واحدا من الاثني عشر مكانه ويختار من المؤمنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة إلى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعدهم وعقائده واجتمعوا بانيقية أيام قسطنطين لتحرير الحق في الدين واتفق ثلثائة وثمانية عشر من أساقفتهم على رأى واحد في الدين فكتبوه وسموه الامام وصبروه أصلا يرجعون إليه وكان فيما كتبوه أن البطرك القائم بالدين لا يرجع في تعيينه إلى اجتهاد الاساقفة كما قرر حنانيا تلميذ مرقس وابطلوا ذلك الرأى وانما يتقدم من ملاوا اختيار من أئمة المؤمنين ورؤسائهم فبقى الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم

وغاية اصابه الوهم وليس للذكائه ولا الجوده القرينة نهاية ألا ترى ان اياس بن معاوية الذي يضرب المثل بذكائه قال لا يبه وهو مقل وكان أبوه يؤثر أخاه عليه بأبى تعلم ما مثلى ومثل أخى معك أنا كفرخ الحجام أقبح ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر ازداد ملاحه وحسنه فاقبني له العلى ويتخذ له المربعات ويستحسنه الملوك ومثل أخى مثل الحش الملمح ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر قبح وصار إلى القهقري انما يصلح لجل الزبل والتراب والوجه الثاني ما يصلح لذوى الحكمة وصحة الروية لطول ممارسة الامور وكثر التجارب ومرور الغير على اسماعهم وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتناسخ الدول قد مرت على عيونهم وجوه الغير وتصدت لاسماعهم أنواع الاخبار وآثار العبر قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأديبا بقلب الايام عظمة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل ولذلك جدت آراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار وينابيع

الاجبال لا يطيش لهم سبهم ولا يسقط لهم وعليهم كما رآه الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم مجمعات الأيام حكمة وتجربة وقد قال الشاعر ألم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب وقال آخر

إذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الأيام في كرها عقلا غير أن للعقل آفات كما قال بعض الحكماء كيف نرجو العاقل النجاة والهووى والشهوة قد اكنتناه والهووى أبعد من أن ينقذ فيه حيلة الحازم المحتال (١٣٩) وهو أغض مسل كما في الجنان من الروح

في الجنان وأملك بالنفس من النفس والمالك للشيء ولهذا قيل كم من عقل أسير عنده هو أمير فن أحب أن يكون حرا فلا هووى والا صار عبدا كما قال علي بن

الجهنم

أنفس حرة ونحن عبيد
ان ريق الهوى لرق شديد
واختلف الناس في العقل
المكتسب اذا تناهى وزاد
في الانسان هل يكون
فضيلة أم لا فقال معظم
العقلاء انه فضيلة اذا كان
محجوع آحادا والا حاد
فضائل ولا شك ان كثرة
القضائل فضيلة اما الشيء
المحدود فكون الزيادة
فيه نقصا من المحمود
كأنه - ورفى الشجاعة

والنذير في الكرم فاما
الزيادة في العقل المكتسب
فزيادة علم بالامور وحسن
اصابة بالظنون ومعرفة
ما لم يكن بما قد كان وروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال
أفضل الناس أعقل الناس
وقال عليه السلام العقل
حيث كان ألف مألوف
وقال القاسم بن محمد لم
يكن عقله أغلب خصال
الخير عليه كان حقه في
أغلب الخصال عليه ولما
مات بعض الخلفاء حشدت

مجتمعات في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقى الامر فيها على ذلك واتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطرك وكان الاساقفة يدعون البطرك بالاب أيضا تعظيما له فاشتهبه الاسم في اعصار متطاولة يقال آخرها بطركية هرقل بالاسكندرية فارادوا ان يميزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه أبو الآباء وظهر هذا الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جر جيس بن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمعة عليه الى الآن ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعقدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبها فاختلاف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان استقرت لهم ثلاثة طوائف هي فرقةهم ولا يلتفتون الى غيرها وهم الممكية واليعقوبية والنسب طورية ولم نر أن نسجهم أوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على الجملة معروفة وكلها كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال انما هو الاسلام او الجزية أو القتل ثم اختلفت كل فرقة منهم في بطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على رأى الممكية ورومة للأفرنجية وممليكهم قائم بتلك الناحية و بطرك المعاهدين بمصر على رأى اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والمحبة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم اساقفة ينوبون عنه في اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا بطرك رومة لهذا العهد ولا يسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بيا من موحدتين من أسفل والنطق بهام مخمة والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الافرنجية انه يحضهم على الانقياد للملأ واحد يرفعون اليه في اختلافهم واجتماعهم يخرجهم من افتراق الكلمة ويخبر به العصبيات التي لا فوقها منهم لانه يكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرذور وحرفه الوسط بين الذال والطاء المعجمة ومباشرة يضع التاج على رأسه للتبرك فيسمى المتوج ولعله معنى لفظه الانبرذور وهذا المختص ما وردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهن والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

٣٥ * (فصل في مراتب الملأ والسلاطان والقاهما) *

اعلم ان السلاطان في نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيل فلا بد له من الاستعانة بابناء جنسه واذ كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنته فاطنك بسياسة نوعه ومن استبرعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم والى كف عدوان بعضهم على بعض في أنفسهم بامضاء الاحكام الوازنة فيهم وكف العدوان عليهم في اموالهم باصلاح سبلتهم والى حمله على مصالحهم وماتعتهم به البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعاش والمكاييل والموازين حذر من التطفيف والى النظر في السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش والى سياستهم بما يبريده منهم من الانقياد له والرضا بمقاصده منهم وانقراده بالحدود منهم فيتحمل من ذلك فوق الغاية من معاناة القلوب قال بعض الاشراف من الحكماء معاناة نقل الجبال من اما كنهاهون على من معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت بأولى القرى من اهل النسب او التربة او الاصل طناع القديم للدولة كانت اكمل لما يقع في ذلك من محاسنة خلقهم لخلقهم فتمت المشاكلة في الاستعانة قال تعالى واجعل لى وزيرامن اهلى هرون انجى اشد دبه ازرى واشركه فى امرى وهو امان يستعين فى ذلك بسيفه وقلمه أو رايه أو معارفه أو بحجابه عن الناس ان يزدجوا عليه فيشغلوه عن النظر في مهاتهم او يدقع النظر فى الملك كله ويعول على كفايته فى ذلك واضطلاعه فلذلك قد تو جد فى رجل واحد وقد تقتر فى أشخاص وقد يتفرع كل واحد منها الى فروع

الروم واجتمعت ملوكها وقالوا الا ان يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وضر بوا فى ذلك مشاورات وتراجوا فيه بالنظر ارات واجمعوا على انه فرصة الدهر وغرة الخرو كان رجل منهم من ذوى الرأى والمعرفة غايبا عنهم فقالوا من الحزم عرض

الرأي عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال غدا أخبركم إن شاء الله فلما أصبحوا غدا وعلم به للوعد وقالوا القدوع قد تناقل نعم (١٤٠) فامر بأحضار كل من عظمين قد أعدوا ما هم حرس بينهم وأب كل واحد على الآخر

كثيرة كالتعلم يتفرع إلى قلم الرسائل والمخاطبات وقلم الصكوك والقطاعات وإلى قلم المحاسبات وهو صاحب الحماية والعطاء وديوان الجيش وكالسيف يتفرع إلى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية النعمور ثم أعلم أن الوظائف السلطانية في هذه الملة الأساسية من درجة تحت الخلافة لا تشمل منصب الخلافة على الدين والدنيا كما قدمناه فالأحكام الشرعية متعلقة بجميعةها وموجودة لكل واحدة منها في سائر وجوهها العدموم تتعلق بالحكم الشرعي بجميعة أفعال العباد والفقهاء ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقلدها استبداد على الخلافة وهو معنى السلطان أو تعويضا منها وهو معنى الوزارة عندهم كما يأتي وفي نظره في الأحكام والأموال وسائر المساسات مطلقا أو مقيدا أو في موجبات العزل إن عرضت وغير ذلك من معاني الملك والسلطان وكذلك في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة أو جباية أو ولاية لا بد للفقهاء من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من استحباب حكم الخلافة الشرعية في الملة الأساسية على رتبة الملك والسلطان إلا أن كلامنا في وظائف الملك والسلطان ورتبته إنما هو مقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصها من أحكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج إلى تفصيل أحكامها الشرعية مع أنها مستوفاة في كتب الأحكام السلطانية مثل كتاب القاضي أبي الحسن الماوردي وغيره من أعلام الفقهاء فإن أردت استيفاء ما فعلت بطاعتها هنا لك وإنما تكلمنا في الوظائف الخلافة وأفردها لتمييز بينها وبين الوظائف السلطانية فقط لا لتحقيق أحكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا وإنما نتكلم في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق (الوزارة) وهي أم المخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الاعانة فإن الوزارة مأخوذة إما من الموازنة وهي المعاونة أو من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل مع مقاعله أوزاره وأثقاله وهو راجع إلى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا في أول الفصل أن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة لأنها إما أن تكون في أمور جباية الكفاية وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة وصاحب هذا الوزير المنعز في الدول القديمة بالشرق ولهذا العهد بالمغرب وأما أن تكون في أمور مخاطباته لمن بعده عنه في المكان أو في الزمان وتنفيذ هذه الأمور فمن هو محبوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب وأما أن تكون في أمور جباية المال وإنفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه أن يكون بضعية وصاحب هذا هو صاحب المال والحماية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالشرق وأما أن يكون في مدافعة الناس ذوى الحاجات عنه أن يزدجوا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجبهم فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوجه وكل خطة أو رتبة من رتب الملك والسلطان فإليها يرجع إلا أن الرفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذهب مقتضى مباشرة السلطان دائما ومشاركته في كل صنف من أحوال ملكه وأما ما كان خاصا ببعض الناس أو ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الأخرى كقيادة ثغر أو ولاية جباية خاصة أو النظر في أمر خاص كسببة الطعام والنظر في السكة فإن هذه كلها تنظر في أحوال خاصة فيكون صاحبها تبعا لأهل النظر العام وتكون رتبته مرؤسة لا وثلك وما زال الأمر في الدول قبل الإسلام هكذا حتى جاء الإسلام وصار لا مخالفة فذهبت تلك المخطط كلها بذهب رسم الملك إلى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأي والمفاوضة فيه فلم يمكن زواله اذهب وأمر لا بد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويفاضهم في مهماته العامة والخاصة ويخصص مع ذلك بابا بآخر بخصوصيات أخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصروا والنجاشي يسمون

فتوا ثبوتها وشا حتى سالت دماؤهم فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل منه على الكلبين ذئبا عنده قد أعدته فلما أبصرا تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهم ما وثناجيعة على الذئب فلما لانه ما أحبا ثم أقبل الرجل على أهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال المهرج والقتال بينهم ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العداوة واستحسنوا قوله وتفرقوا عن رأيهم وأما المذموم في هذا الباب فصرف العقل إلى الدهاء والمسكر قال الشعبي ودهات العرب ستة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد ابن أمية وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل ابن ورقاء وقال الأصمعي كان معاوية يقول أنا للأناة وعمرو للبدية وزيد للصغار والبكار والمغيرة للامر العظيم قال قبصة بن جابر ما رأيت أعطى لمجزيل مال بغير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا رأيت أثقل حمالا ولا أطول نامة من معاوية ولا رأيت أغلب للرجال ولا أبذلهم حين يجمعون من عمرو بن العاص ولا أشبهه سرا بعلانية

من زبادولان المغيرة كان في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بلية كخرج من أبوابها كلها (وقال) أبو الدرداء قال النبي

عليه السلام يا عويمر ازد دعلا تزد من ربك قربا قلت يا بني واهي ومن لي باله قل قال اجتنب محارم الله وادفرائض الله تكن عاقلا
ثم تنفل صالح الاعمال تزد في الدنيا عقلا وتزد من ربك قربا وعليه عزرا (ويروي) (١٤١) اعلى بن ابي طالب رضي الله عنه شعر

ان المكارم اخلاق مطهرة
فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والعرف
سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها واللين
عاشيها
والنفس تعلم اني لا اصدقها
ولست ارشد الا حين
اعصياها
والعين تعلم في عيني محدثها
ان كان من خربها او من
اعادياها
وقال بعض الحكماء
العاقل من عقله في ارشاد
ومن رايه في امداد فقوله
سديد وفعله حميد والجاهل
من جهله في اغواء فقوله
سقيم وفعله ذميم فاما من
صرف فضل عقله الى
الدهاء والمكر والشكر
والحيل والخديعة كالخجاج
وزياد واشباههم فاذا موم
وقد قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لست بالخبيث
والخبيث لا يخدعني وقال
المغيرة كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه افضل من
ان يخدع واعقل من ان
يخدع والموصوف بالدهاء
والمكر مذموم وصاحبه
مخدور ويخاف غوائله

ابا بكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسداحة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر
وعلى وعثمان مع عمر واما حال التجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم رتبة لان القوم كانوا عربا اميين
لا يحسبون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب اهل الكتاب او افراد من موالي العجم ممن
يحيده وكان قليلا فيهم واما الشرافهم فلم يكونوا يحميدونه لان الامية كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال
الخطابات وتنفيد الامور لم تكن عندهم رتبة خاصة للامية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتمان
القول وتاديبه ولم تخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين ليست من السياسة المالكية في
شيء وايضا فلم تكن الكتابة صناعة فيستجد للخليفة احسنها لان السكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم بالبلغ
العبارة ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنيب في كتابته من له من يحسنه * واما مدافعة
ذوي الحاجات عن ابوابهم فكان محظورا بالشرعية فلم يبق له ملو فاما انقلب الخلافة الى الملك وجاءت
رسوم السلطان والقابله كان اول شيء يدي به في الدولة شأن الباب وسد دون الجمهور بها كانوا يخشون
على انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمر بن العاصي وغيرهم مع
ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهومات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسعوه الحاجب
وقد جاء عن عبد الملك لما ولي حاجبه قال له قد وليتك حجابة يا بني الا عن ثلاثة المؤذن للصلاة فانه داعي الله
وصاحب البريد فامر ما جابه وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم استعمل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين
في امور القبائل والعصائب واستئلفهم وأطلق عليه اسم الوزير وبقي امر الحسبان في الموالي والذميين
واتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطة على اسرار السلطان ان تشتهر فتنفسد سياسته مع قومه ولم يكن
بمناوبة الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام اذ اللسان
لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذه في سائر دول بني امية فكان
النظر للوزير عا في احوال التدبير والمفاوضات وسائر امور الحاجيات والمطالبات وما يتبعها من النظر في
ديوان الخند وفرض العطاء لاهله وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستعمل الملك وعظمت
مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتعيين رتبته في الدولة
وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما احتاج اليه خطة من
قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه وتقريره وأضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في
القلم والترسيل لصون اسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم
لسجلات السلطان ليحفظها من الزياع والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامع الخطي السيف والقلم
وسائر معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره
وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تكن له
لاستيفاء عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتعاور فيها الاستبداد الوزارة
مرة والسلطان أخرى وصار الوزير اذا استبدد محتاجا الى استئابة الخليفة اياه لذلك التصح الاحكام الشرعية
وتجبي على حالها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفذ وهي حال ما يكون السلطان قائما على
نفسه والى وزارة تقوى وهي حال ما يكون الوزير مستبد اعليه ثم استمر الاستبداد وصار الامر ملكا
العجم وتعمل رسم الخلافة ولم يكن لا واثق المتعجبين ان يغتفلوا القاب الخلافة واستنكفوا من مشاركتة
الوزراء في القبل لانهم خولهم فتمسكوا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى امير الامراء او

وتخدر عواقب حباثته وقد امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زيادا عن موجهة او
خيانة يا امير المؤمنين قال لا عن واحدة منهم ولو يكن كرهت ان اجل الناس على فضل عقلائ وكتب زيادا الى معاوية رضي الله عنه ان

العراق في شمالي ويميني فارغة فواتي الحجازا كذلك أهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم كفه فطعن في أصبعه بعد أيام فسات فخن وان
كانت رغبت عن الدهاء والمكر (١٤٢) فاننا نرغب في الحيلة ونرضى بها والاتساع في الحيلة مما تواصى به العقلاء قديما وحديثا

بالسلطان الى ما يحل به الخليفة من القاب كتراه في ألقابهم وتر كوا اسم الوزارة الى من يتولاها الخليفة في
خاصته ولم ينزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعته يتخلها
بعض الناس فامتنعت وترفع الوزراء عنها لذلك ولا نهم يحكم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم
فتخير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واختص اسم الامير بصاحب الحروب
والجند وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على أهل الرتب وأمره نافذ في الكل امانا بانه واستبداد او استمر
الامر على هذا ثم جاءت دولة الترك آخر عصر فرأوا أن الوزارة قد ابتدلت بترفع أو ثلث عنها ودفعها لمن يقوم
بها الخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الامير فصارت مرسومة ناقصة فاستند كفه أهل هذه الرتبة
العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد
وبقي اسم الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية وأما دولة بني أمية بالاندلس
فانقوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطه اصنافا وفردوا لكل صنف وزير فجعلوا الحسبان
المال وزير او لترسيل وزير او للنظر في حوائج المظالم وزير او للنظر في أحوال أهل الثغور وزير او جعل
لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأفرد للتردد
بينهم وبين الخليفة واحدا منهم ثم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم
وخصوه باسم الحاجب ولم ينزل الشأن هذا الى آخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبتة على سائر الرتب
حتى صار ملوك الطوائف ينتخبون لقبها فاعلموا أنهم يومئذ يسمى الحاجب كما نذكره ثم جاءت دولة الشيعة
بأفريقية والقيروان وكان للقائمين بهار سوخ في البداوة فاعقلوا أمر هذه المخطط أولا وتنتج اسمائها حتى
أدركت دولتهم المحضرة فصاروا الى تقليد الدولتين قبلهم في وضع اسمائها كتراه في اخبار دولتهم وما
جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامراؤا للبداوة ثم صارت الى انتقال الاسماء والالقاب وكان
اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين وقادوا في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن
يجب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود الداخلين على السلطان عند المدخل ودون في قيمتهم وخطابهم
والأدب التي تلزم في السكون بين يديه ورفعوا خطه الحجابة عنه ما شاؤوا ولم ينزل الشأن ذلك الى هذا
العهد وما في دولة الترك بالشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الادب في اللقاء والتحية في
مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه الديدار ويضيئون اليه استتباع كاتب السر واصحاب البريد
المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وبالخاضرة وحلهم على ذلك لهذا العهد والله مولى الامور بان شاء
* (الحجابة) * قد قدمنا ان هذا اللقب كان مخصوصا في الدولة الاموية والعباسية بمن يجب السلطان
عن العامة ويغلق باب دونهم او يفتح لهم على قدر في مواقينه وكانت هذه منزلة يومئذ عن المخطط
مروسة لها اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا كانت سائر ايام بني العباس والى هذا العهد فهي بمهر
مروسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب وما في الدولة الاموية بالاندلس فكانت الحجابة لمن يجب
السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فنونهم فكانت في دولتهم ربيعة غاية
كتراه في اخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المسمى باسم
الحجابة لشرفها فكان المنصور بن ابي عامر وابناؤه كذلك وما بدؤوا في مظاهر الملك واطوارها جاء من بعدهم
من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها وكانوا يعدونها شرفا لهم وكان اعظمهم ملكا بعد انتقال القاب الملك
واسمائه لا بد له من ذكر الحاجب وذو الوزيرين يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابة على حجابة

وليس شيء من أمور الدنيا
لطالب الرفعة وباعني
الوسيلة ومرة تادى امركان
دق أو جل خير من الحيلة
وأضعف الحيلة أنفع من
كثرة الشدة وقالت الحكماء
ملك العقل الحيلة والثاني
للسبب الضعيف والقوى
من الامور (وروى)
ان رجلا وقف لكسرى
فقال أنا صنع ما تنجز
الخلائق عنه قال ما هو قال
يشد برجلي حبل طرفه
برقبة الفيل وبرجلي
الآخرى كذلك ويشد طرفه
برقبة الفيل ثم يساق الفيل
بالضرب والزجر فلا
أترخ ثم طلب ان يفعل
ذلك باربع من الفيلة فمرت
بجدها فقصموه شطرين
فقال كسرى من لم يكن
أكبر ما فيه علة له هلك
يا كبر ما فيه فنظمه بعض
الشعراء فقال
من لم يكن أكبر عقله
أهلك أكبر ما فيه
(وسمعت) استاذنا أبا
الوليد يحكي ان رجلا
استأذن على هرون الرشيد
وقال اني أصنع ما تنجز
الخلائق عنه قال الرشيد
هات فانخرج انبوبة فصب
فيها البرعدة ثم وضع واحدة
في الارض وقام على قدميه
وجعل يرمي ابرة من قامته فتقع كل ابرة في عين ابرة الموضوعه حتى فرغ دسه فامر الرشيد بضربه بمائة سوط
ثم أمر له بمائة دينار فسل عن جمعه بين السكراة والمهوان فقال وصلته لجودة ذكائه وأدبته كي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول ومن زعم

ان العقل المكتسب اذا تناهى لا يكون فضيلة قال لان الفضائل هبات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فاحا و زالتوسط خرج عن حد الفضيلة كالسكر الذي هو متوسط بين البخل والتبذير والشجاعة قوسط بين التهور والجبن (١٤٣) (وقالت الحكمة لاسكندر)

أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز (وفي الحديث ان النبي عليه السلام قال خير الامور اوسطها) وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه خير الامور الاوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي قالوا ولان زيادة العقل نقضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم (قلنا) هذا كله باطل بما قدمناه لنصرة القول الاول وهو منقوض بالعقل الغريزي وبالعلوم وبسائر الفضائل واما قولهم انه يقضي بصاحبها الى الدهاء والمكر قلنا الدهاء والمكر كسب معان اخر غير العقل ليست من لوازم العقل فان شاء تدهى ومكر وان شاء كف عما يقول في كل شيء يكتسبه العاقل باختياره وليس عقله أوقعه فيه بل انما أوقعه فيه قلة عقله وكان بزرجه رما فرغ من كتاب أمثاله ونسق كل باب على حiale يقول ليس العجب ممن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما العجب ممن حفظها ولم يصير عالما وانا

السلطان عن العامة والخاصة قوبذى الوزيرين على جمعه لخطى السيف والقلم ثم لم يكن في دول المغرب وافر يقية ذكر لهذا الاسم للبداءة التي كانت فيهم وورعيا يوجب في دولة العبيد بين بمصر عند اسس معظماها وحضارتها الا انه قليل ولم ياجاء دولة الموحدين لم تسم كن فيها الحضارة الداعية الى انتحال الالقاب وتميز الخطوط وتعيينها بالاسماء الا آخر فلم يكن عندهم من الرتب الا الوزير فكنوا اولاً يخصون بهذا الاسم الكتاب المتصرف المشارك للسلطان في خاص امره كابن عطية وقعيد السلام الكومى وكان له مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفا في دولتهم يومئذ (وأما بنو أبي حفص بافر يقية) فكانت الرئاسة في دولتهم اولاً والتقديم لوزير الرأى والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والحروب واختص الحسابان والديوان برتبة اخرى ويسمى متوليها بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والمخرج ويحاسب ويستخلص الاموال ويعاقب على التفریط وكان من شرطه ان يكون من الموحدين واختص عندهم القلم ايضا بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من متعل القوم ولا الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لتساع مذكره وكثرة المترقبين بداره الى قهرمان خاص بداره في احواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والاصطبلات وغيرهما وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه في ذلك على اهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما اضافوا اليه كتابة العلامة على السجلات اذا اتفق انه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستقر الامر على ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدولة السيف والمحر ب ثم الرأى والمشورة فصارت الخطبة ارفع الرتب وأوعب الخطوط ثم جاء الاستبداد والحجر مدمنة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان ابو العباس على نفسه واذهب آثار الحجر والاستبداد باذهاب خطة الجباية التي كانت سلم اليه وباشر اموره كلها بنفسه من غير استعانة باحد والامر على ذلك لهذا العهد * (واما دولة زناتة بالمغرب) * وأعظمها دولة بني مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم وأما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحساب والرسائل راجعة الى من يحسنها من اهلها وان اختصت ببعض البيوت المصطنعين في دولتهم وقد تجمع عندهم وقد تفرق وأما باب السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى صاحبها بالوزير ومعناه المقدم على الجنادة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصر يف عقوباته وانزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجنونه والعريف عليهم في ذل فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع اليه فكانها وزارة صغرى * (واما دولة بني عبد الواد) * فلا اثر عندهم لشي من هذه الالقاب ولا تميز الخطوط لبداءة دولتهم وقصورها وانما يخصون باسم الحاجب في بعض الاحوال منفذ الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني ابي حفص وقد يجمعون له الحساب والسجل كما كان فيها جلهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ اول أمرهم * (واما اهل الاندلس لهذا العهد) * فالخصوص عندهم بالحسبان وتنفيذ حال السلطان وسائر الامور المالية يسمونه بالوكيل واما الوزير برف كالوزير الا انه قد يجمع له الترسيل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطة العلامة كما تغيرهم من الدول

أقول ليس العجب ممن قرأ كتابي هذا وصار مهذبا كاملا انما العجب ممن قرأه ولم يصير مهذبا كاملا (الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجماعات وآدابهم) * قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا

من أهلى فلو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد به
أزرى وأشركه فى أمرى دلت (١٤٤) الآية على ان موضع الوزارة ان تشدقوا عدل المملكة وان يقضى اليه السلطان بحجته

وبجته اذا استكملت فيه الخلال المحودة ثم قال كى
تسبحك كثير او نذكرك
كثير ادلت هذه الحكمة
على ان بحسبة العلماء
والصالحين واهل الخبرة
والمعرفة تنظم امور الدنيا
وامور الآخرة وكان اشجع
الناس يحتاج الى السلاح
وافره الخيل الى السوط
واحد الشفار الى المسن
كذلك يحتاج اجل الملوك
واعظمهم واعلمهم الى
الوزير (وروى أبو سعيد
الخدري) قال ما بعث الله
نبيا ولا استخلف خليفة
الا كانت له بطانتان بطانة
تأمره بالمعروف وتخصه عليه
وبطانة تأمر بالشرو وتخصه
عليه والمعصوم من عصمه
الله تعالى وانما اشقت
الوزارة من الوزير وهو
الثقل يريد أنه يحمل
من أمر المملكة واعبائها
وأثقالها مثل الوزراء
أسعد الملوك من له وزير
صدق ان نسي ذكره وان
ذكر أعانه وقال وهب
ابن منبه قال موسى عليه
السلام لفرعون آمن
ولك الجنة ولك مملكتك
قال حتى أشاورها مان
فشاورة فى ذلك فقال بينهما
أنت الله تعبدوا فترتعبد
فانف واستكبر وكان من

(ديوان الاعمال والحجبايات)

اعلم ان هذه الوظيفة من الوظيفة الضرورية للملك وهى القيام على أعمال الحجبايات وحفظ حقوق الدولة
فى الدخل والمخرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف اعطياتهم فى ابائهم والرجوع فى
ذلك الى القوانين التى يرتبها قومة تلك الاعمال وقهارة الدولة وهى كلها مسطورة فى كتاب شاهـد
بتفاصيل ذلك فى الدخل والمخرج مبنى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من أهل تلك الاعمال
ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال ان اصل هذه
التسمية ان كسرى نظروما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كانهم يحادثون فقال ديوانه أى
مجانين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت المساءلة لكثرة الاسـمـة معـمال تحقيقا فقبل ديوان ثم نقل
هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية سـمـى
الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم فى فهم الامور ووقوفهم على الجلى منها والخفى وجمعهم باسماء شـذـو تفرق ثم
نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فمما ناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم
بباب السلطان على ما أتى بعد وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر فى سائر هذه الاعمال وقد يفرد كل
صنف منها بناظر كما يفرد فى بعض الدول النظر فى العساكر واقطاعاتهم وحسابان اعطياتهم او غير ذلك على
حسب مصطلح الدولة وما قرره اولوها واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث فى الدول عندئذ مكن الغلب
والاستيلاء والنظر فى اعطاف الملك وفنون التمهيد وأول من وضع الديوان فى الدولة الاسلامية عمر رضى
الله عنه يقال لسبب مال اتى به ابوهريرة رضى الله عنه من البحرين فاستكثروا وتبعوا فى قسمة فدمعوا الى
احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوكا لشأم يدنون
فقبل منه عمر وقيل بل اشار عليه به الهرحان لما رأى يبعث البعوث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم بغيبة من
يغيب منهم فان من تخلف أخذ بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديوانا وسأل عمر عن اسم
الديوان فقبل له ولما اجتمع ذلك امر عقيل بن ابى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب
قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما بعدها الا قرب فالقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب

واما دولة الترك بمصر) فاسم الحجاب عندهم موضوع لما حكم من اهل الشوكه وهم الترك ينقذ
الاحكام بين الناس فى المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التى لها الحكم فى
اهل الدولة وفى العامة على الاطلاق وللنائب التولية والعزل فى بعض الوظائف على الاحيان ويقطع
القليل من الارزاق ويثبتها وتنقذ او امره كما تنقذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان
وللحجاب الحكم فقط فى طبقات العامة والمجند عند الترافع اليهم واجبار من أبى الانقياد للحكم ويؤمرهم تحت
طور النيابة والوزير فى دولة الترك هو صاحب حباية الاموال فى الدولة على اختلاف أصنافها من خراج
او مـكـس أو جـزـية ثم فى عصر ينفى فى الانقابات السلطانية او الجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل
فى سائر العمال المباشرين لهذه الحباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين أصنافهم ومن عواند هم ان
يكون هذا الوزير من صنف القبط القائمين على ديوان الحسان والحباية لا اختصاصهم بذلك فى مصر منذ
عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكه من رجالات الترك أو ابنائهم على حسب
الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصر فها بحكمته لاله الا هو رب الاولين والآخرين

ان

أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج بن يزيد بن أبى مسلم لا يالوه خبالا ولبش القرناء

شمر قرين الشمر خدين وأشرف منازل الادميين الذبوة ثم الخ لافة ثم الوزارة الوزير عون على الامور وشمر يلى فى التدبير وظهير على

السياسة ومقرع عند النازلة الوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال نعم الظهير الوزير (واعلم) أن اول ما يستعبد الملك من الوزراء أمران علم ما كان يجمله ويقوى عنده علم ما كان يعلمه فيزول شكه (١٤٥) واول ما يظهر نبل السلطان وقوة

تميزه وجودة عقه له في
استخفاف الوزراء واستعقاد
الجلساء ومحاذية العقلاء
فهذه ثلاث خلال تدل
على كماله وبها يجمل في
الخلي ذكروه ويجمل في
العقول قدره وترسخ في
النفوس عظمته والمرة
موسوم بقرينه وكان
يقال حلية الملوك وزيتهم
وزراؤهم وفي كتاب كيلة
ودمنة لا يصلح السلطان
الابالوزراء والاعوان
الابالودة والنصيحة
والمودة والنصيحة الابلالسر
والعفاف واعظم الاشياء
ضررا على الناس عامة
وعلى الولاة خاصة أن
يجر مواصالح الوزراء
والاعوان فنكون أعوانهم
غير ذي جدوى وغناء
ويحذر الملك ان يولي الوزارة
غير المتحرين كي لا تضيق
الامور كما يحذر ان يتطبيب
بغير طبيب بصير مأمون
(قال شريح بن عبيد) لم
يكن في بني اسرائيل ملك
الاومعه رجل حكيم اذا رآه
غضبان كتب له ثلاث
صحائف في كل صحيفة ارحم
المسكين واخش الموت
واذكر الاخرة فكلاما
غضب الملك ناوله صحيفة
حتى يسكن غضبه (وقال
أردشير) يحق على الملك

ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين وأماديوان الخراج والجبايات فبقى بعد الاسلام على ما كان عليه من
قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من أهل العهد من القرى يقين ولما
جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البدوة الى رونق الحضارة ومن
سذاجة الامية الى حذق السكابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحساب فأمر عبد الملك
سليمان بن سعد والى الاردن لعهد ان ينقل ديوان الشام الى العربية فأكمله سنة من يوم ابتدائه
ووقف عليه سرحدون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها
الله عنكم وأماديوان العراق فأمر الحاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية
ولقن ذلك عن زاذان فروخ كاتب الحاج قبله ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف
الحجاج صالحا هذا مكانه وأمر ان ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم ذلك كتاب الفرس
وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني
العباس مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان شأن بني برمك وبني سهل بن نبخت وغيرهم من وزراء
الدولة وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش او بيت المال في الدخل
والخرج وتميز النواحي بالصلح والعنوة وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتاب
وقوانين الحسابات فأمر راجع الى كتب الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش او بيت المال في الدخل
كتابنا وانما نتكلم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزة عظيم من
الملل بل هي ثالثة اركانها لان الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك
الى الاعوان في امر السيف وأمر القلم وأمر المال فينفرد صاحبها بذلك بجزء من رئاسة الملك وكذلك كان
الامر في دولة بني امية بالاندلس والطوائف بعدهم وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون
من الموحدين يستعمل بالنظر في استخراج الاموال وجمعها ووضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها
ثم تتميدها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان يرعا يلبها في الجهات غير الموحدين
من يحسنها ولما استبد بنو أبي حفص بافريقية وكان شأن الجالية من الاندلس فقدم عليهم اهل
البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الاندلس مثل بني سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين
ببني ابي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس ودالوا فيها بينهم
وبين الموحدين ثم استعمل بها اهل الحساب والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استعلا أمر الحاجب
ونفذ امره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحب مرسوم الحاجب وأصبح من جملة
الحجابة وذهبت تلك الرئاسة التي كانت له في الدولة وأمادولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج
مجموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويرجع الى ديوانه ونظره معقب بنظر
السلطان أو الوزير وخطه معتبر في صحة الحساب في الخراج والعطاء هذه اصول الرتب والخطط السلطانية
وهي الرتب العالية التي هي علامة النظر ومباشرة للسلطان وأما هذه الرتبة في دولة الترك فتتوزع
وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان
الحماية العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال عندهم يتنوع الى رتب
كثيرة لا نفساح دواتهم وعظمة سلطانهم واتساع الاموال والجبايات عن ان يستعمل بضبطها الواحد من
الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف

(١٩ - ابن خلدون)

أن الخلف ما يكون نظر العظم ما يكون خطر ولا يذهب حسن أثره في الرعية خوفا
له ولا يستغنى بتدبير اليوم عن تدبير غد وأن يكون حذره للأقنين أكثر من حذره للبعادين وان يتيق بطانة السوء أشد من اتقائه

العامة ولا يطمعن في اصلاح العامة الا بالخاصة (وقال اردشير) لكل ملك بطانة حتى يجمع بذلك جميع المملوك فاذا اقام الملك بطانة على حال الصواب اقام كل امرئ (١٤٦) منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجمع على الصلاح عامة الرعية ومثال الملك الخبير

لمولى من موالى السلطان وأهل عصبته وأرباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير الى نظره ويجهده في متابعتها ويسمى عندهم استاذ الدولة وهو أحد الامراء الكبار في الدولة من الجند وأرباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطه عندهم أخرى كلها راجعة الى الاموال والخسب من مقصود النظر على أمور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشرة لأموال السلطان الخاصة به من اقطاعه أو سهمه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من أموال المسلمين العامة وهو تحت يد الأمير استاذ الداروان كان الوزير من الجند فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لأموال السلطان من مما يليه المسمى خازن الدار لاختصاص وظيفة ما بمال السلطان الخاص هـ ذابيان هـ هذه الخطة بدولة الترك بالمشرق بعدما قدر منها من أمرها بالمغرب والله مصرف الامور لا رب غيره

(ديوان الرسائل والكتابة)

هذه الوظيفة غير ضرورية في المملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأسا كما في الدول العربية في البدواة التي لم يأخذها تذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما كذا الحاجة اليها في الدولة الاسلامية شأن اللسان العربي والبالغة في العبادة عن المقاصد دفصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبادة للسانية في الاكثر وكان الكاتب للامير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمرأ الصحابة بالشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس رفيعه وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختتم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أوشارته يغمس في طين أحر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طبعه والصادقة ثم صارت السجلات من بعدهم تصد باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولا أو آخره على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تنزل هـ هذه الخطة بارتفاع المكان عنه السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه فنصير علامة هذا الكتاب بلغة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستبدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم بعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها الى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة اتباعا لما سلف من أمرها فصار الحجاب يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويتخير له من صبيح الانفاذ ما شاء فيأتمر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبدابا مرة قائما على نفسه فيرسم الامر للكاتب ليضع علامته ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويقع على القصص المرفوعة اليه أحكامها والفصل فيها معلقة من السلطان بأو خلفه وأبلغه فأما ان تصدر كذلك وأما ان يحذو الكاتب على مثاله في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البالاغة يستقيم بها توقيعها وقد كان جعفر بن يحيى يقع في القصص بين يدي الرشيد ويرعى بالقصة الى صاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البالاغة في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها دينار و هكذا كان شأن الدول وواعلم ان صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والخشعة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالقضائل مع ما يضطر اليه في الترسل وتطبيق

والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من النوم كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان ساجحا وكان الى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والأطباء فان كذب السفير بطل التدبير وكان السفير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فن ههنا شرطنا أن يكون الوزير صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في الخلاقة بصيرا بأموال الرعية وتكون بطانة الوزير من أهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك أن يولي الوزارة لثيما فالثيم اذا ارتفع جفا أقاربه وان كرم معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل ولما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحاج بن يدين أي مسلم قال له عمر بن عبد العزيز أسألك

مقاصد

بأنه يأمر المؤمنين أن لا تحي ذكر الحجاج باسمه ككاتبك اياه فقال يا أبا حفص اني لم أجده عنده خيانة دينار ولا درهم قال عمر أنا أوجدك من هو أعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابليس مامس دينار ولا درهم وقد أهلك

هذا الخلق (ودخل) رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقر به فقال
يا مملك طاعته في الوري * وجبه مقترض واجب ان الذي شرفت من أجله * (١٤٧) يزعم هذا انه كاذب وأشار الى الذي

فاسأله يا أمير المؤمنين
عن ذلك فسأله فلم يجدها
من أن يقول هو صادق
فاعترف بالاسلام لا يعرف
وزير الملك ماله وماعليه
حتى يراعي من صاحبه
الوائق به ما يراعيه العاشق
الغيور من المعشوقة المتهومة
(وكان بعض) الملوك قد
كتب ثلاث رقاع وقال
لوزيراه اذا رأيتي غضبان
فادفع الى رقعة فكان في
الواحدة انك لست بالله
وانك سموت وتعود الى
التراب فياكل بعضك بعضا
وفي الثانية ارحم من في
الارض يرحمك من في
السماء وفي الثالثة اقض
بين الناس بحكم الله فانهم
لا يصلحهم الا ذلك اذا
كان الوزير يساوي الملك
في الرأي والهيبة والطاعة
فلمصرعه المالك فان لم يفعل
فليعلم انه المصروع (وفي
الامثال) اذا سكنت الدهماء
خاف الوزراء وما كانت
أموالهم ملكة عائدة الى
الوزراء وازمة الملوك في
أكف الوزراء سبق فيهم
من العقلاء المثل السائر
فقالوا لا تغربوا عن الامير
اذا غشك الوزير فلا تخش
الامير ويقال الخرق

مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى أرباب السيف
لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لاجل سداجة العصبية فيختص السلطان اهل
عصبية بخطوط دولته وسائر رتبته فيقلد المال والسيف والكتابة منهم فأما رتبة السيف فتستغني عن معاناة
العلم وأما المال والكتابة فيضطر الى ذلك للبلاغة في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون لها من هذه
الطبقة ما دعت اليه الضرورة ويقلدونه لانه لا تكون يد آخر من اهل العصبية غالبية على يده ويكون
نظيره متصرفا عن نظيره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فان الكتابة عندهم وان كانت لصاحب
الانشاء الا أنه تحت يد امير من اهل عصبية السلطان يعرف بالديو يدار وتعويل السلطان وثوقه به
واستنامته في غالب احواله اليه وتعويله على الاخرى احواله البلاغة وتطبيق المقاصد وكتمان الاسرار
وغير ذلك من توابعها واما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره
وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب
وهي اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاكمكم ووفقهكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس
بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافا وان كانوا في
الحقيقة سواء وصرقهم في صنوف الصناعات وضروب المخلوقات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم
فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروءة والعلم والزينة بكم ينظم للخلافة محاسنها
وتستقيم امورها وينصحائهاكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف
الا منكم فوقكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يمشرون والستهم التي بها
ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزع عنكم ما اضافه من
النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحموده وخصال الفضل
المدكورة المعدودة منكم ايه الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في هذا الكتاب من صفاتكم فان الكتاب يحتاج من
نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما في موضع الحلم فلهما في موضع
الحكم مقدما في موضع الاقدام محججا في موضع الاحكام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتمال الاسرار
وفيا عند الشدائد عالما بما ياتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اما كنهها قد نظرت في كل
فن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتب به يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل
تجربته ما ردد عليه قبل وروده وعاقبه ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل امرئته وعناده ويهيئ لكل
وجه هيمته وعادته فتافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقوا في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله
عز وجل والقراءت ثم العربية فانها ثقاف الستة ثم اجدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار
واعرفوا غريبها ومعانيها واياكم العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما سئمو اليه همكم
ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودينها وسفساف
الامور ومحاورها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا واصنافكم عن الدناءة وأربؤوا بانفسكم عن
السعاية والنميمة وما فيه اهل الجاهلات واياكم والكبر والسخف والعظومة فانها عداوة تجلبه من
غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو البقي لاهل الفضل والعدل والنبيل
من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعظفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله واثوب اليه امره وان
أفعد احدكم منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوره وعظموه وشاوروه واسموا بفضله وتجربته

ممارسة الامراء ومعاودة الوزراء ورؤس الامر كرهه الامير فتم بانوزيروكم من امرأته الامير فشاء عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير
بابها فن أتي الدار من بابها وخرج ومن أتاها من غير بابها أزعج (وقال أنوشروان) لا يتم للملك امره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له

جاليس مأمون الغيب وخادم ناصح الحبيب وموقع الوزارة من المملكة كوقع المرأة من النظر فكما أن من لم ينظر الى المرأة فلا يرى محاسن وجهه وعيوبه وكذلك السلطان (١٤٨) اذ لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها وكاتب الملك مستقر اسرار له ولسانه الناطق

عنه في آفاق مملكته
والخصوص بقر به ولزومه
دون نظرائه ظهير الامير
وزيره وزينه حاجبه
ولسانه كاتبه ورسوله
عينه الكتابة قوام الخلافة
وقرينة الرياسة وعمود
المملكة للكتاب على
الملك ثلاثة أشياء يرفع
الحجاب عنه ويتهم الوشاة
عليه ويقضى سره اليه
(وقد قالت الحكماة)
لا يطعم من ذوالكبر في
الشاة ولا الخب في كثرة
الصديق ولا السوء الادب
في الشرف ولا التخيخ في
البر ولا الحرير في قلة
الذنوب ولا الملك المتهاون
الضعيف الوزراء في بقاء
الملك وتكأن المرأة لا تزيك
وجهك الا بصفاة جوهرها
وجودة صفاتها ونقاها من
الصداء كذلك الامير لا يكمل
امره الا بجودة عقل الوزير
وصحة فهمه وصفاة نفسه
ونقاء قلبه (ومن شروط
الوزير) ان يكون مكيين
الرجة للخلق رؤفا بهم
لبأسو برجته ما يجرحه
السلطان بغلظته (ومن
شروطه) ان يكون نقي
الحبيب ناصح الغيب
لا يقبل دقيرة ولا يكتم
نصيحة وقال بعض الملوك

وقديم معرفته وليكن الرجل منك على من اصطنعه واسـ تظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه على ولده
واخيه فان عرست في الشغل مخدعة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرست مذمة فيحلمها هو من دونه
وليحذر السقطة والزلة والمال عند تغير الحال فان الغيب اليكم معشر الكتاب اسرع مني الفراعوه واكم
أفسد دمه لها فقد علمتم ان الرجل منك اذا صاحبه من يبدل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب
عليه ان يعتدله من وفائه وشكره واحتماله وخبره ونصيحته وكتمان سره وتدبير امره ما هو خراة الحكمة
ويصدق ذلك بعماله عند الحاجة اليه والا ضطرار الى ماله فيه فاستشعروا ذلك وفتحكم الله من أنفسكم في
حالة الرخاء والشدّة والحريمان والمواساة والاحسان والسر او الضراء فانه موت الشيمة هذه من وسيم بهمان
أهل هذه الصنعة الشريفة واذا ولى الرجل منك اوص به اليه من امر خلق الله وعماله أمر فليرقب الله
عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا ولظالم منصفان الخلق عيال الله وأحبهم اليه ارفقهم
بعماله ثم ليكن بالعدل حاكما ولا يشرف مكر ما ولى في موافق اوليائه لا دعا مرا ولا رعية متألغا وعن اذاهم متخلفا
وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خراجه واستقضاء حقه رفيقا واذا صاحب احدكم رجلا فيخبر
خلائقه فاذا عرف حسنه واقبحها اعانه على ما يوافق من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح
بالطف حيلة واجل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياتها التمس معرفة اخلاقها فان
كانت رموط لم يجهها اذا ركبها وان كانت شبو بالانقاها من بين يديها وان خاف منها شروا توقاها من ناحية
راسها وان كانت حرونا تقع برفق هو اما في طرقها فان استمرت عطشها يسير افساس له قيادها وفي هذا الوصف
من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجر بهم ودخلهم والكتاب لفضل اديبه وشرف صنعة
ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس وينظره ويقفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق واصاحبه
ومداراته وتقويم اوده من سائس البهيمة التي لا تخبر جوابا ولا تعرف صوابا ولا تنهـم خطا بالابقـدر
ما نصيرها اليه صاحبها الركب عليها الا فارقت وارجحكم الله في النظر واعملوا ما يمكنكم فيه من الروية والفكر
تأمنوا باذن الله ممن صحبتوه النبوة والاستقلال والجفوة وبصير منكم الى الموافقة وتصير وامنه الى المواخاة
والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منك في هيئة مجلسه ومجلسه ومركبه ومطعمه ومشر به وناله
وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعة كم خدمة لا تحملون
في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعجال على عقابكم بالقصد
في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا ما تالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهم ما يعقبان الفقر
ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهم ما ولا سيما السكاك وأرباب الآداب واللامور وأشباهه وبعضها دليل على
بعض فاستدلوا على مؤتلف أفعالكم بمسابقة اليه بتجربته ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها
محجة وأصدقها حاجة واجدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ
علمه ورويته فليقصد الرجل منك في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ
بجامع حجة فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن كثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده
بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضمر بيدنه وعقله وآدابه فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان الذي برز
من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه او مقالته الى أن
يكلاه الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول أحد منكم انه
أبصر بالامور وأجل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان عقل الرجلين عند ذوى

الالباب

لوزير لا تكونن الى ما تسمى به اسرع مبادرة من اندارى فيما يخاف على منه وقال بعض

الملوك اعط من اناك بما تكره كما تعطى من اناك بما تحب فان من انذر كمن بشر (ومن شروطه) ان يكون معتدلا كليل تهامة لا حـ

ولا قرو وموقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة وكان السلطان اذا صلح صلحت الرعية واذا فسد فسدوا وكذلك الوزراء اذا فسدوا فسد الملك واذا صلح الملك واصلحوا صلح الملك (وكان) يقال آفة العقل الموى وآفة الامير سخافة (١٤٩) الوزير وقال المقتدر بالله لوزيره

ع-لى بن عيسى اتق الله بعطفنى عليك ولا تعصه فيسلطنى عليك وقال المأمون لمحمد بن يزيد اداياك ان تعصى الله فيما تنقرب به الى فيسلطنى عليك (واعلم) انه ليس للوزير ان يكتسب السلطان نصيحة وان استقلها وموقع الوزير من المملوك كوقع العينين من الانسان وكاليدين فانه اذا صح قبضهما وبسطهما صح التدبير واذا سقطا دخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة ان تكون في غير اهلها كما لا يصلح الملك ان يكون في غير اهله وشعر الوزراء من كان الاشعار ايضا له وزراء وبطانة ودخلا ووصت امرأة ابنها وكان له كفافا قالت يا بني ينبغي للملك ان يكون له ستة اشياء وزير يثق برأيه ويقضى الله به بأسراره وحصن يلجأ اليه اذا فرغ وسيف اذا نازل الاقران لم يخنه وذخيرة خفية للمحل اذا نابه نائبة كانت معه وامرأة اذا دخلت عليه اذهبت همه وطباخ اذا لم يشته الطعام طبخ له ما يشتهه (الباب الخامس والعشرون في الجلساء وادابهم) *

الالباب من رعى بالعجب ورافظه ورأى ان اصحابه اعلم منه واجل في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكتر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيره ووجد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لغزته والتحدث بنعمته (وانا قول) في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وقسمته به ثلثا لئلا يلهيكم يوم مشر الطلبة والكتابة بما يتوفى به من سبق علمه باسعادهم وارشادهم فان ذلك اليه ويديه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهـ (الشرطة) * ويسمى صاحبها هذا العهد باقر يقية المحاكم وفي دولة اهل الاندلس صاحب المدينة وفي دولة الترك الوالى وهى وظيفة مرؤسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الاحيان وكان اصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرائم في حال استبدائها والاثم المحدود بعد استيفائها فان التهم التى تعرض في الجرائم لا تنظر للشرع الا في استيفاء حدودها وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها باقرار يكرهه عليه المحاكم اذا احتقت به القرائن لما توجب به المصلحة العامة في ذلك فكان الذى يقوم به هذا الاستبداء واستيفاء الحدود بعده اذا تنزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء باطلاق واقدوها من نظر القاضي ونزهوا هذه المرتبة وقادوها كبار القواد وعظماء الخاصة من موالىهم ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس انما كان حكمهم على الدهماء واهل الرب والضرب على ايدى الرعايا والفقيرة ثم عظمت نيابتها في دولة بني امية بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغيرة وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء وجعل له الحكم على اهل المراتب السلطانية والضرب على ايديهم في الاطلاعات وعلى ايدى قادريهم ومن اليهم من اهل الجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامة ونصب صاحب الكبرى كرسي باب دار السلطان ورجال يتبوؤن المقاعد بين يديه فلا يرحون عنها الا في تصريفه وكانت ولايتها الاكبر من رجالات الدولة حتى كانت ترشيد الوزارة والحجابة واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التنويه وان لم يجعلوها عامة وكان لا يليها الا رجالات الموحدين وكبرائهم ولم يكن له التحكم على اهل المراتب السلطانية ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين واما في دولة بني مرين لم يزل العهد بالمشرق فولايتها في بيوت من موالىهم واهل اصطناعهم وفي دولة الترك بالمشرق في رجالات الترك او اعقاب اهل الدولة قبلهم من الكرد يتغيرونهم لها في النظر بما يظهر منهم من الصلابة والمضاء في الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم ابواب الذعارة وتخريب مواطن الفسوق وتقرى مجامعهم مع اقامة الحدود الشرعية والسياسة كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الليل والنهار وهو العزيز الجبار والله تعالى اعلم

(قيادة الاساطيل) * وهى من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب واقر يقية ومرؤسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم الملمد بتفخيم اللام منقولاً من لغة الافرنجية فانه اسمها في اصطلاح لغتهم وانما اختصت هذه المرتبة بملك افر يقية والمغرب لانهم جميعا على ضفة البحر الرومى من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنو بية بلاد البربر كلهم من سيرة الى الاسكندرية الى الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجية والصقالبة والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى البحر الرومى والبحر الشامى نسبة الى اهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسواحلهم من عدوته

قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين وقال سبحانه يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وينبغي للملك ان يجالس اهل العقل والادب وذوى الراى والحسب وذوى التجارب والعبرة بالسياسة

العقلاء لقاح العقل ومادته ولذلك حدث آراء الشيخ فقال القدماء المشايخ أشجار الوقار وينابيع الأخبار لا يطيش لهم منهم ولا يستطعم
وهم وقالوا عليك بآراء المشايخ (١٥٠) فانهم ان فقدوا ذكاه الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثار

يعانون من أحواله مالاتعانهامة من أمم البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من
هذا البحر الرومي وكانت أكثر حروبهم ومنازعاتهم في السفن فكانوا ماهرة في ركوبه والحرب في أساطيله
ولما أسف من أسف منهم إلى ملك العدو المجنوبية مثل الروم إلى افریقیة والقوط إلى المغرب أجازوا في
الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتمزعوها من أيديهم أمرها وكان لهم بها المدن المحاطة مثل
قرطاجنة وسببيلة وجولاء ومرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب
رومة ويبحث الاساطيل لمحربه مشحونة بالعساكر والعدو فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين
حقا فيه معروفة في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاصي
رضي الله عنه ما أن صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم بركبه خلق ضعيف ودود على عود وفروع
حينئذ يمنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه احد من العرب الا من اقتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما
فعل بعرقته بن هرمة الازدى مدحيلة لما اغراه عن قبيلة غزو في البحر فترك عليه وعنفه أنه
ركب البحر للغزو ولم ينزل الشأن ذلك حتى اذا كان له معاوية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على
اعواده والسبب في ذلك ان العرب كانوا بدوهم لم يكونوا اول الامر ماهرة في ثقافته وركوبه والروم
والافرنجة لما رستهم احواله ومر بابهم في التقلب على اعواده مرونا عليه واحكموا والدرية بثقافته فلما
استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت امم البحر من خولاهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم ببلغ
صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية اعما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا
بصراعها فشرهوا إلى الجهاد فيه وانشؤا السفن فيه والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح
وامطوها العساكر والمقاتلة من وراء البحر من امم البحر وخصصوا بذلك من عساكرهم ونغورهم ما كان
أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافرقيقة والمغرب والاندلس واوعز الخليفة عبد الملك إلى حسان
ابن النعمان عامل افریقیة باتخاذ دار الصناعة بتونس لانشاء آلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد
ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن الفرات شيخ الفتيان وفتح
قوصرة ايضا في أيامه بعد ان كان معاوية بن حديج اغزى صقلية أيام معاوية بن ابي سفيان فلم يفتح الله على
يديه وفتحت على يد ابن الاغلب وقائده اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك اساطيل افریقیة والاندلس
في دولة العبيديين والامويين تتعاقب إلى بلادهم في سبيل الفتنة فتجوس خلال السواحل بالافساد
والنخریب وانتهى اسطول الاندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى مائتي مركب وانحوها واسطول افریقیة
كذلك مثله اوقري يامنه وكان قائد الاساطيل بالاندلس ابن رماحس ومرفؤها للحط والاقلاع بحرية
والمرية وكانت اساطيلها مجمعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره إلى قائد
من النواتية يدبر أمر حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر أمر حربه بالبحر والبحر بالبحر بالبحر بالبحر بالبحر بالبحر
مرفؤها فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو ومجئها او غرض سلطان في مهم عسكريت بمرفئها المعلوم وشحنها السلطان
برجاله والنجاد عساكرهم ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم اليه
ثم يسرحهم لوجههم وينظر اياهم بالفتح والغنيمة وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا
البحر من جميع جوانبه وعظمت صولاتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل اساطيلهم بشي من
جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم وملكوا سائر
الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة وباسية وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة

الغريرو وقالوا رأى الشيخ
خير من مشهد العلام
(وقال عبد الملك) بحسبائه
جنبوني فلا تالا تطروني
فاني أعرف بنفسى منك
ولا تكذبوني فانه لا رأى
للكذب ولا تتعابوا عندي
أحد افيقسد قلبي عليكم
(وقال بعض الحكماء) كفى
بالتجارب تاديابا وتقلب
الأيام عظة وقالوا التجربة
مرآة العقل والغرة ثمرة
الحجمل وقد قال هرم بن
قطبة وهو واحد حكماء العرب
حين تنافر إليه عامر بن
الطغيلة وعلمة بن علابة
عليكم بالحديث السن
الحديد النظر (وقال
كثير من حكماء العرب)
عليكم بمشاورة الشباب فانهم
يتبحرون رأيا لم يعلمه طول
القدم ولا استولت عليه
دطوبة الهرم والمذهب
الاول اصدق على العقول
وقال عبد العزيز بن زرارة
لما عاوية عليك بحجالة
الالباء اعداء كانوا وأصدقاء
فان العقل يقع على العقل
(وقال ابن عباس) بحجالة
العقلاء تزيدي في الشرف
وقال سفيان بن عيينة
ان الرجل ممن كان قبله
يلقي الرجل العاقل فيكون
عاقلا أيا ما وقال مالك بن

أنس مرسليمان بن داود عليهم السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه مكتوبا
عندو نامن قري اصطخر * إلى القصر فعلمناه * فن يسأل عن القصر * فنبينا وجدناه * يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه
واقريطش

وفي الشيء على الشيء * علامات واشباهه فلا تصعب أحوال الجهل * وإياك وإياه فكم من جاهل أردى * حلمي حين آخاه
قال ووجدنا عليه نسرا واقعا فدعا فقال من بني هذا القصر قال لأدرى قال كلك (١٥١) منذ وقعت عليه قال تستعماثة سنة

(وفي الأمثال) يظن بالمرء
ما يظن بخليته (ولما) حج
عبد الله بن جعفر نزل مكة
للاقيما أصبح قال يا أهل
مكة عرفنا خياركم من
أشراركم في ليلة واحدة
قالوا كيف ذلك قال نزلنا
ومعنا أخيار وأشرار فنزل
أخيارنا على أخياركم
وأشرارنا على أشراركم
فعرفناكم وعلم أنه ليس
الذخان على النار بادل

من صاحب على صاحب
وقال الأوزاعي صاحب
للصاحب كالرقعة في الثوب
إن لم تكن في مثله شأنته
وقال مالك بن مسمع
للأحنف بن قيس يا أبا
بحر ما اشتاق إلى غائب
إذا حضرت ولا أتقع
بحاضر إذا غبت فأخذه
إبراهيم بن العباس الكاتب
فنظمه فقال

وأنت هوى النفس من
بينهم
وأنت الحبيب وأنت المطاع
ومابك أن بعدوا وحدة
ومامهم أن بعدت اجتماع
وقال عبد الله بن طاهر
المال غادورائح والسلطان
ظل زائل والاخوان كنوز
وافرة وقال الأصمعي تناظر
رجلان وأعرابي حاضر
فقال لأحدهما مناظرة

واقر يطش وقبرص وسائر عمالك الروم والافرنج وكان أبو القاسم الشيعي وأبناؤهم يغزون أساطيلهم من
المهدية جزيرة خنوة فتبطل بانظروا الغنيمة وافتتح مجاهد العامري صاحب دانية من ملوك الطوائف
جزيرة سر دانية في أساطيله سنة خمس وأربعمائة وارتجها النصراني لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد
تغلبوا على كثير من حجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيهم جائية وذاهبة والعساكر الإسلامية تجيز البحر في
الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من الدولة الشمالية فتوقع بملوك الافرنج وتغلب في
عماالكهم كوقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القائلين فيها بدعوة العبيديين وانحازت أم النصرانية
بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والاصلة الباقية جزائر الرومانية لا يعدها
واساطيل المسلمين فضررت عليهم ضراء الاسد على فرسته وقد ملأت الاكثر من بسط هذا البحر عدة
وعدا واختلفت في طرقه سبل وحر باقلم تسميع للنصرانية فيه هو الواح حتى إذا أدرك الدولة العبيدية
والاموية الفشل والوهن وطرقها الاعتلال مد النصراني أيديهم إلى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية
واقر يطش ومالطة فلكوها ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكوا طرابلس وعسقلان وصور
وعكا واسستولوا على جميع الشعوب بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليه كنيسة لاظهار
دينهم وعبادتهم وغلبوا بني خردون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا
المهدية مقر ملوك العبيديين من يد أعقاب بلدين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكثرة بهذا البحر
وضعف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ولم يعتنوا بشيء من أمره فلهذا العهد بعد أن كان
لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك
وبقيت بافرريقية والمغرب قصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفور
الأساطيل ثابت القوة لم يتخيفه عدو ولا كانت لهم به كربة فكان قائد الاسطول به لعهد الدولة بني ميمون
رؤساء جزيرة قادس ومن أيديهم أخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة
من بلاد العدوتين جميعا ولما استقرت دولة الموحددين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا
خطة هذا الاسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكان قائداً أسطولهم أحمد الصقلي أصله من صغديار
الموطنين بجزيرة جربة من شرويكش أسره النصراني من سواحلها ووري عندهم واستخلصه صاحب
صقلية واستأنف كفاه ثم هلك وولي ابنه فأستخطه ببعض النزعات وخشي على نفسه ولحقه بتونس ونزل على
السيد بهامن بن عبد المؤمن وأجاز إلى مراکش فقتله الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمرة والكرامة
وأجزل الصلة وقلده أمر أساطيله فجلى في جهاد أمم النصرانية وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في
دولة الموحدين وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجداء إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد
فبعاه عهدها ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهد بهاسم ترجاع تغور الشام من
يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبنائه تنابعت أساطيلهم الكفرية بالممدلتك
التغور من كل ناحية قريية لبيت المقدس الذي كانوا قد أسدسوا له فأمدهم بالعدو والاقوات ولم
تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعددا أساطيلهم فيه
وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن معانعتهم هناك كما أشرنا إليه قبل فأوفد صلاح الدين على أبي
يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهد من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك
شيز وكان ملكهم وأبى عليهم في دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا إلى ملك المغرب طالباً بمدد

ملك في الدين فرض والاستماع منك أدب ومحج الاستكازين ومعرفتك عز ومذاكرتك تلقيح لالعقول وشحنوا طوك شرف وفخر وقال
والني اشتاق إلى ظل صاحب * يروق ويصفقوا كدبرت عليه
السماني غني مخارق بين يدي المأمون

عذيري من الانسان لان جفوتني * صفالي ولا ان صرت طوع يدي فطرب المأمون وقال ويحك يا مخارق خذني نصف الخلافة وأعطني هذا الانسان وقالت الحكماء (١٥٢) النظر في عواقب الامور تبلغ العقول وقالوا العاقل لا تنقطع صداقته والاحق لا تدوم

مودته فاتخذ من نصحاء أصحابك مرآة لطبايعك وفعايلك كما تتخذ لوجهك المرأة المرآة لوجهها فأنك الى صلاح طبائعك أحوج منك الى تحسين صورتك وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها عمولة خلا سبعة قال وما السبع يا أمير المؤمنين قال خبز الخنطة ولحم النعم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراس الوطئ والنظر الى الحسن من كل شيء قال فإني أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي اولاهن وقال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطر من كل شيء فاكنت المحلو والحادض حتى لا أجد منه ما طعما وشملت الرائحة حتى لا أجد لها رائحة وأنيت النساء حتى ما أبالي امرأة أتيت أم حاطة فما وجدت شيئا ألذ من جلوس يسقط بيني وبينه مؤنة التحفظ وقال عبد الملك بن مروان قد قضيت الوطر من كل شيء إلا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على العلالى العفر وقال عبد الملك من قرب السفلة وأدناهم وباعد ذوي العقول واقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من المجدورته من لا يحمد

ومن الكلام الشريف قول الحكماء أحوج ذال القدر الى دين يحجزه وحياء يكفه وعقل يعدله والى تبحر به طاوله وغير محفوظه والى

الاساطيل لتجول في البحر بين اساطيل الكفرة وبين مرامهم من أمداد النصرانية بشغور الشام وأصحابه كتابه اليه في ذلك من انشاء الفاضل البيهقي يقول في افتتاحه ففتح الله لسيدهنا ابواب المناج والميامن حسب ما نقله العماد الاصفهاني في كتاب الفتح القدس فنقم عليهم المنصور وتحافهم عن خطابه بأمر المؤمنين وأسرهم في نفسه وجلهم على مناهج البر والكراة وردهم الى مرسلهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك وفي هذا دليل على اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستتالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لشأن الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة وما هلك ابو يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحدين واستولت ام الجلالة على اكثر من بلاد الاندلس وألجأ المسلمين الى سيف البحر وما كوا الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي قويت ربحهم في سيطر هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه أساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان أبي الحسن ملك زناتة بالمغرب فان أساطيل له كانت عند مرماهم الجهاد مثل عدة النصرانية وعديدهم ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصارى فيه الى دينهم المعروف من الدربة فيه والمران عليه والبصر بأحواله وغلب الامم في لجنته وعلى أعواده وصار المسلمون فيه كالاجانب الا قليلا من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه ووجدوا كثرة من الانصار والاعوان أوقوة من الدولة تستجيب لهم اعوانا وتوضح لهم فيه هذا الغرض مسلكو بقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محفوظة والرسم في معانة الاساطيل بالانشاء والركوب معهود والمساعدة تدعو اليه الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستنبون الرميح على الكفر وأهله في المشتهر بين أهل المغرب عن كتب الحكمة ان انه لا بد للمسلمين من الكراة على النصرانية وافتتاح ما وراء البحر من بلاد الافرنجة وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل

٣٦ * (فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول) * (اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره الآن الحاجة في أول الدولة الى السيف مادام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة الى القلم لان القلم في تلك الحال خادم فقط منقذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه وبقيل أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدمناه فتحتاج الدولة الى الاستظهار بآبار باب السيوف وتقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تمهيد ما فيكون للسيف مزية على القلم في المآتين ويكون أبواب السيف حينئذ أوسع جاها وأكثر نعمة واسنى اقطاعا وأما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها بعض الشيء عن السيف لانه قد تمهد أمره ولم يبق فيه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فنعمظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيوف مهمة في مصداج اعماها الا اذا نابت نائبة او دعيت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون أبواب الاقلام في هذه الحاجة أوسع جاها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من السلطان مجلسا وأكثر اليه ترددا وفي خلواته نجبا لانه حينئذ آتته التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطافه وتقشف أطرافه والمباهاة بأحواله ويكون الوزراء حينئذ أهل السيوف مستغنى عنهم بمعدين عن باطن السلطان حذرين على انفسهم من بؤاده وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم المنصور حين أمره بالقدوم أما بعد فانه يحفظناه

من وباعد ذوي العقول واقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من المجدورته من لا يحمد ومن الكلام الشريف قول الحكماء أحوج ذال القدر الى دين يحجزه وحياء يكفه وعقل يعدله والى تبحر به طاوله وغير محفوظه والى

اعراق تسرى اليه واعلاق تسهل الامور عليه والى جليس رفيق ورائد شفيق والى عين تنظر العواقب وعقل يخاف الغير ومن لم يعرف يوم ظفر الايام لم يحترس من سطوات الدهر ولم يتحفظ من فلتات الذل ولم يتعاطمه ذنب (١٥٣) وان عظم ولا تناء وان سجع واذار ايت

من جليستك امرأتك ربه
أوخلة لا تحب أو صدرت

منه كلمة عوراء وهفة غبراء

فلا تقطع حبله ولا تصرم

وده ولكن داوكله واستر

عورته فابقه وابرأ من عمله

قال الله تعالى فان عصوك

فقل انى برى عما تعملون

فلم يأمر بقطعهم وانما أمر

بالبراءة من عملهم السوء

قال الشاعر

اذا راب منى مفصل فقطعته

بقيت وما بى للثـوض

مقاصـل

ولكن أداويه فان صح

سرى

وان هو أعيـا كان فيه

تحامل

وأنى رجل الى بعض

الحـكـاء فشكا اليه صديقه

وعزم على قطعه والانتقام

منه فقال له المحكم أتعهم

ما أقول لك فاكلك أم بك

من فورة الغضب ما شغل

عنه فقال انى لما تقول واع

فقال أسرورك بعودته

كان أطول أم غمك بذنبه

قال بل سرودى قال اخسأته

عندك أكرام سيـاته

قال بل حسأته قال فاصفع

بصالح ايامك عن ذنبه

وهب لسرورك جرمه

واطرح مؤنة الغضب

والانتقام منه ولعل لا تنال

من وصايا القرس أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهـ ما عسنة الله فى عباده والله سبحانه وتعالى اعلم
* (فصل فى شارات الملك والسلطان الخاصة به) *

(اعلم) ان للسلطان شارات واحوالاً تعتصم بها الابهة والبـ ذخ فيختص بها ويميز بانحلالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء فى دولته فلنذكر ما هو مشتهر منها يبلغ المعرفة وفوق كل ذى علم عليم * (الآلة) *
فن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الاولوية والرايات وقرع الطبول والنفخ فى الابواق والقرون وقد ذكر ارسطوفى الكتاب المنسوب اليه فى السياسة ان السرى فى ذلك ارباب العدو وفى الحرب فان الاصوات الملائكة لها تأثير فى النفوس بالروعة ولعمري انه أمر وجد انى فى مواطن الحرب يجده كل أحد من نفسه وهذا السبب الذى ذكره ارسطوفان كان ذكره فهو صحيح بهـ بعض الاعتبار وأما الحق فى ذلك فهو ان النفس عند سماع النغم والاصوات يدر كمال الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويسميت فى ذلك الوجه الذى هو فيه وهذا موجود حتى فى الحيوانات العجمى بانفعال الابل بالمداء والخيل بالصغير والصريح كما علمت ويزيد ذلك تأثيراً اذا كانت الاصوات متناسبة كفى الغناء وانت تعلم ما يحدث لاسماعه من مثل هـ ذا المعنى ولا حل ذلك تتخذ العجمى فى مواطن حروبهم الآلات الموسيقية (١) لاطبلا ولا يوقا فيحذق المغنون بالسلطان فى موكبه بالآلاتهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضر بهم الى الاستماعة ولقد رأينا فى حروب العرب من يتغنى امام الموكب بالشهرو يطرب فيجيش همم الابطال بما فيها ويسارعون الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك زناتة من أعم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنائها الجبال الرواسى وينبعث على الاستماعة من لا يظن بها ويسمعون ذلك الغناء تاصوكايت وأصله كله فرح يحدث فى النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرح والله اعلم * (واما) * تكثير الرايات وتلوينها واطاقتها لقصده التهويل لأكثر وربما يحدث فى النفوس من التهويل زيادة فى الاقدام واحوال النفوس وتلويناتها غريسة والله الخلاق العليم ثم ان الملوك والدول يختلفون فى اتخاذ هذه الشارات فبعضهم مكثر ومنهم مقل بحسب اتساع الدولة وعظمتها فأما الرايات فانها شعار الحروب من عهد الخليفة ولم تنزل الامم تعدها فى مواطن الحروب والغزوات ولعمري النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء وأما قرع الطبول والنفخ فى الابواق فكان المسلمون لاول الملة متعافين عنه تنزهاً عن غاظة الملك ورفضاً لحواله واحتقار الابهة التى ليست من الحق فى شئ حتى اذا انقلب الخليفة ملكاً وتيجوا زهرة الدنيا ونعيمها ولا بسهمهم الموالى من القرس والروم اهل الدول السالفة واروهم ما كان أولئك ينتحلونه من مذاهب البذخ والترفع فكان مما استحسنه من اتخاذ الآلة فأخذوها وأذنوا لعمالهم فى اتخاذها تنويعاً بالملك وأهلها فكثيراً ما كان العامل صاحب الثغور قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين او العبيديين لواءه ويخرج الى بعثه او عمله من دار الخليفة او داره فى موكب من أصحاب الرايات والآلات فلا يميز بين موكب العامل والخليفة الا بكثرة الاولوية وقتلها او بما اختص به الخليفة من الالوان لرايته كالسواد فى رايات بنى العباس فان راياتهم كانت سوداً خضراء على شهدائهم من بنى هاشم ونعيم على بنى أمية فى قتلهم ولذلك سمو المسودة ولما افترق امر الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسيين فى كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم فى ذلك فاتخذوا الرايات بيضاء وسموا المبيضة لذلك

(١) قوله الموسيقية وفى نسخة الموسيقى قارية وهى صحيحة لان الموسيقى بكسر القاف بين التختين اسم للنغم والالحان وتوقيعهما يقال فيها موسيقى ويوقا يضارب الآلة موسيقار انظر أول سقينة الشيخ محمد شهاب

(٢٠ - ابن خلدون) ما ملئت فتطول مصاحبة الغضب وانت صائر الى ما تحب * (الباب السادس والعشرون

فى بيان معرفة الخصال التى هى جمال السلطان) * قد ذكرنا الخصال التى تجرى من المملوكية تجرى الاساس من البنيان ونذكر الآن

الخصال التي تجري من المملكة بحري التاج والطليسان وحسن الهيئة والكمال فاكلها وواقعتها العفو قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (١٥٤) فلما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا ادري حتى

اسأل العالم فذهب جبريل ثم عاد فقال يا محمد ربك يقرؤك السلام ويأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك واعلموا ان ارشدكم الله ان الله تعالى امر بالعفو وندب اليه وذكركم فضيلته وحث عليه ووصف به نفسه فقال سبحانه والكافرين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فوجب الله تعالى محبة للعافين واثني عليهم بالاحسان فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعزائم الامور من صفات المصطفين من الرسل قال الله تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال سبحانه واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال سبحانه وليعفو وليصفحوا لا تحبون ان يغفر الله لكم فاستعطف الخلق وندبهم الى ان يعفوا عن الجناة والظالمين والخطائين كما يحبون ان يفعل الله بهم وقال فيمن انتصروا لم يعف ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل فرفع المخرج عن المنتصر والمنتهقم ولم يوجب له فضيلة ثم كشف الغطاء وأزاح

سائر أيام العبيدين ومن خرج من الطالبيين في ذلك العهد بالمشرك كالداغي بطبرستان وداعي صعدة او من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم كالقرامطة ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون الخضر فجعل رايته خضراء وأما الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت آلة العبيدين لما خرج العزيز الى فتح الشام خمسة مائة من البنود وخمس مائة من الابواق وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يختصوا بلون واحد بل وشوها بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستقروا على الاذن فيها العمائم حتى اذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناتة قصر والآلة من الطبول والبنود على السلطان وحظروها على من سواه من عماله وجعلوا لها موكبا خاصا يتبع اثر السلطان في مسيره يسمى الساقة وهم فيه بين مكث ومقل باختلاف مذاهب الدول في ذلك ففهم من يقتصر على سبع من العدد تبركا بالنسبة كما هو في دولة الموحدين وبنو الاحر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناتة وقد بلغت في أيام السلطان ابي الحسن فيما ادر كناه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير يأذنون للولاة والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من السكك بيضاء وطويل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك وأما دولة الترك لهذا العهد بالمشرك فيتخذون اولاراية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر يسمونها الشالش والجتر وهي شعار السلطان عندهم ثم تعدد الرايات وسمونها السناجق واحدها سنجق وهي الراية بلسانهم وأما الطبول فيم بالغون في الاستكثار منها وسمونها الكوسات ويصيحون لكل أمير أو قائد عسكري أن يتخذ من ذلك ما يشاء الا المجتر فانه خاص بالسلطان وأما المجالقة لهذا العهد من أمم الافرنجة بالاندلس فأكثر شأنهم اتخاذ الاولوية القليلة ذاهبة في الجوص مدومها قارع الاوتار من الضماير ونفخ الغيظات يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقة في مواطن حروبهم هكذا يبلغنا عنهم وعن وراءهم من ملوك العجم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم وألوانكم ان في ذلك لايات للعالمين

(السرير) وأما السرير والمنبر والتخت والكرسي وهو أعود منسوبة أو أرائك منسوبة للجلوس السلطان عليها مرتفعان اهل مجلسه ان يساوهم في الصعيد ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول العجم وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليهم ما وسلامه كرسي وسرير من عاج مغشي بالذهب الا انه لا تأخذ به الدول الا بعد الاستئصال والترغيب شأن الأبهة كلها كما قلناه وأما في اول الدولة عند البدوة فلا يشوفون اليه * وأول من اتخذ في الاسلام معاوية واستأذن الناس فيه وقال لهم اني قد بدنت فاذنوا له فاتخذ واتبعه الملوك الاسلاميون فيه وصار من منازع الأبهة ولقد كان عمرو بن العاصي بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب ويأبئ به المقوقس الى قصره ومعه سرير من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شأن الملوك فيجاس عليه وهو امامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم من الذمة واطراح الابهة الملك ثم كان بعد ذلك لبني العباس والعبيدين وسائر ملوك الاسلام شرقا وغربا من الاسرة والمنابر والنخوت ما عفا عن الاكسرة والقباصرة والله مقلب الليل والنهار *(السكة)* وهي التخت على الدنانير والدراهم المتعامل بهم ما بين الناس بطابع حديد يتش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسكة بل مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل به اعددا وان لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها

العدو وصرح بفتح القافين على المنتصر بن الواهين حقوقهم على المنتقمين فقال سبحانه وان عافيتهم فاعفوا بئس ما وقفت به ولئن صبرت لم تخرجي الاصابين وهذه ذانص لا يجتهد في التأويل وتحقيق القول في ذلك ان وزنا

الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله أحب اليه من عدله لانه ان عدل علينا فافادنا بحقه هـ وكان عقابنا برحمته تخلفنا ولو كان العدل يسع الخلاق لما قرنه الله بالاحسان فلما علم ان العدل استقصاء ومناقشة وذلك (١٥٥) مما تضييق عنده النفوس وتخرج

له الصدور وناط الاحسان بالعدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايضا فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله واحسان وايضا فالانتصار سيئة والعفو حسنة قال الله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على ان الانتصار سيئة قوله تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها غير انها انما سميت سيئة لما كانت نتيجة سيئة لانه لا يجوز الانتصار وهو كقول عمر بن الخطاب

التغلي
الا لا يجهان أحد عليا
فنجعل فوق جهل الجاهلينا
فسمى الجزاء على الجهل
جهلا وان لم يكن في الحقيقة
جهلا وعن هذارت عائشة
رضي الله عنها قالت ما رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم
متصرا من مظلمة ظلمها
قط غير انه اذا انتهك شيء
من محارم الله فلا يقوم
لغضبه شيء (وروي) انه
قال ينادي منادي يوم القيامة
من كان له على الله أجر
فليقم فلا يقوم الا من عفا
في الدنيا فان عفوت أيها
الطالب كان أجرك على
الله وان لم تعف كان حقت

وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المنخذة لذلك ثم نقل الى أثرها وهي النقوش المسائلة على الدنانير والدراهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علمنا عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتم الخصال من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تائيل تكون مخصوصة بهامثل تمال السلطان لعدها أو تمثيل حصن او حيوان او مصنوع أو غير ذلك ولم ينزل هذا الشأن عند العجم الى آخر أمرهم * ولما جاء الاسلام أغفل ذلك السداجة الدين وبادوا العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس ودرهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى أن تفادش الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك وأمر عبد الملك بن الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدراهم وتميز المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدايني سنة خمس وسبعين ثم أمر بصرى في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد ثم ولي ابن مبررة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقبل أول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك ان الدرهم كان وزنه أول الاسلام ستة دوانق والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك ان أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال عشرة وقيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما احتيج الى تقدير في الزكاة أخذ الوسط وذلك اثنا عشر قيراطا فكان المثقال درهم ما وثلاثة أسباع درهم وقيل كان منها البغلي ثمانية دوانق والطبري أربعة دوانق والمغربي ثمانية دوانق واليميني ستة دوانق فامر عمر أن ينظر الاغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر دنانق وكان الدرهم ستة دوانق وان زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا واذا نقصت ثلاثة أعشار المثقال كان درهمه فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجارين في معاملة المسلمين من الغش فعين مقدارها على هذا الذي استقر العهد عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لا صور لان العرب كان الكلام والبلاغة أقرب من منحهم وأظهرها مع ان الشرع ينهي عن الصور فلما فعل ذلك استمر بين الناس في أيام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكسكة عليهم في دوائر متوازية يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهللا وتحميذا وصلاته على النبي وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا أيام العباسيين والعبيديين والامويين وأما من حاجة فلم يتخذوا سكة الا آخر الامر اتخذها منصور صاحب بجاية ذلك ابن حماد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم ربع الشكلى وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملا من أحد الجانبين تهللا وتحميذا ومن الجانب الآخر كتب في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد ولقد كان المهدي فيما ينقل ينعث قبل ظهوره بصاحب الدرهم والمربع نعت بذلك المتكلمون بالحديثان من قبله المخبرون في ملاجهم عن دولته وأما أهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدرة وإنما يتعاملون بالدنانير والدراهم وزنا بالصنجات المقدرة بعدة منها ولا

قبل من ظلمك ولان يكون أجرك في ضمان الله تعالى أوثق من أن يكون قبل مخلوق وايضا فان لم تعف نلت حقت بلا زيادة عليه وان عفوت كان حسنة أسديتها لأخيك والله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وشفع الا حنف بن قيس في محبوس الى السلطان

فقال له ان كان بحر ما فالعفو يسعه وان كان بر يافا لعدل يسعه (وقيل) لبعض الكلاب بين يدي أمير المؤمنين بلغ أمير المؤمنين عنك
أمر فقال لا بألى فقيل له ولم لا تبالي (١٥٦) قال ان صدق الناقل وسعني عفوه وان كذب الناقل وسعني عدله ولم يدخل عيبيته بن

يطبعون عليه بالسكة نقوش الحكامات بالتأثيل والصلاة واسم السلطان كما يفعل اهل المغرب ذلك تقدير
العزيز العليم (ولتختم السكلام) في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما
وذلك ان الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق والامصار وسائر الاعمال والشرع
قد تعرض لذكرهما وعلق كثير من الاحكام بهما في الزكاة والانسكة والحدود وغيرهما فلا بد لها عند
من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليهم الاحكام دون غير الشرعي منهم ما فاعلم ان الاجماع منع
من صدور الاسلام وعهد الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة من قبل من
الذهب والاوقية منه اربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن المثقال من الذهب ثنتان
وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة اعشار خمسون حبة وخمسة حبات وهذه المقادير كلها ثابتة
بالاجماع فان الدرهم الجاهلي كان بينهم على انواع احودها الطبري وهو ثمانية دنانق والبغلي وهو اربعة
دنانق فجعلوا الشرعي بينهم وهو ستة دنانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغليته ومائة طبرية
خمس دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك او اجماع الناس بعده عليه كما ذكرناه
ذكر ذلك الخياط في كتاب معالم السنن والمساوري في الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين
لما يلزم عليه ان يكون الدينار والدرهم الشرعيان مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعاقب الحقوق
الشرعية بهما في الزكاة والانسكة والحدود وغيرهما كما ذكرناه والحق انهما كانا معلومين المقدار في ذلك
العصر تجريان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج
وانما كان متعارفا بينهم بالحق الشرعي على المقدار في مقدارهما وزنتهما حتى استفحل الاسلام وعظمت
الدولة ودعت الحال الى تشخيصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير
وقارن ذلك ايام عبد الملك فمشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما السكة
باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلاصت ونقش عليهما السكة
وتلاشي وجودها فهذا هو الحق الذي لا محيد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدول على
مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والآفاق ورجع الناس الى تصور
مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل اقليم يستخرجون الحقوق الشرعية
من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينهما وبين مقاديرها الشرعية واما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من
الشعير الوسط فهو الذي نقسه له المحققون وعليه الاجماع الا ان خرم خالف ذلك وزعم ان وزنه اربعة
وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق وردة المحققون وعدوه ومما غلطوا هو الصحيح والله يحق
الحق بكلماته وكذلك تعلم ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة
باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لاختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديرا
(الخاتمة) واما الخاتمة فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والاصكوك
معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب الى
قيصر ف قيل له ان العجم لا يقبلون كتابا الا ان يكون مختوما فاخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله
وقال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به وقال لا ينقش أحد مثله قال وتختتم به ابو بكر
وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر اريس وكانت قبله المساء فلم يدرك فعرها بعد واغتم عثمان
وتطير منه ومنع آخر على مثله وفي كيفية نقش الخاتمة والختم به وجوه وذلك ان الخاتمة يطلق على الآلة

حصن على عمر بن الخطاب
قال يا ابن الخطاب والله
ما تعطينا الجزل وما تحكم
بيننا بالعدل فغضب عمر وهم
بان يوقع به فقال ابن أخيه
يا أمير المؤمنين ان الله
تعالى يقول خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن
الجاهلين وان هذان
الجاهلين فوالله ما جاوزها
عمر حين تلاها عليه وكان
عمر واقفا عند كتاب الله تعالى
(وقال) النبي صلى الله
عليه وسلم ارجوا من في
الارض يرجوكم من في
السماء وقال ارحمهم
وكان يقال أولى الناس
بالسلطان أحقهم بالرأفة
والرحمة وفي الانجيل أفلح
أهل الرحمة لانهم سيرجون
(وقال) سليمان بن داود
عليهما السلام لقد أبغض
الله المتسرعين الى اراقة
الدماء فاليهم انتهت القسوة
والغلظة والتباعد من
الرحمة ولما لم يكن داود
من قتل جالوت أبقي عليه
وهو يومئذ عدوه وطالبه
وقال يارب أعظم دمي في
عين أعدائي كما عظمت في
عيني دم عدوي وكذلك
خلصني من جميع المهوم
وقالت حكماء الهند لاسودد
مع انتقام ولا سباسة مع
عزارة نقس وعجب (وقالت)

الحكماء ليس الافراط في شيء اجود منه في العفو ولا هو في شيء اقبح منه في
العفو به وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العفو به واعلم انك ان تخطئ في العفو في ألف قضية خير من أن تخطئ في العفو في

قضية واحدة (وقال) معاوية اني لارفع نفسي ان يكون ذنب أعظم من عقوبتي وجهه لأكبر من حلمي وعورة لا يوارى بها سترى (وقال)
المؤمن ليس على في الحلم مؤنة ولوددت ان أهل الجرائم علموا رأيت في العقوبة ذهب (١٥٧) الخوف عنهم فتخلص لي قلوبهم

وقال رجل لأمير المؤمنين ان الانتقام انتصاف والتجاوز فضل والمتجاوز قد تجاوز حد المنصف ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بل وكس النصيبين وأن لا يرتفع إلى أعلى الدرجتين فاعف عنا يهف الله عنك فعاظهم وأنشدوا

واذا بنى باع عليك بجعله فاقبله بالمعروف لا بالمنكر وقال بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عفا عنه والله ما أدري أيها الأمير أي يوميك أشرف أيوم ظفرت أم يوم عفت

وقال الشاعر ما زلت في العفو للذنوب واطلاق جان بحرمة علق حتى تمنى العقاة أنهم مو عندك أمسوا في القيد والخلق

ورفع إلى أنوشروان ان العامة تؤنب المالك في معاودة الصقع عن المذنبين مع تبايعهم في الذنوب فوقع المذنبون مرضي ونحن اطباء وليس معاودة الداء باهم بما نعلم من معاودة العلاج لهم (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة (وقال) رجل لعبد المالك

التي تجعل في الاصبح ومنه تختم اذ البسه و يطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر اذا بلغت آخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر و يطلق على السداد الذي يسد به الاواني والذنان و يقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لان آخر ما يجدونه في شراهم ربيع المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها في الدن سداد الطين او القار يحفظها و يطيب عرفها وذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بان سدادها من المسك وهو اطيب عرفها وذوقها من القار والطين المعهودين في الدنيا فاذا صح اطلاق الختام على هذه كلها صح اطلاقه على اثرها الناسي عنها وذلك ان الخاتم اذا نقشت به كلمات او اشكال ثم غمست في مداف من الطين او مداد ووضع على صفح القرطاس بقي اكثر الكلمات في ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه واذا كانت كلمات وارتمت فقه ديق رامن الجهة اليسرى اذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقديقه رامن الجهة اليسرى اذا كان النقش من الجهة اليسرى لان الختم يقرب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من يمن او يسار فيحتمل ان يكون الختم بهذا الخاتم بنفسه في المداد او الطين ووضعه على الصفح فتنتقش الكلمات فيه ويكون هذان معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كأن الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ما لم يكن يسام وقد يكون هذا الختم بالخط آخر الكتاب او اوله بكلمات منتظمة من تحميد او تسبيح او باسم السلطان او الامير او صاحب الكتاب من كان او شيء من نوعه يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذه و يسمى ذلك في المتعارف علامة ويسمى ختما تشبيها له بالخرام الخاتم الا يصح في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم أي علامته وخطه الذي ينقذهما احكامه ومنه خاتم السلطان او الخليفة أي علامته قال الرشيد يحيى بن خالد لما اراد أن يستوزر جعفر او يستبدل به من الفضل اخيه فقال لا يهيم يحيى يا ابت اني اردت أن ادول الخاتم من يمنى الى شمالى فكفى له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهددهم ويشهد له هذه الاطلاق ما نقله الطبري ان معاوية ارسل الى الحسن عند مرادته اياه في الصلح صحيفة بيضاء ختمت على أسفلها وكتب اليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخطه او غيره ويحتمل ان يختم به في جسم لين فتنقش فيه حروفه ويجعل على موضع الخزم من الكتاب اذا خرم وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر وهو في الوجهين آثارا الخاتم فيطابق عليه خاتم واول من اطلق الختم على الكتاب أي العلامة معاوية لانه امر لعمر بن الزبير عند زياد بالكتابة بمائة الف ففتح الكتاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فذكرها معاوية وطلب بها عمر وحده حتى قضاهما عنه أخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال آخره وخزم الكتاب ولم تكن تخزم أي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائم على انفاذ كتب السلطان والختم عليها اما بالعلامة او بالخرم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والخزم للكتاب يكون اما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب واما بالصق رأس الصحيفة على ما تنطوى عليه من الكتاب كما في عرف اهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس او الاصاق علامة يؤمن معها من فحشه والاطلاع على ما فيه فاهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم نقشت فيه علامة لذلك فيرسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان الاصاق

ابن مروان لما ظفر بالمهلب ما رأيت أحدا يا أمير المؤمنين ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك (وقال) مستدع لعداوة اولياء المذهب والعاني مستدع لشكرهم أو مكافأتهم أيام قدرتهم ولا ينبغي عليك باتساع الصدر خير من أن تنسب إلى

ضمة واقالة العشرة موجبة اقالة عشرتك من ربك وعقوبك عن الناس موصول بعقوبك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى لك
والله يحب العاقين (وقال) المنصور (١٥٨) عقوبة الاحرار التعريض وعقوبة الاسرار التصريح (وقال) المأمون لما رأيت الذنوب

بختام منقوش أيضا قد غس في مداف من الطين معد لذلك صبغه احمر فير تسم ذلك النقش عليه وكان
هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم وكان يجلب من سيرا فيظهر أنه مخصوص بها فهذا
الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة او النقش للسادات والخزائن للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك
للوزير في الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار ان اليه الترسل وديوان الكتب في الدولة ثم صاروا
في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للاصبع فيستعينون صوغه من الذهب
ويرصونه بالفصوص من الياقوت والغير زوج والمرزوق يلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت
البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية والله مصرف الامور بحكمه

(الطراز) من ابهة الملك والاسطان ومذهب الدول أن ترسم اسماءهم او علامات تختص بهم في طراز
اثوابهم المعدة لباسهم من الحرير او الديباغ او الابريسم تعتبر كناية خطها في نسج الثوب الخا ما سدى
تخيط الذهب او ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصانع في تقدير
ذلك ووضعها في صناعة نسجهم قصير الثياب الملوكية معلة بذلك الطراز قصدا للتنويه بلباسهم
الاسطان فمن دونه او تنويه به من يختصه السلطان بملبوسه اذا قصد تشريفه بذلك او لولايته لوظيفة من
وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك واشكالهم او
اشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمائهم مع كلمات أخرى تجري
مجرى القال أو السجلات وكان ذلك في الدولتين من ابهة الامور وانغم الاحوال وكانت الدول المعمد
لنسج اثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر
في أمور الصياغ والآلة والحكمة فيها و اجراء رزاقهم وتسهيل آلائهم ومشاركة اعمالهم وكانوا يقدرون
ذلك الخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني أمية بالاندلس والطوائف من بعدهم
وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن
الترف والتفنن فيه اضيق نطاقها في الاستيلاء وتعدت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليهم من أكثر
الدول بالجملة * ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني أمية أول المائة السادسة ولم يأخذوا بذلك أول
دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدي وكانوا
يتودعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها اعقابهم آخر الدولة
طرقا لم يكن بتلك النبيلة واما هذا العهد فادركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانها وشموخها رسمها جليلا
لقنوه من دولة ابن الاحرار معاصروهم بالاندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف فأتى منه بلمحة شهادة
بالاث * واما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيه من الطرز تحرير آخر على مقدار ملكهم وعمران
بلادهم الا ان ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وانما ينسج ما تطلبه الدولة
من ذلك عند صدناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ويعمونه المزركش لفظه اعجمية ويرسم اسم
السلطان أو الامير عليه ويعد الصانع لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللائقة بها والله مبدد
الليل والنهار والله خير الوارثين

(القساطيط والسياج)

اعلم ان من شارات الملك وترفيه اتخاذ الاخبية والقساطيط والغازات من ثياب السكك والصوف والقطن
يجدل السكك والقطن فيما هي بها في الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في

جلت عن المجازاة بالعقاب
جعلت العقاب فيها عوا
أمضى من الضرب للرقاب
وقال الا حنف لا تزال العرب
بينة الفضل ما لم تعد
العقوبة ما والبذل سرفا
وفي الحكمة اذا انتفعت
فقد انتفعت واذا عقت
فقد انتفعت (وقال) بعض
الحكام اقبل العذرون
كان مصنوعا الا ان يكون
من اوجبت المروعة قطيعته
أو يكون في قبولك عذره
تشجيعه على المنكر وهأو
عونه على الشرفان قبولك
للعذوبة اشتراك في المنكر
(ولما دخل) القيل دمشق
حشر الناس لرؤيته
وصعد معاوية الى عالية
له متطعا فيمنها هو كذلك
اذ نظر في بعض الحجر في
قصره رجلا مع بعض حرمة
فأتى الحجر ودق الباب
فلم يكن من فتحه بدفوعت
عنه على الرجل فقال
يا هذا أنى قصرى وتحت
جناحي تهلك حرى وأنت
في قبضتي ما جعلك على
ذلك فهت الرجل وقال
حملك أوقعنى قال له معاوية
فان عقت عنك تسترها
على قال نعم فخلى سبيله
وهذا من الدهاء العظيم
والحلم الواسع أن يطلب
الستر من الجاني وهو عروض قول الشاعر اذا مرضنا أنيناكم نعودكم * وتذنبون فنأنيكم فنعتمد

الثررة
(وأنى موسى الهادى) برجل قد جنى فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال اعتذارى عما تقرر عني به رد عليك واقرارى بما ذكرته ذنب

ولكني أقول فان كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزدن عند المعافاة في الاجر فامر باطلاقة (وقال المهلب) لاشئ أبقى للملك من العقوبة فان الملك اذا وثقت رعيته منه بحسن العقول يوحشها الذنب وان عظم (١٥٩) وان خشيت منه العقوبة أوحشها الذنب

وان صغر حتى يضطره ذلك الى المعصية ومن الحكمة البالغة في مثل هذا قول سابور و قد جمع أولاده فقال يا بني ان عجب زكمان ثاقوا لبوب الرعية حبا فاملأوها خوفا وليس ذلك بان تحمل العقوبة على من لا يستحقها ولكن تعجيلها لمن يستحقها وفي هذا المعنى قال الله تعالى فشردهم من خلفهم وهذا معنى لا يتخيل عما أوجبهناه وهو معنى قول سابور ولا يخالف ما قررنا من حسن العقوب بل هذا محمول على الواجب المستحق أو على ما في تركه اغراء بركون أمثاله فهنا يكون العقوب مفيدة في أيها المعاقب اذا لقت على مذنب عقوبة فلا تسكن كالمثني المتلذذ بعذابه لانك واياه اخوان لاب وأدم وحواء لم تفضلهم بحولك وقوتك بل بما فضلك الله به تطولا عليك فاذا كره كنت في مقامه وكان في مقامك ولا تأمن تغلب الدهر فتقوم مقامه بين يدي من لا يرحم ولا ينظر في العواقب واحذر التفریط والتقصير واقم نفسك مذنباً أقم للعقوبة وليكن عقابك مقدراً كما

الثروة واليسار وانما يكون الامر في أول الدولة في بيوتهم التي جرت عادتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين من بني امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف ولم تزل العرب لذلك العهد بادين الا الاقل منهم فكانت أسفارهم لغزو واتهم وحروبهم بظعونهم وسائر حلالهم واحباثهم من الاهل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم لذلك كثيرة التحمل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منها عن نظار صاحبه من الاخرى كشأن العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقية تحشد الناس على أثره ان يقوموا اذا ظعن ونقل انه يستعمل في ذلك الحجاج حين اشار به روح بن زباع وقصة تها في احراق فساطيط روح وخمامه لا قبل ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الا من يأمن بوادئ السفهاء من احيائهم بماله من العصبية الخائلة دون ذلك ولذلك اختصه عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بغيرائه فيها بعصيته وصرامته فلما تفتنت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبدخ ونزلوا المدن والامصار وانتهى لواء من سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخفاف الى ظهر الحمافر اتخذوا للسكنى في أسفارهم ثياب السكك يستعملون منها بيوتاً مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من القورا والمسطة طيلة والمربعة ويحتملون فيها بابلغ مذاهب الاحتفال والزينة وتدير الامير والقائد للعساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياجاً من السكك يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هو لسان اهلهم أفرالك بالكاف التي بين الكاف والغاف ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره * وأما في المشرق فيخذ كل امير وان كان دون السلطان ثم جئتم الدعوة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنزلهم فخفف لذلك ظهرهم وتقاربت الساحبين منازل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسيطة زمره وانما في الاختلاف ألوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفعها وكذا كانت دولة الموحدين وزناتة التي اطلتنا كان سفرهم اول أمرهم في بيوت سككهم قبل الملك من الخيام والقياطن حتى اذا أخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور عادوا الى سكنى الاخبية والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق ما أرادوه وهو من الترف بمكان الا ان العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه الصيحة ولحققتهم من الاهل والولد الذين تكون الاستماتة دونهم فيحتاج في ذلك الى تحفظ آخر والله القوى العزيز

(المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة)

وهما من الامور الاخلاقية ومن شارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام فاما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيخذس ما جاعلى الحراب فيحوزة وما يلبه فاقول من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي والقصة معروفة وقيل اول من اتخذها امر وان بن الحكم حين طعنه العباسي ثم اتخذها الخلفاء من بعدهم واصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستفحال شأن احوال الابهة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند افتراق الدولة العباسية وتعد الدول بالشرق وكذا بالاندلس عند انقراض الدولة الاموية وتعددم لوك الطوائف وأما المغرب فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بفاس وبنو حجاب بالقلعة ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ومحو ذلك الرسم على طريقة البيعة الادوة التي كانت شعاعهم ولما

كان عطاؤك مقدراً وليكن عقابك للتقويم لا للانتقام ولزجر لا لهوى وعن هذا قال بن رجب لا ينبغي للملوك ان يكرهوا احداً به وان من ليس له وان أهلاً ولا ان يهينوا احداً باكرام من ليس للكرامة أهلاً لا تسكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ولا على البخل أصرع

منك الى البذل قال الشاعر صفوح عن الاجرام حتى كانه * من العقول يعرف من الناس مجرما فليس يبالي ان يكون به الاذى *
اذا ما الاذى بالكره لم يغش مسلما (١٦٠) (وقال سليمان بن داود) عليهم السلام التمسك بالبر والعقوبة أمنية الملك الشريف

وعلى مثله يبعث الله ملكا غير رحيم وقال معاوية لا ينبغي للملك ان يظهر منه غضب أو رضا الاثواب أو عقاب وقال اردشير فضل الملك على السوقه انما هو بقدرة على اقتناء المحامد واستفاد المكارم فكلما استكثر منها بادت فضيلته واستحقاقه لموضع من الولاية عليهم وكلما نقص منهم ما قرب من السوقه (وقال المأمون) اني لاجد لعقوى لذة أعظم من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب الملك أو اهان على ظن غير يقين أدخل على نفسه من قبح الخطا في الرأي أعظم مما أدخل على صاحبه من العقوبة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الغالب بالشر مغلوب وما ظفر من ظفر بالاثم (وقيل) لا فلا طون أي شيء من أفعال الناس يشبه أفعال الله تعالى فقال الاحسان الى الناس وقال الحكيم الخليل فدام السفيه والعقور كاة العقل وقال الحكيم السديد الذي لا يشين حسن الظفر بقببح الانتقام وخير مناقب الملوك العفو وكان يحيى ابن معاذ يقول سبحان من أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعفو الهى ان عفوت فخير راحم وان عذبت فغير ظالم الهى ان كنت لا ترضي الاعمال طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا ير جوك الأهل وفائك نعين يستغيث المستغيثون وقال الشاعر ومعاشرهم

٣٨ * (فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها) *

اعلم ان الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ رآها الله وأصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبيته فاذا تدارموا ذلك وتوافقت الطائفتان احدهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تتحلموه عنه امه ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الاكثر ما غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعي في تعهده فلاول أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الامم الوحشية الساكنين بالقرى كالعرب والترك والتركان والاكراد وشباههم لانهم جعلوا أرواقهم في رماحهم

استقرت الدولة وأخذت بحظها من الترف وجاء أبو يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة وبعث من بعده سنة ملوك المغرب والاندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عبادته * (واما الدعاء على المنابر) في الخطبة فكان الشأن اولا عند الخلفاء وولاية الصلاة بأنفسهم فكانوا ايدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضاعن أصحابه وأول من اتخذ المنبر عمرو بن العاصي لما بنى جامع مصر وأول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس دعا على رضى الله عنهم في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها فقال اللهم انصر عليا على الحق واتصل العمل على ذلك فيما بعد وبعده اخذ عمرو بن العاصي المنبر بلع عمر بن الخطاب ذلك فكتب اليه عمر بن الخطاب اما بعد فقد بلغني انك اتخذت منبر اترقي به على رقاب المسلمين او ما يكفيل ان تكون قائما والمسلمون تحت عقبك فغزمت عليك الاما كسرتة فلما حدثت الابهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة استنابوا فيهما فكان الخطيب يشهد بكر الخليفة على المنبر تنويها باسمه ودعاه له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولان تلك الساعة مظنة للاجابة وما ثبت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة يقر بذلك فلما جاء الحبحر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثير اما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعاء له على المنبر دون من سواه وحظر ان يشاركه فيه احد او يسعوا اليه وكثيرا ما يغفل الماهدون من اهل الدول هذا الرسم عند ما تكون الدولة في أسلوب الغضاضة ومناحي البداوة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الابهام والاجال لمن ولي امور المسلمين ويسعون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون بذلك ان الدعاء على الاجال انما يتناول العباسي تقليدا في ذلك للسلف من الامر ولا يحفلون بما وراء ذلك من تعيينه والتصرح باسمه * يحكي أن يغمرا سن بن زيان ماهد دولة بني عبد الواد لما غلبه الامير ابو زكريا يحيى بن أبي حفص على تلسان ثم بدله في اعادة الامر اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر عمله فقال يغمرا سن تلك أعودهم يذكرون عليهم من شأوا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد دولة بني مرين حضره رسول المستنصر الخليفة بتونس من بني أبي حفص وثالث ملوكهم وتختلف بعض أمانه عن شهود الجماعة فقيل له لم يحضر هذا الرسول كراهية لخلو الخطبة من ذكر سلطانه فاذن في الدعاء له وكان ذلك سببا لانه ذهيم بدعوتة وهكذا شأن الدول في بدايتها ومكنا في الغضاضة والبداد فاذا انتهت عيون سياستهم ونظروا في اعطاف ملكهم واستمواشيات الحضارة ومعاني البذخ والابهة انتحلوا جميع هذه السمات وتغننوا فيها وتجاروا الى غايتها وأنفوا من المشاركة فيها وخرجوا من اقتقادها وخلصوا ذولتهم من آثارها والعالم بستان والله على كل شيء قدير

أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعفو الهى ان عفوت فخير راحم وان عذبت فغير ظالم الهى ان كنت لا ترضي الاعمال طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا ير جوك الأهل وفائك نعين يستغيث المستغيثون وقال الشاعر

وان الله ذو حلم ولا يكن * اعز الحلم بنهقم الحليم (وروى ان الحاج) اخذ القطري بن الفجاءة فقال لا قتلناك قال ولم قال لخروج اخيك
على قال فان معي كتاب امير المؤمنين ان لا تأخذني بذنب اخي قال هاته قال ان معي او كدمنه (١٦١) قال الله تعالى ولا تزر وازرة

وزر اخرى فتعجب من
جوابه وخلي سبيله ولما
وفد عقيل بن ابي طالب
على معاوية امر له بمائة
الف درهم فلما اراد
الانصراف رأى في الطريق
جارية باربعين الف
درهم فرجع الى
معاوية فاخبره قال وما
تصنع بها قال تلدي
غلاما فان أغضبتني
يضرب مفرقك بالسيف
فامر له بها فابتاعها فولدت
له مسلم بن عقيل ثم قدم
مسلم الشام فابتاع منه
معاوية ضعة فبلغ الحسين
ابن علي الخبر فكتب الى
معاوية قاتل لأخي يبيع
مسلم فارسل معاوية الى
مسلم فقال هذا كتاب الحسين
يا عمر برد المال فقال مسلم
أما دون ان أضرب
مفرقك بالسيف فلا
فصيح معاوية وقال والله
لقد تهمدتني أبوك بذلك
قبل ان يشترى أمك
وسوغه المال فقال الحسين
غلبنا معاوية حلالا وجودا
* (الباب السابع والعشرون
في المشاورة والنصيحة) *
وهذا الباب مما يعده
الحكام من أساس
المملكة وقواعد السلطنة
ويقتضيه قرأه الرئيس
والمرؤس وقد ذكرناه في

ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة
ولا مال وأتباعهم ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم والثالث هو المسمى في الشريعة بالجهاد
والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمبايعين لطاعتها فهذه أربعة أصناف من الحروب الصنفان
الأولان منها حروب بغية وقتنة والصنفان الآخران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين الخليفة
منذ أول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفوفاً ونوع بالكر والفرما الذي بالزحف فهو قتال العجم
كاهم على تعاقب أجيالهم وأما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب و قتال الزحف
أوثق وأشد من قتال الكر والفر وذلك لان قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القذاح
أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو وقدما فلذلك تكون أثبت عند المصارع وصدق في القتال
وأرهب للعدو لانه كالخائض الممتد والقصر المشيد لا يطعم في ازالته وفي التنزيل ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص اي يشدد بعضهم بعضاً بالثبات وفي الحديث الكر يم المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشدد بعضه بعضاً ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب الثبات وتحرير التولي في الزحف فان المقصود
من الصف في القتال حفظ النظام كما قلناه فنولى العدو وظهوره فقد أدخل بالمصاف وباعث المزيمة ان وقعت
وصار كأنه جرها على المسلمين وأمكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعذيبها الى الدين بخرق
سياسة عدم الكبار ويظهر من هذه الأدلة ان قتال الزحف أشد عند الشارح وأما قتال الكر والفر
فليس فيه من الشدة والامن من المزيمة ما في قتال الزحف الا أنهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافاً
ثابتاً ليحسون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة
الجنود المتسعة الممالك كانوا يسمعون الجيوش والعساكر أقساماً يسمونها كرايس ويسوون في كل
كر دوس صفوفه وسبب ذلك انه لما كثرت جنودهم الكثيرة البالغة وحشدوا من قاصبة النواحي استدعى
ذلك ان يجعل بعضهم بعضاً اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتور وامن عدوهم الطعن والضرب فيخشي من
تدافعهم فيما بينهم لاجل النكر اوجعل بعضهم بعضاً فلذلك كانوا يسمون العساكر جوعاوا يضعون
المتعارفين بعضهم لبعض ويرتبونها قريماً من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها
من سلطان او قائد في القلب ويسمون هذا الترتيب التبعية وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين
صدرت الاسلام فيجعلون بين يدي المالك عسكر منقردا بصفوفه متميزاً بقائد ورأيه وشعاره ويسمونه المقدمة
ثم عسكر آخر من ناحية اليمن عن موقف المالك وعلى سمتة يسمنونه المينة ثم عسكر آخر من ناحية الشمال
كذلك يسمنونه الميسرة ثم عسكر آخر من وراء العسكر يسمنونه الساقية ويقف المالك وأصحابه في الوسط بين
هذه الاربع ويسمنونه موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للبصر أو على مسافة
بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكر من منها وكيفية اعطاه حال العساكر في القلة والكثرة
فيستند يكون الزحف من بعد هذه التبعية وانظر ذلك في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين بالشرق وكيف
كانت العساكر لعهد عبد الملك تتخلف عن وحيه له لبعده المدى في التبعية فاحتيج لمن يسوقهم من خلفه
وعين لذلك الحاجب بن يوسف كما أشرنا اليه وكما هو معروف في أخباره وكان في الدولة الاموية بالاندلس
أيضا كثير منه وهو مجهول فيما لدينا نائما ادر كناد ولا قليلة العساكر لا تنتهى في مجال الحرب الى
التناكر بل أكثر الجيوش من الطائفتين معاً يجمعهم لدينا حله أو مدينة ويعرف كل واحد منهم قرينه
ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن تلك التبعية

(٢١ - ابن خلدون) باب الخصال القربانية ونذكره هنا فوائدها ومحاسنها علما وان المستشير وان كان أفضل رأياً من المشير فانه يزداد
برأيه رأياً كما تزداد النار بالسلط ضوءاً فلا يقدح في روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فيمنعك

ذلك عن المشاورة فانك لاتريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به فان أردت الذكرك انخرلذك وأحسن عند ذوى الالباب لسياستك ان يقولوا لا ينقد برأيه دون ذوى الرأي (١٦٢) من اخوانه ولا يمنعك عزمك على انقاذ رايك وظهور صوابه لك عن الاستشارة

الاترى ان ابراهيم عليه السلام أمر بدمج ابنه عزمة لامشورة فيها فعمله حسن الادب وعلمه بموقعه فى النفوس على الاستشارة فيه فقال فيه يا بني انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ما اذترى وهذا من أحسن ما رسم فى هذا الباب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الراى الفرد كالخطيط السحيل والرايان كالخيطين والثلاثة اراء لاتكاد تنقطع ويروى ان روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسى نحن لانملك علينا من يشا وروى ان رومى ونحن لانملك علينا من لا يشاور وقال بزرجهرا اذا أشكل الراى على المحازم كان بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها فالتصافوا وجدها كذلك المحازم يجمع وجوه الراى فى الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب (وكان) يقال من كثرت استشارته جدت امارته وفى حكم الهندقال بعض الملوك ان الملك المحازم يزداد برأى الوزراء المحزمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار وينال بالحزم والراى مالا يناله بالقوة

(فصل) ومن مذاهب أهل السكرو والفكر فى المحروب ضرب المصاف وراءه سكرهم من المجادات والمجوانات العجم فيخذونها لمجالس الخيالة في كرههم وفهمهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون ادوم للحرب وأقرب الى الغلب وقد يقع له أهل الزحف أيضا ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون الفيلة فى المحروب ويحملون عليها أبراجا من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم فى حومة الحرب كأنهم حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزدادون ثقتهم وانظر ما وقع من ذلك فى القادسية وأن فارس فى اليوم الثالث اشتدوا بها على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فحاطوهم وبعجوها بالسيفوف على خراطيمها ففترت ونكصت على اعقابها الى مرابطها بالمداين فجعلهم سكر فارس لذلك وانهمزموا فى اليوم الرابع * وأما الروم وملوك القوط بالاندلس وأكثر العجم فسكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للملأ سريره فى حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات فى أركان السرى ويحشدون به سايح آخر من الرماة والرجال فيعظم هيكل السرى ويصير فئة للمقاتلة وللمجالس والفرو جعل ذلك الفرس أيام القادسية وكان رستم جالس فيها على سريره نصبه لمجوسه حتى اختلفت صفوف فارس وخاطه العرب فى سريره ذلك فتحول عنه الى القرات وقتل وأما أهل السكرو والفر من العرب وأكثر الامم البدوية الرحالة فيصقون لذلك ابائهم والظهر الذى يحمل ظعا ثمنهم فيكون فئة لهم ويسعون بها المجبوزة وليس امعة من الامم الا وهى تفعل ذلك فى حروبها وتراه اوتنى فى الجولة وآمن من الغرة والمزيمه وهو أمر شاهد وقد اغفلته الدول لعهدنا بالجهلة واعتاضوا عنه بانظهم الحامل للثقال (١) والفساطيط يحملونها ساقفة من خلفهم ولا تغنى غناء الفيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشعرة للقرادى فى المواقف وكان الحرب أول الاسلام كله زحفا وكان العرب انما يعرفون السكرو والفكر لكن جعلهم على ذلك أول الاسلام امران احدهما ان عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم الثانى انهم كانوا مستميتين فى جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان والزحف الى الاستماتة أقرب * وأول من أبطل الصف فى المحروب وصار الى النجاسة كراديس مروان بن الحبحب فى قتال الضحاك الخارجى والحبحب يرى بعده قال الطبرى لما ذكر قتال الحبحبى فولى الخوارج عليهم شييمان بن عبد العزيز الشكرى وبلغه أبا الدلفاء وقتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ انتمى فتتوسى قتال الزحف بأبطال الصف ثم تنوسى الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكنهاهم الحيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم فى الاحياء فلما حصلوا على ترف الملأ والفوا سكنى القصور والحواضر وتركوأشأن البادية والقرى نسوا ذلك عهد الابل والظعائن وصعب عليهم اتخاذها فخلقوا النساء فى الاسفار وجعلهم الملأ والزحف على اتخاذ الفساطيط والاحبية فاقصر وعاد على الظهر الحامل للثقال والابنية وكان ذلك صفقتهم فى الحرب ولا يغنى كل الغناء لانه لا يدعوا الى الاستماتة كما يدعوا اليها الامل والمال فيخفف الصبر من أجل ذلك وتصرفهم الهيبات وتخرم صفوفهم

(فصل) ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتما كده فى قتال السكرو والفرو صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج فيجندهم واخصوا بذلك لان قتال أهل وطنهم كما بالسكر والفرو والاسطان (١) قوله للثقال والابنية مراده بالابنية الحيام كما يدل له قوله فى فصل الخندق الا ترى قريبا اذ نزلوا وضربوا ابنتهم اه

والجند ولم تنزل خزمة الرجال يستحلون مراتق قول النجباء كما يستحل الجاهل المساعدة على الهوى وقال المأمون يتأكد اظاهر بن الحسين صفى اخلاق الخلو ع يعنى أخاه الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الادب ينتج من نفسه ما تأباه همم الاحرار

لا مضغيا الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستدبر اية فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما به قال فكيف حروبه قال يجب مع السكاكيب
بالتدبير ويقرها بسوء التدبير فقال المؤمنون لذلك ما حل محله امار الله لوداق (١٦٣) لذاذا النصائح واختار مشورة الرجال

ولما نكس نفسه عند مشورتها
ما ظفر به وقال بعضهم انفاذ
الملوك الامور بغير روية
كالعبادة بغير نية ولم تزل
العقلاء على اختلاف
آرائهم يشهدون الغيوب
ويستشرون صواب الرأي
من كل أحد حتى الامعة
الوعك هذا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول رحم
الله امرأ اهدى الى عيوني
وكان يقال من أعطى
أربعا لم يمنع أربعا من
أعطى الشكر لم يمنع المزيد
ومن أعطى التوبة لم يمنع
القبول ومن أعطى
الاستخارة لم يمنع الخيرة
ومن أعطى المشورة لم يمنع
الصواب وقال بعضهم خير
الرأي خير من فطيره وتأخير
خير من تقديمه (وذكر
صاحب كتاب التاج) ان
بعض ملوك العجم استشار
وزراء فقال أحداهم لا
ينبغي للملك ان يستشير منا
أحد الا بالخلافه أموت
للسر واخلزم في الرأي وأحذر
للسلامة واعني لبعضنا من
غائلة البعض وكان بعض
ملوك العجم اذا شاو
مراتبه فقصر وافي الرأي
دعا الموكلين بارزاقهم
فعاقبهم فيقولون تخطئ
مراتبك وتعاقبنا فيقول

يتأكد في حقه ضرب المصاف ليكون رد المقاتلة امامه فلا بد وأن يكون أهـل ذلك الصف من قوم
معتودين للثبات في الزحف والاحفـ لوا على طريقة أهـل السـكـر والفر فانهزم السلطان والعساكر باحـفالهم
فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنـدا من هذه الامة المعتودة للثبات في الزحف وهم الافرنج ويرتبون
مصافهم المحـدق بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر وانما استخفوا ذلك للضرورة التي أربنا كها
من تخوف الاحفـال على مصاف السلطان والافرنج لا يعرفون غـير الثبات في ذلك لان عادتـهم في القتال
الزحف فكانوا أقوم بذلك من غيرهم مع أن الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع أمم العرب
والبربر وقتالهم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا من عمالائهم على المسلمين هـذا هو
الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد أبدى ناسبه والله بكل شئ عليم
(فصل) وبلغنا أن أمم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالنسها م وأن تعبئة الحرب عندهم بالمصاف وأنهم
يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفوا وراصف ويتربحون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم
ثم يتناضلون جلوسا وكل صف رده الذي امامه أن يكسهم العدو الى أن يتهيأ النصر لاحدى الطائفتين
على الاخرى وهي تعبئة محكمة غريبة

(فصل) وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عند ما يتقاربون للزحف حذرا
من معرفة البيات والمجوم على العسكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوز الجيش
بالفرار وتجبد النفوس في الظلمة سـ تـر من عاره فاذا تساوى في ذلك أرحف العسكر ووقعت المزيمة فكانوا
لذلك يحتفرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا أبنيتهم ويديرون الحفائر نطاقا عليهم من جميع
جهاتهم حرصا ان يخاطبهم العدو بالبيات فيتخذوا كانت للدول في أمثال هذا قوة وعلمه اقتدارا باحتشاد
الرجال وجمع الأيدي عليه في كل منزل من منازلهم بما كانوا عليه من وفور العمران وضخامة المال فلما
خرب العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفعلة نسي هـذا الشأن جملة كانه لم يكن والله خير
القادرين وانظر وصية على رضي الله عنه وتحرر فضله لصاحبه يوم صفين تجد كثر من علم الحرب ولم يكن
أحد أبصر به امنه قال في كلام له فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع وأخروا الحاسر
وعضوا على الاضراس فانه أنبى للسيوف عن الهام والتواء على اطراف الرماح فانه أصون للاسنة وغضوا
الابصار فانه أربط للجاش وأسكن للقلوب واخفوا الاصوات فانه أطرد للغسل وأولى بالوقار وأقيموا راياتكم
فلا تملوها ولا تجمعوها الا بأيدي شجعانكم واسـتـعينوا بالصـديق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر وقال
الاستر يومئذ يحرض الازد عضوا على النواجز من الاضراس واستقبلوا القوم بها مكشـة دواشدة قوم
موتورين يشارون بآبائهم واخوانهم حنقا على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم هم ثلاثـة جـقـوابـوتر
ولا يلحقهم في الدنيا عار وقد أشار الى كثير من ذلك أبو بكر الصـديـق في شاعر لمتونة وأهل الاندلس في كلمة
يدج بها ناشـفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شـهـدا ويذكره بامور الحرب في وصايا
وتحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا أيها المـلـك الذي يتقنع * من منكم الملك الهمام الاروع
ومن الذي غدر العدو به دجى * فانقض كل وهو لا يترزعزع
تمضي الفوارس والطعان يصدها * عنه ويديرها الوفاء فترجع
والليل من وضع الترائك انه * صبح على هام الجيوش يلجم

نعم لم يخطئوا الاتعاق قلوبهم بـارزاقهم واذا هتموا اخطوا وكانوا اذا هتموا بمشاوره جـل بعثوا اليه بقوة وقوت عماله لسنه لمتفرغ
لـه وكان يقال النفس اذا حرزت قوتها اطمانت واذا شاورت فاصدق الخبر صدقك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك

وقال بعض ملوك العجم لا ينبغي لشدة بأسك في باطنك ولا علومك كانك في نفسك من ان تجمع الى رأيك رأي غيرك فان احدثت احببت وان اخطأت عذرت فان في ذلك (١٦٤) خصالا منها ان وافق رأيك رأي غيرك ازداد رأيك شدة عندك وان خالفه عرضة

على نظرك فان رأيته معتليا لما رأيته قبلته وان رأيته متصعبا استغذبت عنه وتجد بذلك النصيحة من شاوره وان اخطأ وتنهض لك مودته وان قصر ولولم يكن من فضيلة المشاورة الا انك ان أصيبته مستبدا سلبت فائدة الاصابة بالأسنة المحسدة وقال قائل هذا اتفاق ولو فعل كذلك كان احسن واذا شاورت فاصبت أجد الجماعة رأيك لانهم لنفوسهم يحدون وان اخطأت جل الجماعة خطأك لانهم عن نفوسهم يكافون واعلم ان القول الغليظ يستمع لفضل عاقبته كما يتكلمه شرب الدواء المر لفضل مغبته (وقال اعرابي) ما عثرت قط حتى عثر قومي قالوا وكيف ذلك قال لا أفعل شيئا حتى أشاورهم (وقيل) لرجل من بني عيس ما أكثر صوابكم يا بني عيس فقال نحن ألف رجل وفيها حازم واحد ونحن نطعمه فكأننا ألف حازم وكان ابن هبيرة امير البصرة يقول اللهم اني أعوذ بك من صحبة من غايته خاصة نفسه والاختطاط في هوى مستشيره (وفي حكم الهند) من التمس من الاخوان

أنى فزعتم يا بني صنهاجة * واليكم في الروع كان المزع
انسان عيين لم يصبه منكم * حضن وقلب أسلمته الاضلع
وصدتمو عن تاشفين وانه * له قابله لوشاء فيكم موضع
ما أنتمو الا أسود خفية * كل لكل كريمة مسقطع
يا تاشفين أقم لجيشك عذره * بالليل والغد الذي لا يدفع
(ومنها في سياسة الحرب)

اهديك من أدب السياسة مابه * كانت ملوك الفرس قبل ان تولع
لا تني ادري بهالكنها * ذكرى تحض المؤمنين وتنفع
والبس من الحلق المضاعفة التي * وصي بها صنع الصنائع تبع
والهندواني الرقيق فانه * امضى على حد الدلاص واقطع
واركب من الخيل السوابق عدة * حصنا حصينا ليس فيه مدفع
خندق عليك اذا ضربت بحملة * سيان تتبع ظفرا أو تتبع
والواد لا تعبره وانزل عنده * بين العدو وبين جيشك يقطع
واجعل مناجرة الجيوش عشية * ووراءك الصدق الذي هو أمانع
واذا تضايقت الجيوش بمعرك * ضحك فاطراف الرماح توسع
واصدمه اول وهلة لا تكترث * شيئا فظاهار النكول يضعضع
واجعل من الطلاع أهل شهامة * للصدق فيهم شمة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجقا * لا رأي لك كذاب فيما يصنع

قوله واصدمه اول وهلة لا تكترث البيت مخالف لما عليه الناس في أمر الحرب فقد قال عمر لابن عبيد بن مسعود الثقة لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع وأطع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم واسرهم في الأمر ولا تجيبهم مسرعا حتى تبين فانها الحرب ولا يصلح لها الا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له في أخرى انه لن يمنعني أن أؤمر سبطا الاسرعة في الحرب وفي التسرع في الحرب الا عن بيان ضياع والله لولا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكث هذا كلام عمر وهو شاهد بان التناقل في الحرب اولى من الخوف حتى تبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما قاله الصبر في الآن يريد أن الصدم بعد البيان فله وجهه والله تعالى اعلم

(فصل) ولا وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت أسبابه من العدة والعديد وانما الظفر فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك أن أسباب الغلب في الاكثر مجتمعة من أمور ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكمال الاسلحة واستعدادها وكثرة الشجعان وترتيب المصافي ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن أمور خفية وهي امان خدع البشر وحييلهم في الارحاف والتشايخ التي يقع بها التخاذل وفي التقدم الى الاماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتموه المنخفض لذلك وفي الكرمون في الغياض ومطمئن الارض والتواري بالكدي عن العدو حتى يتداولهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيتمون الى النجاة وأمثال ذلك واما أن تكون تلك الأسباب الخفية أمور اسموية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى في القلوب فيستولى الرعب عليهم لاجلها فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة أو أكثر ما تقع الهزائم عن هذه

الرخصة عند المشورة ومن اطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الرأي وازداد عرضا وجل الوزر وقالت الحكماء الاسباب لا تشاور مع علماء ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائف ولا من برهقة أحد السبيلين وقالوا لا رأي

لخافن ولا لحازق ولا لحاقب ولا تشاور من لا دقيق عنه - وهو الحازق هو الذي ضغطه الخنف الضيق والحقاب هو الذي يجد في بطنه ثقلا وقالوا من شكالى عاجز أعاره عجزه وأمد من جرحه (ومن لطيف ما جرى في الاستشارة) (١٦٥) ان زياد بن عبيد الله الحارثي استشار

عبيد الله بن عمر في أخيه
أبي بكر ان يوليه القضاء
فاشار به فبعث الى أبي بكر
فامتنع عليه فبعث زياد
الى عبيد الله يستعين على
أبي بكر فقال أبو بكر لعبيد
الله أنشدك الله أتري الى
القضاء قال اللهم لا قال زياد
سبحان الله استشرت
فاشرت على به ثم استشرت
تنهاه فقال أيها الأمير
استشرتني فاجتهدت لك
الرأي ونصحتك ونصحت
للمسلمين واسـتشارني
فاجتهدت له رأي ونصحت
(وروى ان الحجاج)
بعث الى المهلب يستعجله
حرب الازارقة فكاتب
اليه المهلب ان من البلاء
ان يكون الرأي لمن يملكه
دون من لا يبصره
(فصل في النصيحة)
اعلموا ان النصيح للمسلمين
والخلائق أجمعين من سنن
المرسلين قال الله تعالى
اخبروا عن نوح عليه السلام
ولا يفتكمكم نهي ان أردت
ان أنصح لكم ان كان الله
يريد أن يغويكم وقال
شعيب عليه السلام ونصحت
لكم فكيف آسى على قوم
كافرين ونصحت لكم
ولكن لا تحبون الناصحين
وقال عليه السلام ان العبد

الاسباب الخفية لا كثيرة ما يعقل لكل واحد من القرية - ين فيها حرصا على الغلب فلا بد من وقوع
التأثير في ذلك لاحده - ماضرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم الحرب خدعة ومن أمثال العرب
رب حيلة أنفع من قبيحة فله فقه دين أن وقوع الغلب في الحرب غالباً على أسـباب خفية غير ظاهرة
ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البخت كما تقرر في موضعه فاعتبره وتفهم من وقوع
الغلب عن الامور السماوية كما شرعناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم نصرت بالرعب مسيرة شهر
وما وقع من غلبه للمشركين في حياته بالعدو القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحات
فان الله سبحانه وتعالى تكفل ليدبره بالقضاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فيهمزمو
معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب في قلوبهم سبباً للزائم في الفتوحات الاسلامية كلها الا
انه خفي عن العيون وقد ذكر الطرطوشي ان من أسـباب الغلب في الحروب ان تقضل عدة القـرسان
المشاهير من الشجعان في أحد الجانبين على عدتهم في الجانب الآخر مثل ان يكون أحد الجانبين فيه عشرة
أو عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد
يكون له الغلب وأعاد في ذلك وأبدى وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قد منا وليس بصحيح وإنما
الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان يكون في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب
الآخر عصاب متعـدة لان العصاب اذا كانت متـعدة تقع بينهما من التخاذل ما يقع في الواحدان
المتفرقين الفاقرين للعصبية اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة
لا يقاوم الجانب الذي عصبية واحدة لاجل ذلك ففقههم واعلم انه أصبح في الاعتبار مما ذهب اليه
الطرطوشي ولم يحمله على ذلك الانسيان شأن العصبية في حلة وبلدة وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحماية
والمطالبة الى الواحدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسباً وقد بينا ذلك أول السكائب
مع ان هذا وأمثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجنين في العـدة وصدق
القتال وكثرة الاسلحة وما أشبهها فكيف يجعل ذلك كقيل بالغلب ونحن قد قررنا لك الآن ان شيئاً منها
لا يعارض الاسباب الخفية من الحبل والمخادع ولا الامور السماوية من الرعب والمخذلان الالهى فافهمه
وتفهم أحوال السكون والله مقدر الليل والنهار

(فصل) ويالحق بمعنى الغلب في الحرب وان أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان
تصادف موضعها في أحد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصلحاء والمنتقلين للفضائل على
العموم وكثير من اشتهر بالشرف وهو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد
تصادف موضعها وتكون طبقة على صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هما بابا الاخبار
والاخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام
ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال الخفائية بالتلبيس والتضعف أو لجهل الناقل ويدخلها التقرب
لاصحاب النجيلة والمراتب الدينية بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واساعة الذكر بذلك والنقص مولعة
بحب الثناء والناس متناولون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل
ولا منافسين في اهلها وابن مطابقة الحق مع هذه كلها فتحتل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير
مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبخت كما تقرر والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

٣٩ *(فصل في الجبابة وسبب قتلها وكثرتها)*

اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين (وروى) ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامةهم فانصح في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح

ودفع الملامة مأخوذة من النصيحة وهي السلوك التي يخاطبها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا ليس بمنصوح أي مخيط ونصحه نصحها
إذا خطته ويختلف النصيح في الأشياء (١٦٦) لاختلاف الأشياء فالنصيح لله وهو وصفه بما هو أهله وتزيره بما ليس بأهل له عقد أو قولا

والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهر أو باطن والرغبة في محابه والتباعد من مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة إلى طاعته قولوا فعلا وإرادة بث جميع ما ذكرناه في عبادته والنصيحة لكتابته إقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهيم ما فيه واستعماله والذب عنه من تأويل المجرمين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا الآيات والنصيحة للرسول عليه السلام موازته ونصرتة والحماية من دونه حيا وميتا وأحياء سنة بالطلب وأحياء مطريته في بث الدعوة وتأليف الحكمة والتخلف بالأخلاق الطاهرة والنصيحة للأئمة معاوتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وإرشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم عن يديهم السوء وإعلامهم بالأخلاق السليمة وسيرهم في الرعية وسد خللهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الحكمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم والنصح بجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة بصغيرهم وتفريق كبرهم ودعوتهم إلى ما يسرهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع

اعلم ان الجباية أول الدولة تكون قليلة الزرائع كثيرة الجبل وأخر الدولة تكون كثيرة الزرائع قليلة الجبل والسبب في ذلك ان الدولة ان كانت على سنن الدين فليست الا بالمعاري الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الزرائع لان مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الجبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع المعاري الشرعية وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن التغلب والعصبية فلا بد من البدوة في أولها كما تقدم والبدوة تقتضي المسامحة والمكرامة وخفض الجناح والتجافي عن أموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الا في النادر فيقول لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيرة التي تجمع الأموال من مجموعها وإذا قلت الزرائع والوظائف على الرعايا ناشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتماد ويتزايد محصول الغنم بقليل المعظم وإذا كثرت الاعتماد كثرت اعداد تلك الوظائف والوزرائع فكثرت الجباية التي هي جملتها فإذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا بعد واحد واتصفوا بالكس وذهب شر البدوة والسذاجة وخلتها من الأعضاء والتجافي وجاء الملوك العضوض والحضارة الداعية إلى الكس وتخلت أهل الدولة حينئذ بحقوق التخلت وتكثرت عوائدهم وحوادثهم بسبب ما انفسوا فيه من النعيم والترفي فكثروا الوظائف والوزرائع حينئذ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المعاري ويزيدون في كل وظيفة ووزيرة مقدار أعظم التكاليف الجباية ويضعون المكوس على المبيعات وفي الأبواب كما نذكر بعد ثم تدرج الزبائن في زيادة مقدارها بعد مدة دارت درج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والانفاق بسببه حتى تنقل المعاري على الرعايا وتنضم وتصير عادة مقروضة لان تلك الزيادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعرا أحد من زادها على التعيين ولا من هو واضعها انما ثبتت على الرعايا في الاعتماد لذهاب الأمل من نفوسهم بقله النفع إذا قابل بين نفقه ومعارمه وبين ثمرته وفائدته فتنبه بعض كثير من الأيدي عن الاعتماد بجملة فتتقص جباية الجباية حينئذ بقصان تلك الزرائع منها وربما يزيدون في مقدار الوظائف إذا رأوا ذلك النقص في الجباية ويحسبون أنه بمرأى نقص حتى تنتهي كل وظيفة ووزيرة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الانفاق حينئذ في الاعتماد وكثرة المعاري وعدم وفاء الفائدة المرجوة فلا تزال الجباية في نقص ومقدار الزرائع والوظائف في زيادة لما يعتقده من جبر الجملة بها إلى أن ينتقص العمران بذهاب الأموال من الاعتماد ويعود وبالذلك على الدولة لان فائدة الاعتماد ما عائدة إليها وإذا ذهبت ذلك علمت ان أقوى الأسباب في الاعتماد تقليل مقدار الوظائف على المعتمد من ما يمكن فيه ذلك تنبسط النفوس إليه لثقتهم بأدراك المنفعة فيه والله سبحانه وتعالى مالك الأمور كلها ويدهم كل شيء

٤٠ * (فصل في ضرب المكوس وأخر الدولة) *

اعلم ان الدولة تكون في أولها بدوية كما قلناه فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الجباية حينئذ وفاء بما يذمها بل يفضل منها كثير عن حاجاتهم ثم لا تلبث أن تأخذ بيد الحضارة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج أهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصا كثره بالغة بشفقة في خاصته وكثرة عطائه ولا يفي بذلك الجباية فتحتاج الدولة إلى الزيادة في الجباية لما تحتاج إليه الحامية من العطاء والسلطان من النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والوزرائع أولا كما قلناه ثم يزيد الخراج والحاجات والتدريج في عوائد الترف وفي العطاء للحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصباتها عن جباية الأموال من الأعمال والقاصمة فتقل الجباية

عليهم ورد القلوب النافرة إليهم والنصح بجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة بصغيرهم وتفريق كبرهم ودعوتهم إلى ما يسرهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع

مؤنة نفسه وبدنه وحوادثه عنهم (قال الاضحى) لفظ عمر بن الخطاب رضى الله عنه نواة من الطريق فامسكها بيده حتى مر بدارقوم فالتقاها في الدار وقال يا كلها داجنهم والنصح لمجيح المال ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان (١٦٧) بالقول ويحذرهم سوء مغبة الكفر

وبالسيف ان كان ذالسلطان
أو يكفوا عن قتال المسلمين
فيكونوا ذمة والافالقتل نكحاً
لاقامة امره فيهم (وروى
معاذ) ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ثلاث لا يغفل
عليهن قلب مسلم العمل
لله ومناجاة ولاة الامر
والاعتصام بحمالة المسلمين

فان دعوتهم تحيط من
ورائهم وقال جابر بن
عبد الله بايعت النبي صلى
الله عليه وسلم على السمع
والطاعة فقلت نبي فيما
استطعت والنصح لكل
مسلم (وروى) أنس
ان النبي عليه السلام قال
لا يؤمن أحدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه
وقال أبو الدرداء العزم
بلاغه البر والفاجر والحكمة
ينطق بها البر والفاجر
والنصيحة لله تعالى لا تنسبت
الا في قلوب المستبحين الذين
صحت عقولهم وصدقت
نياتهم واعلم ان جرعة
النصيحة مرة لا يقبلها الا
اولو العزم وكان عمر بن
الخطاب رحمه الله يقول
رحم الله امرأ أهدى الى
عيوبي وقال ميمون
ابن مهران قال لي عمر بن
عبد العزيز رحمه الله
قل لي في وجهي ما أكره

وتكثر العوائد ويكثر بكثرها أرزاق الجند ودعواؤهم فيستحدث صاحب الدولة أنواعاً من الجباية
يضر بها على البياعات ويفرض لها قدر معلوماً على الاثمان في الاسواق وعلى أعيان السلع في أموال
المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بمساعدة اليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش والحامية
وربما يزيد ذلك في أواخر الدولة زيادة بالغة فتكسد الاسواق لغسار المال ويؤذن ذلك باختلال
المران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد الى أن تضطر وتوقع منه بامصار المشرق في أخريات
الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم واسقط صلاح الدين أيوب تلك
الرسوم جملة وأغاضها بآثار الخير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محارمه يوسف بن تاشفين
امير المرابطين وكذلك وقع بامصار الحارث بن عيسى هذا العهد حين استبد بهار رؤساؤها والله تعالى أعلم

٤١ ﴿فصل في ان التجارة من السلطان مضره بالرعايا مفسدة للجباية﴾

اعلم ان الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قد مد منه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر المحاصل من
جبايتها على الوفاء بحاجاتهم ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والجباية فتارة توضع المكوس على
بياعات الرعايا واسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله وتارة بالزيادة في القاب المكوس ان كان قد
استحدث من قبل وتارة بمقاسمة العمال والجباية وامتلاك عظامهم لمسايرون أنهم قد حصلوا على شيء طائل
من أموال الجباية لا يظهره الحسبان وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الجباية لما
يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع سيرة أموالهم وان الارباح تكون على نسبة
رؤس الأموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع والتعرض بها لمحوالة
الاسواق ويحسبون ذلك من ادراة الجباية وتكثر الفوائد وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا
من وجوه متعددة فالامضايقه الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك فان
الرعايا ممتكفئون في السائر متقاربون ومزاجية بعضهم بعضاً تنتمى الى غاية موجودهم او تقرب واذا
رافقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثير منهم فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته
ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم ان السلطان قد يتزعج الكثير من ذلك اذا تعرض له غضا
او بأسر عن أولي الجند من يناسقه في شرائه فينحس عنه على بائعه ثم اذا حصل فوائد الفلاحة ومغلاها كله
من زرع أو حرير أو عسل أو سكر أو غير ذلك من انواع الغلات وحصلت بضائع التجارة من سائر الانواع
فلا يتفكرون به حوالة الاسواق ولا تنفق البياعات لما يدعوه اليه تكاليف الدولة فيكافون اهل تلك
الاصناف من تاجر أو فلاح بشراء تلك البضائع ولا يرضون في اثمانها الا القيم وأزديستوعبون في ذلك
ناض أموالهم وتبقى تلك البضائع بأيديهم عروضا جامدة ويكثرون عطلان الادارة التي فيها كسبهم
ومعاشهم وربما تدعوهم الضرورة الى شيء من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق بانحس
عن وربما يتكرر ذلك على التاجر والفلاح منهم مما يذهب رأس ماله فيقع مدع عن سوقه ويتعدد ذلك
ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة وفساد الارباح ما يقبض أموالهم عن السعي في ذلك
جملة ويؤدي الى فساد الجباية فان معظم الجباية انما هي من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس
ونحو الجباية بها فاذا انقبض الفلاحون عن الفلاحة وقعد التجار عن التجارة ذهبت الجباية جملة او دخلها
النقص المتقاصح واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الارباح القليلة وجددها
بالنسبة الى الجباية اقل من القليل ثم انه ولو كان مقيداً فذهب له بحظ عظيم من الجباية فيمعا يعبأه من

فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وقال مالك النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله بها أنبياءه ومن أمر الاسلام
القصد والنصيحة اعباد الله في أمورهم والنفوس مستقلة لانصح نافذة عن أهلها ومائلة الى ما وافق هواها (وفي منثور الحكم) وذلك من

نصحتك وقلاك من مشي في هواك وكان يقال أخوك من احتمل أنقل نصيحتك وقال بعضهم شعرا عرضت نصيحة مني لزيد
فقال غششتني والنصح مر (١٦٨) ومالي أن أكون نصحت زيدا * وزيد طاهر الاثواب بر ولكن قد أتاني أن زيدا

يقال عليه في مغناه شر
فقلت له تجنب كل شيء
يقال عليك أن المحرر
* (وقال آخر)
وعلى النصوح نصيحتي
وعلى عصيان النصوح
* (وللقطاعي شعر)
ومعصية الشفيق عليك مما
تزيدك مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه
وليس بان تتبعه اتباعا
* (ولورقة بن نوفل)
لقد نصحت لا أقوام وقلت لهم
أنا النذير فلا يغركم أحد
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
الا لاله ويودي المال
والولد

لم تغن عن هرير يوم آخرائه
والخالد قد حاولت عاد
فما خلدوا
قال ابن وهب انما يحسن
الاختيار لغيره من يحسن
الاختيار لنفسه ولا خير لك
فمن لا خير له في نفسه
وقالت العلماء ان ينصحك
امرؤ لا ينصح نفسه (وقال
بعضهم) رأي ورأيك في
المعرفة امثل لنفسك من
رأيك لانه خلون هواك
وقال أبو الدرداء ان شئت
لا نصحن لكم ان أحب
عباد الله الى الله الذين
يحبون الله الى عباده
ويعملون في الارض

شراء او بيع فانه من البعيد أن يوجد فيه من المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تكسبها
كلها خلاصا من جهة الجباية ثم فيه التعرض لاهل عمرانه واختلال الدولة بقسادهم ونقصه فان الرعايا
اذا قعدوا عن تسمير أموالهم بالفلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها تلاف أحوالهم فافهم
ذلك وكان الفرس لا يملكون عليهم الأمن اهل بيت المملوك ثم يختارونه من اهل الفضل والدين
والادب والسخاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان لا يتخذ صنعة فيضر بحجيرانه
ولا يتاجر فيجب غلاء الاسعار في البضائع وأن لا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير ولا مصلحة * واعلم
ان السلطان لا ينبغي له مال ولا يدوم جوده الا الجباية وادارها انما يكون بالعدل في اهل الاموال
والنظر لهم بذلك فبذلك تنسبط آمالهم وتنشرح صدورهم لاخذ في تسمير الاموال وتنميتهما فتنظروا
جباية السلطان وأما غير ذلك من تجارة وخلق فانه مضر عاجلة للرعايا وفساد للجباية ونقص للعمارة
وقد ينتهي الحال بهؤلاء المستلخين للتجارة والفلاح من الامراء والمتغلبين في البلدان انهم يتعرضون
اشراف الغلات والسلع من اربابها الواردين على بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونها في
وقتها لمن تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن وهذه أشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية
واختلال احوالهم وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الاصناف أعني التجار والفلاحين
لما هي صناعاته التي نشأ عليها فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهمهم لنفسيه ليحصل على غرضه من
جمع المال سر يعاسب ما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها أجدر بنحو الاموال وأسرع في تسميره
ولا يفهم ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فينبغي للسلطان أن يحذر من هؤلاء ويعرض
عن سعاتهم المضره بجبايته وساطانه والله يلهيهم نار شد انفسنا وينفعنا بالصالح الاعمال والله تعالى اعلم

٤٢ * (فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة)

والسبب في ذلك ان الجباية في اول الدولة تنوزع على اهل القبيل والعصبة بمقدار غنائمهم وعصبيتهم
ولان الحاجة اليهم في تهديد الدولة كما قلنا من قبل فرئيسهم في ذلك متجاف لهم عما يسمون اليه من الجباية
معتاض عن ذلك بما هو يروم من الاستعداد عليهم فله عليهم عزه وله اليهم حاجة فلا يطير في سهمه مانه من
الجباية الا الاقل من حاجته فتجد حاشيته لذلك وأذياه من الوزراء والكاتب والموالي مملعة من في الغالب
وجاههم متقلص لانه من جاه مخدومهم ونطاق قد ضاق بمن يراجه فيه من اهل عصبيته فاذا استغفلت
طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستعداد على قومه قبض أيديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين
الناس في سهم مانهم وتقل حظوظهم اذ ذاك لقلة غنائمهم في الدولة بما انكبح مع أعتهم وصار الموالى
والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الامر فينقر دصاحب الدولة حينئذ بالجباية او معظمها
ويحتوى على الاموال ويحتجج بالنفقات في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتمتلئ خزائنه وينسج نطاق
جاهه ويعتز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وكاتب وحاجب ومولى وشرطي ويتسع
جاههم ويقتنون الاموال ويثابرونها ثم اذا أخذت الدولة في الهرم بتلاشي العصبة وفناء القبيل المساهدين
للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والانصار لكثرة الخواارج والمنازعين والثوار وتوهم
الانتقاص فصار خواجه لظهوره وأعوانه وهم ارباب السيف واهل العصبيات وانفق خزائنه وحاصله في
مهمات الدولة وقلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء والانفاق فيقتل الخراج وتشتد حاجة
الدولة الى المال فيتقلص ظل النعمة والترف عن الخواص والمحجب والكاتب يتقلص الجاه عنهم وضيقت

نطاقه

نحاور روى ان رجلا لطم ابراهيم بن ادهم فرفع رأسه الى السماء وقال الهى ان كنت

تنبئني وتعاقبه فلا تبني ولا تعاقبه * (ومن الخصال التي تجرى بحرى الجبال والسمك الحلم) * (الباب الثامن والعشرون في الحلم)

قال الله تعالى ان ابراهيم الحليم اواه منيب وقال تعالى فاصفع الصفع الجميل (قال) على رضى الله عنه الصفع الجميل الرضا بآل الله
الصفع الجميل الرضا بالقرآن بغيره ولا حقه معه وفي الامثال القديمة كاذ الحليم أن يكون نبيا (١٦٩) (ويروى) أن رجلا قال يا رسول الله

علمني كلمات أعيش بهن
ولا يكثرن على فاني قال
لا تغضب واعلم ان الحليم
أشرف الاخلاق وأحقها
بذوى الالباب لما فيه
من راحة السر واجتلاب
الحج ودأق الناس به

السلطان لانه منصوب
لا قامه او الخلائق وممارسة
أخلاقهم ولا يطيقون به في
حال سلمهم وانما يغشون بابيه
حين تنازعهم وخصوماتهم
وشروهم وتكدر نفوسهم
وضيق أخلاقهم فان لم

يكن معه حليم يرد به بوادرهم
والا وقع تحت عبء ثقل
وكان أنوشروا ن ذاحلم
وأناة وكان يقرول في
خصم لسان لولائهم ما

ظاهرتان عند الرعية
اضقت بهما ذرعا الحليم
والاناة (ويروى) ان يحيى
ابن زكريا لقي عيسى بن
مريم عليهم السلام فقال
يا روح الله اخبرني بأشد
الاشياء في الدارين قال

غضب الله تعالى قال يا روح
الله وما ينبغي من غضب
الله تعالى قال ترك الغضب
قال يا روح الله كيف بدو
الغضب قال العز و الزوال والتكبر
والفخر على الناس وفي
الحديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال وجبت

نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب الدولة الى المال وتنفق أبناء البطانة والحاشية ما تأتله
آباؤهم من الاموال في غير سبيلها من اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه آباؤهم وسلفهم
من المناجحة ويرى صاحب الدولة أنه أحق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه وبجواهرهم
فيصطلحها ويتزعمها منهم لنفسه شيئا فشيئا وواحد بعد واحد على نسبة رتبتهم وتكرار الدولة لهم ويعود وبال
ذلك على الدولة بغناء حاشيتها ورجالها وأهل الثروة والنعمة من بطانتها وبنوة وبنات كثير من مبادئ
المجد بعد أن يدعمها له ويرفعوه وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني قحطبة وبنو برمك
وبني سهل وبنو طاهر وأمثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها أيام الطوائف في بني شهيد وبنو
أبي عمدة وبنو حدير وبنو برد وأمثالهم وكذا في الدولة التي أدركناها العهد ناسنة الله التي قد دخلت في عباده
(فصل) ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون الى القرار عن الرتب
والخلاص من رتبة السلطان بحصول في أيديهم من مال الدولة الى قطر آخر يرون أنه أهنا لهم وأسلم في
انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والالوهام المفسدة لآحوالهم وديارهم واعلم ان الخلاص
من ذلك بعد الحصول فيه عسير ومتع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا تمكنه الرعية من
ذلك طرفة عين ولا أهل العصبية المزاجون له بل في ظهور ذلك منه هدم الملك واثلاف لنفسه بمجاري
العادة بذلك لان رتبة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند استئصال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض
فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلف بالشر وأما اذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان
وحاشيته وأهل الرتب في دولته فقل أن يخلى بينه وبين ذلك أما أولا فلما يراه الملوك أن ذويهم
وحاشيتهم بل وسائر رعاياهم هم عالياك لهم مظهر على ذات صدورهم فلا يسهون بحل رتبته من
الخدمة ضنبا بآسارهم وأحوالهم أن يطاع عليها احد وغيره من خدمته اسواهم ولقد كان بنو أمية بالاندلس
يمنعون أهل دولتهم من السفر لفرقة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بأيدي بني العباس فلم يحج سائر
أيامهم احد من أهل دولتهم وما أبحح الحج لأهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شأن الاموية ورجوعها الى
الطوائف وأما ثانيا فلأنهم وان سمحوا بحل رتبته هو فلا يسهون بالتجافي عن ذلك المال لما يرون أنه
جزء من مالهم كما يرون أنه جزء من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها فتقوم نفوسهم على انتزاع ذلك
المال والتفاته كما هو جزء من الدولة ينتفعون به ثم اذا توهمنا انه خلص بذلك المال الى قطر آخر هو في
النادر الاقل فتمتد اليه عين الملوك بذلك القطروية يتزعمونه بالارهاب والتخويف تعريضا أو بالقهر ظاهرا
لما يرون أنه مال الجباية والدول وأنه مستحق للانفاق في المصالح واذا كانت أعينهم تمتد الى أهل الثروة
واليسار المتكسبين من وجوه المعاش فأحرى بها أن تمتد الى أموال الجباية والدول التي تحمد السبيل اليه
بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمد اللخمي في تاسع او عاشر ملوك الحفصيين
بأفريقية الخروج عن عهدة الملك والالحاق بمصر فرار من طلب صاحب الثغور الغريبة لما استجمع لغزو
تونس فاستعمل الخيا في الرحلة الى ثغر طرابلس يورى بتهميده وركب السفين من هنالك وخلص الى
الاسكندرية بعد أن جعل جميع ما وجد به بيت المال من الصامت والذخيرة وباع كل ما كان بخزائنها
من المتاع والعقار والجوهر حتى اكتمل واحتمل ذلك كله الى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون
سنة سبع مائة الثامنة فأكرم نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرته شيئا فشيئا بالتعريض
الى أن حصل عليها ولم يبق معاش ابن الخيا في الا في جرابه التي فرض له الى أن هلك سنة ثمان وعشر بن

(٢٢ - ابن خلدون) بحمد الله تعالى على من أعضب فلم والذي يحمل ان يضرب في هذا الباب قصة اسحق عليه السلام
قال له ابراهيم يا بني اني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم انه تله للجبين

وأمر على حلقة السكين فلم يقل الاخير افعال الله تعالى وبشرناه بسلام حليم (وفي الاخبار) يقول ابليس لعنه الله ان المحدي من الرجال لم يأس منه وان كان يحيي الموتى بدعائه (١٧٠) لانه تأتي عليه ساعة يحث فيها فيصير منه الى ما يريد (ويروى) ان جعفر بن محمد

حسب ما ذكره في اخباره فهذا وامثاله من جملة الوسواس الذي يعتري أهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما يخاصون ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوهمونه من الحاجة فغلط ووهم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف في وجدان المعاش لهم بالجزايات السلطانية أو بالجاه في انتحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة والدول انساب لكن النفس راغبة اذا رغبت بها * واذا ترد الى قليل تقنع والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق بمنه وفضله والله أعلم

٤٣ * (فصل في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية) *

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران فاذا احتجج السلطان الاموال والجبايات أو فقدت فلم يصرفها في مصارفها قل حينئذ ما يأيدى الحاشية والحامية وانقطع أيضا ما كان يصل منهم لمحاشيتهم وذويهم وقت نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم أكثر مادة للاسواق من سواهم فيقع الكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج والجباية انما تكون من الاعتماد والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للفوائد والارباح وبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة أموال السلطان حينئذ تبق له الخراج فان الدولة كلما قلنا هي السوق الاعظم ام الاسواق كلها وأصلها ومادتها في الدخل والخرج فان كسدت وقت مصارفها فأجدر بما بعدهما من الاسواق أن يلحقها مثل ذلك وأشد منه وأيضا فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حجب السلطان عنده فقدته الرعية سنة الله في عباده

٤٤ * (فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران) *

اعلم ان العدوان على الناس في أموالهم ذاهب باآلهم في تحصيلها واكتسابها ما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم واذا ذهبت آملهم في اكتسابها وتحصيلها انقضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فاذا كان الاعتداء كثيرا عاما في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها وان كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبه والعمران ووفوره ونفاق أسواقه انما هو بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهب بين وجائين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانقضت الأحوال وابتدع الناس في الاتفاقي من غير تلك الآيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فحق سائر القطر وخت دياره وخربت امصاره واختل باختلاله حال الدولة والسلطان لما أنها صورة للعمران بنفسه بدفساد مادتها ضرورة وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن المو بذان صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك اصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال له ان يومنا كراي يوم نكاح يوم أنثى وأنما شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها وقال لها ان دامت أيام الملك أقطعك ألف قرية وهذا أسهل مرام فنذبه الملك من غفلته وخلا بالمو بذان وسأله عن مراده فقال له ايها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والانتصر في تحت أمره ونهيته ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالاعمال ولا سبيل للعمال الا بالعدل

دخل على الرشيد وقد استغفاه الغضب فقال له يا أمير المؤمنين انك انما تغضب لله تعالى ولا تغضب له بأكثر من غضبه لنفسه واعلم ارسدك الله ان هذه الكلمة لا قيمة لها والله أعلم حيث يجعل رسالته فأنفمها وأجل قدرها وأعظم شأنها الانك اذا كنت أيها السلطان انما تتصرف في ملك الله بامر الله فالله تعالى قد حدد حدودا وشرع شرائع وأقام فروضا وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر في كل خصلة عند محالته حدًا محدودا ونهى ان يتجاوز ذلك الحد فلا يقبل من استحق القطع والمحبس والادب والمحدول والمحبس غير من استوجب المحبس وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم فمن عثر من ذوى المرات أقبلت عثرته ولم يقابل بشئ لقوله عليه السلام اقبلوا ذوى الهيات عثراتهم ومن سواهم كان يقابل قدر منزلته وهفوته فكان يقام قائما في مجلس يقعد فيه نظراؤه فتكون هذه عقوبته وأخر شق جيئه وأخر تنزع عمامته من رأسه وأخر يكلم بالكلال الذي فيه بعض الغلظة قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمرو عثمان وعلى رضي الله والعدل عنهم اذا أخذ الرجل منهم نزع عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بشعره فلما ولي زياد ضرب بهم ونزع عمامتهم فلما ولي

والعدل وأخر يكلم بالكلال الذي فيه بعض الغلظة قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمرو عثمان وعلى رضي الله والعدل عنهم اذا أخذ الرجل منهم نزع عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بشعره فلما ولي زياد ضرب بهم ونزع عمامتهم فلما ولي

مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤسهم فلما ولي بشر بن مروان اقامهم على الكراسي ثم مدت ايديهم وسمرها بمسار ثم نزع الكرسي من تحت رجله حتى يحرم يده فن ميت ومن حي فلما ولي الرجل المعروف بالحجاج (١٧١) قال كل هؤلاء يلعب من أخذ

بشعره ضرب عنقه وقال
ارسطاطاليس النفس
الذليلة لا تجد ألم الهوان
والنفس الشريفة تؤثر فيها
يسير الكلام وفيه قيل
من يهن يسهل الهوان عليه
فما جرح بيمت ايلام
واعلم ان من تجاوز في
العقوبة فوق ما حد الله
تعالى فيها شارك المجرم في
الذنب واسـتوجب ما
استوجب المجرم من العقوبة
ويتبين في الاخرة انه
انما يعاقب للهـوى
والتشفي اذا غضب الله
تعالى (وفي كتاب سليمان
ابن داود عليهم السلام)
القاهر لنفسه أشد من يفتتح
المدينة وحده وصدق نبي
الله صلى الله عليه وسلم فان
السلطان يفتتح المدينة
ويقهـر أهلها ويغلب
جنودها وجناتها ويقتل
أبطالها ثم تغلبه شهوته
ويبقى أسير في ذل هواه
قد قهرته قيمته بطبوره
أو قد حخر يذهب بعقله
وقال أكنم بن صيفي
الصبري على جرع الحلم أعذب
من جني ثمر الندم (وسأل
علي بن أبي طالب) رضي
الله عنه كثير من كبراء
فارس من أجدهم لو لم
عندهم فقال لا ردشير فضل

والعـدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصب الرب وجهـل له قـيما وهو الملك وأنت أيها الملك عـدت الى
الضياع فانتزعتهم من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال وأقطعتهما الحاشية
والخدم وأهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسوحوها في الخراج لقرهم
من الملك ووقع الخيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع فأنجلوا عن ضياعهم وخلصوا ديارهم
وأووا الى ما تعذر من الضياع فسكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال وهلك الجنود
والرعية وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك الا بها
فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي الخاصة وردت على أربابها
وجلووا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد
وكثرت الاموال عند جباة الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك على
مباشرة أموره بنفسه فحسنت أيامه وانتظم ملكه ففقه من هذه الحكاية أن الظلم يخرّب العمران وان
عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانقراض ولا تنظر في ذلك الى أن الاعتداء قد يوجد
بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء
واحوال أهل المصـر فلما كان المصـر كبيراً وعمرانه كثير او احواله متسعة بما لا ينحصر كان وقوع النقص
فيه بالاعتداء والظلم يسير الان النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال في
المصر لم يظهر أثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب المصـر وتجيء الدولة
الآخرى فتزعم بهجرتها وتجب النقص الذي كان خفياً فيه فلا يكاد يشعر به الا ان ذلك في الاقل النادر
والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لما قدمناه وبواله عائد
على الدول ولا تحسبن الظلم انما هو أخذ المال او الملك من يدهما لك من غير عوض ولا سبب كما هو
المشهور بل الظلم أعم من ذلك وكل من أخذ ملكاً واحداً أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا
لم يقرضه الشرع فقد ظلمه فجباة الاموال بغير حقها ظلمة والمعتدون عليها ظلمة والمتهمون لها ظلمة والممانعون
لحقوق الناس ظلمة وغصاب الاملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائدة على الدولة بخراب العمران
الذي هو مادتها الاذهابه الا مال من أهله واعلم ان هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم
وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة
الرعاية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما
كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى اليه من تخريب العمران كانت حكمة المخطرفيه
موجودة فكان تحريمه مهما وادلت من القرآن والسنة كثيراً أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والمحصـر
ولو كان كل واحد قادر عليه لوضع بازائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بازاؤه من المفسدات للنوع التي
يقدر كل احد على اقترافها من الزنا والقتل والسرقة الا أن الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه انما يقع
من أهل القدرة والسلطان فبولغ في ذمّه وتكرير الوعد فيه عسى ان يكون الوازع فيه للقادر عليه في
نفسه وما ريك بظلام للعبيد ولا تقول ان العقوبة قد وضعت بازاء الخرابة في الشرع وهي من ظلم
القادر لان المحارب زمن حرايته قادر فان الجواب عن ذلك طريقه بين أحدهما أن تقول العقوبة على
ما يقرضه من الجنائيات في نفس او مال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة
بجنايته وأما نفس المحاربة فهي خلوص العقوبة الطريق الثاني ان تقول المحارب لا يوصف بالقدرة

السبق غير ان أجدهم سيرة أنوشروان قال فاي اخلاقه كان أغاب عليه قال الحلم والاناة فقال على رضي الله عنه هما توأم ينتجهما معا ولو
الهمة ومن محمود السيرة ان يعرف الناس من أخلاقك انك لا تنجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك أدوم مخوف الخائف ورجاء الراعي

وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصمغ عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم في الناس الا واحد من ثلاثة *
شريف ومشرؤف ومثل مقاوم (١٧٢) فاما الذي فوق فأعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم واما الذي دوني فان قال

صنت عن

اجابته نفسي وان لام لائم
واما الذي مثلي فان زل

أرهقا

تفضلت ان الحلم بالفضل

حاكم

(وقال الاصمعي) سمعت

اعرابا يقول أسرع الناس

جوابا من لم يغضب لا توقدن

بين جنديك جرة الغضب

واودد اساعته بالحلم فان

شجر النار اذا لمحت عليها

الرياح تحاكت أغصانها

فشتعل نارا وتحترق من

أصولها * وقال عمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه

ثلاث من اجتمعن فيه فقد

سعد من اذا غضب لم

يخرج منه غضبه عن الحق

واذا رضي لم يدخله رضاه في

باطل واذا قدر عرف وكف

(وسئل جعفر بن محمد)

عن حد الحلم فقال وكيف

يعرف فضل شيء لم يكمله في

أحد * وقال الاحنف لابنه

يا بني ان أردت ان تواخي

رجلا فاغضبه فان أنصت

والافاحذره (وكان سلم بن

نوفل) سيد بني كنانة

قضى به رجل من قومه

بسيقه فاخذ فأتى به اليه

فقال له ما الذي فعلت اما

خشيت ان تقامى قال فلم

هو ذلك الا ان تكظم الغيظ

وتعفو عن الجاني وتكلم عن الجاهل وتحتمل المكره في النفس والمال فغلب قائلهم شعرا

لانا نمانعني بقدره الظالم البسد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة فهي المؤذنة بالخراب واما قدرة المحارب

فانما هي اخافة يجعلها ذريعة لاخذ الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعا وسياسة فليست

من القدر المؤذن بالخراب والله قادر على ما يشاء

(فصل) ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق

وذلك ان الاعمال من قبيل المتعولات كما سنبين في باب الرزق لان الرزق والكسب انما هو قيم اعمال

أهل العمران فاذا مسايعهم واعمالهم كلها متعولات ومكاسبهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعي

المعتمدين في العمران ما عدا ما عايشهم ومكاسبهم من اعتمادهم ذلك فاذا كفوا العمل مل في غير شأنهم واتخذوا

تسخيرا في معاشهم بطل كسبهم واعتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو موقوفهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ

كثير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تركز ذلك عليهم أفسد آمالهم في العماره وقعدوا عن السعي

فيها جملة فأدى ذلك الى انتقاض العمران وتخريبه والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

(فصل) واعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على اموال الناس بشراعيما بين ايديهم

بأنحس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم بارفع الاثمان على وجه الغصب والاكراه في الشراء والبيع

وربما تقرر عليهم تلك الاثمان على النواحي والناجيل فيتمهلون في تلك الخسارة التي تلحقهم بها

تخذتهم المطامع من جبر ذلك بحالة الاسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بأبخس

الاثمان وتعود خسارة ما بين الصفة قمتين على رؤس أموالهم وقديح ذلك أصناف التجار المقيمين بالمدينة

والواردين من الآفاق في البضائع وسائر السوق وأهل الدكاكين في الماك كل والفواكه وأهل الصنائع

فما يتخذ من الآلات والمواعين فتشمل الخسارة سائر الأصناف والطبقات وتتوالى على الساعات

وتجحف برؤس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا لا يعودون الاسواق لذهاب رؤس الاموال في جبرها

بالارباح ويتناقل الواردون من الآفاق لشراء البضائع وبيعها من أجل ذلك فتكسد الاسواق ويبطل

معاش الرعايا لان عامتهم من البيع والشراء واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل معاشهم وتنقص حياية

السلطان او تفسد لان معظمهم من أوسط الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه

ويؤول ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على التدرج ولا يشعر به هذا

ما كان بامثال هذه الذرائع والاسباب الى أخذ الاموال وأما أخذها مجانا والعدوان على الناس في أموالهم

وحرمهم ودمائهم واسرارهم واعراضهم فهو يقضى الى الخلل والفساد دفعة وتنقض الدولة تسريعاً بما

ينشأ عنه من المهرج المفضي الى الانتقاض ومن أجل هذه المفاسد يحظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة

في البيع والشراء وحظراً كل أموال الناس بالبطل سد الابواب المفاسد المفضية الى انتقاض العمران

بالمهرج او بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال

بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة

يستحدثون القبايا وجوها يوسعون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج

يسد به يكثر والحاجة الى أموال الناس تشد وتو نطق الدولة بذلك يزيد الى أن تنمحي دائرتها ويذهب

برسمها ويعلم اطالها والله اعلم

٤٥ * (فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم) *

اعلم ان الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع المالك كما قدمناه لانه لا بد له من العصبة التي بها يتم

أمرها

وقال رجل من كاب الحكم بن عوانة انما أنت عبد فقال والله

بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وسود أقوام وليسوا بسادة

وتعفو عن الجاني وتكلم عن الجاهل وتحتمل المكره في النفس والمال فغلب قائلهم شعرا

لاعطيتك عطية ما يعطى العبيد فاعطاه مائة رأس من السبي ومن أمثال العرب احلم تسدو يروى ان هشام غضب على رجل من
أشراف الناس فشمته فوجده الرجل فقال له اما تستحي ان تشتمنى وانت خليفة الله (١٧٣) في أرضه فاطرق هشام واستحيا

وقال له اقتص فقال اذا

سقيته مثلك فقال خدمن

ذلك عوضا من المال قال

ما كنت لافعل قال فبها

لله قال هي لله ثم لك

فنكس هشام رأسه وقال

والله لأء-ودملته اوقال

الشاعر

ان يبلغ المجد أقوام وان

شرفوا

حتى يذلوا وان عز والا قوام

ويشتموا فترى الالوان

مسفرة

لاصفح ذل ولا يكن صفح

اكرام

وقال آخر

وجه لرد دناءة بفضل

حلو منا

ولو اننا شتمنا ردنا به بالجهل

رجونا وقد خفت حلوم

كثيرة

وعدنا على أهل السفاهة

بالفضل

وقال هشام لخالد بن

صفوان صف لي الا حنف

ابن قيس فقال يا امير

المؤمنين ان شئت اخبرتك

عنه بثلاث وان شئت

بأربعين وان شئت بواحدة

فقال اخبرني عنه بثلاث قال

كان لا يجرح ولا يجهل

ولا يدفع الحق اذا نزل به

قال فاخبرني عنه بأربعين

قال كان يؤثر الخيرو يتوقى

وقال الاخنف بن قيس

وجدت الحلم أنصرتني من الرجال وصدق الاخنف فان من حلم كان الناس أنصاره كما روى ان رجلا أسرف في شتم بعض الأدباء وهو

أمرهاو يحصل اسميلاؤها والبدوة هي شعار العصبية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع
الملك وان كان قيامها بعز الغلب فقط فالبدوة التي بها يحصل الغلب بعيدة أيضا عن منازع الملك
ومذاهبه فاذا كانت الدولة في أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبدوة والقرب من
الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ وعزه وصار الى الانفراد بالحج ودواحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس
للحديث مع أوليائه في خواص شؤنه لما يكثر حينئذ من بحاشيته فيطاب الانفراد من العامة ما استطاع
ويتخذ الاذن بيباه على من لا يأمنه من أوليائه وأهل دولته ويتخذ حاجباً له عن الناس يقصيه بيباه هذه
الوظيفة ثم اذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي
خلق غريبة مخصوصة محتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها ورعا جهل تلك الخلق منهم
بعض من يباشرهم فوقهم فيما لا يرضيهم فيخطوهم وصاروا الى حالة الانتقام منه فان قدر معرفته هذه الاداب
الخواص من أوليائه هم ووجبوا غير أولئك الخاصة عن لقائهم في كل وقت حفظا على أنفسهم من معاناة
ما يخطوهم وعلى الناس من التعرض لهم فصار لهم حجاب آخر أخص من الحجاب الاول يقضي اليهم
منه خواصهم من الاولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الثاني يقضي الى مجالس
الاولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الاول يكون في أول الدولة كما ذكرنا كما حدث لا يام
معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم المحاجب جريا على
مذهب الاشعري ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف
وكملت خلق الملك على ما يجب فيها فدعا ذلك الى الحجاب الثاني وصار اسم المحاجب اخص به وصار يباب
الخلفاء داران للعباسية دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في أخبارهم ثم حدث في الدول حجاب ثالث
أخص من الاولين وهو عند محاولة الحجر على صاحب الدولة وذلك ان أهل الدولة وخواص الملك اذا
نصبوا الانباء من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فأول ما يبدأ به ذلك المستبد ان يحجب عنه بھانة ابنه
ونخواص أوليائه يومهمه أن في مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء الغير
ويعوده ملاسة أخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواه الى ان يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الحجاب من
دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب الا اواخر الدولة كما قدمنا في الحجر ويكون دليلا على هرم الدولة
ونفاذ قوتها وهو مما يحشاها أهل الدول على أنفسهم لان القائم من بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم
عند هرم الدولة وهذا الاستبداد من اعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك
وخصوصا مع الترشيع لذلك وحصول دواعيه ومباده

٤٦ * (فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين) *

اعلم ان أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما يستفحل ويبلغ احوال الترف
والنعيم الى غايته واستبداد صاحب الدولة بالحج-دو يتقرب به يأنف حينئذ من المشاركة ويصير الى قطع
اسبابها ما استطاع باهلا لك من استئثار به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فربما ارتاب المساهمون له
في ذلك بانفسهم وترغوا الى القاصية اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاعتقاد والاسترابة ويكون نطاق
الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية فاستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم
بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة او يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان أمرها
حريز المجتمع ونطاقها ممتد في الاتساع وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينض عرق

الشرقال فاخبرني عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه وقال أ كثر من صيفي الغلبة والعز لا أعلم
وجدت الحلم أنصرتني من الرجال وصدق الاخنف فان من حلم كان الناس أنصاره كما روى ان رجلا أسرف في شتم بعض الأدباء وهو

سأكت فخمى له بعض الممارين في الطريق وقال له يرجع الله لا تنصرك قال لا قال لا في وجده الحلم أنصرى من الرجال
وهل حاميت في الحلمى وقال رجل (١٧٤) لعمر بن العاص والله لا نقرغن لك فقال له الآن وقعت في الشغل وقال عبد

الله بن عمر رضى الله عنه
ان رجلا من كان قبلكم
استضاف قومافاضافوه
ولهم كنية تنج فقات والله
لا أنج ضيف أهلى الليلة
فعوى جروها فى بطنها
فبلغ ذلك نديا لهم أوقلامن
أقبلهم فقال مثل هذا مثل
أمة تكون بعدكم يظهر
سقمهاؤها على حملائها
وقال الا حنف اياكم ورأى
الاوغاد وقالوا مارأى
الاوغاد قال الذين يرون
الصفح والعقودار او مثل
الاحنف عن الحلم فقال
هو الذى تصبر عليه ولست
بجاهل ولا كنى صبور
ويروى ان المهلب نازعه
رجل من كبار بني تميم
فأرأى على المهلب والمهلب
سأكت فقبل له فى ذلك
فقال كنت اذا سبني
استحييت من مخف
السباب وغلبة اللئام
والسقالة وكان اذا سبني
تهال وجهه وشمخت نفسه
بان ظفر بفضل القحة ونبت
المروءة وخلع ربة الحياء
وقلة الاكتر اسوء النساء
ومر المسيح عليه السلام على
قوم من اليه ودفقوا له
شرا وقال لهم خير اقبل له
انهم يقولون شرا وانت
تقول خيرا فقال كل ينفق

من الخلاف سائر أيامه الا ما كان من بدعة الخوارج المستميتين فى شأن بدعتهم لم يكن ذلك النزعة ملك
ولا رياسة ولم يتم أمرهم لمزاجتهم العصبية القوية ثم لما خرج الامر من بنى أمية واستقل بنو العباس بالامر
وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف وأذنت بالانقضاء عن القاصية نزعة عبد
الرحمن الداخل الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بهم اهلها وكأوا قطعها عن دولتهم وصير الدولة
دولتين ثم نزح ادريس الى المغرب وبوخرجه وقام بامرهم وأمر ابنه من بعده البربرية من أوربة ومغربية
وزنات واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تغلضا فاضطرر بالاغالبية فى الامتناع عليهم ثم خرج
الشبيعة وقام بامرهم كما وصتها حاجة واستولوا على افرريقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على
الادارة وقسموا الدولة دولتين آخرين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بنى العباس بمركز العرب
وأصلهم ومادتهم الاسلام ودولة بنى أمية بالمجدين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالشرق ودولة
العبيدين بآفريقية ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدولة الى ان كان انقراضها متقاربا بجميعها
وكذلك انقضت دولة بنى العباس بدول أخرى وكان بالقاصية بنو ساسان فيما وراء النهر وخراسان
والعلمية فى الديلم وطبرستان وآل ذلك الى اسديلاء الديلم على العراقيين وعلى بغداد والخلفاء ثم جاء
السلجوقية فملكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم ايضا بعد الاستفحال كما هو معروف فى اخبارهم وكذلك
اعتبره فى دولة صنهاجة بالمغرب وافرريقية لما بلغت الى غايتها أيام باديس بن المنصور وخرج عليه عمه حماد
واقطع ممالك العرب لنفسه ما بين جبل أوراس الى تلمسان وملوية واخذت القلعة بجبل كامة جبال
المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم ثم أشير بجبل تبطرى واستحدث مملكة أخرى قسمها الملك آل باديس
وبقى آل باديس بالقبروان وما اليها ولم يزل ذلك الى ان انقرض أمرهما جميعا وكذلك دولة الموحدين لما
تقلص ظلالها ثار بآفريقية بنو أبى حفص فاستقلوا بها واستحدثوا مملكة لا عقابهم بنوا حيا ثم لما استفحل
أمرهم واستولى على الغاية خرج على الممالك الغربية من اعقابهم م الامير أبوزكري يحيى ابن السلطان أبى
اسحق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث مملكة بجاية وقسنطينة وما اليها أوربة وبه وقسمها به الدولة قسمين
ثم استولى على كرسى الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم م ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد ينتهى
الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاثة وفى غير أعيان الممالك من قومه كما وقع فى ملوك الطوائف بالاندلس
وملوك الحمير بالشرق وفى ممالك صنهاجة بآفريقية فقد كان لا خرد دولتهم فى كل حصن من حصون
افرريقية تأثر مستقل بامرهم كما تقدم ذكره وكذا حال التجريد والزبان من افرريقية قبيل هذا العهد كما نذكره
وهكذا شأن كل دولة لا بد وأن يعرض فيها عوارض المهرم بالتلف والدعة وتقصا ظل الغلب فيقسم
اعصابها ومن يغلب من رجال دولتها الامرو يتعد فيها الدولة والله وارث الارض ومن عليها

٤٧ * (فصل فى ان المهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع) *

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالمهرم وأسبابها واحدة دابة واحدة وبمناها تحدث للدولة بالطبع وانها
كلها امور طبيعية لها واذا كان المهرم طبيعيا فى الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الامور الطبيعية
كما يحدث المهرم فى المزاج الحيوانى والمهرم من الامراض المزمنة التى لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما به
طبيعى والامور الطبيعية لا تتبدل وقد يتنبه كثير من اهل الدول بمن له يقظة فى السباسة فبرى منازل
بدولتهم من عوارض المهرم ويظن انه ممكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافي الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك
المهرم ويحسبه انه لمحقة بتمصير من قبله من اهل الدولة وغفلت عنهم وليس كذلك فانها امور طبيعية للدولة

معانده وقال كتم بن صيفى من حلم ساد من تفهم ازدادو كفر النعمة لثوم وصحبة الجاهل شؤم ولقاء الاخوان والعوائد
نعم والمباشرة من ومن القساد اضاعة الزادوسب رجل الشعي بقبائح نسبها اليه فقال الشعي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا

فغفر الله لي وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا سب لك سب ما يدخل معك في قبرك فقال أبو بكر معك والله يدخل لامعي وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت كلمة لتسمعن عشر افعال له الاحنف

(١٧٥)

واحدة ويروى ان رجلا سبب الاحنف وهو مما شبه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بقي معك شيء فقله ههنا فاني اخاف ان سمعت فتبان الحصى ان يؤذوك وسب رجل بعض الحكماء فقال له الحكماء لست ادخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط ابن زرارة شعرا

فقل لبني سعد فالي وما لكم ترقون مني ما لست تطعمن واعنق اغركم اني باحسن شمة صير وانى بالفواحش اخرق وانك قد ساءتني فقهرتني ههنا ثم ايتت بالفحش احدثق

وقال رجل لابي ذر رضي الله عنه ائت الذي نقاتك معاوية من الشام لو كان فبك خير ما نقاتك فقال يا ابن أخي ان ورائي عقبة كؤود ان نجوت منها لم يضرني ما قلت وان لم انج منها فانا شر مما قلت وقال لقمان لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف المحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك

والعوائد هي المانع له من تلافيها والعوائد منزلة طبيعية أخرى فان من ادرك مثلا أباه واكثر اهل بيته يلبسون الحرير والديماج ويتحلون بالذهب في السلاخ والمراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك الى الخشونة في اللباس والزى والاختلاط بالناس اذا العوائد حينئذ تمنعه وتقيح عليه مرتكبها ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشى عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانته وانظر شأن الانبياء في انكار العوائد ومخالفتهم لولا التأييد الالهي والنصر السماوي وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقعها من النفوس فاذا ازيلت تلك الابهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب اوهاام الابهة فتدفع الدولة بتلك الابهة ما يمكنها حتى ينقضي الامر وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم ان الهرم قد ارتفع عنها ويومض زبالها ايماضه الخلود كما يقع في الذبال المشتعل فانه عند مقاربة انطفائه يومض ايماضه توهم انها اشتعال وهي انطفاء فاعتبر بذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطار وجوده على ما قدر فيه ولكل أجل كتاب

٤٨ * (فصل في كيفية طروق الخلل للدولة) *

اعلم ان مبني الملك على اساسين لا بد منهما فالاول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجنود والثاني المال الذي هو قوام اولئك الجنود واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال والخلل اذا طرقت الدولة طرقها في هذين الاساسين فلنذكر اول طروق الخلل في الشوكة والعصبية ثم نرجع الى طروقه في المال والحماية واعلم ان تهديد الدولة وتأسيسها كما قلناه انما يكون بالعصبية وانه لا بد من عصبية كبرى جامعة للعصائب مستتبعة لها وهي عصبية صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا جاءت الدولة طبيعية الملك من الترف وجدع أنوف اهل العصبية كان اول ما يجدع أنوف عشيرته وذوي قرباه المقاسمين له في اسم الملك فيستبد في جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم ويأخذهم الترف ايضا أكثر من سوادهم فكانهم من الملك والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وهم الترف والقهر ثم يصير القهر آخر الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عنه ودرسوخ الملك لصاحب الامر فيقلب غيرته منهم الى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثرة منه فيهلكون ويقعون فيفسد عصبية صاحب الدولة منهم وهي العصبية الكبرى التي كانت تجمع بها العصائب وتتبعها فتخل عروتها وتضعف شكيמתها وتسيب بدل عنها بالباطالة من موالى النعمة وصنائع الاحسان وتتخذ منهم عصبية الا انها ليست مثل تلك الشدة الشكيمة التي فقد ان الرحم والقربة منها وقد كنا قد نمنا ان شأن العصبية وقوتها انما هي بالقربة والرحم لما جعل الله في ذلك فينقر دصاحب الدولة عن العشير والانصار الطبيعية ويحس بذلك اهل العصائب الاخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطانته تجاسر اطماعهم فيملكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا بعد واحد ويقعد الاخر من اهل الدولة في ذلك الاول مع ما يكون قد نزل بهم من مهالك الترف الذي قدمنا فيستولى عليهم الهلاك بالتلف والقتل حتى يخرجوا عن صبغة تلك العصبية وينشوا بعزتها وشورتها ويصيروا ورجعوا الى الحماية ويقعون لذلك فنقل الحماية التي تنزل بالاطراف والاندغور فتجاسر الرعايا على بعض الدعوة في الاطراف ويساد الخوارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى تلك الاطراف ما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بما يباعه اهل القاصية لهم وامهم من وصول الحماية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضيق حتى تصير الخوارج في اقرب الاماكن

الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك اعني فقال الحكماء وعنتك أعرض وفي هذا المعنى قيل قل ما يدلك من زور ومن كذب حلي أصم وأذني غير صماء وقيل يوما للاحنف ما أحلك فقال لست بحليم ولا مكبي التحام والله اني

لاسمع الحكامة فاجهم لها ثلاثا ما يعني من جوابها الا الخوف من أن أسمع ما هو شر منها وقال الشاعر وليس يتم الحلم للمرء اضيا * اذا كان عند المخط لا يتعلم (١٧٦) كما لا يتم الجود للرموسرا * اذا كان عند العسر لا يتخشم وروى ان رجلا سب جمعهم بن

الى مركز الدولة وربما انقضت الدولة عند ذلك بدولتين او ثلاثة على قدر قوتها في الاصل كما قلناه ويقوم بامرها غير اهل عصبيتها لكن ادعانا لاهل عصبيتها واعلمهم المعهود واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام انتهت اولها الى الاندلس والهند والصين وكان امر بني أمية نافذا في جميع العرب بعصبة بني عبد مناف حتى لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمر ثم تلاشت عصبة بني أمية بما اصابهم من الترف فانقرضوا وجاء بنو العباس فغضوا من اعنة بني هاشم وقتلوا الطالبين وشردوهم فانحلت عصبة عبد مناف وتلاشت وتجناس العرب عليهم فاستبد عليهم اهل القاصية مثل بني الاغلب باقر بيقية واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وقام البربر بامرهم ادعانا لعصبة التي لهم وامنان تصلهم مقاتلة او حامية للدولة فاذا خرج الدعاة آخر افيتم غلبون على الاطراف والقاصية وتحصل لهم هناك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزبد ذلك متى زادت الدولة تقصا الى ان ينتهي الى المركز وتضعف البطانة بعد ذلك بما أخذ منها الترف فتهلك وتضعف الدولة المنقسمة كلها وربما طال امدها بعد ذلك فتستغنى عن العصبة بما حصل لها من الصبغة في نفوس اهل اياتها وهي صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل احدا من الاجيال مبدأها ولا اوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فيسبغون بذلك عن قوة العصائب ويكفي صاحبها بما حصل لها في تهديمها الاجراء على الحامية من جندي ومرترق ويعضد ذلك ما وقع في النفوس عامة من التسليم فلا يكاد احدا يتصور عصيانا او خروجا او المجهور من ذكره عليه مخالفة له فلا يقدري على التصدي لذلك ولو جهده جهده وربما كانت الدولة في هذا الحال أسلم من الخوارج والمنازعة لاستحجام صبغة التسليم والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يختلج في ضميرها انحراف عن الطاعة فيكون اسلم من الهرج والانتقاض الذي يحدث من العصائب والعشائر ثم لا يزال امر الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها شأن الحمرارة الغريزية في البدن العادم للغذاء الى ان تنتهي الى وقتها المقدور ولكل اجل كتاب ولكل دولة امد والله يقدر اللب والنها وهو الواحد القهار * وأما الخلل الذي يتطرق من جهة المال فاعلم ان الدولة في اولها تكون بدوية كما مر فيكون خلق الرفق بالرعايا والقصد في النفقات والتعفف عن الاموال فتجافي عن الامعان في الجباية والتخلف والكميس في جمع الاموال وحسبان العمال ولا داعية حينئذ الى الاسراف في النفقة فلا تحتاج الدولة الى كثرة المال ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويسفعل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان وأهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى أهل المصر ويدعو ذلك الى الزيادة في أعطيات الجند وأرزاق أهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات وينتشر ذلك في الرعية لان الناس على دين ملوكها وعوائدها ويحتاج السلطان الى ضرب المكوس على اثمان البياعات في الاسواق لا اذرار الجباية لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه ولما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وأرزاق جنده ثم يزيد عوائد الترف فلا تبقى للمكوس وتكون الدولة قد استنفقت في الاستطالة والقهر لمن تحت يدها من الرعايا فتمتدأ يديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس وتجارة او نقد في بعض الاحوال بشبهة او غير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تنحسروا على الدولة بما يحقها من القشل والهرم في العصبة فتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة العطايا وكثرة الانفاق فيهم ولا تجب دع ذلك وليجة وتكون جباة الاموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بايديهم وبما اتسع لذلك من

محمد رضي الله عنه فقال اماما قلت مما هو فينا فاناس تنفقر الله منه وما قلت مما ليس فينا فاناس ككاث فيه الى الله تعالى وقال بعض الحكماء احذروا الغضب فرب غضب استحق الغضبان به غضب الله تعالى وقال اكثمن صبي لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه انه لضعيف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاحق انه لمفسد ومن أشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير اذا أنت لم تعرض عن الجهل والحقى أصبت حليما او اصابك جاهل ووصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طائر وقال اعرابي ان الغضب عدو العقل ولذلك يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم وقال صعصعة بن صوحان الغضب مقدحة العقل فرما أصالدور بما ازند وقال اعرابي اذا جاء الغضب تسلط العطب وكان ابن عوان اذا غضب على أحد من أهله قال سبحان الله بارك الله فيك وقال الاصمعي دفع ارددشير الى رجل كان يقوم على رأسه كتابا وقال له اذا رأيتني اشتد غضبي فادفعه الى فـ كان فيه اسكن فاست باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وتصر عن قريب للدود والثراب وهذه السيرة اول من سنها ملك تبـ ع امر أن يكتب

جاههم يقوم على رأسه كتابا وقال له اذا رأيتني اشتد غضبي فادفعه الى فـ كان فيه اسكن فاست باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وتصر عن قريب للدود والثراب وهذه السيرة اول من سنها ملك تبـ ع امر أن يكتب

في كتاب اسكن فليست باله وقال لصاحبه اذا غضبت فاعرضه على فكل ان اذا غضب عرضه عليه فاذا قرأه اسكن غضبه وقال معاوية افضل ما اعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكروا اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا غضب (١٧٧) كظم واذا قدر عفا واذا اساء استعفى

واذا وعد انجز وفي الحكمة مكتوب من اطاع الغضب حرم السلامة ومن عصي الحق غره الذل وقال بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفي ضرب من الجوع وقال آخراول الغضب جنون وآخره ندم وقال بعض الحكماء اذا غلب على

الرجل أربع خصال فقد عطب الرغبة والرغبة والشهوة والغضب (وقيل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لا غيظ من أمره يغفر الله لي وله قيل له ومن أمره قال الشيطان وقال رجل لاختيه اني مرتت بقملان وهو يقع فيك ويدركك بأشياء رجمتك منها قال فهل سمعتي اذكره بشئ قال لا فاباه فارحم وقال الفضيل ثلاثة لا يلامون على الغضب المريض والصائم والمسافر وقال الاخنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنتقري ابي جالس معه في فناء وهو يحدثنا اذ جاز جماعة يحملون قتيلا ومعه رجل مأسور فقيل له هذا البنت قتله اخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ

جاههم في توجه اليهم باحتجان الاموال من الجباية وتنفشوا السعاية فيهم بعضهم من بعض للنفاضة والمقد فتمهم النكبات والمصادرات واحدا الى ان تذهب ثروتهم وتلاشي أحوالهم ويقعد ما كان للدولة من الابهة والجمال بهم واذا اصطلمت نعمتهم تجاوزتهم الدولة الى اهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا الطور قد لحق الشوكه وضعفت عن الاستطالة والقهر فتصرف سياسة صاحب الدولة حينئذ الى مداراة الامور ببذل المال و براه ارفع من السيف لقله غنائه فتعظم حاجته الى الاموال زيادة على النفقات وأرزاق الجنود ولا يغني فيما يريد ويعظم الهرم بالدولة ويتجاسر عليها اهل النواحي والدولة تنحل عراها في كل طور من هذه الى أن تقضى الى الهلاك وتنعوض من الاستيلاء السكل فان قصدها طالب انتزعهما من أيدي القائمين بها والابقى وهي تتلاشي الى ان تضج كل الذبيل في السراج اذا فني زيتها وسطى والله ما لك الامور ومدير الا كوان لا اله الا هو

٤٩ * (فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع) *

اعلم ان نشأة الدول و بدايتها اذا اخذت الدولة المستقرة في الهرم والاتقاص يكون على نوعين اما بان يستبد ولاية الاعمال في الدولة بالقاصية عند ما يتقاص ظلمها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وما يستقر في نصابه يرثه عنه ابناؤه او مواليه ويستفحل لهم المالبات بدريج ويرجى ان يزججون على ذلك المالبات يتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويعلم منهم من يكون له فضل قوة على صاحبه وينزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم وتقاص ظلمها عن القاصية واستبد بنو سامان بموارء النهر و بنو حمدان بالموصل والشام و بنو طولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترب مدكمها في الطوائف الذين كانوا ولايتها في الاعمال وانقسمت دولها وولوا كأورثوها من بعدهم من قرايتهم او مواليهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم ولا يطعمون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما الدولة ادركها الهرم وتقاص ظلمها عن القاصية وتجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بان يخرج عبلي الدولة خارج عن مجاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما اسرنا اليه او يكون صاحب شوكه وعصبية كبير في قومه قد استفحل امره فيسعي بهم الى المالبات وقد حدثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتمتعون له ولقومه الاستيلاء عليهم او يمارسون بالمطالبة الى ان يظفروا بها او يزنون (١) امرها كما يتبين والله سبحانه وتعالى اعلم

٥٠ * (فصل في أن الدولة المستقرة انما تستولى على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمانحة) *

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تقاص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصاراهم القنوع بما في أيديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حرب وسجال تتكرر وتتصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمانحة والسبب في ذلك ان الظفر في الحروب انما يقع كما قدمناه بامور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الخداع

(١) قوله ويزنون في نسخة ويرفون من الرغوب والراء والقاء اه

(٢٣ - ابن خلدون)

من منطقة ثم انشد اقول للنفس تأنيبا وتعزية * احدى يدي أصابني ولم ترد كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخي حين ادعوه وذاولدي ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق عمك ووارأخاك وسق الى

أمة مائة من الابل فانها غريبة ومن أنبل بيت قالته العرب قول بعضهم فصيح بالخير خرس بالحقى رجع الاحلام ذبال الازر وقال غيره
بالاحلام عاد لا يخاف جليسهم * (١٧٨) اذا نطق العوراء عرب لسان اذا حدثوا لم يحش سوء استماعهم وان حدثوا أودوا بحسن بيان

وقال المسيح عليه السلام
ما حلم من لم يصبر عند الجهل
وما قوة من لم يرد الغضب
وما عبادة من لم يتواضع
للرب تعالى وقيل للاسكندر
ان فلانا و فلانا يتقسانك
ويطلبانك فلو عاقبتهم
فقال هم بعد العقوبة اعذر
في ثلبي وتنقيصى (ويروى)
ان جرير بن عبد الله
بينما هو راكب قد أوردف
ابنه اذ لقيه رجل فقال
منه وحرير ساكت فلما
ولى قال له ابنه يا أبت لم
سكت عنه قال يا بني
أنا وسع جرحى وقال بعض
الحكماء متى أشفى غبضى
أحين أقدر فيقال لو عفوت
أم حين أعجل فقال لو صبرت
وسئل بعض أصحاب
الاحنف أكان الاحنف
يغضب فقال نعم لو لم يغضب
ما بان حلمه كان يغضبه
الشيئين في وجهه اليومين
والثلاثة وهو يصبر ويحلم
ومن لم يغضب من الاشياء
التي مثلها يغضب فقد
فقد من الفضائل الشجاعة
والانفة والحمية والدفاع
والاخذ بالنار والغيرة
لان هذه الخصال نتائج
الغضب ومن فقد الغضب
فقد فدس الفضائل
على ما سئذ كر في باب
الشجاعة ان شاء الله تعالى

من أنفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد
صيرت العوائد المألوفة طاعة ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة
المستجيبة ويكثر من همم اتباعه وأهل شوكته وان كان الاقربون من بطانته على بصيرة في طاعته
وموازاة الاخرين أكثر وقد داخلهم الفشل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل بعض
الفتور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستجيبة يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاوله
حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فيضمحل عقائد التسليم لها من قومها وتتبعث منهم المهمة لصدق المطالبة
معه فيقع الظفر والاستيلاء وايضا فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحقكم لهم من الملك وتوسع من النعيم
واللذات واختصوا به دون غيرهم من أموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجادة الاسلحة
وتعظم فيهم الابهة الملكية ويغيب العطاء بينهم من ملوكهم اختيارا واضطرارا فيرهبون بذلك كله
عدوهم وأهل الدولة المستجيبة معزل عن ذلك لما هم فيه من البداوة واحوال الفقر والتخصاصة فيسبى
الى قلوبهم اوهماء العرب بما يلقونه من أحوال الدولة المستقرة ويحرمون عن قتالهم من اجل ذلك
فيصير امرهم الى المطاوله حتى تأخذ الدولة المستقرة ما خذها من الهرم ويستحق الخلل فيها في العصبية والجمالية
فتنتهز حينئذ صاحب الدولة المستجيبة فرصة في الاستيلاء عليها بعد حين من هذا المطالبة سنة الله في عباده
وايضا فاهل الدولة المستجيبة كلهم مباينون للدولة المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم هم
مغاخرون لهم ومناذبون بما وقع من هذه المطالبة وبطعمهم في الاستيلاء عليه فتتمكن المبادعة بين اهل
الدولتين ستر او جهر ولا يصل الى اهل الدولة المستجيبة خبر عن اهل الدولة المستقرة بصيرون منه غرة (١)
باطنا وظاهرا لانتقاطع المداخلة بين الدولتين فيقيمون على المطالبة وهم في اجسام وينسكون عن المناجزة
حتى يأذن الله بزوال الدولة المستقرة وفناء عمرها ووفور الخلل في جميع جهاتها واتضح لاهل الدولة
المستجيبة مع الايام ما كان يخفى منهم من هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أعمالها
ونقصوه من أطرافها فتنبعث همهم يد او اداة للمناجزة ويذهب ما كان بث في عزائمهم من التوهومات
وتنتهي المطاوله الى حدها ويقع الاستيلاء آخر ابالما عاجلة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها
حين قام الشيعة بخراسان بعد ان عقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشرين اوتريدو حينئذ تم لهم
الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت
مضاوتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى أمر العلوية وسما الديلم الى ملك فارس والعراقين
في اكثر واسنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا اصهبان ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيديون أقام
داعيتهم بالمغرب ابو عبد الله الشيعي ببني كرامة من قبائل البربر عشرين ويزيد تطاول بني الاغلب
بأفريقية حتى ظفروا بهم واستولوا على المغرب كله وسما الى ملك مصر في اكثر ثلاثين سنة أو نحوها في طلبها
يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت ومحبي المدد لما دفعتهم برا وبحرا من بغداد والشام وما كوا
الاسكندرية والقيوم والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك الى الحجاز وأقيمت بالحرمين ثم نازل قائدهم
جوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طلفج من أصولها واختط القاهرة فخاء
الخليفة بعد المعز لدين الله فبزلها الستين سنة أو نحوها منذ استيلائهم على الاسكندرية وكذا السلجوقية ملوك
الترك لما استولوا على بني سامان وأجازوا من وراء النهر مكثوا نحو امان ثلاثين سنة يطاولون بني سبكتكين

(١) قوله غرة بكسر الغين اي غفلة اه

وعند فقد الشجاعة تكون المهانة ومن المهانة يكون سفساف الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسائر فضائله
موقع وكان يقال من لم يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب وقال الشعبي الجاهل خصم والحليم حاكم قال الشافعي من

استغضب فلم يغضب فهو حار ومن استرضى فلم يرض فهو جبار وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب لانفسه بل عند انتهاك حرمة ربه واعلم ان الله تعالى مادمح من لا يغضب وانما مدمح من كظم الغيظ (١٧٩) فقال والكاذمين الغيظ وقد انشد

الناطقة الجعدى بحضرة

النبي عليه الصلاة والسلام
ولا خير في حلم اذ لم تكن له
بواد تحمي صفوة أن يكدر
ولا خير في جهل اذ لم يكن له
حليم اذ ما أورد الامر اصدرا
فلم ينكر النبي صلى الله
عليه وسلم قوله وكان ابن
عمر اذا سافر استبج سفيها
و يقول استدفع به شر
السفهاء عني واعلموا ارشدكم
الله ان احسن خصال الملوك
واجملها قدر او هي حلية
الانبياء ولبسة الاصفياء
وجمال السوق والرؤساء

وأعظمها في النفوس
موقعا وأعمها على الرعايا
نفعا وأخدها على مر الأيام
ذكرها وأجلها في الحافل
والخاص نشرها وهي الفضيلة
التي تعم سائر الفضائل
وتكمل بها سائر المحاسن
الحلم وهما أنا تلوعك
من ذلك ما يقضي فيه العجب
(هذه) دولة آل العباس
أولهم أبو العباس السفاح
والى يومنا هذا لم يكن فيهم
أجل من المأمون بلغ من
حلمه انه كان يقول لو علم
الناس مالي في لذة العفو
ما تقر بوا الى الاباء الجرائم
فاق حلمه سائر خلقه ابني
العباس حتى صار يضرب
المثل بحلمه وبهذه الخصلة
تهبأ ملكه وقهر أخاه الامين

(ومنها) دولة بني امية اولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الجعدى لم يكن فيهم احلم من معاوية ولا جرم دانت له الدنيا وملك بها رقاب
العرب والحجم وصار حلمه يضرب به المثل ويقعدى به الخلق ويتفلق به العقلاء حتى حكى عنه انه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خيط

بخر اسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر وكذا
التزم من بعدهم خرجوا من المفازة أعوام سبع عشرة سنة فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد أربعين سنة وكذا
أهل المغرب خرج به المرابطون من لمتونة على ملكهم من مغراوة فطاولوهم سنين ثم استولوا عليه ثم خرج
الموحدون بدعوتهم على لمتونة فكنوا ونحوهم ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسيمهم برا كش وكذا
بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فكنوا يطاولونهم نحو أربعين سنة واستولوا على فاس
واقطعوها وأعمالها من ملكهم ثم أقاموا في محاربهم ثلاثين سنة أخرى حتى استولوا على كرسيمهم برا كش
حسبنا ذلك كله في تواريج هذه الدول فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والمطالبة
سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا يعارض ذلك بما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان
استيلاؤهم على فارس والروم ثلاثا وأربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان ذلك انما كان معجزة
من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم استبعاد ابايمان وما وقع الله
في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا للعادة المقررة في مطاولة الدول المستجدة
للمستقرة واذا كان ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية
والمعجزات لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٥١ ﴿فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات﴾

اعلم انه قد تقرر لك فيما سلف ان الدولة في اول امرها لا بد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في اياتها
امان الدين ان كانت الدعوة دينية او من المكارمة والخمسة التي تقضيها البدوة الطبيعية للدولة
واذا كانت الملائكة رفيعة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران واسبابه فتوفرو بكثرة التناسل
واذا كان ذلك كله بالتدريج فانهما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة
على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ ذلك المهران في غاية الوفور والنماء ولا تقول انه قد مر لك أن أواخر
الدولة يكون فيها الانحطاط بالرعايا وسوء الملائكة فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الانحطاط وان حدث
حينئذ وقاتل المجبات فانهما يظهر أثره في تناقص العمران بعد حين من أجل التدريج في الامور الطبيعية
ثم ان المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه اما المجاعات فلهي الناس أيديهم عن
الفخ في الاكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الاموال والمجبات أو الفتن الواقعة في انتقاص
الرعايا وكثرة الخوارج لهم الدولة فيقل احتكاك الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستقر الوجود
ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر
والزرع والثمار والضرع على نسبه الاناس وانثرون في اقواتهم بالاحتكاك فاذا فقد الاحتكاك عظم
توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه اولوا الخصاصة فهلكوا وكان بعض السنوات والاحتكاك
مفقود فعمل الناس الجوع واما كثرة الموتان فلها اسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه او كثرة الفتن لاختلال
الدولة فيكثر الهرج والقتل او وقوع النوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من
العفن والرطوبة الفاسدة واذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملا به داء فيفسد الفساد الى
مراحله فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وامراضها مخصوصة بالرئة وان
كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الامراض وتعرض الابدان
وتهلك وسبب كثرة العفن والرطوبة الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة لما كان في

عنكم بؤس أو شعرة ما انقطعت اذا جذبوا الرسلت واذا الرسلوا جذبت (وهذه) دولة الفرس وكانت اعظم دول الارض واشدها باساوا كثيرا
علوما وحكام يكن في كاسرها احلم (١٨٠) من كسرى انوشروان وصار يضرب بحلمه المثل وتطرز بسيرته الكتب والمصنفات فيرى

أوائلها من حسن الملائكة ورفقها وقلة المعرم وهو ظاهر ولهذا تبين في موضعه من الحكمة ان تحلل الخلاء
والقفر بين العمران ضروري ليكون توج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة
الحيوانات ويأتى بالمواء الصحيح ولهذا أيضا فان الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها
بكثير كصر بالمشرق وفارس بالمغرب والله يقدر ما يشاء

٥٢ * (فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره) *

اعلم انه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي تتكلم فيه وأنه
لا بد لهم في الاجتماع من وازع كما يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند
الله يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبعوثه وتارة الى سياسة عقلية يوجب
انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك المحاكم بعد معرفته بمصالحهم فلا ولي يحصل نفعها في الدنيا
والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاته نجا العباد في الآخرة والثانية انما يحصل نفعها في
الدنيا فقط وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما سمعناه عند الحكماء ما يجب أن
يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقته حتى يستغنوا عن الحكماء رؤسا ويسعون
المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك بالمدنية الفاصلة والقوانين المرافعة في ذلك بالساسة المدنية
وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدنية
الفاصلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة الغرض والتقدير ثم ان السياسة
العقلية التي قدمناها تكون على وجهين أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في
استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة وقد أغنانا الله تعالى
عنها في الملة ولعهد الخلافة لان الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والافات واحكام
الملك مندرجة فيها * الوجه الثاني ان يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر
والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعا وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لساثر
الملوك في العالم من مسلم وكافر الا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب
جهدهم فقوانينها اذا مجتمعة من احكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية وأشياء من
مراعاة الشوك والعصية ضرورية والافتداء فيها بالشرع أو لا ثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم ومن
أحسن ما كتب في ذلك واودع كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المؤمنين الرقة ومصر
وما بينهما فكتب اليه أبوه طاهر كتاب المشهور وعهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه
من الآداب الدينية والخلقة والسياسة الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما
لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة * ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد فعليك بتقوى الله
وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما ألدك
الله من العافية بالذكرا عاذاك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعامل في ذلك كله بما
يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه قد أحسن اليك وأوجب
الرافعة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده والزمك العدل فيهم والقيام بحقوقه وحدوده عليهم والذب عنهم
والدفع عن حريمهم ومنصبتهم والحقق لدايمهم والامن لسرهم وادخال الراحة عليهم وموآخذك بما فرض
عليك وموقفك عليه وسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك

ان امير المؤمنين علي بن
ابى طالب رضوان الله
عليه لفي كبير من كبراء
فارس فقال له ما جدد
خصال ملوككم فقال
السبق لشيرويه واحدهم
سيرة انوشروان فقال
له علي وما كان اغلب
خصاله عليه قال المحلم
والاناة قال علي هو اتوام
يتبعهما علوهما وبلغ
من حلمه انه كان يضيق
صدره بحلمه فقال في
خصم لثان لولا انه ما
ظاهرتان عنه دارعية
لضقت بهما اذ رعا المحلم
والاناة فأخلى بخصلة تعم
منقعتها ويبقى على الدهر
جملها وتخلد في العلماء
والعقلاء والملوك والسوقة
بمحنتها وحسن مصادرها
ومواردها ان يتخذها الملوك
شعارا ودارا وانما قصدت
الحكماء من الملوك خاصة
فاما من سواهم من الرعية
كالاخنف ونظرائه فلا
يحصون كثرة

*(الباب التاسع والعشرون
فيما يسكن الغضب)*
فأول ذلك انك اذا نظرت
الى تغير اشكالك وتبدل
صورتك واجرا راجعك
وانتفاخ اوداجك وذهاب
جنانك وسقط كلامك

ولافش ما يخرج من فيك لا مسكت عن الغضب ولطالما كنت تستحي ان تتكلم بين يدي
الجلال بالبسير الجائر فعمدت تهذر بالكثير الفاخس ولو أن من غضب استذكر اذا صاوسكن غر به انقلب صورته وتغير بوجهه

واضطراب شقيقه وارتعاد اطرافه وسقط كلامه وخفى خطابه والتفاف لسانه وخفقت عقله وطيشه ووثب به من مجلسه كأنه ثور وسرعة
التفاتة عينه واشمأ الا كأنه قد رعد ولم يفهمه لما سمع وقلة التفاته الى من يعظه وينصحه (١٨١) كأنه أحنى ومن شؤم الغضب وعظيم

بليته انه قد يقتل النفوس

ويسلب الروح وكان

سبب موت مروان بن عبد

الملك انه وقع بينه وبين

أخيه سليمان كلام فجعل

عليه سليمان فقال يا من

يلحق أمه ففتح فاه ليخبره

واذا يحببه عمر بن عبد

العز بن فامسك على فيه

ورد كلمته وقال يا ابن عبد

الملك أخوك وأمامك وله

السن عليك فقال يا أبا

حفص قتلتي قال وما صنعت

بك قال رددت في جوفى أحر

من الجور ومال لجنبه فبات

ولعمري انه يزيده على

الحق (ومنها) أن ينتقل

من الحالة التي كان عليها

الى غيرها كانت القرس

تقول اذا غضب القائم

فليجلس واذا كان جالسا

فليقم وبهذا المذهب كان

يأخذ المأمون نفسه

(ويروي) شكي الى

النبي صلى الله عليه وسلم

القسوة فقال اطلع في القبور

واعتبر بالنشور (وكان)

بعض ملوك الطوائف

اذا غضب التي بين يديه

مقايير ترب الملوك فيزول

غضبه (وكان) عكرمة

يقول في قوله تعالى واذا ذكر

ربك اذا نسيت يعني اذا

غضبت فانه اذا ذكر الله

ولا يشغل عنه شاغل وانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوقفك الله عليه ولا يكن أول ما يلزم به نفسك
وتنسب اليه فعلى المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس
قبل وقتها على سننهم من اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتكلم في
ركوعك وسجودك وتشهدك وتصرف فيه رأيك ونيتك واحضض عليه جماعة عن معك وتحت
يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بالآخذ بسنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمناجاة على خلائقه واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر فاستعن
عليه باستخارة الله عز وجل وتوكله وبلزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمر ونهي وحلاله وحرامه
واتمام ما جاء به إلا ما رعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تميل عن
العدل فيما أحبت أو كرهت لقريب من الناس أو لبعيد أو أثر الفقه وأهله والدين وجملة ما كتب الله
عز وجل والعاملين به فان أفضل ما يترتب به المرء الفقه في الدين والطلب له والبحث عليه والمعرفة بما
يتقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كما والقائد اليه والالتزام به والنهي عن المعاصي والموبقات
كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة واحدا لاله ورد كالدراجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره
للناس من التوفيق لأمرك والهيبة لسلطانك والانسيب والفتنة بعد لك وعليك بالاعتصام في الأمور كلها
فليس شيء أبين نفعا ولا أخص أمنا ولا أجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق
والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتصام وكذا في دنياك كلها ولا تقصر في طلب
الآخرة والأجرو الأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعايير الرشد والاعانة والاستعانة من البر والسعي له
اذا كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته وموافقة أولياء الله في دار كرامته اما تعلم أن القصد في شأن الدنيا
يورث العزو ويمحس من الذنوب وأنت ان تحوط نفسك من قائل ولا تصلح أمورك بأفضل منه فانه واهتد به
تتم أمورك وترد مقدرتك ويصلح عامتك وخاصتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقيم لك رعيتك والتمس
الوسيلة اليه في الأمور كلها تستمد به النعمة عليك ولا تمن من أحد من الناس فيما توليه من عمل قبل أن
تكشف أمره فان يقع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم ثم فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك
واطر دعتك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعني ذلك على استطاعتهم ورياضتهم ولا تتخذ من عدو الله
الشیطان في أمرك مع مدافنه انما يكتب بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم سوء الظن بهم
ما ينقص لذاته عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي به ما أحبت كفايته من أمورك
وتدعوه به الناس الى محبتك والاستقامة في الأمور كلها ولا ينعكس حسن الظن بأصحابك والرافقة برعيتك
أن تسهم عمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء وحيطة الرعية والنظر في حوائجهم
وجمل مؤناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيي للسنة وأخلص نيتك في جميع
هذا وتفر دبتهم في نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ومحزى بما أحسن وموآخ ذمها أساء
فان الله عز وجل جعل الدنيا حرا وعزاورفع من اتبعه وعززه واسلك بمن تسوسه وترعاه من حج الدين
وطريقه الا هدى واقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعط لذل
ولا تنهون به ولا تؤخر عوبة اهل العقوبة فان في تفریطك في ذلك ما يقصد عليك حسن ظنك واعتزم على
أمرك في ذلك بالناس من المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتتم لك مروءتك واذا عاهدت
عهدا فآوف به واذا وعدت الخير فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها وانغض عن عيب كل ذي عيب من

خاف منه فيزول غضبه (وفي) النور يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرني حين أغضب ولا أحبك فيمن أحبك (ومنها) أن يذكر نقرة
القلوب عنه وسقوط منزلته عند أبناء جنسه ووصفهم لما يحبه وطيشه ويحبه فيكون ذلك سببا لزال غيظه (ومنها) أن يذكر انعطاف

القلوب عليه وانطلاق الالسنه بالثناء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عزوزين وان السقه ذل وشين (روى) أبو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زاد درجل (١٨٢) بعفو الا عرافة وايعزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكر قدرة الله لم يستعمل

رعيته واشدد اسانك عن قول الكذب والزور وانغض أهل النميمه فان أول فساد أمورك في عاجلها وأجلها تقريب الكذب والجراعة على الكذب لان الكذب رأس الماس ثم والزور والنميمه خاتمة الان النميمه لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر واجيب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء وصل الرحم وأبتغ بذلك وجه الله تعالى واعز أزأمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاوهاء والجور واصرف عنه ما رأيك واطهر براءتك من ذلك لرعيته وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم بالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عن الغضب وأثر الحلم والوقار واياك والخدمة والطيب والغرور فيما أنت بسبيله واياك ان تقول أنا مسلم أفعل ما أشاء فان ذلك سر يع الى نقض الرأي وقلة اليقين لله عز وجل وأخلص لله وحدانية فيه واليقين واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتیه من يشاء وينزع من يشاء وان تجد تغير النعمة وحلول النعمة الى احد أسرع منه الى جهلة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفر وانعم الله واحسانه واستطالوا بما اعطاهم الله عز وجل من فضله ودع عنه لك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتسكن البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاعانة لهم وفهم واعلم ان الاموال اذا كثرت وادخرت في الخزائن لا تنمو واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقهم وكف الاذية عنهم من كثرت وصليت به العامة وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنفعة فليكن كنز خائيتك تقرىق الاموال في عمارة الاسلام واهله ووفر منه على اولياء امير المؤمنين قبلك حقهم وافر من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قرت النعمة لك واستوجبت المزي من الله تعالى وكنت بذلك على جباية اموال رعيته وخراجك أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك اساس لطاعة لك وطب نفسا بكل ما اردت واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب وليعظم حقلك فيه وانما يبقى من المال ما انفق في سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وأنبهم عليه واياك ان تنسبك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتمتوا نعيمك فاني الحق عليك فان اتهاون بورث الفقر بط والفقر يط بورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه قد أسبغ عليك فضله واعصم بك بالشكر وعليه قاعته يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تمالأن حاسدا ولا ترجن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تدهن عدا ولا تصدن غاما ولا تأمن عدا ولا توالين فاسقا ولا تبغ غاويا ولا تحمد مرأيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسن باطلا ولا تلاحظن مخفيا ولا تخلفن وعدا ولا تذهبن فخرا ولا تظهرن غضا ولا تبينن رجاء ولا تمشين مباحولا تزيكين سقيها ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع للتمام عينا ولا تغعض عن ظالم رهبة منه واحباة ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوى العقول والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والجل ولا تسمعن لهم قولان ضررهم اكثر من نفعهم وليس شيء أسرع فسادا مما استقبلت فيه أمر رعيته من الشح واعلم انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم أمرك الا قليلا فان رعيته انما تبعه قد على محبة لك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم ووال من صفالك من اولياءك بالاتصال اليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوف

قدرته في ظلم عبادته (وكتب) بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا غضبت فناولنيه وفيه مكتوب ممالك وللغضب انما أنت بشر ارحم من في الارض يرحمك من في السماء (وكان) معاوية كثيرا ما ينشد

انا اذا مالت دواعي الهوى وانصت السامع للقائل واعتلج الناس بألبابهم تقضى بحكم عادل فاصل تخاف أن تسفه احلامنا فتحمل الدهر مع الخامل (وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تقضى الى ذلة العذر وقال الشاعر

واذا ما اعتربك في الغضب العز
فقد اذكر تذال الاعتذار وقال غيره

زررنا على غير الفواحش قصنا

ولم نستجز الا الذي هو أجوز (وقال) عبد الله بن مسلم ابن محارب لهرون الرشيد يا امير المؤمنين اسألك بالذي أنت بين يديه اذل من بين يديك وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي ما عفوت عني

فعفاه لما ذكره قدرة الله عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الاشعث

ان الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله تعالى ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعنه ابراهيم بن المهدي وكان مع أخيه عليه اني

شاووت في أمرك فأشاروا على بقتلك الا ان وجدت قدرك فوق ذنبك فذكر هت القتل للآزم حرمك فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا انك أبنت أن تطلب النصر الا من حيث عودته (١٨٣) من العفو فان عاقبت فلان نظير وان عفوت

فلا نظير لك وأنشأ يقول
البري منك وطال العذر
عندك لي
فما فعلت فلم تعد
ولم تلم
وقام عليك بي فاحتج
عندك لي

مقام شاهد عدل غير منهم
(وقال) بعض الحكماء
الغضب على من لا تملك
عجز وعلى من تملك أثوم
(ومنها) ان يتذكر ما يؤل
اليه الغضب من الندم
ومذلة الانتقام وشروع
القصاص في بدنه بين يدي
من لا يرجعه فان ذلك مما
يرده من الغضب

*(الباب الثاني والثون في
الجود والسخاء وهذه
الخصلة الجليل قدرها
العظيم موقعها الشريف
موردها ومصدرها)*

وهي احدى قواعد المملكة
واساسها وتاجها وجمالها
تغزلها الوجوه وتذل لها
الرقاب وتخضع لها الجبابرة
ويستترق بها الاحرار
ويستمال بها الاعداء
ويستكثر بها الاولياء
ويحسن بها الثناء ويملك
بها القرباء والبعدهاء
ويسود بها في غير عشاثرهم
الغرياء (وهذه) الخصلة
بالعزائم الواجبات أشبه

شيخ نفسه فأولئك هم المفلحون فسمي طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظا ونصيبا
وأيقن ان الجود أفضل اعمال العباد فاعده لنفسك خلقا واراض به عملا ومذهبوا بصدق الجند في دواوينهم
ومكاتبهم وأدر عليهم هم ارزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتمهم في قووى لك
امرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانشر احوا حسب ذى السلطان من السعادة ان يكون على
جنده ورعيته رجة في عدله وعطيته واتصافه وعنايته وشقته وبره وتوسعته فذلك مكره واحد البابين
بأسئسعار فضله الباب الآخر ولزوم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى به نجاحا وصلا حلا وطلاحا واعلم ان
القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس له به شيء من الامور لانه ميزان الله الذي يعادل عليه احوال
الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح احوال الرعية وتأمين السبل ويتصف المظلوم
وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدي حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقبض
الدين ويجرى السنن والشرائع في مجاريها واشتد في امر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لاقامة
الحدود واقلل العجلة وابعد عن الضجر والعلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه في صحتك واسدد في
منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحق ولا يأخذك في احدى من رعيته محابة ولا بحجة
ولا لومة لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية
وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتها كلها
بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزوا رفعة ولا هله توسعة
ومنعة ولعدوه كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معاديهم ذلا ووصه غارا فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل
والتسوية والعموم ولا تدفعن شيئا منه عن شريف اشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا لادم
خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف امر اقية شطط واجل الناس كلهم على امر
الحق فان ذلك اجمع لافقهم والزهم ارضاء العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي
اهل عمل رعيته لانك راعهم وقيمهم في ذمتهم ما اعطوك من عفوهم ونفذه في قوام امرهم وصلاحهم
وتقويم اودهم واستعمل عليهم اولى الراى والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف
ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك فلا يشغلك عنه شاغل
ولا يصرفك عنه صارف فانك متى آثرته وقت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن
الاحدثة في عملك واستعجرت به المحبة من رعيته وأعلنت على الصلاح فدرت الخيرات بيدك وفشت
العمارة بناحتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط
جندك وارضاء العامة بافضالة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمودا بسياسة مرضى العدل في ذلك عند
عدوك وكنت في أمورك كلها اذا عدل وآلة وقوة وعدة فتنافس فيها ولا تقدم عليها شيئا تحمدها قبة أمرك
ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك خبر عمالك ويكتب اليك بسيرهم وأعمالهم
حتى كأنك مع كل عامل في عمل له معاينة لاموره كلها واذا اردت ان تأمرهم بامر فانظر في عواقب ما اردت من
ذلك فان رايت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والافتوقف عنه وراجع
اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في امره وقد اتاه على ما يهوى فاغواه ذلك وأعجبه
فان لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه امره فاستعمل الخبز في كل ما اردت وباشره بعد دعوى الله عز
وجل بالقوة واكثر من استخارة ربك في جميع أمورك وافرح من عمل يومك ولا تؤخره واكثر مباشرته

منها بالجمال والمتممات وكما قدرنا بيمان كافر ترك دينه والتمز دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله ولم قد سمعنا من مسلم ارتدى في
أرض الشرك اقتنانا بسير من عرض الدنيا وأخلق بخصلة يترك لها الانسان دينه الذي يبذل دونه نفسه أن تكون جلية القدر عظيمة

الخطروا وحج خلق الله اليها أفقرهم الى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة (واعلموا) يا معشر من وسع الله عليه ديناه وأسبغ عليه آلاءه ونعماه (١٨٤) انه ليس في الجنة لا وحسبك بكلمة لا تدخل الجنة سقوا وضعة وانما أسست الجنة على

بنفسك فان لغد أموراً وحوادثاً تليقك عن عمل يومك الذي آخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا آخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغل ذلك حتى ترضى منه واذا مضى لك كل يوم عمل له ارحمت بذنك ونفسك وجعت اعرس طائفة وانظر احرار الناس وذوى الفضل منهم من يلبون صفاء طوبيتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والحفاظة على امرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات من قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجحدوا الخاتم منافر او افرده نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك والمحتقر الذي لا علم له بطالب حقه فسل عنه اخفى مسئلة وكل بما ناله اهل الصلاح في رعيته وحرهم برفع حوائجهم وخلاصهم لتتظرفي ما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوى البأساء ويتأملهم واراملهم واجعل لهم ارضاً قاصداً بيت المال اقتداء بامير المؤمنين اعزه الله تعالى في العطف عليهم والصله لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للامراء من بيت المال وقدم جملة القرآن منهم والمحافظين لا كثره في الجرائد على غيرهم وانصب لمريض المسلمين دوراً تأويهم وقوا ما يرفقون بهم واطبائهم يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤذ ذلك الى سرف في بيت المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقهم وفضل امانتهم لم تبرهم ورجا تبرهم المتصفق لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما يناله به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن اموره في العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستقرم ايقرب به الى الله تعالى وتلتبس به رجته واكثر الاذن للناس عليك وارهم وجهك وسكن حراسك واخفص لهم جناحك واطهر لهم بشرتك ولن لهم في المسئلة والنطق واعطف عليهم ببجودك وفضلك واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والاجرم من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبل من اهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وباقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودع الى سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وما يتفقون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً وكثر بحاجاسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هو لك اتباع السنن واقامتها واثارها كالمكارم الاخلاق ومقاتلتها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيالك تمنعهم هيبتك من انتهاء ذلك اليك في ستر واعلامك بما فيه من النقص فان اولئك انصحن اوليائك ومظاهريك لئلا وانظر عمالك الذين يحضرتك وكتابتك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وأموال الدولة ورعيته ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكره النظر فيه والتدبير له فما كان موافقاً للحق والحزم فامض به واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه والتبذير ولا تمن على رعيته ولا غيبرهم بمعروف وتوبه اليهم ولا تعجل من احداً الا الوفاء والاسـتقامة والعون في أمور المسلمين ولا تنص من المعروف الاعلى ذلك وتفههم كافي اليك وامعن النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستغفره فان الله عز وجل مع الصالح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبته ما كان لله عز وجل رضا ولدينه نظاماً ولا له عزاً وذكراً ولا لاله ولا لدمعة ولا لوصلاحاً وانا سأل الله عز وجل ان يحسن عونك وتوفيقك وارشادك وكلاءك والسلام* وحدث الاخبار يون ان هذا الكتاب لما ظهر وشاع امره اعجب به الناس واتصل بالماءون فلما قرئ عليه قال ما بقي ابو الطيب يعني طاهر اشياء من أمور الدنيا والدين والتدبير والرأى

ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (وهذه) الخصلة أعني الكرم والجود والسخاء والايثار معي واحـد يوصف البارئ تعالى بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل لعدم التوقيف (وحقيقة) الجود هي ان لا يصعب عليه البذل ويقال السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن أعطى البعض وامسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الا كبر فهو صاحب جود ومن أثر غيره بالمحاضرو بقى هو في مقاساة الضر فهو صاحب ايثار (قال) ذوالنون بداية السخاء ان تسخو نفسك بما في يديك ونهايته ان تسخو نفسك بما في ايدي الناس وان لا تبالي من كل الدنيا (وتذكر) قوم من الزهاد عند رابعة العدو به فجعوا يذمون الدنيا ويكثرون من ذلك فقالت رابعة من أحب شيئاً أكثر من ذكره وأصل السخاء هو السماحة وان يوثق ما يوثق من طيبة نفس (وقد يكون) المعطى بخيلاً اذا صعب عليه البذل والممسك سخياً اذا كان لا يستصعب العطاء وان منع ولهذا قال علماءنا ان الله تعالى لم يزل جواداً وان لم يقع منه عطاء في الازل لان العطاء فعل والفعل في الازل مستحيل (وقالت) الحكماء أيها الجامع لا تتخذ عن فلان كولا للبدن

والسماحة

والمسألة

وان لم يقع منه عطاء في الازل لان العطاء فعل والفعل في الازل مستحيل (وقالت) الحكماء أيها الجامع لا تتخذ عن فلان كولا للبدن

والموهوب للمأدوم المتروك للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قال) أبوهريرة رضي الله عنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي (١٨٥) صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه فقطن والذي

بِعَمَلِكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدَنَا إِلَّا
الْمَاءُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عِنْدَ رَسُولِ
اللَّهِ مَا يَطْعَمُكَ اللَّيْلَةَ ثُمَّ
قَالَ مَنْ يَصِفُ هَذَا هَذِهِ

الليلة رحمه الله فقال رجل
من الانصار انا يا رسول الله
فخمه الى منزله وقال لاهله
هذا ضيف النبي صلى
الله عليه وسلم فأكرمه
ولا تدخرى عنه شيئا فقالت

ما عندنا الا قوت الضبية
فقال قومي فعليهم عن
وتهم حتى يناموا ثم اسرجي
وابرزي فاذا اخذ الضيف
يا كل قومي كانك تصليين
السراج فاطمئنه وتعالى

فَضَحَ السُّنْمَ الضَّيْفَ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَعَلَتْ
وَجَعَلَا يَضْغَانِ السُّنْمَتِهَا
وَالضَّيْفَ يَظُنُّ أَنَّهُمَا
يَأْكُلَانِ وَبَاتَا طَوِيلَيْنِ
فَلَمَّا أَصْبَحَا وَنَظَرَ النَّبِيُّ

صلى الله عليه وسلم اليهما
تبسم ثم قال انا عجب الله
من فلان وفلانة هذه الليلة
ونزلات ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة الآية (وقال)

رأس شاة مشوية وكان
فوجه به الجار الى أهـل
بيت آخر فداولته سبعة
فمازادوا له

والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقوم الخلافة الاوقدا حكمه واوصى به ثم امر المأمون فكتب به الى جميع العمال في النواحي ليقعدوا به ويعملوا بما فيه هذا الحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة والله اعلم

٥٣ * (فصل في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك) *

(اعلم) ان المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على عمار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل -
من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويسمى علي المالك الاسلامية ويسمى
بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من
بعده فقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله وياتي بالمهدي في صلاته ويخجون في الباب باحاديث
خرجها الأئمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الاخبار وللتصوفة المتأخرين في امر هذا
الفاطمي طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو أصل طرائقهم
ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة في هذا الشأن وما المنكرين فيها من المطاعن وماله في
انكارهم من المستند ثم نتبع به بذكر كلام المتصوفة ودعيتهم ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى
فتم قول ان جماعة من الأئمة خرجوا احاديث المهدي منهم الترمذي وابوداود والبارز وابن ماجه والحاكم
والطبراني وأبو يعلى الموصلي واسندوه الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطائفة وابن
مسعود وابي هريرة وانس وابي سعيد الخدري وام حبيبة وام سلمة وثوبان وقرة بن ياس وعلى اله لابي
وعبد الله بن الحرث بن خزيمة اسانية وربما يعرض لها المنكرون كما نذكره الان المعروف عند اهل
الحديث ان الجرح مقدم على التعديل فاذا وجدنا طعننا في بعض رجال الاسانية بدفع قلة ابو سفيان وحفظ او
ضعف او سوء رأى تطرق ذلك الى صحة الحديث واوهم منها ولا تقوان مثل ذلك ربما يطرق الى رجال
الصحيحين فان الاجماع قد اتصل في الامة على تلقيهم بالقبول والعمل بما فيه ما وفي الاجماع اعظم حماية
واحسن دفع وليس غير الصحيحين بمنابتهم في ذلك فقد نبج دمج الا لالا كلام في اسانية بها نقل عن أئمة
الحديث في ذلك * ولقد توغل ابو بكر بن ابى خيثمة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للاحاديث الواردة في
المهدي فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكافي في فوائد الاخبار مسند الى مالك بن انس عن
محمد بن المنكر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب
بالدجال فقد كذب وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب وحسبك هذا غلو والله أعلم
بمحطة طريقته الى مالك بن انس على ان ابا بكر الاسكافي عندهم متهم وضاع * واما الترمذي فخروج هو
وابوداود بسنديهما الى ابن عباس من طريق عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة الى زر بن حبیش
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم اطول الله ذلك اليوم حتى
يبعث الله فيه رجلا مني او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابى هذا اللفظ الى داود وسكت
عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت عليه في كتابه فهو ضالح ولفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك
العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وفي لفظ آخر حتى يلى رجل من اهل بيتي وكلاهما حديث
حسن صحيح ورواه ايضا من طريق موقوف على ابى هريرة وقال الحماكم رواه الثوري وشعبة وزائدة
 وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلاهما الصحيح على ما اصله من
الاحتجاج باخبار عاصم أنه وامام من أئمة المسلمين انتهى الان عاصم قال فيه احمد بن حنبل كان رجلا

(٢٤ - ابن خلدون) أبيات حتى عاد الى الاول فنزلت وبثرون على أنفسهم (وقال) حذيفة العدوي انطلقت يوم

اليمموك أطاب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمل سقيته فاذا الغاب به بين القتلى فقلت أسقيك فاذا رجل يقول آه فاشد

ابن عبي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقالت اسعيتك فسمع آخر يقول آه فاشاره هشام ان انطلق اليه فجمته فاذا هو قد مات
ثم رجعت الى هشام فوجدته (١٨٦) قد مات ثم رجعت الى ابن عبي فاذا هو قد مات (وروت) عائشة رضي الله عنها قالت

صالحا قارئا للقرآن خيرا ثقة والاعمش احفظ منه وكان شعبة يختار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال
العجلي كان يختلف عليه في زرواني وائل يشير بذلك الى ضعف روايته عنه ما وقال محمد بن سعد كان ثقة
الا انه كثير الخطا في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم قلت
لاي ان ابا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سبني
الحفظ وقال ابو حاتم محله عندى محل الصدوق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف فيه في قول
النسائي وقال ابن حراس في حديثه نكرة وقال ابو جعفر العقيلي لم يكن فيه الاسوء الحفظ وقال الدارقطني
في حفظه شيء وقال يحيى القطان ما وجدته رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردي الحفظ وقال ايضا سمعت
شعبة يقول حدثنا عاصم بن ابي النجود وفي الناس ما فيها وقال الذهبي ثبت في القراءة وهو في الحديث دون
الثبت صدوق فهم وهو حسن الحديث وان احتج احدا بن الشيخين أخرجه فنعول أخرجه مقرر وناخيره
لا اصلا والله اعلم وخرج ابو داود في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية قطن بن خليفة عن القاسم بن ابي
مرة عن ابي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لمبعث الله رجلا من
أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وقطن بن خليفة وان وثقه أحمد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي
وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه تشيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال أحمد بن عبد
الله بن يونس كذا نمر على قطن وهو مطروح لا نكتب عنه وقال مرة كنت أمر به وأدعه مثل الكلاب وقال
الدارقطني لا يحتج به وقال أبو بكر بن عديش ما تركت الرواية عنه الا اسوء مذهبه وقال الجرجاني زافع غير
ثقة انتهى وخرج أبو داود ايضا بسنده الى علي رضي الله عنه عن مروان بن المغيرة عن عمر بن ابي قيس عن
شعيب بن أبي خالد عن ابي اسحق النسفي قال قال علي ونظر الى ابنه الحسن ان ابني هذا سيد كما سماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق عيلا
الارض عدلا وقال هرون حدثنا عمر بن أبي قيس عن مطرف بن طريف عن ابي الحسن عن هلال بن عمر
سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحرث على مقدمته رجل
يقال له منصور يوطئ او يمين لا تلمح كذا مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل
مؤمن نصره أو قال اجابته سمكت أبو داود عليه وقال في موضع آخر في هرون هو من ولد الشيعة وقال السلمي
فيه نظار وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس لا بأس به في حديثه خطأ وقال الذهبي صدق له أو هام وأما أبو
اسحق الشيباني وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت أنه اختلط آخر عمره وروايته عن علي منقطعة وكذلك
رواية أبي داود عن هرون بن المغيرة * وأما السند الثاني فأبو الحسن فيه وهلال بن عمر مجعولان ولم يعرف
أبو الحسن الا من رواية مطرف بن طريف عن علي رضي الله عنه انتهى وخرج أبو داود ايضا عن أم سلمة وكذا ابن ماجه والحاكم
في المستدرک من طريق علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة ولفظ الحاكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذکر المهدي فقال نعم
هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره وقد ضاع عنه أبو جعفر العقيلي وقال لا يتابع على
ابن نفيل عليه ولا يعرف الا به وخرج أبو داود ايضا عن أم سلمة من رواية صالح بن الخليل عن صاحب له عن
أم سلمة قال يكون اختي لاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة فيأبته ناس من
أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيأبونه بين الركن والمقام فيبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم
بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيأبونه

قال النبي صلى الله عليه
وسلم السخى قرييب من
الله قرييب من الناس
بعيد من النار والنجيل
بعيد من الله بعيد من الناس
بعيد من الجنة والمجاهل
السخى أحب الى الله من
العابد البخيل (وروى)
أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ابن آدم انما
المؤمن مالک ما کلت
فانبت اولبست فابليت او
اعطيت فامضيت (واعلم)
ان السخاء على وجوه السخاء
في الدين وسخاء في الدنيا
فالسخاء في الدنيا البذل
والعطاء والاثار وسماحة
النفس قال الله تعالى ومن
يوق شحم نفسه فاولئك هم
المفلحون وعلامته ترك
الاذخار وبغض جمع
المال وتعاهد الاخوان
مسرورا قلبه بذلك والسخاء
في الدين ان تسخو نفسك
ان يتلفها الله تعالى وترى
دمك في الله سماحة من
غير كراهة لا تريد بذلك
ثوابا عاجلا ولا آجلا
وان كنت غير مستغن
عن الثواب لان الغاب
على قلبك حسن كمال السخاء
بترك الاختيار الى الله
تعالى حتى يفعل الله بك
ما لا تحسب ان تختاره

لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد اذا سئل الحليم اذا استجهل الكريم
الجالس لمن جالسه الحسن الخاقان جاوره (يقال) النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وانهم بالاولا كرمهم

طباعا واجلهم في النقوش قد رافسكت القوم فقال في ابيت اللعن افضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت (وقال) الحسن باع طلحة بن عثمان ارضا بمائة الف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا (١٨٧) عنده لا يدري ما يدرقه لغيره بالله

ثم جعل رسوله يختار حتى
قسمها وما اصبح عنده منها
درهم (وكان) اسماء بن
خارجة يقول ما احب ان
ارد احدا عن حاجة لانه ان
كان كريما اصون عرضه
وان كان لثيما اصون عنه
عرضي (وكان) مروان
البحلي يتلطف في ادخال
الرفق على اخوانه فيضع
عند احدهم الف درهم
ويقول امسكوها حتى
أعود اليكم ثم يرسل اليهم
أنتم منها في حبل (وقال
العتبي) أعطى الحاكم بن
عبد المطلب جميع ما يملكه
فلما نفذ ما عنده ركب
فرسه وأخذ رحمه يريد
الغزو ومات بمنهج فاخبرني
رجل من أهل منبج
قال قدم علينا الحاكم وهو
مملئي لاشي معه فاغننا قليل
كيف أغناكم وهو مملئي
فقال ما اغنانا مال ولا كنه
علما الكرم فعاد بعضنا على
بعض فاستغنينا بهوا كرم
العرب في الاسلام طلحة بن
عميد الله جاءه رجل فسأله
برحم يديه وبينه فقال هذا
حاطي بمكان كذا وكذا
وقد أعطيت به ستمائة
ألف درهم يراخ بالمال الى
العشمة فان شئت فالمال
وان شئت فالحائط

ثم ينشأ رجل من قریش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والحبيبة لمن لم
يشهد غنيمته كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة بينهم صلى الله عليه وسلم ويليقي الاسلحة بجرانه
على الارض فيلبث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه ابو داود ومن رواية ابن الحنبل عن عبد الله بن
الحريث عن أم سلمة قتيبن بذلك الميم في الاسناد الاول ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا معزز وقد
يقال انه من رواية قتادة عن أبي الخليل وقناة مداس وقد عنعنوه والمدايس لا يقبل من حديثه الا ما صرح
فيه بالسماع مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذلك كراهي نفي في ابوابه وخرج ابو داود
ايضا وتابعه الحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق عمران القطان عن قتادة عن أبي بصرة عن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم المهدي مني اجلي الجبهة اقنى الانف يلا الارض قسطا
وعدلا كما ملئت ظلماء وجور املك سبع سنين هذا لفظ أبي داود وسكت عنه ولفظ الحاكم المهدي منا
اهل البيت اسم الانف اقنى اجلي يلا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا وبسط
يساره واصابعه من يمينه اليسار بآية والابهام وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسند لم ولم
يخرجاه اه وعمران القطان مختلف في الاحتجاج به انما اخرج له البخاري استشهاده الا لا وكان يحيى
القطان لا يحدث عنه وقال يحيى بن معين ليس بالقوي وقال مرة ليس بشي وقال احمد بن حنبل ارجوان
يكون صالح الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى السيف على اهل القبلة وقال النسائي
ضعيف وقال ابو عبيد الا جرى سألت ابا داود عنه فقال من اصحاب الحسن وما سمعت الا خبرا وسمعت مرة
اخرى ذكره فقال ضعيف اقنى في ايام ابراهيم بن عبد الله بن حسن بقتوى شديد فيهم اسفل الدماء وخرج
الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق زيد العمي عن أبي صديق الناجي عن أبي
سعيد الخدري قال خشينا أن يكون بعض شيء حدث فساءلنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان في امتي
المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا وتسعازيد الشاك قال قلنا وما ذلك قال سنين قال فيحيى اليه الرجل
فيقول يا مهدي اعطني قال فيحيى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد
روى من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولغظ ابن ماجه والحاكم يكون في امتي المهدي
ان قصر فسبع والافتسح فتعظم امتي فيه نعمة لم يسمعوا بها لفظ ثوثي الارض اكها ولا يدخر منه شيء والمال
يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ انتهي وزيد العمي وان قال فيه الدارقطني
واحمد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد احمد انه فوق يزيد الرقاشي وفضل بن عيسى الا انه قال فيه
ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به وقال يحيى بن معين في رواية اخرى لاشي وقال مرة يكتب حديثه
وهو وضعيف وقال المجراني متمسك وقال ابو زرعة ليس بقوي واهي الحديث ضعيف وقال ابو حاتم
ليس بذلك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدى عامة ما روي عنه ومن يروي عنهم
ضعفاء على أن شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن اضعف منه وقد يقال ان حديث الترمذي وقع
تقسيم المسارواه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكون في آخر امتي
خليفة يحيي المال حثيلا لا يعده عدا ومن حديث أبي سعيد قال من خلفاءكم خليفة يحثو المال حثيا ومن
طريق اخرى عنه ما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده انتهي واحاديث مسلم لم يقع فيها
ذكر المهدي ولا دليل يقوم على أنه المراد منها ورواه الحاكم ايضا من طريق عوف الاعرجي عن أبي الصديق
الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض جورا

(ويروي) أن رجلا بعث الى حنظلة بجارية فوافته بين أصحابه فقال قبيح أن أخذها لنفسه وأنتم حضروا كره أن أخص بها واحدا
منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فامر لكل واحد منهم بجارية أو وصيف (وقيل) لقيس بن سعد

هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضرز وبعها فقالت له انه نزل بك ضيقان فجاء بناقفة فحضرها وقال شأنكم فلما
كان الغد جاء باخرى ونحمرها وقال (١٨٨) شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحتر الباردة الا ليسير فقال اني لا اطعم اضيافى الفات

وظلما وعدوا انما يخرج من اهل بيتي رجل يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه
الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرج جاهد رواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد عن
ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال يخرج في آخر امتي
المهدي يدب فيه الله الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتكظم الامة
يعيش سبعيا وثمانيا يعني حجبا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد لم
يخرج له احد من السبعة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد ان احدا تكلم فيه ثم رواه الحاكم ايضا
من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وابي هريرة العبدى عن ابي الصديق
الناجي عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الارض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتي
فيملأ سبعيا وتسعا فيملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على
شرط مسلم ولم وانما جاء له على شرط مسلم لانه اخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق واما شيخه
الاخر وهو ابو هريرة العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جدا متهم بالكذب ولا حاجة الى بسط اقوال الائمة
في تضعيفه * واما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو اسد بن موسى ويلقب اسد السنة وان قال البخارى
مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به ابو داود والنسائي الا انه قال مرة اخرى ثقة ولم يصنف
كان خير اله وقال فيه محمد بن خرم منكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الاوسط من رواية ابي الواصل عبد
المجيد بن واصل عن ابي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السدي احدثني بهذا عن ابي سعيد
الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من امتي يقول بسنتي ينزل الله عز
وجل له القطر من السماء وتخرج الارض بركتها وتملأ الارض من قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما
يعمل على هذه الامة سبع سنين وينزل بيت المقدس وقال الطبراني فيه ورواه جماعة عن ابي الصديق
ولم يدخل احد منهم بينه وبين ابي سعيد احد الا بالواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابي سعيد
انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن ابي حاتم ولم يعرفه بأكثر مما في هذا الاسناد من روايته عن ابي
سعيد ورواية ابي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره ابن حبان في الثقات واما ابو
الواصل الذي رواه عن ابي الصديق فلم يخرج له احد من السبعة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة
الثانية وقال فيه يروى عن انس وروى عنه شعبة وعطاء بن بشر وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد
الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابيز ياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قبل قبلة من بني هاشم فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه
وتغير لونه قال فقلت ما نزل نرى في وجهك شيئا فذكره فقال انا اهل البيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا
وان اهل بيتي سلبقون بعدى بلا وتشر يد وتطر يد احتى باقى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود
فيسألون الخبير فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون فيعطون ماسا لو افلايقبلونه حتى يدفعونها الى رجل من
اهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملؤها جورا فين ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبووا على النبل انتهى * وهذا
الحديث يعرف عند الحديثين بحديث الزيات ويزيد بن ابيز ياد رواه قال فيه شعبة كان رفعا يعني يرفع
الاحاديث التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن الفضل كان من كبار ائمة الشيعة وقال احمد بن حنبل لم يكن
بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن معين ضعف وقال الجلي جائز الحديث وكان باخرا
يلقن وقال ابو زرعة لين يكتب حديثه ولا يجمع به وقال ابو حاتم ليس بالقوى وقال الجرجاني سمعته

فاقناعه اياما والسماء
تطرو وهو يفعل كذلك
فلما اردنا الرحيل وضعنا
مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة
اعتذرى لنا منه ومضيها
فلما متع النهار اذ ابرجل
يصبح خلفنا قفا وآيها
الركب اللائم اعطيتوني
عن القرى ثم انه لم يبق
لتأخذونها الا طعنتكم
برمحي فاخذناها وانصرف
(وقال) ميمون بن مهران
من طلب مرضاة الاخوان
بلا شئ فليحجب اهل
القبور (وقال) ابن عباس
لا يتم المعروف الا بثلاثة
تجمل له وتضغيره وستره فاذا
عجله فقد هناه واذا صغره
فقد عظمه واذا ستره فقد
تممه (وقال) الحسن كان
أحدهم يشق ازاره لآخيه
بنصفين (وقال) المغيرة في
كل شئ سرف الا في
المعروف (وقيل) للحسن
ابن سهل لا خير في السرف
فقال لا سرف في الخير فقلب
اللفظ واستوفى المعنى
ونظمه محمد بن حازم فقال
لا فقر عار ولا الغنى شرف
ولا سخاء في طاعة سرف
مالك الا شئ تقدمه
وكل شئ آخره تاف
واما طلحة بن عبد الله بن
خلف الخزاعي المعروف

طلحة الطلحات وانما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه وكان يبتاع الرقاب فيعتقها وكان
كل معتنق يولده ولده ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم ألف رجل كل يسبى طلحة فسمى طلحة الطلحات ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر
يضعفون

تضر الله أعظمادفونها * بسجستان طلحة الطلحات فقد بلغه ان معلمه كان في الكلاب بالحجاز قد قدعه بالدهر فارسل اليه مع غلامه
مائة الف فقال سلمها اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الي ولده وان لم يكن له ولد ففرقها (١٨٩) على قومه فوافقه الرسول قدمات

ولم يعقب فقرقها في قومه
(وقال) زيد بن اسلم وكان
من الخاشعين يا ابن آدم
أمرك الله ان تكون
كرما وتدخل الجنة
ونهاك ان تكون لثما
وتدخل النار (وقال)
حكيم بن خزام ما أصبحت
قط صبا حالم أرياني طالب
حاجة الا عدتها صنية
أرجو ثوابها (ولما) مات
وجد عليه مائتا ألف دينار
ووجد مائة دينار على حجر
انتها الفرس عند ما كانها
ولا تحمل على نفسك هم
ما لم يأتك * واعلم ان تقنيرك
على نفسك توفير لمخرجة
غيرك فكم من جامع لم يعمل
حليته (وقال) علي بن أبي
طالب رضي الله عنه ما
جئت من المال فوق
قوتك فأنما أنت خازن
لغيرك (وروي) مالك في
الموطان مسندنا آل
عائشة وهي صائغة وليس
في بيتها الا رغي فقلت
لمولاهما أعطيه اياه فقالت
ليس لك ما تنظر بن عليه
فقلت أعطيه اياه ففعلت
فلما أمست أهدي لها
أهل بيت شاة وكفنها يعني
معلقة بالزعفران فقالت
لي عائشة كل هذا خير
من قرصك (وقال) عبد

بضعون حديثه وقال ابو داود لا اعلم احدا ترك حديثه وغيره احب الى منه وقال ابن عدي هو من شعبة
أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة فلاكثر من على ضعفه
وقد صرح الأئمة بنصف هذا الحديث الذي رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث
الرايات وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشئ وكذلك قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة
يقول في حديث يزيد عن ابراهيم في الرايات لو حلف عندى خمسة بن عينا قسامة مصادقة اهـ ذامذهب
ابراهيم اهـ ذامذهب علقمة اهـ ذامذهب عبد الله واورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء وقال الذهبي
ليس بصحيح وخرج ابن ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلي عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية
عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي منا أهل البيت يصلح الله به في ليلة
وياسين العجلي وان قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال البخاري فيه نظرو هذه اللفظة من اصطلاحه
قوية في التضعيف جـ داود ورواه ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه
الاستئثار له وقال هو معروف به وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن علي رضي الله عنه انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لم امننا المهدي ام من غيرنا يا رسول الله فقال بل منا يا نبي الله كما بنا فتح وبنا
يستقذون من الشرك وبنوا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عدة بينة لما بنا الف بين قلوبهم بعد عدة
الشرك قال علي مؤمنون ام كافرون قال مقنون وكافرانتهى وفيه عبد الله بن لميعة وهو ضعيف
معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو اضعف منه قال احمد بن حنبل روى عن جابر منا كبر
وبلغني انه كان يكذب وقال النسائي ليس بشيء وقال كان ابن لميعة شيخا احمق وضعيف العقل وكان يقول
على في السحاب وكان يجلس معنا في مصر سحابة فيقول هـ ذاعلى قدم في السحاب وخرج الطبراني عن علي
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما
يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا أهل الشام ولا كن سـ بواشر ابراهيم فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل
على أهل الشام صيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج
من أهل بيتي في ثلاث رايات المكثر يقول بهـ خمسة عشر الفا والمقل يقول بهـ مائة عشر الفا واما رثتهم
امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى المسلمين
ألفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ورايتهم اهـ وفيه عبد الله بن لميعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في
المستدرک وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه في روايته ثم يظهر لها شئ فيرد الله الناس الى الفتنة الح و ليس في
طريقه ابن لميعة وهو اسناد صحيح كما ذكر وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من رواية ابني
الطريق عن محمد بن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه فساءله رجل عن المهدي فقال على هيئات ثم عقد
بده سبعا فقال ذلك يخرج في آخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل ويجمع الله له قوما قزع (١) كقزع
السحاب يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون الى احد ولا يفرحون بأحد دخل فيهم عدتهم على عدة أهل
يدركهم الاولون ولا يدركهم الا آخرون وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال ابو
الطريق قال ابن الحنفية اترى يدك قلت نعم قال فانه يخرج من بين هـ ذين الاخشعين قتل لاجرم والله
ولا ادعها حتى اموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هـ ذاهديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما
هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارة الذهبي ويونس بن ابني اسحق ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمر بن

(١) قوله قزع بضم اوله وفتح الزاي ممنوع من الصرف كما في اهـ

الله بن عمر ما كان أحدنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شـ بيا (وقال) الحسن كنانة البخيل من يقرض أخاه
الدرهم (ومن عجائب) ما روي في الآثار ما ذكره أبو محمد الأزدي قال لما احترق المسجد بصر وغان المسلمون ان النصاري أحرقوه فاحرقوا

خاتما لم يقبض السلطان جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقا فيها القتل وفيها القطع وفيها المجدونثر ما عليهم من وقعت عليه رقعة
فعل به ما فيها فوقعت رقعة (١٩٠) فيها القتل بيد رجل فقال ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجانبه بعض القتيان فقال له في

محمد بن عبد القري ولم يخرج له البخاري احتجاجا بل استشهدا مع ما ينضم الي ذلك من تشيع عمار الذهبي
وهو وان وثقه احمد وابن معين وابو حاتم النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المدني عن سفيان ان يشر بن
مروان قطع عرقه بيه قلت في اي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه في
رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد التميمي عن عكرمة بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن
انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادات اهل الجنة انا وحزرة
وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فانما اخرج له متابعة
وقد ضعفه بعض وثقه آخرون وقال ابو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل الا ان يصرح بالسماع وعلي بن
زياد قال الذهبي في الميزان لا ندرى من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد وان
وثقه يعقوب بن ابي شيبة وقال فيه يحيى بن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لانه راى يفتي في
مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كان ممن فحش عطاؤه فلا يحتج به وقال احمد بن حنبل سعد بن عبد
الحميد يديعي انه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه وهذا وهو ههنا به عداد لم يحج فكيف
سعهما وجعله الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في مسنده عن راية تجاهد
عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس لو لم اسمع انك مثل اهل البيت ما كنت
بهذا الحديث قال فقال مجاهد دفانه في ستر لا ذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس منا اهل البيت
اربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء الاربعة فقال ابن
عباس اما السفاح فمما فتر بما قتله انصاره وعقاعن عدوه واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان
ولا يتعاضد في نفسه ويسكن القليل من حقه واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان
يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يره برب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور برب منه عدوه
على مسيرة شهر واما المهدي الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وتأمين البهايم السباع تلقى الارض
افلاذ كبدها قال قلت وما افلاذ كبدها قال امثال الاسطوانة من الذهب والفضة اه وقال الحاكم
هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن ابيه واسمعيل بن
ضعيف وابراهيم ابو هوان خرج له مسلم فلا كثرون على تضعيفه اه وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل عند كبرك ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى واحد منهم حتى تطلع
الرايات السود من قبل المشرق فيقتلوه ثم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر شيئا لا احفظ قال فاذا رايتوه فبايعوه ولو
حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي اه ورجاله رجال الصحيحين الا ان فيه ابا قابلة المجرمي وذكر الذهبي
وغيره انه مدلس وفيه سفيان الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهم ما عنعن ولم يصرح بالسماع
فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعي في آخر وقته فخطا قال ابن عدي حدث
بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها احد ونسبوه الى التشيع انتهى * وخرج ابن ماجه عن عبد الله
ابن الحرث بن جزء الزبيدي عن طريق ابن لهيعة عن ابي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن
الحرث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطانه
قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي خرج به الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن
لهيعة ضعيف وان شيخه عمر بن جابر اضعف منه وخرج البزار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ
للمطبراني عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمي المهدي ان قصر فسيبع والا فثمان

ورقعتي المجدولت لي أم
فادفع الي رقعتك وخذ
رقعتي ففعل فقتل ذلك
وتخلص هذا (وحكي) ان
أبا العباس الانطاكي
اجتمع عنده نبغ وثمانون
رجلا بقرية بقرب الري
ولهم أرفقة لم تسع جمعهم
فكسروا الرغفان واطقوا
السراج وجلسوا للطعام
الى ان كفوا فلما رفع اذا
الطعام بحاله لم يأكل منه
واحد منهم اثار صاحبه
على نفسه (وروي) انه
اجتمع بالرملة جماعة من
أرباب القلوب فحضر طبق
فيه تين أخضر وقد غسق
اللبل فكان الواحد يمد
يده فاذا طفر بحبة حصرم
يأكلها وان ظفر بطيب
دفعه الى صاحبه ولم يأكله
فلما رفع الطبق اذا الطيب
كله في الطبق لم يأكلوا
منه شيئا (وقال) بعض
الرواة دخلت على بشر
الحافي في يوم شديد البرد
وقد تعري من الثياب
فقلت يا أبا نصر الناس
يزيدون الثياب في مثل
هذا اليوم وأنت تنقص
فقال ذكرت الفقراء وما هم
فيه ولم يكن لي ما واسيهم
به فاردت ان أرافقهم
بنقسي في مقاساة البرد

(وقال) الاستاذ أبو علي لماسعي غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فاما الحميد
فانه تسبر بالثقة وكان يفتي على مذهب أبي ثور واما الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم

فتقدم النوري امامهم فقال له السباني أتدري لماذا أتقدم وتسابق قال نعم قال وماذا يجعلك قال أوثر أصحابي بحياة ساعة فقبحر السباني
وأثنى الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضي ليتعرف حالهم فالتقى القاضي على (١٩١) أبي الحسن النوري مسائل فقهية فاجاب

عن الكل ثم أخذ يقول
ان الله عباد اذا قاموا قاموا
بالله واذا نطقوا نطقوا
بالله وسر الفاظا حتى أبكى
القاضي فارس إلى الخليفة
وقال ان كان هؤلاء زنادقة
فأعلى وجه الارض مسلم
(ولما) مرض قيس بن سعد
ابن عباد استبطأ اخوانه
في العيادة فسأل عنهم فقال
انهم يستحيون مما لك عليهم
من الدين فقال أخرى الله ما
لا يمنع الاخوان من الزيارة
ثم أرمز ينادي من كان
لقيس عنده مال فهو منه
في حل فكسرت عتبة بابها
بالعشي لكثرة العواد
(ويروى) ان عبد الله
ابن جعفر وكان أحدهم
الاجواد خرج إلى ضيعة له
فتزل على نخيل قوم وفيها
غلام أسود يقوم عليها فأتى
بقوته ثلاثة أفراس ودخل
كلب ودنانم الغلام فرمى
اليه بقرص فأكله ثم رمى
اليه بالثاني والثالث
فأكلهما وعبد الله ينظر
فقال يا غلام كم قوتك كل
يوم قال ما رأيت قال فلم
آثرت هذا الكلب قال
ماهي بارض كلاب وانه
جاء من مسافة بعيدة جائعا
فكرهت رده قال فأثرت
صانع اليوم قال أطوى يومى

والافتسح تنعم فيها متى نعمة لم يعمها ثم أرسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض شيئا من النبات
والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدى اعطني فيقول خذ قال الطبراني والبخاري تفرد به محمد بن مروان
العجلي زاد البزار ولا يعلم انه تابعه عليه أحد وهو وان وثقه أبو داود وابن حبان أيضا ما ذكره في الثقات
وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به بأس فقد اختلفوا فيه وقال أبو زرعة ليس عنه دي بذلك
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي حدث باحد حديث وأنا شاهد لم نكتبها ثم كتبها
على عمد وكتب بعض أصحابنا عنه كانه ضعفه وخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة وقال
حدثنا خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم لم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي
فيضربهم حتى يرجعوا إلى المحي قال قلت وكيمالك قال خمسواثنين قال قلت وما خمس واثنتين قال لا أدري
اه وهذا السند وان كان فيه بشير بن نهشل وقال فيه أبو حاتم لا يحتج به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس
ولم يلتفتوا إلى قول أبي حاتم لا يحتج به إلا أن فيه رجاء بن أبي رجاء البشكري وهو مختلف فيه قال أبو زرعة
ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال أبو داود ضعف وقال مرة صالح وعنه البخاري في صحيحه حديثنا
واحد أخرجه أبو بكر البزار في مسنده والطبراني في معجمه الكبير والوسط عن قرعة بن اياس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتلأث الارض جورا وظلما فاذما ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من امتي اسمه اسمي
واسم أبيه اسم ابني يملأها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء من قطرها شيئا ولا الارض شيئا
من نباتها يلبث فيكم سبعاء أو ثمانية أو تسعائة سنين اه وفيه رواه ابن المحي بن مجرم عن أبيه وهما
ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من
المهاجرين والانصار وعلى بن أبي طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحي العباس ورجل من
الانصار فاغاط الانصارى للعباس فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس وبيده على وقال سيخرج من
صلب هذا حتى يملأ الارض جورا وظلما وسيخرج من صلب هذا حتى يملأ الارض قسطا وعدلا فاذا رأيت
ذلك فعليك بالتميم فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي اه وفيه عبد الله بن عمر
العمري وعبد الله بن لهيعة وهما ضعيفان اه وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يسكن منها جانب الا تشاجر جانب حتى ينادى مناد من السماء ان
أميركم كفلان اه وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف جدا وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي وانما
ذكره في ابوابه وترجمته استئناسا (فهذه) جملة الاحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخرجه
آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد الا القليل والاقل منه وربما تمسك المنكرون لشأنه بما
رواه محمد بن خالد الجندی عن ابان بن صالح بن ابي عياش عن حسن البصري عن انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندی انه ثقة
وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال الحما كفيه انه رجل مجهول واختلف عليه في اسناده في روى كما
تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادريس الشافعي ومرة يروى عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبي
صلى الله عليه وسلم مرسل لاقال البيهقي فرجع إلى روايه محمد بن خالد وهو مجهول عن ابان بن ابي عياش
وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالحجة فالحديث ضعيف مضطرب
وقد قيل في ان لا مهدي الا عيسى أي لا يتكلم في المهدي الا عيسى يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به أو
الجمع بينه وبين الاحاديث وهو مدفوع بحديث جريح ومثله من الخوارق * وأما المتصوفة فلم يكن

هذا قال عبد الله بن جعفر الأم على السجاء وهذا أسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الا لا تفاعتي الغلام ووهب ذلك له
(وقال) النوري رأيت محمد بن سوقة بالغداة صاحب مائة ألف وبالعشي سأله من أصحابه خبزة (وقال) أبو عبد الرحمن دخل أبو عبد

الله الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجده غائبا وهناك بيت مقفل فسكر القفل وامر بجميع ما وجد فيه من المنافع فأنفذه الى السوق فباعوه واصلحوه واهوا به وقتا (١٩٤) من الثمن فجاء صاحب الروذباري فلم يقل شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها

المتقدمون منهم يخوضون في شيء من هـ ذوا واما كان كلامهم في المجاهد بالاعمال وما يحصل عنهم من نتائج المواجهات والحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الشيخين كذا كراه في مذهبهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت الفتن في مذهبهم وجاء الاسماعيلية منهم يدعون الوهية الامام بنوع من الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات من الائمة بنوع التناسخ وآخرون منتظرون مجيء من يقطع بموته منهم وآخرون منتظرون عود الامري اهل البيت مستدين على ذلك بما قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث ايضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدانية فشاركوا فيها الامامية والرافضة ولهم بالوهية الائمة وحلول الاله فيهم وظهر منهم ايضا القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والقباعوا واثروا في القول بالشيعة وتوغلوا في الديانة بمذهبهم حتى لقد جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرق ان عليا رضي الله عنه البسها الحسن البصري واخذ عنه العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجند من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الحجابة كلهم اسوة في طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم راحة من التشيع قوية فيهم منها ومن غيرهم مما تقدم دخولهم في التشيع وانحدر اطمعهم في سلكه وظهر منهم ايضا القول بالقطب وامثلة كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمية المنتظر وكان بعضهم يميله على بعض ويلقنه بعضهم من بعض وكأنه مبدئي على اصول واهية من الفريقين وربما يستدل بعضهم بكلام المتجيمين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليهم في الباب الذي يلي هـ ذوا اكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبدالحق بن سبعين وابن ابي واطيل تلمذه في شرحه لكتاب خلع النعلين واكثر كتاباته في شأنه الغارز وامنال وربما يصرحون في الاقل او يصرح مفسر وكلامهم وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن ابي واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعبي وانها تعقبها الخ لافقة ثم يعقب الخ لافقة الملك ثم يعود تجبرا وتكبرا وباطلا فالاول ما كان في المعهود من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يحيا امر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافها ثم يعقبها الدجل مكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله يشيرون بهذا الموضع من شأن النبوة والخلافة بعدهما والملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي لهذا الفاطمي والدجل بعدهما كناية عن خروج الدجال على أثره والكفر من بعد ذلك فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل النبوة فالاول ما كان امر الخلافة لقر يش حكما شرعا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من لم يزاول علمه وجب ان تكون الامامة فيمن هو اخس من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم اما ظاهرا كبنو عبدالمطلب واما باطنا ممن كان من حقيقة الال والال من اذا حضر لم يغيب من هو له وابن العربي الحاتمي سماه في كتابه عنقاء مغرب من تأليفه خاتم الاولياء وكى عنه بلبنة الفضة اشارة الى حديث البخاري في باب خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم مثلي فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابتي بيتا واكمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فالتاب اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللبنة حتى اكملت البنيان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة ويمثلون الولاية في

كساء فدخلت بيتا ومرت بالكساء وقالت يا اصحابنا هذا ايضا من جملة المنافع فيبعوه فقال زوجهالم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ بياسطنا ويحكم علينا و يبقى لنا شيء نذكره عنه (واما) عبد الملك بن بجر فورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت لاسأل لاخواني الجنة في صلاتي وأبخل عليهم بحوالي (ويروي) ان الاشعث ابن قيس ارسل الى عدى ابن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابي حاتم فلاحا وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة (وقال) بز رجهر لا عز ائبت اركانها ولا أبذخ بيتانا من بيت الكرم واكنساب الشكر وذلك ان عز التعظيم بالفعل الجليل باق في قلوب الرجال ومن شخص بالجوهر وتحرز بالمعروف فقد ظفر بمن تأواه ورج الشكر والثواب (ويروي) ان عبد الله ابن ابي بكر وكان احد الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فاخرجت كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا

عن الباب وليأخذ بعض غلمانكم فاني امرأة من العرب ماتت فزوجي منذ ايام فشرع عبد الله وقال يا غلام اجعل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخرني فقال يا غلام اجعل اليها عشرة من القافة قالت اسأل الله العافية فقال يا غلام تفاوت

اجل اليها الثلاثين القافا قالت اف لك فحمل اليها ثلاثين الف درهم فما استحيى كثر خطابها (وقال) بعض الرواة قصه بدرجل الى صديق له فدى عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال اربعمائة درهم على دين (١٩٣) فدخل الدار واخرجها اليه ثم دخل الدار

يا كما فقالت له امراته ملا
تعلات حين شقت عليك
الاجابة قال انما ابكي لاني
لم اتفق دحاله حتى احتاج
الى مكاشفتي (وقال) انكم
ابن صيفي صاحب المعروف
لا يقع فان وقع وجدته مكاشفة
(وقال) الفضيل ما كانوا
يعدون القرض معروفا
(ويروى) عن امرأة من
المتعبدات انها قالت لحبان
ابن هلال وهو في جماعة
من اصحابه ما المشاء عنكم
قال البذل والا يشارقات
في المشاء في الدين قال
ان تعبدى الله تعالى سخية
به نفسك غير مكرهه قالت
افتر يدون على ذلك جزاء
قالوا نعم لان الله تعالى وعد
على الحسنه بعشر امثالها قالت
فاذا اعطيتم واحدة واخذتم
عشر افاى شئ سخيتم به
وانما المشاء ان تعبدوا
الله تعالى متعبدين متلذين
بطاعته غير كارهين
لا تريدون بذلك اجرا
الا تستحيون ان يطلع على
قلوبكم فيعلم منها انها تريد
شيأ بشئ (وقالت) بعض
المتعبدات لبعض المتعبدين
أتظن المشاء في الدينار
والدرهم فقط انما المشاء
في بذل مهيج النفوس لله
تعالى (وقال) أبو بكر

تفاوت مراتبها بالنمو ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء أى حائز الرتبة التى هى خاتمة الولاية كما
كان خاتم الانبياء حائز الرتبة التى هى خاتمة النبوة فكأنى الشارع عن تلك المرتبة الخاتمة بلمنة البيت في
الحديث المذكور وهما على نسبة واحدة فيها فهى لينة واحدة فى التمثيل فى النبوة بلمنة ذهب وفى
الولاية بلمنة فضة للنفوت بين الرتبين كابين الذهب والفضة فيجعلون لينة الذهب كناية عن النبى صلى
الله عليه وسلم ولينة الفضة كناية عن هذا الولي الفاطمي المنتظر وذلك خاتم الانبياء وهما ذاك خاتم الاولياء
وقال ابن العربي فيه ما نقل ابن أبي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من أهل البيت من ولد فاطمة
وظهوره يكون من بعد مضى خفج من الهجرة ورسمه حروف ثلاثة ير يدعددها بحساب الحمل وهو
الحاء المعجمة بواحدة من ستمائة والفأخت القاف بثمانين والحاء المعجمة بواحدة من أسفل ثلاثة وذلك
ستمائة وثلاث وثمانون سنة وهى فى آخر القرن السابع ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر رجل ذلك بعض
المقلدين لهم على أن المراد بتلك المدة مولده وعبر بظهوره عن مولده وأن خروجه يكون بعد العشر
والسبع مائة فانه الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث
وثمانين وستمائة فيكون عمره عند خروجه ستاوعشرين سنة قال وزعموا ان خروج الدجال يكون سنة
ثلاث وأربعين وسبع مائة من اليوم المجدى وابتداء اليوم المجدى عندهم من يوم وفاة النبى صلى الله عليه
وسلم الى تمام ألف سنة قال ابن أبي واطيل فى شرحه كتاب خلع النعيلين الولي المنتظر القائم بأمر الله المشار اليه
بمحمد المهدى وخاتم الاولياء وليس هو بنى وانما هو ولي ابنته ربه ووجه وجوبه قال صلى الله عليه وسلم
العالم فى قومه كالنبي فى أمته وقال علماء أمتى كانباء بنى اسرائيل ولم تزل البشرى تتابع به من أول اليوم
المجدى الى قبيل الخمسمائة نصف اليوم وتأكدت وتضاعفت بنبأ شير المشايخ بتقرير وقتها
وازدلاف زمانه منذ انتقضت الى هلم جرا قال وذكر الكندي أن هذا الولي هو الذى يصلى بالناس صلاة
الظهر ويحدد الاسلام ويظهر العدل ويفتح جزيرة الاندلس ويصل الى رومية فيفتحها ويسير الى
المشرق فيفتحها ويفتح القسطنطينية ويصير له ملك الارض فيتقوى المسلمون ويعلموا الاسلام ويظهر دين
الحقيقة فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت
وقال الكندي أيضا المحروف العربية غير المعجمة يعنى المفتوح بها سور القرآن جملة عددها سبع مائة وثلاثة
وأربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى فى وقت صلاة العصر فيصلى الدنيا وتمشى الشاة مع الذئب ثم يعق
ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة وستين عاما عدد حروف المعجم وهى قى دولة العدل منها
أربعون عاما قال ابن أبي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فعنه لا مهدي تساوى هدايته ولايته
وقيل لا يتكلم فى المهدى الا عيسى وهذا مدفوع بحديث جريح وغيره وقد جاء فى الصحيح انه قال لا يزال هذا
الامر قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثنا عشر خليفة يعنى قرشيا وقد أعطى الوجود أن منهم من كان
فى أول الاسلام ومنهم من سيكون فى آخره وقال الخليفة بعدى ثلاثون واحدى وثلاثون اوسنة وثلاثون
وانقضاؤها فى خلافة الحسن وأول امر معاوية فيكون أول امر معاوية خلافة أخذ باوائل الاسماء فهو
سادس الخلفاء وأما سابع الخلفاء فعمر بن عبد العزيز والباقيون خمسة من أهل البيت من ذرية على يؤيده
قوله انك لذوق نهار يريد الامة أى انك لخليفة فى أولها وذريتك فى آخرها ويرى استدلال هذا الحديث
القائلون بالرجعة فالاول هو المشار اليه عندهم بطولع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم لم
اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نقسب به هذه لتتفق كنوزها فى

(٢٥ - ابن خلدون)

الدقاق وليس المشاء ان يعطى الواحد المعدم انما المشاء ان يعطى المعدم الواحد
(وقال) الشيخ أبو عبد الرحمن كان لا يستأذ بوسهل الصعلوكى من الاجواد لم يكن يناول احدا شيأ بيده وانما كان يطره على الارض

فبتناوله الاخذ من الارض وكان يقول الدنيا اقل خطر من أن يرى من أجلها يدى فوق يد أخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
اليد العليا خير من اليد السفلى وكان (١٩٤) يتوضأ يوماً في صحن داره فدخل عليه انسان وسأله شيئاً فلم يحضره شيء فقال اصبر حتى

سبيل الله وقد أنفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله والذي به لك قيصرو وينفق كنوز في
سبيل الله هو وهذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية فنعم الامير اميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى
الله عليه وسلم ومدة حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر اربعين وفي بعض
الروايات سبعين وأما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفاء الاربعين الباقين من اهل القباكين بامره من بعده
على جميعهم السلام قال وذكر أصحاب التجوم والقرانات ان مدة بقاء امره واهل بيته من بعده مائة وتسعة
وخمسون عاماً فيكون الامر على هذا جارياً على الخلفاء والعدل اربعين اوسبعين ثم تختلف الاحوال
فتمكون ملكاً انتهى كلام ابن ابي واطيل وقال في موضع آخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر
من اليوم المجدى حين تمضي ثلاثة ارباعه قال وذكر الكندي يعقوب بن اسحق في كتاب الجفر الذي ذكر فيه
القرانات انه اذا وصل القران الى الثور على رأس خضج بحرفين (١) الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية
وتسعين وستمائة من الهجرة ينزل المسيح فيحكم في الارض ماشاء الله تعالى قال وقد ورد في الحديث ان
عيسى ينزل عند المائة البيضاء مشرق دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين زعفرتين صفرتين مصرتين
واضهما كفه على اجنحة الملاكين له لمة كأنها خرج من ديماس اذا طأ طأ رأسه قطروا اذا رفعه تحدر منه جان
كاللؤلؤ كثير خيلان الوجه وفي حديث آخر مربوع الخلق والى البيضاء والحجرة وفي آخرا نه يتزوج في القرب
والغرب دلو البادية يري دانه يتزوج منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد اربعين عاماً وجاء ان عيسى يموت
بالمدينة ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وجاء ان ابا بكر وعمر يحشران بين نبيين قال ابن ابي واطيل والشبهة
تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمد قلت وعليه جل بعض المتصوفة حديث لامهدي الا عيسى اى
لا يكون مهدي الا المهدي الذي نسبته الى الشريعة المحمدية نسبة عيسى الى الشريعة الموسوية في الاتباع
وعدم النسخ الى كلام من امثال هذا يعنون فيه الوقت والرجل والمكان بادلة واهمية وتحكمات مختلفة
فتمضي الزمان ولا اثر لشي من ذلك فيرجعون الى تجديدي رأى آخر منتمحل كثر اراه من مفهومات لغوية
وأشياء تخيلية وأحكام نجومية في هذا انقضت اعمار الاول منهم والاخر وأما المتصوفة الذين عاصروا
فأكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجد لا يحكم الملة ومراسم الحق ويتخيمون ظهوره لما قرب من عصرنا
فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه سمعنا من جماعة كبرهم أبو يعقوب البادسي
كبير الاولياء بالمغرب كان في أول هذه المائة الثامنة وأخبرني عنه حافده صاحبنا ابو يحيى ذكر ياعن أبيه
أبي محمد عبد الله عن أبيه الولي ابي يعقوب المذكور هذا آخر ما طالعنا عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء
المتصوفة وما ورد اهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا والحق الذي ينبغي ان
يتقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين والملك الابوجود وشوكة عصية تظهره وتدفع عنه من يدفعه حتى يتم
امر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي ارباك هناك وعصية الفاطميين بل وقر يش
اجمع قد تلاشت من جميع الافاق ووجد ام آخر وقد استعلت عصيتهم على عصية قريش الاما بقي
بالخاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد
وغالبون عليها وهم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وامارتهم وآرائهم يبلغون آلاف من السكينة فان
صبح ظهر هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا بأن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى
تتم له شوكة وعصية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها واماعلى غير هذا الوجه مثل ان يدع فاطمي

(١) قوله الضاد عند المغاربة بتسعين والصاد بستين قاله نصر اه

افرع فلما فرغ قال خذ
القمعة واخرج فلما اخرج
وعلم انه بعد صاح وقال
دخل انسان واخذ القمعة
فشوا خلفه فلم يدركوه
وانما فعل ذلك لانهم كانوا
يلومونه على البذل (وفي
معناه قال الشاعر)
ملاّت يدى من الدنيا امرارا
فما طمع العواذل في
اقتصادى

ولا وجهت على زكاة مال
وهل تجب الزكاة على جواد
(وكان) ابو مرثد احد
الكرام فذبحه بعض الشعراء
فقال ما عندى ما اعطيك
ولكن قدمنى الى القاضي
وادع على عشرة آلاف
درهم حتى اقر لك بها ثم
احبسنى فان اهلى لا
يتركونى مسجوناً ففعل
ذلك فلم يمسوا حتى دفع اليه
عشرة آلاف درهم (وقال)
زياد بن جرير رايته طلحة
ابن عبيد الله فرق مائة
الف في مجلس وانه ليخبط
ازاره بيده (ولما) دخل
المنكدر على عائشة رضی الله
عنها قال لها يا ام المؤمنين
أصابني فاقة فقالت ما عندى
شيء فلو كانت عندي
عشرة آلاف لبعثت بها
اليك فلما اخرج من عندها
جاءتها عشرة آلاف من

عند خالد بن اسيد فارسلت بها في اثره فاشترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا
عباد المدينة محمد وابوبكر وعمر بنو المنكدر (وقال) يحيى بن معين كان جرير بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للعلام

أذهب إلى الجوارى فقل لمن من أراد منهن أن تصبغ ثيابها فلتبغث بها فجاء الغلام بشباب كثيرة فقال للسائل خذها (و قال الأصمعي)
كانت حوت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتتفاقم الأمر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح (١٩٥) فاجتمعوا في المسجد الجامع قال

منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الأفق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة وأما ما تدعيه العامة والأغمار من الدهماء ممن لا يرجع في ذلك إلى عقل يهديه ولا علم يقوده فيجيبون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقلد لما اشتهر من ظهور فاطمي ولا يعلمون حقيقة الأمر كما بيناه وأكثر ما يجيبون في ذلك القاصية من الممالك وأطراف العمران مثل الزاب بقرية بقة والسوس من المغرب وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا لماسة لما كان ذلك الرباط بالمغرب من الممتن من كدالة واعتقاده من أنه منهم واقعون بدعوة زعمهم لا مستند لهم الاغربة تلك الأمم وبعدهم على يقين المعرفة بأحوالهم من كثرة أوقلة أو ضعف أوقوة ولبعد القاصية عن منال الدولة وخروجهان نطاقها فتقوى عندهم الأوهام في ظهوره هناك بخروجه عن ربة الدولة ومثال الأحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك إلا هذا وقد قصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبس بدعوة يمه تمامها وسواسا وحقا وقتل كثير منهم أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الأبي قال خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوايزري نسبة إلى توزير مصغر وأدعى أنه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من أهل السوس من ضالة وكز رلة وعظم أمره وخافه رؤساء المصامدة على أمرهم فدرس عليه السكسوى من قتله بيانا وانحل أمره وكذلك ظهر في غماره في آخر المائة السابعة وعشر التسعين من أرباب يعرف بالعباس وأدعى أنه الفاطمي واتبعه الدهماء من غماره ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسواقها وأدخل إلى بلاد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره وكثير من هذا النمط وأخبرني شيخنا المذكور بغير بية في مثل هذا وهو أنه صاحب في حجة في رباط العباد وهو مدفون الشيخ أبي مدين في جبل تلمسان المطل عليها راجلا من أهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعا عظما كثيرا التمدد والخادم قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في أكثر البلدان قال وتأت كدت الصبغة بيننا في ذلك الطريق فأنكشف لي أمرهم وانهم انما جاؤا من موطنهم بكر بلاء لطلب هذا الأمر وانتحال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ من أزل تلمسان قال لأصحابه أرجعوا فقد أزرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا ويدل هذا القول من هذا الرجل على أنه مستبصر في أن الأمر لا يتم إلا بالعصبية المكافئة لأهل الوقت فلما علم أنه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها أحدهم من أهل المغرب استسكان ورجع إلى المحق وأقصر عن مطامعه وبقي عليه أن يستيقن أن عصبية القواطم وقريش أجمع قد ذهبت لاسمها في المغرب إلا أن التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وانتم لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القرية نزعة من الدعاء إلى الحق والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تابعه وأكثر ما يعنون بالصلاح السالبة لما أن أكثر فساد الأعراب فيها لما قدمناه من طبيعة معاشهم فيأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا إلا أن الصبغة الدينية فيهم لم تستحسبكم لما أن توبة العرب ورجوعهم إلى الدين انما يقصدون بها الأقصا عن الغارة والنهب لا يعقلون في قوتهم واقبالهم إلى مناحي الديانة غير ذلك لانهم المعصية التي كانوا عليها قبل المقر به ومنها توبتهم فتجد ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمقين في فروغ الاقتداء والاتباع انما دنيهم الاعراض عن النهب والبغي وفساد السالبة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى جهدهم وشئان بين هذا الأجر من اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا فانفاقها مما تمتنع لا تستحسبكم له صبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن

فبعثت وانا غلام إلى ضراد ابن القهقاع بن حازم فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا هو عليه شملة يجتبط نوى اعزله خلوب فخيرته بمجتمع القوم فأهل حتى اكلت العز ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدينا فأنت بريئة وتمر قال فدعاني فقد رتبته أن أكل معه حتى اذا قضى من أكله حاجته وثب إلى طين ملقي في الدار فغسل به يده ثم صاح بالجارية فقال اسقني ماء فأنته بقاء فشر به ومسيح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء القرات بغير البصرة بزيت الشام متى تؤدى شكر هذه النعم ثم قال علي بردائي فانت براءه عدني فارتدي به على تلك الشملة قال الأصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى إلى القوم فلم يبق حبة الا هلت اعظاما له ثم جلس فتحمل ما كان بين الاخياء من الديات في ماله وانصرف (وكان) البهلول بن راشد الفقيه لما سجن يعطى كل يوم السجنان دينارا فاستكثره اصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم

حفص بن غمار سمعت سفيان الثوري يقول اذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يديه فخر به لول على يديه وقبلها وجعل يقول سألتك بالله انت سمعته يقول هذا الخلف بالله لقد سمعته يقوله (وقال الشاعر) ذريني اكن لئال رب لا يكون لي المال ربنا محمدى غبه غدا

اربي جواد مات هزل العاني * اري مات ربي او تجيلا مخلدا (وكان) عبد الله بن ابي بكر يفتي على اربعة ايام من جيرانه عن يمينه
واربعين عن يساره واربعين امامه (١٩٦) واربعين خلفه ويعت اليهم بالااضي والكسوة في الاعباد ويعت في كل عباد مائة

الباطل على الجملة ولا يكثر ولا يختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون
تابعه فاذا هلك النخل امرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافرقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم
ابن مرة بن اجد في المائة السابعة ثم من بعده لرجل آخر من بادية رياح من بطن منهم يعرفون بمس لم وكان
يسمى سعادة وكان أشد ديناً من الاول وأقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب أمر تابعه كما ذكرناه حسبما
يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يشبهون بمثل ذلك
ويلبسون فيها ويتخلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا ان بعدهم شيء من أمرهم انتهى
* ٥٤ (فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن معنى الجفر) *

اعلم ان من خواص النفوس البشرية المشوق الى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير
وشر سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول وتفاوتها والتطلع الى هذا طبيعة
البشر يحبون علمها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوقون الى الوقوف على ذلك في المنام والاختار من
الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة ولقد نجد في المدن صنفان من الناس ينتحلون
المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم
عنه فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبياؤها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب أمرهم
في الكسب والجاه والمعاش والمعايشة والعداوة وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم وطرق
بالخصي والجوب ويسمونه الحاسب ونظر في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المنجل وهو من المنكرات
الفاشية في الامصار لما تقر في الشرية من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب الا من أطلعه الله
عليه من عنده في نوم أو ولاية أو أكثر ما يعتني بذلك ويتطلع اليه الامراء والملوك في آما ددولتهم ولذلك
انضرفت العناية من أهل العلم اليه وكل أمة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك
من ملك برقمونه أو دولة يحشدون أنفسهم بها وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد
الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل ذلك المحذنان وكان في العرب الكهان والعرافون يرجعون
اليهم في ذلك وقد أخبرنا بما سبكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشق وسطج في تأويل رؤيا ربيعة بن
نصر من ملوك اليمن أخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة للعرب من بعد
ذلك وكذا تأويل سطج لرؤيا الموبدان حين بعث اليه كسرى بهامع عبد المسيح وأخبرهم بظهور دولة
العرب وكذا كان في جيل البربر كهان من أشهرهم موسى بن صالح من بني يقرن ويقال من غمرة وله كلمات
حدثانية على طريقة الشعراء برطانتهم وفيما حدثان كثير ومعه في ما يكون لزناته من الملك والدولة
بالمغرب وهي متداولة بين أهل الجبل وهم يزعمون تاراة له ولي وتارة انه كاهن وقد يزعم بعض فراعهم
انه كان نبيا لان تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله أعلم وقد يستند الجبل الى خبر الانبياء ان كان
لهم ذلك كما وقع لبني اسرائيل فان انبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثل ما عندهم عنهم في السؤال
عنه * وأما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما
يرجع الى الدولة وأعمالها على الخصوص وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثارا منقولة عن
الصحابه وخصوصا مسلمة بن اسرائيل مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وأمثالهم ما ورد ما اقتبسوا
بعض ذلك من طواهر ما أثروا وتأويلات محتملة ووقع لجمعهم وأمثالهم من أهل البيت كثير من ذلك
مستندهم فيه والله أعلم الكشف عما كانوا عليه من الولاية واذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من

ملوك واشترى بوجاهة
بعشرة آلاف قطب دابة
يحملها عليها فقال رجل
هذه دابتي فقال اجلوها
على دابته الى داره (وقال
عبد الله بن زهير)
وعاذلة تحشي الردى ان

يصيني
تروح وتغدو بالامة
والقسم
تقول هلكا ان هلك
وانما
على الله اوراق العباد كما زعم
واني احب الخلد لو استطع
وكالخلد عندي ان اموت
ولم ألم

(وروى) ان اعرابيا قدم
على علي بن ابي طالب رضي
الله عنه فقال يا امير المؤمنين
لي اليك حاجة الحبايم يعني
ان اذكرها قال فخطها في
الارض فخط في الارض
انني فقير فقال لعلامه يا قنبر
ا كسه حلتى فكساه الحلة
فقال

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف اكسوك من
حسن الثنا حللا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداء السهل
والجبال
ان ثناء حسن ثناء نلت
مكرمة
لا تبغين بما قد نلته بدلا

لاترهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزي بالذي فعلا قال علي زده مائة دينار
فأعطاه اياها فلما ولي الاعرابي قال قنبر يا امير المؤمنين لو فرقتني الى المسلمين لاصليت بهام من شأنهم فقال له يا قنبر فاني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم لم يقول أشكر وال من أثنى عليك واذ أنتم كرم قوم فأكرموه (وقال) مظرف بن الشيخ إذا أراد أحدكم منى حاجة فليرفعها في رقعة فاني أكره أن أرى في وجهه ذل الحاجة (قرئ) على القاضي أبي الوليد وأنا أسمع (١٩٧) وأمره بالبخل قلت لها أقصرى به

فليس اليه ما حيت سبيل
أرى الناس خلان الكرام
ولا أرى

بخيلاله في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري
بأمله

فأكرمت نفسي أن يقال
بخيل
ومن خير حالات الفنى
لوعلمته

إذا نال خير ان يكون ينيل
(ولعروة بن الورد)
واني امرؤ عافى انانى شركة
وانت امرؤ عافى انائك
واحد

أضحكت منى أن سمعت
وان ترى
بحسبى شحوب الحق
والحق جاهد

اقسم جسمي في جسوم
كثيرة
واحسوق زاح الماء والماء
بارد

(وقال) بعض الحكماء
أصل المحاسن كلها الكرم
وأصل الكرم نزاهة النفس
عن المحرم وسخاؤها بما

ملكته على الخاص والعام
وجميع خصال الخير من
فروعه (وروى) انه كان
عند البهلول بن راشد

طعام فعلا السعير فامر به
فبيع له ثم أمر ان يشتري
له ربيع القفيز فقبل له

الاولياء في ذوبهم واعقابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس به - ذه الرتب
الشريفة - والكرامات الموهوبة وامابع - د - در الملة وحين عانى الناس على الع - لوم والاص - طلاحات
وترجت كتب الحكماء الى اللسان العربي فأكثر معتمدتهم في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول وسائر
الامور العامة من القرائن وفي الموالي - د - والمساائل وسائر الامور الخاصة من الطوارىء وما وهى شكل
الذلل عند حدودها فلنذكر الان ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع لكلام المنجمين * أما اهل الاثر
فلهم في مدة الملة وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب الس - هيلي فانه نقل عن الطبري ما يقتضى أن مدة بقاء
الدنيا منذ الملة خمسة مائة سنة ونقص ذلك بظهور كذبه ومستند الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس ان
الدنيا جمعة من جمع الاخرة ولم يذكر ذلك دليل الاوسره والله اعلم تقدير الدنيا بآيام خلق السموات والارض
وهي سبعة ثم اليوم بالف سنة لقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس
وقال بعثت انا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر وغروب الشمس حين
صير وقت كل شئ مثله يكون على التقريب نصف سبع وكذلك وصل الوس - طى على الس - بابة فتكون
هذه المدة نصف سبع المدة كلها وخمسة مائة سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان يعجز الله أن يؤخر
هذه الامة نصف يوم فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف وخمسة مائة سنة وعن وهب بن منبه
انها خمسة آلاف وستة مائة سنة اعنى الماضي وعن كعب أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة قال السهيلي
وليس في الحديثين ما يشهد لشيئ مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فأما قوله ان يعجز الله ان يؤخر هذه
الامة نصف يوم فلا يقتضى في الزيادة على النصف وأما قوله بعثت انا والساعة كهاتين فالتساوية الاشارة
الى القرب وانه ليس بينه وبين الساعة نبي غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع الس - هيلي الى تعيين أمد الملة
من مدرك آخر لو ساعدته التحقيق وهو انه جمع الحروف المقطعة في اوائل السور بعد حذف المكرر قال
وهي أربعة عشر حرفا جميعها قولك (الم يسطع نصق حق كره) فأخذ عدد الحروف فحساب الجمل فكان سبع مائة
وثلاثة (١) اضافته الى المنقضى من الالف الاخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يبعد ذلك ان
يكون من مقتضىات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يبعد لا يقتضى ظهوره ولا التعويل عليه
والذي جل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب الس - هيلي لابن اسحق في حديث ابني أخطب من أخبار
اليهود وهما ابو ياسر وأخوه حي حين سمعا من الاخرى المقطعة الم - و - ت - و - لا على بيان المدة به - ذا الحساب
فبلغت احدى وسبعين فاستقلا المدة وجاء حي الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله هل مع هذا غيره فقال
المص ثم استزاد المر - فكانت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة وقال قد ليس علينا أمر
يا محمد حتى لا ندرى اقلها اعطيت أم كثيرا ثم ذهبوا عنه وقال لهم ابو ياسر ما يدريكم له - له أعطى عددها
كها - تس - مائة وأربع - سنين قال ابن اسحق فنزل قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب وآخر
مُشابهات اه - ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك
الاعداد ليست بطبيعة ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاص - طلاح الذي يسمونه حساب الجمل - نعم انه
قديم مشهور و قد اصابه لا يصير حجة وليس ابو ياسر وأخوه حي ممن يؤخذ رأيهم في ذلك ذل الاول من

(١) قوله هذا العدد غير مطابق كما ان المترجم التركى لم يطابق في قوله ٩٣٠ وانما المطابق للحروف
المذكورة ٦٩٣ وهو الموافق لما سيذكره عن يعقوب الكندي قاله نصر اه

تبيع وتشتري فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن كما حزنوا (ولم حاتم طي فقال)
فأبست أن لا أمنع الدهر جائعا فقولوا لهذا اللائم الآن أعفى * فان أنت لم تسطع فعض الاصابع فهل ماترون الآن الا طبيعة

* فكيف يتركى يا ابن ام الطبايعا * (وقال آخر) * اصون غرضي بما الى لادنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال
احتمال للمال ان اودى فأجعه * (١٩٨) ولست للعرض ان اودى بمخال (ويروى) ان رجلا سأل الحسن بن علي رضي الله عنه

شيئا فاعطاه خمسين الف درهم وخمسة مائة دينار وقال انت بحمال يحمله لك فاتاه بحمال فاعطاه طيبا سانه وقال يكون كراه المجال من قبلي (ويروى) ان اللبث بن سعد سألته امرأة سكرجة عسل فامر لها بنزق عسل فقيل له في ذلك فقال انها سألته على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمتنا (ويروى) ان رجلا استضاف لعبد الله بن عامر بن كرز فلما اراد الرجل ان يرتحل لم يعنه غلماناه فسئل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون من ارتحل عنا (وفي معناه يقول المتنبي)

اذ ارتحلتم عن قوم وقد قدروا

ان لا تقادروهم قالوا رحلونهم (الباب الحادي والثلاثون في بيان الشخ والبخل وما يتعلق بهما) *

الشخ في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني اعوذ بك من شخ نفسي واسرأفها ووسواسها (ويروى) جابر ان النبي عليه السلام قال اتقوا الشخ فان الشخ املاك

علماء اليهود لانهم كانوا ياديه بالخجاز فغلا عن الصنائع والعلوم حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم ومثلهم وانما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تلقفه العوام في كل ملة فلا ينهض للسهيل دليل على ما ادعاه من ذلك ووقع في الملة في حدثان دولتها على الخصوص مسند من الاثر اجالي في حديث خرجه ابو داود عن حذيفة ابن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن ابي مريم عن عبد الله بن فروخ عن أسامة ابن زيد اللبثي عن ابي قبيصة بن ذؤيب عن ابيه قال قال حذيفة بن اليمان والله ما درى انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فذة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سمعنا لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وسكت عليه ابو داود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه فهو صالح وهذا الحديث اذا كان صحيحا فهو مجمل ويقتضي في بيان اجاله وتعيين مهماته الى آثار اخرى يجوز اداسانها وقد وقع اسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة ايضا قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فاكثر شيئا يكون في مقامه ذاك الى قيام الساعة الا حدث عنه حفظه من حفظه ونسبه من نسبه قد علمه اصحابه هؤلاء هم ولفظ البخاري ما ترك شيئا الى قيام الساعة الا ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة الا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسبه من نسبه اه وهذه الاحاديث كلها محمولة على ما ثبت في الصحيحين من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود من الشارع صلوات الله وسلامه عليه في أمثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي تغرد بها ابو داود في هذا الطريق شاذة منكثرة مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله فقال ابن أبي مريم في ابن فروخ أحاديثه منا كبر وقال البخاري يعرف منه وينكر وقال ابن عدي أحاديثه غير محفوظة واسامة بن زيد وان خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فلما خرج له البخاري استشهدا بوضعه يحيى بن سعيد واجد بن حنبل وقال ابن حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وأبو قبيصة بن ذؤيب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابي داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها كما مر وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص الى كتاب المجفرويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الاسرار والنجوم لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون اصل ذلك ولا مستنده واعلم ان كتاب المجفركان أصله أن هرون بن سعيد العجلي وهو رأس الزيدية كان له كتاب يروي عن جعفر الصادق وفيه علم ما يقع لاهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لمجفرو ونظائره من رجالهم على طريق السكراة والكشف الذي يقع لمشاهيرهم الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون العجلي وكتبه وسماه المجفري باسم الجلد الذي كتب منه لان المجفري في اللغة هو الص غير وصار هذا الاسم علماء على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم تنصل روايته ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصح هاديا لبل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه او من رجال قومه فهم أهل الكرامات وقد صرح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصيح كما يقول وقد حذر يحيى ابن عمه زيد من مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجزر جان كما هو معروف واذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فاطنك بهم علماء ودينا وآثارا من النبوة وعناية من الله بالاصل الكريم تشهد لقروعه الطيبة وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى أحد وفي أخبار دولة العبيديين كثير منه وانظر ما حكاه ابن الرقيق في لقاء أبي

عبد

من كان قبلكم جعلهم على ان سفكوا الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهم مفرقون

فقالوا الشخ اشد من البخل فان البخل أ كثر ما يقال في النفقة وامسا كها قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى ومن

يُخَلَّ فَاَتَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ وَقَالَ تَعَالَى فِي الشَّجْحَةِ عَلَى الْخَيْرِ اَوْلَئِكَ لَمْ يَثْمُونُوا وَقَالَ تَعَالَى وَمَنْ يَوْقِ شَيْخَ نَفْسِهِ فَاَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَالشَّجْحُ
يَعْنِي عَلَى الْكَرَازَةِ وَالْامْتِنَاعُ فَهُوَ يَكُونُ فِي الْمَالِ وَفِي جَمِيعِ مَنَافِعِ الْبَدَنِ (وَقَالَ) ابْنُ عَمْرٍ (١٩٩) لَيْسَ الشَّجْحُ اَنْ يَمْنَعَ الرَّجُلَ مَالَهُ

وَاتَمَّ الشَّجْحُ اَنْ يَطْمَعَ فِيمَا
لَيْسَ لَهُ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ
سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فِي اَيْدِي
النَّاسِ اَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ
النَّفْسِ بِالْبَذْلِ (وَقَالَ)
رَجُلٌ لَابْنِ مَسْعُودٍ اِنْ خَافَ
اَنْ اَكُونَ قَدْ دَهَلْتُكَ
سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ
وَمَنْ يَوْقِ شَيْخَ نَفْسِهِ فَاَوْلَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَاَنَا رَجُلٌ
شَحِيحٌ لَا يَكْدَانُ يَخْرُجُ
مِنْ يَدِي شَيْءٌ فَقَالَ لَهُ ابْنُ
مَسْعُودٍ هَذَا لَيْسَ بِالشَّجْحِ
الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَانْهَ
اَنْ تَأْكُلَ مَالَ اخِيكَ ظُلْمًا
وَلَكِنْ ذَلِكَ الْبَخْلُ وَبُشْسُ
الشَّيْءِ الْبَخْلُ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا
كَتَابَتِي (وَقَالَ) ابْنُ عَبَّاسٍ
الشَّجْحُ اَنْ يَبْتَغِيَ هَوَاهُ فَلَمْ
يَقْبَلِ الْاِيْمَانَ وَقَالَ طَاوُسُ
الشَّجْحُ اَنْ يَبْتَغِيَ الْمَرْءُ بِمَا
فِي اَيْدِي النَّاسِ وَالْبَخْلُ
اَنْ يَبْتَغِيَ بِمَا فِي يَدَيْهِ
(وَرَوَى) اَنَسُ اَنْ النَّبِيَّ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ
بَرِيءٌ مِنَ الشَّجْحِ مَنْ اَدَّى
الزَّكَاةَ وَقَرَى الضَّيْفَ
وَاعْطَى فِي النَّائِبَةِ (وَقَالَ)
ابْنُ زَيْدٍ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِشَيْءٍ
نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَدْعِهِ الشَّجْحُ
اِلَى اَنْ يَمْنَعَ شَيْءًا اَمَرَ اللَّهُ بِهِ
فَقَدْ وَقَاهُ شَيْخَ نَفْسِهِ (وَقَالَ)
ابُو الْتَيْحَانَ الْاَسَدِيُّ رَأَيْتُ
رَجُلًا فِي الطَّوَافِ يَقُولُ

عَبْدُ اللَّهِ الشَّيْخِيُّ لَعَبِيدُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ مَعَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ وَمَا حَدَّثَنَا بِهِ وَكَيْفَ بَعَثَاهُ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ دَاعِيَهُمْ
بِالْبَيْتِ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبِثَّ الدَّعْوَةَ فِيهِ عَلَى عِلْمِ لِقَائِهِ اَنْ دَعَوْتَهُ تَمَّ هُنَاكَ اِنْ عَمِدَ اللَّهُ لِمَا بَنَى
الْمَهْدِيَّةَ بَعْدَ اسْتِفْحَالِ دَوْلَتِهِمْ بِأَفْرِيقَةِ قَالَ بَنِيهَا لِيَعْتَصِمَ بِهَا الْفَوَاطِمُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَرَاهُمْ مَوْقِفَ
صَاحِبِ الْحِجَارِ ابْنِ زَيْدٍ بِالْمَهْدِيَّةِ وَكَانَ يُسَالُّ عَنْ مَتْنِ مَوْقِفِهِ حَتَّى جَاءَهُ الْحَبِيرُ بِبَلَوْنِهِ إِلَى الْمَكَانِ
الَّذِي عَيْنُهُ جَدَّدَهُ عَلَيْهِ دَلَّ اللَّهُ فَأَيَّقَنَ بِالظُّفْرِ وَبَرَزَ مِنَ الْبَلَدِ فَهَزَمَهُ وَاتَّبَعَهُ إِلَى نَاحِيَةِ الزَّابِ فَظَفَّرَ بِهِ وَقَتْلَهُ
وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارُ عَنْهُمْ كَثِيرَةٌ وَأَمَّا الْمَنْجَمُونَ فَيَسْتَنْدُونَ فِي حَدَثَانِ الدَّوَلِ إِلَى الْأَحْكَامِ النَّجْمِيَّةِ
أَمَّا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِثْلُ الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ فِي الْقِرَانَاتِ وَخُصُوصًا بَيْنَ الْعُلَوِيِّينَ وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلَوِيِّينَ زَحَلُ
وَالْمَشْتَرِي يَقْتَرِنَانِ فِي كُلِّ عَشْرِينَ سَنَةً مَرَّةً ثُمَّ يَعُودُ الْقِرَانُ إِلَى بَرَجٍ آخَرَ فِي تِلْكَ الْمَثَلَّةِ مِنَ التَّمَثِيلِ الْاِيْمَانِ ثُمَّ
يَعُدُّ إِلَى آخِرِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي الْمَثَلَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَلَاثِينَ مَرَّةً تَسْتَوِي بِرُوحِهِ الثَّلَاثَةُ فِي سِتِّينَ سَنَةً
ثُمَّ يَعُودُ فَيَسْتَوِي بِهَا فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ ثَلَاثَةً ثُمَّ رَابِعَةً فَيَسْتَوِي فِي الْمَثَلَّةِ بِثَنِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَأَرْبَعِ
عُودَاتٍ فِي مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَيَكُونُ اِنْتِقَالُهُ فِي كُلِّ بَرَجٍ عَلَى التَّمَثِيلِ الْاِيْمَانِ وَيَتَقَلُّ مِنَ الْمَثَلَّةِ إِلَى
الْمَثَلَّةِ الَّتِي تَلِيهَا أَعْنَى الْبَرَجِ الَّذِي يَلِي الْبَرَجَ الْآخِرَ مِنَ الْقِرَانِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنَ الْمَثَلَّةِ وَهَذَا الْقِرَانُ الَّذِي هُوَ
قِرَانُ الْعُلَوِيِّينَ يَتَقَسَّمُ إِلَى كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَوَسْطٍ فَالْكَبِيرُ هُوَ اجْتِمَاعُ الْعُلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَلَكَ
إِلَى اَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا بَعْدَ ثَمَانِ مِائَتَيْنِ سَنَةً مَرَّةً وَاحِدَةً وَالْوَسْطُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعُلَوِيِّينَ فِي كُلِّ مَثَلَّةٍ ثَلَاثِينَ
عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَقَلُّ إِلَى مَثَلَّةٍ أُخْرَى وَالصَّغِيرُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعُلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةٍ بَرَجٍ
وَبَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً يَقْتَرِنَانِ فِي بَرَجٍ آخَرَ عَلَى تَمَثِيلِهِ الْاِيْمَانِ فِي مِثْلِ دَرَجَتِهِ وَدَقَائِقُهُ مِثَالُ ذَلِكَ وَقَعَ الْقِرَانُ أَوَّلَ
دَقِيقَةٍ مِنَ الْحِجْلِ وَبَعْدَ عَشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ الْقَوْسِ وَبَعْدَ عَشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ
الْاَسَدِ وَهَذِهِ كُلُّهَا نَارِيَّةٌ وَهَذَا كَالْقِرَانِ صَغِيرٍ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَوَّلِ الْحِجْلِ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً وَيَسْمَى دَوْرُ الْقِرَانِ وَعُودُ
الْقِرَانِ وَبَعْدَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ يَتَقَلُّ مِنَ النَّارِيَّةِ إِلَى التَّرَابِيَّةِ لِأَنَّهَُا بَعْدَ هَذَا اقْتِرَانُ وَسْطٍ ثُمَّ يَتَقَلُّ إِلَى
الْهَوَائِيَّةِ ثُمَّ الْمِائِيَّةِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ الْحِجْلِ فِي ثَمَانِ مِائَتَيْنِ سَنَةً وَهِيَ الْكَبِيرُ وَالْقِرَانُ الْكَبِيرُ يَدُلُّ عَلَى
عِظَامِ الْأُمُورِ مِثْلَ تَغْيِيرِ الْمَلِكِ وَالِدَوْلَةِ وَانْتِقَالِ الْمَلِكِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْوَسْطُ عَلَى ظُهُورِ الْمُتَغَلِّبِينَ وَالطَّالِبِينَ
لِلْمَلِكِ وَالصَّغِيرُ عَلَى ظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَالدَّعَاةِ وَخَرَابِ الْمَدَنِ أَوْ عَمْرَانِهَا وَيَقَعُ أَثْنَاءَ هَذِهِ الْقِرَانَاتِ قِرَانُ التَّحْسِينِ
فِي بَرَجِ السَّرَطَانِ فِي كُلِّ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَرَّةً وَيَسْمَى الرَّابِعُ وَبَرَجُ السَّرَطَانِ هُوَ طَالِعُ الْعَالَمِ فِيهِ وَبِالزَّحَلِ
وَهُوَ طَالِعُ الْمَرْجِ فَتَعَظُمُ دَلَالَةُ هَذَا الْقِرَانِ فِي الْفَتَنِ وَالْحُرُوبِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَحَرَكَةِ
الْعَسَاكِرِ وَصِيَانِ الْجُنُودِ وَالْوَبَاءِ وَالْقَحْطِ وَيَدُومُ ذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي عَلَى قَدَرِ السَّعَادَةِ وَالنَّكَسَةِ فِي وَقْتٍ
قَرَأْنَهُمَا عَلَى قَدَرِ تَبْسِيرِ الدَّلِيلِ فِيهِ قَالَ جِرَاسُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَاسِبِ فِي السِّكَاكِ الَّذِي أَلْفَهُ لِنِظَامِ الْمَلِكِ وَرُجُوعِ
الْمَرْجِ إِلَى الْعَرْقِ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي الْمَلَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ دَلِيلًا عَلَى مَوْلِدِ النَّبِيِّ كَانَ عِنْدَ قِرَانِ الْعُلَوِيِّينَ
بِبرَجِ الْعَرْقِ فَلَمَّا رَجَعَ هُنَاكَ حَدَثَ التَّشْوِيشُ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَكَثُرَ الْمَرَضُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَنَقَصَتْ
أَحْوَالُهُمْ وَرَبَّاهُمْ بِمَا نَهَى بَعْضُ بَيُوتِ الْعِبَادَةِ وَقَدْ يُقَالُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ وَمُرُوءَانٍ مِنْ
بَنِي أُمَيَّةٍ وَالْتَوَكَّلُ مِنْ بَنِي عَبَّاسٍ فَذَا رُوعِيَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ مَعَ أَحْكَامِ الْقِرَانَاتِ كَانَتْ فِي غَايَةِ
الْأَحْكَامِ * وَذَكَرَ شَاذَانَ الْبَلْخَنِي أَنَّ الْمَلَّةَ تَنْتَهِي إِلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ وَعَشْرِينَ وَقَدْ ظَهَرَ كَذِبُ هَذَا الْقَوْلِ
وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ يَظْهَرُ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْهَا خَمْسَةُ أَلْفٍ كَثِيرٌ وَلَمْ يَصِحْ ذَلِكَ وَقَالَ جِرَاسُ رَأَيْتُ فِي
كُتُبِ الْقَدَمَاءِ أَنَّ الْمَنْجَمِينَ أَخْبَرُوا كَسْرِي عَنْ ذَلِكَ الْعَرَبِ وَظُهُورِ النَّبُوَّةِ قِيمَهُمْ وَأَنَّ دَلِيلَهُمُ الزُّهْرَةُ

اللَّهُمَّ قَتْلِ شَيْخٍ نَفْسِي لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِذَا وَقِيتُ شَيْخَ نَفْسِي لَمْ أُسْرِقْ وَلَمْ أَزْنِ وَلَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَإِذَا
الرَّجُلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ (وَأَعْلَمُ) أَنَّ الْبَخْلَ يَكُونُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنْ لَا يَخْلَفُ وَلَا يَشِبُّ وَهَذَا يَوْهَنُ التَّصَدِيقَ بِمَا تَكْفُلُ اللَّهُ بِهِ

و يطرق الخلال والامتناع الى جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين الخلق في ترك معاوتهم والنصح لهم (وقال) كسرى
لا يصحبه أى شئ أضر بابن آدم (٢٠٠) قالوا الفقير فقال كسرى الشيخ أضر من الفقر لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع ابدا ولما

وكانت في شرفها فبقى الملك فيهم أربعين سنة وقال ابو معشر في كتاب القرانات القسمة اذا انتهت
الى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك ببرج العقرب وهو دليل
العرب ظهرت حينئذ ذودولة العرب وكان منهم من نبى ويكون قوة ملكه ومدته على ما بقى من درجات
شرف الزهرة وهى احدى عشرة درجة بتقريب من برج الحوت ومدة ذلك ستمائة وعشرين سنين
وكان ظهروا الى مسلم عند انتقال الزهرة ووقع القسمة اول الحمل وصاحب الحمد المشترى وقال يعقوب
ابن اسحق الكندي ان مدة الملة تنتهى الى ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند قران
الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي احدى عشرة درجة وثمان عشرة دقيقة
ودقائقها ستون فيكون ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال وهذه مدة الملة باتفاق الحكماء ويعضده الحروف
الواقعة في اول السور بحذف المكرر واعتباره بحساب الحمل قلت وهذا هو الذى ذكره السهيلي والغالب
ان الاول هو مستند السهيلي فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هر خرافير يد الحكيم عن مدة أردش يرو ولده
وملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى أطول السنين واجوده ابر بمائة
وسمعا وعشرين سنة ثم تزد الزهرة وتكون في شرفها وهى دليل العرب فعلم كون لان طالع القران
الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في شرفها فدل انهم يملكون الف سنة وستين سنة وسأل كسرى
أنوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج الملك من فارس الى العرب فاخبره ان القائم منهم يولد لخمس
واربعين من دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري يغوص الى الزهرة وينقل القران من الهوائية الى
العقرب وهو ماثى وهو دليل العرب فهذه الادلة تقضى للمدة دور الزهرة وهى الف وستون سنة وسأل
كسرى ابرويزا لبوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر وقال نوفيل الرومى المنجم في ايام نبى امية
ان ملة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسعمائة وستين سنة فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في
ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها في قران الملة فحينئذ ما ان يقرأ العمل به او يتجسس دمن
الاحكام ما يوجب خلاف الظن قال جراس واتفقوا على ان خراب العالم يكون باسئداء الماء والنار حتى
تهلك سائر المكنونات وذلك عند ما يقطع قلب الاسد اربعاء وعشرين درجة التى هى حد المريج وذلك بعد
مضى تسعمائة وستين سنة وذلك جراس ان ملكا زابستان بعث الى المأمون بحكيمه وذوبان التحفة به في
هدية وانه تصرف للمأمون في الاختبارات بحروب اخيه وبعقد اللوا لظاهر وان المأمون اعظم حكمته
فسأله عن مدة ملكهم فاحب به بانقطاع الملك من عقبه واتصاله في ولد اخيه وان العجم يتغلبون على
الخلافة من الديلم في دولة سنة خمسين ويكون ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر الترك من شمال المشرق
فيملكونه الى الشام والفرات وسيحسون وسيملكون بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال له المأمون من
اين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن ادهر الهندى الذى وضع الشطر فخرجت والترك
الذين اشار الى ظهورهم بعد الديلم هم السجوقية وقد انقضت دولتهم اول القرن السابع قال جراس
وانتقال القران الى المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ليزدجرد وبعدها
الى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذى في الحوت هو اول الانتقال والذى في
العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال ونحويل السنة الاولى من القران الاول في المثلثات المائية في ثمانى
رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة ولم يستوف الكلام على ذلك * وأمام سنة د المنجمين في دولة على
الخصوص فن القران الاوسط وهيئة الفلك عند وقوعه لان له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتها

قدم الشافعى من صنعاء
الى مكة كان معه عشرة
آلاف دينار فقالوا له
تشتري بها ضعة فضر ب
خيمته خارج مكة وصب
الدنانير فكل من دخل
عليه كان يعطيه قبضة
قبضة فلما جاء وقت الظهر
قام ونفض الثوب ولم يبق
شئ (ولما) قربت وفاته
قال مروا فلانا يغسلنى
وكان الرجل غائبا فلما
قدم اخبر بذلك فدعا
بذ كرتة فوجد عليه سبعين
ألف درهم دينافقضاها
وقال هذا غسلى اياه
(وروى) ان رجلا اراد
ان يؤذى عبدا لله بن عباس
فاتى وجوه البلد وقال يقول
لكم ابن عباس تغدوا اليوم
عندى فاتوه فخلوا الدار
فقال ما هذا فاخبر الخبر
فامر ان تشتري القواكه
في الوقت وأمر بالخبز
والطبخ فاصبح القرى
فلما فرغ قال لو كلاته
اموجود لانهذا كل يوم
قالوا نعم قال فليبعده هؤلاء
كلهم كل يوم عندها
* (ومن الخصال الحاربية
مجرى الكمال والجمال
ولعلمها من الاصول
الصبر) *

* (الباب الثانى والثلاثون

في الصبر) * الصبر زمام سائر الخصال وزعيم النعم والظفر وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة قال الله تعالى

وقمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فعظم وظائف الدين ذكر الله

الذي يقولون فانهم لا
يكذبونك ولكن الظالمين
بآيات الله يجهلون وقال
تعالى ولتسمع من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين أشركوا أذى كثيرا
ثم ندبهم الى الصبر مع
وجود الاذى فقال وان
تصبروا وتقا فان ذلك

من عزم الأمور فالصبر
حبس النفس على الأوامر
والملكاه وعن النواهي
والمعاصي الا ترى ان أهل
الجنة نودوا فقبل لهم سلام
عليكم بما صبرتم فنعيم عقبي
الدار فاخبر الله تعالى انه
أثابهم جنة بصبرهم يعني
صبرتم على طاعة الله
وصبرتم عن معصية الله
قال الله تعالى واصبر نفسك

مع الذين يدعون دبرهم
بالغداة والعشي أى احبس
نفسك إلا بـ فـن امارات
حسن التوفيق وعلامات
السعادة الصبر فى الملمات
والرفق عند النوازل
(وفى ما يرى) ان الله
تعالى اوحى الى داود عليه
السلام يا داود من صبر
عليه واصل المينا (وقال
سقيان) بلغنا ان لكل
شيء ثمرة وثمره الصبر الظفر
قال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اصبروا واصلوا

من العـمران والقائدـين بهـامن الامـوعـدد مـلوكـهم واسـمائـهم واعـمارـهم ونـحـلهم واديـانـهم ومـوعـودهم وحـروبـهم كـما ذكر أبو مـعشر في كـتابه في القـرانات وقـد تـوجد هـذه الدـلالة من القـران الـاصغر اذا كان الـاوسط دالـا عليه فـن هـذا يـوجد الـكلام في الدول * وقـد كان يعقوب بن اسـحق الـكنـدي منـجم الرـشـيد والمـأمون وضع في القـرانات الـكائنة في المـلـة كـتابا سـماه الشـيعة بـالجـفر باسم كـتابهم المـنسـوب الـي جـعفر الـصادق وذكـر فيه فـيـما يـقال حـديثان دـولة بنـي العباس وانـها نـهايتـه * وهاشـار الـي انقـراضها والمـحادثة عـلى بـعد ادانـها تـقع في انـتصاف المـائة السـابعة وان باـنقـراضها يـكون انقـراض المـلـة ولم نـقف عـلى شـئ من خـبر هـذا الـكتاب ولا رأينا من وقـف عـليه وعلـيه غـرق في كـتبهم الـتي طـرحها هـلا كـو مـلك التـتر في دـجلة عـند اسـيلا تـهم عـلى بـعد ادوقـتل الـمستعصـم آخر الخـلفاء وقـد وقع بالمـغرب جـز مـنسـوب الـي هـذا الـكتاب يـسمونه الجـفر الصـغير والظـاهر انه وضع لـبنـي عبـد المـؤمن لـذ كـر الـاولين من مـلوك المـوحـدين فـيـه عـلى التـفصـيل ومطابـقة من تـقدم عـن ذلـك من حـديثـه وكـذب ما بـعدـه وكان في دـولة بنـي العباس من بـعد الـكنـدي منـجمون وكـتب في الحـديثان وانظـر ما نقلـه الطـبري في اخـبار المـهـدي عـن ابـي بـديل من اصحاب صنائع الدـولة قال بعث الـي الرـبيع والحـسن في غـزائهمـا مع الرـشـيد ايام ابيـه فـجئـتهم ما حـوف الـيل فـاذ عـندهمـا كـتاب من كـتب الدـولة يعـني الحـديثان واذا مـدة المـهـدي فـيه عـشر سـنين فقـلت هـذا الـكتاب لا يـخفي عـلى المـهـدي وقـدمـضي من دـولـته ما مـضي فـاذ وقـف عـليه كنـتم قد نـعمتـم اليـه نـفسـه قـالا فـا الحـيلة فـاستـدعيت عـند سـة الـوراق مـولى آل بـديل وقـلت له انـسخ هـذه الـورقة واكـتب مـكان عـشر اربـعين فـفـعل فـوالله لـولا انـي رأيت العـشرة في تـلك الـورقة والـاربـعين في هـذه ما كنـت أشـك انـها هي ثم كـتب النـاس من بـعد ذلـك في حـديثان الدـول منظوما ومـثـورا ورـوا جـز ما شاء الله أن يـكتبـوه وبـايدى النـاس مـتفرقة كـثير مـنها وتـسمى المـلاحم وبعضـها في حـديثان المـلـة عـلى العموم وبعضـها في دـولة عـلى الخـصوص وكـلها مـنسـوبة الـي مشـاهير من اهل الحـليقة ولبـس مـنها اصل يعـتمد عـلى روايتـه عـن واضعـه المـنسـوب الـيه فـن هـذه المـلاحم بالمـغرب قـصيدة ابن حـرانة من بـحر الطـويل عـلى روى الرـاء وهـي مـتدولة بين النـاس وتـحسب العامة انـها من الحـديثان العام فيطـلقون الـكثير مـنها عـلى الحـاضر والمـسـة تقـبل والـذي سـمـعناه من شـيوخنا انـها مـخصوصة بـدولة لـمـتونة لان الرـجل كان قـبيلـه لـ دولـتهم وذكـر فيها اسـيلا و هـم عـلى سـبـيـة من يـدمـوالـي بنـي جـود ومـلـكهم لـعدوة الـاندلس ومن المـلاحم يـبدأ هـل المـغرب ايضـا قـصيدة تـسمى التـبـعة اولـها

طربت وما ذاك مني طرب * وقد بطرب الطائر المغتضب

وما ذاك مني للهو أراه * ولكن لتذكاري بعض السبب
 قريمان خمس مائة بيت أو ألف فيما يقال ذكر فيها كثير من دولة الموحدين وأشار فيها إلى الفاطمية
 وغيره والظاهر أنها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب أيضا لمبة من الشعر الزجالي منسوبة لبعض اليهود
 ذكر فيها أحكام القرانات لعصره العلويين والنخسين وغـيرهم واود كرميته قتيلا بفاس وكان كذلك فيما
 زعموه وأوله في صبحه ذال ازرق لشرفه خيارا * فافهموا يا قوم هذي الاشارا
 نجم زحل اخـبر بذى العـلاما * وبذل الشكلا وهي سلا ما
 شاشـة زرقا بدل العماما * وشاش ازرق بدل الغمرا
 قد تم ذال التجنيس لانسان يهودى * يصلب ببلدة فاس في يوم عيد
 حتى يحبه الناس من البوادي * وقتله يا قوم على الفراد
 وابياته نحو الخمسمائة وهي في القرانات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم المغرب ايضا قصيدة

(٢٦ - ابن خلدون) وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الفلاح على الصبر والتقوى يعني الصبر وعلى ما فرض الله عليكم وصابر واعدوكم وربطوا فيه قولان قيل ربطوا على الجهاد والثاني ربطوا على انتظار الصلوات بدل ما روى أبو هريرة رضي

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم الادللكم على ما يحيط الله به الخطايا و يرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسبأع
الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا (٢٠٢) الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط (وقال) المحسن في قوله تعالى

من عروض المتقارب على روى الباع في حدثان دولة بني ابي حفص بتونس من الموحدين منسوبة لابن
الابار وقال لي قاضي قسنطينة الخطيب الكبير ابو علي بن باديس وكان بصيرا بما يقوله وله قدم في التنجيم
فقال لي ان هذا ابن الابار ليس هو الحافظ الاندلسي الكاتب مقبول المستنصر وانما هو رجل خياط
من اهـل تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدي رحمه الله تعالى يشهد هذه الابيات من هذه
المحمة وبقي بعضها في حفظي مطالعها

عذري من زمن قلب * يغرب بارقه الاشنب
ويبعث من جيشه قائدا * ويبقى هناك على مرقب
فناقني الى الشـيخ اخباره * فيقبل كالجمل الاجرب
ويظهر من عدله سيرة * وتلك سياسة مستجلب

ومنها

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم
فاما رايت الرسوم انمحت * ولم يرع حق لذي منصب
نخذ في الترحل عن تونس * وودع معالمها واذهب
فسوف تكون بهما قننة * تضيف البرى الى المذنب
ووقفت بالمغرب على محمة اخرى في دولة بني ابي حفص هؤلاء بتونس في ايامه السلطان ابي يحيى الشهير
عاشر ملوكهم ذكر محمد اخيه من بعده يقول فيها

وبعد أي عبد الاله شقيقه * ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل
الا ان هذا الرجل لم يملكها بعد اخيه وكان يعني بذلك نفسه الى ان هلك ومن الملاحم في المغرب ايضا الملعبة
المنسوبة الى الهوثي على لغة العامة في عروض البلاد التي اولها

دعني بدمعي الهتان * فترت الامطار ولم تقتر
واستقت كلها الويدان * وانى تـلى وتنغـدر
البلاد كلها تروى * فاولى ما ميل ما تدرى
ما بين الصيف والشتوى * والعام والربيع تجري
قال حين صحت الدعوى * دعني نبكي ومن عذر
انادى من ذى الزمان * ذا القرن اشتد وتـمرى

وهي طويـلة ومحفوفة بين عامة المغربـرب الاقصى والغالب عليها الواضـح لانه لم يصح منها قول الا على
تاويل تحرفه العامة او الحارفي فيه من ينحلها من الخاصة ووقفت بالمشرق على محمة منسوبة لابن
العري الحاتمي في كلام طويل شبه العازل اعلم تأويله الا الله لتخلله اوافق عددية ورموز مغرزة واشكال
حيوانات تامة ورؤس مقطوعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي آخرها قصيدة على روى اللام
والغالب انها كلها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن اصل علمي من نجامة ولا غيرها وسمعت ايضا ان هناك
ملاحم اخرى منسوبة لابن سينا وابن عقـب وليس في شيء منها دليل على الصحة لان ذلك انما يؤخذ من
القرانات ووقفت بالمشرق ايضا على محمة من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى
قوله فاما رايت أصـله فان رايت زيدت ما وأدغمت في ان الشرطية المحذوف فونها خطأ وفي نسخة فلما
رايت والاولى هي الموجودة في النسخة التونسية قاله نصر اه

واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات
فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب
فصبر وابتلاه بذبح ابنه
فصبر وقال سبحانه وتعالى
استعينوا بالصبر والصلاة
ان الله مع الصابرين فبدأ
بالصبر قبل الصلاة ثم قال
قولا عظيما فجعل نفسه
مع الصابرين دون المصلين
وقال النبي عليه الصلاة
والسلام لا نصار ما يكن
عندي من خير فلان ادخره
عنكم ومن يستعفف يعفه
الله ومن يستغن يغنه الله
ومن يتصبر يصبره الله وما
اعطى احد عطاء خيرا ووسع
من الصبر (وقال ابن
مسعود) قسم النبي صلى
الله عليه وسلم قسما فقال
رجل من الانصار والله
انها القسمة ما ريد بها وجه
الله فاخبرت النبي عليه
الصلاة والسلام فشق عليه
وتغير وجهه وغضب حتى
وددت اني لم اكن اخبرته
ثم قال قد اودى موسى
باكثر من هذا فصبر
(وروى) ان النبي عليه
الصلاة والسلام مر على
امراة تبكي عند قبر فقال لها
اتقي الله واصبري فقالت
اليك عنى فانك لم تصب
بمثل مصيبتى فلما قبل لها
هذا رسول الله جات اليه

تعدت زانها لم تعرفه وقالت سأصبر فقال النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى
ويحتمل هذا الحديث وجهين اما الطائفي فقال معناه ان الصبر المحمود عند اول نزول المصيبة وقد فالتك بالجزع واما القاسي فقال معناه

البا جريقي

ان الصدمة الاولى وقت امرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليم الكل من فاته الصبر بذهول او نسيان او غلبة (و تروى)
ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة (٢٠٣) (وفي منشور الحكم) قالت الصحبة ان اللاحقة بارض

المغرب قال الجوع وانام معك
قال الايمان ان اللاحق بارض
الحجاز قال الصبر انام معك
قال الملك ان اللاحق بارض
العراق قال القنك انام معك
(واعلم) ان العجلة خرق
ومخرجهما من قلة العقل
واخرق من ذلك التفريط
في الامر بعد القدرة ومثل
ذلك كالتفريط على النار ان

كان ماؤه قليلا غلت بمسير
من النار وان كانت مملوءة
لم تغل حتى تكثر نارها
وتطول مدتها وفي كتاب
جاويدان خرد وليس
للحجم كتاب مثله قال محرم
على السامع تكذيب
القائل الا في ثلاث من غير
الحق صبر الجاهل على
مضض المصيبة وعافل
أبغض من أحسن اليه
وجساءة أحببت كنة

(فصل) واعلم ان
الصبر على أقسام صبر على
ما هو كسب للعبد وصبر
على ما ليس بكسب فالصبر
على الكسب على قسمين
صبر على ما أمر الله تعالى به
وصبر على ما نهى الله عنه
فاما الصبر على ما ليس
بكسب للعبد فكصبره
على مقاساة ما يتصل به
من حكم الله تعالى فيها
له فيه مشقة وينقسم من

وجه آخر على اربعة اقسام فأول أقسامه وأولها الصبر على امتثال امر الله سبحانه والانتفاء عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه
من مسرة أو تقصير أو فاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع

الباقي وكلاهما الغار بالحروف أو لها

ان شئت تكشف سر الجفر ياسائلي * من عـ لم جفر وصي والد الحسن
فافهم وكن واعيا حقا وجاهلته * والوصف فافهم كعمل المحاذق القطن
أما الذي قبل عصرى لست أذكره * لكننى أذكر الـ حتى من الزمن
بشهر بيمرس يبقى بحاء بعد خستها * وحاء مـ يم بطيش نام في الككن
شين له أثر من تحت سترته * له القضاء قضى أى ذلك المـ نـ
فصر والشأم مع ارض العـ راق له * وأذر بيجان في مـ لك الى الـ يمن
وآل بوران لما نال طاهرهـ مـ * الفاتك الباتك المعنى بالسمن
لخلم سين ضعيف السن سئين اتي * لا لوفاق ونون ذى قـ رن
قـ رم شجاع له عقل ومشورة * يبقى بحاء واين يعـ دوسـ من
من بعـ دبـ من الاعـ وام قتلهـ * يلى المشورة مـ يم الملك ذواللسن
هذا هو الاعرج الكلي فاعن به * فى عصره فتن ناهيك من فتن
يأتى من الشرق فى جيش يقدمهم * عار عن القافى كاف جـ دبـ فتن
بقتل دال ومثل الشأم أجمعها * أبدت بشجوع على الالهين والوطن
اذا أتى زلزلت يا ويح مصر من الزلزال مازال طاء غـ مـ مقتنـ
طاه وظاء وعين كلهم حبسوا * هـ كـ وينفق أمـ والابلـ
يسير القاف قافا عنه دجعهـ مـ * هون به ان ذاك الحصن فى سكن
وينصـ جون أخاه وهو صالحهـ مـ * لاسـ لم الالف سـ ين لذاك نبي
تمت ولايتهم بالحاء لأحد * من السنين يدانى الملك فى الزمن

ومنها

ومنها

ومنها

يقال انه اشار الى الملك الظاهر وقدم أبيه عليه بمصر

يأتى اليه أبوه بعد هجرته * وطول غيبته والشظف والزرن

وأبياتها كثيرة والغالب انها موضوعة ومثل صنعها كان فى القديم كثير او معروف الانتحال (حكى)
المؤرخون لاخبار بغداد أنه كان بها أيام مقتدر ووراق ذكرى يعرف بالديالى ييل الاوراق ويكتب فيها
بخط عتيق برغز فيه بحر وف من أسماء اهل الدولة وبشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من أحوال الرفعة
والجاء كنهها للاحم ويحصل على مايريده منهم من الدنيا وأنه وضع فى بعض دفاترهم مكررة ثلاث مرات
وجاء به الى مفلح مولى المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مفلح مولى المقتدر وذكرك عنه ما يرضاه ويناله من
الدولة ونصب لذلك علامات يمويه بها عليه فبذل له ما أغناه به ثم وضعه للوزير ابن القاسم بن وهب على
مفلح هذا وكان معزولا فاجاءه باوراق مثلها وذكرك اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وأنه يلى
الوزارة للثاني عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا فى أيامه وأوقف مفلحا
هذا على الاوراق وذكرك فيها كواثر أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع وعالم يقع ونسب جميعه الى
دانيال فأهبط به مفلح ووقف عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى ابن وهب وكان ذلك
سببا لوزارته بمثل هذه الحيلة العريضة فى الكذب والجهل بمثل هذه الغار والظاهر ان هذه المهمة التى
ينسبونها الى الباقر بقى من هذا النوع * ولقد سألت أكل الدين ابن شيخ الحنفية من العجم بالديار

الصبر على ما نزل من مكرهه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمودة بكل لسان وفي كل ملة وعند كل أمة مؤمنة وكافرة (وقال أكرم بن صيني) من صبر ظفر (وقال (٢٠٤) على بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو

(وقال اردشير) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر يستمر من الكروب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) أفضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد المجيد السكاك) لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت أيهما ركبت (وقال) بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكر وه تذرك المحظوظ (وقال) ابن المقفع في كتاب البثمة الصبر صبران فاللثام أصبر أجساما والكرام أصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون قوي المحسد على الكد والعمل فان هذا من صفات المحير ولكن ان يكون للنفس غلبا بالأمور محتملا ومحاشه عند الحفاظ مرتبنا (وفي منشور الحكمة) من أحب البقاء فليعد للأصائب قلبا صبورنا (وقال) بن رجه لم أره يراعى ثقل الدول كالصبر ولا مدلا للفساد كالتمهل ولا مكسبة للآجال كالتوقي

المصرية عن هذه المحمة وعن هذا الرجل الذي تتسب اليه من الصوفية وهو الباجري وكان عارفا بطرائقهم فقال كان من القلندرية المبتدعة في خلق اللحية وكان تحت عما يكون بطريق الكشف ويوصي الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحر وف يمينها في ضمنها من يراه منهم ويرى ما يظهر منظم ذلك في أبيات قليلة كان يتعاهد ما فتتوقلت عنه وولم الناس بها وجعلوها المحمة مرموزة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بفكر رموزها وهو أمر متنع اذا الرزنا سيهدى الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له وأما مثل هذه الحروف فلا تنال على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزها رأيت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاعلا كان في النفس من أمر هذه المحمة وما كنا انتهت دى لولا أن هدا الله والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

* (الفصل الرابع من الكتاب الاول) *

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق

(فصل) في أن الدول اقدم من المدن والامصار وانما توجد ثمانية عن الملك وبيانه ان البناء واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها وأيضاً فالمدن والامصار ذاتها كل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعوم لا للخصوص فتحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي تعينها البلى حتى يكون تر وعهم اليها اضطرار بل لابد من اكرامهم على ذلك وسوقهم اليه مضطهدين بعضا الملك او مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يفي بكثرة الملك والدولة فلا بد في تصدير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم اذ بنيت المدينة وكل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فاعمر الدولة حينئذ عمر لها فان كان عمر الدولة قصيرا وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمر انما هو خربت وان كان امدا للدولة طويلا ومدتها منقصة فلا تزال المصانع فيها تاشاد والمنازل الرحيمة تكثر وتتعد ونطاق الاسواق يتبعاد وينفخ الى أن تتسع الخطة وتبعد المسافة وينفخ ذرع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها * ذكر الخطيب في تاريخه ان الحجمات بلغ عددها ببغداد اذ عهد المأمون خمسة وستين ألف حمام وكانت مشغلة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز الاربعين ولم تكن مدينة وحدها يجمعها سور واحد لا فراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهدية في الملة الاسلامية وحال مصر القاهرة بعدها فيما يبلغنا هذا العهد وأما بعد انقراض الدولة المشمسة للمدينة فاما ان يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والساكنات بادية يمد بها العمران دائما فيكون ذلك حافظا لوجودها ويسد عمرها بعد الدولة كما تراهم بقاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها العمران من الجبال لان أهل البداوة اذا انتهت أحوالهم الى غاياتهم من الرفعة والكسب تدعو الى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والامصار ويتأهلون وأما اذا لم يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تقيد بها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقا لسياجها فبرز حفظها ويتناقض عمرها شيئا فشيئا الى أن يمد عرسا كنهها وتخرب كما وقع بمصر وبغداد والكوفة بالمشرق والقيروان والمهدية وقلعة بني حماد بالمغرب وأمثالها فتنهه وهو ربما ينزل المدينة بعد انقراض مخططيها الاولين ملك آخر دولة ثانية يتخذها قرايرا وكرسيا يستعني بها عن اختطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتزيد مبانها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفعها وتستجد بعمرانها عمر آخر كما وقع

بقاس

المزاج ولا يجلبه للقت كالأعجاب ولا متلفة للروية كاستعمال الهزل في موضع الجد (فاما القسم الاول) وهو

الصبر على امتثال أوامر الله تعالى والانهاء عن محارمه فيه يصح اداء الفرائض واستكمال السنن ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون

أجرهم بغير حساب ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيدي) المستبر من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس إلى الله شديد (٢٠٥) والصبر مع الله تعالى شديد وسئل

عن الصبر فقال تجرع

المراة من غير تعديس

(وكان حبيب بن أبي

حبيب) إذا قرأ هذه الآية

أنا وحده صابرا نعم العبداته

أواب بك ثم قال وأعجابه

أعطى وأثنى (وقال

الخواص) الصبر الثبات

على أحكام الكتاب والسنة

(وقال عبد الواحد بن

زيد) من نوى الصبر على

طاعة الله تعالى صبره الله

تعالى عليه وقواه ومن

عزم على الصبر عن معصية

الله تعالى أعانه الله تعالى

وعصمه منها (وقال عمر بن

عبد العزيز) للقاسم بن

محمد أوصني فقال القاسم

عليك بالصبر في مواضع

الصبر (وقال الحسن)

الصبر صبران صبر عند

المصيبة وصبر عما نهى الله

عنه وهو الأفضل وأما

يختلف الصبر بالخوف

والرجاء فان من خاف شيئا

صبر على الفراق منه وصبر

عند السكراهية لما يحذر من

ضرره ومن رجا شيئا صبر

على طلبه لئلا يظفر به (وأما

القسم الثاني) وهو الصبر

على ما فات إدراكه من

مسرة أو تقضت أوقاته من

مصيبة فانه يتعجل به الراحة

مع اكتساب الثوبة فان

بفأس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

٢ * (فصل في أن الملب يدعو إلى نزول الأمصار) *

وذلك أن القبائل والعصائب إذا حصل لهم الملب اضطروا للاستيلاء على الأمصار لآخرين أحدهما ما يدعو إليه الملك من الدعة والراحة وحط الأثقال واستكمال ما كان ناقصا من أمور العمران في البدو والثاني دفع ما يقع على الملك من أمر المنازعين والمشاغبين لأن المصير الذي يكون في نواحيهم ربما يكون للجمان يروم منازعتهم والخروج عليهم واتباع ذلك الملك الذي سعى إليه من أيديهم فيعتصم بذلك المصير ويغال بهم مغالبة المصير على نهاية من الصعو بقوا المشقة والمصير يقوم مقام العساكر الممتدة دونه فانه من الامتناع ونسكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة إلى كثير عدد ولا عظيم شوكة لأن الشوكة والعصا به انما احتيج إليها في الحرب للثبات لما يقع من بعدد القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون إلى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يفق في عضد الأمة التي تروم الاستيلاء ويخصد شوكة استيلائها فإذا كانت بين أجنابهم أمصار تنظم وهافي استيلائهم للأمن من مثل هذا الانحرام وان لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم أولا وحط أثقالهم وليكون شجاق في خلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائبهم فتعين أن الملك يدعو إلى نزول الأمصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق لأرب سواه

٣ * (فصل في أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير) *

قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وانما تكون على نسبتها وذلك أن تشييد المدن انما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فإذا كانت الدولة عظيمة متسعة المال كحشرة آفة من أقطارها وجمعت أيديهم على علمها ورعا استعين في ذلك في أكثر الأمر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل أثقال البناء العجز القوة البشرية بوضعها عن ذلك كالمخال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس إذا نظر إلى آثار الأقدمين ومصانعهم العظيمة مثل أيوان كسرى وأهرام مصر وحنانيا المعلقة وشوشال بالغرب انما كانت بقدرهم متفرقين أو مجتمعين فينبخل لهم اجساما تناسب ذلك أعظم من هذه بكثير في طولها وقدرها التناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها ويعقل عن شأن الهندام والمخال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المنغلبيين في البلاد يعاين في شأن البناء واستعمال الخيل في نقل الأجرام عند أهل الدولة المعتمنين بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عيانا وكثير آثار الأقدمين لهذا العهد تسمي العامة عادة نسبة إلى قوم عادلتوهمهم من مباني عاد ومصانعهم انما عظمت لأعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين تعرف بمقادير اجسامهم من الأمم وهي في مثل ذلك العظم أو أعظم كأيوان كسرى ومباني العبيديين من الشيعة بآخرة وبقية والصنهاجيين وأثرهم باد إلى اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك بناء الأغلبية في جامع القيروان وبناء الموحدين في رباط الفتح ورباط السلطان أبي سعيد لعهد أربعين سنة في المنصور بأزاء نيلسان وكذلك الحنانيا التي جاب إليها أهل قرطاجنة الماء في القناة الرابكة عليها مائة أيضا لهذا العهد وغير ذلك من المباني والهيكل التي نقلت البناء أخبار أهلها قريبا وبعيدا وتيقنا أنهم لم يكونوا بافراط في مقادير اجسامهم وانما هذرا رأى ولع به القصاص عن قوم عاد وثمود والعماقة ونجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة إلى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح أنها بيوتهم يمر بها الركب المحاذي أكثر السنين ويشاهدونها لا ترى يد في جوهها ومساحتها وسمكتها

صبر طاعة استراح وأحرز الثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابنك ان تصبر جرى عليك القلم وأنت مأجور وان جزع جرى عليك

القلم وانت مأزور ونظمه أبو تمام فقال وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك الماسم ثم اتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتو جرام تسالوسلو البهايم (٢٠٦) خلقة نار جالا للنجلد والعزا * وتلك الايامي للبكوا والماسم ثم (وقال عمر بن الخطاب)

على المتعامد وانهم لم يبالغون فيما يعتقون من ذلك حتى انهم لم يزعجوا عن عناق من جيل العمالة كان يتناول السمك من البحر طريا فيشوي به في الشمس يزعمون بذلك ان الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر فيما لديه هو الضوء لا انعكاس الشمس عاكسة في سطح الارض والهواء وأما الشمس في نفسها فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضي لا مزاج له وقد تقدم شيء من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا ان آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها والخلق ما يشاء ويحكم ما يريد

٤ * (فصل في أن الهياكل العظيمة جدا لا تستقل بمناها الدولة الواحدة) *

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القوة البشرية وقد تكون المباني في عظمها أكثر من القدر مفرقة أو مضاعفة بالهدم دام كقلناه فيحتاج الى معاودة قدر أخرى مثلها في أزمنة متعاقبة الى ان تتم فيبتدئ الاول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الايدي حتى يتم القصص من ذلك ويكمل ويكون ماثلا للعيان يظن به من يراه من الآخرين انه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب وان الذي بناه سد مأرب بنحجب وساق اليه سبعين وادبا وعاقه الموت عن اتمامه فآتمه ملوك حبر من بعده ومن هذا ما نقل في بناء قرطاجنة وقناتها الرأبة على الحنايا العادية وكثير المباني العظيمة في الغالب هذا شأنها ويشهد لذلك أن المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في اختطاطها وتأسيسها فاذا لم يتبع اثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصص فيها ويشهد لذلك ايضا ان نجد آثارا كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتخربها مع ان الهدم يسر من البناء بكثير لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والبناء على خلاف الاصل فاذا وجدنا بناء تضعف قوته البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا ان القدرة التي أسسته مفرطة القوة وانها ليست أتر دولة واحدة وهذا مل ما وقع للعرب في ابوان كسرى لما اعتزم الرشيد على هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبسه يستشير في ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واتركه ماثلا يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك لامل ذلك الهكل فآتمه في النصيحة وقال اخذته الذرة للعجم والله لا صر عنه وشرع في هدمه وجمع الايدي عليه واتخذ له القوس وجها بالنار وصب عليه الخ حتى اذا أدركه العجز بعد ذلك كاه وخاف القضية بعث الى يحيى يستشيره ثانيا في التجاني عن الهدم فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واستمر على ذلك لئلا يقال عجز أمير المؤمنين وملك العرب عن هدم مصانع العجم فعرها الرشيد واقصر عن هدمه وكذلك اتفق للأموه في هدم الاهرام التي بمصر وجمع الفعلة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نقيبها فآتموا الى جو بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيما يقال منقذ ظاهر ويزعم الزاعمون أنه وجد ركازا بين تلك الحيطان والله اعلم وكذلك حنايا المعلة الى هذا العهد تحتاج اهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة لبنائهم وتسيجيد الصنائع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على هدمها الايام العديدة ولا يسقط الصغير من جدرانها الا بعد نصب الربق وتجمع له المحافل المشهورة شهدت منها في أيام صباي كثير والله خلقة كم وماتهم ملون

رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضي أمر الله وكنت ماجورا وان جرعت مضي أمر الله وكنت مأزورا (وقال الحسن) والله لو كلفنا الجزع ما قننا به فالجهد لله الذي أجرا على ما لو نهانا عنه لصبرنا له وعن هذا قالت الحكماء الجزع اتعب من الصبر ففي الجزع التعب والوزر وفي الصبر الراحة والاجر ولو صور الصبر والجزع لكان الصبر أحسن صورة وأكرم طبيعة وكان الجزع أقبح صورة وأخور طبيعة ولو كان الصبر أولاها بالغلبة لحسن الخلقة وكرم الطبيعة (وقال بعض العلماء) لو وكل الناس بالجزع للجؤ الى الصبر (وقال شبيب بن شيبة) للهدى ان المرأة حق ما صبر عليه لم يجد سبيلا الى دفعه وأنشد واذا تصبكت مصيبة فاصبر لها

عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر * (وقال آخر) * وعوضت أجزا من فقيد فلا تكن فقيدك لا يأتي وأجره يذهب

(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشيد من تابع القلاف على فائت أو أكثر الفرح عند مستطرق (وقال) الحكماء ان كنت جازعا على ما نقلت من يدك فاجزع على ما يصل اليك ومن أيقن ان كل فائت الى نقصان حسن عزاءه عند

٥ * (فصل فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراماة) *

(اعلم) ان المدن قرار يتخذ الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والمأوى وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من

ظوارقها (وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشيد من تابع القلاف على فائت أو أكثر الفرح عند مستطرق (وقال) الحكماء ان كنت جازعا على ما نقلت من يدك فاجزع على ما يصل اليك ومن أيقن ان كل فائت الى نقصان حسن عزاءه عند

نزول القضاء (وقال الشاعر) اذا طال بالبحر أيام صبره * كساه ضنا طول المقام على الصبر ولا شك ان الصبر يحمده غبه *
ولكن انفاق عليه من العمر (وقال بغض القدماء) الصبر على أربع مراتب (٢٠٧) على الشوق والاشفاق والزهد والترقب

فن اشتاق الى الجنة سلا
عن الشهوات ومن أشق
من النار رجوع عن
المحرمات ومن زهد في الدنيا
تهاون بالمصريات ومن
راقب الموت أقصر عن
المخبطات (وأما القسم
الثالث) وهو الصبر فيما
يبتغى رزقه من رغبة
يرجوها ولا يخشى حدوثه
من رهبة يخافها في الصبر
والتلطف تدفع عادية ما
يخاف وينال نفع ما يرجو
(قال) النبي عليه السلام
انظار الفرج من الله بالصبر
عبادة (وقال محمد بن بشير)
ان الامور اذا اشتدت
مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما رجا
لا تيأس وان طال مطالبه
اذا استعنت بصبر ان ترى
فرجا
اخلق بذى الصبر ان يحظى
بحاجته
ومد من القرع للابواب
ان يلجا
(وقال بعض الرواة) دخات
مدينة يقال لها ذفار فينا
انا أطوف في خرابها ذرايت
مكتوبا على قصر خراب
يا من ألح عليه الهم والفكر
وغيرت حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل في
مثل

طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا
سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في متمتع من الامكنة اما على هضبة متوعدة من الجبل واما باسطة تدارة
بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منها لها على العدو ويتضاعف
امتناعها وحصنها وعمائير احمى في ذلك للحماية من الاقفاق السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض
فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا او مجاورا للمياه الفاسدة او منافع متعقبة او مروج خبيثة اسرع اليها العفن
من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان والكائن فيه لا محالة وهذا ما شاهدوا والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء
كثيرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بافر يقية فلا يكاد
ساكنها او طارقها يخلص من حمى العفن بوجهه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل
البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها حفرة ظهر فيها اناء من نحاس مختوم بالرصاص فلما فاض ختمه صعد
منه دخان الى الجو وانقطع وكان ذلك مبدءا لأمراض الحميات فيه واوراد بذلك ان الاناء كان مشغلا
على بعض أعمال الطلسمات لو بانه وانه ذهب سره بذها به فرجع اليها العفن والوباء وهذه الحكاية من
مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من نهاية العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا
أو يثبت خروقه فنقله كما سمعته والذي يكشف الحق في ذلك ان هذه الالهوية العنفة أكثر ما يهتكمه التعفين
الاجسام وأمرض الحميات ركودها فاذا تحللها الريح ونفشت وزهبت بهائمها وشما لا خف شأن العفن
والمرض اليا دى منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير السالكين وكثرت حركات أهله فيتموج الهواء ضرورة
وتحدث الريح المتخللة للهواء الرادو يكون ذلك معيناله على الحركة والنموذج واذا خف السالكين لم يجد
الهواء معينا على حركته وتوجهه وبقي ساكنا كدوا وعظم عفته وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عند
ما كانت افر يقية مستعدة العمران كثيرة السالكين تموج باهلها ما وجاف كان ذلك معينا على تموج الهواء
واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض وغنى دما خف ساكنها ركدها وأوها
المتعفن بقساد مياهها فكثرت العفن والمرض فهذا وجهه لا غير وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم
يراع فيها طيب الهواء وكانت اولا قليلة السالكين فكانت أمراضها كثيرة فلما كثرت ساكنها انتقل حالها
عن ذلك وهذا مثل دار الملك بقاس لهذا العهد المسمى بالبلد المجديد وكثير من ذلك في العالم فتفهمة تجرد ما
قلته لك وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها الماء بان يكون البلدة على نهر أو بأزائها عيون
عذبة ثمرة فان وجود الماء قريبا من البلدة سهل على السالكين حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في
وجوده رفقة عظيمة عامة وعمائير احمى من المرافق في المدن طيب المراعى لسائمتهم اذا صاحب كل قرار لا بد
له من دواجن الحيوانات للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من المراعى فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك
أرفق بحالهم لما يعانون من المشقة في بعده وعمائير احمى أيضا المزارع فان الزروع هي الاقوات فاذا كانت
مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك سهلا في اتخاذه وأقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للخطب والبناء
فان الخطب مما تجم البلى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلاء والطبخ والخشب أيضا ضروري لسقوفهم
وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم وقد يراعى أيضا قاربهم من البحر لتسهيل الحاجات القاصية
من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمغاية الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وماتدعو اليه ضرورة
السالكين وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي أو عمائير احمى ما هو أهم على نفسه وقومه
ولا يذكر حاجة غيرهم كما نفع له العرب لاول الاسلام في المدن التي اختطوها بالعراق واقر يقية فانهم لم

عند الاياس فابن الله والقدر نعم للخطوب اذا احدثها طرقت * واصبر فقد فاز اقوام يصبروا فكل ضيق سيأتى بعده سعة *
وكل فوت وشيك بعده انقار (وتحتمه مكتوب بخط آخر) لو كان كل من صبر أعقب الظفر صبره ولو كان يجد الصبر في العاجل بقى العمر

ويدين من القبر ما كان أصله لذي العقل وموته وهو طفل والسلام (قلت) لو رأيت له كبدت تحتها في الصبر استعجال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله وأجره بغير (٢٠٨) حساب وفي الجزع استعجال المم ومنهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الآثم

يراعوا فيها إلا أنهم عندهم من مراعي الأبل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الخطب ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقبر وان والكوفة والبصرة وأمثالها ولهذا كانت أقرب إلى الخراب لما لم تراعى فيها إلا موارد الطبيعة

(فصل) وعما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحار أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد تكون صريحا للمدينة متى طرقتها طارق من العدو والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصابات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طرورها في الأساطيل البحرية على عدوها وتحية لها ما يأمن من وجود الصريح لها وإن الحضرة المنة عودين للدعة قد صاروا عيالاً وأخرجوا عن حكم المقاتلة وهذه كالأسكنة بدرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبوننة وسلاو متى كانت القبائل والعصابات موطنين بقر بها بحيث يبلغهم الصريح والنعير وكانت متوعدة المسالك على من يرومها باخطاطها في هضاب الجبال وعلى أستمها كان لها بذلك منعة من العدو ويسوا من طرورها ما يكبدونه من وعرها وما يتوقعونه من اجابة صريحها كما في سبنة وبجاية وبلاد القل على صغرها فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع أن الدعوة من ورائها بركة وافر بريقه وانما اعتبر في ذلك الخفاقة المتوقعة فيها من البحر اسهولة وضعها ولذلك والله أعلم كان طروق العدو للاسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة والله تعالى أعلم

(فصل في المساجد والبوت العظيمة في العالم)

(اعلم) أن الله سبحانه وتعالى فضل من الأرض بقاعا اختصها بنشره فوهو جعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الأجور وأخبرنا بذلك على ألسن رسله وأنبيائه لطفا لعباده وتسهيلا لطرق السعادة لهم * وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الأرض حسبا في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس أما البيت الحرام الذي بمكة فهو بيت إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وأن يؤذن في الناس بالحج إليه فيمنه هو وابنه اسمعيل كما نصه القرآن وقام بمأمره الله فيه وسكن اسمعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم إلى أن قبضهم الله ودفنا بالحجر منه * وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام أمرهما الله ببنائه معجده ونصبهما كاهن ودفن كثير من الأنبياء من ولد اسحق عليه السلام حو اليه * والمدينة مهاجرة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة إليها وإقامة دين الاسلام بها فبني معجده المحرم بها وكان لمجده الشريف في تربتها هذه المساجد الثلاثة قرعة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمت دينهم وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروفي فلهذا شرى شي من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوا إلى أن كمل ظهورها في العالم * (فاما مكة) فالوليتها فيما يقال أن آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وانما اقتبسوه من محل الآية في قوله واذرفع إبراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم بعث الله إبراهيم وكان من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرهما من هاجر ما هو معروف واوحى الله اليه أن يترك ابنه اسمعيل وأمه هاجر بالفلاة فوضعها في مكان البيت وسارعهما وكيف جعل الله لهما من اللطف في نبع ماء زمزم وعروزالرفقة من جرهم بها حتى احتملوهما وسكنوا اليهما ونزلوا معهما حوا إلى زمزم كما عرف في موضعه فاتخذ اسمعيل بموضع الكعبة بيما يأوى اليه وادار عليه سببا طامن الردم وجعله زرا بالغمه وجاء إبراهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام أمر في آخرها ببناء الكعبة

مع العقوبة وما أحسن يذى العقل اجتناب هذا والسلام (وقال بعض البلغاء) من صبر نال المني ومن شكر حصن النعماء (وقال الشاعر) الصبر مفتاح كل خير

وكل شربه يهون اصبر وان طالت الليالي فربما ساعد المحزون وربما نيل بالصطار ما قيل هيات لا يكون (وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله) ما أنعم الله على عبده نعمة فانتزعها منه

وعوضه صبرا الا كان ما عوضه أفضل مما انتزعه منه وقرأنا ما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب (وروى) أن جارية كانت لعل بن أبي طالب رضي الله عنه تنصرف في حوائجها فكأما خرجت تصدى لها خياط كان بقر بدار على ويقول لها والله اني لأحبك لله فلما أكثر من ذلك شكتها إلى على فقال لها على اذا قال لك مرة أخرى فقولى له والله اني لأحبك ما الذي تريد فعاد فقال لها ذلك فقالت له وأنا والله أحبك فيه فقال لها تصبرين واصبر حتى يوفي الصابرون أجرهم بغير

حساب فرجعت الجارية وأخبرت مولاها فادع على رضي الله عنه الخياط فوجد أمره على الحكمة فوهبها

له مع نفقة يستعين بها (وقال) على رضي الله عنه الصبر كقيل بالتجاح والتوكل لا يجبطه والعاقل لا يذل بآول نسكبة ولا يفرح بآول رفعة

وكان يقال الصبر سلامة والطيش ندامة (وأما القسم الرابع) وهو الصبر على ما نزل من مكره أو حل من أمر مخوف فالصبر فيه تنفتح وجوه الآراء وتتوق مكاييد الأعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي إسرائيل (٢٠٩) بمصبر ووافق تعالى وأصبر وما

صبرك إلا بالله وقال تعالى

وأصبر على ما أصابك إن

ذلك من عزم الأمور

وروى ابن عباس أن

النبي عليه السلام قال إن

استطعت أن تعمل لله بالرضا

في اليقين فافعل وإن لم

تستطع فاصبر فإن في الصبر

على ما تكره خير كثير واعلم

أن النصر مع الصبر وإن

الفرج مع الكرب والصبر مع

العسر (وقال علي رضي

الله عنه) الصبر مناضل

الحديثان والجزع من

أعداء الزمان * وقال

الحكيم بمفتاح عزيمته

الصبر تعالج مغاليق الأمور

(وأشدوا)

انما أخرج مما أتقى

فأدخل في الخلق والجزع

ولما حبس أبو أيوب في

السجن خمس عشرة سنة

صاقت حيلته وقل صبره

وكتب إلى بعض أخوانه

يشكو طول حبسه وقلة

صبره فرد عليه جواب رقيقته

صبرا بأب أيوب صبرا مبرح

فإذا عجزت عن الخطوب فن

لها

إن الذي عقد الذي انعقدت

بها

عقد المكاره فيك يلاك حلها

صبرا فإن الصبر يعقب راحة

فلمها إن تجلج ولعلها

فلما وقف عليها أبو أيوب

فما لبث أن قال

ووعظني فأنالها * وستجلى بل لا أقول لعلها

ويعلمها من كان صاحب عقدها *

فما لبث بعد ذلك إلا أياما حتى أطلق مكرما (ولتيم بن المعز)

سأسكت صبرا وأحسب أنافتي *

مكان ذلك الزرب فبناه واستعان فيه بانه اسمعيل ودعا الناس إلى حبه وبقى اسمعيل ساكنا به ولما قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بامر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون إليها من كل أفق من جميع أهل الخليفة لآمن بنو اسمعيل ولآمن غيرهم من دنا أو نأى فقد نقل أن التبابعة كانت تسج البيت وتعظمه وإن تبعها كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مقاما ونقل أيضا أن الفرس كانت تحبها وتقرب إليها وإن غزا إلى الذهب للذين وجدها عبد المطلب حين احتقر زرم كانا من قريش لم ير لجرهم الولاية عليه من بعد ولد اسمعيل من قبل خواتم حتى إذا خرجت خزاعة وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثروا لاسمعيل وانتشروا وتشعبوا إلى كنانة ثم كنانة إلى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على أمره وأخرجوه من البيت ولم يتركوا عليهم يومئذ حتى بن كلاب فبنى البيت وسقاه بخشب الدوم وجر يد النخل وقال الاعشى

خلعت ثوبني راهب الدور والى * بناها قصي والمضاض بن جرهم
ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم وأعادوا بناءه ووجهوا النفقة لذلك من أموالهم وإن كسرت سقينة بساحل جدة فاشترى أخشابا للسقف وكانت جدرانها فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصفا بالارض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن إتمامه فقصر وأعن قواعده وتركوا منه سبعة أذرع وشبرا أذرا وهاجج دار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقى البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعاه نفسه وزحف إلى جيوش يزيد بن معاوية مع المحصنين ابن غير السكوني ورمى البيت سنة أربع وستين فاصابه حريق يقال من النفط الذي رموا به على ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن ما كان بعد أن اختلفت عليه العناية في بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لو لا قومك حديثي عهد بكفر لرددت البيت على قواعده إبراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجع الوجوه والأكبر حتى عاينوه وأشار عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فأدار على الأساس الخشب ونصب من فوقها الأساس وحفظ القبلة وبعث إلى صنعاء في الفضة والكس فجعلها وسأل عن مقطع الحجارة الأول فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعة أعشار من ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض كمرور في حديثه وجعل فرشه هاوازها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفاغ الأبواب من الذهب * ثم جاء الحجاج لمحصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجد بالمخجنجات إلى أن تصدعت حيطانها ثم لما ظفر بابن الزبير شاو عبد الملك فيمناها وزاده في البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعده قريش كلها اليوم ويقال أنه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير بحديث عائشة وقال وددت أني كنت حلمات إباحييب في امر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا ما كان الحجر وبناه على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي وترك ساثرها لم يغير منه شيئا فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للعيان لمحة ظاهرة بين البنائين والبناء متميز عن البناء بمقدار أصبح شبه الصدع وقد لحم * ويعرض ههنا أشكال قوى لمناقاته لما يقوله الفقهاء في أمر الطواف ويحذر الطائف أن يميل على الشاذروان الدائر على أساس الجدران أسفها فيقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدران إنما قامت على بعض الأساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان وكذا قالوا في تقبيل الحجر الأسود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائما لئلا

(٢٧ - ابن خلدون) كتب إليه صبرتي ووعظتي فأنالها * وستجلى بل لا أقول لعلها ويعلمها من كان صاحب عقدها * كرمه إذ كان يملك حلها فسا لبث بعد ذلك إلا أياما حتى أطلق مكرما (ولتيم بن المعز) سأسكت صبرا وأحسب أنافتي *

أرى الصبر سيفاً ليس فيه فلول
و يسخو بما في نفسه لمجهول

(٢١٠)

عذابي ان اشكو الى الناس اتني * عليل ومن اشكو اليه عليل وان الذي يشكو الى غير نافع *
(وأنشدوا) دع الدهر يجري بأقداره * ويقضى عجائب أوطاره

ونم نومة عن ولادة الامور

وخل الزمان بتدواره

فانك ترحم من قد غبطت

وتعجب من قبح آثاره

(وأنشدني بعضهم)

ويعني بالشكوى الى

الناس اتني

عليل ومن اشكو اليه عليل

ويعني بالشكوى الى

الله أنه

عليه ما ألقاه قبل أقول

(ولا آخر)

اذا ابتليت فتسقى بالله

وارض به

ان الذي يكشف البلوى

هو الله

البأس يقطع أحياناً صاحبه

لا تأس فان الصانع الله

اذا قضى الله فاستسلم لقدرة

ما لا امرئ حيلة فيما قضى الله

وصرف من هذه اللفظة

صابر وصبور وصبار

ومتصبر فالمتصبر من صبر

في الله على المكارة فتارة

يجز وتارة يصبر والصابر

من لا يشكو ولا يجز

والصابر الذي لو دفع عليه

جميع البلايا والحن لم يتغير

وجهه في الحقيقة وان

تغير من وجهه الرسم

والبشرية والخلفة كما

قال القائل

صابر الصبر فاستغاث به الصبر

رفصاح الصبور يا صبر صبرا

وهذا أقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريب منه قول القائل

صبرت على الايام صبرا صارني *

اسرائيل

الى ان يتأدى الحال لا صبر للصبر والصبور هو الثابت على هذه المقامات وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلي باخلاقي

وان من اخلاقى انا الصبور ويقال الصبر لله غنى والصبر بالله تقي والصبر في الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وانشدوا
اذ لعب الرجال بكل شيء * رأيت الحب يلعب بالرجال وكيف الصبر عن حل منى * (٢١١)

وقال المحاسبي بين الصبر
والصبر حالة هي النعم
وذلك اذ ارفع الله له علما
من اعلام الاخرة يده
على منازل الصابرين
عنده فينعم القلب بسرور
النعيم وقال أبو محمد
البحر يرى الصبر هو ان
لا تفرق بين حال النعمة
والحننة مع سكون الخاطر
فيهم والصابر هو السكون
مع البلاء مع وجدان انقال
الحجة وانشدوا

صبرت ولم أطلع هو لك على

صبري

وأخفيت ما بي منك عن

موضع السر

مخافة ان يشكرو ضميري

صبايتي

الى دمعتي سر افترجى ولا

أدرى

وقيل للصبر اسبى بما اذا

يقوى الصابر على صبره

فقال اذا علمت ان في صبرك

رضا مولاك اما سمعت

قول الحكميم

رضيت وقد أرضى اذا

كان مسخطى

من الامر ما فيه رضا صاحب

الامر

وفي معناه

سا صبر كي ترضى وأتلف

حسرة

اسرائيل واباه اسحق من قبله واقام وبارض التبه امره الله باتخاذ قبعة من خشب السنط عين بالوحى مقدارها
وصفتها وهما كلها وثمانيلها وأن يكون فيها التابوت ومائدة بها خافها ومنازة بقناديلها وأن يصنع مذبحا
للقربان وصف ذلك كله في التوراة أكمل وصف فصنع القبعة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذى
فيه الألواح المصنوعة عوضا عن الألواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندها وعهد
الله الى موسى بان يكون هو من صاحب القربان ونصبوا تلك القبعة بين خيامهم في التبه يصعدون اليها
ويتقربون في المذبح امامها ويتعرضون للوحى عندها ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبعة قبلتهم
وموضعها على الصخرة بنيت المقدس وأراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له
ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربعة سنين من ملكه ولجسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام
واخذ عمده من الصخر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه وحيطان به بالذهب وصاغها كلها كوتماثيله
واوعيته ومنازته ومقناحه من الذهب وجعل في ظهره قبرا لضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه
الألواح وجاء به من صهيون بلداً به داود تحمله الاسباز والكهونة حتى وضعه في القبر ووضع القبعة
والاوعية والمذبح كل واحد حيث أعد له من المسجد وأقام كذلك ماشاء الله ثم خربه بختنصر بعد ثمانمائة
سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا وصاغ الهياكل ونثر الأجار ثم لما أعادهم ملوك الفرس بناه
عزير بنى اسرائيل لهم باعانة بهم من ملك الفرس الذى كانت الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي
بختنصر وحدثهم في بنائه حدود داود بن بناء سليمان بن داود عليه السلام فلم يتجاوزوها ثم تداولتهم ملوك
يونان والفرس والروم واستفعل الملك لبني اسرائيل في هذه المدة ثم لبني خنعمان من كهنتهم ثم لصهرهم
هيردوس ولبنيه من بعده وبنى هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتأنق فيه حتى
أكمله في ست سنين فلما جاء طيطس من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها
وأمر أن يزرع مكانه ثم أخذ الروم بدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم في
الاخذ بدين النصارى تارة وتركه أخرى الى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمه هيلانة وارتحلت الى المقدس
في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعيمهم فأخبرها القساسة بان رعى بخشبة على الارض وألقى عليها
القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كانها على قبره
بزعيمهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخبى
مكانها بجزء بزعيمها المساق له بقر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بنيت لهم وهو البيت الذى ولد فيه عيسى عليه
السلام وبقي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحدثهم عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة فأرى
مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجداً على طريق البداة وعظم من شأنه
ما أذن الله من تعظيمه وما سبق من أم الكتاب في فضله حسب ما ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد
مسجده على سنين مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة وفي مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد وألزم ملك الروم أن يبعث
القلعة والمال لبناء هذه المساجد وأن ينمقها وبالفسيفساء فأطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما
ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسمائة من الهجرة في آخرها وكانت في ملكة العبيد بين خلفاء القاهرة من
الشيعة واختل أمرهم زدحفت الفرنجة الى بيت المقدس فحرقوه وملكوا معه عامة ثغور الشام وبنوا على
الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يظلمونها ويقتخرون ببنائها حتى اذا ساله منقل صلاح الدين بن أيوب

وحسبى ان ترضى ويتلقى صبرى قال شيخنا وشكلك لمن تحبه اعظم من شكلك لنفسك هذا أيوب لما أصيب بنفسه قال مسنى الضرب
ويعقوب لما أصيب بجحيمه قال وأسف على يوسف قال أحمد قال لى أبو سليمان الداراني اندرى بما اذا أوال العقلاء اللائعة عن أساء اليهم

قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا ويرى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه اذا أنزلت به مدى بلائى فدعا
فاساطينه بالاجابة فشب كفى فقلت (٢١٢) عبدى أرجل من شئ به أرجل وقيل فى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر الذى

لا شكوى فيه ولا بث
قال أنس ما صبر من بث
وقال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه لا تستغزروا
الدموع بالتذكر وقال
الشاعر
ولا يبعث الا حزان مثل
التذكر
وعما يعين على عظم الاسبى
وشدة الجزع تذكر المسار
المنقضية وتصور المضار
الذاهبة وكثرة الشكوى
والاسف وقال الشاعر
لا تكثر الشكوى الى
الصدق

وارجع الى الخالق لا الخلق
لا يخرج الغريق بالغريق
وفى منشور الحكم المصيبة
بالصبر أعظم المصيبتين
واعلم انه قل من صبر على
شدة الاوال ما يرجوه
من فرج وينبغى لمن نزلت
به مصيبة أو كان فى شدة
أن يسهلها على نفسه ولا
يعقل عن تذكر ما يتقنه
من وجوب الفناء وتقضى
المسار فان الدنيا دار من
لاداره ومال من لا مال له
ولها يجتمع من لا عقل له
وعليها يعادى من لا علم له
وعليها يحسد من لا فقه له
ولها يسعى من لا ثقة له
من صبح فيها سقم ومن سقم
فيها برم ومن افتقر فيها خزن

السكرى بملك مصر والشام ومحا أثر العبدىين وبدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة
حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا مملوكوه من ثغور الشام وذلك لثغوثا بن وخمسائة من الهجرة
وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبنى المسجد على النوى الذى هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك
الاشكال المعروف فى الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أول بيت وضع فقال مكة قيل
ثم أى قال بيت المقدس قيل فكلم بينهم ما قال اربعون سنة فان المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس
بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان بنى به وهو ينفى على الالف بكثير * واعلم ان المراد بالوضع فى
الحديث ليس البناء وانما المراد اول بيت عين للعبادة ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل
بناء سليمان بمثل هذه المدة وقد نقل أن الصائبة بنوا على الصخرة هيكلا الزهرة فاعل ذلك انها كانت مكانا
للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الاصنام والتماثيل حوالى الكعبة وفى جوفها والصابئة الذين بنوا هيكلا
الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبع مدة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت
المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان اول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فنفقه
ففيه حل هذا الاشكال * (وأما المدينة) * وهى المسماة ببيترب فهى من بناء يثرب بن مهلاثل من العمالة
وملكها بنو اسرائيل من أيديهم فيما مملوكوه من أرض الحجاز ثم جاورهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم
عليها وعلى حصونها ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر اليها ومعه
ابو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبني مسجده وبيوته فى الموضع الذى كان الله قد أعد له لذلك وشرفه فى سابق
أزله وآواه أبناء قيلة ونصروه فلذلك سمو الانصار وسمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات
وغلب على قومه وفتح مكة ومملكها ووطن الانصار أنه يتحول عنهم الى بلده فاهمهم ذلك فخاطبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبرهم انه غير متحول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان لمحله الشريف بها وجاء
فى فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا يخافه ووقع الخلاف بين العلماء فى تفضيلها على مكة وبه قال مالك
رحمه الله لما ثبت عنده فى ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
المدينة خير من مكة نقل ذلك عبد الوهاب فى المعونة الى احاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف أبو
حنيفة والشافعى * وأصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام وجنح اليها الامم بافئدتهم من كل أوب
فانظر كيف تدرجت الفضيلة فى هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتفهم سر الله فى الكون
وتدريجها على ترتيب محكم فى أمور الدين والدنيا * وأما غيرها هذه المساجد الثلاثة فلا تعلم فى الارض
الا بما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شئ يعول عليه وقد
كانت للامم فى القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة نزعهم منها بيوت النار للفرس وهياكل يونان
وبيوت العرب بالحجاز اتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم لم يهدمها فى غزواته وقد ذكر المسعودى منها بيوتا
لسنام ذكرها فى شئ اذهى غير مشروعة ولا هى على طريق دينى ولا يلتفت اليها ولا الى الخبر عنها ويكفى
فى ذلك ما وقع فى النوارىخ فن أراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء سبيلها

٧ * (فصل فى أن المدن والامصار باقرية والمغرب قليلة) *

والسبب فى ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ آلاف من السنين قبل الاسلام وكان عمرانها كاله بدويا
ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها والدول التى ملكتهم من الافرنجة والعرب لم يطل أمد ملكهم
فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تنزل عوائد البدو وشؤونها فكانوا اليها أقرب فلم تسكن مبانيهم - م وأياها

ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لا خيرها يدوم ولا شرها يبتقى ولا فيها الخلق
بقا فاذ انصورت حقيقتها خفيش تديرى الحوادث سهلة والمصائب هينة وقال الشاعر يمثل ذواللب فى نفسه * مصائب من قبل ان تنزلا

فان نزلت بغنة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلاً رأى الامر يقضى الى آخر * فصير آخره اولاً وقال بعض الحكماء من حاذر لم يخذع
ومن راقب لم يباع ومن كان متوقفاً لم يلف متوجعاً ومن لم يشعر نفسه بما ذكرنا (٢١٣) من احوال الدنيا وتقضى المسار ثم التواء

في المحودين اطلاق الترب
والجنادل قد فارقوا الاحباء
وهجرة القرباء والبعدهاء
الفتنة المحوادث وابقا فسلبته
الصبر وضاعت عليه
الاشى وقال ابن الرومي
ان البلاء يطاق غير
مضاعف
فاذا تضاعف فهو غير مطاق
وانشدوا
تعودت مس الضر حتى
الفتنة

واسلمني حسن العزاء الى
الصبر
ووسع صدرى للاذى كثرة
الاذى
وان كنت احياناً يضيقي
به صدرى
وحسن لي ياسى من الناس
كلهم
لعمري يصنع الله من حيث
لا أدري
وبعض الاعراب
تعرفان الصبر بالحرجل
وليس على ريب الزمان
معول
فلو كان يغني ان يرى المرء
جازعاً
لناثية أو كان يغني التبدل
لكان التعزى عند كل
مصيبة
ونازلة بالحرجل وأجل
فكيف وكل ليس يعدو
جسامه

فالصنائع بعدة عن البربر لانهم أعرق في البدو والصنائع من توابع الحضارة وانما تتم المبانى بها فلا بد
من الحذق في تعلمها فلما لم يكن للبربر انتحال لها لم يكن لهم تشوف الى المبانى فضلاً عن المدن وأيضاً فهم
أهل عصبية وانساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم والانساب والعصبية اجنح الى البدو وانما يدعوا الى
المدن الدعة والسكون و يصيرسا كنهاعيا لا على حاميها فتجد اهل البدو لذلك يستنكفون عن سكنى
المدينة او الاقامة بها ولا يدعوا الى ذلك الا الترف والغنى وقيل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افر بنية
والمغرب كله أو أكثره بدو بالاهل خيام وظوا عن وقياطن وكنن في الجبال وكان عمران بلاد العجم كله
أو أكثره قري وأما صارا ورسا تيق من بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم وأما مالها لان العجم في
الغالب ليسوا بالاهل انساب يحافظون عليها ويتناغون في صراحتها والقمامة الا في الاقل وأكثر ما يكون
سكنى البدو لاهل الانساب لان حجة النسب أقرب وأشدد فكون عصبية كذلك وتزع بصاحبها الى
سكنى البدو والتجافى عن المصر الذي يذهب بالمسالة ويصير به عبالا على غيره فافهمه وقس عليه والله
سبحانه ونعالي اعلم وبه التوفيق

٨ (فصل في أن المبانى والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول) *
والسبب في ذلك ما ذكرنا من انه في البربر بعينه اذ العرب أيضاً أعرق في البدو وابتعد عن الصنائع وايضا
فكانوا اجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما تاملوا كدها لم ينفسح الامد حتى تستوفى
رسوم الحضارة مع انهم استغنوا بما وجدوا من مبانى غيرهم وايضا فكان الدين أول الامر ما ناعا من المغالاة
في البنيان والاسراف فيه في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع
الحرج في القصب الذي كانوا بنوه من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن احد على ثلاثة آيات ولا تطاولوا
في البنيان والزمو السنة تلمزمكم الدولة وعهد الى الوفود تقدم الى الناس ان لا يرفعوا بنياناً فوق القدر قالوا
وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتخرج في أمثال هذه
المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب أمة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والمبانى ودعاهم
الى احوال الدعة والترف فيئذ شيدوا المبانى والمصانع وكان عهد ذلك قريماً بانقراض الدولة ولم ينفسح
الامد لكثرة البناء واختطاط المدن والامصار الا قليلاً وليس كذلك غيرهم من الامم فالفرس طالت مدتهم
آلاف من السنين وكذلك القبط والنبط والروم وكذلك العرب الاولى من عاد وحمود والعمالة والتبابعة
طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم فكانت مبانىهم وهباً كلهم أكثر عدداً وبقى على الايام أثراً
واستبصر في هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن عليها

٩ (فصل في أن المبانى التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل) *
والسبب في ذلك شأن البدو والبعده عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المبانى وثيقة في تشييدها وله والله
اعلم وجه آخر هو أوسع من ذلك فله مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب
الهوا والمياه والمزارع والمراعى فانه بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصر وردائه من حيث العمران
الطبيعي والعرب يعزل عن هذا وانما يراعون مراعى ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب أو خبت ولا قل
أو كثر ولا يسألون عن زكاه المزارع والنبات والاهوية لا تنقلهم في الارض ونقلهم المحبوب من البلد
البعيد وأما الرياح فالتفرغ مختلف للهاب كلها والظعن كليل لهم بطيها لان الرياح انما تختبئ مع القرار
والسكنى وكثرة الفضلات وانظر الى اختطاط الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الا

وملا امرئ عما قضى الله مرحل ولا ذللت الذي ليس يحمل
فان تكن الايام فينا تبدلت * بيؤس ونعمى والحوادث تفعل
ولكن وجدناها نفوساً كريمة * تحمل ما لا تستطيع فتحمل
فان كنت مناقاة صليمة * وقينا بفضل الله مناقنا فوسنا *

فصحت لنا الاعراض والناس هزل * (الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر) * قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام
يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك (٢١٤) فيكيدوا لك كيدا فلما افشى يوسف رؤياه بشهد امرأه يعقوب اخبرته اخوته فلما به

مراحي ابلهم وما يقرب من القفر ومساكن الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها
مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدمنا أنه يحتاج اليه في حفظ العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار
ولم تكن في وسط الامم فمعهما الناس فلاول وهلة من انحلال امرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سببا
لها في عليها الخراب والانحلال كان لم تكن والله يحكم لامعقب لحكمه

١٠ * (فصل في مبادئ الخراب في الامصار) *

اعلم ان الامصار اذا اختطت اولاً تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والخير وغيرهما مما
يعالي على المحيطان عند التناثق كالزليج والرخام والر بيج والزجاج والفسيفساء والصدف فيكون بناؤها
يومئذ يدو يا ولا تهافتا مدة فاذا عظم عمران المدينة وكثرت كثر آلات بكثرة الاعمال حينئذ
وكثرة الصنائع الى أن تبلغ غايتها من ذلك كما سبق شأنها فاذا تراجع عمرانها وخف ساكنها قلت الصنائع
لاجل ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالة عليه بالتمهيق ثم تقل الاعمال لعدم المساكن
فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما فتنقص دويصير بناؤها وتشمدهم من الآلات التي في
مبانيهم فينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاا كثر المصانع والقصور والمنازل بقلعة العمران وقصوره
عما كان اولاً ثم لا تزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى أن يفقد الكثير منها حاجة فيهودون
الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عن التمهيق بالكلية فيعود بناء المدينة
مثل بناء القرى والمدن ويظهر عليها سيما البداوة ثم تمرى التناقص الى غايتها من الخراب ان قدر لها به
سنة الله في خلقه

١١ * (فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها وتفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة) *

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وأنهم
متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورتها الاكثر من
عدددهم أضعافا لقوت من الخنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه واذا انتدب لتحصيله السعة
أو العشرة من حداد ونجار للآلات وقائم على البقرة وأتارة الأرض وحصاد السنبيل وسائر مؤن القمح
وتوزعوا على تلك الاعمال واجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت لضعافهم
مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم فأهل مدينة أو مصر اذا وزعت
أعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالقل من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها
زائدة على الضرورت وقصر في حالات الترف وعوائده وما يحتاج اليه غيره من أهل الامصار
ويستجلبونه منهم باعواضه وفيه فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب
الكسب والرفق أن المكاسب انما هي قيم الاعمال فاذا كثر الاعمال كثر قيمها بينهم فكثرت
مكاسبهم وازدهرتهم ماحوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته من التناثق في المساكن والملابس
واستجادة الآنية والمساعدون واتخاذ الخدم والمراكب وهذه كلها أعمال تستدعي بغيرها ويختار المهرة
في صناعاتها والقيام عليها فتتفق أسواق الاعمال والصنائع ويكثر دخل المصر وخرجه ويحصل اليسار
لمنتحلي ذلك من قبل اعمالهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثانية ثم زاد الترف فابالالكسب وزادت
عوائده وحاجاته واستتبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب في المدينة لذلك ثانية

ما حل وفي الحديث
استعينوا على قضاء المحواج
بالكتمان فان كل ذي
نعمة محسود واعلم ان
كتمان السر من الخصال
المجودة في جميع الخلق
ومن اللوازم في حق
الملوك ومن الغرائض
الواجبة على الوزراء وجلساء
الملوك والاتباع قال علي
رضي الله عنه سر ك أسيرك
فاذا تكلمت به صرت أسيره
واعلم أن أمناء الاسرار أشد
تعذرا وأقل وجودا من أمناء
الاموال وحفظ الاموال
أسير من كتم الاسرار فان
أحراز الاموال منهمة
بالابواب والاقفال وأحراز
الاسرار بارز في زيدها لسان
ناطق ويشيعها كلام سابق
وعبء الاسرار أثقل من
عبء الاموال وان الرجل
يستقل بالمثل الثقيل يحمله
ويشقى به ويقله ولا يستطيع
كتم السر وان الرجل
يكون سره في قلبه فيلحقه
من القلق والكرب مالا
يلحقه بحمل الاثقال فاذا
أذاعه استراح قلبه وسكن
حاشه وكفألقى عن
نفسه جبلا وقال عمر بن
عبد العزيز القلوب أوعية
والشفاه أفتالها والالسن
مفتاحها فيحفظ كل امرئ

مفتاح سره ومن أعجب الامور ان اغلاق الدنيا كلها كثر خزائنها كان أوثق لها الا السر
فانه كلما كثر خزائنه كان أضيع له وكمن اظهر سر اراق دم صاحبه ومنع من بلوغ ما ربه ولو كتمه أمن من سطواته قال انوشير وان من

ونعت

حصن سره فله بتحصنه خصلتان الطفر بحاجته والسلامة من السطوات وقال بعض الحكماء سر من دمك فلا تجره في غير أوداجك
فاذا تكلمت به فقد آرقته وكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه كاتب يقال له حمران (٢١٥) فاشتكى عثمان فقال اكتب العهد

بعدى لعبد الرحمن بن عوف

فقال حمران لعبد الرحمن

البشري فقال لعبد الرحمن

للك بشري بماذا فخبره

الخبر فانطلق لعبد الرحمن

فاخبر عثمان فقال عثمان

أعاهد الله أن لا يساكني

حمران أبدا ونفاه الى البصرة

فلم يزل بها حتى قتل عثمان

رضي الله عنه هو أعلم ان

كتمان الاسرار يدل على

جواهر الرجال وكما انه لا خير

في آنية لا تملك ما فيها فلا

خير في انسان لا يملك سره

ويروي ان رجلا أودع

سره عند رجل فقال له

افهمت قال بل جهات

قال احفظت قال بل نسيت

وقيل لبعضهم كيف كتمك

لست قال اجد الخبر وأخلف

للمستخبر وقال الشاعر

ولو قد دنت على كتمان

ما شملت

من الضلوع على الاسرار

والخبر

لكنت أول من يشي

سرايره

اذ كنت من نشرها يوما

على خطر

قال شيخنا ومن أحسن شيء

سمعت في كتمان السر

ما نشدني بعض فقهاء

البصرة بالبصرة فقال

ولها سر أثري الضمير طويتها

ونفقت سوق الاعمال بها أكثر من الاول وكذا في الزيادة الثانية والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها
تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش فالمصر اذا فضل بعمران واحد فضله
بزيادة كسب ورفه وبعوائد من الترف لا توجد في الاخرة فاما كان عمرانه من الامصار أكثر او فركان
حال اهله في الترف أبلغ من حال امصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف القاضى مع القاضى والتاجر
مع التاجر والصانع مع الصانع والسوقي مع السوقي والامير مع الامير والشرطي مع الشرطي واعتبر ذلك في
المغرب مثلا بحال فاس مع غيرها من امصار الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة تجذب بينهما بونا كثير على
المجالة ثم على الخصوصيات فحال القاضى بفاس اوسع من حال القاضى بتلمسان وهكذا كل صنف مع
صنف اهله وكذا ايضا حال تلمسان مع وهران او الجزائر وحال وهران مع الجزائر مع مادونهما الى أن تنتهي
الى المداشر الذين اعتمدت على ضروريات معاشهم فقط ويقصرون عنها وما ذلك الا لتفاوت الاعمال فيها
فكانها كلها أسواق للاعمال والمخرج في كل سوق على نسبه فالقاضى بفاس دخله كفاء خرجته وكذا القاضى
بتلمسان وحيث الدخل والمخرج أكثر تكون الاحوال اعظم وهم بفاس أكثر لتفاوت سوق الاعمال بما
يدعو اليه الترف فالاحوال أضخم ثم كذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وسكرة حتى تنتهي كما قلناه الى
الامصار التي لا توفى اعمالها بضرورتها ولا تعد في الامصار اذهى من قبيل القرى والمداشر فلذلك تجدد
اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال متقاربين في الفقر والخصاصة لما أن اعمالهم لا تفي بضرورتهم
ولا يفضل ما يتأثرونه كسبا فلا تنمو وكما سبهم وهم لذلك مساكين محاييج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك
حتى في احوال الفقراء والسؤال فان السائل بفاس أحسن حالا من السائل بتلمسان أو وهران ولقد شاهدت
بفاس السؤال يسألون أيام الاضاحى اثمان ضخما ياهم ورأيتهم يسألون كثير من احوال الترف واقترح
المساكل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والمساكن كالغربال والانية ولوسائل سائل
مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجر يبلغنا لهذا العهد عن احوال القاهرة ومصر من الترف
والغنى في عوائدهم ما يقضى منه العجب حتى ان كثير من الفقراء بالمغرب ينزعون من النقلة الى مصر
لذلك ولما يبلغهم من ان شأن الرفه بمصر اعظم من غير ما هو يعتد العامة من الناس ان ذلك لزيادة ايشار
في اهل تلك الاقاليم على غيرهم أو اموال مخزنة لديهم وأنهم أكثر صدقة وايشار من جميع اهل الامصار
وليس كذلك وانما هو ما تعرفه من أن عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذه الامصار التي لديك
فعظمت لذلك احوالهم * وأما حال الدخل والمخرج فتكافئ في جميع الامصار ومتى عظم الدخل عظم
المخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل والمخرج اتسعت احوال الساكن ووسع المصير كل شيء يبلغك من
مثل هذا فلا تنكره واعتبره بكثره العمران وما يكون عنه من كثرة المساكين التي يسهل بسببها البذل
والايشار على مبتغيه ومثله بشأن الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف يختلف احوالها في
هجرانها وغشيانها فان بيوت اهل النعم والثروة والموائد الخصب منها تكثر بساحتها وأقنيتها بنثر المحبوب
وسواقط الفتات فيزدحم عليها غواشي النمل والحشاش ويحلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطانا
وتعتلى شجعاور يا وبيوت اهل الخصاصة والفقراء الكاسدة ارضا قهمل لا يسرى بساحتها ديب ولا يحلق
بجوها طائر ولا تاوى الى زوايا بيوتهم فارة ولا هرة كما قال الشاعر

تسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فتأمل سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الاناسي بغاشية العجم من الحيوانات وفئات الموائد بفضللات

نسي الضمير بانها في طيه وفي معناه ومستودعي سرا كتمت مكانه * عن الحسن خوقان ينم به الحسن
ونفقت عليه من هوى النفس شهرة * فاودعته في حيث لا تبلغ النفس قال العتيبي أسرمع اوبى رضي الله عنه الى عثمان بن عتبة

حديثا فقلت لاني ان أمير المؤمنين أسرى حديثا فأحدثك به قال لا من كنتم حديثا كان الخبر له ومن أظهره كان الخبر عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكك قالت (٢١٦) يا ابت أفيدخل هذا بين الرجل وأبيه قال لا يا بني ولكن أكره ان تذلل لسانك بأفشاء

الرزق والترف وسهولتها على من يمد لها الاستغناء عنهم في الاكثر لوجود أمثالها لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمر ان تأسع لكثرة وتعالى الله سبحانه وتعالى اعلم وهو غني عن العالمين

١٢ * (فصل في اسعار المدن) *

اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فيها الضر وري وهي الاقوات من الخنطة وما في معناها كالباقل والبصل والثوم وأشباهه ومنها الحماجي والكمالي مثل الادم والقواكه والمالبس والمساكن والمراكب وسائر المصانع والمباني فاذا اسسبحر المصري وكثرت اسعار الضر وري من القوت وما في معناها وغلت اسعار الكمالي من الادم والقواكه وما يتبعها واذ قل ساكن المصري وضعف عمرانه كان الامر بالعكس والسبب في ذلك ان المحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواهي على اتخاذها اذ كل احد لا يميل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره أو سنة فيبيع اتخاذها لاهل مصر أجمع اولا اكثر منهم في ذلك المصري او فيما قرب منه لا بد من ذلك وكل متخذ لقوته فيفضل عنه وعن اهل بيته فضلة كبيرة تسد خلة كثير من اهل ذلك المصري فتفضل الاقوات عن اهل مصر من غير شك فترخص اسعارها في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الاقوات السماوية ولولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الاقوات ابدلت دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران وأما سائر المرافق من الادم والقواكه وما اليها فانها لا تبيع بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل مصر أجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصري اذا كان مستبحرا موفورا العمران كثير حاجات الترف توفرت حيث تزداد الدواهي على طاب تلك المرافق والاسسبحر منها كل بحسب حاله فيبصر الموجد منها على الحاجات قصورا بالغا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم اهل الأغراض ويبدل اهل الرفه والترف أثمانها باسراف في الغلاء لحاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كما تراه * وأما الصنائع والاعمال ايضا في الامصار الموفورة العمران فسبب الغلاء فيها امور ثلاثة الاول كثرة الحاجة اليها كان الترف في مصر بكثرة عمرانه والثاني اعتزاز اهل الاعمال بالخدمتهم وامتنان أنفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة اقواتها والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم الى امتنان غيرهم والى استعمال الصنائع في مهنتهم فيبذلون في ذلك لاهل الاعمال اكثر من قيمة أعمالهم مزاجية ومنافسة في الاستئثار بها فيعتز العمال والصنائع وأهل الحرف وتغلو أعمالهم وتكثر نفقات اهل مصر في ذلك * وأما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن فاقواتهم قليلة لقلية العمل فيها وما يتوقعه لصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه في أيديهم ويحتكرونه فيعزونه لديهم ويغلو ثمنه على مستامه واما مرافقهم فلا تدعو اليها ايضا حاجة بقلة الساكن وضعف الاحوال فلا تنفق لديهم سوقه فيخص بالرخص في سعره وقد يدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة ما يعرض عليه من المكوس والمغارم للسلطان في الاسواق وابواب الحفر والحياة في منافع وصولها عن البيوعات لما يسد بهم وبذلك كانت الاسعار في الامصار اعلى من الاسعار في البادية اذ المكوس والمغارم والقراض قليلة لديهم او معدومة وكثرتها في الامصار لا سيما في آخر الدولة وقد تدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة علاجها في الفلح ويحافظ على ذلك في اسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك أنهم لما ألجأهم النصارى الى سيف البحر وبلادهم المتوعدة الحبيشة الزراعة الذكدة النباتات وملكوها عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا الى علاج المزارع والقطن لاصلاح نباتها وفلحها وكان ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغیره لها مؤنة وصارت في فلحهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم واخص قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطرهم

السر قال فحدثت به معاوية فقال اعتقل أنحى من رق الخطا وقيل لبعض الملوك ما أصعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويحكم سره وقال قيس بن الخطيم أجود بكم تكون البلاد وانتي بسرك عن سألني لضيئين اذا جاؤا زلاثنين سر فانه يبيت ويكثير الوشاة قين وان ضيع الاقوام سرا فانتى

كتوم لاسرار العشير أمين يكون له عندي اذا ما ضمتته مكان سويدها القوادم كين قال شيخنا قلت الناس يقولون اراد بالاثنيين المودع والمودع ولا يبعد ان يريد به الشفتين وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبدده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا وقد روى في الحديث عن النبي عليه السلام انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة قلت واذا كانت امانة حرمت فيها الخيانة كالامانة في الاموال وقال أبو بكر بن خزم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يقشي على صاحبه ما يكره وقال

هشام بن عروة ما من رجل ينتقص من امانته الا انتقص ايمانه وقال جعفر بن عثمان يا ذا الذي اودعني سره * النصارى لا ترجع أن تسمعه مني لم أجرح قط على فكرتي * كانه لم يجر في اني وكان عمرو بن العاص يقول ما أنشيت سرى الى رجل فافشاء

على فلمنه إذا كان صدري أضييق به وقال الأحنف بن قيس يضيق صدرا أحدهم بسره حتى يحدث به ثم يقول أكنمه على وفي منشور
الحكم أنقر بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وأنشدا

(٢١٧)

فصدر الذي يستودع السر

أضييق

وفي منشور الحكم من أفنى

سره كثر عليه المتأمرون

وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ

وسر ثلاثة غير الخفي

(وقال آخر)

ولا تنطق بسرك كل سر

إذا ما جاوزا لاثني فاشي

(وقال آخر)

تبوح بسرك ضيقه

وتبغى لسرك من يكم

وكم مائل السر فيماتخاف

وفيما تحاذره أخرم

إذا ذاع سرك من مخبر

فانت اذالمه ألوم

(وقال آخر)

إذا مضاق صدرك من

حديث

وأفشته الرجال فن تلوم

وان عابت من أفشى

حديثي

وسرى عنده فانا الموم

وقال الحكم ما كنمه من

عدوك فلا تطلعن عليه

صديقك فان لم يكن لك بد

من اذا عنته لقرينة تقتضيه

من صديق مساهم او

استشارة ناصح مسالم فن

صفات أمين الاسرار ان

يكون ذاعقل ودين ونصيح

ومروءة فان هذه أمور تمنع

من الاذاعة وتوجب حفظ

الامانة ومن كليات فيه

النصارى الى هذا المعمور بالاسلام مع سواهم الاجل ذلك ويحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الاسعار في
قطرهم انها القلة الاقوات والحبوب في أرضهم وليس كذلك فهم اكثر اهل المعمور فلما علمناه واقومهم
عليه وقل ان يخجلونهم سلطان أو سوقة عن قدان أو مزرعة أو فلاح الا قليل من أهل الصناعات والمهن أو
الطراء على الوطن من الغزاة المجاهدين ولهذا يختصهم السلطان في عطائهم بالعولة وهي أقواتهم وعلوفاتهم
من الزرع وانما السبب في غلاء سعر الحبوب عندهم ما ذكرناه ولما كانت بلاد البربر بالعكس من
ذلك في زكاه منابتهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المئون جملة في الفلح مع كثرة وعمومه فصار ذلك سببا
لرخص الاقوات ببلادهم والله مقدور الليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب سواه

١٣ *(فصل في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران)*

والسبب في ذلك أن المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنه من أجل الترف
وتعتاد طلب الحاجات لما بدعوا اليها فتقلب ضرورات وتصير فيه الاعمال كلها مع ذلك عزيزة والمرافق
غالية بازدياد الحاجات لا بدعوا اليها فتقلب ضرورات وتصير فيه الاعمال كلها مع ذلك عزيزة والمرافق
وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثره
بالغة على نسبة عمرانه ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات
عيشهم وسائر مؤنهم والبدوى لم يكن دخله كثيرا اذا كان ساكنا كما يمكن كساد الاسواق في الاعمال التي
هي سبب الكسب فلم يتأثر كسبا ولا مالا لافتة عذره عليه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مراحقه
وعزلة حاجاته وهو في بدو يسد خلته باقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنونه فلا يضطر
الى المال وكل من يتشوف الى المصر وسكنائه من أهل البادية فسر يعاما يظهر عجزه ويقتضخ في استيظانه
الامن يقدم منهم تأثر المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويحجى الى الغاية الطبيعية لاهل العمران من
الدعة والترف فيمنع فينتقل الى المصر وينتظم حاله مع احوال أهله في عوائدهم وترفعهم وهكذا شأن بداية
عمران الامصار والله بكل شيء محيط

١٤ *(فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقير مثل الامصار)*

(اعلم) ان ما توفر عمرانه من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثرتا كنه اتسعت احوال أهله وكثرت
اموالهم وامصارهم وعظمت دولهم وعمالهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما
سأقنى ذكره من انها سبب للثروة بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة
البالغة على مقدار العمران وكثرت فيعود على الناس كسبا يتألمونه حسبا نذ كذا في فصل المعاش
وبيان الرزق والكسب فيتميز بدارفه لذلك وتنسج الاحوال ويحجى الى الغاية الطبيعية لاهل العمران من
بنفاق الاسواق فيكثر مالها ويشمخ سلطانها وتنسج في اتخاذ المعامل والمحصول واختطاط المدن وتشييد
الامصار واعتبر ذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها
واقطارها وراة البحر الرومي لما كثر عمرانها كيف كثر المال فيها وعظمت دولتهم وتعددت مدنها
وحواضرهم وعظمت متاجرهم وأحوالهم فالذي نشاهد له ذا العهد من احوال تجار الامم النصرانية
الواردين على المسلمين بالمغرب في رفاههم واتساع احوالهم أكثر من أن يحيط به الوصف وكذا تجار أهل
المشرق وما يبلغنا عن احوالهم وأبلغ منها احوال أهل المشرق الاقصى من عراق العجم والهند والصين فانه
يلغنا عنهم في باب الغنى والرفه غرائب تسير الركب ان يحمد فيتهاور بما تتلقى بالانكار في غالب الامر

(٢٨ - ابن خلدون) فهو عتقاء مغرب ولا تودع سرك عند من يستدعيه فان طالب الوديعة حائن قال صاحب بن عبد القدوس لا تدع
سر الى طالبه منك والطالب للسرمذيع وفي الجملة اذا زال سرك عن عذبة لسانك فلا ذاعة مستولية عليه وان أودعته قلب ناصح محب

فاحتمال مرارة الكتمان على قلبك أسهل عليك من التملل بتمليك شرك غيرك واعلم ان افشاء سر غيرك اذبح من اظهار سر نفسك
لانه يروح باحدى وصفتين اما الخيانة (٢١٨) ان كان مؤتمنا او النميمه ان كان مستخبرا وقال بعض الحكماء لابنه يا بني كن جوادا

ويحسب من يسمعها من العامة ان ذلك لزيادة في اموالهم اولان المعادن الذهبية والفضية أكثر بارضهم
اولان ذهب الاقدمين من الامم استأثروا به دون غيرهم وليس كذلك فعند الذهب الذي نعرفه في هذه
الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب أقرب وجميع ما في أرضهم من البضاعة فأنما يجلبونه
الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال عتية دامو فورا لديهم لما جلبوا بضائعهم الى سواهم يبتغون بها
الاموال ولا يستغنوا عن اموال الناس بالجملة ولقد ذهب المتجهون لما رأوا مثل ذلك واستغربوا ما في
المشرق من كثرة الاحوال واتساعها ووفور اموالها فقا لبان عطايا الكواكب والسهام في مواليد اهل
المشرق أكثر منها حصصا في مواليد اهل المغرب وذلك صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية
والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما اعطوا في ذلك السبب النجومي وبقى عليهم ان يعطوا السبب الارضي
وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بارض المشرق واقطاره وكثرة العمران تقيد كثرة الكسب
بكثرة الاعمال التي هي سببه فلذلك اختص المشرق بالرفعة من بين الاقاليم لان ذلك لمجرد الاثر النجومي
فقد فهمت مما اشترنا لك اولانه لا يستقل بذلك وان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعته امر لا يد
منه واعتبر حال هذا الرفعة من العمران في قطراف يقية وبرقة لما خف سكناها وتناقص عمرانها كيف
تلاشت احوال اهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها فقلت اموال دولها بعد ان كانت
دول السعة وصنماجة بها على ما بلغك من الرفعة وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في نفقاتهم واعطياتهم
حتى لقد كانت الاموال ترفع من القبر وان الى صاحب مصر لمحاته ومهماته وكانت اموال الدولة بحيث
جمل جوهر الكاتب في سفره الى فتح مصر الف رجل من المال يستعدها لارزاق الجنود واعطياتهم
ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان كان في الفرج ديم دون افر يقية فلم يكن بالنسبة الى ذلك وكانت احواله
في دول الموحد من متسعة وجباياته موفورة وهو هذا العهد قد أقصر عن ذلك لتقصوور العمران فيه وتناقصه
فقد ذهب من عمران البربر فيه أكثر ونقص عن معهوده نقصا ظاهرا محسوسا وكاد ان يلحق في احواله
بمثل احوال افر يقية بعد ان كان عمرانها متصلا من البحر الرومي الى بلاد السودان في طول ما بين السوس
الاقصى وبرقة وهي اليوم كلها او أكثرها قفار وخلاء وصحارى الاما هو منها بسيف البحر او ما يقارب من
التلول والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

١٥ * (فصل في تأمل العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومستعلااتها) *

(اعلم) ان تأمل العقار والضياع الكثرة لاهل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة ولا في عصر واحد
اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمها على الدولو بلغت احوالهم في
الرفعة ما عسى ان تبلغ وانما يكون ملكهم وتاثلهم لها تدريجا اما بالورثة من آباءه وذوى رحمه حتى تتأدى
املاك الكثيرين منهم الى الواحد دوا كثر لذلك أو ان يكون بحواله الاسواق فان العقار في آخر الدولة
وأول الاخرى عند دفناء الحامية وخرق السياج وتداعى المصر الى الخراب تقل الغبطة به لقلة المنفعة فيها
بتلاشي الاحوال فترخص قيمها وتملك بالاعمان الدسيرة وتتخطى بالميراث الى ملك آخر وقد استجد المصر
شبابه باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له احوال رائقة حسنة تحصل معها الغبطة في العقار والضياع
لكثرة منافعها حينئذ ذقت عظم قيمها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهذا معنى الحواله فيها ويصبح
مالها من اغنى اهل مصر وليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته تجزع من مثل ذلك واما فوائدها العقار
والضياع فهي غير كافية لما لكها في حاجات معاشه اذ هي لا تنفي بعوائد الترف والسبابه وانما هي في

بالمال في مواضع الحق
ضئيلة بالاسرار عن جميع
الخاف فان أجد جود المرء
الاتفاق في وجه البر والنجل
بكنوم السر وكان يقال
صدور الاحرار قبور الاسرار
وقال الشاعر

ألم تر ان وشاة الرجا
لا يتركون أديما صيحجا
فلا تنفس شرك الا اليك
فان لكل نصيح نصيحا
* (وقال غيره) *

ماكل مكتوم يباح به
احذر اسائك من جوابه
ليس الهوى ما كنت
تعرفه

أيام تلعب في جوانبه
هذا هو لوقد فحمت به
ضحك الحسام الى مضاربه
* (الباب الرابع والثلاثون

في بيان الخصلة التي هي
رهن بسائر الخصال وزعيم
بالمز يدمن النعماء والآلاء
من ذى الحلال) *

وهي الشكر قال الله تعالى
حكاية عن سليمان عليه
السلام وقد آتاه الله ملكا
الدينيا والجن والانس
والطير والوحش والرياح
تجربى بامر كيف أراد
فلما استمكن ملكه قال
صلى الله عليه وسلم هذا من
فضل ربى ليلوفى أشكر
أم أ كفر فاعدها نعمة

كما عدها ملوك الارض ولا حسبها كرامة من الله تعالى عليه كظنهم املوك الارض بل خاف ان تكون
استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى في امة اراد هلاكهم سنمستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين جاء في التفسير أصيب

عليهم النعم وأنسبهم الاستغفار وإنما الفرح بما أوتي من الدنيا والغبطة بمرورها والاعتقاد بزخرفها من شدة عار الكفار لا ترى إلى قول
قارون اللعين إنما أوتيته على علم عندي وكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفناه (٢١٩) و بداره الأرض ولما خاف سليمان عليه

السلام أن يكون استدراجا
كان جوابه ما قال الله تعالى
هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك
بغير حساب واعلم أن ذلك
الله أن الشكر ليس هو
حافظ النعم فقط بل هو مع
حفظه لها زعيم بزيادة
النعم وأمان من حلول النقم

والشكر على ثلاث مراتب
شكر بالقلب وشكر
باللسان وشكر بالجوارح
فأما الشكر الواجب على
جميع الخلق فذكر القلب
وهو أن يعلم أن النعمة من
الله وحده ولا نعمة على
الخلق من أهل السموات
والأرض الا وبدايتهم من
الله تعالى حتى يكون
الشكر لله تعالى عن نفسك

وعن غيرك بمعرفة نعم الله
تعالى عليك وعلى غيرك
وهذا النوع هو الذي يقال
فيه يجب على العبد أن
يشكر الله على نعمه أسديت
إلى غيره والدليل على أن
الشكر محله القلب وهو
المعرفة قوله تعالى وما بكم
من نعمه فمن الله أي أيقنوا
أنهم من الله وإلى هذه
الكلمة انتهى جميع
مآله الخلق في الشكر
والدليل عليه أيضا قوله
تعالى ولقد نصرتكم لله بدار
وأنتم أذلة فاقنوا الله لعلكم

الغالب لسد الخلة وضرورة المعاش والذي سمعناه من مشيخة البلدان أن القصة بذاقتنا الملك من العقار
والضياع إنما هو الحشية على من يترك خلفه من الذرية الضعفاء ليكون مرباهم به ورزقهم فيه ونشؤهم
بقائده ماداموا عاجزين عن الاكتساب فإذا اقتدر وأعلى تحصيل المكاسب وافهم بانفسهم وربما
يكون من الولد من يعجز عن التكسب اضغاف في بدنه أو آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك العقار قواما
لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائهم وما التمول منه وأجزاء أحوال المترفين فلا وقد يحصل ذلك عنه للقليل
أو النادر بحالة الاسواق وحصول الكثرة بالانعمته والعالي في جنسه ووقيمته في المصرا لأن ذلك إذا
حصل ربما امتدت إليه عين الامراء والولاة واغتصب به وفي الغالب أو أرادوه على بيعه منهم ونالت أصحابه
منه مضار ومعاطب والله غالب على أمره وهو رب العرش العظيم

١٦ * (فصل في حاجات المتولين من أهل الامصار إلى الجاه والمدافعة) *

وذلك أن الحضري إذا عظم تموله وكثر له عقار والضياع تأثله وأصبح اغنى أهل المصرو ومقته العيون بذلك
وانفسخت أحواله في الترف والعوائد زادتم عليها الامراء والملوك وغصوبه ولما في طباع البشر من
العدوان تمتد أعيانهم إلى تملك ما بيده وينافسون فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في رتبة
حكم سلطاني وسبب من المؤاخذة طاهرية تنزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية حادثة في الغالب
إذا عدل المحض إنما هو في الخلافة الشرعية وهي قلبه لئلا يثبت قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى
ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضو صافلا بد حثيثا لصاحب المال والثروة الشهيرة في العمران من حامية
تدود عنه وجاء ينسحب عليه من ذى قرابة للملك أو خاصة له أو عصبية يتحماها السلطان فيستظل بظلالها
ويرتع في أمنها من طوارق التعدي وان لم يكن له ذلك أصبح نهبا بوجوه التخيلات وأسباب الحكام والله
يحكم لا معقب لحكمه

١٧ * (فصل في أن الحضارة في الامصار من قبل الدول وانما ترسخ بارتباط اتصال الدولة ورسوخها) *

والسبب في ذلك أن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضرورى من أحوال العمران زيادة تتفاوت
بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة وتفاوتها غير منحصرة تقع فيها عند كثرة المنافع في أنواعها
واصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها إلى القومة عليه والمهارة فيه وبقد ما يتزايد من
أصنافها يتزايد أهل صناعاتها ويتلون ذلك الجليل بها ومتى اتصلت الأيام وتعاقبت تلك الصناعات
حذق أولئك الصنائع في صناعاتهم ومهر وأقروا معرفتها والاعصار بطولها وانقاس أمدها وتكرير
أمثلها تزايدها لتجدها كما مورسوها وكثرت مع ذلك في الامصار لاسيما تجار العمران وكثرة الرفه في
أهلها وذلك كله إنما يجي من قبل الدولة لأن الدولة تجتمع أموال الرعية وتنقدها في بطانتها ورجالها
وتوسع أحوالهم بالجاء أكثر من اتساعها بالمال فيكون دخل تلك الأموال من الرعايا وخرجها في أهل
الدولة ثم فيمن تعلق بهم من أهل المصروهم الا كثر فتنظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم وتتزايد عوائد
الترف ومذايبهم وتستحكم لديهم الصنائع في سائر فنونه وهذه هي الحضارة ولما تجدد الامصار التي في
القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها أحوال البداوة وتبعه عن الحضارة في جميع مآلهها
بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذاك الا لجواررة السلطان لهم وفيض
أموالهم فيهم كالسقاء ينحصر ما قرب منه فأقرب من الأرض إلى أن ينتهي إلى الجوف على البعد وقد قدمنا
أن السلطان والدولة سوق للعالم فالبضائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه وإذا بعدت عن السوق

تشكرون أي اتقوا في فانه شكر نعمتي وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
والعبارة عنه أن يقال الشكر اعتبار القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر اذ كان على بساط الشهود بدارمة

حفظ الحرمه وقال أبو عثمان الشكر معرفة الجحز عن الشكر وروى ان داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمه من عندك فأوحى الله تعالى اليه الا ن (٢٢٠) قدشكرتني وقال وهب بن منبه قال داود عليه السلام الهى ابن آدم ليس منه شعرة

الاوتحتها نعمة وفوقها منك نعمة فمن أين يكافئها فأوحى الله تعالى اليه يا داود انى أعطى الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة ففى هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى وهذا الشكر أيضا واجب ولمجد الوراق اذا كان شكرى نعمة الله نعمة

على له فى مثلها يحجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضلها وان طالت الايام واتصل العمر اذا مس بالسر اعلم سرورها وان مس بالضراء أعقبها الاجر فاما من الاله فيه نعمة تضيق بها الاوهام والسر والجهر ومن أقر بنعم الله واحسانه فقد أقر بقدر ما كاف لان أحد لا يمكنه ان يوازى شكر نعم الله تعالى وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت

افتقدت البضائع جـ لـ ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها فى ذلك المصير واحد بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك فى اليرود لما طال ملكهم بالشام نحو ما من ألف وأربعمائة سنة رسخت حضارتهم وحذقوا فى أحوال المعاش وعوائده والتفنن فى صناعاته من المطاعم والملابس وسائر أحوال المنزل حتى انها لم تؤخذ عنهم فى الغالب الى اليوم ورسخت الحضارة أيضا وعوائدها فى الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا فى غاية الحضارة وكذلك أيضا القبط دام ملكهم فى الخلافة ثلاثة آلاف من السنين فرسخت عوائد الحضارة فى بلادهم مصر وأعقبهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الاسلام الناسخ للكل فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة وكذلك أيضا رسخت عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بهامد عهد العمالة والتبابعة آلافا من السنين وأعقبهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بهامد لدن السكادانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم آلافا من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذا أيضا رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما أعقبهم من ملك بنى أمية آلافا من السنين وكلتا الدولتين عظيمة فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت وأما افرىقية والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ضخم إنما قطع الافرنجة الى افرىقية البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأوفاز وأهل المغرب لم تجاورهم دولة وإنما كانوا يبعثون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب افرىقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا أول الاسلام وكانوا لذلك العهدى فى طور البداوة ومن استقر منهم بأفرىقية والمغرب لم يجد بهامد من الحضارة ما يقد فيه من سلفه اذ كانوا بربر منغمسين فى البداوة ثم انتفض بربرة المغرب الاقصى لا قرب العهد وعلى يد ميسرة المطفرى أيام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا أحرار العرب بعد واسـ تتقوا بأمر أنفسهم وان بايعوا الادريس فلا تعد دولته فيهم عربية لان البرابرة الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدو بقيت افرىقية لالاغالبية ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشيء حاصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القبروان وورث ذلك عنهم كامئة ثم صـ نهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربعمائة سنة وانصرفت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الملاليين عليها وخر بوهاو بقى أثر خفى من حضارة العمران فيها والى هذا العهد يؤنس فيمن سلف له بالقلعة أو القبروان والامهدية سلف فتجد له من الحضارة فى شؤون منزله وعوائده أحواله آثارا ملتبسة بغيرها يميزها الحضارى البصر بها وكذا فى أكثر أمصار افرىقية وليس ذلك فى المغرب وأمصاره لرسوخ الدولة بأفرىقية أكثر امدامد عهد الاغالبية والشيعة وصـ نهاجة وأما المغرب فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من أهلها اليهم طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكمتها ومعظمها من أهل الاندلس ثم انتقل أهل شرق الاندلس عنـ دجالية النصارى الى افرىقية فأبقوا فيها بامصارها من الحضارة آثارا ومعظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافر ون من عوائدها فكان بذلك للمغرب وافرىقية حظ صالح من الحضارة عفى عليه الخلاء ورجع على أعقابها وعاد البربر بالمغرب الى أديانهم من البداوة والخشونة وعلى كل حال فآثار الحضارة بأفرىقية أكثر منها بالمغرب وامصارها لما تداول فيها من الدول السالفة أكثر من المغرب ولقرب

وفعلت فكيف شكرك فقال ان يعلم أن ذلك منى فكان معرفته بذلك شكركه الى (فصل) وما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه واما بنعمة ربك فيحدث قيل يعنى النبوة وقيل يعنى القرآن وحكم الآية عام فى جميع النعم

عوائدهم

وروى النعمان بن بشير ان النبي عليه الصلاة والسلام قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
بالنعم شكر وقال تعالى حكاية عن أهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده (٢٢١) قال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه

الله لما حفر نهر البصرة
الذي يقال له نهر عمراني
حفرته لاهل البصرة نهر
عذب لهم مشربه وجادت
عنه ولم أر لهم على ذلك شكرا
فان أذنت لي قسمت عليهم
ما أنفقت عليه فكتب
اليه عمر بن عبد العزيز
اني لا أحسب أهل البصرة
خلوا من رجل قال الحمد
لله حين حفر هذا النهر
وان الله قد رضيها شكرا
من جنته فأرض بها شكرا
من نهرك والسلام وحققة
الشكر في هذا القسم
الثناء على المحسن بذكر
احسانه وعلى هذا القول
يوصف الرب تعالى بانه
شكور وحققة فشكر
العبد لله ثناؤه عليه بذكر
احسانه وشكر الله للعبد
ثناؤه عليه باحسانه
واحسان الرب للعبد انعامه
عليه وهذه اللفظة مأخوذة
من قولهم دابة شكوراذا
أظهرت من السمن فوق
ماتعطي من العلف
ويقال وجهه شكوراذا
كان ممتلئ المحسن ظاهرها
وفي الحديث يقول الله
تعالى أنا والجن والانس
في نبي أعظم أخلق ويعبد
غيري وأرزق ويشكر
غيري وقال بعضهم إنما

عوائدهم من عوائد أهل مصر بكثرة المترددين بينهم فتقطن لهذا السرفانه خفي عن الناس واعلم انها
أمر متناسبة وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الامه او الجبل وعظم المدينة او المصر وكثرة
النعمة واليسار وذلك أن الدولة والمال صورة الخلية والعمران وكلها مادة لها من الرعايا والامصار
وسائر الاحوال وأموال الحماية عائدة عليهم وييسارهم في الغالب من أسواقهم ومناجرهم وإذا أفاض
السلطان عطاؤه وأمواله في أهلها انبثت فيهم ورجعت اليهم ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الحماية والخراج
عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال
الدولة وأصله كله العمران وكثرتة فاعتبره وتأمله في الدول تجد والله يحكم لامعقب الحكمة

١٨ * (فصل في ان الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده) *

قد بينا لك فمأسايف أن الملك والدولة غاية للعصبة وان الحضارة غاية للبدوة وان العمران كله من
بدوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمر محسوسا
وتبين في المعقول والمنقول أن الأربعين للانسان غاية في تزايد قواه ونموها وأنه اذا بلغ سن الأربعين وقفت
الطبيعة عن اثر النشوء والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط فاعلم أن الحضارة في العمران أيضا
كذلك لانه غاية لا مزيدا عليها وذلك أن الترف والنعمة اذا حصه لاهل العمران دعاهم بطبعه الى
مذاهب الحضارة والتخاق بعوائدها والحضارة كما علمت هي الترف واستجادة أحواله والكلف
بالصنائع التي تؤتي من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهمة للطبايع أو الملبس أو المأوى أو الفرس
أو الأبنية ولسائر أحوال المنزل وللتأني في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البدوة وعدم
التأني فيها واذا بلغ التأني في هذه الاحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشبهوات فتتلون النفس من تلك
العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها أما دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يمس
نزعها وأما دنياها فالكثرة الحاجات والمؤثرات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها وبيان
ان المصر بالة تبنى في الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فحي كان العمران أكثر
كانت الحضارة أكثر وقد كنا قد منا ان المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجته
ثم تزيدها المكوس غلاء لان الحضارة إنما تكون عند انتهاء الدولة في استعجالها وهو زمن وضع
المكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود على البياعات بالغلاء لان السوق والتجار
كلهم يحسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما يفتقونه حتى في مؤنة أنفسهم فيكون المكس لذلك داخلا
في قيم البياعات وأثمانها فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليجة عن
ذلك لما ملكتهم من أثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتناهبون في الاملاق
والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبياع فتكسد الاسواق ويفسد حال المدينة وداعية
ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الاسواق والعمران وأما فساد
أهلها في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص فنال كد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشر في
تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثرت منهم الفسق
والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى الفكر في
ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم اجرياء على الكذب والمقاورة والغش والحلافة والسرقة
والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم ابصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه

اني الناس لانهم في موضع صبرهم يحسبون انهم في موضع شكر * (فصل واما الشكر الذي على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود
شكرا اوقليل من عبادي الشكور فجعل العمل شكر اوقال عطاء دخلت على عائشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمير فقال لها عبيد يا أم

المؤمنين - يد شينا باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجباً انه أتاني في ليلة فدخل معي في فراشي حتى مس جلدى جلده (٢٢٢) ثم قال يا ابنة أبي بكر ذرني أتعبد لربي قالت قلت اني أحب قربك فاذنت له

واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الاقارب وذوى المحارم الذين تقتضي البعد داوة الحياء منهم في الاقذاع بذلك وتجدهم أيضاً أبصر بالملك والخديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العتاب على تلك القبايح حتى يصير ذلك عادة وخلقا لاكثرهم الامن عصمه الله ويموج بحر المدينة بالسفلة من أهل الاخلاق الذميمة ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدانهم عن أهل عن التأديب وغلب عليه خلق الجواروان كانوا أهل أنساب وبيوتات وذلك أن الناس بشر مماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق والكنسب القضايل واجتناب الرذائل فمن استحكمت فيه صبغة الرذائل باى وجه كان وفسد خلق الخير فيه لم ينفعه زكاه ونسبه ولا طيب منته وهذا تجد كثير من أعقاب البيوت وذوى الاحساب والاصالة وأهل الدول منطرحين في الغمار منتحلين للحرف الدينية في معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والسفسفة وإذا أكثر ذلك في المدينة أو الامة تأذن الله بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى وإذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متريفيها ففسد عوافيا حتى عليها القول فدمرناها تدميرا ووجهه حينئذ ان مكاسبهم حينئذ لا تنفي بجاجاتهم الكثيرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم احوالهم وإذا فسدت أحوال الأشخاص واحد واحد اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض أهل الخواص ان المدينة اذا كثرت فيها غرس النار نجت تأذنت بالخراب حتى ان كثير من العامة يتحاشى غرس النار نجت بالدور وليس المراد ذلك ولا أنه خاصة في النار نجت وانما سامعنا ان البساتين واجراء المياه هو من توابع الحضارة ثم ان النار نجت والليم والسرور واما ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة فهو من غاية الحضارة لا يقصدها في البساتين الأشكالها فقط ولا تغرس الا بعد الثفن في مذهب الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصدها الا تلون البساتين بنورها ما بين اجر وأبض وهو من مذهب الترف * ومن مقاسد الحضارة الانهم مالك في الشهوات والاسترسال فيها الكثرة الترف فيقع الثفن في شهوات البطن في الماس كل والملاذ وبثبع ذلك الثفن في شهوات الفرج بانواع المنالك من الزنا واللواط فيفضي ذلك الى فساد النوع واموا بسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجهل كل واحد به اذ هو غير رشدة لان المياه مختلطة في الارحام فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيها يكون ويؤدي ذلك الى انقطاع النوع او يكون فساد النوع كاللواط اذ هو يؤدي الى أن لا يوجد النوع والزنا يؤدي الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب مالك رحمه الله في اللواط أظهر من مذهب غيره ودل على أنه أبصر بمقاصد الشريعة واعتبارها بالمصالح فافهم ذلك واعتبر به ان غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد واخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الاخلاق الخاصة من الحضارة والترف هي عين الفساد لان الانسان انما هو انسان باقية داره على جلب منافعها ودفع مضارها واستقامة خلقه للسعي في ذلك والمخضري لا يقدري على مباشرة حاجاته اما عجز الماحصل له من الدعة أو ترفع الماحصل له من المربي في النعيم والترف وكلا الأمرين ذميم وكذا لا يقدري دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك والمخضري بما قد قدمن خلق الانسان بالتلف والنعيم في قهر التأديب فهو بذلك عيال على المحامدة التي تدافع عنه ثم هو فاسد ايضا غالباً ما فسدت منه العوائد وطاعتها ما تلونت به النفس من مكائنها كما قررنا في الاقل النادر وإذا فسد الانسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته وصار موهجاً على الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يتربون على الحضارة وخلقها موجودين في كل دولة فقد تدبين ان الحضارة هي سن الوقوف لعمر

فقام الى قبره من ماء فتوضأوا كثر صب الماء ثم قام يصلى فيبكي حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكي ثم سجد فبكي ثم رفع رأسه فبكي فلم يزل كذلك حتى جاء به لال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً فلم لا أفعل وقد أنزل على ان في خلق السموات والارض فعمل النبي عليه الصلاة والسلام الشكر بالعمل وبين به مراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكوراً أى كل واحد منهم ما يخلف الاخر فمن فاته العمل في أحدهما عمله في الاخر فعمل الاوراد والاعمال بالجوارح شكراً وروى ان النبي عليه السلام قام حتى انتهت قدماه فقيل يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً وقال أبو هريرة دخلت على ابي حازم فقلت له رجلك الله ما شكر العيين

قال اذا رأيت بهم ما خيرا أذعته وان رأيت بهم ما شر استرته قلت له فاشكر الذين فقال اذا سمعت بهم ما خيرا العالم حقه فنهوا اذا سمعت بهم ما شر استرته قلت فاشكر الذين قال ان لا تأخذ بهم ما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى فيهما فاشكر

البطن قال ان يكون أسفله صبراً وأعلاه علماً قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لقروهم حافظون الاعلى أرواحهم
او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فان أنت فعلت فانت الشاكر حقاً وفي حكمة (٢٢٣) ادريس عليه السلام ان يستطيع

أحدان يشكر الله تعالى

على نعمة بمثل الانعام على

خلقه ليكون صانعاً على

الخلق مثل ما صنع به

الخالق تعالى واذا ثبت

ان فعل الطاعات شكر فان

فيها ما هو أشد ملازمة

من غيره فالطاعة في مواساة

الفقراء أشكل بالشكر

على الغني من غير هالائها

من جنس النعمة فاذا أردت

ان تحرس دوام نعم الله

تعالى عليك فادم مواساة

الفقراء والطاعة في رفع

ذوي الضعة والخجل

والسكينة بغير معصية أشبه

بالشكر على رفع قدرك

والتشويبه باسمك والطاعة

في عزيتهم أشبه بالشكر على

العافية من سائر الطاعات

والطاعة في الشفاعات

عند السلطان وقضاء

حوائج الغر باعوالاخوان

أشبه بذوي الجاه من سائر

الطاعات وعلى هذا المثال

ينبغي ان يقال سائر نعم الله

تعالى على العبد ومن

العبادات المحامدة

للشكر ان يقال معرفة

بالحنان وذكر باللسان وعمل

بالجوارح * (فصل)

في الكلام على الزيادة

قال الله تعالى انشكرتم

لا يزيدكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا

بقوله ادعوني استجب لكم فمادون قوم والدليل عليه ان انرى من يشكر على الغني ثم

يبتلى بالقرى ومن يشكر على العافية ثم يبتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده وقال قوم معناه لا يزيدكم نعمة الاخرة فان قيل انما تكون

العالم في العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل يوم في شأن لا يشغله شأن عن شأن

١٩ * (فصل في أن الامصار اتي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها) *

قد استقر بنا في العمران ان الدولة اذا اختلت وانتقضت فان المصير الذي يكون كرسى بالسلطانها ينتقض
عمرانه ورمما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يتخلف والسبب فيه أمور (الاول) ان الدولة
لا بد في أولها من البدوة المقتضية للتجافي عن أموال الناس والبعده عن التخذلي ويدعو ذلك الى تخفيف
الحماية والمغارم التي منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصير الذي كان كرسى بالملك في
ملكته هذه الدولة المتجددة ونقضت أحوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت أيديها من أهل المصير لان
الرعيا تابع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعاً او بما في طباع البشر من تقليد متبعوهم او كرهاً ما
يدعوا اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع الأحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد
فتقصّر لذلك حضارة المصير ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب المصير * (الامر
الثاني) ان الدولة انما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب وانما يكون بعد الدالة ودولة والحروب
والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر احداها ما على الاخرى في العوائد والاحول وغلب
احد المتنافيين يذهب بالملك الى آخر فتكون احوال الدولة السابقة منهكة عند أهل الدولة
الجديدة ومن تشبعة وقبيحة وخصوصاً احوال الترف فتفق في عرفهم بنكبر الدولة لها حتى تشألم
بالندرج عوائد اخرى من الترف فتكون عنها حضارة من شأنه وفيما بين ذلك قصور الحضارة الاولى
ونقصها وهو معنى اختلال العمران في المصير * (الامر الثالث) ان كل امة لا بد لها من وطن هو منشؤهم
ومنه أولية ملكهم واذا ملكوا ملكاً آخر صار تبعاً للاول وامصاره تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك
عليهم ولا بد من توسط الكرسى تخوم الممالك التي للدولة لانه شبه المر كز لنطاق فيعده مكانه عن مكان
الكرسى الاول وتهوى افئدة الناس اليه من اجل الدولة والسلطان فينقل اليه العمران ويخف من مصر
الكرسى الاول والحضارة انما هي توفر العمران كما قدمناه فتقص حضارته وتعدنه وهو معنى اختلاله
وهذا كما وقع للسلجوقية في عدولهم بكرسيهم عن بغداد الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن
الى الكوفة والبصرة ولبنى العباس في العدول عن دمشق الى بغداد ولبنى مريين بالمغرب في العدول عن
مراكش الى فاس وبالحجلة فاتخذوا الدولة الكرسى في مصر فيخل بعمران الكرسى الاول * (الامر الرابع) *
ان الدولة الثانية لا بد فيها من تبع اهل الدولة السابقة واشياءها بنحو يلهم الى قصر آخر يؤمن فيه
غائاتهم على الدولة واكثر أهل المصير الكرسى اشياء الدولة امامن الحامية الذين نزلوا به اول الدولة او
أعيان المصير لان لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع اصنافهم بل اكثرهم ناشئ في الدولة
فهم شيعة لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصبة فهم بالملل والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة نحو
آثار الدولة السابقة فيقلهم من مصر الكرسى الى وطنها الممتكن في ملكها فبعضهم على نوع التعريب
والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطيف بحيث لا يؤدي الى النفرة حتى لا يبق في مصر الكرسى
الابادة والهمل من أهل النخ والعيار وسواد العامة وينزل مكانهم حاميتا واشياءها من يشتهب المصير
واذا ذهب من مصر اعيانهم على طبقاتهم نقص ساكنه وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد من أن يستجد
عمران آخر في ظل الدولة الجديدة وتقصّل فيه حضارة اخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من له بيت
على اوصاف مخصوصة فأظهر من قدرته على تغيير تلك الاوصاف واعادة بنائها على ما يختاره ويقترحه

لا يزيدكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا وبقوله ادعوني استجب لكم فمادون قوم والدليل عليه ان انرى من يشكر على الغني ثم يبتلى بالقرى ومن يشكر على العافية ثم يبتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده وقال قوم معناه لا يزيدكم نعمة الاخرة فان قيل انما تكون

الزيادة من جنس المزيد عليه فاجابوا ان النعم الديني والادوية وان تفاضلت واختلفت فكلاهما متجانسة من حيث انها نعمة وقال قوم معناه لا يزيدكم خيرا ولا خيرا (٢٢٤) والصالح قد يكون في كثير من الاوقات بالمنع والسقم ونحوهما فان من سأل الله تعالى

ن يعطيه مالا أو يصح جسمه وهو يعلم انه ان وهبه المال أنفقته في المعاصي أو وهبه الصحة صرف صحته الى المشي في الاثم فامنع ههنا موهبة من الله تعالى بخيلة وعن هذا قال العلماء منع الله تعالى عطاء وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء فيه أي لئن شكرتم لازيدنكم الا ان تعصوا وافاعا قبكم بالحرم ان فاجعل ذلك كفارة لكم وهو أصلح من ان اعاقبكم في الآخرة والناس لا يسمون من الذنوب ولو تهايان يسموا من الذنوب لدلت الزيادة قال الله تعالى ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا كانوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال قوم الآية خاصة لا محالة اذا لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من شكر على الحياة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل الله العبادة علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد أدخل بالشكر الذي اخذ عليه اما ان لا يتركه أو يتركه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقوا جاعليه فيه من كسوة عريان أو اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي

٢٠ * (فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض) *

وذلك انه من البين ان اعمال اهل مصر يستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض اهل المصر فيقومون عليه وهو يستصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجمعون معاشهم فيه وورثته من بعدهم لعموم البلوى به في المصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في مصر يكون غفلا اذا لا فائدة لمنحله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك الضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالحياط والحدادو والتجار واما هنا وما يستدعي لعوائد الترف واحواله فانما يوجد في المدن المستبحرة في العمارة الاخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصائغ والدهان والطباخ والصقار والقراش والذباح واما هنا هذه هي متفاوتة وبقدرة تزيد عوائد الحضارة وتستدعي احوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك المصر دون غيره ومن هذا الباب الحجامات لانها انما توجد في الامصار المستحضرة المستبحرة العمران لما يدعوا اليه الترف والغنى من التمتع ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك والرؤساء اليها فيختطها ويحبس احوالها لانها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعانما تهجر وتخرب وتقرعن القومة لقله فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

٢١ * (فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض) *

من البين ان الالتحام والاتصال موجد وفي طباع البشر وان لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قدمناه اضعف مما يكون في النسب وانه تخصص لبه العصبية بعضا مما تخصص لبالنسب واهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصرح يجذب بعضهم بعضا الى ان يكونوا الحماة وقرابة قرابة وتجد بينهم من العداوة والصدقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله في فقر قونشيعا وعصائب فاذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن القاصية احتاج اهل الامصارها الى القيام على امرهم والنظر في حماية بلدتهم ورجعوا الى الشورى وتميز العلية عن السفلة والنفوس بطباعها متطاولا الى الغلب والرياسة فتطمع المشيخة للآلاء الجود من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد وبنسب كل صاحبها ويستوصون بالاتباع من الموالي والشيعة والاحلاف ويبذلون ما في أيديهم للاوغاد والاشباب

ن يعطيه مالا أو يصح جسمه وهو يعلم انه ان وهبه المال أنفقته في المعاصي أو وهبه الصحة صرف صحته الى المشي في الاثم فامنع ههنا موهبة من الله تعالى بخيلة وعن هذا قال العلماء منع الله تعالى عطاء وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء فيه أي لئن شكرتم لازيدنكم الا ان تعصوا وافاعا قبكم بالحرم ان فاجعل ذلك كفارة لكم وهو أصلح من ان اعاقبكم في الآخرة والناس لا يسمون من الذنوب ولو تهايان يسموا من الذنوب لدلت الزيادة قال الله تعالى ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا كانوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال قوم الآية خاصة لا محالة اذا لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من شكر على الحياة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل الله العبادة علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد أدخل بالشكر الذي اخذ عليه اما ان لا يتركه أو يتركه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقوا جاعليه فيه من كسوة عريان أو اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي

فيعصو صب

فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد أدخل بالشكر الذي اخذ عليه اما ان لا يتركه أو يتركه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقوا جاعليه فيه من كسوة عريان أو اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي

صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم بترك أدب أو اخلال بحق أو
المسام بذنوب كما قال بعضهم أدنى الشكر أن لا تعصى الله بنعمه فان جوارحك كلها (٢٢٥) من نعم الله تعالى عليك فلا تنص بها

ويحتمل أن يكون معنى
الاية ثلث شكرتم لا زيد بكم
ان شاء الله تعالى انه قال
ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤنه منها وكثير من الخلق
يريدون حرث الدنيا ولا
يؤتونه فيكون التقدير
نؤنه منها لمن نشاء بدليل
قوله في الآية الاخرى

عجلناه فيها ما نشاء لمن نريد
وهكذا قوله تعالى ادعوني
استجب لكم ان كثير
من الناس يدعون فلا
يستجيب لهم ولكن معنى
الاية استجب لكم ان
شئت ولمن شئت بدليل
قوله تعالى فيكشف ما
تدعون اليه ان شاء وهذا
من باب حمل المطلق على
المقيد قال الجنيدي كنت بين
يدي السرى وأنا ابن سبع
سنين وبين يديه جماعة
يتكلمون في الشكر فقال

لي يا غلام ما الشكر فقلت
أن لا يعصى الله تعالى بشيء
قال يوشك أن يكون حظك
من الله لسانك فلا أزال أبكي
على هذه الكلمة فان قيل
ما معنى قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وما تحصل من الأفعال في
الوجود يمكن احصاؤه قلنا
نعم الله تعالى على وجهين دفع
ومنع فالدفع يمكن احصاؤه
ودفع البلاء لا يمكن

(٢٩ - ابن خلدون) احصاؤها وما يدفع الله عنهم مما في مقدوره من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى (فصل) ثم عدنا الى
أقوال العلماء والمحكماء في الشكر فقال بعض الحكماء موضع الشكر من النعمة موضع القرى من الضيفان وجدته لم يرم وان عدمه

في عصب كل صاحب وبتعيين الغلب لبعضهم في عطف على اكفائه ليقص من اعنتهم ويقتبعتهم
بالقتل أو التغريب حتى يخضع منهم الشوكات النافذة ويقل الاظفار الحادشة ويستبد بمصره أجمع ويرى
انه قد استحدث ملكا كيورثه عقبه فيحدث في ذلك الملك الا صغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض
الحجوة والهرم وربما يسمو بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعظم اصحاب القبائل والعشائر والعصبيات
والزخوف والحرور والاقطار والممالك فينتحلون بها من الجلوس على السرير واتخاذ الالة واعداد
المواكب للسير في اقطار البلاد والتختم والحسبة والخطاب بالتمويل ما يسخر منه من يشاهد احوالهم لما
انتحلوه من شارات الملك التي ليسوا بها باهل انما دفعهم الى ذلك تقاص الدولة والتحام بعض القربان
حتى صارت عصبية وقد يتنزه بعضهم عن ذلك ويجري على مذهب السذاجة فرار من التعريض بنفسه
للسخرية والعبث وقد وقع هذا بافرقية هذا العهد في آخر الدولة الحفصية لاهل بلاد البحر يدمن
طراباس وقابس وتوزر ونقطة وقفصة وبسكرة والزاب وما الى ذلك سمو الى مثلها عند تقاص ظل الدولة
عنهم منه ذعقود من السنين فاستغلبوا على امصارهم واستبدوا بها على الدولة في الاحكام والجباية
وأعطوا طاعة معروفة وصفقة محرصة وأقطعوها جانبان من الملاينة والملاطفة والاتباع واهلهم بمنزل عنه
وأورثوا ذلك اعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لاقاب الملوك وخلفهم
ونظموا انفسهم في اعداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقه حتى محاذلك مولانا امير المؤمنين ابو
العباس وانتزع ما كان بأيديهم من ذلك كما نذكره في اخبار الدولة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة
الصفهانية واستقل بامصار البحر يداهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين
وملكهم عبد المؤمن بن علي ونقلهم كلهم من امارتهم بها الى المغرب ومحمد تلك البلاد اثارهم كما نذكر
في اخباره وكذا وقع بسنة لاخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالبا في اهل السروات
والبيوتات المرشحةين للمشيخة والرياسة في المصروف ويحدث التغلب لبعض السفلة من الغوغاء والدمماء
واذا حصلت له العصبية والالتحام بالاوغاد لاسباب يحرمها له المدة دار في تغلب على المشيخة والعليّة اذا
كانوا فادين للعصاة والله سبحانه وتعالى غالب على أمره

٢٢ * (فصل في لغات اهل الامصار) *

(اعلم) ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة او الجميل الغالب بين عليها او المختطين لها ولذلك
كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وان كان اللسان العربي المضرى
قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والملة
صورة للوجود ولللك وكلها وما دله والصورة مقدمة على المادّة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي
بلسان العرب لسان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من اللسان في
جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهج عمر رضي الله عنه عن بطانة الاعاجم وقال انها خدعواي مكر وخديعة
فلما هجر الدين اللغات الأجنبية وكان لسان القائلين بالدولة الاسلامية العربية مهاجرة كلهم في جميع
ممالكها لان الناس تبعوا للسلطان وعلى دينه فصارت لسان العرب في من شعائر الاسلام وطاعة
العرب وهجر الامم لغاتهم ولسانهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ
ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنّة العجيبة دخيلة فيها وغريبة ثم فسدت اللسان العربي
بمخالطتهم في بعض احكامه وتغيروا اخره وان كان بقي في الدلالات على اصله وسمى لسانا حاضرا في جميع

(٢٩ - ابن خلدون) احصاؤها وما يدفع الله عنهم مما في مقدوره من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى (فصل) ثم عدنا الى
أقوال العلماء والمحكماء في الشكر فقال بعض الحكماء موضع الشكر من النعمة موضع القرى من الضيفان وجدته لم يرم وان عدمه

لم يقيم وأجعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد المودود وصيد المفقة ودوقالوا مصيبة وجب
أجرها خير من نعمة لا يثودى شكرها (٢٢٦) وقال بعض الحكماء من أعطى أربعمائة درهم من النعم لم يمتنع أن يعطى الشكر لم يمتنع أن يمد ومن

أعطى التوبة لم يمتنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمتنع الحيرة ومن أعطى المشورة لم يمتنع الصواب وكان يقال إذا رعت النعم بالشكر فهي أطواق وإذا رعت بالكفر فهي أغلال (قال حبيب)

نعم إذا رعت بشكر لم تزل نعمًا فإن لم ترع فهي مصائب

(وبعث) الحجاج إلى الحسن بعشرين ألف درهم فقال الحمد لله الذي ذكرني (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا تكن ممن يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهي ولا ينتهي ويأمر الناس بما لا يأتي تحب الصالحين ولا تبخل بالعلمهم وتبغض المسيئين وأنت منهم تذكر الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك وقال المغيرة بن شعبة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا بقاء للنعمة إذا كفرت ولا زوال لها إذا شكرت وإن الشكر زيادة من النعم وأمان من النقم (وكان)

الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعم وانت مرتين بها كلما شكرت نعمة تجد ذلك بالشكر أعظم منها عليك فانت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها وقال سفيان لما جاء البشير إلى يعقوب عليه السلام قال على أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الحمد لله لا تنبت النعمة (وروي) أن عثمان بن

أعطى التوبة لم يمتنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمتنع الحيرة ومن أعطى المشورة لم يمتنع الصواب وكان يقال إذا رعت النعم بالشكر فهي أطواق وإذا رعت بالكفر فهي أغلال (قال حبيب)

نعم إذا رعت بشكر لم تزل نعمًا فإن لم ترع فهي مصائب (وبعث) الحجاج إلى الحسن بعشرين ألف درهم فقال الحمد لله الذي ذكرني (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا تكن ممن يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهي ولا ينتهي ويأمر الناس بما لا يأتي تحب الصالحين ولا تبخل بالعلمهم وتبغض المسيئين وأنت منهم تذكر الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك وقال المغيرة بن شعبة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا بقاء للنعمة إذا كفرت ولا زوال لها إذا شكرت وإن الشكر زيادة من النعم وأمان من النقم (وكان)

عقار رضي الله عنه دعى الى قوم ليأخذهم على رية فافترقوا قبل ان يبلغهم فاعتق عثمان رقبته شكر الله تعالى ان لا يكون جرت على يديه فضيحة رجل مسلم (و يروى) ان الحسن بن علي الترمي الركن وقال الهى نعمتى (٢٢٧) فلم تجدى شاكرا وابليتني فلم تجدى

صابرا فلا انت سلبت
النعمة بترك الشكر ولا
انت ادمت النعمة بترك
الصبر الهى ما يكون من
الكريم الا الكرم ولا من
الجافى الا الحقا وقال عون
ابن عبد الله الحنبل الذي
لا شرف فيه الشكر مع العافية
والصبر عند المصيبة
(و يروى) ان غلة قالت
اسلمان بن داود عليه
السلام يا نبي الله انا على
قدرى أشكر الله منك وكان
راكباً على فرس ذلول
فغفر عنه ساجداً شكر الله
ثم قال لولا اني ابجلك لاسألتك
ان تنزع مني ما اعطيتني
(وقال صدقة بن يسار بينا
داود عليه السلام في محرابه
اذمرت به دودة فنبذ كرفي
خلقتها وقال ما يعبا الله
بخلق هذه فانطقها الله
تعالى فقالت له يا داود
تجيبك نفسك لا ناعلى
قدر ما آتاني الله اذكر الله
وأشكر له منك فيما آتاك
(والمجود الوراق)
الهى لك الحمد الذي انت
أهله
على نعمة ما كنت منك
له أهلاً
متى ازددت تقصير اتردني
تفضلاً
كانى بالنعمة مستوجب
الفضل

وهذا يتبع من يشاء ولهم في ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها * ثم اعلم ان الكسب انما يكون بالسعي في
الاقتناء والقصد الى التحصيل فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه قال
تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله تعالى والهامة فالكل من عند الله فلا بد
من الاعمال الانسانية في كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملاً بنفسه مثل الصنائع فظاهر وان كان مقتني
من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانساني كما تراه والالم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله
تعالى خلق الحجرين المعدنيين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لاهل العالم في
الغالب وان اقتنى سواهما في بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوالة
الاسواق التي هما عنهما عزل فهما اصل المكاسب والقنية والذخيرة * واذا تقرر هذا فاعلم ان ما يفيد
الانسان ويقتنيه من المتمولات ان كان من الصنائع فالمقادير المقتنى منه قيمة عماله وهو القصد بالقنية اذ
ليس هناك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرهما مثل التجارة
والحياكة معهما الخشب والغزل لان العمل فيهما أكثر فقيمتها أكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد في
قيمة ذلك المقادير والقنية من دخول قيمة العمل الذي حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل قنيته واو قد تكون
ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فتجعل له حصص من القية عظم أو صغرت وقد تفتت في ملاحظة
العمل كما في أسعار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال والنفقات فيها ملاحظ في أسرار الحبوب كما
قد منها لكنه خفي في الاقطار التي علاج الفلح فيها ومؤنته يسيرة فلا يشعر به الا القليل من أهل الفلح فقد
تبين ان المقادير والمكسبات كلها أو أكثرها انما هي قيم الاعمال الانسانية وتبين معنى الرزق وانه
المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح معهما * واعلم انه اذا فقدت الاعمال أو قلت بانتقص
العمل ان تأذن الله برفع الكسب ألا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها او
يفقد لقله الاعمال الانسانية وكذلك الامصار التي يكون عمرانها كثير يكون اهلها اوسع احوالاً واشد
رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة في البالد اذا تناقص عمرانها انها قد ذهب رزقها حتى
ان الانهار والعيون ينقطع جريها في القفر لما ان فور العيون انما يكون بالانبات والامراء الذي هو
بالعمل الانساني كالحال في ضرور الانعام في الم يكن انبساط ولا امتراء فضدت وغارت بالجملة كما يحيف
الضرع اذا ترك امتراؤه وانظره في البالد التي تعهد فيها العيون لا يام عمرانها ثم يأتي عليها الحراب كيف
تغور مهابها جملة كأنها لم تكن والله يقدر الليل والنهار

٢ (فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه) *

اعلم ان المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله وهو مقول من العيش كانه لما كان العيش
الذي هو الحياة لا يحصل الا بهذه جملة موضعه على طريق المبالغة ثم ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان
يكون باخذ من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرماً وجباية واما ان يكون
من الحيوان والوحش باقتناصه واخذ بريمه من البر أو البحر ويسمى اصطياداً واما ان يكون من الحيوان
الداجن باستخراج فضوله المنصرف بين الناس في منافعهم كاللبن من الانعام والحبر من دوده والعسل
من نحله او يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه واعداه لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله
فلحاً واما ان يكون الكسب من الاعمال الانسانية اما في مواد معينة وتسمى الصنائع من كتابة وتجارة
وخياطة وحياكة وفروسية وامثال ذلك او في مواد غير معينة وهي جميع الامهانات والتصرفات واما ان

(وكان) بعضهم صديق خفيته السلطان فارس الى الله فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فحضر الرجل فكتب اليه اشكر الله تعالى فحضر
المحبوس محبوس مبطون قيد فجعل حلقة في رجله وحلقة في رجل المحبوس يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا الى ان يقوم معه ويقف على رأسه

حتى يفرغ فكتب الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى تقول واي بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي (٢٢٨) في رجله في ذلك ماذا كنت تصنع ولبعضهم ومن الرزية أن شكرى صامت *

عسا فعات وأن برئ ناطق
أرى الصنيعة منك
ثم أسرها
اني اذالته دي الكريم
لسارق
(وقال) رجل سهل بن
عبدالله ان اللص دخل
داري واخذ متاعي فقال
اشكر الله تعالى لو دخل
الاص قلبك وهو الشيطان
فاخذ التوحيد ماذا كنت
تصنع (ولما) بشر ادريس
عليه السلام بالمغفرة سأل
المغفرة فقيل له فيه فقال
لا شكره فاني كنت اعمل
قبله للمغفرة فبسط الملك
جناحه وفرغه الى السماء
(ويروى) أن نبيامن
الانبياء عليهم السلام مر
بجحر صخر غير يخرج منه
الماء الكثير فحبب منه
فانطقه الله تعالى فقال
منذ سمعت الله يقول
وقودها الناس والحجارة
فانا ابكي من خوفه قد دعا
النبي عليه السلام ربه
أن يجبره من النار فأوحى
الله تعالى اليه اني أجرته
من النار فخر النبي عليه
السلام ثم عاد فوجد الحجر
يتفجر منه مثل ما كان
فحبب فانطق الله تعالى
الحجر فقال له لم تبكي فقال
ذلك بكاء المحزن والخوف

يكون الكسب من البضائع واعداها للاعواض اما بالقلب بها في البلاد او احتكارها وارتياب حواله
الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه وجوه المعاش واصنافه وهي معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب
والحكمة كالحريري وغيره فانهم قالوا المعاش اماره وتجارة وفلاحة وصناعة فاما الامارة فليست بذهب
طبيعي للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شيء من احوال الجبايات السلطانية واهلها في الفصل
الثاني واما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش أما الفلاحة فهي مقدمة عليها كلها
بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظر ولا علم ولهذا تنسب في الخليفة الى آدم ابي البشر وانه
معلمها والقائم عليها اشارة الى انها قديم وجوه المعاش وانسبها الى الطبيعة وأما الصناعة فهي ثانیها
ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والنظار ولهذا لا توجد غالبا الا في اهل الحضرة الذي
هو متأخر عن البدو وثان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الاب الثاني للخليفة فانه مستنبطها لمن
بعده من البشر بالوحي من الله تعالى وأما التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالأكثر من طرقها
ومذاهبها انما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك
الفضلة ولذلك اباح الشرع فيه المكاسب لمانه من باب المقامرة لانه ليس أخذ المال الغير مجنونا فلماذا
اختص بالمشرعية

٣ * (فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي) *

اعلم ان السلطان لا بد له من اتخاذ الخدم في سائر ابواب الامارة والمالك الذي هو بسبيله من الجند
والشرطي والكتاب ويستكفي في كل باب بمن يعلم غناؤه ويتكفل بآزاقهم من بيت ماله وهذا كله
مندرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة والمالك الاعظم هو ينبوع جداولهم وأما
مادون ذلك من الخدم فسيبين ان اكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون عاجزا عن الما ربي
عليه من خلق التمتع والترف فيتعذر من يتولى ذلك له ويقطعه عليه أجرام ماله وهذه الحالة غير محمودة
بحسب الرجولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل أحد عجز ولا نهاتر في الوظائف والمخرج وتدل على العجز
والمحتث الذين ينبغي في مذاهب الرجولية التزهر عنهم الا ان العوائد تقابل طباع الانسان الى ما لو فيها
فهو ابن عوائده لا ابن نسبه ومع ذلك فالقديم الذي يستكفي به ويوثق بغناؤه كالمفقود اذ الخديم القائم
بذلك لا يعد واربع حالات امام مضايع باعده وهو موثق فيما يحصل بيده وأما بالعكس فيمما هو ان يكون
غير مضطجع باعده ولا موثق فيما يحصل بيده وأما بالعكس في احداهما فقط مثل أن يكون مضطجعاً غير
موثق أو موثقاً غير مضطجع فاما الاول وهو المضطجع الموثوق فلا يمكن أحد استعماله بوجه اذ هو
باضطلاعه وثقته غنى عن أهل الرتب الدنية ومحتقر لمثال الاجر من الخدمة لاقتداره على أكثر من ذلك
فلا يستعمله الا الامراء اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه واما الصنف الثاني وهو من ليس
بمضطجع ولا موثق فلا ينبغي لعاقل استعماله لانه يحجب بمخدومه في الامر من معافضيه عليه لعدم
الاصطناع تارة ويذهب ماله بالخيانة أخرى فهو على كل حال كل على مولاه فهذان الصنفان لا يطمع أحد
في استعمالهما ولم يبق الاستعمال الصنفين الا خرين موثق غير مضطجع ومضطجع غير موثق وللناس
في الترجيح بينهما مذاهبان ولكل من الترجحين وجه الا ان المضطجع ولو كان غير موثق أرجح لانه يؤمن
من تضيقه ويحاول على التحرز من خيائنه جهداً لا استطاعة وأما المضطجع ولو كان مأمونا فضرره بالتضيق
أكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانونا في الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

فصل

وهذا بكاء الشكر والسرور وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتملى
والمعاني فقال الهى ما بال المعاني فقال لقلته شكرهم على عافيتي اياهم و بال رجل اعرايا بلاءا حسنا فقال لا بلالك الله بلاءا يعجز عنه صبرك

وانعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك (وانشد بعضهم) سأسكر لاني اجازيك منعمًا * بشكري ولنكن كي يرى ذلك الشكر
واذكر اياما لدی اصطفتها * واخر ما يبقى على الشاكر الذکر * (وانشدوا) * (٢٢٩) أوليتي نعمًا ابوح بشكرها *

وكفيتني كل الامور بأسرها

فلاشكرنك ماحييت

وان أمت

فلاشكرنك أعظمي في قبرها

(ولبعض الاعراب)

الهي قد أحسنت عودا

وبدأة

الى فلم ينهض باحسانك

الشكر

فمن كان ذاع ذرلديك وحنة

فعدري اقراري بأن ليس

لي عذر

(وكان) مطرف يقول

الهي منك تكون النعمة

وعليك تمامها وانت

تعين على شكرها وعليك

ثوابها وهذا باب عظيم من

النعيم على العباد وقد أثبتني

الله على بعض عبادہ فقال

انه كان عبدا لله كورا

(وقال) تعالى شاكر الانعمه

اجتبهه وكذلك سائر ما أثبتني

الله تعالى به على عبادہ ثم

قال فمن شكر فأنما يشكر

لنفسه ومن تركي فأنما

يتركي لنفسه ان أحسنت

أحسنت لانفسكم ليس للرب

تعالى فيها الا قليل ولا كثير

فانه أجل من أن ينال

المخطوط وأجل من أن

يلحقه ثناء من اوشكر

شاكر فاخبر ان العلم

والجلال له دونهم وانه

يتقدس عن الناس ثناء

٤ * (فصل في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي) *

اعلم ان كثير من ضغفاء العقول في الامصار يحرصون على استخراج الاموال من تحت الارض ويتعنون
الكسب من ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مخزنة كلها تحت الارض محتوم عليها كلها
بطلانهم سحرية لا ينفذ ختامها ذلك الامن عثر على علمه واستحضر ما يحمله من الخور والدعاء والقربان
فاهل الامصار بافر بقرية يرون ان الافرنجة الذين كانوا قبل الاسلام يمدفنون اموالهم كذلك وأودعوا في
الحفب بالكباب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالشرق يرون مثل ذلك في اعم القبط
والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث تشبه حديث خرافة من انتهت بعض الطالبين لذلك الى حفر
موضع المال لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خاليا ومهمودا باليدان او يشاهد الاموال والجواهر
موضوعة والحرس دونها منتضين سيوفهم او تمديه الارض حتى يظنه خسفا أو مثل ذلك من الهدر ونجد
كثيرا من طلبة البر برب المغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي واسبابه يتقربون الى اهل الدنيا بالاوراق
المنخرمة الحواشي اما بخطوط عجمية او بما ترجم برعهم منها من خطوط اهل الدفائن باعطاء الامارات
عليها في اما كنها يتعنون بذلك الرزق منهم بما يعمشونهم على الحفر والطلب ويعمسون عليهم بانهم انما جعلهم
على الاستعانة بهم طالب الجاه في مثل هذا من منال الحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة
او غريبة من الاعمال السحرية يعمه بها على تصديق ما بقي من دعواه وهو بمنزل عن السحر وطرقه فتولع
كثير من ضغفاء العقول بجمع الايدي على الاحتقار والتسترف به بظلمات الليل مخافة الرقباء وعيون اهل
الدول فاذا لم يعثر واعلى شيء ردوا ذلك الى الجهل بالطلسم الذي ختم به على ذلك المال يخادعون به انفسهم
عن اخفاق مطامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل انما هو البهيم زعن طالب
المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة والفخ والصناعة فيطلبونه بالوجوه المنخرقة وعلى غير المجري
الطبيعي من هذا وامثاله عجزا عن السعي في المكاسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب
في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون انهم يوقعون انفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب
وجهد شديد أسد من الاول ويعرضون انفسهم مع ذلك لئال العقوبات وربما يحمل على ذلك في الاكثر
زيادة الترف وعوائده وخر وجهه عن حد النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا يفي بمطالبها
فاذا عجز عن الكسب بالمجري الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمس لوجود المال العظيم دفعة من غير
كلفة ليني له ذلك بالعوائد التي حصل في اسرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا فاقا كثير من
تراهم يحرصون على ذلك هم المترفون من اهل الدولة ومن سكان الامصار الكثرة الترف المتسعة
الاحوال مثل مصر وما في معناها فتجد الكثير منهم مغرمين بابتغاء ذلك وتحصيله ومساءلة الركب ان عن
شواذه كما يحرصون على الكيمياء هكذا بلغني عن اهل مصر في مقاضاة من يلقونه من طلبة المغار بقلعهم
يعشرون منه على دفين أو كنز يزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه لما يرون ان غالب هذه
الاموال الدفينة كلها في مجارى النيل وانه أعظم ما يستدقنا ونحن نترنأ في تلك الافاق ويعوه عليهم
اصحاب تلك الدفاتر المقتعلة في الاعتذار عن الوصول اليها بحرية النيل تستر بذلك من الكذب حتى يحصل
على معاشه فيحرص سامع ذلك منهم على نضوب الماء بالاعمال السحرية لتحصيل بابتغاء من هذه كلفا
بشأن السحر متوارثا في ذلك القطر عن اوليه فعلومهم السحرية وآثارها باقية بارضهم في البراري وغيرها
وقصة سحرية فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل اهل المغرب قصة يمدون بها الى حكماء

ممن او كفر كافر قال الله تعالى يدعوكم ليعفركم فواجب اعطى ثم أثبتني وقال على رضي الله عنه كفر النعمة داعية المقت ومن جازله
بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك وحقيق بمن أسديت اليه نعمة اوقضيت له حاجة ان يكافئ فان لم يقدر فليشكر فان شكره فقد

أدى حقها (قال الشاعر) فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد * لرفعة حال أو علو مكان * لما أمر الرحمن بالشكر خلقه * فقال اشكروا في أيها الثقلان * (وقال البستي) * (٢٣٠) * لئن عجزت عن شكر برك قوتي * وأقوى الوري عن شكر برك عاجز

فان ثنائى واعتقادى وطاعى

لا فلاك ما أوليته مراكز

وقال اسحق بن ابراهيم

الموصلى وقفت علينا امرأة

فقلت يا قوم تغير علينا

الدهر اذ قل منا الشكر

وفارقنا الغنى وحالفنا

الفقر فرحم الله امرأهم

بعقل واعطى من فضل

وواسى من كفاف واعان

على عفاف (وانشدوا)

فلو كان للشكر شخص يمين

اذا ما تأمله الناظر

لمثله للحتى تراه

فتعلم انى امرؤ شاكر

ولكنه ساكن فى الضمير

يحركه الكلم السائر

(وقيل) لكسرى ما الشكر

فقال المكافاة على قدر

الطاعة قبل فخال كافر

قال ترك التجزأولو بالثناء

قبل وهل يكون أحد

أجل من ينجل بالثناء قال

نعم من عادى على الصنعة

(الباب الخامس والثلاثون

فى بيان السيرة التى يصلح

عليها الامير والمأمور

ويستريح اليها الرئيس

والمرؤس مستخرجة من

القرآن العظيم)

قال الله تعالى وما من

دابة فى الارض ولا طائر

يطير بغير حياحه الا ام امان الله

فانبت الله تعالى الممثلة بينهم وبين سائر البهائم

ومعهم ومنافيتى الممثلة فى الاخلاق فلا أحد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلق مختلفة فاذا

المشرق تعطى فيها كقيمة العمل بالتقوى بصناعة سحرية حسب ما تراه فيها وهى هذه

يا طالب السرى التغير وير * اسمع كلام الصدق من خبير

دع عنك ما قد صنعوا فى كتبهم * من قول بهمان ولفظ غرور

واسمع لصدق مقاتلى ونصيحى * ان كنت ممن لا يرى بالزور

فاذا أردت تغير وبالبر التى * حارت لها الا وهام فى التدبير

صور كصور تلك التى أوقفها * والرأس رأس السبل فى التقوير

ويدها ما سكن للجبل الذى * فى الدلو ينشل من قرار البير

وبصدره هاء كما عاينتها * عدد الطلاق احذر من التكرير

ويطأ على الطأت غير ملاس * مشى اللبيب الكيس التكرير

ويكون حول السكل خطائر * تربيعه أولى من التكرير

واذبح عليه الطير والطعنه * واقصده عقب الذبح بالتخير

بالسندروس وباللبان ومبعة * والقسط والبسه بنوب حرير

من احمر أو اصفر لا ازرق * لا اخضر فيه ولا تكدير

ويشده خيطان صوف أبيض * او احمر من خالص التخمير

والطالع الاسد الذى قد بينوا * ويكون بده الشهر غير منير

والبدن متصل بسعد عطارد * فى يوم سبت ساعة التدبير

يعنى ان تكون الطأت بين قدميه كأنه يشي عليها وعندى ان هذه القصيدة من توبيعات المتخرفين فلهم

فى ذلك أحوال غريبة واصطلاحات عجبية وتتمشى التخرقة والكذب بهم الى أن يسكنوا المنازل المشهورة

والدور المعروفة مثل هذه ويحتملون الحفرويض من المطابق فيها والشواهد التى يكتبونها فى صحائف

كذبهم ثم يقصدون ضغائن العقول بامثال هذه الصحائف ويؤمنون على أكثر ذلك المنزل وسكناء

ويؤمنون أن به دفيناً من المال لا يعرفون كثرة ويطلبون بالمال لاشتراك العقاقير والبخورات لمحل

الطالسم ويعدون بظهور الشواهد التى قد أعدوها هنا لك بانفسهم ومن فعلهم فيبعث لسايرهم من ذلك

وهو قد خدع ولبس عليه من حيث لا يشعر وبينهم فى ذلك اصطلاح فى كلامهم يلبسون به عليهم ليجفى

عند محاورتهم فيما يتلون من حفر وخبور وذبح حيوان وأمثال ذلك وأما الكلام فى ذلك على الحقيقة فلا

اصل له فى علم ولا خبر واعلم أن الكثر وزان كانت توجد له كتب فى حكم النادر على وجه الاتفاق لا على وجه

القصد اليها وليس ذلك باثر تعبه البلوى حتى يدخر الناس أموالهم تحت الارض ويختصمون عليها بالاطالسم

لا فى القديم ولا فى الحديث والركاز الذى ورد فى الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفين الجاهلية إنما يوجد

بالعنور والاتفاق لا بالقصد والطلب وايضاً من اخترن ماله وختم عليه بالاعمال السحرية فقد بالغ فى

اخفائه فكيف ينصب عليه الادلة والامارات لمن يتبعه ويكتب ذلك فى الصحائف حتى يطلع على ذخيره

اهل الاعصار والافاق هذا يناقض قصد الاخفاء وايضاً فافعال العقلاء لا بد وأن تكون لغرض مقصود

فى الانتفاع ومن اخترن المال فانه يختزنه لولده أو قريبه أو من يؤثره واما ان يقصد اخفاءه بالكلية عن كل

أحد وانما هو للبالاع والهلاك او لمن لا يعرفه بالكلية عن سائر الناس من الامم فهذا ليس من مقاصد العقلاء

بوجهه وأما قولهم ابن اء والامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم أن الاموال من الذهب

والفضة

فانبت الله تعالى الممثلة بينهم وبين سائر البهائم ومعهم ومنافيتى الممثلة فى الاخلاق فلا أحد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلق مختلفة فاذا

العين منهم ومنافيتى الممثلة فى الاخلاق فلا أحد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلق مختلفة فاذا

رأيت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فابصر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر الحيوان فالحق به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ تستريح من منازعتهم ويستريحون منك وتدوم الصحبة فاذا رأينا الرجل الجاهل في خلأته (٢٣١) الغليظ في طباعه القوي في بدنه

والفضة والجواهر والامتنعة انما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وسائر العقارات والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد فيها او ينقصها وما يوجد منها بايدي الناس فهو متناقل متوارث وربما انتقل من قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى بحسب اغراضه والعمران الذي يستدعي له فان نقص المال في المغرب وافر بقبه فلم ينقص ببلاد الصقالية والاfrican فنجوان نقص في مصر والشام فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الاثبات والمكاسب والعمران يوفرها او ينقصها مع أن المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى اللؤلؤ والجوهر أعظم مما يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالها من البلاء والفناء ما يذهب باعبانها لا قرب وقت وأما ما وقع في مصر من أمر المطالب والكنوز فسيببه أن مصر في ملكة القبط منذ آلاف او يزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجوهر والاثبات على مذهب من تقدم من أهل الدول فلما انتقضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نقر واعلى ذلك في قبورهم وكشفوا عنه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالأهرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويكثر على الدفن فيها في كثير من الاوقات اما ما يدفنونه من أموالهم او ما يكرمونه بموتاهم في الدفن من أوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فلذلك عني أهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى انهم حين ضربت المكوس على الاصناف آخر الدولة ضربت على أهل المطالب وصدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من المحقق والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون من أهل الاطماع الذريعة الى الكشف عنه والدفع باستخراجه وما حصلوا الاعلى الخبيثة في جميع مساعيهم نعوذ بالله من الحسرة فيحتاج من وقع له شيء من هذا الوسواس والتبلى به ان يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه كما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان ووسوسه ولا يشغل نفسه بالمحالات والمكاذب من الحكايات والله يرزق من يشاء بغير حساب

هـ * (فصل في أن الجاه مفيد للمال) *

وذلك اننا نجد صاحب المال والمحظوة في جميع اصناف المعاش أكثر يسارا وثروة من فاقد الجاه والسبب في ذلك ان صاحب الجاه محظوظ بالاعمال يتقرب بها اليه في سبيل الترف والمجاجة الى جاهه فالناس معينون له باعمالهم في جميع حاجاته من ضروري او حاجي او كمالي فتحصل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ما شأنه أن تبدل فيه الا عواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتوفر قيم تلك الاعمال عليه فهو بين قيم الاعمال يكتمس بها وقيم اخرى تدعوه الضرورة الى اخراجها فتوفر عليه والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فتتبدل الغنى لا قرب وقت ويزداد مع الايام يسارا وثروة ولهذا المعنى كانت الامارة احد اسباب المعاش كما قدمناه وفاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره الا بقدر ماله وعلى نسبة تسميته وهو لا يهتم أكثر التجار ولهذا تجد أهل الجاه منهم يكونون ايسر بكثير وعملا يشهد لذلك اننا نجد كثيرا من الفقهاء وأهل الدين والعبادة اذا شتهر بحسن الظن بهم واعتقد الجمهور معاملتهم الله في ارفادهم فأخلص الناس في اعانتهم على احوال دنياهم والاعتماد في مصالحهم أسرع اليهم الثروة واصبحوا مياسير من غير مال مقتني الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم رأيت ان ذلك اعداد في الامصار والمدن وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح والتجر وكل قاعد بمنزله لا يبيع

يطالب عثرات الناس وسقطاتهم فخله في الاكديمين كمثل الذباب في عالم الطير فان الذباب يقع على الحسد فيتحامى صحيحه ويطلب المواضع الثقيلة منه وذوات المادة والدم والنجاسة واذا بلغت بسطان يهجم على الاموال والارواح فالحق به عالم الاسود وخذ حذرک منه كما تأخذ حذرک

من الاسد وليس الا لله رب منه كما قال النابغة * ولا قرار على زار من الاسد * واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان والمفاخرة فالحق
بعالم الثعالب واذا بليت بمن يمشى (٢٣٢) بالناسم ويقرق بين الاحبة فالحق بعالم الظربان وهي دابة صغيرة تقول العرب عند

من مكانه فينمو ماله ويعظم كسبه ويتأمل الغنى من غير سعي ويعجب من لا يقطن لهذا السر في حال ثروته
واسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب

٦ * (فصل في أن السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخسوع
والتقوى وان هذا الخلق من أسباب السعادة) *

قد سلف لنا فيما سبق ان الكسب الذي يستقيده البشر انما هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عطل عن العمل
جملة لمكان فاقدر الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته
وعلى نسبة ذلك نمو كسبه او نقصانه وقد بينا آنفاً ان الجاه يقيد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس
اليه باعمالهم وأموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل او مال عوضاً عما
يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح أو طالح وتبصر تلك الاعمال في كسبه وقيامها أموال
وثروته فيستقيده الغنى والبسار لا قرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة
يتمهي في العلوى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفلى الى من لا يملك ضراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه
و بين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه بما ينظم معاشهم وتنسب مصالحهم ويقيم بقاؤهم لان
النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون وأنه وان ندركه ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاؤه ثم ان
هذا التعاون لا يحصل الا بالاعمال كراه عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان
افعالهم انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع وقد يتنوع من المعاونة فيتعين جملة عليها فلا بد من حامل يكره
ابناء النوع على مصالحهم لتمام الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات لنتخذ بعضهم بعضاً سخيراً ودرجة ركب خير مما يحكمون فقد تبين ان الجاه هو القدرة
الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسه هم بالاذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة
ليحكمهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل باحكام الشرائع والسياسة وعلى اغراضه فيما سوى
ذلك ولكن الاول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور والداخلية في
القضاء الالهى لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل المواد فلا يقوت الخير بذلك
بل يقع على ما ينطوى عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليفة فتقهم ثم ان كل طبقة من
طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونهما من الطباق وكل واحد من الطبقة السعوى
يستمد بذى الجاه من اهل الطبقة التي فوقه ويزداد كسبه تصرفا فيمن تحت يده على قدر ما يستقيده منه
والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش ويتسع وينضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه
صاحبه فان كان الجاه متسعاً كان الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقاً قلل الاثقال وفاقداً الجاه وان
كان له مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله أو ماله ونسبة سعيه ذاهباً أو يباقي تنميته كما كثر التجار واهل
الفلاحة في الغالب واهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصرواعلى فوائد صنائعهم فانهم يصيرون الى
الفقر والخصاصة في الاكثر ولا تسرع اليهم ثروته وانما يرمقون العيش ترميقاً ويدافعون ضرورة الفقر
مدافعة واذا تقرر ذلك وان الجاه متفرع وان السعادة والخير مقترنان بحصوله علمت أن بذله وافادته من
اعظم النعم واجلها وان باذله من اجل المنعمين وانما يسدله لمن تحت يديه فيكون بذله نعمة عالية وعزة
فيحتاج طالبه ومبتغيه الى خضوع وتماق كى يسأل اهل العز والملوك والافئدة مذكر حصوله فلذلك قلنا ان
الخسوع والتلقى من أسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وان اكثر اهل الثروة والسعادة

تفرق الجماعة فسا بينهم
ظربان فتفرقوا وخاصة
هذه الدابة اذا حصلت
وسط جماعة أن يتفرقوا
وكما ان الجماعة اذا قبلت
نحوهم هذه الدابة طردوها
ومنعوها الدخول بينهم
كذلك ينبغي اخراج النمام
من بين الجماعة فان لم
يقبلوا يوشك ان يفرق
ما بينهم ويقسد قلوب
بعضهم على بعض واذا
رايت انسانا لا يسمع العلم
والحكمة وينفر من مجالس
العلماء والمحكماء يالف
سماع اخبار اهل الدنيا
وسائر الخرافات وما يجرى
في مجالس العوام فالحق
بعالم الخنافس فانه يجبه
أكل العذرات ويالف
روائح النجاسات ولا تراه
الا ملابساً للاخيلة
والمراحيض وينفر من
روائح المسك والورد واذا
طرح عليه المسك والورد
مات واذا رايت انسانا انما
دأبه حفظ الدنيا لا يستحي
في الوثوب عليها فالحق
بعالم الاحدية بان تنحى
رجل عنه واذا بليت
بالرجل تظهر عليه الديانة
والسكينة وقد نصب
أشراكه لا تقتناص الدنيا
وأكل اموال الودائع

والامانات والارامل واليتامى فالحق بعالم الذئاب وهو كما قال فيه القائل ذئب تراه مصلياً * فاذا مررت به ركع بهذا
يدعو وجل دعائه * مالفريسة لا تقع عجل بها اذا العلا * ان القواد قد اندفع اجترز منه كما تجترز من الذئب واذا بليت بحجة

انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كالميت في الحية لا يقبل له خبر كما لا خبر للميت وكما لا تحبب الموتى لا تحبب الكذاب (وقيل)
في المثل كل شيء شئ وصحبة الكذاب لاشئ ويجوز ان يلحق به العالم النعام فانه يدفن جميع بيضه (٣٣٣) تحت الرمل ثم يترك واحدة على

وجه الرمل وأخرى تحت
طاقة من الرمل وسائر
بيضه في قعر الحفرة فاذا
رآه الغر يأخذ تلك البيضة
وينصرف أو يكشف عن
وجه الرمل فيجد الاخرى
فيظن انه ليس ثم شيء آخر
والخبير بحالة النعام اذا
رأى البيضة لا يزال يحفر
حتى يصل الى حاجته
ولا يغتر بتلك البيضة
كذلك الكذاب اذا سمعت
منه خبر لا تصدقه حتى تبلغ
الغاية في الكشف عنه
واذا رايت الرجل انما
دأبه أن يصنع نفسه كما تصنع
العروس لبعولها يبيض
ثيابه ويعدل عمامته
ويتقي ان يمسه شيء غيره
وينظر في عطفه وي طرح
القذى عن ثوبه ليس له
همة بين النساء الا نظره
الى نفسه واصلاح ما انتهى
من ثيابه فالحق به بعالم
الطواويس الذي هذه
صنعة فانه يتجتر في مشيته
وينظر الى نفسه ويفرش
ذنبه فيمتدحه الملوكة استحيانا
له واذا بليت بانسان حقوق
لا ينسى الهفوات ويجازي
بعد المدة على السقطات
فالحق به بعالم الجبال والعرب
يقول فلان أحقد من جل
وتجنب قرب الجبل الحقود

بهذا التعلق وهذا الخد الكبير من يتخلى بالترفع والشتم لا يحصل لهم غرض الجاه فيقتصرون في التكسب
على اعمالهم ويصرون الى الفقر والخصاصة * واعلم ان هذا الكبر والترفع من الاخلاق المذمومة
انما يحصل من توهم الكمال وان الناس يحتاجون الى بضاعته من علم اوصناعة كالعالم المتبحر في علمه او
الكاتب الجيد في كتابته او الشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم ان الناس يحتاجون
لما بيده فيحدث له ترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم أهل الانساب من كان في آباءه ملك او عالم مشهور او كامل
في طور يعبرون بما رأوه او سمعوه من حال آباءهم في المدينة ويتوهمون انهم استحقوا مثل ذلك بقرايتهم
اليهم ورايتهم عندهم مستسكون في الحاضر بالامر المردوم وكذلك أهل الحيلة والبصر والتجارب
بالامور قديتوهم بعضهم كمالا في نفسه بذلك واحتياجا اليه وتجدد هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين
لا يخضعون لاصحاب الجاه ولا يتملقون لمن هو اعلى منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل
على الناس فيستند كف أحدهم عن الخضوع ولو كان للملك ويعدونه مذلة وهو انا وسفهاو يحاسب الناس
في معاملتهم اياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شيء عما يتوهمه من ذلك وربما يدخل
على نفسه الهوم والاحزان من تصديرهم فيه ويستمر في عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه او اباية الناس
له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طباع البشر من التأله وقل ان يسلم احدهم لآخر في
الكمال والترفع عليه الا ان يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذا
فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفعول كمالين للاممته الناس به ذا الترفع ولم يحصل له حظ من
احسانهم ووقد الجاه لذلك من أهل الطبقة التي هي اعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود
عن تعاهد هم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقر اوفقر ذلك بقليل وأما الثروة فلا
تحصل له أصلا ومن هذا اشترب بين الناس ان الكمال في المعرفة محروم من الحظ وانه قد حوسب بما
رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشي يسره والله المقدر لارب سواه ولقد يقع
في الدول اضراب في المراتب من أهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب
ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء انقرد منها منبت الملك بلدهم وسلاطنتهم
ويش من سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم خول له
فاذا اسقطت الدولة وشجع الملك تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتهى الى خدمته وتقرّب
اليه بنصيحة واصطنعه السلطان لغناؤه في كثير من مهماته فتجدد كثير من السوقة يسعى في التقرب من
السلطان بحجده ونصح و يتزلف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتعلق له
ولحاشيته وأهل نسب به حتى يرتفع قدمهم وينظمه السلطان في جملة ويحصل له بذلك حظ عظيم من
السمعة وعادة وينتظم في عدد أهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من أبناء قومها الذين ذلوا واضعائهم ومهدوا
أكنافهم مغترون بما كان لا بائهم في ذلك من الاقرار لم تسمح به نفوسهم على السلطان ويعتدون
بأشارته ويجبرون في مضمار الدولة بسببه فيقتسم السلطان لذلك ويباعدهم ويميل الى هؤلاء
المصطنعين الذين لا يعتدون بقديم ولا يذهبون الى دالة ولا ترفع انما دأبهم الخضوع له والتعلق والاعمال
في غرضه متى ذهب اليه فتسحق جاههم وتعلم منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم
من قبل السلطان والمكانة عنده ويبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم
ذلك الا بعد امان السلطان ومقتوا وانشاء هؤلاء المصطنعين عليهم الى أن تنقرض الدولة وهذا أمر طبيعي

(٣٠ - ابن خلدون)
فاجتنب صحبة الرجل الحقود واذا بليت بانسان منافق يبطن خلاف ما يظهر فالحق به
بعالم البر بوع فان البر بوع وهو فأر يكون في البرية يتخذ حجرا تحت الارض يقال له النافق اعوله فوهتان يدخل من احدهما ويخرج

من الاخرى ومنه اشتق اسم المنافق فاذا هم احد باخذ منه دخل بحره وخرج من الباب الاخر فيخفر الصلابة فلا يظهر شيء كذلك حال المنافق لا يصح منه شيء (٢٣٤) وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس تستريح منهم وترى بهم منك فلعمر الله ما استقامت لي

في الدولة ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه

٧ * (فصل في أن القاتنين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب) *

والسبب لذلك ان الكسب كما قدمناه قمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها اعظم وكانت الحاجة اليها اشدد وأهل هذه البضائع الدينية لا تضطر اليهم عامة الخلق وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص عن اقبال على دينه وان احتيج الى الفتيا والقضاء في الخصوصيات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر وانما يتهم باقامة مراسمهم صاحب الدولة بحاله من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي قررناه لا يساويهم باهل الشوكة ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل ولهم أيضا لشرف بضائعهم اعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخشعون لاهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ اوقاتهم لذلك ما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على أعمال الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لاهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم يعزل عن ذلك فاذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب ولقد بحث بعض الفضلاء في ذلك على وقوعه في يد اوراق مخروقة من حسابات الدواوين بدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والمخرج وكان في عطاياها في رزاق القضاة والائمة والمؤذنين فوقته عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع اليه وقضينا العجب من اسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لا رب سواه

٨ * (فصل في أن الفلاح من معاش المستضعفين واهل العافية من البدو) *

وذلك لانه أصيل في الطبيعة وبسيط في منجاءه ولذلك لا يتجده ينتحله احد من أهل الحضرة في الغالب ولا من المترفين ويختص منتحله بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الادخله الذل وجهه البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بالآلة الزرع او تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي الى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا متناولا أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما إشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في الممتلكات واعتبار الحقوق كلها مغرما للملك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٩ * (فصل في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها) *

اعلم ان التجارة محاولة الكسب بتمضية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أي بما كانت السلعة من رقيق او زرع او حيوان او قماش وذلك القدر الذي يسمى ربحا فالحالة لذلك الربح اما ان يخترن السلعة ويتحين بها حواله الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه واما بان ينقله الى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار اطال الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصص التجارة إشارة له بذلك

الى

تعالى خالق الخلائق أجعبن وأنعم عليهم بأنواع النعم فاكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات

ثم أفاض عليهم نعمه وكلمات لهم الذات وبعد هذا فاقدر الله حق قدره ولا عظموه حق عظمتهم بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه

صحبة الناس وسكنت نفسي واستراحت من مكابدة أخلاقهم الامن حيث سرت معهم في هذه السيرة (وقال) الرياح يابني رياح لا تحقر واصغرا تأخذون عنه فاني أخذت من الثعلب روغانه ومن القرد مكايده ومن السنور صرعه ومن الكلب نصرته ومن ابن آوى حذره وقد تعلمت من القمير مشي الليل ومن الشمس الظهور في الحين بعد الحين (الباب السادس والثلاثون) في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة القلوب وطبقة النفوس) *

اعلم أيها الملك انه متى كملت فيك الخصال الحمودة والأخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء مواضعها ثم ان الرعية اهتضعت حقك وجهلت قدرك ولم توفك حظك فبلغك منهم ما يسوءك ورأيت منهم ما لا يجيبك فاعلم انك لست باله فلا تطمع ان يصغولك منهم ما لا يصفو منهم لاله وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان الله

بما يستحيل عليه وأضافوا اليه ما يقدس عنه وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له البنات ومنهم من يحسمه ومنهم (٢٣٥) من يشبهه ومنهم من أنكره رأسا وقال

مال الخلق صانع كما حكاه

الخاني عنه فقال غوث

ونحيا وما يهدى كما لا الدهر

وهو مع ذلك يحيمهم ويقيمهم

ويصع أجسامهم وحواسهم

ويرزقهم وينعشهم ويقضى

ما رزقهم واوطأهم ويعتصمهم

متاعا حسنا ويبلغهم آمالهم

في معظم ما يحتاجون اليه

فعاصمهم اليه صاعدة

وبركاته عليهم نازلة كل

يعمل على شاكلته وينفق

عما عنده وكل ذي حال

اولى بها (وفي مناجاة موسى

عليه السلام انه قال الهى

أسألك ان لا يقال فى ملبس

فى فواحى الله تعالى اليه

ذلك شئ ما فعلته لنفسى

فكيف أفعله بك وفى هذه

السيرة عبرة لمن اعتد بر

وذكرى لمن اكرم مع انك

ان التمس رضا جميع

الناس التمس ما لا يدرك

وكيف يدرك رضا الخلقين

فيا أيها الملك الذى قد كتب

الله عليه القناء والعمر

القصير والزمان اليسير

والايام المعدودة والانفاس

المحصورة كيف أردت ان

يصفوا لك من الرعية مالم

يصف منهم الخلقهم ورازقهم

ومحبيهم وموحيهم هيئات

هيئات بعيد ما أملت

ومستحيل ما طلبت فك فى

الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بما رضى منهم خالقهم وتسير فيهم بسيرة ربه فيهم المتركف احسن البك فرضى منك باليسير من العمل واكثر لك من النعم من الاموال والخول فانظر كيف يستبرز لك ويتغمد سياتك ولا يفضحك في خلواتك في هذا ما يهدى النفوس

الى المعنى الذى قررناه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

١٠ * (فصل فى أى اصناف الناس يحترف بالتجارة وأيهم ينبغى له اجتناب حرفها) *

قد قدمنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باغلى من ثمن الشراء ما ينتظر حواله الاسواق او نقلها الى بلد هى فيه انفق واغلى اوبيعها بالقله على الاكبال وهذا الرجب بالنسبة الى اصل المال يسير الا ان المال اذا كان كثير اعظم الربح لان القليل فى الكثير كثير ثم لا بد فى محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بايدى الباعة فى شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم فى تقاضى اثمانها واهل النصفه قليل فلا بد من الغش والتطقيف المحجف بالبضائع ومن المطل فى الاثمان المحجف بالربح كتمطيل المحاولة فى تلك المدة وبها غناؤه ومن الجحود والانهكار المسحت لرأس المال ان لم يتيقيد بالكتاب والشهادة وغناه المحكام فى ذلك قليل لان الحكم انما هو على الظاهر فيعانى الناجر من ذلك أحوال الصعوبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح الا بعظم العناء والمشقة ولا يحصل اويته لاشئ رأس ماله فان كان جريئا على الخصومة بصير بالحبس شديدا مما حكمة مقدما على المحكام كان ذلك اقرب له الى النصفه بجرأته منهم ومما حكرته والا فلا بد له من جاه يدع به يتوقع له الهيبة عنه الباعة ويحمل المحكام على انصافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفه فى ماله طوعا فى الاول وكراهى فى الثانى وأما من كان فاقدا للجرأة والاقدام من نفسه فاقدا لجاهه من المحكام فينبغى له ان يحتجب الاحتراف بالتجارة لانه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصير مأكلا للباعة ولا يكاد يتصف منهم لان الغالب فى الناس وخصوصا الرعاع والباعة شريهون الى ما فى ايدى الناس سواهم متوثبون عليه ولولا وازع الاحكام لاصبحت أموال الناس نهبا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

١١ * (فصل فى ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشرف والملوك) *

وذلك ان التجار فى غالب احوالهم اغنياء يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من الحكاية ضرورة فان اقتصر عليهم اقتصرت به على خلقها وهى اعنى خلق الحكاية بعيدة عن المرواة التى تتخلق بها الملوك والاشراف وأما ان استرذل خلقه بما ينبغى ذلك فى أهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلافة وتعاهد الايمان الكاذبة على الاثمان رد او قبول فاجدر بذلك الخلق ان يكون فى غاية المذلة لما هو معروف ولذلك تجدد أهل الرياسة يتحامون الاحتراف بهذه المحرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاماها شرف نفسه وكرم جلاله الا انه فى النادر بين الوجود والله يهدى من يشاء بفضل وكرمه وهو رب الاولين والاخرين

١٢ * (فصل فى نقل التاجر للسلع) *

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الاما تهم الحاجة اليه من الغنى والفقير والسلطان والسوقة اذ فى ذلك نفاق سلعته واما اذا اخص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعذر نفاق سلعته حينئذ ذبا عوازالشراء من ذلك البعض لعراض من العوارض فتكسد سوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من صنعها فان العالى من كل صنف من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس اسوقة فى الحاجة الى الوسط من كل صنف فليحذر ذلك جهده فقيه نفاق سلعته او كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة او فى شدة الخطر فى الطريق فقات يكون اكثر فائدة

ويؤدب ذوى العقول ويهتدى الى الصواب ويوضح طرق الرشاد والله درر غر بن الخطاب رضى الله عنه لقد كان واعيا لما تلوته عليه فانه روى عنه انه كتب الى عمرو بن العاص (٢٣٦) كن لرعيك ما تحب ان يكون لك اميرك (الباب السابع والثلاثون في بيان

للتجار واعظم ارباحا وكفل بحواله الاسواق لان السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدهم مكانها او شدة الغرور في طريقها فيقل حاملوها ويعجز وجودها اذا قلت وعزت غلت اثمانها او اذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص اثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان ارفع الناس واكثرهم اموالا بعد طريقتهم ومشقة واعتراض المفاز الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في اماكن معلومة يهتدى اليها الدلاء الركبان فلا يرتكب خطرهم هذا الطريق وبعده الا الاقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة لديها فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك وكذلك المسافرون من بلادنا الى المشرق لبعده الشقة ايضا واما المترددون في افق واحد ما بين امصاره وبلدانه فغناؤهم قليلة وارباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة المتين

١٣ * (فصل في الاحتكار) *

وعما اشتهر عند ذوى البصر والتجربة في الامصار ان احتكار الزرع لتحتين اوقات الغلاء مشؤم وانه يعود على قائدته بالتلف والخسران وسببه والله اعلم ان الناس لم يحتاجهم الى الاقوات مضطرون الى ما يبدلون فيها من المال اضطرار فبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بالمال سكر كبير وفي باله على من يأخذه مجانا ولعله الذي اعتبره الشارع في اخذ اموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لا عطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وماعد الاقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس اليها وانما يبيعونهم عليها التفتن في الشهوات فلا يبدلون اموالهم فيها الا باختيار وحرص ولا يبقى لهم تعلق بما اعطوه فلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما يأخذه من اموالهم فيفسد ربحه والله تعالى اعلم * وسمعت في ما يناسب هذا حكاية تظن بقعة عن بعض مشيخة المغرب اخبرني شيخنا ابو عبد الله الابلي قال حضرت عند القاضي يقاس لعهد السلطان ابي سعد وهو الفقيه ابو الحسن الملبلي وقد عرض عليه ان يختار بعض الالقاب الخيرية لمجرايته قال فاطرق فلما ثم قال لهم من مكس الخرفا سنضحك الحاضر ومن اصحابه وعجبوا واولوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت الجبايات كلها حراما فاخترنا منها ما لا يتابعه نفس معطيه والخمر قل ان يبدل فيها احد ماله الا وهو طار بمرور بوجوده غير اسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

١٤ * (فصل في ان رخص الاسعار مضر بالمخترفين بالرخيص) *

وذلك ان الكسب والمعاش كما قد مناه انما هو بالاصناف او التجارة والتجارة هي شراء البضائع والبيع وادخالها يخبين بها حواله الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسمى ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمخترفين بالتجارة دائما فاذا استديم الرخص في سلعة او عرض من مأكول او ملبوس او ممتول على الجملة ولم يحصل لتاجر حواله الاسواق فسد الربح والنماء بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففقد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤس اموالهم واعتبر ذلك اولابا لزرع فانه اذا استديم رخصه يفسد به حال المخترفين بسائر اطواره من الفلح والزراعة لقله الربح فيه وندارته او فاقده فيفقدون النماء في اموالهم او يجدونه على قلة و يعودون بالانفاق على رؤس اموالهم وفسد احوالهم ويصرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المخترفين ايضا بالطنج والخبر وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث الى صيرورته مأكولا وكذا يفسد حال الجناد اذا كانت ارزاقهم من السلطان على اهل الفلح زرع فانها تنقل جبايتهم من

الخصلة التي فيها ملجأ الملوك عنه ذلك عند ومعتل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال) *
ايها الملك اذا اعتلجت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد ومرتجت في قلبك وجوه الراي وتنكرت عليك المعارف وأكفهر لك وجه الزمان فلا يغلبك خصلتان اترك للناس دينهم وديناهم ولك الامان من طوارق المحذران وما يأتي به الملوان وقد روى أن المأمون قال في آخر موافقة مع أخيه الأمين وقد نفدت بيوت الاموال والمحت الاجناد في طلب ارزاق المأمون بقيت لآخي خصلة لو فعلها ملك موضع قدمي هاتين قيل له وما هي فقال والله اني لاضن بها على نفسي فكيف على غيري فلما خلاص له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لو ان الامين نادى في جميع بلاده انه قد حط الخراجات والوظائف السلطانية وسائر الجبايات عشر سنين لملك الامر على ولكن الله غالب على امره وما خشي المأمون انتقاص بيعته مع اهل

خراسان في آخر فتنه مع أخيه الأمين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السيرة وبسط العدل والقعود على

اللبود وثو اصل النظر في المظالم وتكرم القواد والملوك وابناء الملوك وتعهدها بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشاكلة ففعل ذلك وخط عن أهل خراسان ربع الخراج فالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون (٢٣٧) ابن أخته وابن عمه بنينا عليه السلام

وانقاد اليه رافع بن الليث

وكان من عظماء الملوك

بخراسان ويدخل تحت

هذه الترجمة أمر اتفق عليه

حكما العرب والروم

والفرس والهندوهو أن

تصطنع وجوه كل قبيلة

والمتقدمين من كل عشيرة

وتحسن الى جملة القرآن

والعلم وحفاظ الشريعة

وتدني مجالسهم وتقرب

الصالحين والمتزهدين

وكل متمسك بعروة الدين

وكذلك فليفعل بالاشراف

من كل قبيلة والرؤساء

المتبوعين من كل غط فهو لاء

هم أزمة الخلق وبهم يملك

من سواهم فمن كمال السياسة

والرياسة أن تبقى على كل

ذي رياسة رياسته وعلى

كل ذي عز عزته وعلى كل

ذي منزل منزلته فينشئ

يكون الرؤساء الكواعوانا

ومن دانت له الفضلاء من

كل قبيلة فاخلق به أن

يدوم سلطاناه والعامه

والاتباع دون مقدمهم

وساداتهم واتباعهم أجساد

بلا رؤس واشباح بلا أرواح

ولما قامت العامة على

السلطان بقرمطة ولبسوا

السلاح كان شيخ جالس

على كبره يعالج صنمته

فقال ما بال الناس قالوا

ذلك ويجزون عن اقامة الجندية التي هم بسببها ومطالبون بها ومنقطعون لها ففسد احوالهم وكذا اذا استدعى الرخص في السكر او الغسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المخترعون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات اذا استدعى فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يحجب بمعاش المخترعين بذلك الصنف الرخيص وكذا الغلاء المفرط ايضا وانما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حواله الاسواق وعلم ذلك يرجع الى العوائد المتقررة بين اهل العمران وانما يحمد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغنى والفقير والعالة من الخلق هم الا كثرة العمران فيعم الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

١٥ * (فصل في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المرواة) *

قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب القوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمماحكة والتعذلق وممارسة الخصومات والمجادلة وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف نقص من الذكاء والمرواة وتجرح فيها الان الافعال لا بد من عودا ثارها على النفس فافعال الخير تعود با ثار الخير والذكا وافعال الشر والسفسفة تعود بصدد ذلك فتتمكن وترسخ ان سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها ما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن المكايسات الناشئة عن الافعال وتتفاوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار في اطوارهم فمن كان منهم سافل الطور ومخالف الفلاسرا الباعة اهل الغش والخدابة والفجور في الامان اقرارا وانكارا كانت رداة تلك الخلق عنه أشد وغلبت عليه السفسفة وبعده عن المرواة وكسبها بالجملة والافلا بد له من تأثير المكايسة والمماحكة في مرواته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل قبله انهم يدعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر واقل من النادر وذلك أن يكون المسال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب او ورثة عن احد من اهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهورا ونهرة بين اهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من وكلائه وحشمه ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم ما يؤنسونه من بره واتخافه فيبيع دونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الافعال المقتضية لها كحرفة كون مر وأنهم أرسخوا بعد عن تلك الحاجة الا ما يسرى من آثار تلك الافعال من وراء المحاب فانهم يضطرون الى مشاركة احوال أولئك الوكلاء ووفاقهم او خلافهم فيما يأتون او يذرون من ذلك الا انه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خالقكم وما تعملون

١٦ * (فصل في ان الصنائع لا بد لها من العلم) *

(اعلم) ان الصناعة هي ملكة في امر على فكري ويكون عملها وجسماني محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة فتقبلها بالمباشرة أو عبر لها أو كحل لان المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعايضة أو عب وأنتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه أكل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم لم يكن حذق المتعلم لم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون له كماليات والمقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولا ولانه مختص

قامت العامة على السلطان قال ولهم رأس قالوا قال شق الكبير يا صبي فذهبت مثلا * (الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لزم الرعية للسلطان) * قال حكيم الفرس ذم الرعية للملك على ثلاثة أوجه اما كرم قصر به عن قدره فاوردته ذلك ضغنوا اما انهم

يلعبه فوق قدره فأورثه ذلك بطرا وأما رجل منع حظ من الانصاف وفي الامثال احسانك الى الحر يبعثه على المكافاة واحسانك الى اللئيم الخسيس يبعثه على معاودة المسئلة (٢٣٨) (وقيل) للاسكندر ان فلانا يمتصك ويسىء الشاء عليك فقال أنا أعلم انه ليس

بالضروري الذي تتوفر الدواعي على تقه له فيكون سابقا في التعليم ويكون تعلمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر يخرج أصنافا ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدرج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل في ازمان واحمال واخراج الاشياء من القوة الى الفعل لا يكون دفعة لا سيما في الامور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تجد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط فازدادت حضارتها ودعت أمور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى الفعل وتنقسم الصنائع ايضا الى ما يختص بالمرعاش ضروريا كان او غير ضروري والى ما يختص بالافكار التي هي خاصة الانسان من العلوم والصنائع والسياسة ومن الاول الحياكة والحجارة والتجارة والمعداة وامنالمها ومن الثاني الوراقة وهي معاناة الكتب بالانساخ والتجليد والغناء والشعر وتعليم العلم وامثال ذلك ومن الثالث المجندية وامنالمها والله اعلم

١٧ * (فصل في ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته) *

والسبب في ذلك ان الناس ما لم يستوف العمران الحضري وتمتد المدينة انما هم مهم في الضروري من المعاش وهو تخصص يمل الاقوات من الخطة وغيرها فاذا تمت المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينئذ الى الكمال من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم انما هي للانسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوان والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم ضروريته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأني فيها حينئذ واستحادة ما يطلب منها بحيث تتوفر الدواعي الترف والثروة واما العمران البدوي او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المسبب في الضروريات من نجار او حداد او خياط او حائك او خراز او اوجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستحادة وانما يوجد منها بمقدار الضرورة اذهى كلها واسائل الى غير ما وليست مقصودة لذاتها واذا خرب العمران وطلبت فيه الكمال كان من جملة التأني في الصنائع واسببها فكم كانت بجميع ممتاتها وتزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو اليه عوائد الترف واحواله من خراز ودباغ وخراز وصانع وامثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف اذا استبحر العمران الى ان يوجد منها كثير من الكمال والتأني فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصير لم يتح لها بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الاعمال ما يدعو اليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحماشي والصباح والسفاح والمهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها فان هذه الصناعة انما يدعو اليها الترف في المدينة من الاشغال بالامور الفكرية وامثال ذلك وقد يخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور والعجم والحجر الانسية وتخييل أشياء من العجائب بايها قلب الاعيان وتعليم الحداد والرقص والمشي على الخبوط في الهواء ورفع الاثقال من الحموان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصارهم لم يبلغ عمران مصر والقاهرة ادام الله عمراتها بالمسلمين

١٨ * (فصل في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها) *

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوائد للعمران والوان والعوائد انما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال واذا استحكمت الصبغة عسر نزاعها ولهذا تجد في الامصار

بشرير فينبغي أن نعلم هل ناله من ناحيتنا امر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجد هارثة فامر له بصلته سنينة فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالشناء عليه فقال أمارتون ان الامر لنا ان يقال فينا خير أو شر وينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعية مالا وقضية فيكونوا عليه بلاعة وفنتة ولكن يتخذهم أهلا واخوانا فيكونون له جندا وأعداؤا وقدس في المثل اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود * (الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والجائر) *

مثل السلطان العادل مثل الياقوتة النفيسة الرقيقة في وسط العقد ومثل الرعية مثل سائر الشذر فلا تلحظ العيون الا الواسطة واول ما يبصر المقبلون وينتقد الناقدون الواسطة وانما يثنى المثنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة عمرت سائر الشذر فلا يكاد يذكر كمال ابن سعد لقيت بالمحجاز بين مكة والمدينة سكرينة بنت الحسين رضي الله عنهما فسفرت لي عن وجه ابنتها واذا وجهه كأنه قطعة قرو قد انقلبتا

بالجواهر والياقوت وأنواع الدرر فالتفت الى وقالت والله ما عاينته علمي الا لتفضحه وكما ان جمال السلك أن يلي الواسطة الا فضل فلا فضل من الشذر وان كان على خلاف ذلك كان سيئ النظم كذلك السلطان ينبغي أن يكون الاقرب

فالاقرب اليه اهل العلم والعقل والادب والرأى والاصالة والشرف والمصافة وذوى الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكان جلال العدة بعبوديته كذلک جمال الرعية بكمال (٢٣٩) سلطانهم وفضلهم وبراعتهم وعدله ومثل

السلطان الجائر مثل الشوكة في الرجل فصاحبها تحت ألم وقلق ويتداعى لها سائر الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين بما في مسوره من الآلات والمناقب والشرايع والابر على اخرجها لانها في غير موضعهما الطبيعي ويوشك ان تغلق بالاجرة فابن غرزالياقوت من شوك القناد

(الباب الموفى اربعين فيما يجب على الرعية اذا جاز السلطان)

اعلم ارشدك الله ان الزمان وعاء لاهله ورأس الوعاء اطيب من اُسفه كما ان رأس الحجر ارق واصفى من اُسفله فلتن قلت ان الملوك

اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك فالرعية ايضا ليسوا كمن مضى من الرعية ولست بان تدم اميرك اذا

نظرت آثار من مضى منهم باولى من يذمك اميرك اذا نظرت آثار من مضى من الرعية فاذا جاز عليك السلطان فعليك الصبر

وعليه الوزر (روى) البخاري عن عباد بن الصامت قال يا ايها النبي عليه السلام في كان فيما اخذ عليان يايعنا على

السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرتنا عليه وان لا تنازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحدكم فيه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره من امير شيئا فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال لنا

التي كانت استجرت في الحضارة لتراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد فانما نجد فيها رسوم الصنائع قائمة واهوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوائد امصارها كالمباني والطبغ واصناف الغناء والهوم والآلات والاوراق والرقص وتنضيد القرش في القصور وحسن الترتيب والاوزاع في البناء وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجمع المواعين واقامة الولائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعو اليها الترف وعوائده فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها ونجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على حصنة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار وان كان عمرانها قد تناقص والكثير منه لا يساوي عمران غيره هاهنا بلاد العدو وما ذاك الا لما قد مد منه من رسوم الحضارة فيهم بروح الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدهما من دولة الطوائف الى هلم جرا فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه في قطر الاما ينقل عن العراق والشام ومصر ايضا لطول آما الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكملت جميع اصنافها على الاستجادة والتنمية وبقيت صيغتها ثابتة في ذلك العمران لا تقارقه الى ان يتقضى بالكلية حال الصبغ اذا رشح في الثوب وكذا ايضا حال تونس فيما حصل فيها بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا أنه متضاعف برسوم منها تنقل اليها من مصر لقرب المسافة بينهم ما وتردد المسافرين من قطرها الى قطر مصر في كل سنة وربما سكن أهلها هناك عصورا فينقلون من عوائد ترفهم ومحكم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت احوالها في ذلك متشابهة من احوال مصر لما ذكرناه ومن احوال الاندلس لما اننا كثرنا كنهان من شرق الاندلس حين الحلاء لهذا المائة السابعة ورشح فيها من ذلك احوال وان كان عمرانها ليس بمناسب لذلك لهذا العهد الا ان الصبغة استحكمت قليلا لما تحول الابر والاحمال وكذا نجد بالقيروان ومراكش وقلعة ابن جناد اثرا باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا وفي حكم الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد من هذه الصنائع آثارا تدله على ما كان بها كثر الخط الممحو في الكتاب والله الخلاق العليم

١٩ * (فصل في ان الصنائع انما استجدت وتكررت اذا كثر طلبها) *

والسبب في ذلك ظاهروها وان الانسان لا يسمع به ماله أن يقع مجانا لانه كسبه ومنه معاشه اذا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه فلا يصرفه الا في ماله قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها اتفاق كانت حينئذ الصناعة بمنابة السلعة التي تنفق سوقها وتجب للبيوع فتجدد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم واذ لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا يوجه قصد الى تعلمها فاقتصت بالترك وفقدت للاهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قديمة كل امرئ ما يحسن بمعنى أن صناعته هي قيمته أي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضا فهو ناسراخر وهو أن الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها ومالم تطلبها الدولة وانما يطلبها غيرها من اهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها اتفاق كل شيء والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فانفق منها كان أكثر باضرورة والسوقه وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافعة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

الذي عليه السلام انكم سترون بعدى اثره وامرنا ان نكر ونهاقوا لافنا ثم يا رسول الله قال ادوا لهم حقوقهم واسألوا الله حقكم (وروى)
ابوداود في سننه ان النبي عليه السلام (٢٤٠) قال سيأتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا سألوا ذلك فاعطوهم

ولا تسبوهم ولتدعوا لهم

وهذا حديث عظيم الموقع
في هذا الباب قد دفع اليهم
ما طلبوا من الظلم ولا
تنازعهم فيه ونكف استننا
عن سبهم يا عبد الله لا تجعل
سلاحك على من ظلمك
الدعاء عليه ولكن الثقة
بالله فلا محنة فوق محنة
ابراهيم عليه السلام لما
جعلوه في كفة المنجنيق
لنصف به في النار قال اللهم
انك تعلم ايمانى بك وعداوة
قومي فيك فانصرني عليهم
واكفني كيدهم (وقال)
مالك بن دينار وجدت
في بعض الكتب يقول الله
تعالى اني انا الله ملك الملوك
قلوب الملوك بيدى فمن
اطاعني جعلتهم عليه رجة
ومن عصاني جعلتهم عليه
نقمة فلا تشغلوا انفسكم
بسبب الملوك ولكن توبوا
الى الله اعطهم عليكم وفي
بعض الكتب ابن آدم
تدعو على من ظلمك ويدعو
عليك من ظلمته فان شئت
اجبتك واجبتنا عليك
وان شئت اخرت الامر الى
يوم القيامة فيسعكم العقو
(وقال) سليمان بن داود
عليه السلام لا تجعل
لجلك في الادعاء المكافاة
ولكن الثقة بالله وروى

٢٠ * (فصل في ان الامصار اذا قاربت الخراب انما قصت منها الصنائع) *
وذلك لما بينا ان الصنائع انما تستجد اذا احتيج اليها وكثر طالها واذا ضعفت احوال المصرواخذ في الهرم
بان تقاض شجراته وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصار على الضروري من احوالهم فتقل
الصنائع التي كانت من توابيع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصح له بهام عايشه فيفر الى غير هال او يموت ولا
يكون خلف منه فيذهب رسم تلك الصنائع جملة كما يذهب النقاشون والصواغ والكباب والنساخ
وامثالهم من الصنائع لمجايات الترف ولا تزال الصنائع في التناقص ما زال المصير في التناقص الى ان
تضمحل والله الخلاق العليم سبحانه وتعالى

٢١ * (فصل في ان العرب بعد الناس عن الصنائع) *

والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعوا اليه من الصنائع وغيرها
والجهم من أهل المشرق وأم النصرانية عدوة البحر الرومي أقوم الناس عليها لانهم أعرق في العمران
الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي اعانت العرب على التوحش في القفر والاعراق في
البدو مفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيا والارمال المهمة لتناجها ولهذا نجد اوطان العرب وممالكها
في الاسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر آخر وانظر بلاد الجهم من الصين والهند وارض
الترك وأم النصرانية كيف استكثر فيهم الصنائع واستجلبها الامم من عندهم وعجم المغرب من البربر
مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البدو منذ احقاب من السنين ويشهد ذلك قلة الامصار بقطرهم كما
قدمناه فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة الا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والحداد في
خرز وودبغ فانهم لما استحضروا بلغوا فيه المبالغ لعموم البلوى بها وكونه من أغلب السلع في قطرهم
لما هم عليه من حال البدو واما المشرق فقد درستخت الصنائع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من الفرس
والنبط والقبط وبنو اسرائيل ويونان والروم احقبا بما تطاولت فرسخت فيه ماحوال الحضارة ومن جعلتها
الصنائع كما قدمناه فلم يجمع رسمها واما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكه العرب الا انهم تداولوا
ملكه الا قدام السنين في أم كثير من منهم واخطوا امصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة والترف
مثل عاد وثمود والعمالة وحمير من بعدهم والقبابعة والاذواء فطال امد الملك والحضارة واستحكمت
صناعتها وتوفرت الصنائع ورستخت فلم يلبى الدولة كما قدمناه فبقيت مستعدة حتى الآن واخذت
بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصب وما يستجد من حولك الثياب والحرير فيها والله وارث الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٢ * (فصل فيمن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجدها بعد ما ملكة في اخرى) *

ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها ورستخت في نفسه فلا يجيد من بعده ما ملكة الخياطة
او البناء الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صيغتها والسبب في ذلك ان الملكات صفات للنفس
والوان فلا تردهم دفعة ومن كان على الفطرة كان اسهل لقبول الملكات واحسن استعدادا لخصوصها
فاذا تلونت النفس بالملكة الاخرى وخرجت عن الفطرة ضعفت فيها الاستعداد بالون الحاصل من هذه
الملكة فكان قبولها لملكة الاخرى اضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل ان تجد صاحب صناعة يحكمها
ثم يحكم من بعدها اخرى ويكون فيها ما على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان أهل العلم الذين ملكتهم
فيكره به ففهم بهذه المنابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم واجادها في الغاية فقل ان يجيد ملكة

ابوداود في السنن قال سرق من ملقة لعائشة رضي الله عنها فجعلت تدعو على من اخذها فسمعها النبي عليه
السلام فقال لا تسبحي عنه يعني لا تخفي عنه فنهاها عن الدعاء على الظالم كما ترى فاذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه

وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موقفا ما ظلمك فان استجب دعائك فيه زاد ظلمك ومن الالفاظ المروية عن سلف هذه الامة قولهم لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان (وقال) (٢٤١) الفضيل لو ظفرت بيبت المسال لاخذت من

حلاله وصنعت منه اطيب الطعام ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الاخيار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم

تعالوا ندعور بنا ان يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل اليه امرنا وما قدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان وابنتاه فقال معاوية يا بنت أخي ان الناس أعطوا ناطاعة وأعطيناهم أمانا وظهرنا لهم حلمات غضبوا وظهروا لنا طاعة تحتها قدم مع كل انسان سبعة وهو يرى مكان انصاره فان تكشاهم نكثوا بنا ولا نذكرى اعلمنا نكون ام لنا ولا نكفون ابنة عم امير المؤمنين خير من ان تكوني امرأة من عرض المسلمين (وروي) ان رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضربة قلة فاستعدي عليه الى المنصور فقال له اصلحك الله اذكر حاجتي ام اضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب لي قبلها مثلا قال اصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانه يقر الى امه اذ لا يعرف غيرها وظن انه انه لا ناصر له ووقها فاذا ترعرع واشتد فاذى كان فراره وشكواه الى امه لعلمه

علم آخر على نسبة بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الاقل النادر من الاحوال ومبني سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتوليته بلون الملاكمة الحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

٢٣ * (فصل في الاشارة الى امهات الصنائع) *

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لا تدرى الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشدعن الحصر ولا يأخذها العد الا ان منها ما هو ضروري في العمران او شريف بالموضوع فتنحصر بالذكري ونترك ما سواها فاما الضروري فالقلاحة والنساء والخياطة والنجارة والجميكة وأما الشريفة بالموضوع فكالنوليد والكاتب والوراق والغناء والطب فاما النوليد فانها ضرورية في العمران وعامة البهلولي اذ بها يحصل حياة المولود ويتم غالبا وموضوعها مع ذلك المولودون وامهاتهم وأما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه وهو يتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقه فهي حافظة على الانسان حاجة ومقدمة لمساعد النسيان ومبلغه ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلم في الخفيف ورافعة رتب الوجود للمعاني وأما الغناء فهو نسب الأصوات ومظهر جمال اللامع وكل هذه الصنائع الثلاثة تداع الى مخالطة الملوك الاعظم في خلواتهم ومجالس أنسهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومتممة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الأغراض والدواعي والله اعلم بالصواب

٢٤ * (فصل في صناعة القلاحة) *

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ القوات والمحبوب بالقيام على اثاره الارض لها وازدراعتها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتسمية الى بلوغ غايته ثم خصا صانعيه له واسه تخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالبا اذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء الا من دون القوت وهذا اختصت هذه الصناعة بالبدوا واذ قد مناه أنه أقدم من الحضر وسابق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها لان احوالهم كلها ثابته على البداوة فصنائعهم ثابته عن صنائعها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقم العباد في ما أراد

٢٥ * (فصل في صناعة البناء) *

هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للامكن والمأوى للابدان في المدن وذلك أن الانسان لما جعل عليه من الفكر في عواقب احواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والمحيطان من سائر جهاتها والبشر مختلف في هذه الجملة الفكرية ففهم المعتدلون فيما يتخذون ذلك باعتدال أهالي الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس وأما أهل البدو فمعرفة دون عن اتخاذ ذلك لقصور أفكارهم من ادراك الصنائع البشرية فيما يدرون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج ثم المعتدلون المتخذون للمأوى قديته كالثرون في البسيط الواحد بحيث يتماكرون ولا يتعارفون فيخشون طروق بعضهم بعضا فيحتاجون الى حفظ مجتمعهم بادارة ماء أو أسوار تحوطهم ويصير جمعهم مدينة واحدة ومصر واحد ويحوطهم الحكام من داخل يدفع بعضهم عن بعض وقديمتا حاجون الى الاتصاف ويتخذون المعاقل والمحصون لهم ولمن تحت أيديهم مثل الملوك ومن في معناهم من الاعراء وكبار القبائل في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلمون عليه ويناسب مزاج هوائهم واختلاف احوالهم في الغنى والفقر وكذا حال أهل المدينة الواحدة ففهم من يتخذ

(٣١ - ابن خلدون) بان اياه اقوى من امه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وخبر به امرشكا الى الوالى لعلمه بانه اقوى من ابيه فاذا زاد عقله واشتدت شبكته شككا الى السلطان لعلمه بانه اقوى من سواء فان لم ينصفه السلطان شككا الى الله عز وجل وقد نزلت بي نازلة

وليس فوقك احد اقوى منك فان انصفتي والارفعت امرها الى الله في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمة اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى قال بل ننصفك وامر بان (٢٤٢) يكتب الى واليه برضيعته اليه (الباب الحادي والاربعون في كما تكونوا يولى عليكم) *

القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكس ويعالى عليها بالاصمغة والجص ويبلغ في ذلك بالتمجيد والتتميق اظهار اللبسطة بالغا في شأن المأوى ويهيئ مع ذلك الاسراب والمظامير للاختزان لا قوته والاصطبلات لربط مقرر بانه اذا كان من أهل الجنود وكثرة التابع والمحاشية كالامراء ومن في معناهم ومنهم من يبنى الدور والبيوت لنفسه وسكنه وولده لا يمتنع ما وراء ذلك لقصور حاله عنه واقتضاه على الكن الطبعي للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج لهذه الصناعة ايضا عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والها كل المرتفعة ويبلغون في اتقان الاوضاع وعلموا الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدوامي لذلك واكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة من الرابح وما حواله اذا الاقاليم المنخفضة لا بناء فيها وانما يتخذون البيوت حطائر من القصب والطين وانما يوجد في الاقاليم المعتدلة وأهل هذه الصناعة القائنون عليها متقاوتون ففهم البصر الماهر ومنهم القاصرون هم في تنوع انواعا كثيرة فمنها البناء بالحجارة المنجدة يقام بها الجدران ملصقا بعضها الى بعض بالطين والكس الذي يعقد معهما ويلتحم كأنها جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذها الوحان من الخشب مقدار طول او عرض باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربعة أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقديوع دما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدران يسد المجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بالوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطا بالكس ويركز بالمرأكة المعدة حتى ينجم ركزه ويختلط أجزاءه ثم يزداد التراب ثانية ونالنا الى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تدخلت أجزاء الكس والتراب وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة ويركز كذلك الى أن يتم وينظم اللوح كلها سطران فوق سطر الى أن ينتظم الحائط كله ملتصقا كانه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب ومن صنائع البناء ايضا أن تحبل الحيطان بالكس بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن افراط النارية المفسدة للحام فاذا تم له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق الحائط وذلك الى أن يلتحم ومن صنائع البناء عمل السقف بان يمد الخشب المحكم النجارة أو الساذجة على حائط الميب ومن فوقها الألواح كذلك موصولة بالدهسائر ويصب عليها التراب والكس ويسط بالمرأكة حتى تدخل أجزاءها وتلتحم ويعالى عليها بالكس كما يعالى على الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع الى التتميق والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الاشكال الجميلة من الجص يخمر بالماء ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلال فيشكل على التناسيب فخر بما ثاقب الحديد الى أن يبقى له رونق ورواء ويرمى على الحيطان ايضا بقطع الرخام والاجر والخزف أو بالصدف أو السبع يفصل أجزاء متجانسة أو مختلفة وتوضع في الكس على نسب وأوضاع مقدرة عندهم يمدو به الحائط للعيان كانه قطع الرخام المنتمية الى غير ذلك من بناء الجباب والظهار يجلسفح الماء بعد أن تعد في البيوت قصاص الرخام القوراء المحكمة المخرط بالفوهات في وسطها لتدمج الماء الجاري الى الصهر يجلب اليه من خارج في القنوات المفضية الى البيوت وأمثال ذلك من أنواع البناء وتختلف الصناعات في جميع ذلك باختلاف الخلق والبصر ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكثر ويرجع المحكام الى نظرها ولا سيما ما أبصر به من أحوال البناء وذلك أن الناس في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضاء والهواء للاعلى والاسفل

لم ازل اسمع الناس يقولون أعمالكم عما لكم كما تكونوا يولى عليكم الى ان ظفرت بهذا المعنى في القرآن قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وكان يقال ما أنكرت من زمانك فانما أفسده عليك عملك وقال عبد الملك بن مروان انصقونا يا معشر الرعية تريدون مناسيرة أئبي بكر وعمر ولا تسيروا فينا ولا في أنفسكم يسيرتهم انسال الله ان يعين كلا على كل (وقال) قتادة قالت بنو اسرائيل الهنا أنت في السماء ونحن في الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك فأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائهم اذا استعملت عليكم خباركم فقدر صديت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم وقال عبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال أئبي بكر وعمر انطاع الناس لهم والديناء عليهم أضيقت من شبر فأتسعت عليهم ما ووليت أنت وعثمان الخلافة ولم ينطاعوا لك كما قد اتسعت فصارت عليك كما أضيق من شبر فقال لان دعيت أئبي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي أنا اليوم مثلك وشبهك (وكتب) اخ لمحمد بن يوسف يشكو اليه جور

العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك تذكر ما أنتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما أرى ما أنتم فيه الامن ومن

شؤم الذنوب والسلام * (الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تصلحها الرعية) * اعلم ان ادعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية واقواها اثر في تسمكهم باديانهم وحفظهم لمروا تهم اصلاح السلطان (٢٤٣) نفسه وتزهره عن سفساف الاخلاق

ومن الانتفاع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيمنع جاره من ذلك الا ما كان له فيه حق ويختلفون ايضا في استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الحارئة والفضلات المرسية في القنوات وربما يدعى بعضهم حق في حائطه او علوه او قنائه لتضايق الجوار او يدعى بعضهم على جاره اختلال حائطه خشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهد مه ودفع ضرره عن جاره عند من يراه او يحتاج الى قسمة دار او عرصه بين شر يكتن بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا اموال لمنفعة او امثال ذلك ويخفى جميع ذلك الاعلى اهل البصر العارفين بالبناء واحواله المستدلين عليها بالمعاد والقياس وطورا كزخشب ومييل الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة اوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات بحسب لوجة ومرفوعة بحيث لا تضرب بماء من البيوت والحيطان وغير ذلك فلهذه هذه كلة البصر والخبرة التي ليست لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في الاحمال باعتبار الدول وقوتها فان اقدم من ان الصنائع وكلها انما هو بكمال الحضارة وكثرة ابطالها فلذلك عند ما تكون الدولة بدوية في اول امرها تقتصر في امر البناء الى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين اجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث الى ملك الروم بالقسمه طنينية في القسمة المهرية في البناء فبعث اليه منهم من حصل له غرضه من تلك المساجد وقد عرف صاحب هذه الصناعة اشياء من الهندسة مثل تسوية الحيطان بالوزن واجراء المياه باخذ الارتراف وامثال ذلك فيحتاج الى البصر بشئ من مسائله وكذلك في جاراتها بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة الكبيرة يجز قدرا للقلعة عن رفعها الى مكانها من الحائط فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة الحبل بادخاله في المعاني من انقاب مقدرة على نسب هندسية تصير الثقل عند معاناة الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلفة وهذا انما يتبع باصول هندسية معروفة متداولة بين البشر وبمثلها كان بناء الهيكل المسائله لهذا العهد التي يحسب الناس انها من بناء الجاهلية وان ابدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك وانما تم لهم ذلك بالتحيل الهندسية كما ذكرناه فتعظم ذلك والله يخلف ما يشاء سبحانه

٢٦ * (فصل في صناعة النجارة) *

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل للانس في كل مكون من المكونات منافع تكميل بها ضروراته وحاجاته وكان منها الشجر فان له فيه من المنافع ما لا ينحصر عما هو معروف لكل احد ومن منافعها اتخاذها خشبا اذا يست واول منافعها ان يكون وقودا للنيران في معاشهم وعصيا للالات كالعود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم ما يخشى ميله من اثقالهم ثم بعد ذلك منافع اخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل البدو فيستخذون منها العمود والوتاد لحياتهم والحدود لظعناتهم والرماح والقسي والسهام لاسلحهم واما اهل الحضر فالسقف لبيوتهم والاعلاق لابوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالحشبة مادة لا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تقصيل الخشب او لا اما بخشب اصغر منه او الواح ثم تركب تلك الفصائل بحسب الصور والمطبوقة وهو في كل ذلك يحاول بصنعة اعداد تلك الفصائل بالانتظام الى ان تصير اعضاء ذلك الشكل انخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف او باب او كرسي او ما عاون حدث التأنق في صناعة ذلك

فلاحير في الذات من دونها ستر حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتكررت له وجوه الوري فلما بلغ الامين حيمه ثم اطلقه بعد ان اخذ عليه ان لا يشرب خمر او لا يقول فيه شعرا فتي اراد السلطان اصلاح رعيته وهو متمسك على سبيل اخلاقه كان كمن اراد بقاء الجسد مع فقد

وبعد عن مواضع الزيب وترفيهه نفسه عن استحقاب البطالة والجون واللعب والاهو والاعلان بالفسوق وقد كانت صحبة محمد الامين لذلك الرجل الخليل والمساكن الرقيق اثنى نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه او هن بها ساطاته ووضع عند الخاص والعام قدره وأطلق السنة الخلق بالشم والثناء القبيح على نفسه فخلعه بذلك أخوه المأمون عن الولاية ووجه طاهر بن الحسين لمحاربه بغداد وحاربه حتى قتله وانفذ برأسه الى المأمون وكان يعمل كتبها تقرأ على المنابر من خراسان ويقف الرجل فيذم اهل العراق فيقول اهل فسوق وخجور وما خور ويعيب الامين بذلك فيقول استصحب ابانواس شاعرا ما جانا كافرا استخلصه معاه لشرب الخمر وارتكاب الما شم ونيل الخمار وهو القائل الافاس قتي خمر او قل لي هي الخمر ولا تسقي سرا اذا امكن الجهر وبج باسم من تهوى ودعني من الكنى

رأسه أو أراد استقامة الجسم مع عدم حيائه ولكن أراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف يحيا النون مع فساد الماء ولقد أصاب الخليل في قوله اصلح نفسك لنفسك (٢٤٤) تكون الناس تبعاً لك وقد يما قيل من اصلح نفسه ارغم انفس اعدائه ومن اعمل

جده بلغ كنه امانيه (وسئل)

بعض الحكماء بم بنةم

الانسان من عدوه فقال

باصلاح نفسه ولا يفتح

البدن

اذا غدا ملك بالاله ومشتغلا

فاحكم على ما لك بالويل

والحرب

اماترى الشمس في الميزان

هابطة

لما غدا وهو برج اللهو

والطرب

وصحبة الاشراق تورث الشر

كالريح اذا مرت على التبن

جملت نبتنا واذا مرت على

الطيب جملت طيبا فحال

استصلاح رعيته وانت

فاسد وارشادهم وانت غاو

وهذا يتهم وانت ضال وقد

سبق المثل ومن العجايب

اعمش كحال وتقول العرب

يا طبيب طب نفسك وكيف

يقدر الاعشى على ان يهدى

والفقير على ان يغنى والذليل

على ان يعز فبعدك عن

تطهير غيرك من العيوب

قبل تطهير نفسك كبعد

الطبيب عن ابراع غيره من

داعيه مثله (وقال) بعض

حكماء الهند ان يبلغ ألف

رجل في اصلاح رجل

واحد بحسن القول دون

حسن الفعل كما يبلغ رجل

واحد في اصلاح ألف

واستجاذبه بغرائب من الصناعة كمالية ليست من الضرورى في شئ مثل التخطيط في الابواب والكراسي ومثل تهئية القطع من الخشب بصناعة الخراط يحكم برها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقبلة وقوة الجسم بالذساتر فتبدل لرى العين ملتزمة وقد أخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شئ يتخذ من الخشب فيجىء آتى ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الالات المتخذة من الخشب من أى نوع كان وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة في انشاء المراكب البحرية رية ذات الالواح والدرى وهي أجرام هندسية صنعت على قالب المحوت واعتبار سبجه في الماء بقوامه وكل كاله ليكون ذلك الشئ كل أعون لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التى للسماك تحريك الرياح وربما أعينت بحركة المقاذيف كما فى الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة الى اصل كبير من الهندسة فى جميع اضافاتها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه الاحكام محتاج الى معرفة التناسب فى المقادير اما عمومها وخصوصا وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع الى المهندس ولهذا كان أئمة الهندسة اليونانيون كلهم أئمة فى هذه الصناعة فكان اوقلايدس صاحب كتاب الاصول فى الهندسة نجارا وها كان يعرف وكذلك بلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة فى الخليفة هونوح عليه السلام وبها أنشأ سفينة النجاة التى كانت بها مجهزة عند الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكنا عني كونه نجارا الا ان كونه أول من علمها وتعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه لبعده الامداد وانما معناه والله اعلم الاشارة الى قدم التجارة لانه لم يصح حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام فجعل كانه أول من تعلمها فنفهم اسرار الصنائع فى الخليفة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٢٧ * (فصل فى صناعة الحياكة والخياطة) *

ها تان الصنائع تان ضرورتان فى العمران لما يحتاج اليه البشر من الرفه فالاولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن سدا فى الطول والحماما فى العرض لذلك النسج بالالتحام الشديدي فتم منها قطع مقبلة وقوة فيها الا كسبة من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل اولاً بالماقرض قطعاً مناسباً لاجزاء البدنية ثم لحجم تلك القطع بالخياطة الحكة وصلاوتين تالوتنفسح على حسب نوع الصناعة وهذه الثانية مختصة بالعمران المحضرى لمان اهل البدو يستغنون عنها وانما يشتغلون بالاثواب اشتمالا وانما تقصير الثياب وتقديرها والحماما بالخياطة للباس من مذهب الحضارة وفنونها وتقدمهم هذا فى سر تحريم الخط فى الحج لمان مشروعية الحج مشتملة على هذا العلائق الدينوية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا أول مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشئ من عوائد ترفه لا طيبا ولا نساء ولا مخطا ولا خفا ولا تعرض لصيد ولا شئ من عوائده التى تلونت بها نفسه وخلقه مع انه يفقد ما بالموت ضرورة وانما يجيىء كانه وارد الى المحشر ضارعا بقلبه مخلصا لربه وكان جزاؤه ان تم له اخلاصه فى ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه سبحانه ما أرفقك بعبادك وارحمتهم فى طلب هدايتهم اليك * وهاتان الصنعتان قديمتان فى الخليفة لمان الدف ضرورى للبشر فى العمران المعتدل وأما المنحرف الى الحر فلا يحتاج اهله الى دفة ولهذا يملغنا عن اهل الاقليم الاول من السودان انهم عراقة فى الغالب ولقد قدم هذه الصنائع ينسبها العامة الى ادريس عليه السلام وهو أقدم الانبياء اوربما ينسبونها الى هرامس وقد يقال ان هرامس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم

فصل

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء من السقام لذى الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم ما زلت تطلع بالرشاد عقولنا * عظة وأنت من الرشاد عديم

أبد أن ينقلب فأنهم أعياها * فإذا انتهت عنه فانت حكيم
فهنالك يقبل ما تقول ويقتدى * بالرأي منك وينفع التعليم
لأنهم عن خلق وتأتى مثله * عار عليك إذا فعلت عظيم ولكن أقوى الأسباب (٢٤٥) في صلاحهم عند فوت صلاحه استعماله

٢٨ * (فصل في صناعة التوليد)

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الذي من بطن أمه من الرحم في إخراجها من رحمها
وتهيئته أسبابة ذلك ثم ما يصلح به بعد الخروج على ما نذكر وهو مختصة بالنساء في غالب الأمر لأنهن
الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسبب القاءة على ذلك منهن القابلة أسبب غير فهم معنى الإعطاء
والقبول كأن النساء تعطين الجنين وكانها تقبله وذلك أن الجنين إذا استكمل خلقه في الرحم واطواره
وبلغ إلى غايته والمدة التي قدر الله له كنهه وهي تسعة أشهر في الغالب فيطلب الخروج بما جعل الله في
المولود من النزوع لذلك وبضيق عليه المنفذ فيسرور بما فرغ من بعض جوانب الفرج بالضغظ وربما
انقطع بعض ما كان في الأغشية من الالتصاق والاتحام بالرحم وهذه كلها آلام يشتد لها الوجه وهو
معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك بعض الشيء بغز الظهر والوركين وما يحاذي الرحم من الأسفل
تساقق بذلك فعل الدافعة في إخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يكمنها على ما تهدي إلى معرفة
عسره ثم إذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها متصلة من سرة معاه وتلك
الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا تتعدى مكان الفضلة ولا تضر معاه
ولا يرحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي أو بماتراه من وجوهه لا ندمل ثم أن الجنين عند خروجه
في ذلك المنفذ الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانتفاء وربما تتغير أشكال أعضائه وأوضاعها
لقرب التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمر والاصلاح حتى يرجع كل عضو إلى شكله
الطبيعي ووضعه المقدور ويرتد خلقه سويا ثم بعد ذلك تراجع النفساء وتحاذيها بالغمر والملاينة لخروج
أغشية الجنين لأنها تخرج من خروجه قليلا ولا يخشى عند ذلك أن تراجع المسكة حالها الطبيعية
قبل استكمال خروج الأغشية وهي فضلات فتعفن ويسرى عفنها إلى الرحم فيقع الهلاك فتحاذر القابلة
هذا وتحاول في إغانة الدفع إلى أن يخرج تلك الأغشية إن كانت قد تأخرت ثم ترجع إلى المولود فتخرج
أعضاءه بالادهان والذورات القابضة لتشدده وتجنف رطوبات الرحم وتجنف لرفع لماته وتسبب عطه
لاستفراغ بطون دماغه وتغمره بالعوق لدفع السد من معاه وتجويفها عن الالتصاق ثم تدأوى النساء
بعد ذلك من الوهن الذي أصابها بالطلق وما لحق رحمها من ألم الانفصال إذا المولود لم يكن عضو طبيعيا
في حالة التكوين في الرحم صيرته بالاتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله ألم يقرب من ألم القطع
وتدأوى مع ذلك ما يلحق الفرج من ألم من جراحة التمزيق عند الضغظ في الخروج وهذه كلها أدواء نجد
هؤلاء القوابل أبصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواء في بدنه إلى حين الانفصال
فتجدهن أبصر بهن الطبيب الماهر وما ذاك إلا لأن بدن الإنسان في تلك الحالة أتمامه هو بدن إنسان
بالقوة فقط فإذا جاوز الانفصال صار بدن إنسانيا بالفعل فكأن كانت حاجته حينئذ إلى الطبيب أشد فلهذه
الصناعة كثرة ضرورية في العمران للنوع الإنساني لا يتم كون أشخاصه في الغالب دونها وقد يعرض
لبعض أشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة أما بحلق الله ذلك لهم معجزة وخرق للعادة كما في حق
الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أو بالهضم وهداية إليهم لها المولود ويقطر عليها فيتم وجودهم من دون
هذه الصناعة فأمثال المعجزة من ذلك فقد وقع كثيرا ومنه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد
مسرورا محتونا واضعاً يديه على الأرض شاخصاً بصره إلى السماء وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك
وأما شأن الألهام فلا ينكر وإذا كانت الحيوانات العجم تختص بغرائب من الألهامات كالتحل وغيرها فما

عليهم الخاصة منهم وذوي
الاحلام والمرآت القائة
والاذيال الطاهرة حتى رأس
العامية سراتهم فهو الطريق
إلى حفظ أديانهم وروايتهم
وتماسكهم عن الانهماك
في المحظورات وملازمة
المحرمات وقال الشاعر
لا تصلح الناس فوضى
لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهلهم سادوا
(وقال) مردك الفارسي
خلفتان في السلطان أقرب
إلى صلاح الرعية مما
سواهما ثقة الرأي وشدة
الرجة وما أحق السلطان
أن يسلك بالرعية كل سبيل
يصلحون عليه ويسودون
معه فحينئذ يكون رئيس
الرؤساء وأميراء على السادة
والفضلاء وأن أهمهم
وركوب شهواتهم وتوسط
لذاتهم ذهب أديانهم
وسقطت مروايتهم وبقوا
كجاء المثل في الجماعة
المذمومة تقول العرب في
القوم لا رؤساء فيهم ولا
سروات بينهم هم سواسية
كاسنان الحجار وتقول
سواسية كاسنان المشط
وفيه يقول الشاعر
سواس كاسنان الحجار
فلا ترى
لذي شية منهم على ناشئ
فضلا

ولأن يكون أميراً على الفضلاء والرؤساء خير من أن يكون أميراً على الأخساء والرمادية والغوغاء والادنياء (وقد قال) عبد الملك بن مروان
يوما وقد استقام له الأمر من بعد أبي عبد الله بن عمر فانه أبى أن يدخل في سلطان فيقال بعض جلسائه يستخصره وتضرب عنقه وتستريح

منه فقال عبد الملك ويل يا اذ اقلت ابن عمر على من اكون امير او لما صار داود الى الخازن في الدولة العباسية ليعقل من هناك من بني أمية قال له عبد الله بن الحسن يا ابن عم (٢٤٦) اذا سرعت في قتل كفائك فمن تباهى بساطنك اعف يعف الله عنك فعفا (وقال)

ارسطاطاليس للاسكندر
استصلح الرعية وأذهب
شرهم تكون رئيس الاخبار
ممدوحين ولا تكون رئيسا
لا شرار مذمومين فتكون
كرامى البقر
(الباب الثالث والاربعون
فيه ما يملك السلطان من
الرعية) *

كتب ارسطاطاليس الى
الاسكندر امالك الرعية
بالاحسان تظفر منهم بالحبة
فان طلب ذلك منهم
بالاحسان هو ادم بقاء
منهم بالاعتساف واعلم انك
انما تملك الابدان فتخطاها
الى القلوب بالمعروف
(واعلم) انه اذا عدل
السلطان ملك قلوب الرعية
واذا جار لم يملك منهم الا الرياء
والنصنع وفي سير المتقدمين
قلوب الرعية خزائن ملوكها
فما أودعوها من شيء
فليعلموا انه فيها (واعلم) ان
الرعية اذا قدرت على ان تفعل
تقول قدرت على ان تفعل
فاجتهد أن لا تقول تسلم
من ان تفعل وليس هذا
خلاف ما روى عن معاوية
ان رجلا غلظ له فسلم عليه
فقال له اتعلم على مثل هذا
فقال انى لأحول بين
الناس وأستهم ما لم يحولوا
بيننا وبين سلطاننا وذلك

ذلك بالانسان المفضل عليهم وخصوصا بمن اختص بكرامة الله * ثم الالهام العام للوولين في الاقبال على
الشيء اوضح شاهد على وجود الالهام العام لهم فشان العناية الالهية اعظم من أن يحاط به ومن هنا يقم
بطلان رأى الفارابي وحكامه الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات
وخصوصا في النوع الانساني وقالوا لولا انقطع اشخاصه لاستحال وجودها بعد ذلك لتوقفه على هذه
الصناعة التي لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون هذه الصناعة وكفاتها الى حين الفصال لم يتم
بقاؤه اصلا ووجود الصنائع دون الفكر مجتمع لانها ثمرة وتابعة له وتكافى ابن سينا في الرد على هذا الرأي
لحقا لفته اياه وذهابه الى امكان انقطاع الانواع وخراب عالم التكرين ثم عوده ثانيا لاقتضايات فلكية
وأوضاع غريبة تنذر في الاحقاب بزعمه فتقتضى تخمير طينة مناسبة لمزاجه بحرارة مناسبة فيتم كونه انسانا
ثم يقبض له حيوان يخلق فيه الالهام لترتيبه والمخو عليه الى أن يتم وجوده وفصاله وأطنب في بيان ذلك في
الرسالة التي سماها رسالة يحيى بن يقظان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كنا نوافقه على انقطاع الانواع
لكن من غير ما استدلل به فان دليله مبني على اسناد الافعال الى العلة الموجهة ودليل القول بالفاعل
المختار يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الافعال والعللة القديمة ولا حاجة الى هذا
التكلف * ثم لو سلمناه جدلا لافغاية ما ينبغي عليه اطراد وجوده هذا الشخص بخلق الالهام لترتيبه في
الحيوان العجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان الالهام يخلق في الحيوان العجم فما المانع من
خلقه للوود نفسه كما قرناه اولاً وخلق الالهام في شخص لمصالح نفسه أقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكلما
المذهبين شاهدان على أنفسهم ما بالطلان في مناحيهم ما ساقروا لله تعالى أعلم

٢٩ * (فصل في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية) *

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدتها فان ثمرتها حفظ الصحة للاصحاء ودفع
المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من امراضهم واعلم ان اصل الامراض كلها انما هو
من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية
رأس الدواء وأصل كل داء البردة فلما قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر وأما قوله الحمية رأس الدواء
فالحمية الجوع وهو الاحتماء من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الادوية
وأما قوله أصل كل داء البردة فعنى البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يتم هضم الاول
وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالاكل وينتفع به القوي
المهاضمة والغاذية الى أن يصير دما ملائما لاجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تأخذ النامية فينقلب
لمحار وعظم او معنى المضم طبع الغذاء بالحركة الغريزية طورا بعد طور حتى يصير جزأيا لفعل من البدن
وتفسيره ان الغذاء اذا حصل في القوم ولا كته الاشدق أثرت فيه حرارة الفم طنجاسيرا وقلبت مزاجه بعض
الشيء كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاما ثم أجدها مضغاً فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة
فتطبخه حرارة المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صفو ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما راسب منه
في المعانة فلا ينقل الى الخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان يصير دما عبيطا وتطبخ عليه
رغوة من الطبخ هي الصفراء وترسب منه اجزاء باسطة هي السوداء ويصير المحار الغريزي بعض الشيء عن
طبخ الغلظ منه فهو البلمغ ثم ترسلها الى الكبد كته في العروق والجداول يأخذها طبع المحار الغريزي
هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار وطب يد الروح الحيواني وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون

محار

ان تفسير قوله فاجتهد أن لا تقول يعني اذا عدلت لم يتكلموا بشيء وهذه السيرة أحسن من سيرة ادرشير

لما رفع اليه أن جماعة من بطانته قد فسدت نباتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما غفلنا الاجساد لا النيات ونحكم بالعدل لا الرضا ونفحص

عن الاعمال لاعن السمائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرة لمن يحجز عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل واين هذا من قوله وقد رفع اليه انك ركبت امس في عدة قليلة وتلك (٢٤٧) حالة لا يؤمن اغتيال الاعداء فيها

فوقع من عم احسانه أمن
أعداءه وما أحسن ما قال
عبد الملك بن مروان يا أهل
الشام انما انا اكم كالظلم
الرائح على فراخه ينقي
عنهم القذرو ويباعد عنهم
الحجرو ويكنهم من المطر
ويحميهم من الضباب
ويحرسهم من الذئاب
يا أهل الشام انتم الحبة
والرداء وانتم العدة والجداء
وقالت العجم أسوس الملوكة
من قادر عتبة الى طاعته
بقلو بها ولا ينبغي للوالي
أن يرغب في الكرامة
التي ينالها من العامة
كرها ولو كان في التي يستحقها
بحسن الاثرو صواب
التدبير وقال عمر بن عبد
العزيز اني لاجع أن
أخرج للمسلمين أمرا من
العدل فاخاف أن لا تحمله
قلوبهم فانخرج معهم طمعا
من طمع الدنيا فانفرت
القلوب من هذا سكنت
الى هذا وقال معاوية
لزياد من أسوس الناس
انا أو انت فقال يا أمير
المؤمنين ما جعل الله رجلا
حفظ الناس بسيفه كمن
أسمع الناس وأطاعوا له
بالدين ويروى ان سليما
مولي زياد خفي رزياد
عند معاوية فقال معاوية

لجأ ثم غلبه عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجاته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب
والخاط والدمع هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لجأ ثم ان أصل الامراض ومعضمها هي
الحميات وسببها ان الحار الغريزي قد يصفى عن تمام النضج في طبعه في كل طور من هذه فيبقى ذلك
الغذاء دون نضج وسببه غالبا كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون أغلب على الحار الغريزي او ادخال الطعام
الى المعدة قبل أن تستوفي طبع الاول فيستقل به الحار الغريزي ويترك الاول بحاله او يتوزع عليهم ما
فيقتصر عن تمام الطبع والنضج وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على انضاجه
وربما بقي في الكبد من الغذاء الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما
هو فاذا أخذ البدن حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع واللعاب ان اقتدر على
ذلك وربما يعجز عن ذلك كثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتترايد مع الايام وكل ذي رطوبة
من المتزجات اذا لم يأخذ الطبع والنضج يعفن فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخاط وكل
متعفن فقه حرارة غريبة وتلك هي المسماة في بدن الانسان بالحى واختبر ذلك بالطعام اذا ترك حتى يتعفن
وفي الزبل اذا تعفن ايضا كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ مأخذا فهاهنا معنى الحيات في الابدان وهى
رأس الامراض وأصلها كواقع في الحديث وهذه الحيات علاجها بطعم الغذاء عن المرض اسابيع
معلومة ثم ينالها الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة علاج في التحفظ من هذا المرض وأصله
كواقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث
جراحات في البدن اما في الاعضاء الرئيسية او في غير ها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى
الموجودة له هذه كلها جماع الامراض وأصلها في الغالب من الاغذية وهذا كله مرفوع الى الطبيب
وواقع هذه الامراض في أهل الحضرة والامصارا كثير لحظب عيشهم وكثرة ما كاهم وقلة اقتصارهم على
نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم لتناولها وكثيرا ما يخطئون بالاغذية من التوابل والبقول والفواكه
رطبوا يابس في سبيل العلاج بالطبع ولا يقتصرون في ذلك على نوع او انواع فر بما عذنا في اليوم الواحد
من ألوان الطبخ اربعين نوعا من النبات والحبوب فيصير للغة مزاج غريب وربما يكون غير يباعن
ملاءمة البدن وأجزائه ثم ان الاهوية في الامصار تفسد بمخاططة الانجزة العفنة من كثرة الفضلات والاهوية
منشطة للارواح ومقوية بنشاطها الاثر الحار الغريزي في المضم ثم الى الرياضة مفقودة لاهل الامصار اذ هم
في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم اثر افراس كان وقوع الامراض كثير في
المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعات وأما أهل البدو فكلهم قلب في
الغالب والمجوع أغلب عليهم لقلة المحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن انها جيلة لاستمرارها ثم الادم
قليلة لديهم او مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه انما يساعدوا اليه ترف الحضارة الذين هم
بمعزل عنه فيتناولون اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخاطها ويقرب مزاجها من ملاءمة البدن وأما اهويتهم
فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا آهلين او لا خلة لاهوية ان كانوا طواغن ثم ان
الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل او الصيد أو طلب الحاجات لهنة أنفسهم في حاجاتهم
فيحسن بذلك كله المضم ويجودو يفقد ادخال الطعام على الطعام فتكون آخرتهم أصح وابعدهم من
الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجهه وما ذاك الا للاسبغ تغناء عنه
اذ لو احتيج اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعوه الى سكناه سنة الله التي قد خلت في

أسكت فبا أدرك صاحبك بسنة أدركت أكثر منه بلساني (الباب الرابع والاربعون في التحذير من حجة السلطان) اتفقت
حكما العرب والعجم ووصاياهم على النهي عن حجة السلطان قال في كتاب كلبه ودمنه ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل حجة السلطان

واثمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطر اصحبه السلطان وقال
مردك احق الامور بالتميت فيها (٢٤٨) أمر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعرا لغير وروفي حكم الهند أيضا

عباده وان تجد لسنة الله تبديلا

٣٠ * (فصل في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية) *

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة
اللغوية وهو صناعة شريفة اذ الكتابة من خواص الانسان التي يميز بها عن الحيوان وأيضاً فهي تطلع
على ما في الضمائر وتنادى بها الاغراض الى البلد البعيد بدقة قضي الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها
ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهمة
الوجوه والمنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفهم على انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع
والعمران والتساخي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة اذ هو من جملة الصنائع
وقد قدمنا ان هذا شأنها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد ادا كثر البدو اميين لا يكتبون ولا يقرؤن ومن قرأ
منهم او كتب فيكون خطه قاصراً وقرعته غير نافذة ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمرانها عن الحد
ابلق واحسن وأسهل طريقا للاستحكام الصنعة فيها كما يحكي لنا عن مصر لهذا العهد وان بها معلمين
منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاما في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم
وضعه فتعتمد عليه رتبة العلم والحس في التعليم وتأتي ملكته على أتم الوجوه وانما أتى هذا من كمال
الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانتساح الاعمال وقد كان الخط العربي بالغامبالغة من الاحكام
والاتقان والمجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترقي وهو المسمى بالخط المجبري وانتقل منها
الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجديدين ملك العرب بأرض العراق
ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها
من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنهم أهل الطائف وقر يش فيما ذكر يقال ان الذي تعلم
الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال حرب بن أمية وأخذهما من أسلم بن سدره وهو قول ممكن وأقرب
من ذهب الى أنهم تعلموهما من ايداهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان ايداهل انزلوا ساحة العراق فلم ير الواعلي شأنهم من البدو والخط من الصنائع
الحضرية وانما معنى قول الشعراء انهم اقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقرتهم من ساحة
الامصار وضواحيها فالقول بان اهل الحجاز انما لقنوهما من الحيرة ولقنهم اهل الحيرة من التبابعة ووجه
هو الالتيق من الاقوال وكان مجبر كتابة تسمى المسند بحروفها منفصلة وكانوا يسمعون من تعلمها الا باذنهم
ومن جبر تعلمت مضر الكتابة العربية لانهم لم يكونوا يجيدون لها شأن الصنائع اذ اوقعت بالبدو فلا
تكون محكمة المذاهب ولا مائلة الى الاتقان والتميم لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها
في الاكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل او قري يما من كتابتهم لهذا العهد اذ اوتقوا ان كتابتهم لهذا العهد
احسن صناعة لان هؤلاء اقرب الى الحضارة ومخاطبة الامصار والدول واما مضر فكانوا اعرق في البدو
وابعد عن الحضرة من اهل اليمن واهل العراق واهل الشام ومصر فكان الخط العربي لاول الاسلام غير
بالغ الى الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لما كان العرب من البدو والادوة والتوحش
وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت
غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسوماتهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اختلف

صحبة السلطان على ما فيها
من العز والثرة عظيمة
الخطر وانما تشبه بالجبل
الوعرفها الثمار الطيبة
والسباع العادية والثعابين
المهلكة فالارتقاء اليه
شديد والمقام فيه أشد وليس
يكافأ خيرا السلطان
وشره لان خير السلطان
لا يعدوز يد الحال وشهر
السلطان قد ينزل الحال
ويتلف النفس التي لها
طلب المزيد ولا خير في
الشي الذي في سلامته مال
وجاه وفي نكته المجائحة
والتلف ولهذا ما قيل
للعناني لم لا تحب السلطان
على ما فيك من الادب
قال اني رأيت يعطى عشرة
آلاف في غير شيء ويردى
من الصوري في غير شيء
ولا أدري أي الرجلين
أكون (وأخبرني) أبو
العباس المجبازي وكان
من دوح أرض الهند
والصين وانتهى الى
صين الصين الى جبل
الياقوت بالهندوان فيه
ثعابين ليس في معمر
الارض أعظم منها فان
الواحد منها يبلغ الثور
صحيحا فلا يصل أحد الى
ذلك الجبل ولا يقربه
فاذا كثرت الامطار احدثت

السيول منه المحصى وسائر ما فيه من المنافع الى مستقر المياه على مسير أيام من الجبل فيبحث الناس ذلك المحصى
فيوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من أحجار الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي

ويرضى رضا الصبي ويطش بطش الاسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان وقال الاخنف بن قيس ثلاثة
لا أقولهن الا ليعتبر بهن لا اخلف جليسي الابعاء احضره به ولا ادخل في امر لا ادخل فيه (٢٤٩) ولا آتى السلطان الا ان يرسل الى

وقال ابن المقفع لا بد ان
وجدت من السلطان
وصيته غنى فاغن عن
نفسك واعتزله جهلك
فانه من يأخذه السلطان
بحقه يحل بينه وبين لذة
الدنيا ومن لا يأخذه بحقه
يكسبه الفضيحة في الدنيا
والوزر في الآخرة وقال
ميمون بن مهران قال لي
عمر بن عبد العزيز يا ميمون
احفظ غنى أربع لا تصيب
سلطانا وان أمرته بالمعروف
ونهيته عن المنكر ولا تخلون
بأمرأة وان قرأتها القرآن
ولا تصل من قطع روجه
فانه لك أقطع ولا تتكلم
بكلام اليوم تعتذر منه غدا
(وفي منثور الحكم) كثرة
الاشغال مذهلة عن وجود
الذات بكنهها وكم قدرنا
وبلغنا من صعب السلطان
من أهل الفضل والعقل
والعلم والدين ليصلحه ففسد
هو به فكان كما قال الاول
عدوى البليد الى الجليد
سريته
والبحر يوضع في الرماد
فيخمده
ومثل من يحب السلطان
ليصلحه مثل من ذهب
ليقيم حائطا ما لا فاعته
عليه ليقيمه فخر الحائط عليه
فأهلكه وفي كتاب كليله

التابعون من السالف رسيمهم فيها تبر كما بر رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده
المتلقون لوجهه من كتاب الله وكلامه كما يقفني لهذا العهد خطو لي اوعالم تبر كما ويبيع رسمه خطأ أوصوا باباوين
نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك وأثبت رسمه ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن
في ذلك الى ما يرنعه بعض المغفلين من أنهم كانوا يحكمين لصناعة الخط وان ما يتخيل من مخالفة خطوطهم
لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لسكاه وجهه ويقولون في مثل زيادة الالف في لا أدنكنه انه تنبيهه على ان
الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في بأييدانه تنبيهه على كمال القدرة الربانية وامثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم
الحض وما جعله -م على ذلك الاعتقاد هم ان في ذلك تنزيه للصحابة عن توهم -م النقص في -قلة اجادة الخط
وحسبوا ان الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا اليهم السكالم باجادة ومطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من
رسمه وذلك ليس بصحيح * واعلم ان الخط ليس بكامل في حقهم اذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية
كما رأيت فيما مر والكمال في الصنائع اضافي وليس بكامل مطلق اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في
الحلال وانما يعود على اسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على ما في النفوس
وقد كان صلى الله عليه وسلم لم اميا وكان ذلك كمالا في حقه وبالنسبة الى مقامه لشر فغو تنزهه عن الصنائع
العملية التي هي اسباب المعاش والعمران كما هو ليست الامية -م كمالا في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه
ونحن متعاونون على الحياة الدنياشأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصل -م طلاحية فان السكالم في حقه هو
تنزهه عنها حاجة لة بخلافنا ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملاكو الممالك ونزلوا البصرة والكوفة
 واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا الصنائع وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيه
 واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا انها كانت دون الغاية والخط الكوفي معروف
الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا افر يقية والاندلس واختط بنو العباس
بعد ادوت رقت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية
 وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الافريق المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من اوضاع
 الخط المشرقي وتحت يمين ملك الاندلس بالامو بين فتميز وباحوا لهم من الحضارة والصنائع والخطوط فميز
 صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية
 في كل قطر وعظم الممالك ونفقت اسواق العلوم وانتسخت الكتب واجيد كتبا وتجليدها وملائتها
 القصور والخزائن الملو كية قبالا كفاءه وتنافس اهل الاقطار في ذلك وتنافسوا فيه ثم لما انحل نظام
 الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من
 الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل اسواقها نافقة لهذا العهد -م دوله بها معلون برسمون
 لتعليم الحروف بقوانين في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم او يحكم أشكال تلك الحروف
 على تلك الاوضاع وقد لقنها حسننا وحذق فيها درية وكتبا وأخذها قوانين علمية فتجى وأحسن ما يكون
 وأما اهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم
 أم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافر يقية من لدن الدولة اللتونية الى هذا العهد وشاركوا أهل
 العمران بما لديهم من الصنائع وتعلموا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريق وعنى عليه ونسى
 خط القبروان والمهدية بنسب -م ان عوائدهما وصنائعهما وصارت خطوط أهل افر يقية كما على الرسم
 الاندلسي بتونس وماليها تتوفر أهل الاندلس بها عن -م الجالية من شرق الاندلس وبقي منه رسم ببلاد

(٣٢ - ابن خلدون) وضمنه لا يسعد من ابتلى بحببة الملوك فانه لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حليم ولا يكرم عليهم احد
الان يطعموا فيمعا عنه فيقر بوجهه عند ذلك فاذا اقضوا حاجتهم تركوه ولا ودولا اذ ائاعا الا البلاء يجزى والذنب لا يغفر له وقال بزرجمهر لا تصلح

صحبة السلطان الاباطعة واليدل ولا مؤاخاة الاخوان الابالين والمواساة (وقال) بعض حكماء افرس المال والاساطان مفسدان لئلا
أحد الارجل له عقل كامل وقالت (٢٥٠) الحكمة صاحب السلطان كراكب الاسديخافه الناس وهو لمركبه أخوف وقالوا من لزم

المريد الذين لم يخاطوا كتاب الاندلس ولا تفرسوا بجوارهم انما كان يغدون على دار الملك بتونس فصار
خط أهل افر يقيه من احسن خطوط أهل الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء
وتراجع امر الحضارة والترف بنراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجعل فيه وجه
التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما
قدمناه من ان الصنائع اذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب
الاقصى لون من الخط الاندلسي القرب جوازهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قريما واسستعمالهم اياهم
سائر الدولة ونسي عهد الخط فيما بعد عن سادة الملوك وداره كان لم يعرف فصارت الخطوط بافر يقيه
والمغرب بين مائلة الى الرداء بعيدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لم تصفحها منها
الا لعناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتخفيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تسكاد
تقرأ الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم

٣١ * (فصل في صناعة الوراقة) *

كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتحسينها بالرواية والضبط وكان
سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص
العمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بجزائر العراق والاندلس اذهو كله من توابع العمران
واتساع نطاق الدولة ونفاق اسواق ذلك لديهم فكثر التآلف العلمية والدواوين وحرص الناس
على تنافلهما في الافاق والاعصار فان تسخت وجادت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ
والتصحيج والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين واختصت بالامصار العظيمة العمران وكانت
السجلات أولا لا تنتساخ العالوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهمة
بالصناعة من الجمل لكثرة الرفو قوله التآليف صدر الملة كما نذكره وقلة الرسائل السلطانية والصكوك
مع ذلك فاقصر واعلى السكك في الرق تشرى في المكتوبات وميلابها الى الصحة والاتقان ثم طمأ بحر
التآليف والتدوين وكثرت رسل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاستأثر الفضل بن يحيى بصناعة
السكاغ وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذها الناس من بعده صحفاً مكتوبة باتهم السلطانية
والعلمية وبلغت الاجادة في صناعة ماشاءت ثم وقفت عناية اهل العالوم وهم اهل الدول على ضبط
الدواوين العلمية وتحسينها بالرواية المسندة الى مؤلفيها ووضعها لانه الشأن الاهم من التصحيح والضبط
فبذلك تسند الاقوال الى قائلها والفتيا الى المحاكم بها الجتهدي طريق استنباطها وما لم يكن تصحيح المتن
باسنادها الى مدونها فلا يصح اسناد قولهم ولا فتيا وهكذا كان شأن اهل العالوم ووجهته في العصور
والاجيال والافاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الحديثة في الرواية على هذه فقط اذ تفرتها الكبري
من معرفة صحيح الاحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت
وتحسنت زبدة في ذلك الامهات المتلقاة بالقبول عند الامة وصار القصد الى ذلك لغوامن العمل ولم يتبق
ثمرة الرواية والاشتغال بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثة وسواها من كتب الفقه للفقهاء وغير ذلك من
الدواوين والتآليف العلمية واتصال مسندها بمؤلفيها الصحيح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه
الرسوم بالمشرق والاندلس معجزة الطرق واضحة المسالك ولهذا نجد الدواوين المنتسجة لذلك العهد في
اقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها هذا العهد بأيدي الناس في العالم اصول عتيقة

باب السلطان بصبر جميل
وكظم الغيظ واطراح
الاذى وصل الى حاجته
كالكريم لا يتعلق باكرم
الشجر لكن بادناها وكانت
العرب تقول ان لم تكن
من قرياء الملك فكمن من
بعدها (وفي) حكم الهند
انما مثل السلطان في قلة
وفائه مع اصحابه وسخائه
نفسه عن فقده منهم كمثل
الصبي والمكتب كلما ذهب
واحد جاء آخر والعرب
تقول السلطان ذو غدوات
وذو بدوات وذو تدرا
وتريد انه سريع الانصراف
كثير البدوات هجم على
الامور واصلها من الدرة
وهو الدفع

(الباب الخامس والاربعون
في صحبة السلطان) *

قال ابن عباس قال لي ابي
يا بني اني اري امير المؤمنين
يستخيلك ويستشرك
ويقدمك على الاكابر من
اصحاب محمد عليه السلام
واني اوصيك بخلال ثلاث
لا تفشين له شرا ولا يحرجن
عليك كذبا ولا تغتابن
عنده احد (قال) الشعبي
قلت لابن عباس كل واحدة
منهن خير من ألف قال
اي والله ومن عشرة آلاف
وقالوا صحبة السلطان

تشهد

بالحذر والصدق بالنواضع والعدو بالجهر والعامه بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن رأي الملك

الاجحسن أثره (قال) بعض الحكماء لا تستطلع السلطان ما كنته ولا تنفس ما أطلعك عليه من أدل على السلطان استنقله ومن امتن

عليه عادامون أظهر أنه يستشير به بعده (وقال) بعض الحكماء إذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلا ولا إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبوان زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده وان ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس (٢٥١) فأخذوا في الشناء عليه فعملت

بالدعاء له وان نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملقى ولا تكثري في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيهه بالوخشة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا تألوا بما عظمت به وذكركه وقال ابن المقفع لعلك تكن حاجتك في سلطانك ثلاث خلال رضا ربك ورضا سلطانك ورضا من تلي عليه ولا عليك ان تلهو عن المسال

والدخرفس ما تيك منها ما يكتفي ويطيب (وقال) مسلم بن عمرو لم يخدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تنفغ - ير اذا أقصاك وروى أن بعض الملوك استصحب حكيمه فقال له أصحبك على ثلاث خلال قال وما هن قال لا تهتك لي ستر ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشير في قال هذا لك فخالي عندك قال لا أفضي لك سرا ولا أدر عنك نصيحة ولا أوتر علك أحد - ادا قال نعم الصاحب المستصحب أنت وقيل لعبد الله بن جعفر ما الخرق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع أولى الناس بالملك

القاحشة المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن خالد الدالة تقصد المحرمة القديمة وتضر بالحجة المتأكدة وقال بزرجه اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالفتك فان احسانه اليك فوق احسان المال وايقاعه بك اعظم من ايقاعه أصحب الملوك بالمعصية لهم

تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك وأهل الآفاق يتناقضون الى الآن ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب وأهله لانتقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانه قاص عمرانه وبداءة أهله وصارت الامهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية تنسخها طلبة البربر صحائف مستحجة برداءة الخط وكثرة الفساد والتخفيف فتستعلق على متصفحها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل النادر وأيضا فقد دخل الخل من ذلك في الغيبة فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن أئمة المذهب وانما تنلق من تلك الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك أيضا ما تصدى اليه بعض أئمتهم من التأليف لقلة بصرهم بصناعته وعدم الصنائع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالاحياء وهي على الاضمحلال فقد كاد العلم ينقطع بالكيفية من الغرب والله غالب على أمره ويبلغنا لهذا العهد ان صناعة الرواية قائمة بالمشرق وتصحح الدواوين لمن يروم به بذلك سهل على مبتغيه لنفاق اسواق العلوم والصنائع كما نذكره بعد - الا ان الخط الذي بقي من الاجادة في الانتساخ هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم وأما النسخ بمصر فقد كاد يفسد بالمغرب واشدوا لله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٣٢ * (فصل في صناعة الغناء) *

هذه الصناعة هي تخمين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة بوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سمعها الاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات تتناسب فيكون صوت نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وثمان من احد عشر من آخر واختلاف هذه النسب عند تأديتها الى السمع يخرجها من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذ عند السماع بل تراكب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد بساوق ذلك النظمين في النغمات الغنائية بتقطيع اصوات اخرى من الجمادات اما بالقرع او بالنقح في الآلات فتحد ذلك فترى لها الذعة عند السماع فيها هذا العهد اصناف منها ما يسمى - وانه الشبابة وهي قصبة جوفاء بانحاش في جوانبها معدودة ينفتح فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك الانحاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الانحاش وضعا معارفا حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة فيلذ السمع بادراكها للتناسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الزلامي وهو شكل القصبة منحوتة الجانبيين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل ائتلافها من قطعتين منفردتين كذلك بانحاش معدودة ينفتح فيها بقصبة صغيرة توصل فينفتح النغم بواسطتها اليها وتصور نغمة حادة يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الانحاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابة ومن احسن آلات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من نحاس أجوف في مقعد دار الذراع يتسع الى ان يكون انقراج مخرجه في مقعد اردون الكف في شكل برى القلم وينفتح فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت نغمة ناديا وفيه انحاش ايضا معدودة ويقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذ ومنها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها اما على شكل قطعة من الكرة مثل البريط والرباب او على شكل مربع كالفانون توضع الاوتار على بساطها مشدودة في رأسها الى دساتر جائلة لبتأني شد الاوتار ورخوها عند الحاجة اليه بادارتها ثم تفرع الاوتار ما بعد آخر او بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد أن يطلى بالشمع والاندرو ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره

والوفاء لانهم انما اختيروا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال أنسلت بهم فهو وحسبهم منك لا تعط السلطان مجهودك في أول صحبتك له فلا تجد بعد لئلا يدمو مضعاً (٢٥٢) ولكن دع لئلا يدمو مضعاً السلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشيرها اذا أحلك

او نقله من وتر الى وتر والبدا اليسرى مع ذلك في جميع آلات الاوتار توقع باصابعها على اطراف الاوتار فيعيا
يقرع او يحل بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملاذودة وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان او في
الاعواد بعضهما ببعض على توقع متناسب يحدث عنه التذاذ بالمسموع ولينين لك السدب في اللذة
الناشئة عن الغناء وذلك ان اللذة كما تقر في موضعه هي ادراك الملاثم والمحسوس انما تدرك منه كيفية
فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملاذودة واذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة فالملاثم من
الطعوم ماناسبت كيفية حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملاثم من الملموسات وفي الروائح ماناسبت مزاج الروح
القلبي البخاري لانه المدرك واليه تؤديه الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار والعطريات أحسن وأجمل
وأشد ملائمة للروح لغلبة الحارة فيها التي هي مزاج الروح القلبي وأما المراثيات والمسموعات فالملاثم فيها
تناسب الاوضاع في أشكالها وكيفية اتفانها وانسب عند النفس وأشد ملائمة لها فاذا كان المرئي متناسباً
في أشكاله وتخطيطه التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة
والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ متناسباً للنفس المدركة فتلتذذ بدارك
ملائمتها ولهذا تجد العاشقين المستهترين في الحبة يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أرواحهم بروح
الحبوب وفي هذا سر تفهمه ان كنت من أهلها وهو اتحاد المبدأ وان كل ماسواك اذا نظرت وتأملته رأيت
بينك وبينه اتحاد في البداية يشهد لك به اتحادكم في الكون ومعناه من وجه آخر ان الوجود يشترك بين
الموجودات كما تقوله الحكماء فتود ان تخرج بما شاهدت فيه الكمال لتتحد به بل تروم النفس حينئذ
الخروج عن الوهم الى الحقيقة التي هي اتحاد المبدأ والكون ولما كان أنسب الأشياء الى الانسان وأقربها
الى ان يدرك الكمال في تناسب موضوعها وشكلها الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن في تخطيطه
وأصواته من المداك التي هي أقرب الى فطرته فيلهمج كل انسان بالحسن من المرئي والمسموع بمقتضى
الفطرة والحسن في المسموع أن تكون الاصوات متناسبة لامتنافرة وذلك ان الاصوات لها كفيات من
الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة والضغط وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن
فاولاً ان لا يخرج من الصوت الى مده دفعة بل بتدرج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثل بل لابد من توسط
الغاير بين الصوتين وتأمل هذا من افتتاح أهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة أو المتقاربة
الخارج فانه من باب وثاناً تناسبا في الاجزاء كما مر أول الباب فيخرج من الصوت الى نصفه أو ثلثه أو جزء من
كذا منه على حسب ما يكون التثقل مناسباً على ما حصره أهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب
في الكفيات كما ذكره أهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملاذودة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطاً ويكون
الكثير من الناس مطبوعاً عليه لا يحتاجون فيه الى تعلم ولا صناعة كما نجد المطبوعين على الموازين
الشعرية وتوقع الرقص وأمثال ذلك وتسمى العامة هذه القابلية بالمصغار وكثير من القراء بهذه المثابة
يقرؤون القرآن فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزمار فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم
ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوي في معرفته ولا كل الطبائع توافق صاحبها
في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشره بعد عنه ذكر العلوم وقد أنكر
مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين وأجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى
الصناعي فانه لا ينبغي ان يختلف في حظه اذ صناعة الغناء مبنية للقرآن بكل وجهه لان القراءة والاداء
تحتاج الى مقدام الصوت لتعيين أداء الحروف لامن حيث اتباع الحركات في موضعها ومقدار المد عند

السلطان من نفسه بحيث
يسمع منك و يثق بك
فياك والدخول بينه وبين
بطانته فانك لا تدري متى
يتغير لك فيكون عوناً عليك
اياك ان تعادي من اذا
شاء يطر حثابه ويدخل
مع الملك في ثيابه فعل
وفي الامثال القديمة احذر
رماة الخدوف فيه قيل
ليس الشفيخ الذي ياتيك
مؤثراً
مثل الشفيخ الذي ياتيك
عريانا
وفي الامثال لا تدل فتدل
ولا توجف فتجف وقال
الرشيد لا سمعيل بن صبيح
اماك والدالة فانها تقصد
الحرمه وقال سليمان بن
داود عليهم السلام لا تغش
السلطان ولا تقعده
وقال الحكماء شدة
الاتقياض عن السلطان
تورث التهمة وشدة الانبساط
تفتح باب الملالة واعلم ان
من طلب الغز بلاذل
كانت ثمرة سعيه الدل أحرز
منزلتك عند السلطان
بمثل ما كتبتهم من الجدد
و المناجحة واحذر ان
يحطك التهاون عمارك
اليه التحفظ ان أشقى
الناس بالسلطان صاحبه
كما ان أقرب الأشياء الى
النار أسرها احترق

لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته (وقال الاخنف بن قيس)
لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من أشرف على السلطان أرداه ومن تضرع له تحطاه وقال ابن عباس رضي الله عنه

ثلاثة من عادات عزته ذلة السلطان والولد والغريم واعلم انه انما يستطيع صحبة السلطان احدى رجلين اما فاجر مصانع ينال حاجته
بقصوره ويسلم بمصانعه وامام غفل مهين لا يحسده احدى فاما من اراد ان يحجب السلطان (٢٥٣) بالصدق والنصيحة والعفاف

فقلنا تسطيع له صحبته
لانه يجتمع عليه
عدو السلطان وصديقه
بالعداوة والحسد اما
الصديق فينافسه في
منزله فقطعن عليه النصيحة
له فاذا اجتمع عليه هذان
الصنفان كان قد تعرض
للهلاك وقال بعض الحكماء
من شارك السلطان في
عز الدنيا شاركه في ذل
الاخرة لا يوحشك من
السلطان اكرام الاشرافان
ذلك للضرورة اليهم كما
يضطر الملك الى الخجاء
فيشرط قفاه ويخرج دمه
(وفي الامثال) لا حلم لمن
لا سقم له وكان ابن عمر
اذا سافر الى مكة استحب
معهم رجلا فيه ما فيه يستدفع
به شر السفهاء واهل الوغاة
والدغارة وقال المعتصم ان
للسلطان لسكرات فخرا
الرضا عن استوجب السخط
والسخط على من استوجب
الرضا ومنه قول الحكماء
خاطر من لم يج في البحر
واعظم منه خطر من صحب
السلطان وقال ابن المقفع
لا يسهل لا تعدن شتم السلطان
شتما ولا اغلاظه اغلاظا
فان ربح العزة تبسطه في
غير باس ولا سخط (وقال
ساميد) احدى حكماء الفرس

من يطلقه او يقصره وامثال ذلك والتخين ايضا يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب
الذي قلناه في حقيقة التخين واعتبار احدى ما قد يخل بالاخر اذا تعارضوا وتقديم الرواية متعين من تغيير
الرواية المنقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع التخين والاداء المعبر في القرآن بوجه وانما مرادهم التخين
البسيط الذي يهتدى اليه صاحب المصنوع بطبعه كما قدمناه في رد اصواته ترديد اعلى نسب يدركها العالم
بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما
ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى لان القرآن محل خشوع يذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاد بدراك
الحسن من الاصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي الله عنهم كفي اخبارهم واما قوله صلى الله عليه
وسلم لم يدأق في زمرا من زمرا ميرآل داود فليس المراد به التريد والتخين انما معناه حسن الصوت واداء
القراءة والابانة في مخارج الحروف والنطق بها واذ قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم انه يحدث في العمران اذا توفر
وتجاوز حد الضر وروى الى المحاجي ثم الى الكمال وتغنوا وافتتحت هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من
فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطالبها الا الغارغون عن سائر
أحوالهم فنحن في مذهب المذوذات وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زخرفي أمصارهم ومدنهم
وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان ملوك الفرس اهتماما به هذه الصناعة ولهم
مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجامعهم ويغنون فيها وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل اقل
من آفاقهم وعملهم من عمالهم واما العرب فكان لهم اولافن الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية
على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل
جزء منها مستقلا بالافادة لا ينقطع على الاخر ويسمونه البيت فتلاثم الطبع بالبحرثة او لا ثم يتناسب
الاجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها فلهذا جوابه فامنا من بين كلامهم
يحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعله ديوانا لخبارهم وحكمهم وشر فهم
ومحكا لقرائنهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمر واعلى ذلك وهذا التناسب الذي من اجل
الاجزاء والمتحرك والساكنة من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتب
الموسيقى الانهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم ينتحلوا علما ولا عرفوا صناعة وكانت البدوة اغلب
نحلهم ثم تغنى المحداة منهم في حداة بلهم والفتيان في فضاء خلواتهم فرجعوا الاصوات وترغوا وكانوا يسمون
الترنم اذا كان بالشعر غناء واذا كان بالتهليل او نوع القراءة تعبير بالغبين المحجة والباء الموحدة وعملها أبو
اسحق الزجاج بانها تذكر بالغابر وهو الباقي أي باحوال الاخرة وربما تناسبوا في غنائهم بين النعمات
مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان أكثر ما يكون
منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف المحلوم وكانوا يسمونه هذا
الفرج وهذا البسيط كما من التلاحين هو من أوائلها ولا يبعد أن تنفطن له الطماع من غير تعليم شأن
البساط كما من الصنائع ولم ينزل هذا شأن العرب في بدواتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام واسسوا على
ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوه عليه وكانوا من البدوة والغضاضة على الحال التي عرفت
لهم مع غضارة الدين وشدة في ترك احوال الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش فهجر ذلك شيئا ما
ولم يكن الممذوذ عندهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف
وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم لا محصاروا الى فضايرة العيش ورقة الحاشية واستحلوا الفراغ

اربعة اشياء ينبغي ان تفسر للفهم كما تفسر للبلبل ولا يتكلم فيها على زكاه احدثا ويل الدين واخلاط الادوية وصفة الطريق الخوف
والراي في السلطان واعلم ان السلطان اذا انقطع منك في الاخرة نسي الاول فارحامهم مقطوعة وجبا لهم مصرومة الامن رضوا عنه في

وقتهم وساعتهم واذا رايت من الوالى خلا لا تتبعنى فلا تكلم به على ردها فانها رايضة صعبة لكن احسن مساعدته على احسن رايه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب (٢٥٤) كان ذلك الصواب هو الذى يبصره الخطايا اللطيفة اكثر من تبصيرك واجعل العدل من

حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكن اقتلع الخفا ولا تطلب ما قبل الوالى بالمسئلة ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستملاء فانك اذا استحقته اناك من غير طلب واذا لم تستبطئه كان اعجل له وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداه مداراة المرأة العاقلة القبيحة للزوج الا حتى المبعوض وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تذكر لى هرون الرشيد فقال له ارض بقلبك من كثيره واياك ان تسخط فيكون اسخط منك

وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنوا جميعا بالعبادان والطناير والمعازف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للاصوات فغنوا عليها الشعارهم وظهر بالمدينة شريط الفارسي وطويس وسائب حاتمولى عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحنوه واجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم اخذ عنهم معبد وطبقته وابن سرىج وانظاره وما زالت صناعة الغناء تدرج الى ان مكملت ايام نبي العباس عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلى وابنه اسحق وابنه حماد وكان من ذلك في دولتهم به عداد ما تبعه الحديث بعده به وبجاسه لهذا العهد وامعنا في الله واللعاب واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل صنفا وحده واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية يلعبها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرونها ويقرنها ويناقفون وامثال ذلك من اللعب المعذلول لا ثم والاعراس وايام الاعياد ومجاسس الفراغ واللهو وكثر ذلك بيعة داد وامصار العراق وانتشر منها الى غير هاد وكان الموصليين غلام اسمهم زرياب اخذ عنهم الغناء فاجاد فصر فوه الى المغرب غير منة فخلق بالحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس فبالغ في تكريمته وركب للقائه واسنى له الجوائز والاقطاعات والمجريات واحدة له من دولته وندما تمكن فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى ازمان الطوائف وطما منها بابشيلية بحر زاخروتنا قل منها بعد ذهاب غضايتها الى بلاد العدو وبافر بيقية والمغرب وانقسم على امصارها وبها الان منها صباية على تراجع عمرانها وتنقص دولها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كمالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهي ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعها والله اعلم

٣٢ * (فصل في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة والحساب) *

قد ذكرنا في الكتاب ان النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات اول ما يتكسب بعدد بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكا بالفعل وعقلا محضاً فتكون ذاتا روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر يقدها عقلا فريدا والصنائع ابدى يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة فلها كانت الملكة في التجربة تفيد عقلا والملكات الصناعية تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد عقلا لانها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعايشة ابناة الجنس وتحصيل الاكابر في مخالطتهم ثم القيام بامور الدين واعتبار اديانها وشرائطها وهذه كلها قوانين تنظم علومها فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنائع اكثر افادة لذلك لانها تشتمل على العلوم والانظار بخلاف الصنائع وبيانها ان في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائما فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجردة فيكسب بذلك ملكة من العقل تكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكيس في الامور ما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لماراهم تلك الفطنة والكمس فقال ديوانه اى شياطين وجنون قالوا وذلك اصل اشبهتق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق يحتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى متعودا للاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله اعلم

(الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند) اعلم ان الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حصة البضعة والذابون من الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنس الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والمحد الذي يلي العدو والسهم الذي يرمى به والاسلح المدفوع في نحرة فهم يذب عن الحرم وتؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وجاة

الفصل

الثغور والذابون عن الحرم والشوك على العدو وعلى الجند الجند عند اللقاء والصبر عند البلاء

فان كانت لهم الغلبة فليغنوا في الطلب وان تكن عليهم فليكسر والاعنة وليجمر والاسنة وليذكر واخبار غدو ينبغي للام ان يتفقد

جندة كنفه قد صاحب البستان بستانه فيقلع العشب الذي لا ينفعه من العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بادرار ازرارهم وسد حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر عنايتهم وبلائهم (٢٥٥) وجنود الملوك وعددها وقف على سعود الائمة

ونحوها وقال ابرويز
لانه شيرويه لا توسع على
جندك فيستغنوا عنك
ولا تضيق عليهم فيضجوا
منك واعطهم عطاء قصدا
وامنعهم منع اجلا ووسع
عليهم في الرخاء ولا توسع
عليهم في العطاء ولما
أفضى الامر الى ابي جعفر
المنصور انفذ جيشا وقال
لقواده سيروا بمثل هذه
السيرة ثم قال صدق
الاعرابي اجمع كلبك
يتبعك فقام ابو العباس
الطوسي فقال يا امير
المؤمنين أخشى أن يلوح
له غيرك برغيف فيتبعه
و يدعك (ويروي) ان
كسرى صنع طعاما في
سماط فلما فرغوا ورفعت
الاسلات وقعت عينه
على رجل من اصحابه قد
أخذ ما له قيمة كثيرة
فسكت عنه وجعل الخدم
يرفعون الاسلات فلم
يجدوا الجاه فسمعهم كسرى
يتكلمون فقال ما لكم
فقالوا فقد دنا جاما من
الجامات فقال لا عليه كم
أخذ من لا يرده وراه من
لا يفضحه فلما كان بعد
أيام دخل الرجل على
كسرى وعليه حلة جميلة
وحال مستحسنة فقال له

(الفصل السادس من الكتاب الاول)

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك
كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

١ *(فصل في ان العلم والتعليم طبعي في العمران البشري)*

وذلك ان الانسان قد شاركه جميع الحيوانات في حوائته من المحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك
وانما يتميز عنها بالافكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه ببناء جنسه والاجتماع المهيئ لذلك
التعاون وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح اخواه فهو مقدر في ذلك كله
دائما لا يقترن عن الفكر فيه طرفه عين بل اختلاجه الفكر اسرع من لمخ البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم
وما قدمناه من الصنائع ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه
الطباع فيكون الفكر راغبيا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم أو زاد عليه
بمعرفة أو ادراك أو أخذ من تقدمه من الانبياء الذين يملكون لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على
أخذه وعلمه ثم ان فكره ونظره يتوجه الى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحد بعد آخر
ويتبرن على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض بتلك الحقيقة مدركة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك
الحقيقة علما مخصوصا وتشوف نفوس أهل الجميل الناشئة الى تحصيل ذلك فيفرغون الى أهل معرفته
ويجيئ التعليم من هذا فدين بذلك ان العلم والتعليم طبعي في البشر

٢ *(فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع)*

وذلك ان المحقق في العلم والتقني فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ما يكتفي في الاطاعة بمباديه وقواعده
والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن المحقق في ذلك الفن
المتناول حاصل وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي لا نأخذ فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد ووعيا
مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاقل الذي لم يحصل علما وبين العالم
التحرير والملكة انما هي للعالم أو الشاदी في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم
والوعي والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن او في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات
كلها محسوسة فتقتصر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم اوصافا الى مشاهير المعلمين فيها
معتبرا عند كل أهل أفق وجيل ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فكل
امام من الائمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس
من العلم والالكان واحدا عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين
والمتأخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه
متخالفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا تقرر ذلك فاعلم ان السند في تعليم العلم لهذا
العهد قد كاد أن يتقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص
الصنائع وفقدانها كما مر وذلك أن القبروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستبحر عمرانهما
وكان فيهما للعلوم والصنائع اسواق نافقة وبحور زاخرة ورسخ فيها ما للتعليم لا متداد عصورهما وما كان
فيهما من الحضارة فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب الا قليلا كان في دولة الموحدين بمراكش مستفادا
منها ولم ترسخ الحضارة بمراكش ابدا دولة الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها بمجدتها فلم تتصل

كسرى هذا من ذلك قال نعم ولم يقل له شيئا (وسئل عمر بن معاذ) وكان على الصوائف بمقدرة على جيوش الصائفة وكان يغزو في
كل سنة ويجري الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة الظهور والتقدير وكثرة الكمل (وروي) أن بعض امراء العرب كان ظاهرا لرعيته

شديد الاذى لهم في أموالهم فغرت في ذلك فقال اجمع كل بك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فربما كل الكتاب
صاحبه اذ لم يشعبه (٢٥٦) * (الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استجباء الخراج) * أيها الملك من طال عدوانه

أحوال الحضارة فيها الاقل وبعد انقراض الدولة بما كسرت وتحول الى المشرق من افر يقية القاضي أبو
القاسم بن زيتون لعهد أواسط المائة السابعة فأدرك تلميذ الامام ابن الخطيب فأخذ عنهم ولقن تعليمهم
وحذق في العقليات والنقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على أثره من المشرق أبو عبد
الله بن شعيب الذكالي كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيخته مصر ورجع الى تونس واستقر بها
وكان تعليمه مفيدا فأخذ عنهم أهل تونس واتصل بسند تعليمهم في تلاميذها ما جلا بعد جيل حتى انتهى
الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه وانقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام
وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد السلام على مشيخته واحدة وفي مجالس بأعيانها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس
وابن الامام بتلمسان لهذا العهد الا أنهم من القليلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل من زواوة في آخر
المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك تلميذاني عمرو بن الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم
وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحذق في العقليات والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير
وتعليم مفيد ونزل بجاية واتصل بسند تعليمه في طلبتها وربما انتقل الى تلمسان عمر ان المشدالي من تلميذه
وأوطنها وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل وبقيت فاس وسائر
أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقير وان لم يتصل بسند التعليم فيهم
فعمس عليهم حصول الملائكة والحذق في العلوم وأيسر طرق هذه الملائكة ففق اللسان بالمحاورة والمناظرة في
المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من
أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية تسكروا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة
فلا يحصلون على طائل من ملائكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجدد
ملكته قاصرة في علمه ان فاضل او ناظر أو علم وما أتاهم القصور الامن قبل التعليم وانقطاع سندهم والا
فحفظهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملائكة العلمية وليس كذلك ومما
يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي بتونس
خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي اقل ما يتأتى فيها الطالب العلم حصول مستغاه من الملائكة
العلمية او الدأس من تحصيلها اطفال امدها في المغرب لهذه المدة لاجل عمرها من قلة الجودة في التعليم خاصة
لا مما سوى ذلك وأما أهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص
عمر المسلمين بها منذ مئتين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العربية والادب اقتصر واعلمه
وانحفظ سندهم تعليمه بينهم فانحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خلوا واثربعد عين وأما العقليات فلا أثر ولا
عين وما ذاك الا لانه قطع سندهم التعليم فيها لتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلا بسبب
البحر شغلهم بما يشبههم أكثر من شغلهم بما بعدهم والله غالب على امره وأما المشرق فلم ينقطع سندهم التعليم
فيه بل اسواقه نافقة وبحوره زاخرة لا اتصال العمران الموفور وواصل السند فيه وان كانت الامصار العظيمة
التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا ان الله تعالى قد أدال منها بامصار اعظم
من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من
المغرب فلم تزل موفرة وعمرانها متصلة وسند التعليم بها قائما فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة
تعليم العلم بل وفي سائر الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان
عقولهم على الجملة أكمل من عقول اهل المغرب وانهم اشد نباهة واعظم كياسة بفطرتهم الاولى وان

زال سلطانه واعلم ان المال
قوة السلطان وعمارة
المملكة ولقائه الامن
وتناجه العدل وهو حصن
السلطان ومادة المال والمال
أقوى العدد على العدو
وهو ذخيرة الملك وعمارة
المملكة وحياة الارض
ومن حقه ان يؤخذ من
حقه ويوضع في حقه ويمنع
من سرف ولا يؤخذ من
الرعية الا ما فضل عن
معاشها ومصلحتها ثم ينفق
ذلك في الوجوه التي يعود
عليها نفعها فيا أيها الملك
احرص كل الحرص على
عمارة الارضين والسلام
أيها الملك مرجبة الاموال
بالرفق وبجانبه المخرق
فان العلة تنال من الدم
بغير أذى ولا سماع صوت
مالاتاله البعوضة بالسمتها
وهول صوتها (ولما عزل
عثمان) عمرو بن العاص
عن مصر استعمل عليها
ابن أبي السرح فعمل من
المال أكثر مما كان يحمله
عمرو فقال عثمان يا عمرو
أشعرت ان اللقاح درت
بعذك فقال عمرو ذلك
لانكم اعفتم أولادها
وقال زياد احسنوا الى
المزارعين فانكم لم تزلوا
سعيانا مسمونا وفي منشور

نفوسهم

الحكمة من جاوز في الحلب حاب الدم (وفي الامثال) اذا استقصى العجل في مص أمه رفته

وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزى من العدل ولا استبرئ من الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك

الرعية وانكسار الخراج بالجور والاحمال ومثل الساطان اذا جمل على اهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع نخله
وياكله من الجوع فهو وان قوى من ناحية فقد ضعف من ناحية وما أدخل على نفسه (٢٥٧) من الوجع والضعف أعظم مما

دفع عن نفسه من المجهود
ومثل من كاف الرعية
من الخراج فوق طاقتها
كالذي يطين سطحه بتراب
أساس بيته ومن يدمن
خراجه مود يوشك ان
يضعف فنقع الخيمة واذا
ضعف المزارعون عجزوا
عن عمارة الارضين
فبتركونها فتنخرب الارض
ويهرب الزراع فتضعف
العمارة فيضعف الخراج
وينتج ذلك ضعف الاجناد
واذا ضعف الجند طمع
الاعداء في السلطان ايها
الملك كن بما يبقى في يد
رعيته افرح منك بما
تأخذ منها لا يبق مع
الصلاح شيء ولا يبقى مع
الفساد شيء وصيانة القليل
اولى من تربية الجليل
فلا مال لا خرق ولا عميلة
لمصلحة (وروي) ان المأمون
ارق ليلة فاستدعى سميرا
فحدثه بحديث فقال يا امير
المؤمنين كان الموصل
يوم - ق وبالبصرة يوم - ق
فقطبت بومة الموصل
الي بومة البصرة بنتها لابنها
فقات بومة البصرة
لانك كحكت ابنتي الان
تجعلني في صدقها مائة
ضبعة خراب فقات بومة
الموصل لا قدر عليها الا ان

نفوسهم الناطقة كل بفطرتها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة
الانسانية ويشيعون لذلك ويولعون به لما يرون من كسبهم في العلوم والصنائع وليس كذلك وليس
بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا اقاليم المنحرفة
مثل الاول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة والنفوس على نسبتها كما مر وانما الذي فضل به اهل المشرق
اهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيدي كما تقدم في الصنائع ونزله الا ان
تحقيقا وذلك ان الحضرة لم آداب في احوالهم في المعاش والمساكن والبناء وامور الدين والدنيا وكذا باثر
اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلمهم في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه
ويتلبسون به من اخذ وترك حتى كانوا حدودا لا تتعدى وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول
منهم ولا شك ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها علة جديدة تستعمله بقبول صناعة
اخرى ويتبناها العقل لسرعة الادراك للمعارف ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن اهل مصر غايات لا تدرك
مثل انهم يعلمون الحرف الانسانية والحيوانات العجيبة من الماشي والطائر مقررات من الكلام والافعال
يستغرب ندورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها وحسن المالكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال
العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واضافة في فكره بكثرة المالكات الخاصة لانه نفس اذ قد من ان النفس
انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من المالكات فيزدادون بذلك كسبا لما يرجع الى النفس من
الآثار العلمية فيظنه العاقل يتفاوت في الحقيقة الانسانية وليس كذلك الاثرى الى اهل الحضرة مع اهل البدو
كيف تجد الحضرة متعلية بالذكاء متمثلة من النكيس حتى ان البدوي يظنه انه قد فاته في حقيقة انسانيته
وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته في ملكات الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضرية
ما لا يعرفه البدوي فلما امتلأ الحضرة من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك
الملكات انها السكمال في عقله وان نفوس اهل البدو قاصرة بفطرتها واجباتها عن فطرته وليس كذلك فانا
نجد من اهل البدو من هو في اعلى رتبة من الفهم والسكمال في عقله وفطرته انما الذي طهر على اهل
الحضرة من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم فان لها آثارا ترجع الى النفس كما قدمناه وكذا اهل المشرق
لما كانوا في التعليم والصنائع ارسخ رتبة واعلى قدما وكان اهل المغرب اقرب الى البدو لما قدمناه في
الفصل قبل هذا من المغفلين في بادى الرأي انه السكمال في حقيقة الانسانية اختصوا به عن اهل المغرب
وليس ذلك بحجج فتفهمه والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو اله السموات والارض

٣ (فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعمم الحضارة) *

والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كنا قد من ان الصنائع انما تكثر في الامصار
وعلى نسبة عمراتها في الكثرة والقلّة والحضارة والترّف تكون نسبة الصنائع في الجوده والكثرة لانه امر
زائد على المعاش فتى فضلت أعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف
في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع ومن تشوف بفطرته الى العلم من نشأ في القرى والامصار غير
المتدنية فلا يجد فيها التعليم الذي هو صنائعي لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه ولا بد له من الرحلة في
طلبه الى الامصار المستبحرة شأن الصنائع كلها واعتبر ما قرناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة
والكوفة لما كثر عمراتها واسدرا لاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحوار العلم وتقننوا في
اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى اربوا على المتقدمين وفاقوا المتأخرين

(٣٣ - ابن خلدون) وليكن ان دام والبناسم الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ المأمون وجلس
لظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتقدّم امر الولاة (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون ما زال اهل

الاسلام ظاهر بن علي هدهم وامر العدو في ضعف وانتفاض لما كانت الارض مقطعة في ايدي الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون
بالفلاحين ويربونهم كالمربي (٢٥٨) التاجر تجارته وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والكرراع والسلاح

ولما تناقص عمرها وابتدع سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم وانقل الى
غيرها من امصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان
عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتقدمت ومن جملة
تعليم العلم وكذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ ما تثنى من السنين في دولة الترك من ايام
صلاح الدين بن ايوبي وهلم جرا وذلك ان امراء الترك في دولتهم يحشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من
ذريتهم لم ياله عليهم من الرق او الولاء ولم ياتخشي من معاطب الملك ونكباته فاستكثر وامن بناء المدارس
والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجمعون فيها شرا كل دولهم ينظر عليها او نصيب منها مع ما فيهم
غالبا من الجنوح الى الخيبر والتماس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت
الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جراتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق
والمغرب ونفقت بها اسواق العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشاء

٤ * (فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد) *

(اعلم) ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تحصيلات وتعامها هي على صنفين صنف
طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره وصنف ثقل يأخذه عن وضعه والاول هي العلوم المحكية الفلسفية
وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى به في مداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها
وانحاء برهانها ووجوه تعليلها حتى يقفه نظره (١) ويحتمل على الصواب من الخطا فيهم من حيث هو وانسان
ذو فكر والثاني هي العلوم النقلية الموضوعة وهي كلها مستندة الى الخيبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها
للعقل الا في المحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل
الكلبي بمجرد وضعه فتحتاج الى المحاق بوجه قياسي الا ان هذا القياس يتفرع عن الخبر بشبوت الحكم في
الاصل وهو نقل فرجح هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه واصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات
من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهتد بها للافادة
ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه تزل القرآن واصناف هذه العلوم النقلية
كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعرف احكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهي مأخوذة
من الكتاب والسنة بالنص او بالاجماع او بالالحاق فلا بد من النظر في الكتاب بيان القاطنة اولا وهذا
هو علم النفس ثم ياتى نادقته وروايته الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلاف
روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم ياتى نادقته الى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها
ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم
الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط
وهذا هو اصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين وهذا هو الفقه
ثم ان التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالايمان وما يجب ان يعتقده مما لا يعتقده هذه هي
العقائد الايمانية في الذات والصفات وامور المحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجج عن هذه بالادلة
العقلية هو علم الكلام ثم النظر في القرآن والحديث لا بد ان تتقدمه العلوم اللسانية لانه متوقف عليها
وهي اصناف فنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الادب حسبما تتكلم عليها كلها وهذه العلوم

(١) قوله حتى يقفه نظره يستعمل وقف متعدي فاقول وقفته على كذا أي اطاعته عليه قاله نصر اه

فوق ما يحتاج اليه الى ان
كان الامر في آخرايام ابن
أبي عامر فرد عطايا الجند
مشاهدة بقبض الاموال
على النطع وقدم على
الارض جملة يحبونها
فاكلوا الرعايا واجتاحوا
اموالهم واسمعتهم
فتماربت الرعايا وضعموا
عن العمارة فقلت الجبايات
المرتفعة الى السلطان

وضعت الاجناد وقوى
العدو على بلاد المسلمين
حتى أخذ الكثير منها ولم
يزل امر المسلمين في نقص
وامر العدو في ظهو رالي
أن دخلها المتكثرون فردوا
الاقطاعات كما كانت في
الزمان القديم ولا أدري
ما يكون وراء ذلك

*(الباب الثامن والاربعون
في سيرة السلطان في بيت
المال)*

هذا باب سلكت فيه سلوك
الطوائف والمندو والصين
والسند وبعض ملوك
الروم خلاف سيرة الانبياء
والمرسلين والخلفاء
الراشدين فكانت الملوك
تدخل الاموال وتحتجبها
دون الرعية وتعددها اليوم
كرية على ما بين في الباب
قبله وكانت الرسل والخلفاء
بعدهم تبذل الاموال ولا

تدخلها وتضع الرعية وكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وقد علمت ان جوعه كان اكثر من شعبه وانه مات ودفعه رهونة في صاع شعير عند يهودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده ابو بكر

النقلية

وعمر وعثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز والنبي عليه السلام لما فتح الله عليه اليمن كان يجي له الاموال فيقرقها اليومها وقد توضع في المسجد وتفرش الانطاخ ويقرقها من الغدول يمكن له بيت مال (٢٥٩) (وروي) ابوداود في السنن ان النبي

عليه السلام صلى العشاء الاخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعاً وفي يديه خريقة فيها ذهب فقدمه ثم قال ما ظن آل محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جبيت من حلها بين المسلمين وورعها يفضل منها فضلات فيجعل في بيت من حضر من غائب واحتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه اشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا بيضاء و يا حمراء ابيضي واجري وغري غري ثم امر فقسم جميع ما فيه على المسلمين وامر فتم ان يكسوه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ثم كثر من الملوكة ساروا في الاموال على نحو هذه السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما اهلك بلاد الاندلس وسلاطعها الروم ان الروم التي كانت تجاورنا لم تكن لهم بيوت اموال وكانوا يأخذون

النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها وان كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة لها في الخمس البعيد من حيث انها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها وما على الخصوص في بيانها تجميع المال لانها نسخة لها وكل ما قبلها من علوم الملل فمجردة والنظر فيها مخطوطة قد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي انزل اليك وانزل اليكم واللهنا واللهكم واحذروا رأي النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم أنبأكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه الاتباعي ثم ان هذه العلوم الشرعية النقلة قد نفقت اسواقها في هذه الملة بما لا يزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين الى الغاية التي لا فوقها وهذبت الاصطلاحات ورببت الفنون نجفت من وراء الغاية في الحسن والتميز وكان لكل فن رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور ومنها حسب ما نذكره الآن عند تعديده هذه الفنون وقد كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سبل العلم والتعليم كما قدمناه في الفصل قبله وما أدري ما فعل الله بالمشرق والظن به نقاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والحكالية لكثرة عمرانه والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم بالحجرات من الاوقاف التي اتسمت بها اوراقهم والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد وبالله التوفيق والاعانة

• (علوم القرآن من التفسير والقراءات) •

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الامة الان الصحابة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتنويع ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواترت نقلاً أيضاً بأدائها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة و بما يزيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع الانها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كيفيات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن وأباه الاكثر وقالوا بتواترها وقال آخرون بتواتر غير الاداء منها كالمدا والتسهيل لعدم الوقوف على كيفية السمع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها الى أن كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعته مخصوصة وعلماء منفردوا بتناقله الناس بالمشرق والاندلس في جبل بعد جبل الى ان ملأ بشرق الاندلس مجاهد من موالى العامين وكان معتمدا بهذا الفن من بين فنون القرآن لما أخذه به مولا المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته فكان سهمه في ذلك وافرا واختص مجاهد بعد ذلك بأماة دانية قواجزائر الشرقية فنفقت بها سوق القراءة لما كان هو من أئمتها وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقرآات خصوصاً فظهر لعهد أبو عمر والداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته أسانيداً وتعددت تأليفه فيها وعول الناس عليها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والاجيال أبو القاسم ابن فيره من أهل شاطبة فعمد الى تهذيب مادونه أبو عمر وتلخيصه فظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف ا ب ج د ترتيباً أحكمه

الجزرية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فبقية سلاطنتهم على رجاله بالاطاس و يأخذ مثل ما يأخذون وقد لا يأخذ شيئاً منها وانما كانوا يصطنعون بها الرجال وكانت سلاطيننا يجتنب الاموال وتضيق الرجال فكان للروم بيوت رجال والمسلمين بيوت

أموال فيه - هذه الخلة قهرونا وظهر واعلينا وكان من يذهب هذا المذهب ولا يدخر الاموال تضرب فيه الامثال ويقال عدو المال بيت المال وصديقه جنده فاذا ضعف (٢٦٠) أحدهم اقوى الآخر واذا ضعف بيت المال تبدل له الحمة قوى الناصر واشتد

ليتمسك عليه ما قصده من الاختصار وليكون أسهل للحفظ لاجل نظامها فاستوعب فيها القرن استيعابا حسنا وعنى الناس بحفظها وتلقينها الاولاد ان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والاندلس وربما اضيف الى فن القراآت فن الرسم أيضا وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لان فيه حروفا كثيرة وقطر رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الباء في بيايدوز زيادة الالف في لا اذبحنه ولا اوضه - عواواوا في جزاء النظمين وحذف الالفات في مواضع دون أخرى ومارسهم فيه من التأت عمودا والاصل فيه مربوط على شكل المساء وغير ذلك وقد مر تعديل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الخط فلما جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتج الى حصرها فكتب الناس فيها ايضا عند كتبهم في العلوم وانتهت بالمغرب الى أبي عمر الداني المذكو فكتب فيها كتبها من أشرها كتاب المنفع وأخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه أبو القاسم الشامي في قصيدته المشهورة على روى الراعي ولعل الناس بحفظها ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالى مجاهد في كتبه وهو من تلاميذ أبي عمر والداني والمشتهر بحمل علومه ورواية كتبه - ثم نقل بعده خلاف آخر فنظم الخرازون المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى زاد فيها على المنفع خلافا كثيرا وعزاه لناقله واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها وهجر رواجها كتب أبي داود وأبي عمر والشامي في الرسم (وأما التفسير) فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفر دانه وترا كيه وكان ينزل جلا جلا وآيات آيات لبيان التوحيد والقرص الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين الحمل ويمنز الناس من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه كما علم من قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح أنها نعى النبي صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم ينزل ذلك متناقلا بين الصدر الاول والسلف حتى صارت المعارف علومها ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وأمثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الاعراب والبلاغة في الترا كيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب فتتوسى ذلك وصارت تملق من كتب أهل اللسان فاحتج الى ذلك في تفسير القرآن لانه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على صنعتين تفسير نقلي مسند الى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسابيب النزول ومقاصد الآيات وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا الا أن كتبهم ومنقولاتهم تشمل على الغث والسمين والمقبول والمردود والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البدو والامية واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية في أساليب المكنونات وبدء الخليفة وأسرار الوجود فأنما يسألون عنه أهل السكك قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ باقية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من أهل السكك ومعظمهم من حمر الذين أخذوا بدين اليهودية فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم

باس الجند وقوى الملك
واذا قوى بيت المال
وامتلا بالمال والقل الناصر
وضعت الحجة فضعف الملك
فوثبت عليه الاعداء وقد
شاهدنا ذلك في بلاد
الاندلس مشاهدة واذا
كان الدفاع في الرجال
لا في الاموال وانما يدفع
بالاموال بواسطة الرجال
فلا شك أن بيت رجال
خير من بيت مال وقد قال
بعض الملوك لابنه يا بني
لا تجمع الاموال لتتقوى
بها على الاعداء فان في
جمعها تقوية الاعداء
يعني اذا جمعت الاموال
أضعفت الرجال فيطمع
فيل الصديق ويثب
عليك العدو وانما مثل
الملك في ملكته مثل رجل
له بستان فيها عين معينة
فان هو قام على البستان
فاحسن تدبيرها فنهتس
أرضها وغرس أشجارها
وحظ رعى جوائها ثم
أرسل عليها الماء اخضر
عودها فقويت أشجارها
واينعت ثمارها وزكت
بركتها فكانوا جميعا في
أمان من الضيعة ولا
يخافون فقرا ولا شتا وان
هو رغب في غلتها وجناها
ولم ينفق فيها ما يكفيها ولا

ساق اليها من الماء ما ير ويها رغبة في الغلة وضنة بالمال ضعفت عمارتها ودقت أشجارها وقلت ثمارها
وزهدت غلتها ومحق الدهر ما جنى من غلتها فافقر القوم وهلكوا وتشبوا ومثال الملك في جمع المال ليتقوى به على عدوه مثل طائر ينقف

ريشه ويصص أصولها ويا كل مانع منها فذلله طيبها وأعجب به خصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى خف ريشه
فسقط إلى الأرض فاكنه الهواء والحشرات (ورأيت) في أخبار بعض الملوك أن وزيره (٢٦١) أشار عليه بجمع الأموال وإقتناه

الكنوز وقال إن الرجال
وان تفرقوا عنك اليوم
فحق احتجتهم عرضت
عليهم الأموال فتهاقوا
عليك فقال له الملك هل
لهذا من شاهد قال نعم هل
بحضرتنا الساعة ذباب قال
لا قال فامر باحضار حفنة
فيها عسل فحضرت فتساقط
عليها الذباب لوقتها فاستشار
السلطان بعض أصحابه في
ذلك فنهأ عن ذلك وقال
لا تغير قلوب الرجال فليس
في كل وقت أردتهم حضروا
فسال هل لذلك من دليل
قال نعم إذا أمسينا سأخبرك
فلما أظلم الليل قال للملك
هات الحفنة فحضرت ولم
تتحضر ذبابة واحدة (وقد
روينا) عن سيرة بعض
السلطين في أرض مصر
وكان قد ملكها وكان اسمه
يلدق وورانه كان يحج مع
الأموال ولا يحفل بالرجال
فقال له أصحابه إن أمير
الحج - وش بالشام وهو
يتواعدك وكأنه قد قدم
عليك فاستعد الرجال
وأنفق فيهم الأموال فأومأ
إلى صناديق موضوعة
عنده وقال الرجال في
الصناديق فغزأ -
الجيوش ذلك الملك في مصر
وقته وتسلم الصناديق

عما لا يتعلق له بالأحكام الشرعية التي يختاطون لها مثل أخبار بدء الخليفة وما يرجع إلى الحداث
واللاحم وأمثال ذلك وهو لا يمثل كتب الأخبار ووهب بن منبه وعبد الله بن س - لام وأمثالهم فأمثلات
التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى
الأحكام فيتحرى في الحكمة التي يجب بها العمل ويتساهل المفسرون في مثل ذلك وماؤا كتب التفاسير
بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم معرفة ما يتقوله
من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقبت بالقبول
من يومئذ فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيض وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فخلص
تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الحكمة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والاندلس
حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق * والصنف
الأخر من التفاسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والأعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب
المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينقرد عن الأول إذا الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء
هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفاسير غالبا ومن أحسن ما شتم عليه هذا
الفن من التفاسير كتاب الكشف للزحشري من أهل خوارزم العراق الأن مؤلفه من أهل الاعتزال في
العقائد فبأقبح ما يحتاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في أي القرآن من طرق البلاغة فصاير ذلك
للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجهلهم ومن مكانه مع أقرانهم برسوخ قدمه فيما يتعلق
باللسان والبلاغة وإذا كان الناظر فيه واقفا مع ذلك على المذاهب السنية محسنة الحاج عنها فلا جرم أنه
مأ مون من غوائله فلنعتهم مطالعته لغربة فنونه في اللسان ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض
العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل تويريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزحشري هذا وتبع
ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بادلته تزيقها وبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل
السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع امتاعه في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

٦ * (علوم الحديث)

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا
من جواز النسخ ووقوعه لطفة من الله بعباده وتخفيفا عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل لهم بها قال تعالى
ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها فإذا تعارض الخبران بالنسخ والاثبات وتعارض الجمع بينهما
ببعض التناويل وعلم تقدم أحدهما تعين أن المتأخر ناسخ ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث
وأصعبها قال الزهري أعيان الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من
منسوخه وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة ومن علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما
يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لأن العمل إنما وجب بما يغلب
على الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو
بمعرفة رواية الحديث بالعدالة والضبط وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعدي إليهم وبرائتهم من
الجرح والغفلة ويكون لما ذلك دليل على القبول أو الترك وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة
والتابعين ونحوهم في ذلك وتميزهم فيه واحد أو احدا وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بان
يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتهم من العلل الموهمة لها وتنتهي بالتفاوت إلى طرفين

والمالك فكان رأيها فاسدا لأن رجالا يقيمهم لوقته ويصطنعهم لحاجته إنما يكونون أجنادا مجمعين وشركة ملحقين ليس فيهم عناية
ولا عندهم دفاع ولا عناية للحروب (ومن السير) المروية في هذا الباب أنه لما فتحت العراق حجي بالمسال إلى عمر فقال صاحب بيت المال

أدخله بيت المال فقال لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى نقسمه فغطي في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من المهاجرين
والانصار فلما أصبح نظر الى الذهب (٢٦٢) والفضة والياقوت والازبرجد والدرين لا فبكى فقال له العباس اوعبد الرحمن

ابن عوف يا امير المؤمنين
والله ما هذا بيوم بكاء
ولكنه يوم شكر وسرور
فقال انى والله ما ذهبت
حيث ذهبت ولكنه والله
ما كثر هذا في قوم الا وقع
باسمهم بينهم ثم اقبل على
القبيلة ورفعه يديه وقال
اللهم انى اعوذ بك ان
أكون مسند جافانى
اسمك تقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ثم قال
اين سرقة بن جعشم فاقى
به اشعر الذراعين دقيقتها
فأعطاه سوارى كسرى
وقال اليهم ما فعل فقال
قل الله اكبر قال الله اكبر
قال قل الحمد لله الذى
سلمهم ما كسرى والبسهما
سرقة بن جعشم اعرايا
من بني مدح ثم قبلهما
وقال ان الذى ادى هذا
الامين فقال له رجل انا
اخبرك انت امين الله
تعالى وهم يؤدون لك
ما اديت لله تعالى فاذا
رتعت رتعا وقال صدقت
وانما اليهم ما سرقة لان
النبي صلى الله عليه وسلم
قال لسرقة ونظر الى ذراعيه
كانى بك قد لبست سوارى
كسرى ولم يجعل له الا
السوارين (ولما ولى أبو
بكر الصديق) رضى الله عنه

فيكم بقبول الاعلى ورد الاسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن ائمة الشأن ولهم في ذلك الفاظ
اصطلموا على وضعها هذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل
والشاذ والغريب وغير ذلك من القاب المندولة بينهم وبقوا على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف
لائمة اللسان او الوفاق ثم النظر في كيفية اخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او مناولة او اجازة
وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا ذلك بكلام في الفاظ تقع في متون
الحديث من غريب او مشكل او تحريف او مفترق منها او مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه
اهل الحديث وغالبه وكانت احوال نقلة الحديث في عصور السلف من العناية والتابعين معروفة عند
اهل بلده فمنهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر والجمع معروفون
مشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل الحجاز في اعصارهم في الاسانيد اعلى من سواهم وامتن في
الحجة لاستبداهم في شروط النقل من العدالة والضبط وتحققهم عن قبول المجهول الحال في ذلك وسند
الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة رضى الله تعالى عنه ثم اصحابه مثل الامام محمد بن
ادريس الشافعي والامام احمد بن حنبل وامثالهم وكان علم الشريعة في مبداه ذا الامر قلاصرا فاشهرها
السلف وتحرروا الصحيح حتى اكملوها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ اودعه اصول الاحكام من الصحيح
المتفق عليه ورتبه على ابواب الفقه ثم عني الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيدها المختلفة ورعا يقع
اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين وقد يقع الحديث ايضا في ابواب متعددة باختلاف
المعاني التي اشتمل عليها او جاء محمد بن اسمعيل البخارى امام الحديث في عصره في راج احاديث السنة على
ابوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما اجمعوا عليه
دون ما اختلفوا فيه وكررا للاحاديث يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذى تضمنه الحديث فذكرت
لذلك احاديثه حتى يقال انه اشتمل (١) على تسعة آلاف حديث ومائتين منها ثلاثة آلاف متكررة وفرق
الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فالف
مسنده الصحيح حذا فيه حذو البخارى في نقل الجمع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والاسانيد وبوبه
على ابواب الفقه وتراجه ومع ذلك فلم يستوعبها الصحيح كله وقد استدرك الناس عليهم ما في ذلك ثم كتب ابو
داود السجستاني وابوعيسى الترمذى وابوعبد الرحمن النسائي في السنن باوسع من الصحيح وقصدا
ما توفرت فيه شروط العمل امامن الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كله وهو معروف وامان الذى دونه
من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة وهى امهات كتب
الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع الى هذه في الاغلب ومعرفه هذه الشروط والاصطلاحات كلها
هى علم الحديث وربما يقر ذهن الناسخ والمنسوخ فيجعل فنا برأسه وكذا الغريب وللناس فيه تاليف
مشهور ثم المؤلف والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث واكثر واومن في قول علماء ثمة وانتم
أبو عبد الله الحاكم وتاليفه فيه مشهورة وهو الذى هذبه واظهر محاسنه واشهر كتاب للتأخرين فيه كتاب
ابن عمرو بن الصلاح كان لعهد اوائل المائة السابعة وتلاه محبي الدين النووي يمثل ذلك والفن شريف
في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخريج شيء من
الاحاديث واستدراكها على المتقدمين اذا العادة تشهد بان هؤلاء الائمة على تعددهم وتلاحق عصورهم

(١) قوله تسعة الذى في النووي على مسلم انها سبعة بتقديم السين فخره اه

جاءه مال من المال فصب في المسجد وامر فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين او عدة فليحضروا وكفايتهم
قال ابو ايوب الانصاري فجيته فقلت يا خليفة رسول الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاءني مال اعطيتك هكذا وهكذا وأشار

بكرهه فسكت أبو بكر فانصرف ثم عاودته فسكت عني ثم انصرف وعادته فقلت اما أن تعطيني واما أن تبخل عني فقال ما تبخل عنك
اذهب فخذ ففقت حفته قال عدها فعدتها فوجدت فيها خمسة دينار وأبو أيوب (٢٦٣) من أغنياء الانصار وهو تزيل

النبي صلى الله عليه وسلم
دل الحديث على أن بيت
المال للغي والفقر ودل
أيضا انه لا يجب أن يساوي
فيه جميع المسلمين بل ذلك
موقوف الى اجتداد الامام
(فصل) قال الحسن
ابن علي الاسدي اخبرني أبي
قال وجدت في كتاب قبطي
باللغة الصعديّة مما نقل
بالعربية مبلغ ما كان
يستخرج لفرعون يوسف
من أموال مصر بحقي
الخزاج مما يؤخذ من
وجوه الجبايات لسنة
واحدة على العبد
والانصاف والرسوم
الحارية من غير اضطهاد
ولامناقشة وبعد وضع
ما يجب وضعه لمواد
الزمان نظرا لالامامدين
وتقوية الخلفاء من العبد
أربعة وعشرون ألف ألف
وأربعة مائة ألف دينار
من ذلك ما ينصرف في
عمارة البلاد لمخفر الخليج
والانفاق على الجسور
وسد الترع واصلاح
المناشآت ثم تقوية من
يحتاج الى تقويته من غير
رجوع عليه به الاقامة
العوامل والتوسعة في البذار
وغير ذلك من الاسلآت
وأجرة من يسنان به لجل

وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا يعقلوا شيئا من السنة او يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعد علمهم وانما
تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الامهات المكتوبة ووضبطها بالرواية عن مصنفها والنظر في اسانيد
الى مؤلفها وعرض ذلك على ما تقر في علم الحديث من الشروط والاحكام لتتصل الاسانيد بحكمة الى
منتهاها ولم ين يدوا في ذلك على العناية بما كثر من هذه الامهات الخمسة الا في القليل * فاما البخاري وهو
أعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلوا من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة
ورجالها من أهل المجاز والشأن والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الى
امعان النظر في الثقة في تراجمه لانه يترجم الترجمة ويورد فيه الحديث بسند أو طريق ثم يترجم أخرى
ويورد فيه اذالك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وتوجه الى أن
يتكرر الحديث في ابواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم يستوفه - ذافيه فلم يوف حق
الشرح كابن بطلان وابن المهلب وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثير من شيوخنا رجمهم الله يقولون شرح
كتاب البخاري دين على الامة يعنون ان أحدا من علماء الامة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار
* وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من
غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثروا موقع له في التراجم وأملوا الامام المارزي من فقهاء المالكية عليه
شرح واسماه المعلم بقوائده مسلم اشتمل على عبون من علم الحديث وفنون من الفقه - ثم أكمله القاضي
عياض من بعده وتممه وسماه اكمل المعلم وتلاه ما بحبي الدين النووي بشرح استوفى ما في الكتابين
وزاد عليهم ما فجاء شرحا وافييا * وأما كتب السنن الاخرى وفيها معظم ما أخذ الفقهاء اكثر شرحها في كتب
الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واساتدوا - وفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم الحديث
وموضوعاتها والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث المعمول بها من السنة * واعلم ان الاحاديث قد تميزت
مراتبها - ذالعهدين صحيح وضعيف ومعلول وغيرهاتنزهاتائمة الحديث وجهها بذنه وعرفوها ولم يبق
طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الائمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها واسانيدها
بحيث لو روى حديث بغير سند وطريقه - يظنون الى انه قد قلب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك
للإمام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد الحديث - دثون امتحانه فساءلوه عن احاديث قبلوا
اسانيدها فقال لا أعرف هذه وليكن حديثي فلان ثم اتى بجميع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل
متن الى سنده واقروا له بالامامة * واعلم ايضا ان الائمة اجتهدت في توافي الاكتا من هذه الصناعة
والاقلال فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا ونحوها ومالك رحمه الله
اتماصح عنده ما في كتاب الموطا وغايتها ثلثمائة حديث ونحوها واجد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده
نحو ستون الف حديث ولكل ماداه اليه اجتهاده في ذلك وقد تقول بعض المبعضين المتعسفين الى ان منهم
من كان قليل البضاعة في الحديث فلهاذا قلت روايته - ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الائمة لان الشريعة
نما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فينبغي عليه طلبه وروايته والمجد
والتشهير في ذلك لياخذ الدين عن اصول صحيحة ويتلقى الاحكام عن صاحبها المبلغ لها وانما قل منهم من
قوله الذي في شرح الزرقاني على الموطا حكاية أقوال خمسة في عدة احاديثه اولها خمسة مائة ثانياها سبعمائة
ثالثها ألف ونيّف واربعمائة ألف وسبعمائة وعشرون خامسها ستمائة وستة وستون وليس فيه قول بما
في هذه النسخة قاله نصر الموريني اه

البذار وسائر نفقات تطبيق الارضين ثمانمائة ألف دينار وما ينصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالصلاح ومن في جملتهم من الشادية
والعلمان واشياهم وعدة جميعهم - مع ألف كاتب موسومين بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم - مائة ألف

واحدى عشر ألف دينار وثمانية ألف درهم ولما ينصرف للارامل والياتام يرضون به من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى لا يتخلوا مناهلهم من بر فرعون (٢٦٤) اربعمائة الف دينار ولما ينصرف في كنهة برايمهم وسائر بيوت صلواتهم مائتا الف دينار ولما

ينصرف في الصدقات مما يصب صباو ينادي برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يرد احد والامناء جلوس فاذا رآوا انسانا لم يجروا به بان يأخذ افر دوه بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدد دخل امناء فرعون اليه وهو بمنزلة المال ودعوا له بطول البقاء ودوام العز والسلامة وأنهى اليه حال تلك الطائفة فبأمر بتغيير شعبها بالجمام واللباس ثم يد السباط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد حسب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان رده عليه مثل ما كان له وان كان سهو رأى وتدبير غير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه ويأخذه بالادب والمعرفة انى لا يصلح الابهام مائتا الف دينار ولما ينصرف من نفقات فرعون الراتبه لسنته مائتا الف دينار يكون النفقات على مائة دم تقصيلها تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما

يطلبه يوسف الصديق عليه السلام ويحصله لفرعون في بيت المال لنوائب الزمان اربعة عشر ألف ألف وستمائة الف دينار (وقال ابو رهم) كانت ارض مصر ارضا مدبرة حتى ان الماء ليحمرى تحت مازها واقينتها فيحبسوه كيف

٧ * (علم الفقه وما ينفعه من القرائن) *

الفقه معرفة أحكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكره والاباحة وهي متفقا من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة ما من الادلة فاذا استقرت جت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه وكان السلف يستخرجونها من تلك الادلة على اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة ان الادلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضا آت ألفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف وأيضا فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح وهو مختلف أيضا فالادلة من غير النصوص مختلفة فيها وايضا فالوقائع المتجددة لا توقي بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في المنصوص فيحمل على منصوص مشابهة بينهم ما هو هذه كلها اشارات للتحليل ضرورة الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وانما كان ذلك مختصا بالاحكام لميل القرآن العارفين بشأنيهم ومنسوخه ومثابه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم او ممن سمعهم منهم من علمهم وكانوا يسمون لذلك الة - راه اى الذين يقرؤن الكتاب لان العرب كانوا امة امية فاخص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغرابته يؤثروا بقى الامر كذلك صدر الملة ثم عظمت امصار الاسلام وذهبت الامية من العرب بممارسة الكتاب وكن الاستنباط وكل الفقه واصبح صناعة وعلم افي دولوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم الى طريقتين طريقة اهل الراى والقياس وهم اهل العراق وطريقة اهل الحديث وهم اهل الحجاز وكان الحديث قديما في اهل العراق لما قدماء فاستكثر وامن القياس ومهر وافيه فذلك قيل اهل الراى ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه ابو حنيفة وامام اهل الحجاز مالك بن انس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طائفة من العلماء وابطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس الجلى والعلامة المنصوصة

الى

يطلبه يوسف الصديق عليه السلام ويحصله لفرعون في بيت المال لنوائب الزمان اربعة عشر ألف

ألف وستمائة الف دينار (وقال ابو رهم) كانت ارض مصر ارضا مدبرة حتى ان الماء ليحمرى تحت مازها واقينتها فيحبسوه كيف

شاؤوا برسه لوه كيف شاؤوا وذلك قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النبل متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا ما دبروا في جسورها وحافاتها (٢٦٥) والزرع ما بين الجبلين من اولها الى آخرها وذلك قوله تعالى

كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم
ونعمة كانوا فيها فاكهين
واقام الكريم المنابر وكان
بها الف منبر (وقال عبد
الله بن عمرو) استعمل
فرعون هاما على حفر
خليج سر دوس فأخذ في
حفره وتديره فجعل أهل
القرى يسألونه ان يجري
الخليج تحت قريتهم
ويعطوه مالا وكان يذهب به
من قرية الى قرية من الشرق
الى الغرب ومن الشمال
الى القبلة ويسوقه كيف
أراد فلبس في مصر خليج
أكثر عطوفا منه فاجتمع
له من ذلك أموال عظيمة
فحملها الى فرعون وأخبره
بالخبر فقال له فرعون انه
ينبغي للسيد أن يعطف
على عبده ويقبض عليهم
من خزائنه وذخائره ولا
يرغب فيما بأيديهم رد
على أهل القرى ما أخذت
منهم فرد عليهم أموالهم
فهذه سيرة من لا يعرف
الله ولا يرجو لقاءه ولا
يخاف عذابه ولا يؤمن
بيوم الحساب فكيف
يجب ان تكون سيرة

الى النص لان النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان امام هذا المذهب داود بن علي وابنه
وأصحابهما وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الامم وشذاهل البيت بمذاهب
ابتدعوها ووفقها نفر دوابه وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الحكاية بالقدح وعلى قولهم بعض الائمة
ورفع الخلاف عن اقوالهم وهي كلها اصول واهية وشذبه مثل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور
بمذاهبهم بل اوسعوها جانب الانكار والقدح فلا تعرف شيئا من مذاهبهم ولا تروى كتبهم ولا اثر لشي
منها الا في مواضعهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قاءة في المغرب والمشرق واليمن
والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وآراء في الفقه غريبة ثم درس مذهب اهل الظاهر
اليوم بدروس أئمة وانكار الجمهور على منتهى له ولم يبق الا في الكتب المجلدة وربما يعكف كثير من
الطالبين عن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب يوم اخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يحسبوا مماثل
ويصير الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما عذب هذه النحلة من أهل البدع بنقله العلم من الكتب من
غير مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك ابن خرم بالاندلس على علور تبته في حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل
الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في اقوالهم وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من أئمة المسلمين فنقم الناس
ذلك عليه وأوسعوا مذهبهم استهجانا وانكارا وتلقوا كتبهم بالاغفال والترك حتى انها يحضر بيها
بالاسواق وربما تمزق في بعض الاحيان ولم يبق الا مذهب اهل الراي من العراق واهل الحديث من
الحجاز فاما اهل العراق فاما هم الذي استقرت عندهم مذاهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في
الفقه لا يلحق شهدله بذلك أهل جلده وخصوصا مال والشافعي * وأما اهل الحجاز فكان امامهم
مالك بن أنس الاصبغى امام دار الحديث بجره الله تعالى واختص بزياة مدرئ آخر للاحكام غير المدارئ
المعتبرة عنده غيره وهو عمل أهل المدينة لانه رأى انهم فيما ينفسون عليه من فعل او ترك متابعون لمن
قبلهم ضرورة لديهم واقفا على المذهب الى الجبل المباشر بن فعل النبي صلى الله عليه وسلم لا تخذبن
ذلك عنه وصار ذلك عنده من اصول الادلة الشرعية ووطن كثيران ذلك من مسائل الاجماع فأنكره لان
دليل الاجماع لا يخص اهل المدينة من سواهم بل هو شامل للامة واعلم ان الاجماع انما هو الاتفاق
على الامر الديني عن اجتهاد ومالك رحمه الله تعالى لم يعتبر عمل اهل المدينة من هذا المعنى وانما اعتبره من
حيث اتباع الجبل بالمشاهدة الجبل الى أن ينتهي الى الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورة اقتدائهم
ببعض ذلك نعم الملة ذكرت في باب الاجماع الابواب بها من حيث ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين
الاجماع الا أن اتفاق أهل الاجماع عن نظروا اجتهاد في الادلة واتفاق هؤلاء في فعل او ترك مستندين الى
مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسئلة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره اومع الادلة المختلف فيها
مثل مذهب الصحابي وشرع من قبلنا والاسم بحجاب لكان البقي ثم كان من بعد مالك بن أنس محمد بن
ادريس المطلبي الشافعي رحمه الله تعالى رحل الى العراق من بعد مالك واتى أصحاب الامام ابي حنيفة
وأخذ عنهم وخرج ماريقة اهل الحجاز بطريقه اهل العراق واختص بمذهب وخالف ما لكارهه الله تعالى
في كثير من مذهبه وجاء من بعدهما احمد بن حنبل رحمه الله وكان من علمه المحدثين وقرأ أصحابه على
أصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاخصوا بمذهب آخر ووقف التقليد في الامصار

(٣٤ - ابن خلدون)

من يقول لا اله الا الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب (وقال ابن عباس)
رضي الله عنهم في قوله تعالى اجعلني على خزان الارض اني حفيظ دليم قال هي خزان مصر وكانت اربعين فرسخا في مثلها ولم يطع يوسف
فرعون ويحلفه وينوب عنه الا بعد أن دعاه الى الاسلام فاسلم حينئذ قال اجعلني على خزان الارض (ولما استوثق) أمر يوسف الصديق

عليه السلام وكل وصارت الاشياء اليه واراد ربك أن يعرضه على صبره لما لم يركب محارمه وحلت سـ نواله والجموع مات العزيز
 وذهبت الذخائر واقفرت زليخا وعي بصرها وجمعت تنكف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرجئك ويعينك فطالما حفظته
 وأكرمته ثم قيل لها لا تفعل (٢٦٦) لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والمحس فيسى عليك ويكافئك فيما سبق

منك اليه فقالت أنا أعلم
 بحكمه وكرمه وجاست له
 على رابية في طريقه يوم
 خرجوه وكان يركب في
 زهاء مائة ألف من عظماء
 قومه وأهل مملكته فلما
 أحست به قامت وقالت
 سبحان من جعل الملوك
 عبيداً لعصيتهم وجعل
 العبيد ملوكاً بطاعتهم فقال
 يوسف ومن أنت قالت
 أنا التي كنت أخدمك على
 صدور قدي وأرجل جتك
 يـ يدى وأكرم مسواك
 بجهدي وكان منى ما كان
 وذقت وبال أمرى وذهبت
 قوتي وتلف مالي وعي
 بصرى وصرت أسأل الناس
 فـ مـ من يرجني ومنهم
 من لا يرجني بعدما كنت
 مغبوبة أهل مصر كلها
 صرت مرحومة مـ بل
 محرومة منهم هذا جزاء المفسدين
 فبكى يوسف عليه السلام
 بكاء شديداً وقال لها هل
 بقي في قلبك من حبك
 أبى شيء فقالت والذي
 اتخذ إبراهيم خليلاً لنظرة
 إليك أحب الي من ملء
 الأرض ذهباً وفضة فضى
 يوسف وأرسل اليه ان
 كنت ايمأتزوجنك وان

عند هؤلاء الاربعه قد درس المقلدون من سواهم وسـ الناس باب الخـ الاف وطرقها كثر تشعب
 الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد وما خشى من اسـ ناد ذلك الى غير اهله
 ومن لا يوثق برأيه ولا يدينه فصرحوا بالعجز والاعواز وردوا الناس الى تقليده هؤلاء كل من اختص به من
 المقلدين وحظروا ان يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا تقل مذاهبهم وعمل كل مقلد
 بمذهب من قاده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سـ ندها بالرواية لا بمحصول اليوم للفقهاء غير هذا ومدعى
 الاجتهاد لمذاهبهم مردود على عقبه مهجور تقليده وقد صار أهل الاسـ الام اليوم على تقليده هؤلاء الائمة
 الاربعه فأما جدي حنبل فقلده قليل لبعده مذهب عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية وللأخبار
 بعضها يبعثوا كثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث
 وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبالأد العجم كلها لما كان
 مذهبـه اخص بالعراق ودار الاسـ الام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بني العباس فكثرت تـ ليفهم
 ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات وجاهوا منها بعلم مسـ متطرف وأنظار غريبتهم
 بين أيدي الناس وبالمغرب منها شيء قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وأبو الوليد الباجي في رحلتهم وأما
 الشافعي فقلده ومبصر أكثر مما سواها وقد كان انتشر مذهبـه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا
 الحنفية في الفتوى والتـ درس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشخنت كتب
 الخلافات بأنواع استدلالهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق واقطاره وكان الامام محمد بن ادریس
 الشافعي لما نزل على بني عبد الحمـ بمصر اخذ عنه جماعة من بني عبد الحمـ كم وأشهب وابن القاسم وابن
 المواز وغيرهم ثم المحدث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقهـه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة
 وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشي من سواهم الى ان ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح
 الدين يوسف بن أيوب ورجع اليهم فقهـه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام فعاد الى احسن ما كان
 ونفق سوقه واشتهر منهم محي الدين النووي من الحلة التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين
 ابن عبد السلام أيضاً ثم ابن الرفعة بمصر وتقي الدين بن دقيق العيد ثم تقي الدين السـ بكى بعدهما الى أن
 انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر كبير
 العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر * وأما مالـ رحمه الله تعالى فاختص بمذهبـه أهل المغرب
 والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا أنهم لم يقدروا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم كانت غالباً الى الحجاز
 وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقصروا
 على الاخذ عن علماء المدينة وشيوخهم يومئذ وامامهم مالـ وشيوخهم من قبله وتلميذه من بعده فرجع اليه
 أهل المغرب والاندلس وقلده ودون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته وأيضاً لبداهة كانت غالبية على أهل
 المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا الى أهل الحجاز اميل لمناسبة
 البداهة ولهذا لم يزل المذهب المالـكي غصاء عندهم ولم يأخذوا تنقيح الحضارة وتذهيبها كالموقع في غيره من
 المذاهب ولما صار مذهب كل امام عالماً مخصوصاً عنه دأهل مذهبـه ولم يكن لهم سـ ميل الى الاجتهاد
 والقياس فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الأحكام ونفريقها عنه دالاستنباهة دالاستناد الى الاصول

المقررة

كنت ذات بعل أغنيك فقال للرسول المالـ أعرف بالله من أن يستزئني هو لم يردني

في أيام شبابي وجالي فكيف يقبلني وأنا عجوز فمأمر بها يوسف عليه السلام فجهرت فتر وجهها وأدخلت عليه فصف قدميه
 وجعل لي صلى ودعا الله باسمه الأعظم فدالته تعالى عليها سـ بابها ووجهها وبصرها كهيته يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له

افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهم احتى فرق الدهر بينهم ما فيجب للقوى أن لا ينسب الضعيف وللغنى أن لا ينسب الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومغروب اليه يصير راغبا ومسؤول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما (فهذا يوسف) الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه في بداخوته يوم الحب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع (وهذه زليخا) (٢٦٧) ملكة مصر وسيدة أهلها عادت

تتكشف الناس في الطرقات
قال الله تعالى وأورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون
مشارك الارض ومغارها
التي باركنا فيها فكان
يوسف عليه السلام بعد
هذا يجوع ويأكل كل خبز
الشعير ولا يسمع فقيل له
أجوع ويبدك خزائن
الارض قال أخاف أن
أشبع فأنسى الخائعين
(وقد رأيت) أن الحققة
بمنقبة في مثلها يتنافس
العقلاء ويرغب فيها
الملوك والوزراء وذلك أني
لما كنت بالعراق وكان
الوزير نظام الملك والغالب
على ألقابه خواجا برك
رحمه الله تعالى قدوزر لابي
الفتح ملك الترك ابن الب
ارسلان وكان قدوزر لابي
من قبله فقام بدولته ما
أحسن قيام فشد أركانها
وشيد بنيانها واستمال
الاعداء ووالي الاولياء
واستعمل الكفاة وعم
احسانه العدو والصديق
والبغض والمحبة والبعيد
والقريب حتى ألقى الملك
بجرائه وذل الخلق لسلطانه
وكان الذي مهد له ذلك
بإذن الله تعالى وتوفيقه

المقررة من مذاهب امامهم وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقدر بها على ذلك النوع من التنظير
والنقد واتباع مذهب امامهم فيهم اماما استطاعوا وهذه الملكة هي علم الفقه في هذا العهد وأهل المغرب
جميعا ملدون لما لك رحمه الله وقد كان تلميذه افترقوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسمعيل
وطبقته مثل ابن خويزمنداد وابن اللبان والقاضي أبو بكر البهري والقاضي أبو الحسن بن القصار
والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم وأشباهه وابن عبد الحكم والحارث بن مسكين
وطبقته ورحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في
الاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتيبي من تلامذته كتاب العتبية ورحل من افرريقية اسدين
الفرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولا ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر
أبواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه وسعى الاسدية نسبة الى اسدين الفران فقرأها سحنون على اسد
ثم ارتحل الى المشرق واتى ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب
سحنون مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه وكتب لاسد أن يأخذ بكتاب سحنون فأنف من ذلك فترك
الناس كتابه واتبعوا مدونة سحنون على ما كان فيهما من اختلاف المسائل في الأبواب فكانت تسمى
المدونة والمختلطة وعكف أهل القيروان على هذه المدونة وأهل الاندلس على الواضحة والعتبية ثم اختصر
ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالختصر ونحصره ايضا أبو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان
في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمد المشيخة من أهل افرريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتد أهل
الاندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات
بالشرح والايضاح والتجميع فكتب أهل افرريقية على المدونة ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن يونس والخمسي
وابن محرز التونسي وابن بشير وامثالهم وكتب أهل الاندلس على العتبية ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن رشد
وأمثاله وجع ابن أبي زيد جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاشقل
على جميع اقوال المذهب وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على
المدونة وزخر بحجرات المذهب المالكي في الافقيين الى انقراض دولة قرطبة والقيروان ثم تسلك به ما
أهل المغرب بعد ذلك الى ان جاء كتاب ابى عمرو بن الحاجب لمخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب
وتعديد اقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرنامج للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن
الحارث بن مسكين وابن المبشر وابن الهيثم وابن رشيق وابن شاس وكانت بالاسكندرية في بني عوف
وبني سند وابن عطاء الله ولم أدر عن أخذها ابو عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض دولة العبيديين
وزهاب فقه أهل البيت وظهور فقهاء السنة من الشافعية والمالكية ولما جاء كتابه الى المغرب آخر المائة
السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصا أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم ابو علي ناصر
الدين الزواوي هو الذي جلبه الى المغرب فانه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاء به وانتشر
بقطر بجاية في تلميذه ومنهم من انتقل الى سائر الامصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته
ويتداولونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه وقد نشره جماعة من شيوخهم كابن عبد
السلام وابن رشد وابن هرون وكلهم من مشيخة أهل تونس وسابق حليتهم في الاجادة في ذلك ابن عبد

أنه أقبل بكلمته على مراعاة جمال الدين فبنى دورا لعلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء وأسس الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح
والفقر ثم أجرى لهم الجرايات والكساوى والنققات وأجرى الخير والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافا الى أرزاقهم وعم بذلك
سائر أقطار مملكته فلم يكن من أوائل الشام وهي بيت المقدس الى سائر الشام الاعلى وديار بكر والعراقين وخراسان بأقطارها الى سمرقند

من ورأه نهر جيحون مسيرة زهاء مائة يوم حامل علم أو طالبه أو متعبداً أو زاهداً في زاوية أو كرامته شاملة له وسابعة عليه وكان الذي يخرج من بيوت أمواله في هذه الأبواب ستمائة ألف دينار في كل سنة فوشى به الوشاة إلى أبي الفتح الملك وأوغر وأصدره عليه وقالوا إن هذا المال يخرج من بيوت الأموال (٢٦٨) يقيم به جيشا يركز رأيته في سور قسطنطينية فخامر ذلك قلب أبي الفتح الملك فلما دخل

السلام وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

٨ * (علم الفرائض) *

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسبتها وذلك إذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته فإنه حينئذ يحتاج إلى حساب يصحح الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعاً إلى الفريضة التي إلى فروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناسبات أكثر من واحد أو اثنين وتعد لذلك بعدداً كثيراً بقدر ما تعدد يحتاج إلى الحساب وإن وكذلك إذا كانت فريضة ذات وجهين مثل أن يقر بعض الورثة بوارث وينكره الآخر فتحصح على الوجهين حينئذ وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل الفريضة وكل ذلك يحتاج إلى الحساب وكان غالباً فيه وجعلوه فنامقروا للناس فيها تأليف كثيرة أشهرها عند المالكية من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم المحوفي ثم المجعدي ومن متأخري أفرقية ابن النمر الطرابلسي وأمثالهم وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلم يهتموا تأليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدهم باتساع الباع في الفقه والحساب وخصوصاً أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف مجمع بين المنقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة يقينية عند ما تجهل المحظوظ وتشكل على القاسمين وللعلماء من أهل الأمصار بها عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج الجوهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور وأمثال ذلك فيملاؤا بها تأليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يقيد فيما يتداولونه من وراثتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يقيد المران وتحصيل الملكية في المتداول على أكمل الوجوه وقد يحتاج أكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وأول ما ينسى وفي رواية نصف العلم نرجه أبو نعيم المحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن هذا الحمل بعدد المراد بالفرائض إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والموارث وغيرها وهذا المعنى يصح فيها النصفية والثلثية وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشرعة كلها ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن الخصوص أو تخصصه به بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدره إلا سلام يطلق على هذا الأعلى عمومته مشتقاً من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه الإجماع الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي أن يحمل الأعلى ما كان يحمل في عصرهم فهو أليق بما رادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٩ * (أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات) *

(اعلم) أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تنلق منه بما يوحى إليه من

عليه قال يا أبت بلغني أنك تخرج من بيوت الأموال كل سنة ستمائة ألف دينار إلى من لا ينفعنا ولا يغني عنا فبكي نظام الملك وقال يا بني أنا شيخ أعجمي لونيودي على فمين يز يدلم أحفظ خمسة دنانير وأنت غلام تركي لونيودي عليك عسك تحفظ ثلاثين ديناراً وأنت مشغل بلذاتك منهمك في شهواتك وأكثر ما يصعد إلى الله تعالى معاصيك دون طاعاتك وجيوشك الذين تعدهم للنوائب إذا احتشدوا كاخفا عنك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينتهي مدى حرماه ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخجور والملاهي والمزمار والطنبو وأنا أقت لك جيشاً يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك ليل لا قامت جيوش الليل على أقدامهم صنفوا بين يديهم فارساً لوادمهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا إلى الله أكتفهم بالدعاء لك وحيوشك فانت وحيوشك في خفارتهم تعيشون ويدعائهم تبيتون وبيركاتهم

تطرون وترزقون فخرق سهامهم إلى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبكي أبو الفتح الملك بكاء شديداً ثم قال شاباش القرآن يا أبت شاباش أكثر لي من هذا الجيش (ومن مناقب) هذا الرجل وفضائله أن رجلاً قصده يقال له أبو سعد الصوفي فقال له يا أخواننا أئني لك مدرسة يبعدها مدينة السلام لا يكون في معمود الأرض منها يخلد بها ذكرك إلى أن تقوم الساعة قال أفعول وكتب إلى وكلائه

بمعاد أن يمكنه من الاموال فابتاع بقرعة على شاطئ دجلة وخط المدرسة النظامية وبنائها احسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنى حولها
أسواقا تكون محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وجسمات وواقفت عليها فكمات لنظام الملك بذلك رياسة وسودود وكرجبل طبق
الارض خبره وعم المشارق والمغارب أثره وكان ذلك في سني عشر وخمسين وأربعمائة (٢٦٩) من الهجرة ثم رفع حساب النفقات

الى نظام الملك فبلغ ما يقارب
ستين ألف دينار ثم غنى
الخبر الى نظام الملك من
الكتاب وأهل الحساب أن
جميع ما أنفق فيها نحو من
تسعة عشر ألف دينار وأن
سائر الاموال احتجبت لنفسه
وخائف فيها فدعا نظام
الملك الى أصحاب الحساب
فلما أحس أبو سعيد بذلك
أرسل الى الخليفة أبي
العباس يقول هل لك في
أن أطبق الارض بذكرك
وأشرك فخر الاتيمم والايام
قال وما هو قال غمخ وانتم
نظام الملك عن هذه المدرسة
ونكتب عليهم اسمك وتزن
له ستين ألف دينار فارسل
اليه الخليفة يقول له أنفذ
من يقبض المال فلما
استوثق منه مضى الى
أصحابه فقال له نظام الملك
أنك قد رفعت الينا نحو
من ستين ألف دينار نفقة
وأحب اخراج الحساب فقال
له أبو سعيد لا تطل الخطاب
ان رضيت والامحوت
اسمك المكتوب عليها
وكتبت عليها اسم غيرك
وأرسل معي من يقبض
المال فلما أحس نظام
الملك بذلك قال يا شيخ

القرآن ويدينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله
وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وان حفظ القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم على وجوب العمل بما يصل البناء منها قولاً أو فعلاً لا بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه
وتعين دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلة الاجماع الصحابة على
التكبير على مخالفيهم ولا يكون ذلك الا عن مسند لان مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة
الدلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف
بالكتاب والسنة فإذا هم يقسمون الاشياء بالاشباه منها وما ينظرون الامثال بالامثال باجماع منهم
وتسليم بعضهم بعضاً في ذلك فان كنت من الواقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تدرج في
النصوص الثابتة ففاسد ما يجانبك والمحذور ما ينص عليه بشرط في ذلك الاتحاق تصح تلك المساواة بين
الشيئين أو المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيه ما واحد وصار ذلك دليلاً للشرع باجماعهم
عليه وهو القياس وهو رابع الدلة واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي أصول الدلة وان خالف
بعضهم في الاجماع والقياس لأنه شذوذ وألحق بعضهم بهذه الاربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا الى ذكرها
لضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان اول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه أدلة فأما الكتاب
فدليله المعجزة القاطعة في متنه والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نقل الينا منها
فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتضداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله
وسلامه عليه من انفاذ الكتب والرسائل الى النواحي بالاحكام والشرائع أمرنا بها وأما الاجماع فلا نقاهم
رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة وأما القياس فباجماع الصحابة رضي
الله عنهم عليه كما قدمناه هذه اصول الدلة ثم ان المنقول من السنة محتاج الى تصحيح الخبر بالنظر في طرق
النقل وعدالة الناقلين لتمييز الحالة المحصلة لا لظن بصدقه الذي هو مناط وجوب العمل وهذه ايضا من
قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منها معرفة الناصح والمنسوخ وهي
من فصوله ايضا وأبوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك ان استفادة المعاني على الاطلاق
من تراكيب الكلام على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين
اللسانية في ذلك هي علوم النحو والنصرف والبيان وحين كان الكلام ملكت لا له لم تكن هذه علومها
ولاقوانين ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج اليها لانها جلية وملكت فلما فسدت الملكة في لسان العرب قبيها
الجهالة المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علومها يحتاج اليها الفقه في
معرفة احكام الله تعالى ثم ان هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي استفادة الاحكام
الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات
الوضعية على الاطلاق بل لا بد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد
الاحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة
لا تثبت قياساً والمشتراك لا يراد به معنيها معاً والاول لا تقتضي الترتيب والعام اذا خرجت افراد الخاص منه
هل يبقى حجة في عداها والامر للوجوب والندب وللفور والبرأى والنهي يقتضي الفساد والجملة والمطلق

قد وسعنا لك جميع ذلك كله ولا تمنع اسمنا ثم ان أباسعيد بنى بملك الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والخانات والبساتين
والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا في رباط أبي سعيد الصوفي واقافه يتقبلون ببغداد في هذه المناقب
فليتافس المتنافسون ولما لم هذا فليعمل المعلمون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جيل الذكر فليألم بخدشها

يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا وقال الشاعر ولا شيء يدوم فكن حديثا * جميل الذكرا فالدنيا حديث فانتهر فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر بالصالحات كما ذكر واودع لنفسك في الآخرة كما ادخروا واعلم ان المأكل للبدن والموهوب للمعاد (٢٧٠) والمتروك للعدو فاحترأى الثلاث شئت والسلام (وكان) ابن ابي داود الوزير واسع النفس

هل يحمل على المقيد والنص على العلة كاف في التعدد أم لا وامثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولا يكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم ان النظر في القياس من اعظم قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس ويمثل من الاحكام وينفتح الوصف الذي يغلب على الظن ان الحكم علق به في الاصل من تبيين اوصاف ذلك المحل او وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل اخرى من توابع ذلك كلها قواعد هذا الفن (واعلم) ان هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة وكان السلف في غنيته عنه بما ان استفادة المعاني من الالفاظ لا يحتاج فيها الى ازيد مما عندهم من الملائكة اللسانية والقوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصا فانهم اخذوا معظمها واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها القرب العصر وممارسة النقطة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب الصدر الاول وانقلبت العلوم كلها صناعا كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة فكتبوها فاقاموا برأسه سمعوا اصول الفقه وكان اول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه امل في رسالته المشهورة تكلم فيها في الاوامر والنواهي والبيانات والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققت تلك القواعد ووسعوا القول فيها وكتب المتكلمون ايضا كذلك الا ان كتابة الفقهاء فيها امس بالفقه والى بقى بالفروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال العقلي ما أمكن لانه غالب فنونهم ومقتضى طريقهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء أبو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب في القياس باوسع من جميعهم وفتح الابحاث والشروط التي يحتاج اليها فيه وكتبت صناعة أصول الفقه بكامله وتمهذت مسائله وتمهذت قواعده وعنى الناس بطريق المتكلمين فيه وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفي للغزالي وهما من الأشعرية وكتاب العهد لعباد الجبار وشرحه المعتمد دلالي الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت الاربعة قواعد هذا الفن وأركانها ثم لم يخص هذه الكتب الاربعة في لان من المتكلمين المتأخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الآمدي في كتاب الاحكام واختلقت طرائقهم في الفن بين التحقيق والحجاج فابن الخطيب أميل الى الاستدلال من الادلة والاحتجاج والاآمدي مواج بتحقيق المذاهب وتقرير المسائل واما كتاب المحصول فاختصره بليد الامام سراج الدين الارموي في كتاب التحصيل وتاج الدين الارموي في كتاب المحاصل واقتطف شهاب الدين القرافي منها ما مقدمة وقواعد في كتاب صغير سماه التوقيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعنى المبتدئون به الذين الكتابيين وشرحهما كثير من الناس واما كتاب الاحكام للآمدي وهو أكثر تحققة في المسائل فلخصه أبو عمر وابن الحاجب في كتابه المعرف وبالاختصار الكبير ثم اختصره في كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعنى أهل المشرق والمغرب به وبمطالعة وشرحه وحصن زبدة طريقه المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات واما طريق الحنفية فكاتبوا فيها كثيرا وكان من أحسن كتابة فيها المتقدمين تأليف أبو زيد الدبوسي وأحسن كتابة المتأخرين فيها تأليف سيف الاسلام

مبسوط الدين يعطى الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سؤال ولا يبتدى بالنوال فقال له الواثق امير المؤمنين يوما قد بلغني بسط يدك بالاعطاء وهذا يتلف بيوت الاموال فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال يا امير المؤمنين ذخائر أجرها واصل اليك ومقاييس شكرها موصولة بك وانما لي من ذلك تعشقي في اصيل الثناء اليك فقال الواثق لله انت جدد بالاعطاء واكثر بالشكر والثناء

(ا) اباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال *

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزائن الارض كان يجوع ويأكل الشعير فقيل له اتجوع ويملك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائعين (وروى) البيهقي باسناده قال لما استخلف ابو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه اين تريد قال السوق قال قد

جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلني عن عيالي قال نفرص لك بالمعروف قال فانقي في سنتين وبعض اخرى ثمانية آلاف درهم ووصي ان ترد من ماله في بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصري قال لما حضرنا ابا بكر الوفاة قال انظرواكم انفقتم من مال الله فوجدوا قد انفق في سنتين ونصف ثمانية آلاف درهم قال اقضوا ما عني فقصوها عنا

البزدوي

ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضاء الله ماترون ولا بد لكم من رجل يلى امركم ويصلى بكم ويقايل عدوكم فان شئتم اجتمعتم واثمتم
لكم وات شئتم اجتهدت لكم فوالذي لا اله الا هو ما آلوكم ونفسي خير افيكونوا قالوا انت خيرنا واعلمنا فاخترنا فقال قد اخترت لكم عمر
(وروي) مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال بلغني ان ابا بكر لما ولي لم ينفق من (٢٧١) مال الله شيئا وغدا يوم من بني عمرو بن

عوف وكانت له هناك
امرأة من الانصار في جمال له
يريد ان يبيعها فلقبها
بعض المسلمين فقال ما تصنع
هذا يشغلك عن الناس
وعن النظر في امرهم قال
فكيف اصنع قالوا تنفرغ
للتنظر في امورهم وتستنفق
من هذا المال فباع تلك
الابل وغيرها من ماله
الا الارض ثم طرحه في
بيت المال فكان ينفق
من المال على نفسه وعلى
عيله ثم كان عمر على
مثل ذلك ثم وليه عمر بن
عبد العزيز فلم ينفق منه
ف قيل له قد صنع ابو بكر
وعمر ما قد علمت قال اجل
والذي اخذت من هذا
المال فان يكن لي فيه حق
فقد اسدتوفيت وزدت
ولولا ذلك لقلعت (قال)
ابن القاسم قلت لما لك
فان قولهم عن عمر انه رد
ثمانين ألفا قال كذبوا انما
يقول هذا اعداء الله هو
لم يجز لولده سلف أبي موسى
اياه حين اخذ منه نصفه
فكيف ياخذ من مال الله
ثمانين ألفا فلما توفي أبو
بكر استرجع على رضى الله
عنه وجاءه سر عابا يكا

اليزدوى من اتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الاحكام وكتاب
اليزدوى في الطريقتين وسمى كتابه بالبدائع فقام من احسن الاوضاع وأبدعها وأتمها العلماء لهذا العهد
يتداولونه قراءة وبجحا وولع كثير من علماء الحنابلة بشرحه والمحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن
وتعيين موضوعاته وتعيين التاليف المشهورة لهذا العهد فيه والله ينفعنا بالعلم ويوجهنا لما ناله به
وكرمه انه على كل شيء قدير * (وأما الخلافات) * فاعلم ان هذه الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية
كثرت فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم خلافا لا بد من وقوعه لما قدمناه واتسع
ذلك في الملة اتساعا عظيما وكان للقلدين ان يقلدوا من شاؤوا منهم ثم لما انتهى ذلك الى الائمة الاربعة من
علماء الامصار وكانوا يمكن من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم
لذهاب الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التي هي موادها اتصال الزمان وافتقار من يقوم على سوى هذه
المذاهب الاربعة فاقبعت هذه المذاهب الاربعة اصول الملة وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها
والآخذين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والاصول الفقهية وجرى بينهم المناظرات
في تصحيح كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة وطرائق قوية محتج بها كل على مذهبه الذي
قلده وتمسك به وأجرى في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه فتارة يكون الخلاف بين
الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق احدهما وتارة بين مالك وأبي حنيفة والشافعي يوافق احدهما وتارة بين
الشافعي وأبي حنيفة ومالك يوافق احدهما وكان في هذه المناظرات بيان ما أخذ هؤلاء الائمة ومشارت
اختلافهم ومواقف اجتهادهم كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافات ولا بد لصاحبه من معرفة
القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الان المجتهد يحتاج اليها للاستنباط
وصاحب الخلافات يحتاج اليها لمخفظة تلك المسائل المستنبطة من ان يهدمها المخالف بادلتها وهو لم يرى
علم جليل القائفة في معرفة ما أخذ الائمة وأدلتهم ومران المطالع عين له على الاستدلال فيمسير ومون
الاستدلال عليه وتأليف الحنفية والشافعية فيه اكثر من تأليف المالكية لان القياس عند
الحنفية اصل لكثير من فروع مذهبهم كما عرفت ففهم لذلك اهل النظر والبحث وأما المالكية فلا اثر
اكثر معتمد لهم وليسوا باهل نظر وايضا فكثرهم اهل المغرب وهم بادية عقل من الصنائع الا في الاقل
وللغزالي رحمه الله تعالى فيه كتاب المأخذ ولا ي زيد الدبوسي كتاب التعليق ولا بن القصار من شيوخ
المالكية عيون الأدلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في اصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من
الفقه الخ لا في مدرج في كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافات * (وأما المجلد) * وهو معرفة آداب
المنظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول
منسما وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون
صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الائمة الى ان يضعوا آدابا واحكاما يقف المتناظران عند حدودها
في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له ان يكون مستدلا وكيف
يكون مخصوصا منقطعا ومحال اعتراضه او معارضته وأن يجب عليه السكوت والمخضمة الكلام
والاستدلال ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل

وقال رجل الله ابا بكر لقد كنت والله أول القوم اسلاما وأكرمهم ايمانا واشدهم يقينا وأخوفهم لله تعالى وأحوطهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأشبههم به هديا وخلقوا سمعا وفضلا وأكرمهم عليه وأرفعهم عنده فجزاك الله عن الاسلام خير اصدقت رسول الله حين
كذب الناس فسألك الله في كتابه صديقا فقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وأنته حين تخلفوا وقت معه حين

قعدوا وصحبته في الشدة حين تفرقوا أكرم العجبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة والمزلة عليه السكينة وخلقه في أمته أحسن الخلافة فهو بيت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا وقت بالارحين فشاوا ومضيت بقوة اذوقوا كنت أطولهم صمتا وأبلغهم قولا وأنجعهم قلبا وأشدهم يقينا (٢٧٢) وأحسنهم عملا كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قوي في أمر دينك

بها إلى حفظ رأى وهو دمه كان ذلك الرأى من الفقه وهو طريقان طريقة البردوى وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العبدى وهي عامة في كل دليل يستدل به من أى علم كان واكثر استدلال وهو من المناحي المحسنة والمغالطات فيه في نفس الامر كثيرة واذا اعتبرت برنا النظر بالمنطقى كان في الغالب أشبه بالقياس والمغالطى والسوفسطائى الا ان صور الأدلة والاقبسة فيه محفوظة مراعاة تحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي وهذا العمى هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه ووضع الكتاب المسمى بالارشاد مختصر او تبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره جاؤا على اثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التأليف وهي لهذا العهد مهملة لقصر العلم والتعليم في المصارف الاسلامية وهي مع ذلك كمالية وليست ضرورية والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

١٠ * (علم الكلام) *

هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد اليمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المخرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد اليمانية هو التوحيد فدلت قدم هنا الطريقة في برهان عقلى يكشف لنا عن التوحيد في أقرب الطرق والمساخذ ثم نرجع الى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشير الى حذوثة في الملة ومادع الى وضعه فقول ان الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات او من الافعال البشرية او الحيوانية فلا بد لها من اسباب متقدمة عليها ناتجة في مسبقها العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من هذه الاسباب حادث ايضا فلا بد له من اسباب أخرى ولا تزال تلك الاسباب مرتبة حتى تتمشى الى مسبب الاسباب وموجد ما وخالقها سبحانه لا اله الا هو وتلك الاسباب في ارتقاءها تتفصح وتتضاعف طولا وعرضا ويحار العقل في ادراكها وتعددها فاذا لا يحصرها الا العلم المحيط سيما الافعال البشرية والحيوانية فان من جملة اسبابها في الشاهد القصور والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بآرادته والقصد اليه والقصور والارادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضها تلك التصورات هي اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب تلك التصورات تصورات أخرى وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا يطالع أحد على مبادئ الامور والنفسانية ولا على ترتيبها انما هي أشياء يعيها الله في الفكر يتبع بعضها بعضها والانسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها وانما يحيط علمنا في الغالب بالاسباب التي هي طبيعة ظاهرة ويقع في مداركها على نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها واما التصورات فطوائفها اوسع من النفس لانها العقل الذي هو فوق طووال النفس فلا تدرك الكثير منها فاضلا عن الاحاطة وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه واديبهم فيه الفكر ولا يخلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه وأصبح من الضالين المهالكين نعوذ بالله من الخمران والخسران الممين ولا تحسبن ان هذا الوقوف أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصيغة تستحكم من الخوض في الاسباب على نسبة لا نعلمها اذ لو علمناها لحرزنا منها فلننحر زمن ذلك بقطع النظر عنها جملة وايضا فوجه تأثير هذه الاسباب في الكثير من مسبباتها مجهول لانها انما يوقف عليها بالعادة لا فتران الشاهد بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية مجهولة وما أوتيت من العلم الا

متواضعا في نفسك عظيما محبوبا الى اهل السموات والارض فيجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا (وقال) عمر رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده تعب شديدا (وروى) البيهقي عن عمر رضي الله عنه انه قال اني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة ولى الدائم ان استغنيت استغففت وان افتقرت أكلت بالمعروف (وفي رواية أخرى) ان احتجت أخذت منه فاذا أبسرت رددته (وفي رواية أخرى) أخبركم بما استحل من مال الله تعالى وما قال يحل لي استحل منه حلين حلة لاشتماء وحلة للقبض وما حج عليه واعتمر ووقوتى وقوت عمالي كقوت رجل من قریش لامن اغنيائهم ولامن فقرائهم ثم اناب بعد ذلك رجل من المسلمين يصيني ما اصابهم (وقال) انس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر رضي الله عنه فاكل خبز الشيعر وكان قبل ذلك لا يأكله فاستكره بطنه فصوت فضربه بيده وقال هو والله ماترى حتى يوسع الله على المسلمين

(وقال) ابو عثمان النهدي رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنا عشر رقعة احدها بادم أحمر (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب بن الاقرع على المدائن فدخل ايوانا من ايوان كسرى فاذا صم يشير باصبعه الى الارض قد عقد أمر بعين فقال والله ما يشير هذا الى الارض الا وشم شئ فاحنقروا فاستخرجوا

منه سقافيه جوهر فكتب الى عمر بن الخطاب أما بعد فاني دخلت ايوانا من ايوان كسرى فرأيت كذا وكذا فاحتقرت فاخرجت سقفا
فيه جوهر قلم أحد أحق به منك يا أمير المؤمنين لم يكن من في المسلمين فاقعه بينهم إنما أصدنا شيئا تحت الأرض فلما قدم السقط على
عمر وعليه خاتم السائب فرأى عمر فيما يرى النائم كان ناراً أجمعت وهو يراد يلقي فيها (٢٧٣) فكتب الى السائب أن أقدم على قال

فقدمت عليه وهو يطوف
في ابل الصدقة فطقت معه
الى نصف النهار ثم دعا بساء
فاغتسل ودعا على بما فاعتسلت
ثم ذهب الى منزله فأتى بلحم
غليظ وخبز متحمش فقال
انظر من على الباب فاذا
سودان من الصوفية فاذن
لهم فدخل يأكل معهم
فاذا لحم غليظ لا يستطيع
أن أستهغه وقد كنت
تعودت درمك أصهان
اذا وضعته في في دخل
بطني ثم دعا بالاسفط وقال
أتعرف خاتمك قلت نعم
فقال كتبت ترفق لي تزعم
اني احق به من اين اصبته
فاخبرته قال اذهب فاجعله
في بيت مال المسلمين حتى
اقتسمه بينهم (وقال) فتادة
قدم عمر بن الخطاب رضى
الله عنه الشام فصنع له
طعام لم يرقبله مثله فقال
هذا النافق الفقراء المسلمين
الذين ماتوا وهم لا يشبعون
من خبز الشعير قال خالد بن
الوليد لهم الجنة فاغرو رقت
عنه عمر وقال لئن كان
حظنا في هذا الطعام
وذهبوا بالجنة لقد باينونا
بونا بعيدا (وقال) عبد الله
ابن عمر العمري ان عمر بن

قليل الا فلذلك أمرنا بقطع النظر عنها والغائم اجله والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفاقها وموجدها
لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو أعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لاطلاعه
على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة فان وقف عند تلك
الاسباب فقد انقطع وحق عليه كله الكفر وان سيج في بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتأثيراتها
واحد بعد واحد فاننا الضامن له ان لا يعود الا بالجمية فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الاسباب وأمرنا
بالتوحيد المطلق قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا تنقن بما يزعم لك الكفر
من انه مقدرة على الاحاطة بالكائنات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك
واعلم ان الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها والامر في نفسه بخلاف ذلك
والحق من ورائه الا ترى الا صم كيف ينحصر الوجود عند مدركه في المحسوسات الاربع والمعقولات ويسقط
من الوجود عنده صنف السموات وكذلك الاعى ايضا يسقط عنده صنف المراتب ولولا ما يردهم الى
ذلك تقلد الا باموال المشيخة من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به لكنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه
الاصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعتهم ادراكهم ولو لم يدر الحيو ان العجم ونطق لوجدناه منكر المعقولات
وساقطة لديه بالكلية فاذا علمت هذا فاعلم هناك ضربان الادراك غير مدركات الان ادراكا كانت مخلوقة
محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والمحصر مجهول والوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من ورائه هم
محبط فاتهم ادراك كل ومدركاتك في المحصر واتبع ما عرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو احرص على
سعادتك واعلم ان ما يقع لك لانه من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك
بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميراث صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع ان ترز به
أمور التوحيد والآخر حقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في مجال
ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع ان يزن به الجبال وهو لا يدرك على أن
الميزان في أحكامه غير صادق لكن العقل قديق عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله
وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه وتفتن في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال
هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رأيه فقد تبين لك الحق من ذلك واذا تبين ذلك فاعلم الاسباب اذا
تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا خرجت عن أن تكون مدركة فيفضل العقل في بدهاء الاوهام
ويحارو وينقطع فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب وكميات تأثيرها وتبقى يرض ذلك الى خالقها
المحيط بها اذ لا فاعل غيره وكلها تترقى اليه وترجع الى قدرته وعلمنا به انما هو من حيث صدورنا عنه وهذا
هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك ثم ان المعتزلة يرى هذا التوحيد ليس هو
الايمان فقط الذي هو صديق حكيم فان ذلك من حديث النفس وانما الكمال فيه حصول صفة منه
تتكيف بها النفس كما ان المطلوب من الاعمال والعبادات ايضا حصول ملكة الطاعة والانقياد وتقرير
القلب عن شواغل ماسوى المعبود حتى ينقلب المرء الى السالك ربانيا والفرق بين الحال والعلم في العقائد
فرق ما بين القول والاتصاف وشرحه ان كثير من الناس يعلم أن رحمة النبي والمسلمين قربة الى الله تعالى
مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر مأخذه من الشريعة وهو لو رأى يتبعيا او مسكينا من أبناء

(٣٥ - ابن خلدون) الخطاب رضى الله عنه حين قدم الشام قال لاني عبيدة اذهب بنا الى منزل قال ماتر يدالي أن تقصر عينك
على قال فدخل منزله فلم ير شيئا فقال عمر أين متاعك لا أرى الا ابدا وشنا وصحفة وأنت أمير أعندك طعام فقام أبو عبيدة الى جونة فاخرج
منها كسرات فبكي عمر فقال أبو عبيدة قد قلت لك انك تقصر عينك على يا أمير المؤمنين يكفيلك من الدنيا ما بلغك المغيل فقال عمر غرتنا

الذي يبعثك يا ابا عبد الله (وقال) النخعي بعث عمر بن الخطاب مصدقين فابطؤا عليه وبالناس حاجة شديدة فخاؤا بالصدقات فقام فيها من رابعاءة تحتاف في اولها و آخرها يقول هذه لآ فلان وهذه لآ فلان حتى انتصف النهار وجاع ودخل بيته حتى اذا امكن اكله اكله ثم قال من ادخله (٢٧٤) بطنه ابعده الله (وقال) طائوس اجذب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

المستضعفين لفرغته واستنكف ان يباشره فضلا عن التمسح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة فهذا انما حصل له من درجة اليتم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصاف ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بان درجة المسكين قربته الى الله تعالى مقام آخر اعلى من الاول وهو الاتصاف بالدرجة وحصول ملكتها حتى رأى يتيم او مسكينا بادرا اليه ومسح عليه والتمس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن ذلك ولو دفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا علمك بالتوحيد مع اتصافك به والعلم الحاصل عن الاتصاف ضروري وهو اوثق مبنى من العلم الحاصل قبل الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مرار غير منحصرة بقرينة الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق ويحيى العلم الثاني النافع في الآخرة فان العلم الاول المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى والنفع وهو ذا علم اكثر النظائر والمطلوب انما هو العلم الحالى الناشئ عن العادة بعلم ان الكمال عند الاشارة في كل ما كاف به انما هو في هذا فاطمأطع اعتقاده فالكامل فيه في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف ومطابق عمله من العبادات فالكامل فيها في حصول الاتصاف والتحقيق بها ثم ان الاقبال على العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم لم في رأس العبادات جعلت قرعة عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالا لا يجد فيها منتهى لذته وقرعة عينه وان هذا من صلاة الناس ومن لم يها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اللهم وفقنا واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقد تبين لك من جميع ما قررناه ان المطالب في التكليف كما حصل ملكة راسخة في النفس يحصل عنها لم اضطرارى للنفس هو التوحيد وهو العقيدة الایمانية وهو الذي تحصل به السعادة وان ذلك سواء في التكليف القلبية والبدنية ويتفهم منه ان الايمان الذي هو اصل التكليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب اولها التصديق القلبي الموافق للسان وأعمالها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتدرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهو هذا ارفع مراتب الايمان وهو الايمان الكامل الذي لا يقارف المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة اذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن مناهجها طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وفي حديث هرقل لما سأل ابا سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم واحواله فقال في أصحابه لم يرتد احد منهم سخطا لديه قال لا قال وكذلك الايمان حين تخاطب بشاشته القلوب ومعناه ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس مخالفتها شأن الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمثابة الجبلة والقطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان وهي في المرتبة الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للانبياء وجوب سابقا وهذه حاصلة للمؤمنين حصولا تابعا لالاعمالهم وتصديقهم وهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذي يتلى عليه لك من اقوال السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل أن الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وان الصلاة والصيام من الايمان وان تطوع رمضان من الايمان والحياة من الايمان والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذي أشرنا اليه والى ملكته وهو فعلى واما التصديق الذي هو اول

ما اكل سنا ولا سنا حتى اكل الناس (وقال) سعيد ابن جبير ان عليا رضي الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة وعليه ازاران قطريان قد رقع ازاره بخرقعة ليست بقطرقة من وراءه فجاءه اعرابي فنظر الى تلك الخرقعة فقال يا امير المؤمنين كل من هذا الطعام والدس واركب فانك ميت او مقتول قال ان هذا خبري في صلاتي واصبح قلبي واشبهه بشبه الصالحين قبلي واحذر ان يقتلني من اتى من بعدى (وقال) الحسن ان عمر بن الخطاب بينا هو يعس في المدينة بالليل اتى على امرأة من الانصار تحمل قرربة فسألتها فذكرت ان لها عيال وان ليس لها خادم وانها تخرج في الليل فتسقيهم الماء وتكره ان يخرج بالنهار فيمل عمر عن القرربة حتى بلغ منزلا وقال اغدى على عمر غدوة يخدملك خادما قالت لا اصل اليه قال انك ستجديه ان شاء الله تعالى فغدت عليه فاذا به فعرفت انه الذي حمل قربتها فذهبت

تولى فارس في اثرها واما خادم وثقة واما صاحب عمر رضي الله عنه قال كم بلغت نفقة ثمانية مراتبه عشر دينارا يا امير المؤمنين قال ويحك اجفنا بيت مال المسلمين (وقال) شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل حص فقال اكتبوا لي فقراءهم فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها سعيدين عامر فقال من سعيدين عامر قالوا اميرنا فحجب عمر وقال كيف يكون اميركم

فقيرا فقالوا انه لا يمسك شيئا فبكى عمرو بعث اليه بالف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع فقالت له امرأته مالك اصابتك امير المؤمنين بشئ قال اعظم من ذلك اتيتي الدنيا دخالت على الدنيا وانى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم اباربعين عاما فوالله ما يسرني انى حبست عن الرعب

(٢٧٥)

الشهس قالت فاصنع فيه ماشئت قال هل عندك معونة قالت نعم فاتته بخمارها فصر الدنانير فيها صر راثم جعلها في مخلاة وبات يصلي ويبكي حتى اصبح فاعرض جثمانه جيوش المسلمين فامضاهما كلها فقالت مرآته رجل الله لو حبست منها شيئا استعين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لو اطاعت امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض ملأت الارض من ربح المسك وانى والله ما اختارك علي بن فسكت (ودوى) ان عمر رضى الله عنه استعمل على حص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فلم يشعر به عمير الا ان قدم ماشيا حافيا معه عكازته وادوته وغرودته وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا عمير اخنثنا ام البلاد بلاد سوء فقال يا امير المؤمنين اما نهالك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وماترى من سوء الحال وقد جئت بك بالدنيا اجرها بقرابها فقال

مراتبه فلا تفاوت فيه فمن اعتبر اوائل الاسماء ووجهه على التصديق منع من التفاوت كما قال ائمة المنكاهين ومن اعتبروا اخر الاسماء ووجهه على هذه الملة التي هي الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس ذلك بقادح في اتحاد حقيقة الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود في جميع رتبته لانه اقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو المخلص من عهد الكفر والفصل بين الكافر والمسلم لم فلا يجزى اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تفاوت وانما التفاوت في المحال المحاصلة عن الاعمال كما قلناه فافهم واعلم ان الشارع وصف لنا هذا الايمان الذي في المرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين امور مخصوصة كلفنا التصديق بها بقلوبنا وادعاه في انفسنا مع الاقرار بالسنة ما هو العقائد التي تقررت في الدين قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وهذه هي العقائد اليمانية المقررة في علم الكلام ونشر اليها مجملة لتبين لك حقيقة هذا الفن وكيفية حدوده فنقول اعلم ان الشارع لما امرنا بالايمان بهذا الخالق الذي رد الافعال كلها اليه واوفره به كما قدمناه وعرفنا ان في هذا الايمان نجاة عند الموت اذا حضرنا لم يعرفنا بكنهه حقيقة هذا الخالق المعبود اذ ذلك متعذر على ادراكنا ومن فوق طورنا فكلفنا اول اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين والامساك به خالق لهم لعدم الفارق على هذا النقص يدبر ثم تنزيهه عن صفات النقص والاشابه المخلوقين ثم توحيد به الاتحاد والالهيته الخالق للتمانع ثم اعتقاده ان عالم قادر فذلك تتم الافعال شاهد قضيتة اكمال الاتحاد والخلق ومريد والالم يخصص شي من المخلوقات ومقدر لكل كائن والا فلا رادة حادثة وانه بعيد نابعد الموت تكميل العنايتة بالايجاد ولو كان لامر فان كان عبثا فهو للبقاء السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعدل لاختلاف احواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك وتعام اطقه بنافي اليتاء بذلك وبيان الطريقين وان الجنة للنعمين وجهنم للعذاب هذه امهات العقائد اليمانية معللة بادلتها العقلية وادلتهم من الكتاب والسنة كثيرة وعن تلك الادلة اخذها السلف وارشد اليها العلماء وحققها الائمة الا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفصيل هذه العقائد اكثر مما ارها من الاسمى المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والنظر والاسئلة تدلل بالعقل زيادة الى النقل فحدث بذلك علم الكلام ولتبيين لك تفصيل هذا المجل وذلك ان القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتزويه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في اى كثيرة وهى سلوب كلها وصرح في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن اى اخرى قليلة لتوهم التشبيه مرة في الذات واخرى في الصفات فاما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرة ما ووضح دلالتها وعلما واستحالة التشبيه وقضوا بان الايات من كلام الله فامناها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل وهو ذامعنى قول الكثير منهم اقرؤها كما جاءت اى آمنوا بانها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها المجاز ان تكون ابتلاء فيجب الوقف والاذعان له وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الايات وتوغلوا في التشبيه ففقر يبق اشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهرهم وردت بذلك فوقهم وفي التجسيم الصريح ومخالفة اى التنزيه المطلق التي هى أكثر موارد ووضح دلالة لان معقولة الجسم تقتضى النقص والافتقار وتغليب آيات السلب في التنزيه المطلق التي هى أكثر موارد ووضح دلالة أولى من

ومامعك من الدنيا قال عكازة اتو كاهلها وأدفع بها يدوان لقيته وغرودى اجل فيه طعامى وادواتى هذه اجل فيها ماء لشرى وصلا تى وقصعتى هذه اتوضأ فيها واغسل فيها راسى وكل فيها طعامى فوالله يا امير المؤمنين ما الدنيا بعد الاتبعها سامعى قال فقام عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فبكى ثم قال اللهم المحبة بصاحبى غير مقتضى ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه ثم قال

ما صنعت في عمل يا عمير قال أخذت الرقة من أهل الرقة والابل من أهل الابل وأخذت الخزبة من أهل الزمعة يدوهم صاغرون ثم
 قسمها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي منها شيء عندى أتيتك به فقال عمر عد الى عملك فقال عمير أنشدك
 الله ان لا تردنى الى على فاني لم أسلم (٢٧٦) منه حتى قلت لذي الخرك الله ولقد خشيت ان يخصني له محمد صلى الله عليه وسلم

التعلق بطواهر هذه التي لناعنا غنية وجمع بين الدليلين بناء عليهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم
 لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لانه قول متناقض وجمع بين نفي وإثبات ان كان بالمعقولة واحدة من
 الجسم وان خالفوا بينهما ونفوا المعقولة المتعارفة فقدوا فقرؤنا في التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسما
 من أسماءه ويتوقف مثله على الاذن وفريق منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كاثبات الجهة والاستواء
 والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك وآل قوله هم الى التجسيم فنزعوا مثل الاولين الى قوله هم صوت
 لا كالأصوات جهة لا كالجها ت نزول لا كالنزول يعنون من الأجسام واندفع ذلك بما اندفع به الاول ولم
 يبق في هذه الظواهر الاعتقادات السلف ومذهبهم والايان بها كما هي لك لا يكر النفي على معانيها
 بنقيضها مع انها صحيحة ثابتة من القرآن ولهذا انتظر ما تراهم في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكاتب المختصر
 له وفي كتاب الحفاظ بن عبد البر وغيرهم فانهم يحومون على هذه المعنى ولا تغمض عينك عن القرائن
 الدالة على ذلك في غضون كلامهم ثم لما كثرت العيوب والصناعات وولع الناس بالتدوين والبحث في
 سائر الانحاء وألف المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في آي السجود
 فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة رائدة على أحكامها لما يلزم على ذلك من تعدد
 القديم بزعمهم وهو مردود بان الصفات ليست عين الذات ولا غيرها وقضوا بنفي السمع والبصر لكونهما
 من عوارض الأجسام وهو مردود لعدم اشتراط البنية في مدلول هذا اللفظ وانما هو ادراك المسموع أو
 البصر وقضوا بنفي الكلام لاشبهه ما في السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بأن
 القرآن مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضررها البدعة ولقنها بعض الخلقاء عن أئمتهم فعمل
 الناس عليها وخالفهم أئمة السلف فاستحل لخالفهم يسار كثير منهم ودموا لهم وكان ذلك سببا لانتهاض
 أهل السنة بالدلة العقلية على هذه العقائد فدفعوا في صدورهم هذه البدعة وقام بذلك الشيخ أبو الحسن
 الأشعري امام المتكلمين فتوسط بين الطريق ونفي التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على
 ما قصره عليه السلف وشهدت له الأدلة المختصة لعمومه فثبت الصفات الاربع المعنوية والسمع
 والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما
 مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والاصح والتحسين والتقبيح وكل العقائد في البعثة وأحوال الجنة
 والنار والنواب والعقاب وألحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حينئذ من بدعة الامامة من قولهم انها
 من عقائد الايمان وانه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهد في ذلك لمن هي له وكذلك على الامة
 وقصارى أمر الامامة انها قضية مصلحية اجماعية ولا تلحق بالعقائد فلذلك ألحقوها بمسائل هذا الفن
 وسموا مجموع علم الكلام اماما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست براجعة الى عمل
 واما لان سبب وضوعه والنحوض فيه هو تنازعهم في اثبات الكلام النفسي وكثر اتباع الشيخ أبي الحسن
 الأشعري واقتفى طريقه من بعده تلميذه كائن مجاهد وغيره وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر
 للامة في طريقهم وهذا وضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والانظار وذلك مثل اثبات
 الجواهر الفردة والخلاء وان العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبق زمانين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه
 أدلتهم وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الايمانية في وجوب اعتقادها والتوقف تلك الأدلة عليها وأن بطلان

ولقد سمعته يقول أنا حبيب
 المظلم فاحاججة
 حجة له ولكن انذني
 الى أهلي فاذن له فاني أهله
 فبعث عمر رجلا يقال
 له خبيب بمائة دينار
 فقال أئت عمرا فانزل عليه
 مائة فان بك خائنا لم يخف
 عليك في عيشه وحال أهل
 بيته وان لم يك خائنا لم
 يخف عليك فادفع اليه
 المائة فأتاه خبيب فنزل به
 مائة فلم ير له عيشا الا الشعر
 والزيت فلما مضت ثلاث
 قال يا خبيب ان رأيت ان
 تحول الى جبرائيل فاعمل
 ان يكونوا أوسع عيشا منا
 أما نحن فوالله لو كان عندنا
 غير هذا لاثرتنا به (قال)
 فدفع اليه المائة وقال
 بعث بها اليك أمير المؤمنين
 فدعا بقر وخلق لامرأته
 فصرها الخسة والستة
 والسبعة فقصها فقدم
 خبيب على عمر فقال يا أمير
 المؤمنين جئتكم من عند
 أزهد الناس وما عندهم من
 الدنيا لا قليل ولا كثير
 فبعث اليه عمر وقال
 ما صنعت في المائة يا عمير
 قال لا تساني عنما قال تتجبرني
 (قال) قسمتها بيني وبين

اخواني المهاجرين والانصار قال فامر له بوسقي طعام ونوبين قال يا أمير المؤمنين أما الثوبان فأقبل
 وأما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند أهل صاع من بر هو كافيهما حتى ارجع اليهم (وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرار بمائة
 دينار وقال للعلام اذهب بها الى عبيدة بن الجراح ثم تكأ ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب بها للعلام اليه وقال يقول لك أمير

الدليل

المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصله الله ورحمه (ثم قال) تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انقدها ورجع الغلام الى عمر فاخبره (ووجدته) قد اعدم مثلها معاذ بن جبل فقال له اذهب بهذه الى معاذ بن جبل وتسكن في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فيها اذهب به اليه وقال ان امير المؤمنين يقول لك اجعل هذه (٢٧٧) في بعض حاجتك فقال رحمه الله

واوصله (ثم قال) يا جارية

اذهي الى فلان بكذا والى

فلان بكذا فقالت امرأة

مهاذونحن والله مساكين

فأعطنا ولم يبق في المحرقة

الا ديناران فرمى بهما اليها

فرجع الغلام فاخبر بذلك

عمر فقال عمر انهم اخوة

بعضهم من بعض

*) (الباب الموفى خمسين

في سيرة السلطان في تدوين

الدواوين وفرض الارزاق

وسيرة العمال) *

(اعلم) ارشدك الله تعالى

ان اول من اتخذ الدواوين

وأجرى الاعطية على

ماروى عمر بن الخطاب

رضي الله عنه وكان يفضل

أهل السابقة ثم الذين

يلونهم حتى أجرى على

العامية شيئا واحدا ثمانية

واربع مائة وفرض للعمال

مائة درهم في كل سنة

(وكان) ابو بكر رضي الله

عنه يساوي بين الناس

في العطاء ولا يفضل أهل

السابقة ويقول انما

عملوا الله فاجورهم على الله

وانما هذا المال عرض

حاضر يا كاهن البر والفاجر

وليس ثمننا لعمالهم (وكان)

عمر يقول لا اجعل من

الدليل يؤذن بطلان المدلول وجلت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية
الان صور الأدلة تعتبر بها الاقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به
المتكلمون للاستقامة الفلسفية المبينة للعقائد الشرعية بالجملة فكانت مهجورة عنهم لذلك ثم
جاء بعد القاضي ابى بكر الباقلاني امام الحرمين ابو المعالي فامل في الطريقة كتاب الشامل واوسع القول فيه
ثم لخصه في كتاب الارشاد واتخذ الناس اماما لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه
الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بانه قانون ومعياري للدلالة فقط يسير به الادلة منها كما يسير من
سواها ثم نظر وافي تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام للاقدمين فخالقوا الكثير منها بالبراهين التي
أدلت الى ذلك وربما ان كثير منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والاهليات فلما سير وهما معيار
المنطق ردهم الى ذلك فيها ولم يعتدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار اليه القاضي فصارت هذه
الطريقة من مصطلحهم مبينة للطريقة الاولى وتسمى طريقة المتأخرين وربما أدخلوا فيها الرد على
الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية وجعلوا منهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب
المبتدعة ومذاهبهم - وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الامام ابن
الخطيب وجماعة ففوا أثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخاطبة كتب الفلاسفة
والتنسب عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيهما واحدا من اشتباه المسائل فيهما واعلم ان المتكلمين
لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا
والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الان نظره فيها مخالف
لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل
وكذا نظر الفيلسوف في الالهيات انما هو نظري في الوجود المطلق وما يقضي به لذاته ونظر المتكلم في الوجود
من حيث انه يدل على الوجود والمجمل في موضوع علم الكلام عند أهلها انما هو العقائد الايمانية بعد
فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالدلالة العقلية فترقع البدع وتزول الشكوك
والشبهة عن تلك العقائد واذ انما ملئت حال الفن في حدوثه وكيف تدرج كلام الناس فيه صدر اربع صدر
وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والادلة علمت حينئذ ما قرأه ذلك في موضوع الفن وأنه
لا يعود له ولقد اختلفت الطرق يقتان عنده هؤلاء المتأخرين والتنسب مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث
لا يتميز أحد الفئتين من الآخر ولا يحصل عليه طالبيه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع ومن جاء
بعده من علماء العجم في جميع تاليفهم الا ان هذه الطريقة قديمتها بعض طلبة العلم للاطلاع على
المذاهب والاعراق في معرفة الحجاج لو فور ذلك فيها وأما محاذاة طريقة السلف بعقائدهم العلم الكلام فانما
هو للطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الارشاد وما حذا حذوه ومن أراد ادخال الرد على الفلاسفة
في عقائده فعليه بكتب الغزالي والامام ابن الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس
فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة
فينبغي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذ المصلحة
والمبتدعة قد انقرضوا والائمة من أهل السنة كفوناشأ عنهم فيما كتبوا ودونوا والادلة العقلية انما احتاجوا

قابل رسول الله كن قاتل معه ولم يقدر عمر الارزاق الا في ولاية عمر رافجرى على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولائه وكتابه ومؤذنيه ومن
كان يلي معه في كل شهر لما بعثه وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق وأجرى عليه في كل يوم نصف شاة ورأسها ووجد لها
وأكلها ونصف جريب كل يوم وأجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان) عطاؤه خمسة آلاف

درهم وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم وأجرى على شريح القاضي مائة درهم في كل شهر وعشرة
أجربة (وإنما) فضل عما راع عليهم لانه كان على الصلاة (قال) مالك وكان عمر لا يفرض لصغير رضيع فاذا فطم فرض له فمر من الليل
وصي بيكي يبغي الرضاع وأمه لا ترضعه (٢٧٨) فقال لها عمر ارضعيه قالت اذا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض عمر به

اليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها الا كلام تنزه الباري عن كثير ايها ماته واطلاقه ولقد
سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مرهم من المتكلمين يغيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيه قومه ينزهون الله
بالادلة عن صفات المحدث وسمات النقص فقال نفى العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن فائدة
في آحاد الناس وطالبة العلم فائدة معتبرة اذا لم يحسن بحامل السنة الجاهل بالحجج النظرية على عقائدها
والله ولي المؤمنين

١١ * (علم النصف) *

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الامة وكبارها
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى
الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمه ورمز لذة ومال وجاه والانفراد
عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاميا في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن
الثاني وما بعده وجمع الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقلبون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة وقال
القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر انه لقب ومن قال
اشتقاقه من الصفاء او من الصفة فبعيد من جهة القياس للغوى قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا
بلبسه * قلت والظاهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا
عليه من مخالطة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بذهب الزهد والانفراد
عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بما خذموه ذلك ان الانسان بما هو انسان انما يتميز
عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم
وادراك للاحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال
ذلك فالروح العاقل والمنصرف في البدن تنشأ من ادراكات وارادات وأحوال وهي التي يميز بها الانسان
وبعضها ينشأ من بعض كمنشأ العلم من الادلة والفرح والحزن عن ادراك المثل أو المثلذبه والنشاط عن
الحمام والكسل عن الاعياء وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لا بدوان ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة
تلك المجاهدة وتلك الحالة اما ان تكون نوع عبادة فقر سخو وتصبح مقام المريد واما ان لا تكون عبادة وانما
تكون صفة حاصلة للمفس من حزن وسرور ونشاط او كسل او غير ذلك من المقامات ولا يزال المريد يترقى
من مقام الى مقام الى أن ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للعبادة قال صلى الله عليه
وسلم من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له من الترقى في هذه الاموار وأصلها كلها
الطاعة والاخلاص وبتقدمها الايمان وبصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات نتائج ثم تنشأ
عنها أخرى وأخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة او خلل فنهلم انه انما اتى من
قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلهذا يحتاج المريد الى محاسبة
نفسه في سائر اعماله وينظر في حقائقها الان حصول النتائج عن الاعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها
كذلك والمريد بذلك بذوقه ومحاسب نفسه على اسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان
العقل عن هذا كأنها شاملة وغاية اهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع انهم يأتون بالطاعات مخصصة

ذلك لاولود مائة درهم في
كل سنة (قال ابن) جبلة
وفرض عمر للعباد لكل
عبد من ذكر وانثى جريمين
من برقي كل شهر وقسطين
من زيت وقسطا من خل
ومائة درهم في كل سنة
(قال) والمجرب فقير
بالقرطبي والقسطا قدر من
ربيع الزيت بالقرطبي
(قال) الحسن وكان عطاء
سلمات خمسة آلاف وكان
على زهاء ثمانين ألف
من الناس (وكان) يخطب
الناس في عبادة يلبس
نصفها ويقتري نصفها
فاذا خرج عطاؤه أمضاه
وكان يسف الخوص ويأكل
من سقيف يده (وقال)
الحسن قدم على عمر بن
الخطاب وقدم البصرة
مع أبي موسى الأشعري
قال فكان دخل عليه وله
كل يوم خبز ثلاث (فرما)
وافقناهما مأة دومة بسمين
واحيانا بزيت واحيانا
باللبن وربما وافقنا القديد
البابس قد دق ثم أغلى
عليه ماء وربما وافقنا
للحم الغريض وهو قليل
فقال لهم يوما اني أرى والله
تقديركم وكرهتكم اطعماني

فاني لو شئت لكنت اطعمكم طعاما وادرككم عيشا ما والله ما أجعل كراكر واسنة وأعرف صلاة

من

وصنابا وصلائي (قال) والصلاة الشواء والصناب الخردل والصلائق الخبز الرقاق وليكني سمعت الله تعالى غير أقواما بار فعلوه فقال
اذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فكلوا مما أبوموسى فقال لو كلمت امير المؤمنين لقرض لكم من بيت المال طعاما فاكلتموه

فكلمناه فقال يا معشر الامراء هل ترضون لانفسكم ما ارضاه انفسى فقلنا يا امير المؤمنين ان المدينة ارض العيش بها اشد يد ولا ترى طعامك يغنينا ولا يؤكل طعامك وانا بارض ذات ريف وان اميرنا يغنينا وان طعامه يؤكل قال فنظر ساعة ثم رفع راسه فقال قد فرصت اليكم من بيت المال شاتين وجر يمين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى الحجر يمين (٢٧٩) وكل أنت واصحابك ثم ادع بشرب

ثم اسق الذي عن يمينك
ثم اسق الذي عن شمالك
ثم قم لحاجتك واذا كان
العشاء فضع الشاة الغابرة
عـ الى الجريب الاخر
فكل أنت وأصحابك الا
وأوسعوا الناس في بيوتهم
وأطعموا عيالهم والله
ما أظن رستاقاً يؤخذ منه
كل يوم شاتان وحر بيان
الا يسرعان في خرابه
(وكان عمر) قد أطمع
جر يمين بالخل والزيت
لثلاثين رجلاً فكفاهم
فأجراه على كل رجل في كل
شهر من كان في الديوان
مـ مكان ما كانت فارس
تجريه عـ الى خيولهم
وأساورهم (وقال) سعيد
ابن المسيب وأبو سلمة كان
عمر بن الخطاب رضى الله
عنه أبا العيال يسـ لم على
أبوابهن و يقول ألكن
حاجة وأيـ تكن تريد أن
تشتري شيئاً فـرسلن مـه
بحوائجهن ومن ليس
عندها شيء اشـ ترى لها
من عنده واذا قدم الرسول
من بعض النعور يتبعهن
بنفسه في منازلهن يكتب
وأجهن و يقول أزواجكن
في سبيل الله وأنتن في بلاد

من نظر الفقه في الاجزاء والامثال وهو مؤلف يبحثون عن نتائجها بالاذواق والمواد ليطلعوا على انها خاصة من التفسير أولا فظهر ان اصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الافعال والتروك والكلام في هذه الاذواق والمواد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للبريد مقامها ويرتقي منها الى غير هاتين ثم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم اذ الاوضاع اللغوية انما هي للمعاني المتعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو غريب متعارف اصطلاحنا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من اهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقه او اهل الفتاوى هي الاحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواد المعارضة في طريقها وكيفية الترتي منها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودونت وَاُلف الفقهاء في الفقه واصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من اهل هذه الطريقة في طريقهم ففهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وامثالهم وجمع الغزالي رحمه الله بين الامرين في كتاب الاحياء فدون فيها احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت احكامها انما تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والاصول وغير ذلك * ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب المحس والاطلاع على عوالم من امر الله ليس لصاحب المحس ادراك شئ منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف ان الروح اذا رجع عن المحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال المحس وقويت احوال الروح وغلب سلطانها وتجدد نشوه واعان على ذلك الذكر فانه كاذن لتتمية الروح ولا يزال في نمو وتزيد الى ان يصير شهودا بعد ان كان علما ويكشف حجاب المحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك فيعرض حينئذ للواهب الربانية والعلوم الدنيوية والفتح الالهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الافق الاعلى افاق الملائكة وهذا الكشف كثير اما يعرض لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثير من الواطنات قبل وقوعها ويتصرفون بهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع ارادتهم فالعظمة انهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شئ لم يؤمر وبالله تكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك مخنفة ويتعبدون منه اذا هاجهم وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات اوفر الحظوظ لانهم لم يقع لهم اعنابة وفي فضائل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك اهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم * ثم ان قوما من المتأخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في امارة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها فاذا حصل ذلك زعموا ان الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وانهم

رسول الله ان كان عندك من يقرأوا الافاقير بن من الابواب حتى أقرأ لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتب حتى تبعث
بكتبك ثم يدور عليهم بالقرا طيس والدواة يقول هذه دواة وقرا طاس فادن من الابواب حتى أكتب لكن ويمر الى الغيبات فيأخذ
كتبهم فيبعث بها الى أزواجهن (وقال) الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الأشعري على البحرين فيكتب اليه عمر بن

المخاطب يأمره بالقدوم عليه هو وعمله وأن يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة أتيت يرفا فقلت يا يرفا مسترشد وابن سبيل أي الهيات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمله فأومأ إلى الخشونة فتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولبست عمامتي على رأسي فدخلنا على عمر فصفقنا بين يديه فصعد فبينما (٢٨٠) وصوب فلم تأخذ عينه غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي (قال)

كشفوا ذات الوجود وتصوروا حقا ثقتها كلها من العرش إلى الطش هكذا قال الغزالي رحمه الله في كتاب الاحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة ثم أن هـ ذالك الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم الا اذا كان ناشئا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلو وان لم يكن هناك استقامة كالسحر والنصارى وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومثاله ان المرأة الصقيمة لما اذا كانت محبوبة ومقترعة وحودى بها جهة الميراث فانه يتش كل فيه معوجا على غير صورته وان كانت مسطحة تش كل فيها المرئي صحيحا فالاستقامة للانفس كالانبطاس للمرأة فيما ينطبع فيها من الاحوال ولما عني المتأخرون به هذا النوع من الكشف تكاموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مداركهم من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أدواقهم وواجدهم في ذلك وأهل الفتيا يبين منكر عليهم ومسلمهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق ردا وقبولا اذهى من قبيل الوجدانيات وربما قصد بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فاني بالانغمض فلا انغمض بالنسبة إلى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل القرغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن القائل وترتيبه ان الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية التي هي مظهر الاحدية وهما ماصداران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هـ ذا الصدور بالتجلي وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بافاضة الابداد والظهور لقوله في الحديث الذي يتناقض لونه كنت كنزا مخفيا فاجبت ان أعرف فجلت الخلق ليعرفوني وهـ ذا الكمال في الابداد المتمثل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والمخصرة الكمالية والحقيقة المجدية وفيها حقائق الصفات والروح والتم وحقائق الانبياء والرسل أجمعين والكمال من أهل الملة المجدية وهذا كله تفصيل الحقيقة المجدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهائية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هـ ذاني عالم الرتبة فاذا تجلت فهي في عالم الفتى ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر أهل النظر على تحصيل مقنضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي أغرب من الأول في تعقله وتفاريعه برغمون فيه ان الوجود له قوى في تقاضيه يلزمها كانت حقائق الموجودات وصورها واما موادها والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها الهائية في نفسها قوة بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعنوية فيها قوى العناصر بهيولاها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها في نفسها وكذلك القوة الانسانية مع الحيوانية ثم الفلك يتضمن القوة الانسانية وزيادة وكذا الذات الروحانية والقوة الجامعة لكل من غير تفصيل هي القوة الالهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية ووجهتها واحاطت بهما من كل وجه لامن جهة الظهور ولامن جهة الخفاء ولامن جهة الصور ولامن جهة المادة فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو المفصل لها كالا انسانية مع

وما تتولى من اعمالنا قلت البحر بن قال وكم ترزق قلت الفاقال كثير فاصنع بها قلت اتقوت منها شيئا وأعود على أقارب لي فافضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع إلى موضعتك فارجعت إلى موضعي من الصف فصعد فبينما وصوب فلم تقع عينه الا على فدعاني فقال كم سنك قلت خمس وأربعون سنة قال الان حين استكملت (ثم دعا) بالاعمام وأصحابي حديثو عهد ببلين العيش وقد تجوعنا له فأتني بخبز وأعضاء بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت أكل وجعلت أنظر اليه يلحظني من بينهم ثم سمعت مني كلمة تمنيت اني سمعت في الارض ولم أقلها فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون إلى سلامتك فلو عمدت إلى طعام ألين من هـ ذافز جرتي ثم قال كيف قلت فقلت قلت يا أمير المؤمنين لو تنظر إلى قوتك من الطعام بين ان يخبرك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم

كذا فتوفى بالخبر لينيا بالحم غير يضاف لذن غيظه ثم قال هـ هنا رعت قلت نعم (قال) يا ربيع انالوشنا ملائكة الرحاب من صلاتك وسنابك يعني خبر الحواري ولكني رأيت الله تعالى عاب على قوم شهوراتهم فقال أذهبتم طبعاتكم في حياتكم الدنيا واستعصمتم بها ثم أمر ابا موسى باقرادى على عملي وان يستبدل بصاحبى (وقال) قبصة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عبيد الله بن

الحيوانية

سعدو كان على أهل حص فقال سلام يحبك أهل الشام قال اني احبهم فاجبوني قال مالك قلت عبدى وفرسى وبعلى وخادى (قال)
فاذا تلبس في الشتاء قلت عصابة أشد بهار لى وجبة وكساء قال فلا تلبس في الصيف قلت قيصاور يطة فاعطاني عمر الف دينار
(وقال) خذها واستمتع منها واعط منها قلت لا اربى فيها واستجد من هو أحوج اليها مني (٢٨١) قال خذها فان النبي عليه السلام

دفع الى مالا وهو دون
الذى أعطيتك فقلت
له كما قلت لي فقال يا عمر
ما آتاك الله من هذا
المال عطاء من غير ان
تعرض له أو تشرف له
نفسك فاقبله فأخذه
فانطلق به الى امرأته فقال
أترين رجلا له هذا من
فقراء المهاجرين هو أم من
الاغنياء فقالت بل من
الاغنياء فقسمها حتى
بقيت منها صرة أظن فيها
ثلاثين وأخذ ذلك فقالت
له امرأته أليس لي انا حق
فأعطاهما اياه (وقال) زياد
ابن حيو بن سناح بن حنيفة
اذا امرأة تسأل عن دار
عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه فارشدها الى
الدار فترت دارا متشعبة
فقالت لحياطها هناك استأذن
لي على فاطمة امرأة عمر بن
عبد العزيز قال فادخلي
وصوتي بها فانها تاذن لك
فدخلت فلما أبصرت
ما هناك قالت جئت أرم
فقري من بيت الفقراء
واذا رجل يعمل في الطين
فسألتها عن أمير المؤمنين
فقالت هو ذلك يعمل
في الطين فقالت له يا أمير

الحيو انية الاترى انهما من درجة فيها وكأنة بكونها افتارة يملونها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه
وتارة بالكل مع الجزء على طريقة المثال وهم في هذا كله يفرقون من التركيب والكثرة توجه من الوجوه
وانما أوجبه انهم الموهوم والخيال والذي يظهر من كلام ابن دهقان في تقرير هذا المذهب ان حقيقة
ما يقولونه في الوحدة شبيهة بما نقوله الحكياء في الألوان من ان وجودها مشروط بالضوء فاذا عدم الضوء
لم تكن الألوان موجودة بوجهه وكذا عندهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك
الحسي بل والموجودات المعنوية والمتوهمة ايضا مشروطة بوجود المدرك العقلي فاذا لم يوجد المدرك
مشروط بوجود المدرك البشري فلو فرضنا عدم المدرك البشري بجملة لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو
بسيط واحد فالحق والبرد والصلابة واللين بل والارض والماء والنار والسماء والكواكب انما وجدت
لوجود الحواس المدركة لها ما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الموجود وانما هو في
المدرك فقط فاذا فقدت المدرك المفصلة فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو انما لا غيره ويعتبرون ذلك
بحال النائم فانه اذا نام وفقد الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما يفصله له الخيال قالوا
في كذا اليقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه البشري ولو قدر فقد مدركه فقد
التفصيل وهذا هو معنى قولهم الموهوم لا الوهم الذي هو من جملة المدركات البشرية وهذا المخلص رأيهم على
ما يقه من كلام ابن دهقان وهو في غاية السقوط لانه لا قطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه
يقينا مع غيبته عن أعيننا وبوجود السماء المظلمة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا والانسان قاطع
بذلك ولا يتكابر أحد نفسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المرء عند الكشف
ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز بين الموجودات
ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف الحق ولا بد للاريد عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة
لانه يخشى على المرء من وقوفه عندها فتخسر صفة حقيقة فقد تبدت مراتب اهل هذه الطريقة ثم ان هؤلاء
المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى
الحلول والوحدة كما اشرنا اليه ومثلوا الصنف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي
وابن سبعين وتلميذهما ابن العقرب وابن الفارض والتجمل الاسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم محاطين
للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين ايضا بالحل والحلول والهيئة الائمة مذهبهم لا يعرف لا ولم فاشرب
كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة
القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون انه لا يمكن ان يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه
الله ثم يورث مقامه لا آخر من اهل العرفان وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصل
التصوف منها فقال جل جناب الحق ان يكون شرعة لكل واردا أو يطلع عليه الا واحد بعد الواحد وهذا
كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما نقوله الرافضة
ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى انهم لما أسندوا
لباس خرقة التصوف ليحعلوه أصلا لطريقتهم وتخليهم رفعوه الى على رضى الله عنه وهو من هذا المعنى أيضا
والافعل على رضى الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخليه ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان أبو بكر وعمر

(٣٦ - ابن خلدون) المؤمنين مات زوجي وترك ثمان بنات فبكي عمر بكاء شديدا ثم قال فاماتن يدين قالت تفرض لمن قال تفرض
للكبرى ما اسمها قالت فلانة فكتبها فافقات الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة فكتبها فافقات الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت
جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها اما انك لو وليت الحمد لأهلها لآتمتها هن لك عرى السبع فليواسين هذه الثامنة

(الباب الحادي والخمسون في أحكام أهل الذمة) * (روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرائنا وأموالنا (٢٨٢) وأهل ملتنا وشركنا انكم على أنفسنا ان لا نحدث في مدائننا ولا في بلادنا ولا في كنيسة

رضي الله عنه - ما أزه - الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشئ يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والجاهدية شديدة ذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في امر القاطمي وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام ينفي أو يثبت وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق ثم ان كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا اتدبوا الرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأما الهادون والموالين بالأكبر سائر ما وقع لهم في الطريقة والحق ان كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في أربعة مواضع أحدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق التي تصير مقاما وبتتقى منه إلى غيره كما قلناه وثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتركيب الاكوان في صدورهم من موجداتها وتكونها كأمروئالها التصرفات في العوالم والاكوان بأنواع الكرامات ورابعها ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثيرين من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالسطحات تستشكل ظواهرها فخر ومحسن ومنازل فاما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الاذواق والمواجد في نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها فافترلا مدفع فيه لاحدواذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة وأما الكلام في كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات فامر صحيح غير منكر وان مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني من أئمة الاشعرية على إنكارها لا لاتباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدى وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدر لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية فان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب لثبتت صفة نفسها وهو محال هذا مع ان الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وانكارها نوع مكابرة وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك وهو مع لوم مشهور وأما الكلام في الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابه لما أنه وجد في عندهم وفقد الوجه ان عندهم بمنزلة عن أذواقهم فيه والافعال لا تعطى دلالة على مرادهم منه لانهم لم توضع الا لانكارها وكثير من المحسوسات فينبغي أن لا تعرض لكلامهم في ذلك وتركه فيما تتركه كناه من التشابه ومن رزقه الله فهم شئ من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرمها سعادة وأما الالفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالسطحات ويأخذهم بها أهل الشرع فاعلم ان الانصاف في شأن القوم انهم أهل غيبة عن المحس والواردات تملأهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور وفن علم منهم فضله واقتداءه جل على القصص الجميل من هذا وان العبارة عن الموجد صعبة لفقدان الوضع لها كوقوع لا يبرز يدوام مثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فؤاخذ بما صدر عنه من ذلك اذ لم يبين لنا ما يحتملنا على تأويل كلامه وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال فؤاخذ ايضا ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل المخالج لانه تكلم في حضوره وهو مالك المحال والله أعلم وسلف المتصوفة من أهل الرسالة اعلام الملة الذين

ولا قلم ولا صومعة راهب ولا تجدد ما خرب منها ولا ما كان محتطاً منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وإن توسع أبوابها للمادة وابن السبيل وإن تنزل من عربنا من المسلمين ثلاث ليل نطعمهم ولا نقوى في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو إليه أحد ولا نمنع أحدا من ذوى قرابتنا الدخول في الاسلام إن أرادوه وإن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا المجلس ولا تشبه بهم في شئ من لباسهم من دنس أو ولا عمامة ولا نعلن ولا فرق شعر ولا نكلم بكلامهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نركب بالسروج ولا نقتل بالسيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنوا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر ولا نجوز مقادير وثمانون زينا حيثما كنا وإن نشد الزنا نير على أوساطنا ولا نظهر صلبنا ولا كتبنا في شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم

ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا الاضرب باخفيتها ولا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شئ من حضرة المسلمين أشربنا ولا نخرج شعائنا ولا باعونا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر التبرير في شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم (فلما أتيت) عمر رضي الله عنه بالكتاب زاد فيه ولا نضرب أحدا

من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم وضعناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق فكتب إليه عمر رضي الله عنه ان أمض ما سألوه وألحق فيه حرفين اشترطتهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم ان لا يشتر واشيا من سببايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا (٢٨٣) فقد خلع عهده (وروي) نافع عن سالم

مولي عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى أهل الشام في النصارى أن يقطع ركبهم وان يركبوا على الكف وان يركبوا في شق وان يلبسوا خلاف زي المسلمين ليعرفوا (وروي) ان بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا أمير المؤمنين ان اقوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاما ففعلوا فجزوا صبيهم وشق من أرديتهم خزما يجتزمونها وأمرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا الا الكف من شق واحد (وروي) ان أمير المؤمنين المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأقصاهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين وجعل على أبوابهم مثالا للشياطين لانهم أهل ذلك وقرب منه أهل الحق وباعد عنه أهل الباطل والاهواء فاحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه مادامت الدنيا (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا

اشترنا اليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الادراك انما همهم الاتباع والافتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك اعرض عنه ولم يحفل به بل يقولون منه ويرون انه من العوائق والحن وانه ادراك من ادراك النفس مخدوع لوقوع حادث وان الموجودات لا تنحصر في مدارك الانسان وعلم الله اوسع وخلقه اكبر وشريعته بالهداية املاب فلا ينطقون بشيء مما يدركون بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل ياتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والافتداء ويأمرون أصحابهم بالانزاع عنها وهكذا ينبغي ان يكون حال المريد والله الموفق للصواب

١٢ * (علم تعبير الرؤيا) *

هذا العلم من العلوم الشرعية وموحد في الملة عند ما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها وأما الرؤيا والتعبير يربطها فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف وورعا كان في الملوك والامم من قبل الا أنه لم يصل الى الان لا اكتشافه في كلام المعبرين من أهل الاسلام والافارقياء ووجوده في صنف البشر على الاطلاق ولا بد من تعبيرها فقد كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك الغيب وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وقال لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له واول ما يبدى به النبي صلى الله عليه وسلم لم من الوحى الرؤيا فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم اذا انفتل من صلاة الغداة يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم اليه ليرؤيا يسألهم عن ذلك ليستشروا بما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين واعزازهم وما السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب فهو الروح القلبي وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية واحساسها فاذا أدركه الملال بكثرة الانصراف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشى سطح البدن ما يغشاها من برد اليه لاختناس الروح من سائر أقطار البدن الى مركزه القلبي فيستجم بذلك المعادة فعلة فتعطل الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في أول الكتاب ثم ان هذا الروح القلبي هو مطية الروح العاقل من الانسان والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الامر بذاته ادخقيقته وذاته عين الادراك وانما يمنع من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشياء تعالى بالبدن وقواه وحواسه فلو قد دخل من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقةه وهو عين الادراك فيعقل كل مدرك فاذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من ادراك لحة من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الاعظم فاستعد لقبول ما هنا لك من المدارك الثلاثة من عالمه واذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع الى بدنه اذ هو مادام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الحسية والمدارك الجسمانية لئلا يغمى اليها هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فانه ينتزع من الصور الحسوسة صور اخيالية ثم يدفعها الى المحافظة تحفظها الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صور اخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد من الحسوس الى

في دينهم ولا تحل في دين الله الرشا وما استقدم عمر بن الخطاب أيام موسى الاشعري من البصرة وكان عاملا على الحساب دخل على عمر وهو في المسجد فاستأذن له كاتبه وكان نصرا نيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه ولبت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منكم الا تتخذت حنيفا فقال يا أمير

المؤمنين في كتابته وله دينه فقال لا كرمهم اذا هانهم الله ولا اعزهم اذا اذلهم الله ولا اذنبهم اذا اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العدد قد كثروا في الجزية قد كثرت فذستعين بالا عاظم فكتب اليه عمر انهم اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلهم حيث انزلهم الله ولا تردوا اليهم شيئا وقال عمر ان بن اسد (٢٨٤) اتانا كتاب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنصور ما بعد فانه بلغني ان في عملك

رجلا يقال له حسان بن برزى على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا اتاك كفاي هذا فادع حسان الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابي فلا تستعين به ولا تأخذ من غير اهل الاسلام على شيء من اعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فاسلم (ولما) خرج النبي عليه السلام الى بدر تبعه رجلا من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني اريد ان اتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فان استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب النبي عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئت لا تتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فان استعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعماههم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تقولوا على اعمالنا الا اهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير

المعقول والخيال واسطة بينهما وذلك اذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه ألقته الى الخيال في صورته بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه النائم كأنه محسوس في منزل المدرك من الروح العقل الى الحسي والخيال ايضا واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر للفرق بين الرؤيا بالصالحية واضغاث الاحلام الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصورة من نزلة من الروح العقل المدرك فهو رؤيا وان كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال اودعها اياها منذ اليقظة فهي اضغاث احلام وامام معنى التعبير فاعلم ان الروح العقل اذا أدرك مدركه واللقاء الى الخيال في صورته فانما يصور في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم في صورة الخيال بصورة البحر او يدرك العداوة في صورها الخيال في صورة الحية فاذا استيقظ وهو لم يعلم من امره الا أنه رأى البحر او الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد ان يثبته ان البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءها وهو يتدبى بقرائن اخرى تعين له المدرك فيقول مثله هو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب ان يشبه به السلطان وكذلك الحية يناسب ان تشبه به بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالنساء لانهن اوعية وأمثال ذلك ومن المرقى ما يكون صريحا لا يقتصر الى تعبير مجازيها ووضوحها والقراب الشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تقتصر الى تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تقتصر الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغاث واعلم ايضا ان الخيال اذا ألقى اليه الروح مدركه فانما يصور في القوالب المعتادة للحس ما لم يكن الحس ادركه قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولد اعشى ان يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالاواني لانه لم يدرك شيئا من هذه وانما يصور له الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات وليتخفظ المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم ان علم التعبير علم بقوانين كاية يبنى عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على المهم والامر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع آخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة وأمثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكاية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين من هذه القوانين ما هو الباقى بالرؤيا وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم يزل هذا العلم متناقلا بين السلف وكان محمد بن سيرين فيهم من أشهر العلماء وكتب عنه في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد والاف الكرماني فيه من بعده ثم ألف المتكلمون المتأخرون واكثروا والمتداول بين اهل المغرب لهذا العهد كتب ابن أبي طالب القيرواني من علماء القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الاشارة للسالمى وهو علم مضي بنور النبوة للمناسبة بينهما كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب

١٣ * (العلوم العقلية واصنافها) *

واما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذوق كره في غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلها ويستمون في مداركها وما حشاها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران

الخليفة
بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعماههم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تقولوا على اعمالنا الا اهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير

﴿فصل﴾ وتنتهي نقض الذي العهد بمخالفته لشي من الشروط المأخوذة عليه لم يرد الى ما منه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال أصحاب الشافعي ويلزمهم ان يميز واعن المسلمين في اللباس وان لبسوا قلائس ميزوها عن قلائس المسلمين بالخرق ويشدون الزناير في اوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص أو نحاس أو جرس يدخل (٢٨٥) معهم الحجام وليس لهم ان يلبسوا العمائم

والظلمسان وأما المرأة فتشدد الزناير تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحجام ويكون أحد خفيها أسود والاخر أبيض ولا يكون الخيل ويركبون البغال والخيول بالكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يلبسون بالسلام ويلبثون الى أضيق الطريق ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان تملكوا اذ ارعالية أقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والحزير والناقوس والجهر بالنزوة والانجيل ويمنعون من المقام في الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب اسماءهم وحلاهم ويستوفي جميع ما يؤخذون به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان زنى احداهم بمسلة او اصابها

الخلقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على اربعة علوم الاول علم المنطق وهو علم يصمم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور المحاصلة للمعلومة وفائدته تمييز الخطا من الصواب فيما يلتزمه الناظر في الموجودات وعوارضها اليقظ على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اما في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنهما من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغيرها ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها واما ان يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويشتمل على اربعة علوم وتسمى التعاليم او علم الهندسة وهو الناظر في المقادير على الاطلاق اما المنفصلة من حيث كونها معدودة او المتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو ابعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها امام من حيث ذاتها او من حيث نسبة بعضها الى بعض وثانيها علم الارتمطاطي وهو معرفة ما يعرض لكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء واربعا علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر اوضاعها وتعدد احوالها كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه اصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالارتمطاطي اولها ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تنفرع عنه فن فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والقوانين والمعاملات ومن فروع الهيئة الانزياح وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد الى آخرها واعلم ان اكثر من عني بها في الاجيال الذين عرفنا اخبارهم الامان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفورا فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصرهم فكان لهم هذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وامصارهم وكان للكلدانين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عنانية بالسحر والنجامة وما يتبعها من الطالسم وأخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان فاختص بها القبط وطمى بحر ما فيهم كواقع في الملة لولم من خبرها روت وماروت وشأن السحرة وما نقله أهل العلم من شأن البرابي بصعيد مصر ثم تنابت الملل بحظر ذلك وتحريمه فدرست علومه وبطالت كان لم تكن الا بقايا يتناقلها منتحلوه هذه الصنائع والله أعلم بصحتها ان سيوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اختبارها وأما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيما ونطاقها متسع لما كانت عليهم دواتهم من الضخامة واتصال الملل ولقد يقال ان هذه العلوم انما وصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستوى على كتبهم وعلومهم ما لا يأخذه المحصر وما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتب كثيرة كتب سبعة عديدين الى وقاص الى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتقليد المسلمين في كتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء

بنكاح أو آوى عبدا لا كفارا وادل على عورة للمسلمين او فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق او ذكر الله ورسوله بما لا يجوز وقيل ينتقض وان فعل ما يمنع منه مما لا ضرر فيه كترك الغيار واظهار الخمر وما أشبهها عزز عليه ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد الى ما منه في أحد القوانين وقتل في الحين في القول الآخر ﴿فصل﴾ في تقدير الجزية باختلاف بين العلماء فقبل انهم اقدرة الاقل والاكثر

على ما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوقع على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى من دونه اربعة وعشرون درهما وعلى من دونه اثناعشر درهما وهذا مذهب ابي حنيفة وابن حنبل واحد قولي الشافعي وجعلوه كانه حكم امام فلا ينقض وقيل انها مردودة الى الامام في الزيادة والنقصان (٢٨٦) وهو الاقيس وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر

ولا يجوز ان ينقص عنه وقال بعضهم هم يجوز ان يساوي بينهم من كل واحد دينار وقال مالك يؤخذ من الموسر اربعون درهما ومن الفقير دينار وعشرة دراهم ويتخرج على مذهب مالك في وجوب تقدير طرفيها قولان بناء على العشر المأخوذ منه هل هو تقدير شرعي لا تجوز فيه الزيادة والنقصان وعن مالك فيه روايتان ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك اما بعد فان اهل الكوفة قد اصابهم بلاء مؤشدة وجور من العمال وستن سبعة سنين عليها عمل السوء فاحرز عليهم ارضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تأخذ من الخراب الا ما يطيقون ولا من العامر الا وظيفة الخراج الا وزن سبعة ليس لها اس ولا اجور والضرايين ولا اداة الفضة ولا هدية النير وز والمهر جان ولا ثمن المحصف ولا اجور البيوت ولا دراهم

فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله فطر حوافي الماء وفي النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل اليها وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان اولاً وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب وحملها مشاهير من رجالهم مثل اساطين الحكمة وغـيرهم واختص فيها المشاؤون منهم اصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرؤون في رواق يظلمهم من الشمس والبرد على ما زعموا واتصل فيها سـند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدين ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر الافرو دسي وتامسـ طيون وغيرهم وكان ارسـطو معلما للاسكندر ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من ايديهمـ وكان ارسطوخم في هذه العلوم قدما وابعدهم فيها صينا وكان يسمى المعلم الاول فطار له في العالم ذكر * ولما انقرض امر اليونان وصار الامر للقيصرية واخذوا بدين النصرانية هجر واتك العلوم كما تقتضـ به الممل والشرايع فيها وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزائنهم ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لاهله الظهور الذي لا كفاله وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للامم وابتداء امرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا تبجح السلطان والدولة واخذوا من الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتغنوا في الصنائع والعلوم تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الاساقفة والاقسة المعاهدين بعض ذكـر منها وما عساه واليه افكار الانسان فيها فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتب اوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله فانبعث لهذه العلوم حرصا وافر والرسـل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين واتساعها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك فاوعى منه واستوعب وعكف عليها النظر من اهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهمـ فيها وخالقوا كثير من آراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ودونوا في ذلك الدواوين وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من اكابرهم في الملة ابو نصر الفارابي وابو علي ابن سينا بالمشرق والقاضي ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر بن الصائغ بالاندلس الى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم واختص هؤلاء بالشهرة والذكـر واقتصر كثير على انتحال التعاليم وما يضاف اليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ووقفت الشهرة في هذا المنتحل على مسألة ابن احمد الجرجيني من اهل الاندلس وتلميذه ودخل على الملة من هذه العلوم وأهلها داخله واسـتهوت الكثير من الناس بما جنحوا اليها وقلدوا آراءها والذنب في ذلك ان ارتكبه ولو شاء الله ما فعلـ لوهـ ثم ان المغرب والاندلس لما ركزت ريج العمران بهما وتناقضت العلوم بتناقضه اضمحـل ذلك منهـ ما الا قليلا من رسومه تجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء السنة ويبلغنا عن اهل المشرق ان بضائع هذه العلوم لم تنزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم وما بعده فيما وراء النهر وانهم على تبجـ من العلوم العقلية لتوفر عمر انهم واستحـكام الحضارة فيهم ولـ قد وقفت بمصر على تاليف متعددة لرجل من عظماء هـرة من بلاد خراسان يشـهر بسـعد الدين النفثا زني منها في علم الكلام واصول الفقه والبيان تشـهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي اثنائها ما يدل له على انه اطلع على العلوم الحكيمة

النكاح ولاخراج على من اسلم من اهل الارض والواجب ان يؤخذ ما ضرب به عمر بن الخطاب رضي الله وقدماء عنه وهو من كل جريب عشرة دراهم ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة اربعة دراهمـ ومن كل جريب شعير درهمان * (فصل) * واما السكائن فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع ان تحدث

كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارحة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها
بصنعا وهذا مذهب علماء المسلمين أجعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة
ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة ان تهدم الكنائس التي (٢٨٧) في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل

الذمة من بناء ما خرب قال
الاصم طخري ان طينوا
ظاهر الحائط منعوا وان
طينوا داخله الذي يليهم لم
يمنعوا ويمنعون ان يعملوا
على المسلمين في البناء وتجوز
المساواة وقيل لا تجوز
(الباب الثاني والخمسون
في بيان الصفات المعتمدة
في الولاية)

اعلم أرشدك الله تعالى ان
منزلة العمال من الوالي
منزلة السلاح من المقاتل
فاجتهد جهدك في ابتغاء
صالح العمال واذاف قد الوالي
عمال الصدق كان كفقد
المقاتل السلاح يوم الحرب
ويحتاج الى طبقات الرجال
كما يحتاج الحرب الى
أصناف العدة فمنها الدرق
للاستحسان والسيف
للمناجزة والرمح للطاعنة
والسهم للباعدة والدروع
للتحصن واسلحهم منها موضع
ليس للرجال الملك
كالاداة للصانع لا يسد بعضها
مسد بعض كذلك طبقات
الرجال للملك منهم للرأى
والمشورة ومنهم لادارة
الحرب ومنهم لمباشرة
الحرب ومنهم لمجمع
الاموال ومنهم لمفظها

وقد ما عاينة في سائر الفنون العقلية والله يؤيد بنصره من يشاء كذلك بلغنا هذا العهد ان هذه العلوم
الفلسفية ببلاد الافرنجة من أرض رومة وما اليها من العدو الشمالية نافقة الاسواق وأن رسومها هنالك
متجددة ومجاسن تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متميزة وكثرة والله اعلم بما هنالك وهو
يخلق ما يشاء ويختار

(العلوم الغدبية)

وأولها الارتماطيقي وهو معرفة خواص الاعداد من حيث التأليف اما على التوالي او بالتضعيف مثل
ان الاعداد اذا توالفت متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعدهما من
الطرفين بعدهما واحد ومثل ضعف الواسطة ان كانت عدة تلك الاعداد فردا مثل الاعداد على تواليها
والازواج على تواليها ومثل ان الاعداد اذا توالفت على نسبة واحدة يكون أولها نصف ثانيها وثانيها نصف
ثالثها الخ او يكون أولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فان ضرب الطرفين أحدهما في الآخر كضرب
كل عددين بعدهما من الطرفين بعدد واحد أحدهما في الآخر ومثل ربع الواسطة ان كانت العدة فردا
ذلك مثل اعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فأربعة فثمانية فستة عشر ومثل ما يحدث من الخواص
العديدية في وضع المثلثات العدديية والمربعات والخمسات والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها بان
يجمع من الواحد الى العدد الاخير فتكون مثلثة وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد
على كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله فتكون مربعة وتزيد على كل ربع مثلث الضلع الذي قبله فتكون
مخمسة وهلم جرا وتوالي الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض في عرضيه
الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات الخ وفي طوله كل عدد واحد كاله بالغا
ما بلغ وتحدث في جمعها وقسمتها بعض ما على بعض طولها وعرضها خواص غريبة استقرت منها وتقررت
في دواوينهم مسائلها وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الفرد وزوج الزوج والفرد
فان لكل منها خواص مختصة به تضعها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن اول اجزاء التعليل وانبتها
ويدخل في براهين الحساب والحكمة المتقدمين والمتأخرين فيه تأليف واكثرهم يدرجونه في التعليل
ولا يقررونه بالتأليف فعلم ذلك ابن سينا في كتاب الشفاة والنجاح وغيره من المتقدمين وأما المتأخرون
فهو عندهم مهجور اذ هو غير متداول ومنفعة في البراهين لافي الحساب فهو جرحه لذلك بعد ان استخلصوا
زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحجاب والله سبحانه وتعالى اعلم
(ومن فروع علم العدد صناعة الحساب) وهي صناعة عملية في حساب الاعداد بالضم والتفريق
فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو الجمع وبالتضعيف تضاعف عددا باحد عدد آخر وهذا هو
الضرب والتفريق أيضا يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح او
تفصيل عدد باخر متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح
من العدد او الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد وتلك النسبة تسمى كسرا وكذلك يكون بالضم
والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب في مثله فيكون منه العدد المراد مع فان تلك الجذور أيضا
يدخلها الضم والتفريق وهذه الصناعة حادثة احتيج اليها الحساب في المعاملات وألف الناس فيها كثيرا

ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للباهة ولذكروهم للدعاء والوقار ومنهم للعلم واقتيا وحفظ أساس
الملة فلا يكمل للملك ملك ما لم يجمع هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمسامات كسرى بلغ موته رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته يورث قال ان يعلج قوم اسندوا أمرهم الى امرأة وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة قيل من استعمل

القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قریش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال أميران هلاك والله القوم وليس يشترط الا في الامامة
العظمى دون سائر الولايات (ولما) استخضر هشام بن عبد الملك يزيد بن علي بن الحسين وكان من الخطباء قال له هشام بلغني انك تخطب
الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة (٢٨٨) قال زيد فقد كان اسمعيل بن ابراهيم بن أمة واسحق بن حرة ومحرم عليه السلام من

ولد اسمعيل ثم اتهمه في أمر
فقال له زيد أنا أحلف لك
قال هشام ومن يصدقك
قال زيد انه ليس أحد
فوق ان يأمر بقتل الله
ولا أحد دون ان يؤمر
بقتل الله وقال بعض
الخلفاء دلوني على رجل
استعمله على امر قد أهمني
قالوا كيف تريد قال اذا
كان في القوم وليس أميرهم
كان كانه أميرهم واذا كان
في القوم وهو أميرهم كان
كانه رجل منهم قالوا ما
نعلمه الا الربيع بن زياد
الحارثي قال صدقتم هولاء
ويروي ان عمر بن عبد
العزیز استشار في قوم
يستعملهم فقال له بعض
اصحابه عليك باهل العدل
قال ومن هم قال الذين ان
عدلوا فهو وارث جوت وان
قصر واصل الناس اجتهد
عمر (ولما قدم البريد من
بشر بن مروان على عبد
المالك بن مروان سأله عن
بشر قال يا امير المؤمنين
هو الشديد في غير عنف
اللين في غير ضعف فقال
عبد الملك ذلك الاعسر
الاجود الذي كان يامن
عنده البري ويخاف لديه
السقيم ويعاقب على قدر

وتدلولوها في الامصار بالتعليم للولدان ومن احسن التعليم عندهم الالبتة داعية الاتهام اعرف متخفة
وبراهين منتظمة فينشأ عنها في الغالب عقل مضى ودرب على الصواب وقد يقال من اخذ نفسه بتعليم
الحساب اول امره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المبادئ ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا
ويتعود الصدق ولا يلزمه مذهبا ومن احسن التأليف المبسوط فيهم الله ذال العهد بالمغرب كتاب الحصار
الصغير ولابن البناء المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه دفع الحجاب
وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المبادئ وهو كتاب جليل القدر ادر كذا المشيخة
تعظمه وهو كتاب جدير بذلك وانما جاءه الاستعلاق من طريق البرهان ببيان علوم التعاليم لان مسائلها
واعمالها واضحة كلها واذا قصد شرحها فافتتأها واعطاء العمال في تلك الاعمال وفي ذلك من العسر على الفهم
مالا يو جد في اعمال المسائل فتأمل والله يهدي بنوره من يشاء وهو القوي المتين * (ومن فروعه الهندسة
والمقابلة) وهي صناعة يستخرج بها العلم دد الجاهول من قبل المعلوم المفروض اذا كان بينهما نسبة
تقتضي ذلك فاصطلحوا فيها على أن جعلوا للمجهول مراتب من طريق التضعيف بالضرب اولها العدد
لان به يتعين المطلوب الجاهول باستخراجها من نسبة المجهول اليه وثانيها الشيء لان كل مجهول فهو من جهة
ابهامه شيء وهو ايضا جدر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثها المال وهو امر مهم ومابعه ذلك
فعلى نسبة الاس في المضروبين ثم يقع العمل المفروض في المسئلة فتخرج الى معادلة بين مختلفين او أكثر
من هذه الاجناس فيقابلون بعضها ببعض ويحبرون ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحا ويحطون المراتب
الى اقل الاسوس ان أمكن حتى يصير الى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشيء والمال
فان كانت المعادلة بين واحد واحدتين فللمال والجذر يزول ابهامه بمعادلة العدد ويتعين المال وان
عادل الجذور يتعين بعدتها وان كانت المعادلة بين واحد واحدتين آخرجه العمل الهندسي من طريق تفصيل
الضرب في الاثنين وهي مهمة فيعينها ذلك الضرب المقصود ولا يمكن المعادلة بين اثنين واثنين وأكثر
ما انتهت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة بين عدد وجذر ومال مفردة او مركبة تجيء ستة واول
من كتب في هذا الفن أبو عبد الله الخوارزمي وبعده أبو كامل شجاع بن اسلم لم جاء الناس على اثره فيه
وكتابه في مسائل الست من احسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من اهل الاندلس فاجادوا ومن
احسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا ان بعض أئمة التعاليم من اهل المشرق أنهى المعاملات الى أكثر
من هذه الستة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لها كلها اعمالا واتباعه ببراهين هندسية
والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى * (ومن فروعه ايضا المعاملات) وهو تصرف الحساب في
معاملات المدن في الباعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العلم دد من المعاملات يصرف في
ذلك صناعة الحساب في الجاهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها والغرض من تكثير
المسائل المفروضة فيها حصول المراتب والدربة بتكرار العمل حتى ترسخ الملائكة في صناعة الحساب ولاهل
الصناعة الحسابية من اهل الاندلس تأليف فيها متعددة من اشهرها معاملات الزهراوي وابن السمع
وأبي مسلم بن خالدون من تلميذ مسلمة الجريطي وامثالهم * (ومن فروعه ايضا الفرائض) وهي صناعة
حسابية في تصحيح السهام لذوى الفروض في الوارثات اذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت

الذنب ويعرف موضع العقوال شديد في غير ضعف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال
الحكيم اعتبر الرجال بافعالهم لا بعظم اجسامهم فان الذئب مع عظمه لا يأكل الاميتا وطير الماء مع ضعفه يتحامي ميت السمك ويأكل الحي
منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم ربحا أحب الرجل فاقصاه واطرحه مخافة ضرره كالمسوع يقطع اصبعه لئلا ينتشر السم في جسمه

وربما بغض الرجل فأكرم نفسه على توليته وتقر به انغماء يحده عنده كساره المرعى على الدواء المشع لنقعه الا ان للاسلام شر وطا فلا
تستقيم هذه السيرة عليها الا ترى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان معاوية والبايع على الشام من قبل عمر ثم
عثمان فاستشار في أمره فقال له بعضهم اقره على امرته وأرسل اليه بهذه فاذا دخل (٢٨٩) في بيعتك فاعزله فقال له رجلك

الله انا أمرني أن اطالب العدل

بالجور ثم عزله فكان

سبب عصيانه وهكذا

أشاروا عليه فقالوا يا أمير

المؤمنين لو فضلت هؤلاء

الاشراف ومن تتخوف

منهم وانما الناس اصحاب

دنيا حتى اذا استوثق الامر

عدت الى التسوية فقال

أنا مروني ان اطالب العدل

بالجور فبين وليت عليه

والله لو كان مالي لسويت

بينهم ولم افضل بعضهم

على بعض فكيف والمال

لهم واعطاء المال في غير

حقه تبذير وسرف وهو

يرفع ذكر صاحبه في الدنيا

ويضعه عند الله في الآخرة

ولن يضع امرؤ ماله في غير

حقه وعند غير أهله الا حرمه

الله تعالى شكرهم ويصير

لغيره ودهم فان بقي معه

منهم من يظهر له الود والشكر

فذلك ملق وخديعة

لينال منه فان زلت به

النمل يوما ما فاحتاج الى

معونته ومكافاته ما سلف

من مبرته فشر خيل

والأم خدين واياك ايها

الوالي وحب المدح فان

من أحب المدح عدو كن

مدح نفسه واذا علم ذلك

سماه على ورثته او زادت الفروض عند اجتماعها وتزاجها على المال كله او كان في الفريضة اقرار
وانكار من بعض الورثة فيحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة من كم تصح وسهام الورثة
من كل بطن مصححا حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة
فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجزره ومع لمومه ومجهوله وترتيب على ترتيب
أبواب الفرائض الفقهية ومساائلها فتمت هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو احكام الوراثة من
الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو
تصحيح السهمان باعتبار الحكم الفقهى وهى من أجل العلوم وقد يورد أهلها احاديث نبوية تشهد بفضائلها
مثل الفرائض ثلث العلم وانها أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندى ان ظواهر تلك الاحاديث كلها
انما هى في الفرائض العينية كما تقدم لافرائض الوراثة فانها اقل من ان تكون في كتبها ثلث العلم وأما
الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قديما وحديثا وأوعبوا ومن احسن التأليف فيه
على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضى ابي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنذر والمجهدى
والصردى وغيرهم لكن الفضل للحوفي فكاتبه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله
سليمان الشطى كبير مشيخة فاس فوضح وأوعب ولا مام الحزمين فيها تأليف على مذهب الشافعى
تتم بياتساع باعه في العلوم ورسوخ قدمه وكذا اللخنيقية والحنبلية ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله
يهدي من يشاء بحكمه وكرمه لا رب سواه

(العلوم الهندسية)

هذا العلم هو النظر في المقادير المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض
له من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزاياه مثل قائمتين ومثل ان كل خطين متوازيين لا يلتقيان
في وجه ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان
ومثل ان الاربعة مقادير المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك
والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الاركان
وهو أبسط ما وضع فيها للعلمين وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المنصور ونسخه
مختلفة باختلاف المترجمين فمنها الحنين بن اسحق والثابت بن قرة وليوسف بن الحجاج ويشتمل على خمس
عشرة مقالة اربعة في السطوح وواحدة في الاقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح وبعضها الى بعض
وثلاث في العدد والعاشر في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور وخمس في الجسمات وقد
اختصره الناس اختصارات كثيرة كلفه ابن سينا في تعاليم الشفاء أفرد له جزءا منها اختصره به وكذلك ابن
الصلت في كتاب الاقتصاد وغيرهم وشرحه آخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق
واعلم ان الهندسة بقيد صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فكره لان براهينها كلها بمنزلة الانظمة جلية
الترتيب لا يكاد الغلط يدخل أقبيسها الترتيبها وانظمةها فيبعد الفكر بما راس تهاعن الخطا ويبدأ
اصحابها عقل على ذلك المهيج وقد زعموا انه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخل
منزلنا وكان شيوخنا رحمه الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للشوب الذي يغسل منه

(٣٧ - ابن خلدون)

منك جعله الناس سلبا لقضاء حوائجهم منك فيمنع ذلك يكون قضاء الحوائج لنفسك اللهم
وقال النبي عليه السلام أحشوا في وجوه المداحين التراب وسمع المقداد رجل يدعى عثمان بن عفان فأخذ كنانا من تراب فلقاه في وجهه
وسمع النبي عليه السلام رجلا يدعى رجلا فقال قطعتم ظهر أخيك لوسعهما ما فلعج بهما ووصف امرأى أميراً فقال كان اذاولى لم

عقل ولا ينقص له قوة
وقال الصنابحي كتب
عمر بن الخطاب الى أبي
عبيدة كتابا في مثل أذن
الفارة أما بعد فإنه لا يقيم
أمر الله في الناس الا حسب
القدرة بعيد الغرة لا يطلع
الناس منه على عورة ولا
يخفى في الحق على الجرة
ولا يخاف في الله لومة لائم
(وقال) مالك جاء رجل الى
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وسأله ان يكتب له
كتابا في أمر فقال اذهب الى
منزلنا فانتبه بدواة وقرطاس
فذهب فلم يجد فقال اطلب
عندهم شيئا فذهب فلم
يجدهم الا اذن فردود
فكتب له في تلك الاذن
(ولما) ولي المأمون يحيى
ابن أكرم قضاء البصرة
بعد ان استمع من عقله وعلمه
وامتنحه بمسائل فوجده
فوق ما يريد فتلقاه وجوه
البصرة فرأوا شابا صبيا
مادة لم يمت به فتعجبوا
ونظر بعضهم الى بعض
يقولون الا كف ويغمزون
الحواجب فقال له بعضهم
كم سن القاضى أصله الله
قال مثل سن عتاب بن
أسيد لما ولاه النبي عليه

يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد مدعهم فالحسن راج والمسي مخاطف وقال عبد الله بن الزبير يوما
لا يبعدن ابن هندان كانت فيه مخارج ما نجد ما في أحده يدأ أبدا والله ان كنا نعرفه وما الليث الحرب على برائته باجر آمنه فبتمت قارق لنا
وان كنا لنخذه وما ابن ليلة من الارض (٢٩٠) بأدهى منه والله لوددت أنا متعنا به مادام في هذا حجر وأشار الى أبي قبيس لا يتخون له

الاقدار وينقده من الاوضاع والادوار وانما ذلك لما اشرفنا اليه من ترتيبه وانتظامه * (ومن فروع هذا
الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والخروطات) * أما الاشكال الكرية ففهي كتابان من كتب
اليونانيين لناودوس يوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها وكتاب لناودوس يوس مقدم في التعليم على
كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينه عليه ولا بد منه. الما يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها
متوقفة عليهم ما قاله الكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر
باسباب الحركات كما نذكره فقد يتوقف على معرفة احكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها وأما
الخروطات فهو من فروع الهندسة أيضا وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطة من الاشكال
والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من العوارض يبرهن هندسية متوقفة على التعليم الاول وفائدتها
تظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل التجارة والبناء وكيف تصنع التماثيل الغريبة والمباني كل
النادرة وكيف يتحمل على جرا الاثقال ونقل الميا كل بالهندام والميخال وامثال ذلك وقد أفرده بعض المؤلفين
في هذا الفن كتابا في الحمل العملية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستظرفة كل بحيلة وربما
استعلق على الفهوم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود بآيدي الناس ينسبونه الى بني شاكرو الله
تعالى اعلم * (ومن فروع الهندسة المساحة) * وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار
الارض المعلومه بنسبة شبر وذراع او غيرهما ونسبة ارض من ارض اذا قويت بمثل ذلك ويحتاج الى
ذلك في توظيف الخراج على المزارع والقدن وبساتين الغراسه وفي قسمة المحواط والاراضي بين الشركاء
او الورثة وامثال ذلك ولله الناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بمنه وكرمه * (المناظر
من فروع الهندسة) * وهو علم يبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على
ان ادراك البصر يكون بمنحرج وشعاع رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية
القريب كبروا البعيدة غير او كذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ورواء الاجسام الشفافة كبيرة
ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما والساعة دائرة وامثال ذلك فيتمين في هذا العلم اسباب ذلك
وكيفياتها بالبراهين الهندسية ويثبت به أيضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض الذي ينبغي
عليه معرفة رؤية الالهة وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين
وأشهر من ألف فيه من المسلمين ابن الهيثم وغيره فيه ايضا تأليف وهو من هذه الرياضة وتفاوتها

*(علم الهيئة) *

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتغيرة ويسدل بكيفيات تلك الحركات على
اشكال وأوضاع للافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كما يبرهن على أن مركز
الارض مبين لمركز فللك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاسية تقامة
للكواكب على وجود افلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فللكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك
الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب الواحد بعدد ادماول له وامثال
ذلك وادراك الموجود من الحركات وكيفياتها واجناسها انما هو بالرصد فانما علمنا حركة الاقبال
والادبار به وكذا تركيب الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاسية تقامة وامثال ذلك وكان اليونانيون

السلام مكة فها بوه لحدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعناب بن أسيد احدى وعشرون سنة لما ولي مكة وكان
يعتقون
عمر يقول لا يصلح ان يلي أمور الناس الا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة شديد في غير عنف لين في غير ضعف جواد في غير
سرف لا يخاف في الله لومة لائم وقال أيضا ينبغي ان يكون في الوالي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصاة ورو يكون

فيه من الرقة والحنو والرافة والرحمة ما يجوز من قتل غصقوز بغير حق (ويروى) ان الرشيد بدأ حضر رجلا ليؤليه القضاء فقال له اني
لا احسن القضاء ولا انا فيه فقال له الرشيد فيك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من الجحلة ومن لم
يجل قل خطؤه وانت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثير صوابه وأما الفقه فنضم (٢٩١) اليك من تنفعه فولي فاجد وافي

مطعنا وقال اياس بن معاوية
استحضرني عمر بن هبيرة
فخضرت فساكنتي فسكت
فلما اطالت قال ايه قلت
سل عما بدا لك قال اتقرأ
القرآن قلت نعم قال فهل
تقرض الغرائض قلت نعم
قال فهل تعرف من أيام
العرب شيئا قلت انابها أعلم
قال فهل تعرف من أيام
الجمهم شيئا قلت انابها أعلم
قال اني أريد أن أستعين
بك قلت ان في ثلاثا لا أصل
معهن للعمل قال ما هن
قلت انادميم كثرى وأنا
حديد وأنا عي قال أما
الدمامة فاني لأري يدان
أحسن بك وأما العي فاني
أراك تعرب عن نفسك
وأما سوء الخلق فبقومك
السوط فولاني وأعطاني
ألف درهم فهو أول ماتمولته
وقال سليمان بن داود
عليهما السلام ما لاقاة
لبوة سلبت أشبالها
باصعب من لقاء جاهل
راض عن نفسه

*(الباب الثالث والخمسون
في بيان الشروط والعهود
التي تؤخذ على العمال)*
اعلم أرشدك الله ان يجب
أن يولي على الأعمال أهل

يعتنون بالرصد كثير او يتخذون له آلات التي توضع ليرصد بها حركة الكواكب المعين وكانت تسمى
عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركاتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس
وأما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل وكان في أيام المأمون شيء منه وصنع الآلة المعروفة للرصد
المسماة ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولم مات ذهب رسمه واغفل واعتمد من بعده على الرصد بحركة
القديمة وليست بمعنية لاختلاف الحركات باتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة
الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طال الزمان ظهرت تفاوت ذلك بالتقريب
وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور انما تعطي صورة السموات وترتيب الافلاك
والكواكب بالحقيقة بل انما تعطي ان هذه الصور والهيئات للافلاك لزمت عن هذه الحركات وانما
تعلم انه لا يبعد ان يكون الشيء الواحد لازما لمختلفين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللائم على
وجود المزموم ولا يعطى الحقيقة بوجهه على انه علم جليل وهو واحد اركان التعاليم ومن احسن التأليف فيه
كتاب المحسوطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس على ما حقه
شرح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وادرجه في تعاليم الشفاء وخصه ابن
رشدأ يضامن حكماء الاندلس وابن السمع وابن الصلت في كتاب الاختصار ولا بن الفرغاني هيئة مخصصة
قريبه او حذف براهين الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين *(ومن فروع
علم الازياج)* وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما
أدى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب
في أفلاكها الاى وقت فرض من قبل حساب حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذا
الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية وأصول متقدمة
من معرفة الاوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول
مرتبة تسهل على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المقرض لهذه
الصناعة تعديلا وتوقيما للناس فيه تأليف كثيرة للتقدمين والمتأخرين مثل البتاني (١) وابن السككاد
وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالغرب على زيج منسوب لابن اسحق من منجم مكي تونس في أول المائة
السابعة ويزعمون أن ابن اسحق عول فيه على الرصد وأن يهوديا كان بصقلية ماهرا في الهيئة والتعالم
وكان قد عني بالرصد وكان يبعث اليه ما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها فكان أهل المغرب
لذلك عنوا به لوثاقفة مبناه على ما يزعمون وخصه ابن البتاني آخر سمى المنهاج فولع به الناس لما سهل من
الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب من الفلك لتبني عليها الاحكام النجومية وهو معرفة
الآثار التي تحدث عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والموايد البشرية كما نبينه بعد ونوضح
فيه ادلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما يحبه ويرضاه لا معبود سواه

(علم المنطق)

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود والمعرفة للامهيات والحجج المفيدة للتصديقات ودلائل ان
(١) قوله البتاني بفتح الموحدة وتشديد المنة كما ضبطه ابن خلدان في ترجمته قبيل آخر الحمد لله

الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغناء لالهوى وملأك الولايات وأساسها ان لا يولي الأعمال طالب لها ولا رغب
فيها روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجل فلما سلمنا عليه قال صاحبي يا رسول
الله استعملني فقال عليه السلام اننا لاستعمل على عملنا من أرادته فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسه (وقد روى)

عن نرجس و قد قيل له ما بال ملك آل ساسان صار امره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صنعوا الرجال ولله در عمرو بن
العاضي حيث قال موت الف من العيلة اقل ضرر رامن ارتقاع واحد من السفلة وقال العلامة ابن ابيون غضب المأمون على بعض اصحابه
غضبا شديدا ثم قال له لا املك الله (٢٩٢) او يبلغك دولة السفلى وقال رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد اذاه

أدركت امرأة الصبيان
وقال المستوغر الاكبر وكان
قد عجز في الجاهلية ثمانمائة
سنة

وماسقطت يوما من الدهر
أمة

الى الذل الان يسود
ذمها

اذا ساد فيها بعد ذل لئيمنا
تصدى لنا ذل وقد اذيمها

وما قادها للخير الا مجرب
عليه باقبال الامور كرمها

وما كل ذي لب يعاش
بفضله

ولكن لتدبير الامور
حكيمها

واعلموا ان معظم ما يدخل
على الدول من الفساد من

تقليد الاعمال اهل
الحرص عليهم لانه لا يحط بها

الاصل في ثوب ناسك
وذئب في مسلاخ عابد

حريص على جمع الدنيا
نايل دينه وحروده دليل

على الخيانة يتخذون عباد
الله حولا واماوالمهم دولا واذا

اهتمت حقوق المسلمين
واكثرت اموالهم فسدت

نياتهم وقلت طاعتهم
فانتقضت الامور ودب

الفساد الى الممالك وقد
ذكرنا في اول الكتاب

الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من
الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عنه بادراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بان يحصل في
الخيال من الاشخاص المتفقة صورة منطبقه على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلي ثم ينظر
الذهن بين تلك الاشخاص المتفقة واشخاص أخرى توافقه في بعض فيحصل له صورة تنطبق ايضا عليها
باعتبار ما تتفق فيه ولا يزال يرتقي في التجريد الى الكل الذي لا يجد كليا آخر معه يوافقه فيكون لاجل ذلك
بسيطاً وهذا مثل ما يجرد من اشخاص الانسان صورة النوع المنطبقه عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان
ويجرد صورة الجنس المنطبقه عليها ثم بينهما وبين النبات الى ان ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر
فلا يجد كليا يوافقه في شئ فيقف العقل هناك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذي
به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصورا للماهيات ويعني به ادراك ساذج من غير حكم معه واما
تصديقا اي حكم بنبوت امر لا مرفصا راسي الفكر في تحصيل المطالبات اما بان تجمع تلك الكليات بعضها
الى بعض على جهة التاليف فتحصل صورة في الذهن كصورة منطبقه على افراد في الخارج فتكون تلك
الصورة الذهنية مقيدة بمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم بأمر على أمر فيثبت له ويكون ذلك
تصديقا وغايته في الحقيقة راجعة الى التصور لان فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق الاشياء
التي هي مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فافتضى
ذلك تمييز الطريق الذي يسعي به الفكر في تحصيل المطالب العلمية ليميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك
قانون المنطق وتكلم فيه المتقدمون اول ما تكلموا به جلا جلا ومفترقا ولم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله
حتى ظهر في يونان ارسطو فذهب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله اول العلوم الحكمية وفتحتها
ولذلك يسمى بالعلم الاول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو يشتمل على ثمانية كتب اربعة
منها في صورة القياس وأربعة في مادته وذلك ان المطالب التصديقية على الخفاء فمنها ما يكون المطلوب فيه
اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي
يقبده وما ينبغي ان تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن أي جنس يكون من العلم او من الظن وقد ينظر
في القياس لابعبار مطلوب مخصوص بل من جهة انتاجه خاصة ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة
ونعني به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال للنظر الثاني انه من حيث الصورة وانتاج
القياس على الاطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية الاول في الاجناس العالية التي ينتهي اليها
تجريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات والثاني في القضايا التصديقية
واصنافها ويسمى كتاب العبارة والثالث في القياس وصورة انتاجه على الاطلاق ويسمى كتاب القياس
وهذا آخر النظر من حيث الصورة ثم الرابع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف
يجب ان تكون مقدماته يقينية ويختص بشروط أخرى لا فائدة اليقين من مذكورة فيه مثل كونها ذاتية
وأولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعارف والحدود اذا المطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب
المطابقة بين الحد والمحد ولا تحتل غيرهما فلذلك اختصت عند المتقدمين بهذا الكتاب والخامس كتاب
المجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب وإفحام الخصم وما يجب ان يستعمل فيه من المشهورات ويختص

ايضا
الانبار في كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتى على قط فتى في ملكي الا وجدت سببه جورا لعمال
(فان قيل) فامعنى قول يوسف عليه السلام للملك اجعلني على خزان الارض اني حفيظ علم (قلنا) يوسف كان نبيا من انبياء الله تعالى وانما
من نفسه بالكفاية والامانة بين يدي من لا يتحقق بواطن أسراره ولا يعلم خصائصه وفضائله ويرى الامور والاعمال والولايات في

أيدي من ليسوا أهلها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والقضائل أن يذ كر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا قال بعض أصحاب الشافعي إذا كان القضاء في يده من لا يصلح له وجب أن يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقهاء الامصار على خلاف هذا الرأي (٢٩٣) ويحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قد أوحى إليه بما يصير

أمره إليه من الملك والعدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا نبه على نفسه ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا أسود حبس با غليظ الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بني الحسحاس وكان جلسا لداود عليه السلام فأتاه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذي يصطفى لنبوته من يشاء فقال لقمان يا جبريل ان أمرني ربي فسمع وطاعة وان خيرني اخترت الحكمة فرضى الله تعالى قوله فأعطاه الحكمة وصرف عنه الرسالة الى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وأوتي داود البلية وروى أنه جالس داود

عليه السلام وداود يعمل الدروع فأقام حول لا يصير صنعة الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسأل عن ذلك فلما تم حول لبس داود الدرع وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله وكان عمر بن الخطاب

رضي الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه أن لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لا استعملك على إظهارهم ولا أعراضهم ولا أعماهم وإنما استعملك لتصلى بهم وتقضى بينهم بالعدل (وروى) عبيدة بن رفاع قال بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص اتخذ قصر اوجع ل عليه بابا وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن

أيضا من جهة افادته لهذا الغرض بشروط أخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذ كورة هناك وفي هذا الكتاب يذ كر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه وفيه عكوس القضايا والسادس كتاب السقطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا انما كتب لي عرف به القياس المغالطي فيحذر منه * والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المقيس مد ترغيب الجمهور وجههم على المراد منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات * والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقبال على الشيء أو النفرة عنه وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا التخييلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم ان حكماء اليونانيين بعد ان تهذبت الصناعة وزينت رأوا أنه لا بد من الكلام في الكلمات الخمس المقيمة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الفن فصارت تسع وترجمت كلها في الملة الاسلامية وكتبها وتداهلها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس وابن سينا كتاب الشفاء اسـ تعجب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتأخرون بغير واصـ طلاح المنطق والحكمة وبالانظر في الكلمات الخمس ثمرة وهي الكلام في المحـ ودوال الرسوم نقـ لوها من كتاب البرهان وحـ دقوا كتاب المقولات لان نظر المنطق فيه بالعرض لا بالذات والمحـ وافي كتاب العبارة الكلام في العكس لانه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في القياس من حيث انتاجه لا طالع على العموم لا بحسب مادة وحـ دقوا النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة البرهان والمجلد والخطابة والشعر والسقطة ودرجها لم بعضهم باليسـ ير منها المسا ما وأغفلوها كان لم تكن وهي المهمـ المـ المعتمد في الفن ثم تكلموا في ما وضعـ وعده من ذلك كلاما مستبحرا ونظروا فيه من حيث انه فن برأسه لا من حيث انه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع وأول من فعل ذلك الامام فخر الدين بن الخطيب ومن بعده افضل الدين الخوينجي وعلى كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو مطول واختصر فيها مختصر الموجز وهو حسن في التعليم ثم مختصر الجـ ل في قدر أربعة اوراق اخذت مع الفن وأصوله فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كان لم تكن وهي مئة من ثمره المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب

١٨ * (الطبيعيات) *

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعادن وما يتكون في الارض من العيون والزلازل وفي الجيوم السحاب والبحار والعدو والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مبداء الحركة للاجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات وكتب أرسطو فيه موجوده بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة أيام المأمون وألف الناس على حذوها وأوعب من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم خصه في كتاب النجاء وفي كتاب الاشارات وكانه يخالف أرسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها او اما ابن رشد فخلص كتب أرسطو وشرحها متبعه لغير مخالف والاف الناس في ذلك كثير لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة ولا هل المشرق عناية

رضي الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه أن لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لا استعملك على إظهارهم ولا أعراضهم ولا أعماهم وإنما استعملك لتصلى بهم وتقضى بينهم بالعدل (وروى) عبيدة بن رفاع قال بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص اتخذ قصر اوجع ل عليه بابا وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن

مسلمة وكان عمر إذا أحب أن يؤتى بالأمر كما هو عليه بعنه فقال له أنت سعد فأحرق عليه ما به فقدم الكوفة فلما أتى الباب أخرج زنده
واسه تورى ناراً ثم أحرق الباب فأتى سعد الخبر ووصف له بصفته فعرفه فخرج إليه سعد فقال له محمد انه قد بلغ أمير المؤمنين أنك قلت
انقطع الصوت فخاف سعد بالله (٢٩٤) ما قال ذلك فقال له محمد نفعل الذي أمرنا له ونؤدى عنك ما تقول ثم ركب راحلته

بكتاب الاشارات لابن سينا وللإمام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الأمدى وشرحها أيضاً نصير
الدين الطوسي المعروف بنحوه من أهل المشرق وبحث مع الإمام في كثير من مسائله فأوفى على انظاره
وبجوده وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

١٩ * (علم الطب) *

ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول
صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يثبتين المرض الذي يخص كل عضو من اعضاء
البدن وأسباب تلك الاغراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأفرجة الأدوية
وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولاً في السحجة والفضلات والنبض محاذين
لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالي الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب
ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب وربما افردها بعض
الاعضاء بالكلام وجعلوا علماء خاصا كالعين وعلاها وأكلها وكذلك الحكة وبالغن من منافع الاعضاء
ومعناها المنفعة التي لاجلها خلق كل عضو من أعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم
الطب إلا أنهم جمعوه من لواحقه وتوابعه وإمام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيهم من الأقدمين
جالينوس يقال انه كان معاصراً لعيسى عليه السلام ويقال انه مات بصقلية في سبيل تغلب ومطاطوة
اغتراب وتآلبفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع الأطباء بعده وكان في الاسلام في هذه الصناعة
أئمة جاؤا من وراء الغاية مثل الرازي والجوسي وابن سينا ومن أهل الاندلس أيضاً كثير وأشهرهم ابن
زهروى لهذا العهد في المدن الاسلامية كانها نقصت لوقوف العمران وتناقصه وهي من الصنائع التي
لا تستدعيها الا الحضارة والترقى كما ينبغي بعد

(فصل ل) وللبادية من أهل العلم من أن طب يبنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص
متوارثين عن مشايخ الحمى وبخائر زور بما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة
المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كادة وغيره والطب
المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء وانما هو أمر كان عادياً للعرب ووقع في ذكر
أحوال النبي صلى الله عليه وسلم لم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجيلة لا من جهة ان ذلك مشروع
على ذلك النحو من العمل فانه صلى الله عليه وسلم لم انما بعث ليعلما الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا
غيره من العادات وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال أنتم أعلم بما مورديا كم فلا ينبغي أن يحمل
شي من الطب الذي وقع في الاحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم
الا اذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الايمان في يكون له أثر عظيم في النفع وليس ذلك في الطب
المزاجي وانما هو من آثار الحكمة الايمانية كالموقع في مداواة المبطون بالعسل والله الهادي إلى
الصواب لا ريب سواه

٢٠ * (الفلاحة) *

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تنميته وتشتبه بالسقي والاهلاج

أرض ريفية وان أهل المدينة يموتون حولي من الجوع فخشيت أن أمرك بشيء يكون لك بارده ولي الحار
وروى زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنياعاً على الحمى فقال يا هنياع اضمم جناحك عن المسلمين واتق
دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة وإياك ونعم ابن عوف ونعم ابن عقان فانهم ما ان تهلك ماشيتهم

فلما كان بطن البرية
أصابه من الحمى والجوع
ما الله به أعلم فأبصر غنما
فأرسل غلامه بعمامته
فقال اذهب فابتع منهم شاة
فجاء الغلام بالشاة وهو
يصلي فأراد ذبحها فإشار
إليه أن كف فلما قضى
صلاته قال انظر فان كانت
مملوكة فاسمها فأرد الشاة
ونفذ العمامة وان كانت
حرة فاذبح الشاة فذهب
فأذاه مملوكة فرد الشاة
وأخذ العمامة فأخذ بخطوم
ناقته فجعل لا يمر ببقلة
الا خطفها حتى آواه الليل
إلى قوم فأتوه بخبز وابن
وقالوا لو كان عندنا شيء
غير هذا اتيناك به فقال
بسم الله كل حلال أذهب
السعيب خير من ما كل
السوء حتى قدم المدينة
فنزى بأهله فابتر من المساء
ثم راح فلما أبصره عمر رضي
الله عنه قال له لو لا حسن
الظن بك ما رأينا أنك
أديت وذكروا أنه أسرع
السير فقال قد فعلت وهو
يعتذر ويحلف بالله ما قال
فقال عمر هل أمرك بشيء قال
مارأيت مكاناً أن تأمر لي
فقال عمران أرض العراق

يرجعان الى زرع ونخل وان رب الصريمى والغنيمه ان تهلك ماشيتهما يا تبنى بينيه فمقول يا امير المؤمنين افتاركم انالابالك فالمايه
والكلاء ايسر على من الذهب والورق وايم الله انهم ليرون انى قد ظلمتهم انما التلاذهم قاتلوا عليهم فى الجاهلية واسلموا عليهم فى الاسلام
والذى نفسى بيده لولا المسال الذى اُجل عليه فى سبيل الله ما حيت عليهم من بلادهم شبرا (٢٩٥) (ومر) يوم ايناه يبنى بحجارة وجص
فقال لمن هذا فاذكره له

انه لعامل من عماله على
البحرين فقال اُبت الدراهم
ان لا تخرج أعناقها وقاسمه
ماله (وكان) يقول لى على
كل خائن أمينان الماء
والطين وكان أنوشروان
يكتب على عهد العمال
سبس خيار الناس بالخبرة
واخرج للامة الرغبة

بالرهبة وسس سقلة الناس
بالاخافة (وقال) سليمان
ابن داود عليهم السلام كما
يصلح المهرز للفرس والرسن
للحمار كذلك يصلح القضيبي
لظهور الجهال وفى الامثال
من لم يصلح بالدين اُصلح
بالتلدين وقال هلال
ابن سنان استعمل النبي
صلى الله عليه وسلم المقداد
على سرية فلما رجع قال
له النبي صلى الله عليه وسلم
كيف رايت الامارة ابا
مغيرة قال خرجت يا رسول
الله وما أدري أن لى فضلا
على أحد من القوم فإنا
رجعت الا وكانهم عبيدى
قال وكذلك الامارة ابا مغيرة
الامن وقاه الله شرها قال
والذى بعثك بالحق لا اُعمل
على عمل أبدا (وقيل)
لعمربن الخطاب رضى

وتعمده بمثل ذلك وكان للقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عندهم عام فى النبات من جهة غرسه
وتتميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلها الروحانيات الكواكب والهيكل المسماة بعمل ذلك كله
فى باب السحر فخطمت عنانهم به لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية
منسوبة لعلاء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير ولما نظرا هل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب
وكان باب السحر سدودا والنظر فيه محظورا فاقصر وامن على الكلام فى النبات من جهة غرسه وعلاجه
وما يعرض له فى ذلك وحذفوا الكلام فى الفن الاخر منه جملة واختر ابن العوام كتاب القلاحة النبطية
على هذا المنهاج وبقي الفن الاخر منه مغفلا نقل منه مسلمة فى كتبه السحرية امهات من مسائله كما نذكره
عند الكلام على السحر ان شاء الله تعالى وكتب المتأخرين فى القلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام فى
الغراس والعلاج وحفظ النبات من حوائج وعوائقه وما يعرض فى ذلك كله وهى موجودة

٢١ * (علم الالهيات) *

وهو علم ينظر فى الوجود المطلق فأولا فى الامور العامة للجسمانيات والروحانيات من المساهبات والوحدة
والكثر والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر فى مبادئ الموجودات وانها روحانيات ثم فى كيفية صدور
الموجودات عنها ومرتباتها ثم فى احوال النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدأ وهو عنددهم علم
شريف يزعمون أنه يوفقهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة فى زعمهم وسيأتى الرد
عليهم وهو قال للطبيعيات فى ترتيبهم ولذلك يسمى علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الاول فيه موجودة بين
أيدي الناس ولخصه ابن سينا فى كتاب الشفاء والنجاء وكذلك لخصها ابن رشد من حكماء الاندلس ولما
وضع المتأخرون فى علوم القوم ودونوا فيها وورد عليهم الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين
مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لعروضها فى مباحثهم وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهيات
ومسائلهم بمسائلها فصارت كنهافن واحد ثم غير وترتيب الحكماء فى مسائل الطبيعيات والالهيات وخطوطهما
فنا واحدا قدموا الكلام فى الامور العامة ثم اتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها الى آخر
العلم كما فعله الامام ابن الخطيب فى المباحث المشروقة وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام
مختلط بمسائل المحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعها ومسائلها ما واحد وانس ذلك على
الناس وهو غير صواب لان مسائل علم الكلام انما هى عقائد متعلقة من الشريعة كما نقلها السلف من غير
رجوع فيها الى العقل ولا تعويل عليه معنى انها لا تثبت الا به فان العقل معزول عن الشرع وانظار وما
تحدث فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس بحجج الحق فيها فالتعديل بالدليل بعد ان لم يكن معلوما هو
شأن الفلسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الايمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبه اهل
البدع عنها الذين زعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان تفرض صحة بالدلة النقلية كما نقلها السلف
واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لا تساع نطاقها عن مدارك
الانظار العقلية فهى فوقها ومحطة بالاستمدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف
والمدارك الخاطى بها فاذا مدانا الشارع الى مدرك فينبغى أن تقدمه على مداركنا ونشق به دونها ولا ننظر فى
تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل نعمد ما امرنا به اعتقادا وعلمنا ونسكت عما نفهم من ذلك ونفوضه

الله عنه ما ينعى أن نقضى العمل فى الافاضل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم أجل من أن أدنسهم بالعمل وقال ابراهيم
النجعى كان عمرا اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود
المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه أن أقبل ومثل السلطان اذا ولي العمال الظالمين مثل من يستريح غنمه الذئاب

ومثل من يربط الكلب العقور بياحه وان العامة تشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوذ عبد الملك بن مروان لانه استترعاه الرعية وقد قيل
ومن يربط الكلب العقور بياحه * فعقر جميع الناس من رباط الكلب وكان العلاء بن أيوب لما ولي فارس من قبل المأمون
يكتب عهد العمال فيقرؤه (٢٩٦) على من يحضره من أهل ذل العمل ويقول أنتم عبوني عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه

الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انفساد عاهم الى ذلك كلام اهل الاتحاد في معارضات العقائد
السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعي ذلك الحجج النظرية
ومحاذاة العقائد السلفية بها وأما النظر في مسائل الطبيعيات والالهيات بالتصحيح والبطول لان فليس من
موضوع علم الكلام ولا من جنس انظار المتكلمين فاعلم ذلك لتيز به بين الفئتين فانهم ما يختلطان عند
المتأخرين في الوضع والتأليف والتحقيق معارة كل منهما صاحبه بالموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس
من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتياج اهل الكلام كانه انشاء لطلب الاعتداد بالدليل وليس
كذلك بل انما هو رد على المحدثين والمطلوب مقرر وض الصدق معلومه وكذا جاء المتأخرون من غلاة
المتصوفة المتكلمين بالمواد ايضا فخطوا مسائل الفئتين ففهم وجعلوا الكلام واحد فيها كلها مثل
كلامهم في النبوات والاتحاد والحوال والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة
وأبعد هاهنا من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل
والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وبإحاثها وتوابعها كما بيناه ونبينه والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم والله أعلم بالصواب

٢٢ * (ع- علوم السحر والطلسمات) *

هو علم بكيفية استعدادات تقدر انفس البشر بيهام على التأثيرات في عالم العناصر ما بغير معين او معين
من الامور السماوية والاول هو السحر والثاني هو الطلسمات ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند
الشرايع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب او غيره كانت كتبها
كالهقود بين الناس الاما وجد في كتب الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط
والكلدانين فان جميع من تقدمه من الانبياء لم يشعروا بالشرايع ولا جاؤا بالاحكام انما كانت كتبهم
مواعظ وتوحيد لله وتذكير بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في اهل بابل من السريانيين والكلدانين
وفي اهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التاليف والاثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا القليل
مثل الفلاحة النبطية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس منها هذا العلم ونفخوا فيه ووضعوا به ذلك
الايضاح مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طهمط الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم
ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه المهلة فتصنع كتب القوم واستخرج الصناعات وغاص
على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غير هاهنا التاليف واكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لانها من
توابعها لان احالة الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو
من قبيل السحر كما نذكره في موضعه * ثم جاء مسلمة بن احمد المجرى بطى امام اهل الاندلس في التعاليم
والسحريات فليخص جميع تلك الكتب وهذه اوجع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب
احد في هذا العلم بعده * ولقد قدم هاهنا مقدمة يبين بها حقيقة السحر وذلك ان النفوس البشرية وان كانت
واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص وهي اصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في
الصنف الاخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصفة النفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها
خاصية تستعدها لمعرفة الربانية ومحاطة باللائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما ينبغي

فعل انصافه ونفقه جانيا
وراجعوا يا امر العمال ان
يقرؤا عهد على اهل
عمله في كل جمعة ويقول
لهم هل استوفيت
(الباب الرابع والخمسون
في هدايا العمال والرشا
على الشفاعات) *
روى ابو داود في السنن
ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من شفيع لاخيه
شفاعة فاهدى له هدية
عليها فقبلها فقد اتى بابا
عظيما من ابواب الربا والسر
فيه انك اذا قدرت على
قضاء حاجة من عند
السلطان الظالم او اليد
القاهرة صار ذلك واجبا
عليك وروى البخاري
في صحيحه ان النبي صلى الله
عليه وسلم استعمل رجلا
يقال له ابن الانبية فلما
جاء قال يا رسول الله هذا
لكم وهذا الى قال فغضب
النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ما بال الرجل يستعمله
على عمل من اعمال النافق
هذا لكم وهذا الى افلا
قعد في بيت ابيه وامه
فيظن هل يهدي له قال
مالك وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يشاطر

العمال في اخذ نصف أموالهم وشاطر ابا هريرة وقال له من أين لك هذا المال فقال أبو

هريرة دواب تناجحت وتجارا تداءت فقال اد الشطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم * وروى
مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد الله اخوه ابلا فبعثاها الى الحمي فزعت فقال عمر رعية في الحمي فشاطرها وشاطر سعد بن أبي

وقاص حين قدم من الكوفة كأنه رأى أن ما أصاب العامل من غير رشوة وإن كان حلالاً فلا يستحق ذلك لأن له بالامرة قوة على أن ينال من الحلال ما لا يناله غيره ففعله كالمضارب للمسلمين ولم يدفع أبو موسى الأشعري ما لا من يثبت المال لعبد الله وعبيد الله ابني ع- ر بن الخطاب بالبصرة اشترياً منه بضاعة فربحت بالمدينة فأراد عمران يأخذ جميع الرمح فراجعهم (٢٩٧) عبيد الله فيكم بينهم بنصف الرمح

فأخذ جميعاً نصف الرمح وأخذ عمر النصف لبيت المال (وكتب) عمر بن عبد العزيز إلى عماله أما بعد فأنما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشتري وبسطهم الباطل حتى يفتدي الملك بالدين يقوى والدين بالمال يبقى (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر إذا قدم عليه العمال أن يدخلوا نهراً ولا يدخلوا البلاكي لا يحتجبوا شيئاً من الأموال وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت في عملي الذي ولاني النبي صلى الله عليه وسلم الأثوين مع قدين كسوتهم مامولاي كيسان * وروى أن علياً رضي الله عنه استعمل أبا مسعود الانصاري على السواد فرجع إلى داره وقد امتلأت فقال ما هؤلاء قالوا كذلك يصنعون بالرجل إذا استعمل قال كل هؤلاء يريدون أن يأكلوا في أمانتي ويروى في أمارتي فرجع إلى علي وقال لا حاجة لي في العمل وقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله

ذلك من التأثير في الكوان واستحلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية فاما تأثير الانبياء فإدخالهم في خاصية ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر والنفوس الساحرة على مراتب ثلاثة يأتي شرحها فاولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر والثاني معين من مزاج الافلاك والاعناصر أو خواص الاعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الاول والثالث تأثير في القوى المتخيلة - وهذا صاحب هـ ذ التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويليقي فيها أنواعاً من الخبالات والمخاكات وصوراً مما يقصده من ذلك ثم ينزلها إلى الحس من الرائيين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤن كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك كما يحكي عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هـ ذاعداً الفلاسفة الشعوذة أو الشعبة وهذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج إلى الفعل بالرياضة والرياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والشرائط بنوع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهته إلى غير الله وسجوده والوجهة إلى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفراً والكفر من مواده واسبابه ككرايت ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق على فعله أو لتصرفه بالفساد وما ينشأ عنه من الفساد في الكوان والكل حاصل منه ولما كانت المرتبتان الاوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة الاخيرة الثالثة لا حقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو انما هو تخيل فالقائلون بان له حقيقة ينظرون إلى المرتبتين الاوليين والقائلون بان لا حقيقة له ينظرون إلى المرتبة الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر بل انما جاء من قبل اشتباه هـ ذه المراتب والله أعلم * واعلم ان وجود السحر لامرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين كفر وابعثوا للناس السحر وما أنزل على الملائكة بل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولانما نحن فتنة فلا تكفر فيمتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاق وقوجف طلعة ودفن في بئر ذروان فانزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرأ على عقد من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت واما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسر يانين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الاخبار وكان للسحر في بابل ومعمر أزمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك ورأينا بالعبان من بصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما تنواه وحاوله موجودة بالمسحور وأمثال تلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور وعينا أو معنى ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه فيه به بتكرير يخرج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعداءه لذلك نقاؤلاً بالعقد والالزام وأخذ العهد

(٣٨ - ابن خلدون) اختر لي قال أقعد في بيتك * وفي الامثال ان الهدية تعمي وتصم وقال بعض الحكماء الرشوة رشاها الحاجة وأشد بعضهم اذا أتت الهدية دار قوم * تطايرت الامانة من كواها (ولبعضهم) ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوب تدني البعيد من الهوى * حتى يصير قريها وترد مضطغن العدا * وبعده جفوتة حبيبا (ومما قلته في الرشوة) وأكرم من يدق الباب شخص *

يقبل الجمل مشغول بالدين ينوء اذا شئ نفسه ونفخا * ويتطعم بابه بالركبتين وأكرم شافع يمشي عليها * أبو المنقوش فوق الصقعة
(وقلت أيضا) اذا كنت في حاجة مرسلًا * وأنت بانجازها مغرم فارس بلأكمه خلافة * به صمم أعطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى * (٢٩٨) رسول يقال له الدرهم (وكتب) عبد الملك بن مروان الى قاضيه الحرث بن عامر وقد

ارثني بكرمه
اذا رشت - وة من باب بيت
تجتمعت
لئسكن فيه والامانة فيه
سعت هر بامنه ووات
كانها
حليم تولى عن جواب سفيه
(الباب الخامس
والخمسون في معرفة
حسن الخلق)
اعلموا أريدكم الله تعالى ان
هذا الباب مما غلط الخلق
فيه وقلوب القوس ركوة
فعمدوا الى أخلاق العامة
وخلائق الغوغاء والادنياء
وما يجري بينهم اذا تلاقوا
وتعاشروا من الافراط في
مدح بعضهم بعضا وتعاطيهم
الكذب والتصنع والمق
والمرآة والمعاريض عن
الامور المكنونة التي يسوء
اظهارها والافتخار في سالك
المزاج والمهاترة فهذا وما
أشبهه عندهم من حسن
الخلق وهو عندنا نقض
مأنص الله عليه ورسوله
من حسن الخلق فاول ذلك
أن تعلم أنه لم تحتوا الارض
على بشر أحسن خلقا من
محمد صلى الله عليه وسلم
فكل من تخاف باخلاق
رسول الله صلى الله عليه

على من أشرك به من الجن في نفقه في فعله ذلك استشعار للعزيمة بالعزم ولتلك البنية والالاماء السيئة روح
خبيثة تخرج منهم مع النفخ متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك
بالمسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا بضامن المنتحلين للسحر وعمله من يشير الى كساء أو جلد ويحكم عليه في
سهر فاذا هو مقطوع متخرق ويشير الى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فاذا امأوها ساقطة من بطونها
الى الارض وسمعنا ان بارض الهند هذا العهد من يشير الى انسان في تحت قلبه ويقع ميتا وينقب عن قلبه فلا
يوجد في حشاه ويشير الى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبو بها شئ وكذلك سمعنا ان بارض السودان وأرض
الترك من يسحر السحاب فيمطر الارض المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد
المتحابة وهي رك زفد أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة وعشرون ومعنى المتحابة
ان أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلاث وربع وسدس وخمس وامنأها اذا جمع كان مساويا للعدد
الآخر صاحبها فتسمى لاجل ذلك المتحابة ونقل اصحاب الطلسمات أن لتلك الاعداد أثر في الالفه بين
المتحابين واجتماعهم اذا وضع لهم امثالان أحدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها او شرفها ناطرة الى القمر
نظرمودة وقبول ويجعل طالع الثاني سابع الاول ويضع على أحد التمانين أحد العددين والا آخر على
الاخر ويقصد بالاكثر الذي يراد ان الالفه أعني المحبوب ما أدري الاكثر كية أو الاكثر أجزاء فيكون
لذلك من التأليف العظيم بين المتحابين ما لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر قاله صاحب الغاية وغيره من
أئمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا طالع الاسد ويسمى أيضا طالع الحصى وهو ان يرسم في قالب
هنداصبع صورة أسد شائلا ذنبه عاضا على حصة قد قسمها بنصفين وبين يديه صورة حبة منسابة من
رجليه الى قبالة وجهه فاغرة فاهالي فيه وعلى ظهره صورة عقرب تتدب ويحتمل برسمه حلول الشمس
بالوجه الاول او الثالث من الاسد بشرط صلاح النيرين وسلامتهم من النحوس فاذا وجد ذلك وعثر عليه
طبع في ذلك الوقت في مقدار الميثقال فادونه من الذهب وغمس بعد في الزعفران محلول لاجل الماء الورد وورق
في خرقة حريرة فراء فانهم يزعمون ان لمسكه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له
ما لا يعبر عنه وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعز على من تحت أيديهم ذلك ايضا اهل هذا الشأن
في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المسدس المختص بالشمس ذكره انه يوضع عند حلول
الشمس في شرفها وسلامتها من النحوس وسلامتها القوم بطالع ملوكي يعتبر فيه نظر صاحب العاشر
اصحاب الطالع نظرمودة وقبول ويصلح فيه ما يكون في مواليد الملوك من الادلة الشريفة ويرفع في خرقة
حريرة فراء بعد أن يغمس في الطيب فزعموا ان له أثر في صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وأمثال
ذلك كثير وكتاب الغاية لمسلمة بن أحمد الجرجاني هو مدونة هذه الصناعة وفيها استيفاءها وكال مسائلها
وذكر لنا ان الامام الفخر بن الخطيب وضع كتابا في ذلك وسماه بالسر المكنون وأنه بالمشرق يتداوله أهله
ونحن لم نقف عليه والامام لم يكن من أئمة هذا الشأن فيما نظن ولعل الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صنف
من هؤلاء المنتحلين لهذه الاعمال السحرية يعرفون بالعاجين وهم الذين ذكرت اولاً انهم يشيرون الى
الكساء او الجلد فيمتخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتبعج ويسمى أحدهم لهذا الغيب باسم البعاج
لان أكثر ما ينتحل من السحر يعج الانعام يهرب بذلك اهلها اليه يطوه من فضلها وهم متستر ون بذلك في

وسلم أو قاربها أو بعضها كان أحسن الناس خلقا وكل خلق ليس يعد من أخلاقه صلى الله عليه وسلم
فليس من حسن الخلق وهذا فصل الخطاب في هذا الباب لمن عقل وانما أوتي الناس في هذا الباب لانهم استحسنوا الاخلاق العامة
واستحسنوا الاخلاق النبوية فجعلهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم لموها أنا تلوع عليكم من أخلاق الانبياء والمرسلين والاولياء

والاصفياء والعلماء والصابحين مانرجوان ينفعنا الله واياك به قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم
فخص الله نبيه من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحمياء والكرام والصفيح وحسن العهد بمآل يؤته غيرهم ما آتاني الله تعالى عليه بشئ
من فضائله بمآل ما آتاني عليه بحسن الخلق فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ (٢٩٩) ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن

الخلق ودعائه عليه السلام
من حسن الخلق (قال عبيد
الله بن عمير) قلت لعائشة
أم المؤمنين صفي لي خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت لي أما تقرأ القرآن
كان خلقه القرآن وحسبك
بهذا القول منقبة للرسول
صلى الله عليه وسلم وتعرف
لك بحسن الخلق فاذا كان
خلق النبي صلى الله عليه
وسلم القرآن فالقرآن يجمع
كل فضيلة ويحث عليها
وينهي عن كل نقيصة
ورذيلة ويوضحها ويبينها
ولذلك لما أنزل الله تعالى
خذا العقو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين
قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا يا جبريل قال ان الله
تعالى يأمرك ان تصل من
قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عن ظلمك فهذا من
حسن الخلق كما ترى فانظر
أين أخلاق العامة من هذا
النمط وان أحدهم يقطع من
وصله ويحرم من أعطاه
ويظلم من سالمه ويغضب
على من أتممه وانما اقتصر
على هذه الكلمات لانها
أصول الفضائل وينبوع
المناقب لان في أخذ العفو

الغاية خوفا على أنفسهم من الحكم لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك وأخبروني ان
لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية واشراك الروحانيات الجن والكواكب سيطرت فيها حقيقة
عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لهم وان
التأثير الذي لهم انما هو في سواى الانسان الحر من المنافع والحيوان والرقيق ويعبرون عن ذلك بقولهم
انما نفعل فيما تشي فيه الدرهم اى ما يملك ويبيع ويشترى من سائر الممتلكات هذا ما زعموه وسألت
بعضهم فآخبرني به وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعانيتهم من غير رغبة في ذلك هذا
شأن السحرة والطلسمات وآثارهما في العالم فاما الفلاسفة فقروا بين السحرة والطلسمات بعد أن أثبتوا أنهما
جميعا أثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بان لهما آثارا في بدنهما على غير المحررى
الطبيعى واسبابه الجسمانية بل آثار عارضة من كيمياء الارواح تارة كالسحونة المحادثة عن الفرح
والسرور ومن جهة التصورات النفسانية أخرى كالذى يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حائط
او على جبل منتصب اذا قوى عنده توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثير من الناس يعودون
أنفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يشنون على حرف الحائط والجبل المنتصب ولا يخافون
السقوط فثبت ان ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من اجل الوهم واذا كان ذلك
اثر للنفس في بدنهما من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية فثابت ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير
بدنها اذ نسبتها الى الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه
فثبت انها مؤثرة في سائر الاجسام وأما التفرقة عندهم بين السحرة والطلسمات فهو ان السحرة لا يحتاج
الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الاعداد وخواص
الموجودات وأوضاع القلأ المؤثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجمون ويقولون السحرة اتحاد روح
بروح والطلسم اتحاد روح بحسم ومعناه عندهم ربط الطبايع العلوية السماوية بالطبايع السفلية
والطبايع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبها في غالب الامر بالنجامة والساحر
عندهم غير ملتبس لسحره بل هو مقطور عنه دهم على تلك الجهة المختصة بذلك النوع من التأثير
والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ان المعجزة قوة الهية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح
الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وبامداد الشياطين في بعض
الاحوال فيمنهم ما الفرق في المعنوية والحقيقة والذات في نفس الامر وانما نستدل نحن على التفرقة
بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير ولله نفوس المتمحضة للخير
والتحدى بها على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشرى الغالب من التفرقة
بين الزوجين وضرر الاعداء وأمثال ذلك ولله نفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما ما عند الحكماء
الالهيين وقد يدوجد لبعض المتصوفة واصحاب الكرامات تأثير اضافي أحوال العالم وليس معدودا من
جنس السحر وانما هو بالامداد الالهى لان طريقتهم ونحوهم من آثار النبوة وتوابعها ولهم في الممدد
الالهى حظ على قدر حالهم وإيمانهم وتمسكهم بكلمة الله واذا اقتدر أحد منهم على افعال الشر فلا يأنه لانه
متمسك فيها بآية ويذره للامر الالهى فلا يقع لهم فيه الاذن لا يأتونه بوجه ومن أناة منهم فقد عدل عن

صلة القاطع والصفيح عن الظالم واعطاء المانع وفى الامر بالمعروف والتقوى الله وصلته الرحم وصوصن اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفى
تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع فرضها ونفلاها وفى الاعراض عن الجاهلين الصفيح والحلم وفتوة النفس عن محاراة السفه ومجاراة
البجوح فهذه الاصول الثلاث تضمن محاسن الشرع نصا وتنبيهها ووضعا واعتبارا (وروى) أنس قبل يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال

أحسنهم خلقا (وروى) أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال بعثت لأتمم مكارم الأخلاق اقتضى الحديث أن كل نبي مبعوث إلى أمة إنما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق فاذن حسن الخلق امتثال الشرائع بأسرها (وروى) البخاري (٣٠٠) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من أحبك إلى

أحسنكم أحد لا فاقوا كان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وعليه رداء نجراني غليظ الخاشية فجذبه اعرابي جبذته شديدة حتى أثرت خاشية الرداء في عنقه وقال يا محمد رمي من مال الله الذي آتاك فلست تأمرني بما لك ولا بما لآبائك فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بشيء (وروى) معاذ ابن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال له حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل * واعلموا أن الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال والإنسان مستور بخلقته مشهور بخلقته ألا ترى أن الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الفضائل ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثبت عليه بخلقته وقال بعض المفسرين في قوله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم قال لا تتخاصم ولا تتخاصم من شدة معرفتك بالله تعالى وقيل لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعدم معرفتك بالحق وقال الحاسبي كظم الغيظ

طريق الحق وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الإلهية فلا ذلك لا يعارضها شيء من السحر وانظر شأن سحرة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلقفت ما كانوا يأفكون وذهب سحرهم واضمحل كان لم يكن وكذلك لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن شر الغائيات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرؤها على عقدة من العقد أتى سحر فيها إلا انحلت فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره وقد نقل المؤرخون أن زركش كاويان وهي راية كسرى كان فيها الوفاق المثبني العددي منسوجا بالذهب في أوضاع فلكية صمدت لذلك الوفاق ووجدت الراجية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الأرض بعد أن هزم أهل فارس وشه ماتهم وهو فمما تزعم أهل الطلسمات والوفاق مخصوص بالغلب في الحروب وان الراية التي يكون فيها أومعها لا تنهزم أصلا إلا أن هـ ذه عارضها الممدد الإلهي من أيمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بكامة الله فانحل كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون وأما الشريرة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهتدي به في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا وفي معاشنا الذي فيه صلاح ديننا وما لا يهتدي به في شيء منه ما فأن كان فيه ضرر أو نفع ضرر كالحجر المحاصل ضرره بالوقوع والخلق به الطلسمات لأن أثرها واحد وكالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتبار التأثير ففسد العقد الإيمانية ببرد الأمور إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نفسه بته في الضرر وإن لم يكن مهيما علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من أن تركه قربى إلى الله فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريرة بابا واحدا للسحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيه من الضرر وخصصته بالخط والتحرير وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قائلوا أو السحر مصروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع منه وقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال فإذا لا تقع المعجزة مع الكاذب باطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكانها على طرفي النقيض في أصل فطرتهم والله يهدي من يشاء وهو القوي العزيز لا رب سواه

(فصل) ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الإصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعبان عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات أو الأحوال ويقرط في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عن اتصف به فبئس ثورفساده وهو جملة فطرية أعني هذه الإصابة بالعين والفرق بينهما وبين التأثيرات وإن كان منها ما لا يكتسب أن صدورها راجع إلى اختيار فاعلموا الفطرية منها قوة صدورها لا نفس صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذلك إلا لأنه ليس مما يريد ويقتصده أو يتركه وإنما هو مجبور في صدوره عنه والله أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

٢٢ * (علم أسرار الحروف) *

وهو المسمى لهذا العهد بالسميانقل وضوء من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة

واظهار الطلاقة والبشر لا مبتدع أو فاجر إلا أن يكون فاجرا إذا انبسطت استحياء والعقود عن الزاين الأبواب أو فاستعمل إقامة حدو كلف الذي عن كل مسلم ومعاهد لا لتغيير منكر أو أخذ مظلة لمظالم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق أن لا تتغير عن يقف في الصنف بجنبك (وقيل) لا لا يخف من تعلمت حسن الخلق قال من قيس بن عاصم المنقري قال بينما هو ذات يوم جالس في داره إذ جاءته

خادم له بسفوفه وعليه شواء فسقط من يده ما فوق علي ابن له فسقط فدهشت الحارثية فقال لا روع عليك أنت حر تلوجه الله تعالى * وكان ابن عمر اذا رأى واحدا من عبده يحسن الصلاة يعتقه فمروا بذلك من خلقه في كانوا يحسنون الصلاة ثم آتاه فـ كان يعتقهم فـ قيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له * وقال الفضيل لو ان امرأ أحسن الاحسان كله (٣٠١) وكانت له دجاجة وأساء اليها الم

يكن من المحسنين) وكان
 المحاسبى) يقول فقدنا ثلاثة
 أشياء حسن الوجه مع الصيانة
 وحسن القول مع الأمانة
 وحسن الاخاء مع الوفاء وقال
 الحسن بن علي رضوان الله
 عليه غموان الشرف حسن
 الخلق * وكان عبد الله بن
 محمد الرأزي يقول حسن
 الخلق استغفار مامك
 واستعظام ما اليك) وقال
 سهل) حسن الخلق ان لا
 تطمع فيما ليس لك وليس
 بهذه الصفة أحدا الا الله
 تعالى * وقيل حسن الخلق
 تحمل انقال الخلق * وقال
 شاء المكرمانى علامة حسن
 الخلق كف الاذى واحتمال
 المؤن وقيل حسن الخلق
 ان تكون من الناس
 قريبا وفيما بينهم غريبا
 وقيل حسن الخلق قبول ما
 يرد عليك من جفاء الخلق
 وقضاء الحق بلا ضجر ولا
 قتى وقيل الخلق الحسن
 احتمال المكره بحسن
 الإدارة (وقالت امرأة)
 لمالك بن دينار يا مراثي
 فقال يا هذه وجدت اسمي
 الذي أضله أهل البصرة
 وفي الحديث ان النبي صلى
 الله عليه وسلم قال ان تسعوا

فاسم عمل استعمال العام في الخاص وحديثه ذالعهلم في الملة بعد صدوره منها وعند ظهروا الغلاة من المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب المحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات ومزامعهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه وزعموا أن السكك الاسمائي مظاهره اواح الافلاك والكواكب وان طبائع الحروف وأسرارها سارية في الاسماء فهي سارية في الاكوان على هذا النظام والا كوان من لدن الابداع الاول تنتقل في اطواره وتعرب عن اسرارها فحدث لذلك علم أسرار الحروف وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالاعدد مسائله تعدت فيه ما لا يف البوني وابن العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما واطارعه عنددهم ومثرت تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالاسماء المحسنة والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطية بالاسرار السارية في الاكوان ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو فطنهم من جعله للزواج الذي فيه وقسم الحروف بقسم الطبايع الى اربعة اصناف كما للعناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فلا وانفعالا بذلك الصنف فتتوالت الحروف بقانون صناعى يسمى بالتكسير الى ناربه وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالالف للنار والباء للهواء والجيم للماء والداد للتراب ثم ترجع كذلك على التوالي من الحروف والعناصر الى أن تنفذت عين لعنصر النار حروف سبعة الالف والماء والطاء والميم والقاف والسين والذال وتعين لعنصر الهواء سبعة أيضا الباء والواو والياء والنون والصاد والتاء والظاء وتعين لعنصر الماء أيضا سبعة الجيم والزاي والكاف والصاد والقاف والتاء والغين وتعين لعنصر التراب أيضا سبعة الدال والماء واللام والعين والراء والحاء والشين والحروف النارية لدفع الامراض الباردة والمضاعفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها اما حسا او حكما كما في تضعيف قوى المريح في الحروب والقتل والقنك والمائية أيضا لدفع الامراض الحارة من حميات وغيرها وتضعف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها حسا او حكما كتضعيف قوى القمر وامثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف للنسبة العددية فان حروف ابجد الدالة على اعدادها المتعارفة وضعا وطبعافيهن من أجل تناسب الاعداد تناسب في نفسها أيضا كما بين الباء والكاف والراء لادلائها كلها على الاثنين كل في مرتبته فالباء على اثنين في مرتبة الاحاد والكاف على اثنين في مرتبة العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكذلك بينها وبين الدال والميم والتاء لادلائها على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة الضعف وخرج للاسماء اوافق كما للاعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من الاوافق الذي يناسبه من حيث عدد الشكل او عدد الحروف وامتزج التصرف من السر المحرف في السر العدي لاجل التناسب الذي بينهما فاما سر التناسب الذي بينهما هذه الحروف وامتزجة الطبايع او بين الحروف والاعداد فامر سر على القهم اذ ليس من قبيل العلووم والقياسات وانما مستندهم فيه الذوق والكشف قال البوني ولا ننظر أن سر الحروف مما يتوصل اليه بالقياس العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهى وأما التصرف في عالم قوله ترتيب طبايع الحروف عند المعارفة غير ترتيب المشارقة ومنهم الغزالي كما ان الجمل عندهم مخالف في ستة احرف فان الصاد عندهم بستين والصاد بتسعين والسين المهمة بثلاثمائة والظاء بثلاثمائة والغين بثلاثمائة والشين بالثمان

الناس باموالكم ولكن سعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (وروى) ان ابا عثمان اجاز بسكة وقت الهجرة فالتى عليه من فوق سطح
مسب رماد فغير اصحابه و بسطوا السننهم في الملقى فقال ابو عثمان لا تقولوا شيئا من استحق ان يصب عليه النار فصرخ على الرماة لم يجر
ان يغضب * وقيل لارام بن ادهم هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين احدهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال على والثانية

كنت جالسا فاجاء انسان فصنعني (وكان أويس القرني) اذ ارآه الصبيان رموه بالحجارة وكان يقول ان كان لابد فارموني بالحجارة الصغار كي لا تدموا على ساقى فتضعوني الصلاة (وروى) ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعا نائيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم (٣٠٢) قال فما جعلك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فذكركم كاسات قال امض فانت حر لوجه

الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المر كبة فيها وتأثرا لا كوان عن ذلك فأمر لا ينكر لثبوتها عن كثير منهم ثم تواتر او قد يظن أن تصرف هؤلاء وتصرف أصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسمات وتأثيرها على ماحقة اهله أنه قوى روحانية من جوهر القهر تفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهر باسرار فلا كبة ونسب عديدة وبخورات جالبات لروحانية ذلك الطلسمات مشدودة فيه بالمهمة فائدتها رباط الطبايع العلوية بالطبايع السفلية وهو عندهم كالخبرة المر كبة من هوائية وأرضية ومائية ونارية حاصلة في جملتها تحصيل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وتقبله الى صورتها وكذلك الاكسير للاجسام المعدنية كالخبرة تغلب المعادن الذي تسرى فيه الى نفسها بالا حالة ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد في جسد لان الاكسير اجزاء كلها جسدانية ويقولون موضوع الطلسمات روح في جسد لانه رباط الطبايع العلوية بالطبايع السفلية والطبايع السفلية جسدية جسد الطبايع العلوية روحانية وتحقق الفرق بين تصرف أهل الطلسمات وأهل الاسماء بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كانهما هو للنفس الانسانية والمهم البشرية ان النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحكمة علمها بالذات الا أن تصرف أهل الطلسمات انما هو في استئصال روحانية الافلاك وربطها بالصور وأبواب النسب العديدة حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة والقلب بطبيعته فعل الخيرة قيمما حصلت فيه وتصرف أصحاب الاسماء انما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من النور والالهى والامداد الرباني فيمخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ولا يحتاج الى مدد من القوى الفلكية ولا غيرها لان مددها أعلى منها ويحتاج أهل الطلسمات الى قليل من الرياضة تقدر النفس قوة على استئصال روحانية الافلاك وأهول منها وجهة وزياضة بخلاف أهل الاسماء فان رياضتهم هي الرياضة الكبرى وليست لقصد التصرف في الاكوان اذ هو حجاب وانما التصرف حاصل لهم بالعرض كرامة من كرامات الله لهم فان خلاصا صاحب الاسماء عن معرفة أسرار الله وحقائق الملكوت الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات الاسماء وطبايع الحروف والكلمات وتصرف بهما من هذه المحيثة وهؤلاء هم أهل السيمياء في المشهور وكان اذا لفرق بينهم وبين صاحب الطلسمات بل صاحب الطلسمات أو ثنى منه لانه يرجع الى أصول طبيعية علمية وقوانين مرتبة وأما صاحب اسرار الاسماء اذا فاته الكشف الذي يطالع به على حقائق الكلمات وآثار المناسبات بقوات الخلوص في الوجهة وليس له في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعمل عليه يكون حاله أضعف رتبة وقديم رجع صاحب الاسماء قوى الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعلم ان ذكر الاسماء المحسنى أو ما يرسم من أوقافها بل واسائر الاسماء اوقافا تكون من حظوظ الكواكب الذي يناسب ذلك الاسم كقوله البونى في كتابه الذي سماه الانساط وهذه المناسبات به عندهم هي من لدن الحضرة العمانية وهي برزخية الكمال الاسماءى وانما تنزل تفصيلا في الحقائق على ما هي عليه من المناسبات واثبات هذه المناسبات به عندهم انما هو بحكم المشاهدة فاذا خلاصا صاحب الاسماء عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبات به تقليدا كان عمله بمثابة عمل صاحب الطلسم بل هو أو ثنى منه كما قلناه وكذلك قديم رجع ايضا صاحب الطلسمات عمل وقوى كواكبه بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب الا أن مناسبة الكلمات عندهم ليست كما هي عند أصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وانما يتوضأ ووضع مصحفه ولم يفته فجاهت امرأة فاخذتها ففتها معروفة وقال يا أختي أنا معروف

الله وهذا كما ترى قوة الهية يفرغها الله على المصطفين من عباده وأهل الصفوة من أوليائه ألا ترى الى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك فعزده عن حقائق البشرية وألبسه من نعوت الربوبية حتى قواه على صحبتهم وصبره على تبليغ الرسالة اليهم مع الذي كان يقاسيه من أخلاقهم مع كونه مستغرقا باستيلاء الحق تعالى عليه يختص برحمته من يشاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم لم المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وانما سمي بالأدعى لانه تألف من الجواهر والالوان (وقال عليه السلام) لرجلين متباعضين آدم الله بينهما كما أى ألف بينهما كما ومنه سمي الاדם المأكول لانه يؤلف الطعام ويحسنه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل أراد ان يتزوج امرأة انظر اليها فانه أخرى ان يؤدم بينهما كما أى يؤلف بينهما كما وروى ان معمر وفا الكرخي نزل الدجلة

يتوضأ ووضع مصحفه ولم يفته فجاهت امرأة فاخذتها ففتها معروفة وقال يا أختي أنا معروف (وروى) ان أبازر كان على حوض يسقى اباه فأسرع بعض الناس اليه فانه كسر الحوض فجلس ثم اضطلع فقبل له في ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل

ان يجلس فان ذهب عنه والا فليضطجع (وقال علي بن ابي طالب) رضي الله عنه ان الله صانع كفا نرى قطعها وقال ابو ذر ان الله كسر في
وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال الحرث بن قيس يعجبني من القرآن كل ما لم يبق منكم فاما الذي تلقاه بيشرو ويلقاك بعبوس من عليك
بعملة فلا اكثر الله في المسلمين مثله وقال عروة بن الزبير مكتوب في الحكمة (٣٠٣) بني لئلا تكن كلمك طيبة وليكن

وجهك طلقا وليكن
أحب الى الناس من
يعطيهم العطاء ومن يحب
صاحب السوء لا يسلم ومن
يحب صاحب الصالحية يتم
(وروي) ان ابراهيم بن
أدهم خرج الى بعض
البراري فاستقبله جندي
فقال له ابن العمران فأشار
الى المقبرة فضرب رأسه
فاوضحه فلما جاوزه قيل له
هذا ابراهيم بن أدهم زاهد
خراسان فخافه يعتذر اليه
فقال انك لما ضربتني
سألت الله للجنة فقال
لم فقال قد علمت اني اؤجر
على ذلك فلم أرد ان يكون
نصيبي منك الخير ونصيبيك
مني الشر (وحكي) أن
أبا عثمان الحيري دعا
انسان الى ضيافة فلما وافى
باب الدار قال يا أستاذ ليس
لي وجه في دخولك وقد
ندمت فانصرف رجلا
الله فخرج أبو عثمان فلما
وافى منزله عاد اليه الرجل
وقال يا أستاذ ندمت وأخذ
يعتذر وقال احضر الساعة
فقام أبو عثمان ومضى
معه فلما وافى دراه قال
مثل ما قال في الاولى وأخذ
يعتذر ثم كذا في الثالثة

يرجع الى ما اقتضته اصول طريقهم المتحررة من اقتسام الدكا كبح جميع ما في عالم المكنونات من
جواهر واعراض وذوات ومعاني والحروف والاسماء من جملة ما فيه فليكن واحدا من الدكا كبح
قسم منها يخصه وينون على ذلك مبانى غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآية على هذا النحو
كما له مسجلة الجري في الغاية والظاهر من حال البوني في انما طهانه اعتبر طريقتهم فان تلك
الانماط اذا تصفعتها وتصفحت الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الدكا كبح السبعة
ثم وقفت على الغاية وتصفحت قيامات الدكا كبح التي فيها وهى الدعوات التي تختص بكل كوكب
يسمونها قيامات الدكا كبح اى الدعوة التي يقام له بها شهد ذلك امامانه من مادتها اوبان
التناسب الذي كان في اصل الابداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله وما أوتيت من العلم الا قليلا
وليس كل ما حرمه الشارع من العلوم بمنكر الثبوت فقد ثبت ان المتحرر حق مع حظره لكن حسنا من العلم
بما علمنا (ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من الاسئلة) * بارتباطات بين الكلمات
حرفية يوهمون انها اصل في معرفة ما يحاولون علم من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعاينة
والمسائل السبالية ولهم في ذلك كلام كثير من ادعية وأعجب ما زار به العالم السبتي وقد تقدم ذكرها ونسب
عنا ما ذكره في كيفية العمل بتلك الزاوية بدائرها وجدولها المكتوب حولها ثم تكشف عن الحق فيها وانما
ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسألة وجوابها في الافادة فقط وقد أشرنا الى ذلك من قبل وليس
هنا دار واية يعول عليها في صحة هذه القصيدة لانا نتحرر بنا اصح المنسوخ منها في ظاهر الامر والله الموفق بئنه
وهى هذه

يقول سبتي ويحمد ربه * مصل على هادي الناس أرسلا
حج المبعوث خاتم الانبيا * ورضي عن الصحب ومن لهم تالا
الاهذه زائرة العالم الذي * تراه بحيك وبالعقل قد خلا
فن احكم الوضع فيحكم جسمه * ويدرك احكاما تدبرها العلا
ومن احكم الربط فيدرك قوة * ويدرك للتقوى وللحل حصلا
ومن احكم التصريف يحكم سره * ويعقل نفسه وصحله الولا
وفي عالم الامر تراه محققا * وهذا مقام من بالاذكار كمالا
فهذا سر اثر عليكم بكتها * ألقها دوائر والحاء عدلا
فطاء لها عرش وفيه نقوشنا * بنظم ونثر قد تراه بحجولا
ونسب دوائر كنسبة فلها * وارسم كواكب لا دراجها العلا
واخرج لاوتار وارسم حروفها * وكور بمثل على حدم خلا
أقم شمل فيهم وسو بيوتهم * وحقق بهامهم ونورهم جلا
وحصل علوم الطباع مهندسا * وعلم الموسيقى والارباع مثلا
وسو لموسيقى وعلم حروفهم * وعلم باللات فيحق وحصلا
وسو ودوائر ونسب حروفها * وعلمه الطلق والاقليم جدولا
أميرنا فهو نهاية دولة * زناية آبت وحكم لها خلا

والرابعة أبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال يا أستاذ انما أردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال أبو
عثمان لا تمدحني على خاتمة مثله مع الكلاب فالكلاب اذا دعى حضر واذا جرح انزعج (وروي) ان بعض الفقهاء نزل على جعفر بن
مختار وكان جعفر يحذمه والفقير يقول نعم الرجل أنت لولم تكن يهوديا فقال له جعفر عقيب ذلك لا تقدر فيما تحتاج اليه من الخدمة

فقل لنفسك الشفاء ولي الهداية (وروي) ان ابا جعفر القمودي المتعبد لقيه بعض الاجناد معه كلب لاصيد فقال له خذ هذا الكلب
وقدمه خلفي فاني فضر ب راسه بالسوط حتى اوجعه فقال له بعض المنارين ويحك هـ ذا ابو جعفر القمودي العابد فنزل عن فرسه وجعل
يقبل يديه ويعتذ راليه فقال أنت (٣٠٤) في حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابراهيم القمودي ليالي عديده اذا فرغ من خربه في

جوف الليل يدعو ويقول
اللهم اغفر لصاحب الكلب
وارجه (وقيل) مكتوب
في الانجيل عبيد اذكرني
حين تغضب اذكرك حين
أغضب وقال بعض
المفسرين في قوله تعالى
وقولوا للناس حسنا أى كل
من لقيه فقل له حسنا
من القول وقال لقمان
لابنه ثلاثة لا يعرفون الا في
ثلاثة المحل عند الغضب
والشجاع في الحرب والاخ
عند الحاجة اليه وروي ان
عبد الله الخياط كان له
مجنوس يخييط عنده
الثياب ويدفع له دراهم
زيوفا وكان عبد الله يأخذها
فيجاء المجنوس يوما بالدراهم
فلم يجده فاعطاها لتلميذه
فلم يقبلها فدفع له صحاحا
فلما رجع عبد الله قال
تلميذه وهذه دراهم المجنوس
وذكر قصته فقال عبد الله
بسم ما فعلت انه معاملي
بهذه المعاملة منذ اعوام
وانا اصبر عليها والقيما في
البئر لئلا يغربها غيري
(وروي) ان معاوية
نظر الى ابنه يزيد يضرب
أمة له فقال أتضرب من
لا تمتنع منك لقد طالت

وقطـر لاندلس فابن لهودهـم * وجاء بنو نصر وظهرهـم تلا
ملوك وفسران واهل الحـكمة * فان شئت نصهم وقطرهـم دلا
ومهدى توحيد بتونس حكمهـم * ملوك وبالشرق بالا وفاق نزلا
واقسم على القطر وكن منقدا * فان شئت للروم فبالحرش كلا
فقتلش وبرشون الراء حرقهـم * وافر نسهم دال وبالطاء كلا
ملوك كـناوة ودلولهـم * واعراب قومنا بترقي اعملا
فهنا جباشي وسند فهرهـم * وفرس ططاري وما بعدهم طلا
فقيصرهـم حاء ويزدجرهـم * لكاف وقبطيهم بلامه طولا
وعباس كلهـم شريف معظم * ولا كن تركي بذال الفعل عطلا
فان شئت تدقيق الملوك وكلهـم * ففتح يثوثا ثم نسب وجدولا
على حكم قانون الحر وف وعلمها * وعلم طبائعها وكماله مثلا
فن عـلم العـلوم بهـلم علمنا * ويعلم اسرار الوجودوا كلا
فـبرسخ علمهـم ويعرف ربهـم * وعـلم ملاحي بحساميه فصلا
وحيث اتى اسم والعروض يشقهـم * فـحكم الحكم فيه قطعاً ليعتلا
وتأتبك أحرفهـم وانصر بها * وأحرف سيبويه تأتبك فصلا
فيكن بمنكر وقابل وعوضن * بترنيم الغالي للأجزاء خلا
وفي العقدة والجزوم يعرف غالبا * وزد لـج وصفيه في العقل فعلا
واحد تـلطع وسـويه رتبةـم * واعكس بجذريه وبالودور عدلا
ويدركها المـره فيبلغ قصدهـم * وتعطى حروفها وفي نظامها انجلا
اذا كان سعدوا والكواكب أسعدت * فحسبك في المال ونيل اسمه العلا
وايقاع دالهـم بمـرمـوزة * فنسب دناديه لتجد فيه منها
وأوتار زيرهـم فلحسابهـم * ومثناهم المثلث بحججه قدجلا
وأدخل بافلاك وعدل بجدول * وارسم أبا جاد وباقيـه جلا
وجوز شذوذ الكوتجبري ومثله * أتى في عروض الشعر عن جملة ملا
فاصل لدينا واصل لفقهنـا * وعـلم لـخونا فاحفظ وحصلا
فادخل لسطاط على الوفق جذرهـم * وسبح باسمه وكبروه ملا
فتخرج ابياتا وفي كل مطلب * بنظم طبيعى وسر من العـلا
وتقني بحصرها كذا حكم عدهـم * فعلم القوانيـم ترى فيه منها
فتخرج أبيانا وعشرون ضعفـت * من الالف طبعا فياصاح جدولا
تريك صنائعا من الضرب أكمات * فصح لك المني وصح لك العـلا
وسبحـم بـزيرهـم وأثنى بـثـرة * أقهادوا ثر الزير وحـصلا

أقها

القدرة بيني وبين أولى التراث وقال بعضهم أصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسامين

أدناه وأهونه ان لا يتسع لمراد الخلق وأقصاه وشده ان لا يتسع لمراد الحق وقال الخاسي أصل سوء الخلق الاغجاب وهل يسوء خلق الرجل
الامن بحبه وتكبره وانه لا يرى فوقه أحد ولا يعرف قدر نفسه فقد اخله العزة وقال الحسن في قوله تعالى وثيابك فطهر أى وخلقتك فحسن

تجدد غیره قال فن لی بسوء خلقه وکان لیحیی بن زیاد الحارثی غلام سوء فقیل له لم تمسك هذا الغلام قال لا تعلم

(٣٩ - ابن خلدون) تستر به سوء الخلق وقيل العارفي يعاتب نفسه ولا يعاتب خلقه وعلامة من بينه وبين نفسه عتاب أن لا يكون بينه وبين خلقه عتاب (وروى) أن عبد الله بن عمر كان في حجرة يتيم سيئ الخلق فزنا عليه فقيل له انك تجد غير ما قال في بن سوء خلقه وكان لكفى من زياد الخارقي غلام سوء فقيل له لم تحس هذا العلام قال لا تعلم عليه الحلم وقيل في قوله تعالى

واسبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة تسوية الخلق والباطنة حسن الخلق وقال الفضيل لان يعصني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يعصني عابد سيئ الخلق (فان قيل) اليس قد روى ان عيسى ويحيى بن زكريا عليهم السلام التقيا فقال يحيى لعيسى تلقاني ضاحكا كانك آمن فقال عيسى (٣٠٦) وانت تلقاني عابسا كانك آيس فآوى الله اليهما ان احبكما الى ابشكما صاحبه فلنا كذلك

الجزر المحبب في العمل
 اقامة السؤال عن الملوك
 ص ١ هـ ع ٤
 ع-ح-
 مقام الاولانور ع-و مقام بها هـ جح لا

(الانفصال الروحاني والانقياد الرباني)

اي طالب السر تهليل ربه * لدى اسماءه المحسني تصادف منها
 تطيعك اختيار الانام بقلوبهم * كذلك ريسهم وفي الشمس أعمالا
 ترى عامة الناس اليك تقيدوا * وما قلته حقاً وفي الغير أهـ ملا
 طريقتك هذا السبل والسبل الذي * أقوله غـ يركم ونصر كـ واجتلي
 اذا شئت تحيا في الوجود مع التقي * ودينا متينا او تكن متوصلا
 كذي النون والمجنيد مع سر صـ نعه * وفي سر بسطام اراك مسر بلا
 وفي العالم العلوي تكون محدثا * كذا قالت الهندوصوفية الملا
 طريقتك رسول الله بالحق ساطع * وما حكم صنع مثل جـ بريل أنزلا
 فبطشك تهليل وقوسك مطاع * ويوم الخيـس البدء والاحداثجلى
 وفي جمعة أيضاً بالاسماء منه له * وفي اثنين للحسنى تكون مكمل
 وفي طائفة سر وفي هائه اذا * اراك بها مع نسبة الكل أعطلا
 وساعة سعد شرطهـم في نقوشها * وعوده وصـطـي بخور تحصـلا
 وتندلمو عليها آخر الحشر دعوة * والاخلاص والسبع المتاني مرتلا
 (اتصال أنوار الكواكب) بله في لاهي لا ظ غ ش لد سـ ع ق صـ هـ ف و ي
 وفي يدك اليمنى حديد وخاتم * وكل برأسك وفي دعوة فلا
 وآية حشر فاجعل القلب وجهها * واتـلو اذا نام الانام ورتـلا
 هي السر في الاكوان لا شيء غيرها * هي الآية العظمى فحق وحصلا
 تكون بها قطبا اذا جدت خدمة * وتدرك أسراراً من العالم العلـلا
 سرى بها ناجي ومعروف قبله * وباح بها المحـلاجـهـرا فأعقلا
 وكان بها الشـبلى يدأب دائماً * الى ان رقي فوق المريدين واعتلى
 فصف من الاناس قبلك جاهدا * ولازم لاذكار وضم وتنقـلا
 فما نال سر القـوم المحقق * عليم بأسرار العلوم محصـلا
 ع صـ عـ و سلم عـ عـ كـ لم عـ آلم عـ سـ حـ عـ و هـ حـ د ف كـ صـ حـ د رـ م

*(مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب وتعشق
 وفناء القناء وتوجه ومراقبة وخلة دائمة)*
 الانفعال الطبيعي

يستحب ان يكون المؤمن
 وليس اطلاق الوجه
 والتبسم في وجه أخيك
 منها عنه وانما المـكروه
 ما ذكرناه في أول الباب من
 التعلق والتصـنع وفصل
 الخطاب في هذا الباب
 ما روى هـند بن أبي هالة في
 صفة مجلس النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال كان
 أصحابه كائما على رؤسهم
 الطير ومعلوم ان من كان
 على رأسه طائر لا يبرح
 فانه لا يتحرك ولا يتكلم
 ولا يطرّف بعينه حذراً ان
 ينفر الطائر وقال ابن المقفع
 كان لي صديق من أعظم
 الناس في عيني وكان رأس
 ماعظمه في عيني صغراً الدنيا
 في عينه كان خارجاً من
 سلطان فرجه فلا يدعوا اليه
 مؤنة ولا يستخف له رأيا
 ولا بدنا وكان خارجاً من
 سلطان الجبهة فلا يقدم
 أبداً الا على ثقة بشفعة كان
 أكثر دهره صامناً اذا قال
 بد القائلين وكان متضاعفاً
 مستضعفاً اذا جاءه الجدهو
 الايت عاديا كان لا يدخل
 في دعوى ولا يشرك في مراء
 ولا يدلي بحجة حتى يرى
 قاضيا عدلا وشهودا عدولا

وكان لا يلوم أحدا على ما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره كان لا يشكو وجعاً الا الى من
 يرجو عنده البر ولا صاحبا الا ان يرجو عنده النصيحة لهما جميعا وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يشتكي ولا ينتقم من الولي على العدو ولا
 يتغفل عن الولي ولا يخص نفسه دون أخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته فاقف هذه الاخلاق فان لم تطق فخذ القليل خير من ترك

لبر جيس

الجميع وروى ان حكيماً سمع رجلاً يذم الزمان وأهله وأنه قد فسد الناس ولم يبق أحد يحسب فقال له يا هذا أنت طلبت صاحباً يؤذيه فلا ينتصر وتنال منه فلا ينتصف وتأكل رحله ولا يرزؤك بشئ وتجفوع عليه فيحلم فلم تنصف في الطلب فلم تجد حاجتك وليكن ان أردت صاحباً يؤذيك فلا تنتصر ويحفر لك فلا تتقيم ويأكل رحلك فلا تنال منه شيئاً وجدت اصحاباً (٣٠٧) واخواناً واخلاناً وانا اول من يصحبك

(فصل في الفرق بين المداينة والمداواة)

من داري سلم ومن داهن اثم وهذا باب اختط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون فالمداهنة منهى عنها والمدارة مأثور بها قال الله تعالى في المداينة ودوا الو تدهن فدهنونا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المداواة راس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وامرت بمداواة الناس كما امرت باداء الغرائض (واعلم) انه اذا نسقت المداينات صارت مداينة فالمداهنة ان تداري الناس على وجه يذهب فيه دينك والمدارة مخالفتهم على وجه يسلم لك دينك وذلك ان هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قالت له قريش يا محمد اعبد آلهم تسعة وثلاثين بك فأبى قالوا فاشهر فأبى قالوا فبوم فأبى قالوا ساعة فأبى قالوا فاستلمها بيدك ونؤمن بك فوقف النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وطمع ان يفعل ان يؤمنوا فأنزل الله تعالى ودوا الو تدهن

لبرجيس في المحبة الوفق صرفوا * بقزدير او نحاس الخياط كدلا وقيل بفضة صحح رأيته * فجعل طالعاً خطوطه ماء لا توضح به زيادة النور للقم * وجعل للقبول شمسه أصلاً ويومه والنجور عودهم * ووقت لساعة ودعوته ألا ودعوته بغاية فهي أعمت * وعن طسمان دعوة ولها جلا وقيل بدعوة حرف لوضعها * بحر هواء او مطالب أهـ لا فتمنقش أحرفاً بادل ولا مها * وذلك وفق للربيع حصـ لا اذالم يكن هوى هواءك دلالها * فدال ليمدوا وازينب معطلا فحسن لبائنه وبائنهـ م اذا * هواءك وباقيهم قليـ لة جـ لا ونقش مشا كل بشرط لوضعهم * وما زدت انسيبه لفعلا عدلا ومفتاح حريم ففعلهمـ ماسوا * فبورى وبسطا محي بسورتها اتلا وجعلك بالقصد وكن متفقد * ادلة وحشي لقبضة مـ لا فاعكس بيوتها بالف ونيف * فباطن اسر وفي سرها النجـ لا

(فصل في المقامات للنهاية)

للغيب صورة من العالم العلا * وتوجد هادارا وملبسـ ها الخلا ويوسف في الحسن وهذا شبيهه * بنشر وترتيل حقيقة انزلا وفي يده طول وفي الغيب ناطق * فيحكي الى عود يجاب بـ لا وقدجن بهـ لول بعشق جمالها * وعند تجليج البسـ طام اخذلا ومات اجله واشرب حبها * جنيد وبصري والجسم أهـ لا فتطلب في التلهـ ل غايةـ م ومن * باسمائه الحسنى بلانسيه خلا ومن صاحب الحسنى له الفوز بالمـي * ويسهم بالزاني لدى جيرة العلا وتخبـ بر بالغيب اذا جدت خدمة * تريك عجائب ما كان موثلا فهـ ذا هو الفوز وحسن تناله * ومنها زيادات لنفسـ برها اتلا

(الوصية والتختم والايمان والاسلام والتحريم والابهلية)

فهذا قصيدنا وتسعون عده * وما زاد خطبة وختمنا وجدولا عجت لاتيات وتسعون عددا * تولد ابياتاً وما حصرها النجـ لا فن فهم السر في فهم نفسه * وفيهم نفسـ ير اشابه أشـ كلا حرام وشري لاظهار سرنا * لناس وان خصوا وكان التأهلا فان شئت أهله فغلاظ يمينهم * وتقهـ م برحلة ودين تطولا لعلمك ان تنجو وسامع سرهم * من القطع والافشاء فترأس بالاعلا فنجل لعباس لسره كاتم * فنال سعادات وتابعه علا

فدهنونا وقيل له ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذتناك ضعف الحياة وضعف الممات ومثاله ان تقول للظالم ابقاك الله ومن دعا الظالم بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله سبحانه وهذا باب ينبغي لذوى الدين حفظه وقد رأى بعض الفقهاء الخرج من هذه الهدية بالتعريض وكان الفقيه بن الحصار بقرطبة له جاز نصراني يقضي حوائجه وينفعه وكان الفقيه يكثر ان يقول ابقاك الله وتولاه

أقر الله عينك يسرى والله ما يسرك جعل الله يومى قبل يومك لا يترك يدك على هذه الكلمات فيتمسح الذمى فى بها وتسره فعوتب الفقهاء فى ذلك فقال إنما ادعوا يعارىض قد علم الله ذلك من نيتي أما قولى أبغاك الله وتولاك فأريد أن يبقية الله لغرم الجزية ويتولاها بالعذاب وأما قولى أقر الله عينك فأريد (٣٠٨) أن تقر حركتها بستر يعرض لها فلا تحرك جفونها وأما قولى يسرى والله ما يسرك فان

وقام رسول الله في الناس خاطبا * فن يراس عرشا فذللك اكمل
وقدر كبر الارواح اجساد مظهره * فالت لفتلهم بدق تطولا
الى العالم العلوى يقنى فناونا * ويلبس اثواب الوجود على الولا
فة دتم نظاما وصل الهنا * على خاتم الرسل صلاة بها العلا
وصلى اله العرش ذوال مجد والعلا * على سيد ساد الانام وكللا
محمد الهادى الشفيع امامنا * واصحابه اهل المكارم والعلا

مربة ماسه من الماسر ح اسع د مم ا ن س و ط ع

وتعديل الكواكب عند كل تاريخ مطلوب وشرح لوه اه لو طرح الاوتار الكلية
 ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢

السؤال له ثلثة مائة وستون جوابا. هذه الدرج وتختلف الاجوبة عن سؤال واحد في طالع مخصوص
 باختلاف الاسماء المضافة الى حروف الاوتار وتاسب العمل من استخراج الحرف من بيت القصيدة
 * (تدبره) * تركيب حروف الاوتار والمجدول على ثلاثة اصول حروف عربية تنقل على هياكلها وحروف
 برسم الغبار وهذه تنبدل فتمام ينقل على هياكله متى لم تزد الا دوار عن اربعة فان زادت عن اربعة نقلت الى
 المرتبة الثانية من مرتبة العشرات وكذلك المرتبة المئين على حسب العمل كما سنبينه وممنها حروف برسم الزمام
 كذلك غير ان رسم الزمام يعطى نسبة ثانية فهي بمنزلة واحد الف وبمنزلة عشرة وهما نسبة خمسة من خمسة
 بالعربي فاستحق البيت من الجدول ان توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم فاقتصر
 من الجدول بيوتنا خالية حتى كانت اصول الادوار زائدة على اربعة حسبت في العدد في طول الجدول وان لم
 يزد على اربعة لم يحسب الا العامر منها * (والعمل في السؤال يقتصر الى سبعة اصول) * عدة حروف الاوتار
 وحفظ ادوارها بعد طرحها اثني عشر اثني عشر وهي ثمانية ادوار في الكامل وستة في الناقص ابداء معرفة
 درج الطالع وسلمان البرج والدور الاكبر الاصل وهو واحد ابداء وما يخرج من اضافة الطالع للدور
 الاصل وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان البرج واطافة سلطان البرج للطالع والعمل جميعه
 ينتج عن ثلاثة ادوار مربعة في اربعة تكون اثني عشر دورا ونسبة هذه الثلاثة الادوار التي هي كل دور
 من اربعة نشأة ثلاثية كل نشأة لها ابتداء ثم انها تضرب ادوارا رباعية ايضا ثلاثية ثم انها من ضرب سبعة في
 اثنين فكان لها نشأة يظهر ذلك في العمل ويتبع هذه الادوار الاثني عشر نتاج وهي في الادوار اما ان
 تكون نتيجة او اكثر الى سبعة فأول ذلك نقرض سؤال الاعن الزايرة هل هي علم قديم او محدث بطالع
 اول درجة من القوس اثنا عشر حروف الاوتار ثم حروف السؤال فوضعا حروف وترراس القوس ونظيره من

بدا الا ظالم وتعز به للما لوم وقال كعب لابي هريرة في التوراة
هريرة وذلك في كتاب الله تعالى فقال بنوهم خاوية بما ظلموا فالا ظلم ادعى شئ الى سلب النعم وحلول النقم
من النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما

فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاسد تهذوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاسد تطعموني اطعمكم يا عبادي
كلكم عار الا من كسوته فاسد كسوني اكسكم يا عبادي انكم تحطون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم
يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي (٣٠٩) لوان اولكم وآخركم وانسكم وجنبكم كانوا

على اتقى قلب رجل واحد
منكم ما زاد ذلك في ملكي
شيأ يا عبادي لوان اولكم
وآخركم وانسكم وجنبكم
كانوا على آخر قلب رجل
واحد منكم ما نقص ذلك
من ملكي شيأ يا عبادي
لوان اولكم وآخركم وانسكم
وجنبكم قاموا في صعيد
واحد فسألوني فاعطيت
كل انسان مسئلة ما نقص
ذلك مما عندي الا كما ينقص
الخيط اذا دخل في البحر
يا عبادي انما هي اعماسكم
احصها لكم ثم اوفيك اياها
فمن وجد خيرا فليحمد الله
ومن وجد غير ذلك فلا
يلومن الا نفسه يرويها ابو
ادريس الخزرجي عن
ابي ذر ومسندا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وكان
ابو ادريس اذا حدثه
جني على ركبته وروى
عبد الله بن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال انظروا
ظلمات يوم القيامة وروى
ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اتقوا
دعوة المظلوم فانه ليس
بيننا وبين الله حجاب
وروى ابو هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم

راس الحوزاء وثالثه وتر راس الدوالي حد المركز واضقنا اليه حروف السؤال ونظرنا عدها واقل ما تكون
ثمانية وعشرين واكثر ما تكون ستة وتسعين وهي جملة الدور الصحيح فكانت في سؤالنا ثلاثة وتسعين
ويختصر السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بان يسقط جميع ادوار الاثني عشرية ويحفظ ما خرج منها وما
بقي فكانت في سؤالنا سبعة ادوار الباقي تسعة اثنى عشر في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثنى عشر درجة فان بلغها
لم تثبت لها عدة ولا دور ثم اثبتت اعدادها ايضا ان زاد الطالع عن اربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت
الطالع وهو واحد وساطان الطالع وهو اربعة والدور الاكبر وهو واحد وجميع ما بين الطالع والدور وهو
اثنان في هذا السؤال واضرب ما خرج منه ما في سلطان البرج يبلغ ثمانية واصف السلطان للطالع فيكون
خمس فلهذه سبعة اصول فما خرج من ضرب الطالع والدور الاكبر في سلطان القوس ما لم يبلغ اثنى عشر
فيه تدخل في ضلع ثمانية من اسفل الجدول صاعد او ان زاد على اثنى عشر طرح ادوارا تدخل بالباقي
في ضلع ثمانية وتعلم على منتهى العدد والخمسة المستخرجة من السلطان والطالع يكون الطالع في ضلع
السطح المبسوط الاعلى من الجدول وتعد متواليات الخمسة ادوارا وتحفظها الى ان يقف العدد على حرف من
اربعة وهي ألف أو باء أو جيم أو زاي فوق العدة في عملنا على حرف الالف وخلاف ثلاثة ادوار فضر بنا
ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد الدور الاول فاثبت ما وجدنا من ما بين الضلعين القائم والمبسوط يكن في
بيت ثمانية في مقابلة البيوت العارضة بالعدد من الجدول وان وقف في مقابلة الخالي من بيوت الجدول على
احدها فلا يعتبر وتستقر على ادوارك وادخل بعدد ما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر الجدول ما يلي
البيت الذي اجتمع فيه وهي ثمانية مارا الى جهة اليسار فوقع على حرف لام ألف ولا يخرج منها ابدا حرف
مركب وانما هو اذن حرف تاء اربعة مائة برسم الزمام فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيدة وجميع عدد الدور
للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار واثبت ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيدة
ومن هذا القانون ندري كم تدور المحرور في النظم الطبيعي وذلك ان تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة
لسلطان البرج وهو اربعة تبلغ ثلاثة عشر اضعفها بمثلها تكون ستة وعشرين اسقط منها درج الطالع وهو
واحد في هذا السؤال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم الحروف الاول ثم ثلاثة وعشرون مرتين
ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى ان ينتهي للواحد من آخر البيت المنظوم ولا تقف على
اربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد ولا ثم ضع الدور الثاني واصف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة
من ضرب الطالع والدور في السلطان تكون سبعة عشر الباقي خمسة فاضع في ضلع ثمانية بخمسة من حيث
انتهت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة عشر ثم بخمسة ولا تعد الخالي والدور العشرين
فوجدنا حرف تاء خمسمائة وانما هو نون لان دورنا في مرتبة العشرات فكانت الخمسمائة بخمسين لان دورها
سبعة عشر فلم تكن سبعة عشر اكانت مئيتا فاثبت نونا ثم ادخل بخمسة ايضا من اوله وانظر ما حاذي
ذلك من السطح تجد واحدا فقهقرا العدد واحدا يقع على خمسة اضف لها واحدا السطح تكون تسعة اثنى
واواو علم عليها من بيت القصيدة مدار اربعة واضفها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في السلطان
تبلغ اثنى عشر اضف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو مال الدور الثاني فدخلنا
بسبعة عشر في حروف الاوتار فوقع العدد على واحد اثنى الالف وعلم عليها من بيت القصيدة واسقط من

من كانت لآخيه عنده مظلمة من عرض او شيء فليتحلله منه قبل ان لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان
لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فعمل عليه وروى سعيد بن زبير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض
شبر اطوقه من سبع ارضين قال ابو جعفر الطحاوي معناه انه يقاب شجاعا اقرع فبطوقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لم في مانع الزكاة

يجي بماله يوم القيامة شجاعا قرع يتبعه ويقول انما لانا كنزك فكان هذا دخلا في قوله تعالى سيطو قون ما بخلوا به يوم القيامة
وروى ابوهريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظم وروى ابو موسى الاشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليملئ
للاظالم حتى اذا اخذهم ليقلته وقرأ (٣١٠) وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذهم شديدا وروى انس ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال انصر
اذا ظالم او ظالموا قالوا
يا رسول الله كيف هذا
انصره مظلوما فكيف
انصره ظالما قال تأخذ فوق
يده وروى ابوهريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم
قال صنفتان من اهل النار
لم ارهما ناس معهم سباط
كاذناب البقر يضربون
بها الناس ونساء كاسيات
عاريات ما ثلاث عملات
على رؤسهن مثل اسنمة
البحث لا يرين الخنة
ولا يحذن ريجها وقال الله
تعالى واذا اردنا ان نهلك
قريه امرنا مترفيا ففسقوا
فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا وفي الآية
تأويلان أحدهما أمرناهم
بالطاعة ففسقوا أي خرجوا
عن الطاعة والثاني على
قراءة المدينى أى كثرت
عددهم وأسبغنا النعم عليهم
ففسقوا وتباغوا ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم
خير المال سكة مأبورة
ومهرة مأبورة أى كثيرة
التناج (واعلموا) أن حشرات
الارض وهوامها تلعن
العصاة وقال مجاهد اذا
اشعثت الارض تقول

حروف الاوتار ثلاثة حروف عـ مدة الخارج من الدور الثاني وضع الدور الثالث واضف خمسة الى ثمانية تكن
ثلاثة عشر الباقي واحد انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر وخذ ما وقع
عليه العدد وهو ق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار واثبت ما خرج وهو سين وعلم عليه من
بيت القصيد ثم ادخل على السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد فخذ ما يلي حرف سين
من الاوتار فكان ب أثبتها وعلم عليها من بيت القصيد وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو ان
تضعف ثلاثة عشر بمثلها وتضيف اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باء المستخرج
من الاوتار من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قبله من السطح واضعه بمثلها
وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت الجملة سبعة فذلك حرف زاي فأثبتناه
وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه ان تضعف السبعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن
خمس عشرة وهو الخامس عشر من بيت القصيد وهذا آخر ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع مع وله من العدد
تسعة باضافة الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور آخر العمل في البيت
الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واضعده بتسعة في ضلع ثمانية وادخل بتسعة من دور
الحرف الذي اخذته آخر من بيت القصيد فالتاسع حرف راء فائتبه وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة
وانظر ما قبلها من السطح يكون ج قهقر العدد واحد يكون الف وهو الثاني من حرف الراء من بيت القصيد
فأثبتته وعلم عليه وهو عدد على الثاني تسعة يكون ألف ايضا فائتبه وعلم عليه واضرب على حرف من الاوتار
واضعف تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء أثبتها وعلم عليها من بيت
القصيد ثمانية وأربعين وادخل ثمانية عشر في حروف الاوتار تقف على س أثبتها وعلم عليها اثنين واضف
اثنين الى تسعة تكون احد عشر ادخل في صدر الجدول بأحد عشر تقابلها من السطح ألف أثبتها وعلم عليها
سنة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة اصعد بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على
حرفين من الاوتار واضعف خمسة بمثلها واضفها الى سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرون ادخل
بها في حروف الاوتار تقف على ب أثبتها وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في أس
اثنين وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على ق أثبتها وعلم عليها ستة وعشرين
وادخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالغبار وذلك حرف ب أثبتته وعلم عليه اربعة
وخمسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فتبين
اذ ذلك ان دور النظم من خمسة وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد
فاضرب خمسة في خمسة تكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانقل الدور في ضلع ثمانية بواحد
ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قدمناه لانه دور ثان من نشأة تركيبة ثانية بل أضفنا
الاربعة التي من اربعة وخمسين الخارجة على حروف ب من بيت القصيد الى الواحد تكون خمسة تضيف
خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في صدر الجدول وخذ ما قبلها من السطح وهو
ألف أثبتته وعلم عليه من بيت القصيد اثني عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر
أحرف السؤال فما خرج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف السؤال ليكون داخلا في

البراهم هذا من اجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المحسل لتموت بذنب ابن آدم يعني ان يذنب الخلق يمتنع القطر فلا تنبت الارض فتهلك الدواب
والحشرات وسمع ابوهريرة يقول ان الظالم لا يضره الا نفسه فقال بلى والله ان الجباري لتموت هن لا في وكرها بظلم الظالم وقال ابن

مسعود خطبة بني آدم قتلت الحسل (وروي) مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال الرجل وان كان شياً يسيراً يا رسول الله قال وان كان قضيباً من اراك وقال ابن عباس ما ظهر الغلول في قوم قط الا فشا فيهم الموت ولا تنقص قوم المكيال ولا ميزان الا انتقص عنهم الرزق (٣١١) ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا خفر قوم بالعهدة الا سلط

عليهم العدو وقال بعض الحكماء اذ كر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين بسفك الدماء فان له قاتلاً لا يموت (وروي) ان بعض الملوك رقم على بساطه لا نظن اذا ما كنت مقتدرًا فالظلم مصدره يفضي الى الندم تنام عينك والمظالم منتصب يدعو عليك وعين الله لم تتم أنشدنا قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغانى رحمه الله ببغداد اذا ما هممت بظلم العباد فكن ذاكر اهل يوم المعاد فان المظالم يوم القصاص لمن قد تزددها شر زاد وقال سحنون بن سعيد كان يز يد بن حاتم الحكيم يقول ما هبت شياً قط هييتى رجلاً ظلمته وأنا أعلم ان لا ناصر له الا الله فيقول لي حسينك الله الله بيني وبينك وقال بلال بن سعيد اتقوا الله فيمن لا ناصر له الا الله وقال أبو سليمان الدراني

العدد في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف بعد ذلك مناسباً لمخروفي السؤال فما خرج منها زده الى بيت القصيد من آخره وعلم عليه ثم أضيف الى ثمانية عشر ما علمته على حرف الالف من الاتحاد فكان اثنين تبلغ الجملة عشر ين ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء اثنته وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوترى فاضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السابع وهو ابتداء الختار ثمان يذشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة تصنف لها واحداتكون عشرة للنشأة الثانية وهذا الواحد تنزيده بعد الى اثني عشر دورا اذا كان من هذه النسبة أو تقصه من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاصعد في ضلع ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسة عشر وانما هي خمسون فون مضاعفة مثلها وتلك في اثنتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين وأسقط من اثنين وخمسين اثنين وأسقط تسعة التي للدور الباقي واحد واربعون فادخل بها في حروف الاوتار تقف على واحد اثنته وكذلك ادخل بها في بيت القصيد يتجدد واحد فذا ميزان هذه النشأة الثانية فعلم عليه من بيت القصيد علامتين علامة على الالف الاخير الميزاني وأخرى على الالف الاولى فقط والثانية اربعة وعشرون واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي خمسة ادخل في ضلع ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقف على عشرين بسبعين اثنتها وعلم عليها وادخل في الجدول بخمسة وخذ ما قبلها من السطح وذلك واحد اثنته وعلم عليه من البيت ثمانية واربعين واسقط واحد من ثمانية واربعين الثاني وأضيف اليها خمسة الدور الجملة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف غبارية وهي مرتبة مئينية لترايد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء اثنتها وعلم عليها من القصيد اربعة وعشرين فانتقل الامر من ستة وتسعين الى الابداء وهو اربعة وعشرون فاضف الى اربعة وعشرين خمسة الدور وأسقط واحد تكون الجملة ثمانية وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية اثبت ٢ وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وليست نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس لتضاعف العدد ولأنه من النشأة الثانية ولأنه أول الثلث الثالث من مربعات البروج وآخر الستة الرابعة من المثلثات فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في اربعة التي هي مثلثات البروج السابقة الجملة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنين غبارية وانما هي مئينية لتجاوزها في العدد عن مرتبة الاعداد والعشرات فاثنته مائتين راء وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية واربعين وادخل في ثمانية عشر الدور واحد الاس وادخل باربعة عشر في بيت القصيد تبلغ ثمانية فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من اربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين من الاوتار وادخل بسبعة تقف على حرف لام اثنته وعلم عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية بتسعة تكون خلافاً فاصعد بتسعة ثانية تصير في السابع من الابداء اضرب تسعة في اربعة اصعد ثمانية وتسعين وانما كانت تضرب في اثنين وادخل في الجدول بستة وثلاثين تقف على اربعة زمامية وهي عشرة فاخذناها احادية اقله الادوار فاثبت حرف دال وان أضفت الى ستة وثلاثين واحداً الاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولودخلت بالتسعة لا غير من غير ضرب في صدر الجدول دول لو تقف على ثمانية فاطرح من ثمانية اربعة الباقي اربعة وهو المقصود ولودخلت في صدر الجدول بثمانية

لما دخل اخوة يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع في لابل كبيرهم وكان ابن خالته فقال له يم اوصالك أبوك قال بأربع قال وما هن قال يا بني لا تتبع هؤلاء فنفارق ايمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تسكر من طمأنينة لا يعينك فتسقط من عينه ولا تسيء بربك الظن فلا يستجيب لك ولا تكن ظالماً فان الجنة لم تخلق للظالمين (وبكى) على بن الفضل يوماً

فقدل له ما يملك فقال ابكي على من ظلمني اذ وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم يكن له حجة ولمجد والوراق اني وهبت الظالمى ظلمى *
وتركت ذلك له على علمى ورايته اسدى الى يدا * لما ابان بحجته حلى رجعت اسأته عليه واح * ساقى فاب مضاعف الجورم
وغدوت ذا جرح ومجدة * (٣١٢) وغدا بكسب الذم والاثم مازال يظلمنى وأرجه * حتى رثيت له من الظلم

عشر التي هي تسعة في اثنين لو وقف على واحد زماحي وهو عشرى فاطرح منه اثنين تكرار التسعة الباقى
ثمانية نصفها المطلوب ولودخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضر بها في ثلاثة لوقعت على عشرة
زمامية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيدة واثبت ما خرج وهو ألف ثم اضر بتسعة في ثلاثة
التي هي مركب تسعة الماضية واسقط واحد وادخل في صدر الجدول ستة وعشرين واثبت ما خرج وهو
مائتان بحرف راء وعلم عليه من بيت القصيدة ستة وتسعين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور
الحمدى عشر وله سبعة عشر الباقى خمسة اضعف في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرر عليه المشى في الدور
الاول وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خال في ذمها قبله من السطح وهو واحد فادخل بواحد في
بيت القصيدة تكن سين اثبتة وعلم عليه اربعة ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لا ثبتنا الواحد
ثلاثة واضعف سبعة عشر بمثلها واسقط واحد واضعفها بمثلها وزدها اربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها
في الاوتار تقف على ستة اثبتها وعلم عليها واضعف خمسة بمثلها وادخل في البيت تقف على لام اثبتها وعلم
عليها عشرين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشر وله ثلاثة عشر الباقى واحد اضعف في
ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور آخر الادوار واخر المثلثات والاربعة والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانية زمامية وانما هي آحاد ثمانية وليس معنمان الادوار
الواحد فلزاد عن اربعة من مربعات اثني عشر او ثلاثة من مثلثات اثني عشر كانت ح وانما هي
د فاثبتها وعلم عليها من بيت القصيدة اربعة وسبعين ثم انظر ماناسها من السطح تكن خمسة اضعفها بمثلها
للاس تبلغ عشرة اثبتى وعلم عليها وانظر في أى المراتب وقعت وجدناها في الرابعة دخلنا بسبعة في
حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى التوليد المحرفى فكانت في اثبتها واضف الى سبعة واحد الدور
المجمل ثمانية ادخل بها في الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها ثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على
عشرة الدور فانها آخر مربعات الادوار بالمثلثات تبلغ اربعة وعشرين ادخل بها في بيت القصيدة وعلم على
ما يخرج منها وهو مائتان وعلامتها ستة وتسعون وهونهاية الدور الثاني في الادوار المحرفية واضرب على
حرفين من الاوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة وهذا العدد يناسب أبدا الباقى من حروف الاوتار بعد
طرحها ادوار وذلك تسعة فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار واضف
لها واحدا الباقى من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ ألف اثبتة
وعلم عليها ستة وتسعين وان ضربت سبعة التي هي ادوار المحرفى التسعين في اربعة وهي الثلاثة الزائدة
على تسعين والواحد الباقى من الدور الثاني عشر كان كذلك واضعف في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في
الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمامية واضرب تسعة في مائتان من السطح وذلك ثلاثة واضف لذلك سبعة
عدد الاوتار المحرفية واطرح واحد الباقى من دور اثني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها في البيت تبلغ
خمس فاثبتها واضف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول ثمانية عشر وخمسة في السطح وهو واحد ادخل
به في حروف الاوتار تبلغ م اثبتة وعلم عليه واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية وعلمها
سبعة عشر الباقى خمسة فاضعف في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة
عشر اضعف لها واحد الباقى من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل ستة عشر في بيت القصيدة تبلغ ث

وكانت الاحسان كان له
وانا المسمى اليه في المحكم
وروى أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله
تعالى اشد غضبي على
من ظلم من لا يجحدنا صرا
غيرى (وقال) ابن مسعود
لما كشف الله العذاب
عن قوم يونس ترادوا المظالم
حتى ان كان الرجل ليقطع
الحجر من أساسه فيرده الى
صاحبه وقال ثور بن زيد
الحجر في البنيان من غير حله
هر بون على خرابه وقال
غيره لو ان الجنة وهى دار
البقاء أسست على حجر من
الظلم لا وشت أن تحرب
وقال المحكم العدل حرمة
والظلم ظلمات فالعدل يجبر
الملك المحو المجور يحكم
عليك المحو المجور فاحذر من
لاجنة له الا لثقة بنزول
الغيب ولا سلاح له الا
الابتهال الى مقاب الدول
قال مالك بن دينار قرأت
في بعض الكتب بامعشر
الظلمة لا تحبالوا أهل الذكر
فانهم اذا ذكر وني ذكرتهم
برجعتى واذا ذكرتموني
ذكرتكم بلعتى وقال أبو
امامة يحمى الظالم يوم
القيامة حتى اذا كان على

جسدهم لقيه المظلوم وعرف ما ظلم به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم
من الحسنات فان لم يجددوا حسنات حمل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الاسفل من النار ومن صحح مسلم ان هشام بن
حكيم مر بالشام على أناس وقد أقدموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت قال ما هذا قال يعذبون في الخراج قال اما انى سمعت النبي

صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا واخبرني رجل ممن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ يكون عنده كاسين يدور حولهم فرايتهم في النوم بعد وفاته فقلت له من أين تجيء فقال لي لا تسأل فاعدت عليه فقال لا تسأل فساأته فقال من الجحيم فقلت له فإلى أين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف (٣١٣) لقيت قال وماذا لقيت كان ليحني

قد جعل في هاون ودق حتى

صار مثل المنخ (واخبرني)

رجل من أهل العلم والدين

قال رأيت فلانا لبياع في

النوم بعد وفاته فقلت

ما فعل الله بك قال أنا

محبوس عن الجنة قلت

فماذا قال كنت أبيع

في الدكان فيزدحم الناس

علي فأخذوا دراهمهم

فأضجعها في قبي وكلما

تفرغت وزنتها وأعطيت

كل انسان حقه فأخذت

في القضاة ثلاث فجاء

اثنان فدفعوا لخدمتهما

بقضاة الاخر وكانت

أنقص من فضته بحجة

ثم حوسبت فبقي على حبة

فقلت فادفع له الحبة

وتخلص فجعل يقلب

كفيه ويقول من أين

أدفع له من أين أدفع له

فكرها مرات (ويروى)

ان يونس عليه السلام

لما نبذ بالعراء وأنبت الله

عليه شجرة من يقطين

كان يأوي الى ظلها فيمست

فيه كي عليها فأوحى الله

تعالى اليه تبكي على شجرة

فقدتها ولا تبكي على مائة

الف أو يزيدون أردت

ان أهلكهم وقيل لابن

أثبتوه علم عليه أربعة وستين وأضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين وزدوا واحد الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدر الجدول تبلغ ثلاثين فمأية وانظر ما في السطح تجدوا واحد اثنته وعلم عليه من بيت القصة يدور هو التاسع أيضا من البيت وادخل بمسبعة في صدر الجدول تقف على ثلاثة وهي عشرات فأنبت لأم وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد فأنبت في ضلع ثمانية بواحد وأضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ سبعة عشر وواحد النتيجة تكون ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تكون لا ما اثنتها فهذا آخر العمل والمثال في هذا السؤال السابق اردنا ان نعلم ان هذه الزايرة علم محدث أو قديم بطالع أول درجة من القوس اثنتا عشرة حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون ادوارها سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس أربعة الدور الاكبر واحد درج الطالع مع الدور اثنان ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان للطالع خمسة بيت القصيد

سؤال عظيم الخلق خرت فغن اذن * غرائب شك ضبطه الحمد مثلا

حروف الاوتار ص ط ه ر ث ك ه م ص ص و ن ب ه س ا ن ل م ن ص
ع ف ص و ر س ك ل م ن ص ع ف ص ق ر س ث ث خ ذ ط غ
ش ط ي ع ح ص ر و ح ر و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه
و ز ح ط ي

* (حروف السؤال) * ا ل ز ا ي ر ج ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م

الدور الاول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث ١٣ الباقي ١ الدور الرابع ٩

الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس ١٣ الباقي ١ الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧

الباقي ٥ الدور التاسع ١٣ الباقي ١ الدور العاشر ١٣ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥

الدور الثاني عشر ١٣ الباقي ١ النتيجة الاولى ٩ النتيجة الثانية ١٧ الباقي ٥ النتيجة الثالثة

١٣ الباقي ١

(٤٠ - ابن خلدون) السماك الاسدي أيام معاوية كيف تركت الناس قال بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي وقال بعض الحكماء أفقر الناس أكثرهم كسبا من حرام لانه استمدان بالظلم ما لا بد له من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فسببه ووقع فيه فقال عمر ان الرجل ليظلم بالظلم ولا يزال المظلوم يشتم الظالم ويسببه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم حق عليه وقال

عمرو بن دينار دى رجل في بني اسرائيل من رأى في فلا يظلم أحد اذا وادرجل قد ذهب ذراعه من عضده وهو يبكي ويقول من رأى في فلا يظلم أحد - دافس - ل عن حاله فقال بينهم أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطى قد اصطاد تسعة أنوان فأخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت (٣١٤) رأسه فعض النون ابهامى عضته يسيرة ثم أكلناه فوقعت الاكلة في ابهامى فاتفتت الاطباء

على قطعه فقطعه فوقعت في كفى ثم ساء - دى ثم عضدى في رأى في فلا يظلم أحد اذا وادرجل قد ذهب ذراعه من عضده وهو يبكي ويقول من رأى في فلا يظلم أحد - دافس - ل عن حاله فقال بينهم أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطى قد اصطاد تسعة أنوان فأخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت (٣١٤) رأسه فعض النون ابهامى عضته يسيرة ثم أكلناه فوقعت الاكلة في ابهامى فاتفتت الاطباء

هـ ع ح و ٦٦ في اى ٦	
س ١	غ ٢٣
و ٢	ر ٢٤
ا ٣	ا ٢٥
ل ٤	ى ٢٦
ع ٥	ب ٢٧
ظ ٦	ش ٢٨
ى ٧	ك ٢٩
م ٨	ض ٣٠
ا ٩	ب ٣١
ل ١٠	ط ٣٢
خ ١١	هـ ٣٣
ل ١٢	ا ٣٤
ق ١٣	ل ٣٥
ح ١٤	ج ٣٦
ز ١٥	د ٣٧
ت ١٦	م ٣٨
ف ١٧	ث ٣٩
ص ١٨	ل ٤٠
ن ١٩	ا ٤١
ا ٢٠	
ذ ٢١	
ن ٢٢	

ف وزاوس ردا اس ا ب ا ر ق ا ع ا ر ص ح ر ح ل د ا ر س
ال دى و س ر ا د م ن ا ل ل
دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين الى أن تنتهى الى الواحد من آخر البيت وتنتقل الحروف جميعا والله أعلم ن ف روح روح ال و د س
ا درر س ر ه ال درى س و ان س د ر و ا ب لا ا م ر ب و ا ل ع ل ل
هذا آخر الكلام في استخراج الاجوبة من زايرة العالم منظومة وللقوم طرائق اخرى من غير الزايرة
يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم ان السر في استخراج الجواب منظوما من الزايرة انما

وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبأ الله به شيئا فاما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله وأما الظلم الذى لا يتركه الله فظالم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة ففاته ان يخرج فاستغفر الله دبر كل صلاة رجوت أن يخرج من مظلمته (وقال يوسف بن اسباط) توفي رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجدا شديدا وشكوا

ذلك الى المسيح صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره ودعا فاجابه الله تعالى وفي رحله نعلان من نار فسأل عيسى عن ذلك فقال والله ما عصيت
قط الا اني مرت عظامهم فلم أنصره فتمت هاتين النعتين وأما أنا فلو صب بك اذا فعلت باحدم مكر وهافادع الله تعالى له واستغفر له كما فعل
موسى عليه السلام لما أذى هرون وأخذ بلحيته ورأسه ثم تبين له براءته وان بنى اسرائيل (٣١٥) غلبه عليه وعلى عبادة العجل

فقال رب اغفر لي ولا تخي
وأدخلنا في رحمتك وأنت
أرحم الراحمين (وروي)
ان قوم لوط كانت فيهم
عشرة خصال فاهلكهم
الله بها كانوا يتعوطون في
الطرق وتحت الاشجار
المثمرة وفي المياه الجارية
وفي شطوط الانهار وكانوا
يخذفون الناس بالخصي
فدمونهم واذا اجتمعوا في
المجلس أظهر والمنكر
بأخراج الریح منهم والطم
على رقابهم وكانوا يرفعون
ثيابهم قبل أن يتعوطوا
ويأتون بالطامة الكبرى
وهي اللواط قال الله تعالى
أنتم كنتم تأتون الرجال
وتقطعون السبل وتأتون
في ناديكم المنكر والنأدي
المجلس ويلعبون بالجمام
ويرمون بالجمام
وضرب الدف وشرب الخمر
وقص اللحية وتطويل
الشارب والتضييق ولبس
الحجرة وتزويد عليهم هذه
الامية باتسان النساء
بعضهن بعضا وانما جعلهم
على آتيان الرجال انهم
كانت لهم ثمار كثيرة في
منازلهم وحوادثهم فاصابهم
قحط وقلة من الثمار فقالوا

هو مزجهـم بيت مالك بن وهيب وهو سؤال عظيم الخلق البيت ولذلك يخرج الجواب على رويه وأما
الطرق الاخرى فيخرج الجواب غير منطوق فمن طرائقهم في استخراج الاجوبة ما نقله عن بعض المحققين منهم

(فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الخفية)

اعلم ارشدنا الله واياك ان هذه الحروف أصل الاسئلة في كل قضية وانما تستنتج الاجوبة على تجزئته
بالكلية وهي ثلاثة وأربعون حرفا كما ترى والله علام الغيوب او ل ا ع ط س ا ل م خ ي د ل ز
ق ت ا ر ذ ص ف ن غ ش ا ك ي ب م ص ب ح ط ل ج ه د ن ل ث ا
وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مشددا من حرفين وسماه القطب فقال

سؤال عظيم الخلق خرت فصن اذن * غرائب شك ضبطه الحمد مثلا
فاذا أردت اسئلة تنال المسئلة فاحذف ما تكره من حروفها وأثبت ما فضل منه ثم احذف من الاصل وهو
القطب لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يماثله وأثبت ما فضل منه ثم اخرج الفضائل في سطر واحد تبدأ
بالاول من فضله والثاني من فضل المسئلة وهكذا الى أن يتم الفضلان أو ينقذ أحدهما قبل الآخر فتضع
البقية على ترتيبها فاذا كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقا لعدد حروف الاصل قبل الحذف
فالعامل صحيح حينئذ تضيف اليها خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية وتكمل الحروف ثمانية
وأربعين حرفا تعمر بها جدول لا رمع ما يكون آخر ما في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وتنقل البقية على
حالتها وهكذا الى أن تتم عمارة الجدول ويعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة
الحركة ثم تخرج وتر كل حرف بقسمة مربعة على أعظم جزئيه وذلك وتضع الترتيب مقابلا لحرفه ثم تستخرج
النسب العنصرية للحروف المحدولة وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائزها النفسانية
وأصولها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وهذه صورته

ا	القوى	الموازين	الغرائز	الاسوس	و
ب	٢٨ هـ	٤ هـ ٦ لا	٤	ص ح	الموازين
ج	٤ ٣ ٢	ح ر لا	٣٠ لا	ر ح	ط
د	٤ ٣ ٢	ر س ع	٣٠ لا	ر ٣٦	ط
هـ	٨ ٣	لا ١٤	و ٣٢	ع ٨	ط
و			ر ٣٢	هـ ٨	ط
ز			ك ٣٢	و ٤	ط

ب ا ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

بأى شئ تمنع ثمارنا حتى لا يطرقها أحد من الناس فاصطلموا على ان من وجدوه فيها نسكوه وغرموه أربعة دراهم ففعلوا وما سبقتهم بها
أحد من العالمين قال ابن عباس فكان بدء الفاحشة فيهم أنهم هموا بذلك فجاءهم ابليس في هيئة صبي أجمل شئ رآه الناس فنسكوه
وتجبروا على ذلك وقال أبو العتاهية أما والله ان الظالم لثوم ولكن المني هو الظالم الى ديان يوم الدين غصبي وعند الله فيجمع المخصوص

سل الأيام عن أم تقصت * فتخبرك المعالم والرسوم (وروى) أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب فعلمه حتى فاق في العلوم
فضر به المعلم يومان غير ذنب فاجتمع فمدا أنوشروان عليه فلما ولي الملك قال له ما جاء لك على ما صنعت من ضر بي يوم كذا وكذا فظن
قال لما رأيتك ترغب في العلم (٣١٦) رجوت لك الملك بعد أبيك فاجبت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه

*(الباب السابع والخمسون)
في تحريم السعاية والنميمة
وقبحهما وما يؤل إليه
أمرهما من الأفعال الرديئة
والعواقب الذميمة *
قال الله تعالى ولا تطع كل
حلاف مهين هما زمشاء
بنميم مناع للخير معتد أثيم
عتل بعد ذلك زميم فذكر
الله تعالى في القرآن أصناف
أهل الكفر والالحاد
والثعلث وأهل الدهر
والظلم والفسوق وأشباههم
ولم يسب الله سبحانه أحدا
منهم إلا انمام في هذه
الآية وحسبك بها خمسة
ورذيلة وستوطا وضعة
وهذه الآية ترات في الوليد
ابن المغيرة في أصح الأقوال
والهامة المغتاب الذي يأكل
لحموم الناس الطاعن فيهم
وقال الحسن البصري هو
الذي يغمز بأخيه في المجلس
وهو الهمة المارة والعتل في
اللغة الغليظ وأصله من
العتل وهو الدفع بالقوة
والعنف وقال علي رضي
الله عنه والحسن البصري
العتل الفاحش السيئ
الخلاق وقال ابن عباس
العتل القاتل الشديد
المنافق وقال عبيد بن عمير

ثم تأخذ وتركل حرف بعد ضر به في أسوس أو تاد الفلك الأربعة واحدة ذر ما يلي الأوتاد وكذلك السواقط
لأن نسبتهم مضطربة وهـ ذالخارج هو أول رتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتخط منها أسوس
المولدات يبقى اس عالم الخلق بعد عرضة لمدد الكونية فتحمّل عليه به بعض المجردات عن المواد وهي
عناصر الامداد يخرج أفق النفس الاوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط
وهذا مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الاوسط يخرج
الأفق الاعلى فتحمّل عليه أول رتب السريان ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث
رتبة السريان فنضرب مجموع أجزاء العناصر الأربعة أبدأ في رابع مرتبة السريان يخرج أول عالم التفصيل
والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في
الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع عوالم التفصيل وتخط من عالم السكّل تبقى العوالم المجردة فتقسم
على الأفق الاعلى يخرج الجزء الاول ويقسم المنقسم على الأفق الاوسط يخرج الجزء الثاني وما انقسم
فهو الثالث ويتعين الرابع هذا في الرابع وان شئت أكثر من الرابعي فتقسم أكثر من عوالم التفصيل
ومن رتب السريان ومن الأوقاف بعد الحروف والله يرشدنا وإياك وكذلك اذا قسم عالم التجريد على أول
رتب السريان يخرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الاخيرة من عالم الكون فافهم
وتدبر والله المرشد المعين * ومن طريقهم ايضا في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم ايدينا
الله وإياك بروح منه ان علم الحروف جليل يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين
العالم وللعلم به شرط تلترمز وقد يستخرج العالم اسرار الخلق وسرار الطبيعة فيطلع بذلك على نتيجتي
الفلسفة أعني السيميا وأختها ويرفع له حجاب الجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد شهدت
جساعة بارض المغرب عن اتصال بذلك فأظهر الغرائب وخرق العوائد وتصرف في الوجود بتأيد الله
واعلم ان ملائكة كل فضيلة الاجتهاد وحسن المداينة مع الصبر مفتاح كل خير كما أن الخرق والعجالة رأس
الحمرمان فاقول اذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفبايطوس اعني أبجد الى آخر العدد وهذا أول
مدخل من علم الحروف فانظر ما لذلك الحرف من الأعداد فلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته
في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله تخرج لل قوته في الروحانيات وهي وتره وهذا في الحروف المنقوطة
لا يتم بل يتم لغير المنقوطة لان المنقوطة منها مراتب المعاني تأتي عليها البيان فيما بعد وادع اعلم ان لكل شكل
من أشكال الحروف شكلا في العالم العلوي اعني الكسبي ومنها المتحرك والساكن والعلوي والسفلي كما
هو مرقوم في أما كنه من الجدول الموضوع في الزيار واعلم ان قوى الحروف ثلاثة أقسام الاول
وهو أقلها قوة تظهر بعد كتابتها فتكون كقوته لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم فتخرج
ذلك الحرف بقوة نفسانية وجميع هـ مة كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم الاجسام الثاني قوتها في الهيمنة
الفكرية وذلك ما يصدر عن تصرف الروحانيات لها فهي قوة في الروحانيات العلويات وقوة شـ كلمة
في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجب مع الباطن أعني القوة النفسانية على تكوينه فتكون قبل النطق
به صورة في النفس بعد النطق به صورة في الحروف وقوة في النطق واما طبايعها فهي الطبيعية
النسوبة للمولدات في الحروف وهي الحرارة واليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة

والرطوبة
العتل الاكول الشروب القوى الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال يمان هو الحافي القاسي اللثيم
العسر وقال مقاتل العتل الضخم وقال السكبي الشديد في كفره عند العرب عتل وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزئيم هو
الذي لا يعرف من ابوه قال حسان بن ثابت * وأنت زئيم نبط في آل هاشم * كما نبط خلف الراكب القديح الفرد (وقال غيره)

زئيم ليس يعرف من أبوه * بنى الام ذو حاسب لثيم وقال أ كثر النقلة هـ ذ ا و ج ل ا ن ا د ع ا ه ا ب و ه د ث م ا ن ي عشرة سنة وعن هذا قال القدماء لا يكون غمما الا وفي نسبه شئ وسعى رجل الى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أ كشف عنك فكشف عنه فاذا هو لغير رشدة يعني ولد زنا وقال أبو موسى الأشعري لا ينبغي على الناس (٣١٧) الاولد بنى وقيل الزئيم الذي

له زئمة في عنته يعرف بها كما تعرف الشاة قال ابن عباس لما وصفه الله تعالى بذلك الحال المذمومة لم يعرف حتى قيل زئيم فعرف لانه كانت له زئمة يعرف بها كما تعرف الشاة بزئمتها (ومن ذلك) قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة تزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معيط بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الواقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا يلقونه تعظيما لآمر النبي صلى الله عليه وسلم ففرغ ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال منعوني صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف أمرهم فوجد ما قاله كذبا فزلات هذه الآية وسماه الله تعالى فاسقا (ومن ذلك) قول الله سبحانه سمعون للكذب أ كالون للسهرة فشرى الله تعالى بين السامع والقائل في القبح وسأوى بينهم في الذم فكان فيه تنبيه على ان السامع غم في الحكم

والرطوبة فهذا سر العدد اليما في الحرارة جامعة للهواء والنار وهما ا ه ط م ف ش ذ ح ز ك س ق ث ظ والبرودة جامعة للهواء والماء ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة للنار والارض ا ه ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض فهذه نسبة حروف الطبائع وتداخل أجزاء بعض هـ ا في بعض وتداخل أجزاء العالم في عالميات وسـ فليات باسم باب الامهات الاول اعني الطبائع الاربع المنفردة غي اردت استخراج مجهول من مسـئلة ما حقق طالع السائل او طالع مسئلته واستنطق حروف او تادها الاربعة الاول والرابع والسابع والعاشر مسـتوية مرتبة واستخرج اعداد القوى والاول تاد كـ مسـمين واجل وانسب واستنتج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ أو بالمعنى وكذلك في كل مسألة تقع لك بيانه اذا اردت أن تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والمحاجة فاجمع اعدادها بالجميل الكبير فـ كان الطالع الجميل رابعه السرطان سابعه الميزان عاشره الجـدى وهو أقوى هذه الاول تاد فأسـقط من كل برج حرفي التعريف وانظر ما يخص كل برج من الاعداد المنطقة الموضوعة في دائرتها واحذف اجزاء الكسرى في النسب الاستنطاقية كلها وأثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم اعداد حروف العناصر الاربعة وما يخصها كالاول وارسم ذلك كله أحرفا ورتب الاول تاد والقوى والقرائن سـطرا مـتر جا وكسر واضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستنتج الجواب يخرج لك الضمير وجوابه مثاله افرض ان الطالع الجميل كما تقدم ترسم ح م ل فـ لـ الحاء من العدد ثمانية لها النصف والربع والثلث د ب ا الميم لها من العدد أربع لها النصف والربع والثلث والعشر ونصف العشر اذا أردت التدقيق م ل ك ي ه د اللام لها من العدد ثلاثون لها النصف والثلثان والثالث والخميس والسادس والعشر ك ي و ه ج وهكذا تفعل بسائر حروف المسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك وأما الاستخراج الاول تاد فهو ان تقسم مـربـع كل حرف على أعظم جزء يوجد له مثاله حرف دله من الاعداد اربعة مـربـعها ستة عشر اقسـمها على أعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع كل وتر مقابل الحرف ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم في شرح الاستنطاق ولها قاعدة تطرد في اسمـ استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحل فيه من الجـدول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح والله اعلم

(فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين المحرفية)

وذلك لو سأل سائل عن عبد لم يعرف مرضه ما علمته وما الموافق لبرئته منه فخر السائل ان يسمى ماشاء من الاشـياء على اسم العـلة الجـهولة لتجعل ذلك الاسم قاعدة لك ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة ان أردت التدقيق في المسئلة والاقتصر على الاسم الذي سماه السائل وفعلت به كما ينبغي فاقول مثلا سمى السائل فرسا فثبت الحروف الثلاثة مع اعدادها المنطقة بيانه ان اللقاء من العدد ثمانين ولها م ك ي ح ب ثم الراء لها من العدد مائتان ق ن ل ك ي ثم السين لها من العدد ستون ولها م ل ك فالواو عدد تام له د ج ب والسين مثله ولها م ل ك فاذا بسطت حروف الاسماء وجدت عنصرين متساويين فاحكم لاكثرهما حروفا بالغلبة على الآخر ثم احل قوله لعل هذه عبارة بعض المشاركة لان هذا ترتيب المشاركة لا ترتيب المغاربة الذي قدمه اه

(وأما ما روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم) فروى مسلم في الصحيح قال همام كنا مع حذيفة فقبل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال حذيفة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفي لفظ آخر غمام وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بشراكم قالوا بلى يا رسول الله قال من شراكم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذوا الوجه - ملعون ذوا اللسانين ملعون كل ساء فاملعون كل ثقات ملعون كل منان فالسقاء المحرس بين الناس ياتي بينهم العداوة والقنات النمام الذي يعمل الخير ويمن به وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال (٣١٨) انهما البعذاب وما يعذبان في كثير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر

عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون بسط وكذلك اسم الطالب واحكم للاكثر والا قوى بالغلبة
وصفة قوى استخراج العناصر

بياض بالاصل

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعه البرودة واليبوسة طبع السواد فتسكن على المر يض بالسوداء فاذا ألقت من حروف الاستنطاق كلاما على نسبة تقر بيده خرج موضع الوجود في الحلق ويوافق من الادوية حقنة ومن الاشربة شراب الليمون هذا ما خرج من قوى أعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقر يبي مختصر وأما استخراج قوى العناصر من الاسماء العلمية فهو ان تسمى مثلا محمدا فتترسم احرفه مقطعة ثم تضع اسماء العناصر الاربعة على ترتيب الفلك يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

ناري	ترابي	هوائي	مائي
ا ا ا	ب ب ب	ج ج ج ج ج	د د د د د
ه ه ه	و و و	ز ز ز ز ز	ح ح ح ح ح
ط ط ط	ي ي ي	ك ك ك ك ك	ل ل ل ل ل
م م م	ن ن ن	ص ص ص ص ص	ع ع ع ع ع
ف ف ف	ض ض ض	ق ق ق ق ق	ر ر ر ر ر
س س س	ت ت ت	ث ث ث ث ث	خ خ خ خ خ
ذ ذ ذ	ظ ظ ظ	غ غ غ غ غ	ش ش ش ش ش

فتعد أقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لان عدد حروفه عشرة وحرفاته ثمانية الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا يفعل بجميع الاسماء حينئذ تضاف الى اوتارها والوتر المنسوب للطالع في الزايرة اولوتر البيت المنسوب لمالك بن وهيب الذي جعله قاعه لمرج الاسئلة وهو هذا سؤال عظيم الخلق خرت فصن اذن غرائب شلت ضبطه الحمد مثلا وهو وتر مشهور لاستخراج الجبهولات وعلمه كان يعتمد ابن الرقام واصحابه وهو عمل تام قائم بنفسه في المثالات الوضعية وصفة العمل بهذا الوتر المذكور ان ترسمه مقطعة بترجبا لفاظ السؤال على قانون صنفه التكسير وعدة حروف هذا الوتر اعني البست ثلاثة واربعون حرفا لان كل حرف مشدود من حرفين ثم تحذف ما تكرر عند المخرج من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يماثله وتثبت الفضلين سطر اعتر جابعه ببعض الحروف الاول من فضلة القطب والثاني من فضلة السؤال حتى يتم الفضلان جميعا فتكون ثلاثة واربعين فضلة يضاف اليها خمس نونات ليكون ثمانية واربعين فضلة يدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضلة على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة بعد المخرج يوافق العدد الاصل قبل

فكان يمشي بالنميمة فاخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين فغرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم فعلت هذا قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك ببركة يده صلى الله عليه وسلم (وأما السعاية) الى السلطان والى كل ذي قدرة وممكنة فهي المهلكة والمخالقة تجتمع الى الخصال المذمومة الغيبة ولؤم النميمة والتغدير بالنفوس والاموال والقديح في المنازل والاحوال وتسلب العز يزعه وتخط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم من دم اراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة باغ وكم من صفين تقاطعا ومن متواصلين تباعدوا ومن محبين نباغضا ومن القيين تهاجرا ومن زوجين افترقا فليست في الله ربه رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار ان يصيح لساع او يسمع لنمام وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث والافلاخ فالديوث الذي يجمع بين النساء والرجال سمي بذلك لانه يذث بينهم والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء لانه يقصد الرجل المتمكن عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يلقاه (وقال) كعب اصاب الناس قحط شديدا صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يستسقي بني اسرائيل فلم يستقوا ثم خرج ثانية فلم يستقوا ثم خرج الثالثة فادعى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم ما فقال يارب من

الحذف

بزال يقع فيه حتى يلقاه (وقال) كعب اصاب الناس قحط شديدا صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يستسقي بني اسرائيل فلم يستقوا ثم خرج ثانية فلم يستقوا ثم خرج الثالثة فادعى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم ما فقال يارب من

حتى نخرج من بيننا فاحي الله تعالى اليه يا موسى أنها كم عن النعمة وآتيها فابوا فإرسل الله سبحانه عليهم الغيث * وما لقي أسقف
نجران عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل يأتي الامام بالحديث
الكذب فيقبله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما أراك (٣١٩) أبعدت ووجدنا في حكم القدماء أبغض

الناس الى الله المثلث قال
الاصمعي هو الرجل يسعى
بالنميمة ياخيه الى الامام
فيهلك نفسه وأخاه وامامه
(وذكرت السعاية) عند
المأمون فقال لو لم يكن من
عبيهم الا أنهم أصدق ما
يكونون أبغض ما يكون
عند الله تعالى * وقال حكيم
القرن الصدق زين كل
أحد الا السعاية فان الساعي
أذم وآثم ما يكون اذا
صدق (وروي) ان رجلا
سعى بحار له عند الوليد بن
عبد الملك فقال له الوليد أما
انت فتخبرنا انك جارسوء
ان شئت ارسلنا معك فان
كنت صادقا أبغضناك وان
كنت كاذبا عاقبناك وان
شئت تاركناك قال تاركني
يا أمير المؤمنين قال قد
تاركناك * ولله در الاسكندر
حين وشى اليه واش بهرجل
فقال له الاسكندر ان شئت
قبلناك على صاحبك بشرط
ان نقبله عليك وان شئت
أقلناك قال أقلني قال قد
أقلناك كف عن الشر بكف
عنتك الشر (ومن العجب)
الذي لا عجب بعده ان
الرجل يشهد عندك في
باقية بقل فلا تقبله حتى

الحذف فالعمل صحيح ثم عمر بما خرجت جنولا لم يعايدكون آخرا في السطر الاول اول ما في السطر الثاني
وعلى هذا النسق حتى يعود السطر الاول بعينه وتوالي الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتركل
حرف كما تكتب دم وتضعه مقابل الحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية لتعرف قوتها
الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائزها النفسانية وأسوسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وصفة
استخراج النسب العنصرية هو ان تنظر الحرف الاول من الجدول ما طبيعته وطبيعته البيت الذي حل
فيه فان اتفقت فحسن والا فاستخرج بين الحرفين نسبة ويتبع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية
وتحقيق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دوائرها الموسيقية ثم تأخذ وتركل حرف بعد حربه
في أسوس او تاد الفلك الاربعة كما تقدم واحذر ما يلي الا وتاد وكذلك السواقط لان نسبتها مضطربة وهذا
الذي يخرج الك هو أول مراتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتحط منها أسوس المولدات يبقى اس
عالم الخلق بعد عروضة للاد الكونية فتحمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج
أفق النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص
بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج الافق الاعلى
فتحمل عليه اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث رتبة السريان
ثم تضرب مجموع أجزاء العناصر الاربعة ابدافى رابع رتب السريان يخرج اول عالم التفصيل والثاني في
الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل تبقى
العوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى يخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل في التامة وله مقامات
في كتب ابن وحشية والبوني وغيرهما وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي المحكمى في هذا الفن
وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزياج الحرفية والصناعة الالهية والنيرجات الفلسفية
والله الملموم به المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل

٢٤ * (علم الكيمياء) *

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك
فيتصفون المكونات كلها بعد معرفة اخرجتها وقواها العلم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من
الفضة لان الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضة لاعتن المعادن ثم يشرح الاعمال التي
تخرج بها تلك المادة من القوة الى الفعل مثل حل الاجسام الى أجزاءها الطبيعية بالنصعيد والتقطير وجد
الذائب منها بالتكليس واماء الصلب بالفهر والصلابة وامثال ذلك وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات
كلها جسم طبيعي يسمى بونه الا كسير وانه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب والفضة
بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد ان يحوى بالنار فيعود ذهب البريزا
ويكنون عن ذلك الا كسير اذا الغرو اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسم قد فشرح
هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقابل هذه الاجساد المستعدة الى صورة الذهب
والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديميا وحديثا ويرى الكلام فيها الى من ليس
من أهلها وامام المدونين فيها جابر بن حبان حتى انهم يخصونها به فيسمونها علم جابر وله فيها سمعون رسالة

تسأل الناس عنه هل هو من أهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة ثم يتم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله * وقال يحيى
ابن زيد قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما ما سقي السم اخبرني من سقاك فدمعت عيناه وقال أنا في آخر قدم من الدنيا وأول قدم من
الآخرة تأمرني ان أغمر * قال رجل للهدى عندي نصيحة يا أمير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه ألتأام لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك

يا أمير المؤمنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا أقبح حالا من قبل سعائته ولا تخولون ان تكون حاسدة نعمة فلا تشفى العظيمة
أو عدوا فلا تعاقب لك عدوك ثم أقبل على الناس وقال أيها الناس لا ينصح لنا ناصح إلا بما لله فيه رضا والمسلمين فيه صلاح (وروى)

ان ساعيا سعي برجل الى الفضل بن (٣٢٠) سهل فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية أشرف من السعاية لان السعاية دلالة

والقبول اجازة وليس من
دل على شيء مكن قبل واجاز
لان من فعل أشرف من قال
(وروى) ان رجلا رفع
الى المنصور نصيحة فوقع على
ظهرها هذه نصيحة لم يرد بها
وجه الله تعالى ولا جواب
عندنا لمن آثرنا على الله تعالى
(وروى) ان رجلا قال
للمأمون يا أمير المؤمنين الله
الله في أصحاب الاخبار فانهم
قوم ان أعطوا كذبوا وان
حرموا كذبوا فان أعطوا
مدحوا وهم كاذبون وان
حرموا ذموا وهم كاذبون
فقال المأمون لله درهمان كلمة
ما أقصدها وأبين فضلها وأمر
ان تثبت في أمور أصحاب
الاخبار (وقال مروان بن
زنباع) العبد يابى
عبدس احفظوا عني ثلاثا
من نقل اليكم نقل عنكم
وياكم والترويح في البيوتات
السوء واستكثروا من
الصديق ما استعظم
واستقلوا من العدو ما
استعظم فان استكثره
يمكن * وقال بعض الحكماء
احذروا اعداء العقول
واصوص المودة وهم
السعاة والنمامون اذا سرق
للصوص المتاع سرقوا

كلها شبيهة بالاغار وزعموا انه لا يفتح مقفلها الا من احاط علما بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق
المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع اهلها وغديره من الحكماء وكتب فيها مسائل المجري طي من
حكماء الاندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكميم وجعله قرينا للكتاب الاخر في السحر والطلسمات الذي
سماه غاية الحكميم وزعم ان هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما
فهو فاقدة ثمره العلم والحكمة اجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تأليفهم هي الغاية في
فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك ونحن نذكر سبب عدولهم الى هذه الرموز والاغار ولا ين
المعبر بي من أئمة هذا الشأن كلمات شريفة على حروف المعجم من ابداع ما يجي في الشعر من غزوة كلها
لغز الا حاجي والمعاينة فلا تكاد تفهم وقد ينسبون للغز الى رحمة الله بعض التأليف فيها وليس بصحيح لان
الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف عن خطا ما يذهبون اليه حتى يتحمله ويرى اناس به وبعض المذاهب
والاقوال فيها الخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البين ان خالد بن الجليل
العربي والبدوة اليه اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالحجة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مجتدة
على معرفة طبائع المركبات وأخرجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطببيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم
اللهم الا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبها باسمه فمكن * وأنا نقل لك هنا
رسالة ابى بكر بن بشرون لابي السمع في هذه الصناعة وكلاهما من تليذ مسلمة فيستدل من كلامه فيها على
ما ذهب اليه في شأنها اذا اعطيت حقه من التأمل قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض
والمقدمات التي لهذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون واقص جميعها أهل الفلسفة من معرفة تكون
المعادن وتحتاق الاجار والجواهر وطباع البقاع والاما كن فنعنا اشتهاها من ذكرها ولا كن أبين لك من
هذه الصنعة ما يحتاج اليه فيبدأ معرفته فتدقوا لينا في لطلاب هذا العلم ان يعلموا اول ثلاث خصال اولها
هل تكون والثانية من أي تكون والثالثة من أي كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاثة وأحكامها فقد
ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم فأما البحث عن وجودها والاستدلال عن تكونها فقد كفيينا
بما بعثنا به اليك من الاكسبروامان أي شيء تكون فانما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه
العمل وان كان العمل موجودا من كل شيء بالقوة لانهم من الطبائع الاربع منها تر كبت ابتداء واليها
ترجع انتهاء وليكن من الاشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان منها ما يمكن تفصيلها ومنها
ما لا يمكن تفصيلها فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهى التى تخرج من القوة الى الفعل والتى يمكن
تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لانها في بالقوة فقط وانما لم يمكن تفصيلها الا ستمغراق بعض طبائعها في بعض
وفضل قوة الكبير منها على الصغير فينبغي للاب وفقك الله ان تعرف أوفى الاجار المنفصلة التى لا يمكن فيها
العمل وجنسها وقوته وعمله وما يدبر من الحلال والعقد والتمنية والتكليس والتشيق والتقليب فان من لم
يعرف هذه الاصول التى هي عماد هذه الصنعة لم ينجح ولم يظفر بخير أبدأ وينبغي لك ان تعلم هل يمكن ان
يسمعان عليه بغيره او يكتب به وحده وهل هو واحد في الابداء او شاركه غيره فصار في التدبير واحدا
فسمى حجرا وينبغي لك ان تعلم كيفية عمله وكيفية اوزانه وأزمانه وكيف تتركيب الروح فيه وادخال
النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعد تدبر كيمها فان لم تقدر فلا علة وما السبب الموجب لذلك

فان

المودات * وقال حكيم العرب اياك والسعاة فانهم اعداء عقلك ولصوص عدلك فيقرقون

بين قولك وفعلك (وفي المثل السائر) من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد يقطع الشجر فينبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان
لا يندمل جرحه واحق الناس برعاية ما رسمته من هذه الخلال ونقائمه من هذه الحكم واستودعته من هذه السيرة من آتاه الله سلطانا

ويمكن له في الارض قدما فذو القدرة اذا اطاع الواشي هلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقول من اراد ان يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فيجعل نفسه بينهم وبينهم قاضيا عدلا ويحكم بالعدل ولا يقبل احدا في احد ولا في نفسه الا بشهود وتعديل فان اقاد اجنبنا يقول اقوام وابعضنا يقول آخرون فاصبحنا نادمين ومن اطيف حكمة الله تعالى في النعمة لماعلم (٣٢١) من شؤمها واستطارة شرورها

وعوم مضرتها في الوري
حكم يفسق النمام حتى لا
يقبل له قول فيستريح
الخلق من شره (وقال ابن
عمر) وفدا لله الحاج ووفد
الشیطان قوم يرسلهم
السلطان الى الناس
ويسألهم عن حالهم فيخبرونه
ان الناس راضون وليسوا
براضين واعلموا ان الله
تعالى خلق الانسان على
انحاء شتى لسانا ذكرا
الاثن لذكرتها وطول
تبعها فخلق الله الحواس
الشریفة والاعضاء
النافعة النفیسة فمن
أفضل ما ركب فيه اللسان
الذي هو آلة النطق
والبيان وبه فصل بينه
وبين البهائم ثم فضله على
سائر الحيوان وامتن عليه
في اول سورة الرحمن فقال
تعالى الرحمن علم القرآن
خلق الانسان علمه البيان
وخلق فيه أعضاء تدل
وتستهان وجعلها مجرى
للفصول الطعام والشراب
فمن يتبع سقطات الكلام
ويروى عثرات الانام التي
هي كالعو رات الواجب
سرها ودفنها كان قد
استعمل اشرف الاسلالت

فان هذا هو المطلوب فافهم واعلم ان الفلاسفة كلها مدحت النفس وزعمت انها المدبرة للجسد والحاملة
له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة
والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكر الجسد والنفس لان هذه الصفات شبيهة بجسد
الانسان الذي تركب عليه على الغدا والعشاء وقوامه وتماها بالنفس الحية النورية التي بها يفعل العظام
والاشياء المتقابلة التي لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التي فيها وانما انفعل الانسان لاختلاف تركيب
طبائعه ولوانعقت طبائعه لسلبت من الاعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه ولا كان
خالدا باقيا فسبحان مديبر الاشياء تعالى واعلم ان الطبائع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في
الابتداء فضية محتاجة الى الانتهاء وليس لها اذا صارت في هذا المحل ان تستحيل الى ما منه تر كبت
كما قلناه آتفاق الانسان لان طبائع هذا الجوهر قد لزمت بعضها بعضا وصارت شيئا واحدا شيئا بالنفس
في قوتها وفعالها بالجسد في تركبها ومجسمة به بدان كانت طبائع مقردة باعيانها فبما عجمان
افاعيل الطبائع ان القوة للضعيف الذي يقوى على تفصيل الاشياء وتر كبتها وتماها فلذلك قات
قوى وضعيف وانما وقع التغير والتقاء في التركيب الاول للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق
وقد قال بعض الاوابع التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقاء والتر كيب موت وفناء وهذا الكلام
دقيق المعنى لان الحكيم اراد بقوله حياة وبقاء خروجه من العدم الى الوجود لانه مادام على تركبها الاول
فهو فان لمحالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم القناء والتر كيب الثاني لا يكون الا بعد التفصيل
والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المحلول انبسط فيه لعدم الصورة
لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه لا وزن له فيه وسترى ذلك ان شاء الله تعالى
وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط اللطيف باللطيف أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما اراد بذلك
التشاكل في الارواح والاحساد لان الاشياء تتصل بالاشياء كالماء في كرت الماء ذلك لانه علم ان العمل اوفق
وايسر من الطبائع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الجسمانية وقد يتصور في العقل ان الاجزاء اقوى
واصبر على النار من الارواح كما ترى الذهب والمديد والنحاس اصبر على النار من الكبريت والزئبق
وغيرهما من الارواح فاقول ان الاجساد قد كانت ارواحا في بدنهم فلما اصابها حر الكيان قلبها احسادا
لزجة غليظة فلم تقدر النار على اكلها الا فراط غلظها وتزجها فاذا افرطت النار عليها صيرتها ارواحا كما
كانت اول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة اذا اصابها النار ابلقت ولم تقدر على البقاء عليها فيذبحي لك ان
تعلم ماصير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو اجل ما تعرفه اعقول انما ابلقت تلك
الارواح لاشتتعالها ولما فتها وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها ولان النار اذا احسنت بالرطوبة تعلقت بها
لانها هوائية تشاكل النار ولا تزال تغتذى بها الى ان تنفد وكذلك الاجساد اذا احسنت بوصول النار اليها
لعلها تلزجها وغلظها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من ارض وماء صابر على النار
فاطيفه مقصد بكيفية لطول الطبخ اللين المازج للاشياء وذلك ان كل من لا شيء لاشي بالشار لمفارقة
لطيفة من كثيفة ودخول بعضها في بعض على غير التحليل والمواقفة فصارت ذلك الانضمام والتداخل
مجاورة لا تمازج فسهل بذلك افتراقهما كالماء والدهن وما أشبههما وانما وصفت ذلك لتستدل به

(٤١ - ابن خلدون)

في اخص المستعملات فصارت كمن محس بلسانه سواء أخيه وجعل

أكرم جوارحه لاختس اجناس المستعرضين ورضي ان يقع من الناس موقع الذباب من الطير يتبع ثقل الجسد ويحتاج الى صيحه وقد
كان له في نشر الحاسن شغل ولا يكن أهل كل ذي حال أولى بها وفي هذا سبق المثل ان لم تكن ملحا تصليح فلا تكن ذبابا تفسد ومن لم يقدر

على جميع الفضائل فليكن هـ - منه ترك الرذائل واذا تتبع الامام عورات الناس افسدهم (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوما فسمع قوما من اصحابه يخفون فامتنع من الخروج اليهم حذر أن لا يفسد قلبه عليهم ولوعلم الذي يسمع اخبار الناس ما جنى على نفسه لعلم ان اصمم كان أهنأ (٣٢٢) لعيشه وانعم لباله من سماع الاخبار يا واحد ما ذا عمل ثقلة الاخبار جعلوا اليك الصدق

او الكذب فتكون في سماع الكذب بمن قال الله تعالى فيه سماعون للكذب ا كالون للسمحت وتكون في سماع الصدق جمالا اللهم حرج الصدور على الخلق معاديا لهم متبعي العثرات الخلق وخرانا لسطواتهم قد وعيت منهم ما يجب ستره وحفظت ما يجب نسيانه ثم لا تستطيع النصفه من قائل لانك ان كنت ذا قدرة اهلك الرعية ثم لا تستطيع ان تهلك جميع الرعية وان كنت سوقة لم يشف غيظك ثم افسدت اخوانك وابغضت من يجب أن تحبه واحببت من يجب أن تبغضه ثم لا تزال تتحمل الخسائر وتريد الاحقاد والضغائن وترصد اكل قائل يوما يشقى صدرك فيه فما أغنى العاقل عن هذه البلية ولله در عمرو بن العاص روى انه لا حاره رجل يوما فقال له الرجل أما والله ان عشت لاتفـ رغن لك فقال له عمرو بن العاص الا ان وقعت في الشغل يا ابن أخي (الباب الثامن والخمسون في القصص وحكمته) *

على تركيب الطبائع وتعالها فاذا علمت ذلك علما شافيا فقد أخذت حظك منها وينبغي لك أن تعلم ان الاخر لا ط الا التي هي طبائع هذه الصناعة موافقة بعضها لبعض مفصلة من جوهر واحد يجمعها نظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب في الجز منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا حكمت تدبير الطبائع وتأليفها ولم تدخل عليها غريب بافقدت احكامها وقوامها اذا الطبيعة واحدة لا غريب فيها فمن أدخل عليها غريب بافقدت رايها وغربا وقع في الخطا * واعلم ان هـ هذه الطبيعة اذا دخل لها جسد من قرائنها على ما ينبغي في الحل حتى يشا كلها في الرقة واللاطفة انبسط فيه وجرحت معه حيثما جرى لان الاجساد مادامت غليظة جافة لا تنبسط ولا تتراوج وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم هـ ذلك الله هذا القول واعلم هـ ذلك الله ان هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي لا يضمحل ولا ينتقض وهو الذي يقبل الطبائع ويمسكها ويظهر لها الوان واذا راجعية وليس كل جسد يحل خـ لاف هـ ذاهو الحل التام لانه يخالف للحياة وانما حله بما يوافقوه يدفع عنه حرق النار حتى يزول عن الغلظ وتقلب الطبائع عن حالاتها الى ما لها أن تتقلب من اللطافة والغلظ فاذا بلغت الاجساد نهايتها من التحليل والتلطيف ظهرت لها هنالك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنقبذ وكل عمل لا يرى له مصداق في أوله فلا خير فيه واعلم ان البارد من الطبائع هو يبيد الاشياء ويعقد رطوبتها والحار منها يظهر رطوبتها ويعيد قديسها وانما افردت الحار والبارد لانهما فاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعلى انفعال كل واحد منهما صاحبه فتحدث الاجسام وتتككون وان كان الحار كثر فعلا في ذلك من البرد لان البرد ليس له نقل الاشياء ولا تحركها والحار هو علة الحركة ومتى ضعفت علة اليبس وهو الحار لم يتم منها شيء أبدا كما انه اذا افرطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد احرقتة واهلكته فن أجل هذه العلة احتيج الى البارد في هذه الاعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار ولم يحذر الفلاسفة كثر شيء الامن النيران المحرقة وأمرت بتطهير الطبائع والانفاس واخراج دنسها ورطوبتها ونفى آفاتها واساخا عنها على ذلك استقام رأيهم وتدبيرهم فانما عملهم انما هو مع النار اولا واليه يصير آخر فذلك قالوا اياكم والنيران المحرقات وانما ارادوا بذلك نفى الآفات التي معها فتجمع على الجسد آفات فتن فتكون اسرع لهلاكه وكذلك كل شيء انما يتلاشى ويفسد من ذاته لتضاد طبائعه واختلافه في متوسط بين شيئين فلم يجد ما يقويه ويعينه الا قهرته الا قوة وأهلكته واعلم ان الحـ كماله كذا كذا كرت تردد الارواح على الاجساد مرارا ليكون الزم اليها وأقوى على قتال النار اذا هي باشرتها عند الالفه أعني بذلك النار العنصرية فاعلمه * ولنقل الآن على الحجر الذي يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم انه في الحيوان ومنهم من زعم انه في النبات ومنهم من زعم انه في المعدن ومنهم من زعم انه في الجميع وهذه الدعوى ليست بناحجة الى استقصائها ومناظرة اهلها عليهم لان الكلام يطول جدا وقد قلت فيما تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطبائع موجودة في كل شيء فهو وكذلك فتريد أن تعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والفعل فنقص الى ما قاله الحراني ان الصبغ كله احدث صبغين اما صبغ جسد كالزعفران في الثوب الابيض حتى يحول فيه وهو مضمحل من نقض التركيب والصبغ الثاني تغليب الجوهر من جوهر نفسه الى جوهر غيره ولونه كتغليب الشجر بل التراب الى نفسه وقلب الحيوان والنبات الى نفسه حتى يصير التراب نباتا والنبات

قال الله تعالى ولا كم في القصص حياة يا اولى الالباب يعني اذا علم القاتل والقاطع انه يقتص منه اجمع حيوانا ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حياته وحياة الذي هم به (وروى) ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضى بين الناس في الدمار روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاجبة مظلمة فليتحللها منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل

أن يؤخذ لآخيه من حسنة فان لم يكن له حسنة ات أخذ من سيات أخيه فطرح عليه وهذا حديث صحيح زواه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزروا زرع أخري فكيف يؤخذ الظالم بذنب ركبه المظلوم قلنا معني الآية لا يعاقب أحد بذنب أحد ابتداء واما في مسئلتنا فخلعت بقيت عنده وليس له وفاء بها فهو الذي اكتسب هذا الوزر (٣٢٣) وهو المعنى بقوله تعالى وليحمن أئتملهم

وَأَثَقَ الْأَمْعَ أَثْقَالَهُمْ وَرَوَى

أبو سعيد الخدري أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال

بِخَاصِّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ

فيجبسون على قنطرة بين

الحنة والنار ليقص لبعضهم

من بعض مظالم کانت بیدهم

في الدنيا حتى اذا هذبوا

وَنَقُوا أَذْنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ

الجنة فوالذي نفسي بيده

لا ادهم اهدى منزله في

الحكمة منه بمنزله في الدنيا

وروى أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال قبل موته

من كانت له عندی مظالمه

فَلْيَأْتِ حَتَّى أَقْبَهُ مِنْ

نفسی فقام سوار بن غزیه

فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ

ضررتی علی بطنی لیلۃ

العقبة فوجهتني فقال

الذي صلى الله عليه وسلم

دُونُكَ فَاقْتَصْ فَقَالَ

یا رسول اللہ انک ضریبتی

وَأَنَا مَكْشُوفُ الْبَطْنِ فَكُشِفَ

الذي صلى الله عليه وسلم

بطنه فاذا هو كالقباطى

یعنی ثیاب مصر فا کب

عليه يقبله فقال يا سوار

ما جاء على هذا فقال

يا رسول الله دنا لقاءه ولا

المشرکین ولاندری واردت

أن يكون آخر العهد

وما تأخر لعله ان الله تعالى

حديث يقول الله تعالى يوم

لیہ فیدفعہ الی اور پاس

حيوانا ولا يكون الا بالروح المحي والحيوان لا يكون الا بالروح المحي والحيوان لا يكون الا بالروح المحي
فنعول ان العمل لابد أن يكون اما في الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انه ما مطبوعان على الغذاء
وبه قوامهما وتماهما فاما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكة
فيه واما الحيوان فهو آخر الاس- تحالات الثلاث ونهايتها وذلك ان المعدن يستحيل نباتا والنبات يستحيل
حيوانا والحيوان لا يستحيل الى شيء هو اطف منه الا أن يعكس راجعا الى الغلظ وأنه ايضا لا يوجد في
العالم شيء يتعلق به الروح المحية غير روح الطف مافي العالم ولم تتعلق الروح بالحيوان الا بمشاكلتها ايها
فاما الروح التي في النبات فانها يسيرة فيها غلظ وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة كامنة فيه لغلظها وغلظ
جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظه وغلظ روحه والروح المتحركة أطف من الروح الكامنة كثير او ذلك
ان المتحركة لها قبول الغذاء والتنقل والنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجري اذا قبست
بالروح المحية الا كالارض عند الماء كذلك النباتات عند الحيوان فالعمل في الحيوان اعلى وارفع واهون
وايسر فينبغي للعاقل اذا عرف ذلك ان يجرب بما كان سهلا ويترك ما يخشى فيه عسر واعلم ان الحيوان
عند الحكة ينقسم اقساما من الامهات التي هي الطبائع والمحدثات التي هي المواليد وهذا معروف متيسر
الفهم فلذلك قسمت الحكة العناصر والمواليد اقساما حية واقساما ميتة فجعلوا كل متحرك فاعلاحيا
وكل ساكن مقعولا ميتا وقسموا ذلك في جميع الاشياء وفي الاجساد الدائمة وفي العقاقير المعدنية فسما
كل شيء يذوب في النار ويطير ويشتعل حيا وما كان على خلاف ذلك سموه ميتا فاما الحيوان والنبات
فسموا كل ما انفصل منها طبائع اربع احيا وم لم يتفصل سموه ميتا ثم انهم طلبوا جميع الاعقسام الحية فلم
يجدوا الوفي هذه الصناعة مما يتفصل فصولا اربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان
فبحثوا عن جنسه حتى عرفوه واخذوه ودبروه فتكيف لهم منه الذي ارادوا وقد تكيف مثل هذا في
المعادن والنبات بعد جمع العقاقير وخلطها ثم تفصل بعد ذلك فاما النبات فنه ما يتفصل ببعض هذه
القصول من الشئ من المعادن ففيها اجساد اوراح وانفاس اذا خرجت ودبرت كان منها مال تأثير
وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان منها اعلى وارفع وتدبيره اسهل وايسر فينبغي لك أن تعلم ما هو الحجر
الموجود في الحيوان وطريق وجوده انا بينا ان الحيوان ارفع المواليد وكذا ماتركب منه فهو اطف منه
كالنبات من الارض وانما كان النبات اطف من الارض لانه انما يكون من جوهر الصافي وجسده
اللطيف فوجب له بذلك اللطافة والرقّة وكذا هذا الحجر المحوي بمنزلة النبات في التراب وبالجملته فانه ليس
في الحيوان شيء يتفصل طبائعه اربع غيره فافهم هذا القول فانه لا يكاد يخفى الاعلى جاهل بين الجهالة ومن
لا عقل له فقد أخبرتك ماهية هذا الحجر وأعلمت جنسه وأنا ابين لك وجه تدبيره حتى يكمل الذي شرطناه
على انفسنا من الانصاف ان شاء الله سبحانه (التدبير على بركة الله) هذا الحجر الكريم فاودعه القرعة
والانيق وفصل طبائعه الاربع التي هي النار والهواء والارض والماء وهي الجسم دو الروح والنفس
والصبغ فاذا عززت المساء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل واحد في انائه على حدة وخذ لها بط
اسفل الاناء وهو الثقيل فاغسله بالنار الحارة حتى تذهب النار عنه سواده ويزول غلظه وحفاؤه ويبضه
تبيضاً نَحْكًا وطير عنه فضول الرطوبة المستحبة فيه فانه يصير عند ذلك ماء بيضا لا طعم فيه ولا ريح

أن أقبل بطنك فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعلمه أن الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لأن الله تعالى أعدل من أن يدع مظلمة لأحد عند نبي ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة أنا ظالم إن فاني ظلم ظالم ويروي أن داود عليه السلام يقدمه خصمه إلى الله يوم القيامة فيقضي له عليه فيدفعه إلى أورياس

ثم يستوهبه الله تعالى من أوريا ثم يعوض أوريا على ذلك الجنة وقال حبيب دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجد غلامه يعلف ناقة له وإذا في علفه شيء فأخذ بذنه فعركها ثم ندم فقال لغلامه قم فاقص مني فإني الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ بذنه ثم قال يعرك وهو يقول شد شد حتى عرف عثمان (٣٢٤) انه قد بلغ منه ثم قال واهل القصاص الدنيا قبل قصاص الاخرة (روى) عون بن عبد

الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه أو كان نائما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم لولا القصاص لا وجعتك ضربا وروى ابن وهب في موضعه عن ابن شهاب قال وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم والخليفتان من أنفسهم ليس بيني وبينهم ولم يتعمدوا حيفا وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرمه لم ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا أنفت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قال مالك وبلغني ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي الخ لافة ضرب رجلا ثم ندم وقال مالي ولم هذا الراددتها عليهم فسمعت عائشة فارسلت الى عمر فجاه عمر فقال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معافي من هذا ان أضرب فقال عمر كذلك الامام فقال لما أخرج قال ان تأتي الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فتابه فاسم تحلاه ذات النار على ان الأمير والمأمور في القصاص سواء اذا جني أحدهما على الآخر وان الأمير اذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الأمير في

ولا تضاد ثم اعمد الى تلك الطبائع الاول الصاعدة منه فظهرها أبيض من السواد والتضاد وكر رعليها الغسل والتصعد حتى تطف وترق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابدأ بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك ان التركيب لا يكون الا بالترجيح والتعقيل فلما التزجيج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ وأما التعقيل فهو التشبية والسخي حتى يختلط ببعضه ببعض ويصير شيئا واحدا لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء فعند ذلك يقوى الغليظ على امساك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصير عليها وتقوى النفس على الغوص في الاجساد والديب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح مازجه بجميع أجزائه ودخل بعضها في بعض لتشا كلها فصار شيئا واحدا ووجب من ذلك أن يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقاء والنبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس اذا امتزجت بهما ودخلت فيهما بخدمة التدبير اختلطت بأجزأهما بجميع أجزأها الاخرين اعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيئا واحدا لا اختلاف فيه بمنزلة الجزء الكلي الذي سلمت طبائعه واتفقت أجزأه فاذا اتى هذا المركب الجسد المحلول والروح عليه النار وأظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا ارادت النار التعلق بها منعهما من الاتحاد بالنفس مما زججه الماء فان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصا وكذلك الماء من شأنه النفور من النار فاذا ألحمت عليه النار وأرادت تطهيره حبسه الجسد بالباس الممازج له في خوفه فنعته من الطير ان فكان الجسد دعلة لا مساك الماء والماء دعلة لبقاء الدهن والدهن دعلة لثبات الصبغ والصبغ دعلة لظهور الدهن واظهار الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه النصفية التي سألت عنها وهي التي سميتها الحكة بيضة واياها يعنون لا بيضة الدجاج وهو اعلم ان الحكة كما لم تسمها بهذا الاسم لغير معنى بل اشبهتها بالقدسات مسلمة عن ذلك يوما وليس عنده غيري فقلت له أيها الحكميم الفاضل اخبرني لاشي شئ سميت الحكة كماء مركب الحيوان بيضة اختيارا منهم لذلك أم لمعني دعاهم اليه فقال بل لمعني غامض فقلت أيها الحكميم وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شهروها وسموها بيضة فقال لشبهها وقرباها من المركب ففكر فيه فانه سيظهر لك معناه فبقيت بين يديه مفرقا لا اقدر على الوصول الى معناه فلما رأى ما بي من الفكر وان نفسي قد مضت فيها اخذ بعضدي وهزني هزة خفيفة وقال لي يا أبا بكر ذلك للنسبة التي بينهما في كمية الانوان عند امتزاج الطبائع وتأليفها فلما قال ذلك انجلت عني الظلمة واضاء لي نور قلمي وقوى عقلي على فهمه فنهضت شاكر الله عليه الى منزلي وأتيت على ذلك شكلا هندسيا بييرهن به على صحة ما قاله مسلمة وأنا واضعه لك في هذا الكتاب مثال ذلك ان المركب اذا تم وكل كان نسبة ما فيه من طبيعة الهواء الى ما في البيضة من طبيعة الهواء كنسبة ما في المركب من طبيعة النار الى ما في البيضة من طبيعة النار وكذلك الطبيعتان الاخرتان الارض والماء فأقول ان كل شئ من متناهيين على هذه الصفة فهما متشابهان ومثال ذلك ان تجعل لسطح البيضة هزوحا فاذا اردنا ذلك فانا نأخذ أقل طبائع المركب وهي طبيعة اليوسفة ونضيف اليها مثلها من طبيعة الرطوبة ونديرهما حتى تنشف طبيعة اليوسفة وطبيعة الرطوبة بتقريب قوتها وكان في هذا الكلام رزاول كنه لا يخفى عليك ثم تحمل عليهم جميعا مثلها من الروح وهو الماء فيكون الحكة مع ستة

امثال

فسمعت عائشة فارسلت الى عمر فجاه عمر فقال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معافي من هذا

ان أضرب فقال عمر كذلك الامام فقال لما أخرج قال ان تأتي الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فتابه فاسم تحلاه ذات النار على ان الأمير والمأمور في القصاص سواء اذا جني أحدهما على الآخر وان الأمير اذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الأمير في

ذلك المعنى كعض المؤثر عليهم حتى يتحركوا الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت امرأى ليعلموا الناس دينهم ويقسموا بينهم
فيهم ولم يعدلوا فيهم ولم ابعثهم ليضربوا ابشارهم ويحلقوا أشعارهم فمن ظلمه أمير فلا امره عليه دوني حتى آخذ به بحقه قال عمرو بن
العاص الله الله يا أمير المؤمنين ان أدب رجل رجلان رعيته انك لتقصه منه فقال عمر (٣٢٥) كيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي

صلى الله عليه وسلم يقص
من نفسه (فاما القصص
بين البهائم) فاختلف الناس
في حشرها وفي جريان
القصص بينها فكان ابن
عباس يقول حشرها موتها
قال وحشر كل شيء الموت
الاجن والانس فانهم ما
يوافيان يوم القيامة وقال
معظم المفسرين انها تحشر
ويقتص منها قال ابن
حبيب تحشر البهائم وقال
قتادة تحشر كل شيء حتى
الذباب وقال أبو الحسن
الاشعري لا تقطع باعادة
البهائم والمجانين ومن لم
تبلغه الدعوة ويجوز ان
يعادوا ويدخلوا الجنة
ويجوز ان لا يعادوا والدليل
على نبوت الاعادة في الجملة
قوله تعالى واذا اللوحوش
حشرت وقال تعالى وما من
دابة في الارض ولا طائر يطير
بحناجره الا امم امثالكم
الى ان قال ثم الى ربهم
يحشرون (وروي) مسلم
في صحيحه عن أبي هريرة
أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لتؤذن الحقوقي
الى أهلها يوم القيامة حتى
يقاد للشاة المجلماء من
الاشاة القرناء وقال أبو ذر
انطلقت شاتان عند النبي

امثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثلاً من طبيعة الهواء التي هي النفس وذلك ثلاثة أجزاء فيكون
الجميع تسعة امثال اليوسفة بالقوة وتجعل تحت كل ضلعين من المركب الذي طبيعته محيطة بسطح
المركب طبيعتين فتجعل أول الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الماء وطبيعة الهواء وهما ضلعان اح
وسطح ايجد وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة الاذان هما الماء والهواء ضلعاه زوج فأقول ان
سطح ايجد يشبه سطح هزوح طبيعة الهواء التي تسمى نفسا وكذلك سطح المركب والحق كما لم تسم
شيأ باسم شيء الا شبهه به والكلمات التي سألت عن شرحها الارض المقدسة وهي المنعقدة من الطبائع
العالمية والسفلية والنحاس هو الذي اخرج سواده وقطع حتى صار هباء ثم جرى بالزجاج حتى صار نحاساً
والمنعقدة هي حجرهم الذي تجمد فيه الارواح وتخرجه الطبيعة العلوية التي تستجيب فيها الارواح لتقابل
عليها النار والفرقة لون احمر فان يحذبه الكيان والرماس حجر له ثلاث قوى مختلفة الشكوى وله كنهها
متشابهة ومتجانسة فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي القاعلة والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة
غير انها أغلظ من الاولى ومركزها دون مركز الاولى والثالثة قوة أرضية حادة قابضة منعكسة الى مركز
الارض لتقلها وهي المسكة الروحانية والنفسانية جميعا والمحيط بهما وما سائر الباقيات فبتدعة
ومخترة الباس على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى عن غير هاف هذا جميع ما سألتني عنه وقد بعثت به
اليك مفصلاً ونرجو بتوفيق الله ان تبلغ املك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلاميذ
مسئلة الجعري طيبي الاندلس في علوم الكيمياء والسيما والسحر في القرن الثالث وما بعده وأنت
نرى كيف صرف ألفاظهم كلها في الصناعة الى الرز والالغاز التي لا تكاد تبين ولا تعرف وذلك دليل على
انها ليست بصناعة طبيعية * والذي يجب ان يعتد في امر الكيمياء وهو الحق الذي يعضده الواقع
انها من جنس آثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة اما من نوع الكرامة ان كانت النفوس
خبرة او من نوع السحر ان كانت النفوس شريرة فاجرة فاما الكرامة فظاهرة واما السحر فلان الساحر كما
ثبت في مكان تحقيقه يقابل الاعيان المادية بقوته السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله
السحري فيها كتحريك بعض الحيوانات من مادة التراب والشجر والنبات والجملة من غير مادتها المخصوصة
بها كموقع لسحرة قرعون في الحبال والعصى وكيفية تل عن سحرة السودان والهنود في قاصبة الجنوب
والترك في قاصبة الشمال انهم يسحرون الجولامطار وغير ذلك * ولما كانت هذه تخليقاً للذهب
في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر والمتكلمون فيه من اعلام الحكما مثل جابر ومسئلة ومن
كان قبلهم من حكماء الامم انما نحو هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغاذا حذر اعليها من انكار الشرائع
على السحر وانواعه لا أن ذلك يرجع الى الضمانات بها كما هو رأي من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظر
كيف سمي مسئلة كتابه فيها رتبة الحكما وسعى كتابه في السحر والطلسمات غاية الحكيمة اشارة الى عموم
موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه لان الغاية أعلى من الرتبة فكان مسائل الرتبة بعض من مسائل
الغاية وتشاركها في الموضوعات ومن كلامه في القنين يبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد دغلط من يزعم
ان مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله اعلم الخبير

٢٥ * (فصل في ابطال الفلسفة وفساد منحلها) *

صلى الله عليه وسلم فقال أندرون فيما انتطحتا قلت لا أدري قال لكن الله يدري وسيعضي بينهم ما قال أبو ذر لقد تركنا النبي صلى الله عليه
وسلم وما يقرب طائر جناحه في السماء الا ذكرنا منه علماً وقال أبو ذر ان الحجر ليس مثل عن نكبه اصبع الرجل وفي الحديث الصحيح في
مسلم والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتني أحدكم على رقبته بعير له رغاء على رقبته بقرة لها خوار على رقبته شاة تهر

ثم بسط لها بقاع قرقر فتطوؤه باطلا فها وتنطع به بقرونها كلما مرت عليه أولاها عادت أخرها والحدوث وارد في مانع الزكاة وقال أبو الحسن
لا تجوز المقاصة بين البهائم لأنها غير مكلفة ولا يجزى عليها القلم قال وما ورد في ذلك من الاخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء
من القرناء ويسئل العود لم خدش (٣٢٦) العود وعلى سبيل المثل والاختبار عن شدة التقص في الحساب وأنه لا بد أن يقتص للظلم

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب
ان يصعد بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك ان قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا أن
الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته واحواله بأسبابها وعلاها بالانظار الفكرية والاقيسة
العقلية وان تصحیح العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل
وهو لا يسمعون فلا سعة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشعروا به
وحوموا على اصابه الغرض منه ووضعا قانونا يهتدى به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل
وسموا بالمنطق ومحصل ذلك ان النظر الذي يميز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة
من الموجودات الشخصية فيجرد منها او لا صوراً منطقية على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع
النقوش التي ترسمها في طين او شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ثم تجرد من تلك
المعاني الكلية اذا كانت مشتركة مع معاني اخرى وقد تميزت عنها في الذهن فتجرد منها معاني اخرى وهي
التي اشتهرت بها ثم تجرد ثانياً ان اشار كها غير وثالثها ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة الكلية
المنطقية على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد ذلك ذواهي الاجناس العالية وهذه
المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى
المعقولات الثواني فاذا نظر الفيلسوف في هذه المعقولات المجردة وطالب تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من
اضافة بعضها الى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من
مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كالموضوع تصديق الذي هو تلك الاضافة والمحمول متقدم عندهم
على صنف التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية
الطالب الادراك وانما التصديق وسيلة له وما سمع في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف
التصديق عليه فبمعنى الشهور لا يعني العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون ان السعادة
في ادراك الموجودات كلها ما في المحسوس وما وراء المحسوس بهذا النظر وتلك البراهين وحاصل مداركهم في
الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي فرغوا عليه قضايا انظارهم انهم عثروا اولاً على الجسم السفلي
بحكم الشهود والمحسوس ثم ترقى ادراكهم قليلاً فاشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والمحسوس في الحيوانات
ثم أحسوا من قوى النفس سلطان العقل ووقف ادراكهم فقصوا على الجسم العالي السماوي يتخوم
القضاء على أمر الذات الانسانية ووجب عندهم أن يكون للقلب نفس وعقل كمالا لانسان ثم انهوا ذلك
نهاية عدد الاحاد وهي العشر تسع مفصلة ذواتها اجل وواحد اول مفرد وهو العاشر ويزعمون أن السعادة
في ادراك الوجود على هذا النحو من التضام مع تهذيب النفس وتخليتها بالقضائل وان ذلك ممكن للانسان
ولولم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الافعال بمقتضى عقله ونظره وميله الى الحمود ومنها واجتهاده
لا ذموم بقطرته وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجميل بذلك هو الشقاء
السرمدى وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في الآخرة الى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف من
كلماتهم وامام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودون علمها وسطر حجاجها فاما المعاني هذه الاحكام
هو ارسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندر ويروي

من الضالم واي ذلك الاستاذ
أبو اسحق الاسفهراني
قال في الجامع الجلي يجزى
القصاص بينها قال ويحتمل
انها كانت تعقل هذا
التدبر في دار الدنيا فلماذا
أجرى فيه القصاص وكلام
الاستاذ له وجه في الصحة
لان البهيمة تعرف النفع
والضرر فتقر من العصا
وتقبل الى العلف وينزجر
الكلب اذا جرو يستأسد
اذا أشلى والطير والوحش
يقرب من الجوارح استدفعا
لشرها ثم ان لم يجز عليها
القتل في الدنيا فامارفع
القتل عنها في الاحكام
فان قيل القصاص انتقام
وهو جزاء على جنائية وقعت
من مخالفة الامر والبهائم
ليست بمكلفة ولا لها عقول
ولا جاءها رسول والعقول
عندكم لا يجب بها شيء على
العقلاء فضلا عن البهائم
وفي هذا انفصال عن قول
الاستاذ انها كانت تعقل
هذا القدر اذا لا يجب بالعقل
شيء ويشهد له قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا فاجواب انها ليست
مكلفة لان من ضرورة
التسكين ان يعلم الرسول

والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان واذا لم تسكن مكلفة كانت في المشيئة يفعل الله بها
ما أراد كما سطر عليهم في الدنيا الاستخار والذبح فلا اعتراض عليه ولله تعالى ان يفعل في ملكه ما أراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان
الهيمة ابتداء جاز ان يؤلفها بعد حياتها والا لية محمولة على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجز عليهم القلم في الدنيا فامارفع القلم عنها

الاحكام ولا يكن فيما بينها تواخذا وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الزنح فانه كان ينفع على ابراهيم عليه السلام
فهذه عجماء عوقبت على سوء صنيع جنسها وفيه دليل على ان الله تعالى ان يعذب بملكه لا بالمعصية وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر
الذي مر بثوبه وبنو اسرائيل ينظرون عورته رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣٢٧) قال فضر به بعصاه والحجر يفر

وموسى يقول ثوبى حجر
ثوبى حجر قال أبوهريرة
فوالذي نفسي بيده انه
لندب بالحجر ستة أو سبعة
ودرى في نفسه يرقوله
تعالى وقودها الناس
والحجارة انها الحجارة التي
تكسر الناس في الدنيا
ودرى ان المسيح عليه
السلام مر بجبل فسمع
انينه فسأله عن ذلك فقال
سمعت الله يقول وقودها
الناس والحجارة فلا أدري
أكون من تلك الحجارة
أم لا وقد تأول بعضهم قول
ابن عباس حشرها موتها
تحشر لضرب من القصاص
بينهم تصير ترابا قلت
وتأويل ابن عباس بعيد
لان الحشر الجمع وليس
في موتها جمعها بل فيه
تفرقتها وتفرقة أجزائها ثم
قد قال والى ربهم يحشرون
وانما يكون الحشر الى
الرب تعالى باعادة الحياة
اليها وجمعها الى ربها
*(الباب التاسع والخمسون
في الفرج بعد الشدة)*
قال الله تعالى وهو الذي
ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وقال سبحانه آمن
يجيب المضطر اذا دعاه

المعلم الاول على الاطلاق يعنون معلم صناعه المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو اول من رتب قانونها
واسستوفى مسائلها واحسن بسطها ولقد احسن في ذلك القانون ماشاء لو تكفل له بقصدهم في الالهيات ثم
كان من بعده في الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذوا النعل بالنعل الا في القليل وذلك ان
كتب أولئك المتقدمين ما ترجعوا الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني الى اللسان العربي تصفحها
كثير من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من متخلى العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من
تفاريحها وكان من أشهرهم ابو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وأبو علي بن سينا في
المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بني بويه باصم بهان وغيرهما * واعلم ان هذا الرأي الذي ذهبوا اليه
باطل بجميـع وجوهه فأماسـه نادهم الموجودات كلها الى العقل الاول واكتفوا بهم في الترقى الى
الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود أوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون
وكانهم في اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات
الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتقد ان ليس وراء الجسم في حكمة الله شيء وأما البراهين
التي يزعمونها على مدعياتهم في الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية
بالغرض أما ما كان منها في الموجودات الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعي فوجه قصوره ان المطابقة بين
تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والاقبسة كفي زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني لان تلك
احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل في المواد ما يمنع من مطابقة
الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما يشهد له الحس من ذلك فدليله شهوده لا تلك البراهين فأين
اليقين الذي يحجب عنه فيها وربما يكون تصرف الذهن ايضا في المعقولات الاول المطابقة للشخصيات
بالصور الخيالية لا في المعقولات الثواني التي تجر يدنا في الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقيني بمثابة
الحسوسات اذ المعقولات الاول اقرب الى مطابقة الخارج اكمل الانطباق فيها فانسـ لم لهم حينئذ دعاوهم
في ذلك الا أنه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسـ لم لا يعنيه فان مسائل الطبيعيات
لاتهمنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها * وأما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي
الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة وأساو لا يمكن التوصل اليها ولا
البرهان عليها لان تجر يد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيما هو مدرك لنا
ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى تجر يدنا منها ما هيات اخرى بحجاب الحس بيننا وبينها فلا يتأتى لنا
برهان عليها ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الوجه الامتجـ ده بين جنسنا من أمر النفس الانسانية
واحوال مداركها وخصوصا في الرؤيا التي هي وجدانية لكل احد وما وراء ذلك من حقيقتها ووصفاتها فامر
غامض لا سبيل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم حيث ذهبوا الى أن ما لا مادة له لا يمكن
البرهان عليه لان مقدمات البرهان من شرطها ان تكون ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات
لا يوصل فيها الي يقين وانما يقال فيها بالاحق والاولى يعني الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب
على الظن فقط فكيفنا الظن الذي كان اولاً فأى فائدة لهـ هذه العلوم والاشـ تغال بها ونحن انما غنايتنا
بتخصـ يل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات وهذه هي غاية الافكار الانسانية عندهم واما قولهم ان

ويشكف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشر وافقد جاءكم اليسر
ان يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر لن يغلب عسر يسرين ومعنى هذا أنه عرف
العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسماء عرفاتهم أعادته كذلك فهو وفادان كرتة ثم كرتة كذلك فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن نال الزمان يملو * عظمت عندها المخطوب وجالت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها * فالرزايا اذا تواتت تولت
وقال ابن عباس اول ما اتخذ النساء (٣٢٨) النطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقة التعنى أثرها على سارة ثم جاءها ابراهيم وابنها

وتلتها قوارع ناكات * سئمت دونها الحياة وملمت
واذا أو هنت قواك وجالت * كشفت عنك جلة فتجالت

السعادة في ادراك الموجودات على ما هي علمه بتلك البراهين فقول عزيز مردود ونفسه بمره ان الانسان مركب من جزأين أحدهما جسماني والآخر روحاني يمتزج به واسطه واحد من الجزأين مدارك مختصة به والمدرك فيه ما واحد وهو الجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية الا ان المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطه والمدارك الجسمانية بواسطه آلات الجسم من الدماغ والحواس وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه واعتبه بحال الصبي في أول مداركه الجسمانية التي هي بواسطه كيف يتمتع بما يبصره من الضوء وما يسمع من الاصوات فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي للنفس من ذاتها بغير واسطه يكون اشدوا لذنا لنفس الروحانية اذا شغرت بادراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطه حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم وانما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفة كثير ما يعنون بحصول هذا الادراك للنفس بحصول هذه البرجة فيحاولون بالرياضة امانة القوى الجسمانية ومداركها حتى الفكر من الدماغ لا يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها عند ذوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها وهذا الذي زعموه بتقدير صحتهم لم لهم وهو مع ذلك غير وافي بقصودهم فأما قولهم ان البراهين والادلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج عنه فباطل كما رأيت اذ البراهين والادلة من جملة المدارك الجسمانية لانها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكري ونحن اول شيء نغني به في تحصيل هذا الادراك امانة هذه القوى الدماغية كلها لانها منازعة له قاذحة فيه وتجدد الماهر منهم عا كفاعلي كتاب الشفاء والاشارات والتجاء وتلاخيص ابن رشد للفص من تأليف ارسطو وغريه يعثر أوراقها ويتوثق من براهينها ويلتمس هذا القسم من السعادة فيها ولا يعلم أنه يستكثر بذلك من الموانع عنها ومستندهم في ذلك ما يثبته عن ارسطو والفارابي وابن سينا ان من حصل له ادراك العقل الفعالي واتصل به في حياته فقد حصل حظ من هذه السعادة والعقل الفعالي عندهم عبارة عن أول رتبة ينكشف عنها الحس من رتب الروحانيات ويحصلون الاتصال بالعقل الفعالي على الادراك العلي وقد رأيت فسادا وانما يعني ارسطو وأصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطه وهو لا يحصل الا بكشف حجاب الحس وأما قولهم ان البرجة الناشئة عن هذا الادراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل ايضا لاننا ثابتين لنابها قروره أن وراء الحس مدركا آخر للنفس من غير واسطه وانما يتمتع بادراكها ذلك ابتهاج شديد او لذة لا يعين لنا أنه عين السعادة الاخرى ولا بد بل هي من جملة الملاذ التي لتلك السعادة وأما قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل مبني على ما كنا قدمناه في أصل التوحيد من الاوهام والاغلاط في أن الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه وبيننا فساد ذلك وان الوجود اوسع من أن يحاط به او يستوفي ادراكه بجملة روحانيا وجسمانيا والذي يحصل من جميع ما قررناه من مذاهم ان الجزء الروحاني اذا فارق القوى الجسمانية ادراكا كذا تياتي مختصا بنصف من المدارك وهي الموجودات التي احاط بها علمنا وليس بعام الادراك في الموجودات كلها ان تحصر وانه يتمتع بذلك النجوم والادراك ابتهاج شديد كما يتمتع بالصبي بمدراكه الحسية في أول نشأته ومن اناب بعد ذلك بادراك جميع الموجودات أو بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيبات

اسمعيل وهي ترضعه حتى
وضعتها عند البيت عند
دوحة فوق زمزم في أعلى
المسجد وليس بمكة يومئذ
أحد وليس بها ماء فوضها
هنالك ووضع عندها جرابا
فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم
وقفا ابراهيم منطلقا فتبعته
أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم
أين تذهب وتركنا بهذا
الوادى ليس فيه أنيس
ولاشئ فقالت ذلك مرار
وجعل لا يلتفت اليها
فقالت له الله أمرك بهذا
قال نعم قالت اذا لا يضيعنا
ثم رجعت فانطلق ابراهيم
حتى اذا كان عند الثنية
حيث لا يرونه استقبل
البيت بوجهه ثم دعا بهؤلاء
الدعوات ورفع يديه فقال
رب اني اسكنت من ذريتي
بوادي غير ذي زرع عند
بيتك المحرم حتى تبلغ
يشكرون وجعلت أم
اسمعيل ترضع اسمعيل
وتشرب من ذلك الماء حتى
اذا تقدم في السقاء عطشت
وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتلوى فانطلقت
كراهية ان تنظر اليه
فوجدت الصفا أقرب
جبل في الارض يليها

فقامت عليه ثم استقبلت الوادى هل ترى أحد فلم تر أحد ثم سمعت سعي الانسان المجهد حتى جاوزت الوادى هيبات
ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحد فلم تر أحد ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لم فلان
سعي الناس بينهم فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فالتصه ترى يدنفسها فسمعت أيضا فقالت قد سمعت ان كان عندك غر

فاذا هي بالماء عند موضع زعم فبحث بعقبه اوقال يجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقائها وهو يقور بعد ما تعرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زعم اوقال لو لم تعرف لكانت عيننا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى ينسبه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع أهله (ومنها قصة الثلاثة الذين خلفوا) وذلك ان كعب بن مالك ومراثة بن الربيع وهلال بن أمية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة قال كعب فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الارض بما رحبت فها هي التي أعرف وكنيت أطوف في الاسواق وأشهد الصلاة مع المسلمين ولا يكلمني أحدوا في رسول الله (٣٢٩) صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وأقول

في نفسي هل حرك شفتيه
بردا السلام أم لا حتى اذا
طال ذلك على من جفوة
الناس تسورت جدار حائط
أني قتادة وهو ابن عبي
وأحب الناس الى فسلمت
عليه فوالله ما رد على السلام
فلما سمعت خمسون ليلة من
يوم نهي رسول الله عن
كلامنا صليت صلاة الفجر
وأنا على ظهر بيت من
بيوتنا فبينما أنا جالس
على الحالة التي ذكرها
الله تعالى قد ضاقت على
نفسي وضافت على الارض
بما رحبت وما كان من
شيء أهم على من ان أموت
فلا يصلي على النبي او
يموت النبي صلى الله عليه
وسلم فأكون من الناس
في تلك المنزلة لا يكلمني
أحد ولا يصلي على فأنزل
الله تو بتناقض صوت
صارخ من أعلى الجبل
يا كعب بن مالك ابشر
تخمرت ساجد الله تعالى

هيئات ما توعدون وأما قوله -م- ان الانسان مسهل تهذيب نفسه واصلاحها بما لبسته المحمود من الخلق
ومجانبة المذموم فامر بني على ان ابتهاج النفس بادرا كما الذي لها من ذاتها وعين السعادة الموعود بها
لان الرذائل عاتقة للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية والوانها وقد
بيننا ان اثر السعادة والشقاوة من وراء الادراكات الجسمانية والروحانية فلهذا التهذيب الذي توصلوا الى
معرفة انما تقع في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين وأما ما وراء
ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما امر به من الاعمال والاخلاق فامر لا يحيط به مدارك
المدرسين وقد تنبه لذلك زعيمهم -م- أبو علي بن سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما معناه ان المعاد الروحاني
واحواله هو مما يتوصل اليه بالبراهين العقلية والمقاييس لانه على نسبة طبيعية محفوظة وتيرة واحدة
فلما في البراهين عليه سعة وأما المعاد الجسماني وحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على نسبة
واحدة وقد بسطته لنا الشريعة المحمدية فيمنظريها واثرائها في احواله اليها فهذا العلم كما رأيت غدير
واف بمقاصدهم التي حوموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس له فيما علمنا الاثمة واحدة
وهي شحذ الذهن في ترتيب الادلة والحجج لتحصيل ما لك الأجود والصواب في البراهين وذلك ان نظم
المقاييس وترتيبها على وجه الاحكام والاتقان هو كما شتر طوره في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم
الطبيعية وهم كثير ما يستعملونها في علومهم الحكمية من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها فيستولي الناظر
فيها بكثرة استعمال البراهين بشر وطها على ما لك الاتقان والصواب في الحجج والاستدلالات لانها وان
كانت غير واف بمقاصدهم فهي أصح ما علمناه من قوانين الانظار هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع
على مذاهب اهل العلم وآرائهم وضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها وليكن نظر
من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يكمن أحد عليها وهو خلو من
علوم الملة فقل أن يسلم لذلك من معاطبها والله الموفق للصواب والحق والمساوي اليه وما كنا نتهدي لولا
أن هدانا الله

٢٦ * (فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها) *

هذه الصناعة يزعم أصحابها انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى
الذكاء وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجموعة فتكون لذلك اوضاع الافلاك والذكاء
دالة على ما سيحدث من نوع نوع من انواع الكائنات الكلية والشخصية فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة
قوى الذكاء وتأثيراتها بالنجومية وهو امر متصرف الاعمار كلها لواجتمع عن تحصيله اذ التجرب

(٤٢ - ابن خلدون)

ما أمالك غيره ما ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يبرق وجهه من السرو فقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك أمك فقلت يا رسول الله ان من توبتي ان أتخضع من مالي ضيقة الى الله تعالى والى رسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك (وروي) ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لم يمشب ودرج في وضع ربي فيه فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا يقال انه رأى الزهرة فقال هذا ربي فلما افل قال لا أحب الا فلما رأى القمر مر بارقا قال هذا
ربي فلما أفل بعد طلوع الفجر قال اني لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين فلما أصبح ورأى الشمس بازغة قال هذا ربي

هَذَا كَبِيرٌ فَلَمَّا أَفَاتَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخَذْتُمْ فِي اللَّهِ مَقَاعًا لِّمَن يَعْنِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ قَالُوا يَا إِبْرَاهِيمُ أَمَا اتَّخَذْتَ آلَهُنَّ إِنَّا نَكْفُرُ بِمَا تُشْرِكُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا نَكْمَ أَشْرِكْتُمْ
بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سَلْطَانًا نَّافِيًا الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْإِيمَانِ أَنِ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَكَانَ آخِرُ مَا يَنْصَنَعُ أَصْنَامُهُمْ أَنَّهُمْ يَدْعُوهُمْ لِيُعْبَدُوا قَوْمُهُمْ ثُمَّ بَعَثْنَا إِبْرَاهِيمَ بِبَيْعِهِمَا
فِي كِسْرَاهُمْ أَيْدِيَهُمَا يَرْفَعُهُمَا إِلَى سَمَاءٍ وَيَقُولُ لَهَا أَشْرِكِي بِاسْتِزَارَةٍ لَهَا وَأُظْهَرَا الْقَوْمَ هَـ فَسَادَ مَا هُمْ عَلَيْهِ ففَشَلَّ ذَلِكَ عَنْهُمْ
مَنْ غَيْرَانِ يَبْلُغُ ذَلِكَ غَمْرًا وَقَوْلُ (٣٣٠) مَا بَدَأَ قَوْمُهُ أَنْ يَنْظُرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ يَعْنِي مِنَ الْغَيْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَصْنَامِهِمْ

تَحْصُلُ فِي الْمَرَاتِمُ الْمُتَعَدَّةِ بِالتَّكْرَارِ لِيَحْصَلَ عَنْهَا الْعِلْمُ وَالظَّنُّ وَادْوَارُ الْكُفْرِ كَبِيرٌ مِنْهَا مَا هُوَ طَوِيلُ الزَّمَنِ
فَيَحْتَاجُ تَكْرُرَهُ إِلَى آتِمَادٍ وَاحْتِقَابٍ مُتَطَوِّلَةٍ يَتَقَاصِرُ عَنْهَا مَا هُوَ طَوِيلٌ مِنَ أَعْمَارِ الْعَالَمِ وَرَبُّهُمَا هَبْ ضَعْفًا مِنْهُمْ
إِلَى أَنْ مَعْرِفَةُ قُوَى الْكُفْرِ وَتَأْثِيرَاتُهَا كَانَتْ بِالْوَحْيِ وَهُوَ رَأْيُ فَائِلٍ وَقَدْ كَفُونَا مَوْثِقَةً بِظَالِهِ وَمِنْ أَوْضَحِ
الْإِدْلَةِ فِيهِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْإِنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَنَّهُمْ لَا يَتَعَرَّضُونَ لِلْأَخْبَارِ
عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَنْ اللَّهِ فَكَيْفَ يَدْعُونَ اسْتِزَارَةً بِالصَّنَاعَةِ وَيَشِيرُونَ بِذَلِكَ لِنَابِعِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ
وَأَمَّا بَطْلِيمُوسُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فَيُرَوْنَ أَنَّ دَلَالََةَ الْكُفْرِ كَبِيرٌ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةً طَبِيعِيَّةً مِنْ قَبْلِ خُرَاجِ
يَحْصُلُ لِلْكُفْرِ كَبِيرٌ فِي الْكَائِنَاتِ الْعَنْصَرِيَّةِ قَالَ لَنْ فَعَلَ النَّبِيرِينَ وَآثَرُهُمَا فِي الْعَنْصَرِيَّةِ ظَاهِرٌ لَا يَسَعُ أَحَدًا
بِحُدُودِ مِثْلِ فَعَلِ الشَّمْسِ فِي تَبَدُّلِ الْفُصُولِ وَأَمْرُجَتِهَا وَنَضِجِ الثَّمَارِ وَالزَّرْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفَعَلَ الْقَمَرُ فِي الرُّطُوبَاتِ
وَالْمَاءِ وَأَنْضَاجِ الْمَوَادِّ الْمُتَعَفِّفَةِ وَفَوَاكِهِ الْقَنْعَاءِ وَسَائِرِ أَعْمَالِهِ ثُمَّ قَالَ وَلِنَابِعِهِ مَا بَعْدَهُمَا مِنَ الْكُفْرِ كَبِيرٌ
طَرِيقَانِ الْأَوَّلَى التَّقْلِيدُ لِمَنْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ أُمَّةٍ الصَّنَاعَةِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَقْنَعٍ لِلنَّفْسِ الثَّانِيَةِ الْحَدْسُ
وَالْتَجَرُّبَةُ بِقِيَاسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى النَّبِيرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي عَرَفْنَا طَبِيعَتَهُ وَآثَرَهُ مَعْرِفَةُ ظَاهِرَةٍ فَتَنْظُرُهُمْ لَنْ يَزِيدَ
ذَلِكَ الْكُفْرَ كَبِيرٌ عِنْدَ الْقُرْآنِ فِي قُوَّتِهِ وَخُرَاجِهِ فَتَعْرِفُ مَوَاقِفَهُ لَهُ فِي الطَّبِيعَةِ أَوْ يَنْقُصُ عَنْهَا فَتَعْرِفُ
مُضَادَّتَهُ ثُمَّ إِذَا عَرَفْنَا قُوَاهُمْ مُفْرَدَةً عَرَفْنَا هَامِرَ كِبَرِهِ وَذَلِكَ عِنْدَ تَنَازُّرِهَا بِأَشْكَالِ التَّمَثُّلِ وَالتَّرْبِيعِ وَغَيْرِهَا
وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ طَبَائِعِ الْبُرُوجِ بِالْقِيَاسِ أَيْضًا إِلَى النَّبِيرِ الْأَعْظَمِ وَإِذَا عَرَفْنَا قُوَى الْكُفْرِ كَبِيرٌ كَلَّهَا فِي
مَوْثِقَةٍ فِي الْهَدْيِ وَأَعَادَ ذَلِكَ ظَاهِرًا وَالمَزَاجِ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْهَا لِلْهَوَا يَحْصُلُ لِمَا تَحْتَمُّ مِنَ الْمَوْلِدَاتِ وَتَخْتَلِقُ بِهِ
النُّطْفَةُ وَالْبَزْرُ فَتَصِيرُ حَالًا لِبَدَنِ الْمَتِّ كَوْنُهَا لِلنَّفْسِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ الْفَائِضَةُ عَلَيْهِ الْمَكْتَسِبَةُ لِمَا لَهَا مِنْهُ
وَمَا يَتَّبِعُ النَّفْسَ وَالْبَدْنَ مِنَ الْأَحْوَالِ لَانْ كَيْفِيَّاتِ الْبَزْرِ وَالنُّطْفَةِ كَيْفِيَّاتِ مَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ مَا يَنْشَأُ
مِنْهُمَا قَالَ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ظَنِّي وَلَيْسَ مِنَ الْيَقِينِ فِي شَيْءٍ وَلَيْسَ هُوَ أَيْضًا مِنَ الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ يَعْنِي الْقَدَرِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ
جَمَلَةِ الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ لِأَنَّ الْكَائِنَ وَالْقَضَاءَ الْإِلَهِيَّ سَابِقٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا يَحْصُلُ كَلَامُ بَطْلِيمُوسَ وَصَاحِبِهِ وَهُوَ
مَنْصُوصٌ فِي كِتَابِهِ الْأَرْبَعِ وَغَيْرِهِ وَمِنْهُ يَبْتَنِي ضَعْفُ مَدْرِكِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ الْكَائِنَ أَوَاطِنَ
بِهَاتِمَا يَحْصُلُ عَنِ الْعِلْمِ بِجَمَلَةِ أَسْبَابِهِ مِنَ الْفَاعِلِ وَالْقَابِلِ وَالصُّورَةِ وَالْغَايَةِ عَلَى مَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ وَالْقُوَى
النُّجُومِيَّةِ عَلَى مَا قَرَّرَهُمُ أَنْهَا فِي فَاعِلَةٍ فَقَطُّ وَالْجُزْءُ الْعَنْصَرِيُّ هُوَ الْقَابِلُ ثُمَّ أَنَّ الْقُوَى النُّجُومِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ
الْفَاعِلُ بِجَمَلَتِهَا بَلْ هُنَاكَ قُوَى أُخْرَى فَاعِلَةٌ مَعَهَا فِي الْجُزْءِ الْمَادِيِّ مِثْلُ قُوَةِ التَّوَلُّدِ دَلَالًا وَالنُّوعِ الَّتِي فِي
النُّطْفَةِ وَقُوَى الْخَاصَّةِ الَّتِي تَعْمِزُ بِهَا صَنْفٌ صَنْفٌ مِنَ النُّوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَالْقُوَى النُّجُومِيَّةُ إِذَا حَصَلَ كُلُّهَا
وَحْصَلَ الْعِلْمُ فِيهَا أَنْهَا فِي فَاعِلٍ وَاحِدٍ مِنْ جَمَلَةِ الْأَسْبَابِ الْفَاعِلَةِ لِأَنَّ الْكَائِنَ ثُمَّ أَنَّهُ يَشْتَرِطُ مَعَ الْعِلْمِ بِقُوَى

فَفَضَّلُوا أَنَّهُمْ مَطْعُونٌ وَكَانُوا
يَقْرُونَ مِنَ الطَّاعُونَ إِذَا
سَمِعُوا بِهِ فَيَقُولُوا عَنْهُمْ
مَدِيرٌ بَيْنَ فِرَاقِ آلِهِمْ
فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَوْهُمْ قَدِ وَضَعُوا
لَهَا طَعَامًا وَشَرِبَ أَفَقَالَ أَلَا
تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطَقُونَ
فَاقْبَلْ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ
وَكَسَّرَهَا وَقَطَعَ أَيْدِيَهَا
وَأَرْجُلَهَا حَتَّى جَعَلَهَا جُذًا
وَأَرَادَ أَنْ يَطْعَمَهَا وَشَرِبَهَا
وَعَمِدَ إِلَى الْفَأْسِ فَفَعَلَهُ بِدِ
الْهَمِّ الْعَظِيمِ ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا
وَتَرَكَهَا فَلَمَّا رَجَعَ قَوْمُهُ
مِنْ عِيدِهِمْ دَخَلُوا بَيْتَ
أَصْنَامِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْا مَا صَنَعَ
بِهَارِعَهُمْ ذَلِكَ وَأَعْظَمُوهُ
وَقَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بَا لِهَتْنَا
أَنَّهُ لَمَنْ الظَّالِمِينَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ
سَمِعْنَا قَوْلَ يَذْكُرُهُمْ بِقَالَ لَهُ
إِبْرَاهِيمُ سَمِعْنَا يَسْمَعُهَا
وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَقَالَ غَمْرًا
فَأَتَوْا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ فَلَمَّا اتَّقَى
بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

بَا لِهَتْنَا يَا إِبْرَاهِيمَ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا
إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ قَالُوا إِنَّا قَدْ ظَلَمْنَاكُمْ بِمَا نَسَبْنَا إِلَيْكُمْ ثُمَّ قَالُوا وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّهُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطَقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالَ لَهُ غَمْرًا وَذَحِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ صَفَ لَنَا الْهَلْكَ الَّذِي
تَعْبُدُونَ تَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ غَمْرًا وَأَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ آخِذْ جُلِينَ قَدْ اسْتَوْجَبَا
الْقَتْلَ فِي حَكْمِي فَاقْتُلْ أَحَدَهُمَا فَإِنْ كُنَّ قَدَامَتَهُ وَاعْقُو عَنْ الْآخَرِ فَإِنْ كُنَّ دَأْحِيَّةً فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَاحْيِ الَّذِي قَتَلْتَ
بِرْزَعِكَ أَخْرِجْ رُوحًا مِنْ جَسَدٍ مِنْ غَيْرَانِ تَقْتُلُهُ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا وَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ عَنْ ذَلِكَ

النُّجُومِ
الْجُزْءِ الْمَادِيِّ
الْقُوَى النُّجُومِيَّةِ
الْفَاعِلُ بِجَمَلَتِهَا
النُّطْفَةُ
وَحْصَلَ الْعِلْمُ
بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

ثم وذلوم يرد الى ابراهيم شيئا و امر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يدعو اهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر امره
وفشاوا تبعه قوم كثير على دينه فلما ارادوا ان يحرقوا ابراهيم واجتمع امرهم على ذلك بنوحير اطول جداره ستون ذراعا و وضعوه الى
سفع جبل منيف لا يرام ولا يرقا و بطوا المحرور فلا يمشی فيه أحد الا زلق عنه واذن مؤذن يصرخ و ذأبها الناس احتطبوا النار ابراهيم ولا
يتخلفن عنها ذكرا ولا أنثى ولا حولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك القى في تلك النار فعملوا في ذلك أربعين ليلة حتى
ان المرأة منهم تنذر ذلك على نفسها اثني عشر رجس غائبها ووافق عليها حتى اذا اكمل ذلك قد فوافيه النار حتى انه كان يسمع وهج النار على
المسافة البعيدة فلما بلغ ذلك وضع ابراهيم في كفة المتخنيق قال وهب بن منبه فبلغني (٣٣١) ان السماء والارض والبحار وما

فيها ضجوا الى الله تعالى
ضجة واحدة قالوا يا ربنا

ليس في أرضك أحد يعبدك

غيره فاذن لنا في نصرته

فاوحى الله تعالى اليهم ان

استغاث بشئ منكم

فانصروه وأغيثوه وان

دعاني فانا وليه وناصره فلما

وضعوه في كفة المتخنيق

وقذفوه قال حسبي الله ونعم

الوكيل اللهم انك تعلم

ايماني بك وعداوة قومي

فبك فانصرني عليهم ونجني

من النار فاوحى الله تعالى

الى النار ان كوني بردا

وسلاما على ابراهيم

فاطاعت النار ربه اولولم

يقول سلاما لمات من

شدة البرد ولبت ابراهيم في

النار سبعة أيام وظن قومه

انه قد احترق ثم قال ثم وذل

انظروا ماذا فعل ابراهيم

فاني رأيت الليلة في نومي ان

جدار هذا الحيز قد تهدم

ونخرج ابراهيم يمشی قال

و ذاب النحاس الذي سبده

النجوم وتأثيراتها يزيد حدس وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والمحدس والتخمين
قوى للناظر في فكره وليس من علل الكائن ولا من أصول الصناعة فاذا فقه هذا الحدس والتخمين رجعت
ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم بالقوى النجومية على سداده ولم تعتبره آفة وهذا معوز
لما فيه من معرفة حسابات الكواكب في سيرها المتعريف به أوضاعها ولما ان اختصاص كل كوكب
بقوة لا دليل عليه ومدرك بطليموس في اثبات القوى للكواكب الخمسة بقدراسها الى الشمس مدرك
ضعيف لان قوة الشمس غالبية لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل ان يشعر بالزيادة فيها
او النقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها فادحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه
الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب التوحيد ان لافاعل الا الله بطريق
استدلال كراميته واحتج له اهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من ان اسناد الاسباب الى المسببات
مجهول الحقيقة والعقل متهم على ما يقضي به فيما يظهر بادى الرأى من التأثير فاعل اسنادها على غير
صورة التأثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا سيما والشرع
بردا لحوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك والنبوات ايضا منكرة لاشان النجوم وتأثيراتها
واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته وفي قوله
أصبح من عبادى مؤمن بنى وكافر بنى فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بنى كافر بالكواكب
وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بنى مؤمن بالكواكب الحديث الصحيح فقه بان الكواكب بطلان هذه
الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران
الانسانى مما تبعث في عقائد العوام من الفساد اذا اتقى الصدق من احكامها في بعض الاحايين اتفاقا لا
يرجع الى تعديل ولا تحقيق فيلجج بذلك من لا معرفته ويظن اطراد الصدق في سائر احكامها وليس
كذلك فيقع في رد الاشياء الى غير خالقها ثم ما ينشأ عنها كثير في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه
ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمتر بصين بالدولة الى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثير فإنبغي
ان تحظر هذه الصناعة على جميع اهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يقدح في ذلك
كون وجودها طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم فالخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن
نزعهما وانما يتعلق التكليف باسباب حصولهما فيتعين السعي في اكتساب الخير باسبابه ودفع الشر باسبابه
الشر والمضار هذا هو الواجب على من عرف مفساد هذا العلم ومضاره وليعلم من ذلك انها وان كانت صحيحة
في نفسها فلا يمكن احدا من اهل الملة تحصيل علمها ولا ما كتب ابل ان نظرها ناظر وظن الاطالة بها فهو في

باب الحيز واحترق الجدار فصار رمادا فاطلوا على ابراهيم فرأوه صحيحا سليما وخرج الى الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما رآهم
خرج يمشی حتى قعد الى أمه وهي في الجمع وأقبلت سارة وكانت اول من آمن به حتى جلست اليه فقالت يا ابراهيم انى آمنت بالذى جعل
النار بردا وسلاما قالت لها أم ابراهيم احذرى القتل على نفسك فقالت اليك عنى فاني لا أخاف شيئا وقد آمنت بالله ابراهيم وحول ابراهيم
جميع من الناس لا يحصى عددهم يأمر ون ليحد دواله عذابا فارسل الله تعالى ريحا عاصفا فسفت رماد تلك النار في وجوههم وعيونهم
فقروا عنه وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى ومذكر ابيه وقال مجاهد وقناة وغيرهما ان نبي الله سليمان بن داود عليه السلام انطلق الى
الحمام ومعه جني يقال له صخر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الحمام الخاتم فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فالتقام في البحر

فأنته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان فخاف فحاجس على كرسية وسلط على جميع ملك سليمان غير نسائه
فجعل يقضي بين الناس والناس يذكرون قضايه حتى قالوا لقد فتى نبي الله سليمان وبعث على ذلك أربعين يوماً ثم أقبل في حالته تلك
وهو جائع نافع حتى انتهى إلى صيادين في البحر فاستطعم أحدهم من صيده وقال له أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضر به بعضاً فشح وجهه
فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلا م الصيادون صاحبهم على ضر به أياه ثم أعطوا سليمان ستمائة دينار فغير عندهم وتنت ولم يشغله
ما كان فيه من الضرب عن أن يقوم إلى شاطئ البحر فشقي بطونهم وأوغسلهم أفو جدي خاتمة في بطن أحدهم فأخذه فلبسه فرد الله عليه
بهاءه وماله وكه وجاءت الطير (٣٣٢) فخامت عليه فعرف القوم أنه سليمان فجاؤا يعترفون له (وروى) وهب بن منبه

غاية القصور في نفس الامركان الشريرة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من اهل العلم من ان لقرائتها
والتحليق لتعليمها واصار المولى بهامن الناس وهم الاقل واقل من الاقل انما يطالع كتبها ومقالاتها في
كسر بيته مسترا عن الناس وتحت ربة الجهور مع شعب الصناعة وكثرة قروعه وواعياصها على الفهم
فكيف يحصل منها على طائل ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه ديناً وديناوسهات ما خذ من الكتاب
والسنة وعكف الجهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول المداينة وكثرة المحاسن
وتعددتها انما يحذف فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار والاجبال فكيف يعلم مهجور للشريرة مضروب
دونه سد المحظر والتحرير مكمكوم عن الجهور وصعب المأخذ محتاج بعد الممارسة والتفصيل لاصوله
وفروعه الى مزيد حدس وتخمين بكتفتان به من الناظر فابن التحصيل والمحقق فيه مع هذه كلها ومدعى
ذلك من الناس مردود على عقبه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة الفن بين اهل الملة وقلة جلته فاعتبر ذلك
يتبين لك صحة ما ذهبنا اليه والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه احدا * ومما وقع في هذا المعنى لبعض
اصحابنا من اهل العصر عند ما غلب العرب عساكر السلطان أبي الحسن وحاصرهم بالقاهرة وكان كثير
ارجاف القريةين الاولياء والاعداء وقال في ذلك أبو القاسم الروحي من شعراء اهل تونس
استغفر الله كل حين * قد ذهب العيش والمنا * أصبح في تونس وأمسي * والصبح لله والمساء
الخوف والمجوع والمنايا * يحدثها المخرج والوباء * والناس في مريه وحرب * وماعسى ينفع المراء
فاجدى ترى عليا * حل به الملك والتواء * وآخر قال سوف يأتي * به اليكم صباراء
والله من فوق ذا وهذا * يقضى لعبديه ما يشاء * ياراصد الخنفس الجوارى * ما فعلت هذه السماء
مظلمونا وقد زعمتم * أنكم اليوم أملياء * ترخيس على نخيس * وجاعست وأربعا
ونصف شهر وعشرين * وثالث ضمه القضاء * ولا ترى غيرة زور قول * اذاك جهل أم ازدرأ
انا الى الله قد علمنا * ان ليس يستدفع القضاء * رضيت بالله الى الها * حسبكم البدر أود كما
ما هذه الانجم السوارى * الاعباد يد أوام * يقضى عليهم وليس تقضى * وما لها في الورى اقتضاء
ضلت عقول ترى قديما * ماشأنة الجرم والقناء * وحكمت في الوجود طبعها * يحده الماء والهواء
لم تر حـ... لـوا ازاء مر * تغذوهم وتربوهم * الله ربى ولست أدري * ما الجهور والفر دوا الخلا
ولا الهول التي تنادى * مالى عن صورة عراء * ولا وجود ولا انعدام * ولا نبوت ولا انتفاء
ولست أدري ما الكسب الا * ما جلب البيع والشراء * وانما مذهبي وديني * ما كان والناس اولياء
اذلا فصـول ولا اصول * ولا جدال ولا ارتباء * ماتبع الصدر واقتيننا * ياخذنا كان الاقتفاء

ان الله تعالى وهب لآبراهيم
اسحق فلما كان ابن سبع
سنين أوحى الله تعالى الى
ابراهيم ان يذبحه وان
يجعله قرباناً فذبح ابراهيم
ذلك عن اسحق وأمه
وجميع الناس وأسره الى
خليل له يقال له العازر
وكان أول من آمن به من
قومه يوم أحرق فقال له
ان الله سبحانه رفع اسمك في
الملا الأعلى على جميع
أهل البلاء حتى كنت
أرفعهم بليّة ليرفع الله
بقدرك في المنـازل
والفضائل وقد علمت ان
الله تعالى لم يبتلك بذلك
ليرفعك ولا ليعزلك فلا
يسوأن بالله ظنك وأعوذ
بالله ان يكون ذلك حتما
منى على الله تعالى أو سخطا
بحكمه الذى حكم على عباده
ولكن هذا حسن الظن بالله
فان عزم ربك على ذلك
فكن عند حسن علمك
ولا حول ولا قوة الا بالله

العلی العظیم فتعزى ابراهيم عليه السلام بقوله واسند له رأيه وبصيرته وانطلق باسحق فلما صعد الجبل
ومعه السكين والجبل وأداة القر بان فقال له اسحق يا أبت أرى معك أداة القر بان ولا أرى قرباناً قال ابراهيم يا بنى القر بان بعين ربك
ينظر اليه وان شاء رحم أباك فلم يقطن اسحق فلما وافى رأس الجبل قال ابراهيم يا بنى ان الله تعالى أمرنى ان أذبحك وأجعلك قرباناً فرفعك
اليه ويتقبلك فانظر ماذا ترى فتهلل اسحق واستبشر فقال له والده لقد فجعنى يا بنى يا مرفجع به والدوله وانى لارى من سرورك بذلك
وشكر لك لربك أمر أرحو به العافية والفرج فقال يا أبت لم يكن شئ من الدنيا أحب الى من البر بلك وبامى وقد جرمته رنى فاذا أردت
ذبحى فاشدد وثاقى فانى أخاف حين يفارقنى عقى واجدد ألم الحديد ان يتحرك منى عضو فيؤذيك وأنا أكره ان أختبم بذلك عملى فاذا

فرغت من امرى فاقرى اى السلام وقل لها لا تجزى فقدا كرم الله لك ابنتك في جنته فلما فرغ من وصيته عمدا ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه فعصيه بعمامته ما بين منه كبية الى الكعبين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كي لا تدركه له رجة اذ هو تسخط فادخل يده من تحت حلقه فلما اراد ان يحز انقلب السكين فاجس ابراهيم في نفسه ثم عاد الثانية فلما اراد ان يحز انقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انك كذلك تجزى المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم هذا فدعا ابنتك قد فداه الله لك به فنظر ابراهيم خلقه فاذا بك بش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجه ابراهيم الى القبلة وقبلته يومئذ مكة فذبحه ابراهيم وقصبه اسحق فلما فرغ منه وضعه اقر بانافره الله اليه وتقبله (قال أبوهريرة) ولم اصار (٣٣٣) يوسف عليه السلام الى مصر واسترق

بعد الحيرة رية خرج جرحا شديدا وجعل يبكي الليل والنهار على ابويه واخوته ووطنه وما تبلى به من الرق فاحماله من اللامالي يدعور به تعالى وكان من دعائه ان قال يارب اخرجتنى من أحب البلاد الى وقرمت بينى وبين اخوتى وأبوى ووطنى فاجعل لى فى ذلك خيرا وفرجا ونجرا من حيث احسب ومن حيث لا احسب وجيب الى البلاد التى أنا فيها وجيبها الى كل من يدخلها وجبني الى أهلها وجيبهم الى ولائتي حتى تجمع بينى وبين أبوى واخوتى فى بصرى منك ونعمة وسرور تجمع لنا به خير الدنيا والاخرة انك سميع الدعاء فاقى يوسف فى نومه فقيل له ان الله تعالى قد استجاب لك دعائك وأعطاك منك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك

كانوا كل يعلمون منهم * ولم يكن ذلك الهذاء * يا أشعري الزمان انى * أشعري الصيف والشتاء أنا أجزي بالشر شرا * والخير عن مثله جزء * واتنى ان أكن مطيعا * قرب أعصى ولى رجاء واتنى تحت حكم بار * أطاعه العرش والعرش ليس باستطار كوكب * اتاحه الحكم والقضاء لو حدث الاشعري عن * له الى رأيه انتماء * فقال اخبرهم بانى * مما يقولونه براء

٢٧ * (فصل فى انكار عثرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتكائها) اعلم ان كثير من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على انتكال هذه الصنائع ويرون انها احدم مذهب المعاش ووجوهه وان اقتناء المال منها يسر واسهل على مبعثه فيرتكبون فيها من المنائب والمشاق ومعاناة الصعاب وعسف الحركات وخسارة الاموال فى النفقات زيادة على النبل من غرضه والعطب آخر اذا ظهر على خيبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعنا وانما اطعمهم فى ذلك رؤية ان المعادن تستحيل وينقلب بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة ويحسبون انها من مكنات عالم الطبيعة ولهم فى علاج ذلك طرق مختلفة لا خلاف مذهبهم فى التدبير وصورته وفى المادة الموضوعه عندهم للعلاج السماسة عندهم بالحجر المكرم هل هى العذرة او الدم او الشعر او البيض او كذا او كذا مما سوى ذلك وجه التدبير عندهم بعد تعين المادة ان تمهى بالفهر على حجر صلد امس وتسقى انثاء ماها بالماء بعد ان يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويؤثر فى انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تحفف بالشمس من بعد السقي او تطبخ بالنار او تصعد وتكلس لاستخراج مائها وتزجها فاذا رضى بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته اصول صنعيته حصل من ذلك كله تراب او مائع يسعونه الا كسير ويزعمون انه اذا اتى على الفضة الحماة بالنار عادت ذهباً او النحاس المحمى بالنار عادت فضة على حسب ما قصد به فى عمله ويزعم المحققون منهم ان ذلك الا كسير مادة مركبة من العناصر الاربعه حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج ذوقى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها وزجها وتثبت فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالخبرة للخبر تقلب العين الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانفشاش والمشااشة ليحسن هضمه فى المعدة ويستحيل سره الى الغذاء وكذا كسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن يصرفه اليه ما يقلبه الى صورتها ما هذا يحصل زعمهم على الجملة فتعدهم عاكفين على هذا العلاج يبتغون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون احكامهم وقواعدهم من كتب لائمه الصناعات من قبلهم يتداولونها بينهم ويتناظرون فى فهم لغوزها وكشف اسرارها اذهى فى الاكثر تشبه المعنى كما ليف جابر بن حيان فى رسالته السبعين ومسلمة

أوبك واخوتك وأهل بيتك فطب نفسا واعلم ان الله تعالى ان يخلف وعده وبدعاء يوسف صارت مصر محبوبة يجب من دخلها فلا يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكنها نبي قبله ولم يجمع الله شمله وتكاملت النعمة عليه اشفاق الى لقائه به فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطرا السموات والارض أنت ولى في الدنيا والاخرة توفني مسلماً وأمقني بالصالحين * ولمساوجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم افر يقية فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم فاقى به فى شهر رمضان عند المغرب وفى يد ابن أبي مسلم عنقه وعنب فقال له يزيد حين دنائه محمد قال نعم قال اما والله لما سألت الله تعالى ان يمكّننى منك بغير عهد ولا عقد

فقال محمد وأنا والله فطامنا سأل الله ان يحيرني منك ويعدني فقال يز يدفوا الله ما أجارك ولا أعاذك وان سابتني ملك الموت الى قبض روحك اسبقته والله لا كانت هذه الحبة حتى أقتلك فاقام المؤذن الصلاة فوضع يز يد العنود وتقدم ليصلي وكان أهل افر يقية قد اجتمعوا على قتله فلما ركع ضر به رجل على رأسه بهمود فقتله وقيم ل محمد بن يز يد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير واحيا الاسير سنة الله التي قد خلت في عباده طلوع الحياة من شفار الموت وحضور الموت من معدن الحياة (ويروي) ان سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فإرسل الى قائد البحر وقال انفذ الان مركبا الى افر يقية يأتوني باخبارها فعمر القائد المركب وأرسله لمحبه فلما أصبحوا اذا بالمركب في موضعه (٣٣٤) لم يبرح فقال له الملك اليس قد فعلت ما امرتك به قال نعم قد امتثلت امرك وأنفذت

المركب فرجع بعد ساعة وسجدت لك مقدم المركب بخاء ومعه رجل فقال الملك ما منعك ان تذهب حيث امرتك قال ذهبت بالمركب فبينما اننا في جوف الليل والبحارون ينفذون اذا أنا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في اسماعنا نادينه مرارا يا بليك يا بليك وهو ينادي يا الله يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه يا بليك يا بليك وقد فطنا المركب نحو الصوت فالتفتنا هذا الرجل غريبا في آخر رمق من الحياة فاخذناه من البحر وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افر يقية فغرقت سفينةنا منذ أيام ومازلت أسمع حتى وجدت الموت فلم أشعر الا بالغوث من فاجئتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرق جبارا في قصره لغريقي في البحر حتى

الخبر يطى في كتابه رتبة الحكيم والطغرائي والمغيربي في قصائده العربية في اجادة النظم وأمثالها ولا يحلون من بعده هذا كله بطائل منها * فافوضت يوما شيخنا بالبركات التلقيفية كبير مشيخة الاندلس في مثل ذلك ووقفته على بعض التاليف فيها قصة طويلة يلائم رده الى وقال لي وأنا الضامن له ان لا يعود الى بيته الا بالخفية ثم منهم من يقتصر في ذلك على الداسة فقط اما الظاهرة كتمويه القصة بالذهب والنحاس بالفضة او خلطهما على نسبة جزاء جزأين أو ثلاثة او الحقيقه كالقاء الشبه بين المعادن بالصناعة مثل تبويض النحاس وتليينه بالزرق المصعد فيجى جسمه معدنيه اشبه بالفضة ويخفي الاعلى النقاد الماهرة في قدر أصحاب هذه الدلس مع دلسهم هذه سكة يسر بونها في الناس ويظعنونها بطابع السلطان تمويهها على الجمهور بالخلاص وهؤلاء اخس الناس حرفة وأسوأهم عاقبة لتلبسهم بسرقة اموال الناس فان صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع نحاسا في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه فهو سارق أو أشرم من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبة البربر المنتهذين باطراف البقاع ومساكن الانحاد يأوون الى مساجد البادية ويموهون على الاغنياء منهم بان بايديهم صناعة الذهب والفضة والنقوس مولعة بحبهم والاستهلاك في طامهم فيحصلون من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عندهم تحت الخوف والرقبة الى ان يظهر العجز وتقع الفضيحة فيقرون الى موضع آخر ويستجدون حالا أخرى في اسهوا بعض أهل الدنيا باطباعهم فيما لديهم ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم لعلمهم الا الشدة تدادهم كما عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع أيديهم متى ظهر واعلى شأنهم لان فيه افساد للسكة التي تعيها بالملوى وهي مقول الناس كافة والسلطان مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشدة تداد على مقسديها وأما من انتحل هذه الصناعة ولم يرض بحال الدلسة بل استسكف عنها ونزه نفسه عن افساد سكة المسلمين ونقودهم وانما يطالب بحالة الفضة للذهب والرصاص والنحاس والقزدير الى الفضة بذلك النجوم من العلاج وبالا كسير المحاصل عنده فلنا مع هؤلاء متكلم وبحث في مداركهم لذلك مع الانا لم أن أحدا من أهل العلم تم له هذا الغرض أو حصل منه على بغية انما تذهب اعمارهم في التدبير والفهر والولاية والتصعيد والتكليس واعتيام الاخطار بجمع العقاقير والبحث عنها ويناقلون في ذلك حكايات وقعت لغيرهم عن تم له الغرض منها أو وقف على الوصول يقنعون باستماعها والمفاوضة فيها ولا يستريون في تصديقها شأن السكافين المغر من بوساوس الاخبار فيما يكافون به فاذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة أنكروه وقالوا انما سمعنا ولم نره كذا شأنهم في كل عصر وجيل واعلم ان انتحال هذه الصنعة قديم في العالم وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين

استخرجته من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لا اله الا انت سبحانك وأخبرني رجل واما آخر من كان أمام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت بصقلية أيام فتن العدو فرحفت البناني البحر سفن تقارب ثلثة سفينة وأرست في الساحل فرأينا أحرارهم ولا وفينا الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلما الناس اليه واستجمعوا حوله يشبه كون به وينتظرون الفرج على يديه قال فنظر الى السماء حينئذ وسجد وعفر خديه بالأرض يقام ما يميننا وشمالا قال فوالله ما ذهبنا حتى هبت ريح مرقها كل مرقق فلم يجتبه منها اثنتان (واخبرني) أبو القاسم بن فائق رحمه الله قال كنت في طريق الحجاز فخطت الناس في مقاراة تبوك ففقد الماء ولم يوجد الا عند صاحب لي جمال فجعل يبيع به بالدنانير بارفع الاثمان فجاء رجل كان موسوما بالصالح عليه مقطرة يحمل ركوة ومعه شيء من دقيق فشق

الى الجبال ليمسها الماء بذلك الدقيق فكلمته فاني على ثم عاودته فاني قال فبسط الرجل النطع في الارض ونثر عليه الدقيق ثم رمق
الماء وقال الهى انا عبدك وهذا دقيقتك ولا املك غيره وقد ابى ان يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى اشرب فوالله
ما تفرقنا حتى نشأ السحاب فامطر للحين فشرب الماء ولم يبرح فـ كان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب أشعب اغبرذى طمر بن لا يؤبه
له لو أقسم على الله لأبره (وأخبرني) شيخ من من كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له حريز قال أخبرني عبد السكافي الديباجي قال رأيت
بالقيروان آية عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي له وقد أسكت فلا يتكلم فدخل به الى الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان ابني هذا
قد أسكت منذ أيام فلا يتكلم فادع الله ان يفرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة (٣٣٥) ثم مسح وجه الصبي فاستفاق الصبي

فقال له قل لا اله الا الله فقال
الصبي أشهد أن لا اله الا الله
وأشهد أن محمدا رسول الله
ثم النفث الى الرجل وقال
اكتما على الى الموت ثم
النفث الى جاريته فقال
اكتمي على هذا الى الموت
وأنت حرة فلما كان يوم
توفي الشيخ أبو بكر واجتمع
الناس لمنازته وتكاثرت
الامم قام الرجل فاستنصت
الناس فسكتوا فقال يا أهل
القيروان اسمعوا قصتي
مع هذا الشيخ وذكر الحديث
كما سقناه (وحدثني) هذا
الشيخ قال نزل عندنا
بالقيروان قصة لم يسمع في
السالفين مثله او ذلك ان
بعض الجزارين اصبح
كبشاً ليذبحه فتخبط بين
يديه فافلت منه وذهب
فقام الجزاري يطلبه وجعل
يمشي الى أن دخل خربة
فاذا فيه رجل مذبوح يتخبط
في دمه ففزع وخرج
هارباً واذا صاحب الشرطة

والمتأخر بن فلننقل مذاهبهم في ذلك ثم نتلو بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الامر في نفسه منقول
ان مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المعادن السبعة المنطوقة وهي الذهب والفضة
والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والمخارصين هل هي مختلفات بالفصول وكلها انواع قاعته بأنفسها
اوانها مختلفة بنحو اقصى من الكيفيات وهي كلها أصناف لنوع واحد فالذي ذهب اليه أبو نصر الفارابي
وتابعه عليه حكماء الاندلس أنها نوع واحد وان اختلافها انما هو بالكيفيات من الرطوبة واليبوسة
واللين والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها اصناف لذلك النوع الواحد والذي
ذهب اليه ابن سينا وتابعه عليه حكماء المشرق انها مختلفة بالفصول وانما انواع متباينة كل واحد منها قائم
بنفسه متحقق بحقيقته له فصل وجنس شأن سائر الانواع وبنى أبو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها
بالنوع امكان انقلاب بعضها الى بعض لا مكان تبدل الاعراض حينئذ وعلاجها بالصناعة فن هذا الوجه
كانت صناعة الكيمياء عنده ممكنة ههنا المأخذ وبنى ابو علي ابن سينا على مذهبه في اختلافها بالنوع
انكار هذه الصناعة واستحالة وجودها بناء على ان الفصل لا سبيل بالصناعة اليه وانما يخلقه خالق الاشياء
ومقدرها هو والله عز وجل والفصول مجهولة المحقائق رأسا بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصناعة وغلظه
الطغرائي من أكابر أهل هذه الصناعة في هذا القول ورد عليه بان التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل
وابداعه وانما هو في أعداد المادة لقبوله خاصة والفصل يأتي من بعد الاعداد من لدن خالقه وبارئه كما
يفيض النور على الاجسام بالصلابة والامهارة ولا حاجة بنا في ذلك الى تصوره ومعرفة قال واذا كنا قد عثرنا
على تخليق بعض الحيوانات مع المحمل بقصولها مثل العقرب من التراب والنتن ومثل الحيات المتكونة
من الشعر ومثل ما ذكره اصحاب الفلاحة من تكون النحل اذا فقدت من عجاجيل البقرو تكوّن القصب
من قرون ذوات الظلف وتصييرهم سكر الحشوش والقرون بالعسل بين يدي ذلك الفلح للقرون فما المانع اذا
من العثور على مثل ذلك في الذهب والفضة فتتخذ مادة تصير فيها للتدبير بعد ان يكون فيها استعداد اول
لقبول صورة الذهب والفضة ثم تحاولها بالعلاج الى ان يتم فيها الاسس تعدد لقبول فصلها انتهى كلام
الطغرائي بمعناه وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على اهل هذه الصناعة مأخذ آخر
يتبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم اجمعين لا الطغرائي ولا ابن سينا وذلك ان حاصل علاجهم
انهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاسس تعدد الاول يجعلونها وضوعا ويحاذون في تدبيرها وعلاجها
تدبير الطبيعة في الجسم المعدني حتى احالته ذهباً وفضة ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفعلة ليتم في زمان
أقصر لانه تبين في موضعه أن مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين أن الذهب انما يتم كونه

والرجال عندهم خبر القتل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول فأصابوا به السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة
فقبضوه وجعلوه الى السلطان فقال له أنت قتلت الرجل قال نعم قال فما زالوا يستنطقونه وهو يعترف اعترافاً لا اشكال فيه فأمر به
السلطان لمقتل فاخرج للمقتل واجتمع الامم ايمصر واقتله فلما هو باقتله اندفع رجل من الحلقة المجتمعة بين فقال لهم لا تقتلوه انا قاتل
القتيل فقبض وجعل الى السلطان فاعترف وقال أنا قتلت فقال له السلطان قد كنت معافي من هذا فما جعلك على الاعتراف قال رأيت هذا
الرجل يقتل ظلماً فكرهت ان اتقى الله تعالى بدم رجلين فأمر به السلطان فقتل ثم قالوا للرجل يا أيها الرجل ما دعاك الى الاعتراف بالقتل
وأنت بري فقال الرجل فإحيا لي رجل مقتول بالخربة وأخذوني وأنا خارج من الخربة وبهدى السكين ملطخة بالدم فان أنكرت من

يقبلي وان اعتذرت من يعذرتي في سبيله وانصرف مكرما (ولما وزعفر الملك) نظام الدين لسنجار الملك وكان لفتح الملك ابن عم يقال له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزله فقال للملك سنجان لا حياة لي معك الا ان تقتل ابن عمي شهاب الملك في سنجان فما زال يراجعها الى أن أمر به فحبس في بلدي يقال لها بيق وكان والي ذلك البلد يكرمه لمجالاته وحوالته اهل بيته واخلى له دارا في القلعة مشرفة ثم جعل لغير الملك يفسد قلب سنجان ويحمله على قتل شهاب الملك الى أن أرسل سنجان الى واليه بقتل شهاب الملك فاستعظم الوالي قتله واخره اياما ثم لم يجد يدان قتلته فعزم على قتله في يوم جمعة فبينما شهاب الملك يطالع من طاقات الدار اذا بقارس يركض فاجس في نفسه خيفة منه وقال هذا ير يد أن يقتلني فوصل الفارس (٣٣٦) وقال مات فتح الملك في سبيل شهاب الملك ثم وزر السنجان فبحان الفاعل لما يريد

(أخبرني) أبو الفضل المعبر بمصر قال كان بمصر ملوك بني جدان وكان الرئيس ناصر الدولة وكان يشكو وجع القولنج فأعيا الأطباء ولم يوجد له شفاء ثم ان السلطان دس على قتله فارصده رجل معه خنجر فلما جاء في بعض دهاليز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر ففادت الضربة في أسفل خصرته فأصاب طرف الخنجر المعبر الذي هو القولنج فخرج ما فيه الخلط ثم عافاه الله تعالى فصع وبرى كاحسن ما كان (ولما كنت بالاسكندرية) نزلت سفن العدو بساحل مدينة برفا فآخذوا قوما من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذوا رجل منهم وشككاه من خلفه فلما نهوا السفينة عمد اليه بعض الاعلاج فرفسه وألقاه في البحر ثم طعنه برمح كان معه فلم يخطئ

في معدنه بعد ألف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فاذا تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه اقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه أو يتجرون به لاجلهم ذلك حصول صورة مزاجية اتكك المادة تصيرها كالخبرة فتفعل في الجسم المعالج الا فاعيل المطلوبة في حالته وذلك هو الاكسبر على ما تقدم واعلم ان كل متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربعة على نسبة متفاوتة اذ لو كانت متكافئة في النسبة لمات متراجها فلا بد من الجزء الغالب على الكل ولا بد في كل ممتزج من المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه الحافظة لصورته ثم كل متكون في زمان فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله في زمن التكوين من طور الى طور حتى ينتهي الى غاية وهو انظر شأن الانسان في طور النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم النصور ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم ثم ثم الى نهايته ونسب الاجزاء في كل طور تختلف في مقاديرها وكيفياتها والالكان الطور بعينه الاول هو الاخر وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لما في الطور الاخر فانظر الى الذهب ما يكون له في معدنه من الاطوار منذ ألف سنة وثمانين وما يستعمل فيه من الاحوال فيحتاج صاحب الكيمياء الى أن يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاذيه بتدبيره وعلاجه الى أن يتم ومن شرط الصناعة ابدان تصور ما يقصد اليه بالصناعة في الامثال السائرة للحكمة اول العمل آخر الفكرة وآخر الفكرة اول العمل فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب في احواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف الحار والغريزي عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما ينوب عنه من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه حتى يحاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن أو تعدل بعض المواد صورة مزاجية تكون كصورة الخيرة للخبز وتعمل في هذه المادة بالمنااسبة لقواها ومقاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وانما احاط من يدعي حصوله على الذهب بهذه الصناعة بمثابة من يدعي بالصناعة تخليق انسان من المتى ونحن اذا سلمنا له الا حاطة بأجزائه ونسبته واطواره وكيفية تخليقه في رجه وعلم ذلك علما محصلا بقاصد له حتى لا يشك منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان وأنى له ذلك * ونقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة الكيمياء وما يدعون به هذا التدبير انه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل الصناعي ومحاذاتها به الى أن يتم كون الجسم المعدني او تخليق مادة بقوى وافعال وصورة مزاجية تفعل في الجسم فعلا طبيعيا فتصير به وتقلبه الى صورتها والفعل الصناعي مساوق بتصورات احوال الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها ومحاذاتها او فعل المادة ذات القوى فيها تصورا مقصدا لا واحدة بعد أخرى وتلك الاحوال لانهاية لها والعلم البشري عاجز عن الا حاطة بمادونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان او حيوان أو نبات هذا يحصل هذا البرهان

وهو

نصل الرمح جبل السكك في قطعه وانحلت يد الرجل فسيح حتى لمحق بالشاطئ سليمان ووصل الى الاسكندرية في عافية (وحدثني) بعض الشاميين ان رجلا خبازا يندما هو يخبز في تنوره مدينة دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش قال فاشترى منه وجعل يأكل بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروا فاذا هو ميت فحملوا بتر بصون به ويحملون له الأطباء فيلجسون دلائله وواضع الحياة منه فقصوا بانته فغسل وكفن وحمل الى الجبانة فبينما هم خارجون به من باب المدينة استقبلهم رجل طبيب يقال له البير ودي وكان طبيبا ماهرا حاذقا بالطب فسمع الناس يلهمجون بقصته فقال لهم خطوه حتى أراه قال فخطوه وجعل يقبله وينظر في أمارات الحياة التي يعرفها ثم فتح فيه وسقفه شيئا وقال حقنه فاندفع ما هناك يسيل واذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى

دكانه (وكان رجل) يمشي بين غدا فيبنيها وفي الطريق اذا بدا رقد وقعت عليه فخرت كالجبل العظيم واذا في الحائط طاقة فاختط رأسه فصارت الدار كوما خرج الرجل من الطاقة سليما (وحدثنى) أبو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في أرض الصليحي فوشى بي إلى السلطان فأمر بقتلي فأخرجت وقدمت للقتل وتركني السيف ثم قال لي مدر قبلك فددت عنقي لقضاء الله تعالى ثم قال لي السيف اشتد فقلت دونك يا هذا فبينما نحن كذلك اذا بصائح من داخل القصر لا تقتلوه لا تقتلوه فخلوا سبيلي (وجرت بقرطبة قصة غريبة) في أيام المنصور بن أبي عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم بن محمد السنبسي شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور ومدة مع جماعة من الاديان من وجوه قرطبة فمرو قون بالانهمالك والزندقة وكان ينادي عليهم في كل جمعة (٣٣٧) يوقعون اثر صلاة الجمعة بسباب الجامع الاعظم من كانت عنده

شهادة فيهم فليؤدوها فثبت على قاسم عند القاضي سجل شهادات الشهود بأنواع منكرة تتضمن الزندقة والكفر فطلعوا إلى القصر وعقدوا مجلسا عظيما واستشير الفقهاء فيه فأوجبوا قتله فاستحضر قاسم فحضر وحضر أبوه وحضر ابنان صغيران لقاسم وابساوا ثياب الحداد وجل أبوه معه نعشا وجالين وجعل أبوه والصبيان يبكون على باب القصر واحضر لضرب عنقه سيف يعرف بابن الجندی ودفعت إليه أسياف من القصر فجعل يرونها ويلس شفاها وأبوه وابناه ينظران وحضر الفقيه أبو عمر والمكودي الاشبيلي على كره منه وكان يأبى الحضور فاستفتوه فقال يا هؤلاء ان الدماء لا تسفك إلا بالحق الواضح دون الشبه

وهو أوثق ما علمته وليست الاستحالة فيه من جهة الفصول كما رأيت ولا من الطبيعة انما هو من تعذر الاحاطة وقصور البشر عنها وما ذكره ابن سينا من عزل عن ذلك وله وجه آخر في الاستحالة من جهة غاية ذلك ان حكمه الله في الحجر بن وندورهما انه ما قيم لمكاسب الناس ومتمولاتهم فلو حصل عليه ما بالصنعة لبطلت حكمه الله في ذلك وكثر وجودهما حتى لا يحصل احدهم اقلنا ثم ما على شيء وله وجه آخر من الاستحالة أيضا وهو ان الطبيعة لا تترك اقرب الطرق في أفعالها وترتكب الاعوص والابعد فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون أنه صحيح وأنه اقرب من طريق الطبيعة في معدنها واول زمانها لما تركته الطبيعة إلى طريقها الذي سلكته في كون النضة والذهب وتخليقهما وما تشبيه الطغرائي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات لا مثاله في الطبيعة كالعقرب والنحل والحية وتخليقها فأمر صحيح في هذه أدى إليه العثور كما زعم وأما الكيمياء فلم يتقل عن احدهم أهل العلم انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال منتحلوها يحبطون فيها خبط عشواء إلى هلم جرا ولا يظفرون إلا بالأكاليات الكاذبة ولو صح ذلك لاحد منهم لمحقضه عنه أولاده أو تلميذه وأصحابه وتوكل في الاصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده إلى أن ينتشروا ويبلغ اليانوا إلى غيرنا وأما قولهم ان الأكسير بمثابة الخميرة وانه مركب يحيل ما يحصل فيه ويقلبه إلى ذلك فاعلم ان الخميرة انما تقلب العجين وتعدله لضم وهو فساد والفساد في المواد سهل يقع بامر شيء من الافعال والطبائع والمطلوب بالا كسير قلب المعدن إلى ما هو أشرف منه وأعلى فهو تكوين وصلاح والتكوين أصعب من الفساد فلا يقاس الا كسير بالخميرة وتحقيق الامر في ذلك ان الكيمياء ان صح وجودها كما تزعم الحكماء لكلامون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن أحمد المجرى طي وأمثالهم فليست من باب الصنائع الطبيعية ولا تتم بامر صناعي وليس كلامهم فيها من منحنى الطبيعيات انما هو من منحنى كلامهم في الامور السخرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك للحلاج وغيره وقد ذكر مسئلة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكيم من هذا المنحنى وهذا كلام جابر في رسالته ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا إلى شرحه وبالجملة فامرهم عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكما لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان في يوم أوشهر خشبها وحيوانها في ما عدا بحر في تخليقه كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهور ولا يتغير طريق عاداته إلا برفادعها وراء عالم الطبائع وعمل الصنائع فكذلك من طلب الكيمياء طامبا صناعيا ضيع ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم لان نيلها ان كان صحيحا فهو واقع بمما وراء الطبائع والصنائع فهو كالشيء على الماء وامتطاء الماء والنقود في كائنات الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء الخارقة للعادة او مثل

(٤٣ - ابن خلدون) احسبوا ان السنبسي فروجا بما اذا تذبحونه فقال القاضي ابن الشرفي بما ثبت عندي وأمعنت النظر فيه قال الفقيه أوقفني عليه فاخذ السجل ونظر فيه فقال أخبرني بمن قتلته من هؤلاء الشهود فقال بهذا وهذا حتى عد خمسة قال الفقيه فيجمعهم يقتله قال نعم قال فلوشهد منهم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا انما قوى بعضهم بعضا وركي أكثرهم عندي فالتفت الفقيه إلى الفقهاء المشاورين فقتلوا يا هؤلاء بالعاظم يقتل المسلمون عندكم ويسفك دماؤهم فاستأرى قتله ولا أشير به فخرج الفقهاء إلى قواه ولم يروا عليه شيئا بعدما قتلوا يقتله منذ ستة أشهر فانقض الجمع وشيم السيف وطار البشير إلى ابن أبي عامر فاخبره بالجلس فقال ابن أبي عامر مضيتم تقتلون ابن السنبسي فدفعتم القاضي قد اجتهد بالدين ولا قاتل لمؤجل فحبس أياما ثم أطلق فكان ابن ذكوان الفقيه يقول للقاضي في مثل هذا قال

القائل اذا سئل سم عرفت الله قال به يقضه عزائي ومعنى الدعائم على اسان الفقيه هم الشهود الذين لو انقروا منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قبل فيه فاذا كثروا قوتى بعضهم بعضا فلا يثبت الحكم بهم (وفي نقض هذا ما حدثني القاضي) أبو مروان الداني بطرطوشة وقد ولي قضاءها فنذاكرنا يوما فقال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خراب هناك ليستكنوا من الرياح والامطار واسـتـودقوا وانا رهم وسوا معيشتهم وقرب تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة يا هؤلاء لا تتعدوا تحت هذا الحائط ولا تدخلوا هذه البقعة فابوا الادخول لها وبات الرجل منتبذا خارجا عنهم لم يقرب ذلك المكان ثم أصبحوا في عافية وجملوا دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل الرجل الخربة (٣٣٨) ليستوقد ببقية النار فخر عليه الحائط فسات مكانه (و بلغني) عن بعض الفقهاء ان جيشا

تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فنفخ فيها فشكلون طير ابا ذني وعلى ذلك فسيدل تبسـيرها مختلف بحسب حال من يؤتاها فربما أوتيتها الصالح ويؤتيها غيره فتكون عنده معارضة وربما أوتيتها الصالح ولا يملك ايتاءها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون عملها سحريا فقد تبين انها انما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة اما معجزة او كرامة او سحر او لهـذا كان كلام الحكماء كلهم فيهم في الغالز لا يضفر بحقيقة الامن خاض لمحة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة وأمو رخرق العادة غير متحصرة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله بما يعملون محيط وأكثر ما يحمل على القياس هذه الصناعة وانتكـالها هو كقولنا العجز عن الطرق الطبيعية للمعاش وابتعاؤه من غير وجوهه الطبيعية كالقلاحة والتجارة والصناعة فيستعصب العجز ابتغاءه من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه غير طبيعية من الكيمياء وغيرها أو أكثر من يعني بذلك الفقراء من أهل العمران حتى في الحكماء المتكلمين في انكارها واستحالتها فان ابن سينا القائل باستحالتها كان علمه الوزراء فكان من أهل الغنى والثروة والفارابي القائل بامكانها كان من أهل الفقر الذين يعوزهم أدنى بلغة من المعاش واسبابه وهذه متهمه ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها وانتكـالها والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

من الجيوش كان بصقلية ناهضاً من مكان الى مكان فعدوا ساعة لبعض شأنهم فاذا عقر يدب فضر به بعض الاجناد بمقرعة كانت معه ثم رفع المقرعة الى نحو عنقه فاذا بالاعقر قد تشمت باهداب المقرعة وهو لا يشعر فلدغته في عنقه فقصي مكانه (وأخبرني القاضي) أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت أقرأ على الشيخ ابي حفص عمر بن أحمد بن شاهين بيعة داجراً من الحديث في حانوت رجل يبيع العطر فجا رجل طواف بطبق يحمله في يده وأعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع الى أشياء سماءها من العطر فاخذها في طبقه ومشي فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكى الطواف وخرج حتى رجناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تحببنا بعض هذه الاسباب

٢٨ * (فصل في ان كثرة التأليف في العلوم عاتقة عن التحصيل) *

(اعلم) انه مما اضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسـلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتب المدونة مثلاً وما كتب عليها من الشروح والفقهية مثل كتاب ابن يونس والأخميم وابن بشير والتمهيدات والمقدمات والبيان والتحصيل على العنينة وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القبروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسـلم له منصب الفتاوى كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر ينقض في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير وكان التعليم سهلاً وأخذة قريياً ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا نحو يلها ويمثل اوضاع علم العربية من كتاب سيمويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين

قال نعم فنزل وجمع ما تجمع منها وجبر له ما نقص وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له والبغداديين لا تجزع فامر الدنيا يسـر من ذلك فقال الطواف أظن أيها الشيخ ان جرحي اضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى متى كنت في القافلة الفلانية فضاء الى هميان فيه أربعة دنانير أو أربعة آلاف دينار الشك من أبي ذر ومعهما فصوص قيمتها مثل ذلك فاجزعت اضياعها ولكن ولدي في هذه الليلة مولود فاحتجت في البيت الى ما تحتاج اليه النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فاشفقت ان اشتري بها حوائج النفساء فابقي بغير رأس مال ولا أقدر على التكسب فقلت اشتري بها شيئاً أو طوف صدر نهاري فعمسى اسنة فضل شيئاً أسد به رمقي ويبقى رأس المال انصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت فقلت لا عندي مال أرجع به اليهم ولا ما اكسب به وعلمت أنه لم يبق لي الا

الفرار منهم - موتهم على هذه الحال يهلكون بعدى فهذا الذى أوجب جزى قال الشيخ أبو ذر وكان رجل من الجنه جالس على باب داره يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص أنا أربأ اذا تمتم أمره ان تدخل معه عندي وقام فظننا انه يريد أن يعطيه شيئاً قال قد خلنا عليه فأذن لنا فقال الجندى للطواف عجبت من جزعك فأعاد عليه القصة فقال الجندى وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان بهامن عظام الناس فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال له وما علامته المهيان وفي أى موضع سقط منك فوصف المكان والعلامه فقال له الجندى لو رأيته كنت تعرفه قال نعم فخرج الجندى هميان ووضع بين يديه فقال هذا هميانى وعلامه صحة قولى ان فيه من الاحجار ماضقة كذا وكذا ففتح الهميان فوجد الاحجار على ما ذكر فقال الجندى خذ مالك (٣٣٩) بارك الله فيه فقال الطواف هذه

الاحجار ففتحها مثل الدنانير او اكثر فخذ انت الدنانير ففقدى طمية بذلك فقال الجندى لا آخذ على أمانتى شيئاً فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء فبكى الجندى بكاء شديداً وانتحب فقال له أبو حفص علام تبكى وقد أدى الله امانتك وقد بذل لك مالا كثيراً وان شئت عرضنا عليه ان يعده عليك فقال ما أبكى لذلكت وانما أبكى لاني اعلم انه قد حان أجلى فانه ما كان بقى أمل أو لمه ولا أمنية أتمناها الآن يا تبنى الله بصاحب هذا المال فياخذها فلبا قضى الله تعالى ذلك بفضله ولم يبق لى أمل علمت انه قد حان أجلى قال الشيخ أبو ذر فبان قضى شهر حتى توفي وصلينا عليه (قال القاضي) وحدثني أبو القاسم ابن الحسين بالموصل قال لقد جرت ههنا في هذا

والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطالب به المتعلم وينقض عمره دون ولا يطمع أحد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل اليها بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لاسيوييه وابن جني واهل طبقتها العظم ملكته وما احاط به من أصول ذلك الفن وتعار يعه وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على ان الفضل ليس منحصراً في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله يؤتية من يشاء وهذا نادر من نوادر الوجود والافاضا هرا من المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

٢٩ * (فصل في ان كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم) *

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والاختصارات في العلوم يولعون بها ويدقون منها برناجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأداتها باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسر على الفهم وربما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقرر بها للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية والمخونجي في المنطق وأمثالهم وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل وذلك لان فيه تخليطاً على المبتدى بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتى ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم لم يتتبع الالفاظ الاختصار العويصة للفهم يتراحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل منها لان الالفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات المستطاة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والاحالة المقربين لمحصل الملكة النامية واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقد صعدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوه صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنوا من يهدي الله فلا مضل له ومن بضل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى اعلم

٣٠ * (فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته) *

(اعلم) ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيداً اذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا يليق عليه

المسجد وهو هذه الدار والحانوت وأشار اليها قصة عجبية كان يسكن هذه الدار رجل من التجار من يسافر الى الكوفة في تجارة الخبز فيبقيها هو يحمل الخبز في خرجته على حماره وهو جميع ماله نزلت القافلة فأراد انزاله عن الحمار فقل عليه فأمر اناسا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل لياً كل معه فاجابه وأكل معه ثم سأله عن أمره فأخبره انه رجل خرج من الكوفة لارأى عجمه دون زاد فقال له الرجل تكون معي وتعيني على سفري ويكون طعامك عندي فقال الرجل اني حريص على خدمتك وبحاج الى طعامك فساومته في طريقه فقدمه على أحسن حال قال فوصلنا كريت فبزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ رحلتنا حتى ادخل واشترى حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجها فباطأ هناك ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبها فظن انه لما رحلت الرفقة

دخل معها فلم يزل يسعى حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما جاءه معناه ولا رأيناه ولكنه ارتحل الاسباب على الجمار
ودخل على اثرك وطمناك امرته بذلك فذكر الرجل راجعا الى تكرير وسأل عنه فلم يجد له اثر ولا سمع له خبرا فيش منه وسار الى الموصل
مسلوب المال فوافاه نهارا راجعا نهارا فغير المحجود فاستحيما أن يدخل نهارا فيشمت العدو ويحزن الصديق فبقى حتى أمسى ثم دخل فدفق
باب الدار فقبل من هذا فقال فلان يعني نفسه فظاهر واسرور اعظم واجحة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من
الضرورة والحاجة والفاقة جملت جميع مالك وطال سفرك واحتاج أهلك وقد ولدت اليوم ولد والله ما وجدنا ما نشترى به شيئا للنفساء ولقد
كانت هذه الليلة طاوية على حالها (٣٤٠) فتخيل لنا في دقيق ودهن نسرجه به فلا سراج عندنا فزاده ذلك غما وكره ان يخبرهم بحاله

فيحزنهم واخذوا على الزيت وجرا بالديق وخرج الى هذا الحانوت وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحوه وقد أغلق دكانه واطقام صباحه ونام فناده فأجابه وعرفه وشكر الله على سلامته فقال التاجر اصاحب الحانوت اقدح زنادا أذن لك الدراهم في دقيق وزيت وعسل احتجت اليه الساعة وكره ان يخبره بتأخير الثمن فيمنع منه ففدح البياح الزناد واستصبح فقال له التاجر زني من الدقيق كذا ومن الزيت كذا ومن العسل كذا ومن السم كذا ومن الملح كذا وبينما هو كذلك اذ حانت منه النقاة الى قعر الحانوت فرأى فيه خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك ان وثب عليه والترمه والقي يده في أطواق صاحب الحانوت وجذبه الى نفسه وقال يا عدو الله ابن مالي فقال له صاحب الحانوت مالي يا فلان فوالله ما علمت متعبا ولا علمتني جنيت عليك ولا على سواك فاذا قال خرجي فرلى به خادم خدمتي بجميع مالي ويحما رى قال مالي علم غير ان رجلا ورد على بعد العشاء واشترى مني عشاء واستضافني فأضفته وجعلت هذا المخرج في حانوتي وهذا المحجور في دار جازنا والرجل في المسجد بائث فقال له احمل معي المخرج وانفض الى الرجل فرفع المخرج معه وألقاه على عاتقه ومشي معه الى المسجد فاذا الرجل نائم في المسجد فركضه برجله فقام الرجل مذعورا فقال له مالك فقال له أين مالي يا ناسخ قال هوذا على عنقك والله ما تغادر منه ذرة قال فأتين المحجور قال هو عند هذا المحجور معك ففض الى داره فوجد متاعه سليما واستخرج المحجور من الموضوع الذي كان فيه وسع على أهله وأخبرهم بقتله فزاد أهله فرحا وتبركا بذلك المولود ولما وفي موسى عليه السلام اصهره شعيب عليه

فالي فقال له صاحب الحانوت مالي يا فلان فوالله ما علمت متعبا ولا علمتني جنيت عليك ولا على سواك فاذا قال خرجي فرلى به خادم خدمتي بجميع مالي ويحما رى قال مالي علم غير ان رجلا ورد على بعد العشاء واشترى مني عشاء واستضافني فأضفته وجعلت هذا المخرج في حانوتي وهذا المحجور في دار جازنا والرجل في المسجد بائث فقال له احمل معي المخرج وانفض الى الرجل فرفع المخرج معه وألقاه على عاتقه ومشي معه الى المسجد فاذا الرجل نائم في المسجد فركضه برجله فقام الرجل مذعورا فقال له مالك فقال له أين مالي يا ناسخ قال هوذا على عنقك والله ما تغادر منه ذرة قال فأتين المحجور قال هو عند هذا المحجور معك ففض الى داره فوجد متاعه سليما واستخرج المحجور من الموضوع الذي كان فيه وسع على أهله وأخبرهم بقتله فزاد أهله فرحا وتبركا بذلك المولود ولما وفي موسى عليه السلام اصهره شعيب عليه

السلام الاجل الذي اجله لرعي غنم شعيب التي رعاها موسى عوضا عن مهر ابنته اخذ موسى عليه السلام زوجته وكر راجعا من مدين فلما وافى الوادي المقدس عند جانب الطور اخرجهم الليل بظلمته فامسوا باقنين فبينما هم كذلك اذ ضرب زوجته الطلق وكانت حاملا وليس عندهم ما يحتاج اليه النفساء من الغذاء والدواء ما يصلح به شأنهم فبقوا في ضيق من الحال وقلة من الحبة لفة فخرج موسى عليه السلام يلبثت وينظر يمينا وشمالا عسى فرج لما امسوا فيه من الضر را ذراى نار ا فقال لاهله اكلوا مني اني است نار العلى آتيكم منها بقبس أو اجد على النار هدى فلما اتاها اضيق ما يكون ذرعا وأخرجها قلبا وآيسه عن رفيق نودى من شاطئ الوادي الايمن يا موسى انى أنا ربك وهكذا الطائف الحق سبحانه مع من سلم لامره ورجا فضله وتكلم بالهدى والبشرى (٣٤١) يفسح الله فيه امله ويعطيه فوق

ماسأله هذا موسى عليه السلام خرج يقبس نارا نودى بالنبوة وعن هذا قال علماءنا ليس في خصال الخير وان جلت ولا في أنواع الاعمال وان عظمت اعلی من حسن الظن بالله تعالى ونظمه بعض الشعراء فقال

أيها العبد كن لما است
ترجو

من نجاح أرجى لما أنت راج
ان موسى مضى يقبس نارا من ضياءه وآه الليل داج فأتى أهله وقد كالم الله وناجاه وهو خير مناج وكذا الكرب كلما اشتد بالعب
دذنت منه راحة الانقراج (وروى) ان العدو نزل بساحة افر بقيقة في عدد كثير من المراكب ففني ماؤه هم وعطشوا وفقر المسلمون لهم في خلق عظيم من تلك السواحل والحصون فغصوهم التزول لاستقاء الماء وأرسلوا

المملكة الناشئة عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخطأ على المتعلم علما ن معا فانه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهم - مما لا فيه من تقسيم البال وانصافه عن كل واحد منهم الى تفهم الاخر فيستغلان معا ويستصعبان ويعودن - ما بالجملة واذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصر عليه فربما كان ذلك أحد در يتحص به والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب (فصل) واعلم أيها المتعلم اني أتحدثك بقائدة في تعلمك فان تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصنعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدمك مقدمة تعينك في فهمها وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبدعاته وهو وجدان حركة للنفس في البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مبدأ للافعال الانسانية على نظام وترتيب وتارة يكون مبدأ للعالم ما لم يكن حاصلا بان يتوجه الى المطلوب وقد تصور طريقه ويروم نفيه أو اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما ما السرع من ملح البصر ان كان واحدا ويتقل الى تحصيل آخر ان كان متعدد او يصير الى الظفر بمطلوبه هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه انعم لم سداده من خطئه لانها وان كان الصواب لها ذاتيا الا انه قد يعرض لها الخطأ في الاقل من تصور الطرفين على غير صورتهم ان اشتباه الهيات في نظم القضايا وتوثيرها للنتائج فتعين المنطق للتخلص من ورطة هذا الفساد اذ اعرض فلانطق اذا امرصناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطق على صورة فعلها ولا يكونه امرصناعيا استغنى عنه في الاكثر ولذلك تجد كثيرا من فحول النظائر في الخلية يحصلون على المطالب في العلوم دون صنعة المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرجة الله فان ذلك أعظم معنى ويساكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فيفرضي بالطمع الى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا الامر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة أخرى من النعم لم وهي معرفة الالفاظ ودلائلها على المعاني الذهبية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب فلا بد أيها المتعلم من مجاوزتها هذه المحجب كلها الى الفكر في مطلوبك فأول دلائل الكتابة المرسومة على الالفاظ المقولة وهي اخفها ثم دلائل الالفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قواها المعروفة في صناعة المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الفكر كاشتراطا يقتض بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرجة الله ومواجهه وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه المحجب في التعليم بسهولة بل ربما وقف الدهن في حجب الالفاظ بال مناقشات او عثر في اشتراك الدلة بشغب الجدال والشبهات وقع عن تحصيل بل المطلوب ولم يكدي يتخلص من تلك الغمرة الا قليلا من هذا الله فاذا ابتليت بمثل ذلك

الى المسلمين ان يخلوهم واستقاء الماء فابوا اقتضاء فعطشهم حتى أشر فواعلى الهلاك ففتحوا اناجيلهم وأخذوا في الدعاء والاستسقاء الى الله تعالى والتضرع اليه فلم يلب بأوشك من السماء ان القت باورا قها ثم أرخت ماء كثيرا فبسط القوم انطاعهم وجفانهم وآلاتهم فشر بوا وملؤا وانهم فضج المسلمون عند ذلك وقالوا هؤلاء كفار واعدا الله ورسوله قد أخصوا الى ربهم وانابوا اليه وسألوه ماء يحيون به رمة فإغا them ففتح أحق بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه وأولى بالاجابة منهم ثم جدد المسلمون في الدعاء والصلاة والابتثال الى الله تعالى في أن يرهم آية يقوى بها قلوب الضعفاء ويتزايد شكر أهل المعرفة والاولياء فبينما هم كذلك اذ أرسل الله عليهم ريحا فبددتهم ومرتهم كل غرق وكسرت مراكزهم ولم يجتمع منهم اثنان ومن عجائب صنع الله تعالى في هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جاء الى بيت المقدس وزار

قبر الخليل صلى الله عليه وسلم وأكل من ضيافته فطارت حبة عدس من ذلك الطعام في خيشومه ورام خروجهما بكل حيلة فاجتزته حتى تركته مضى ثم رجع الى بلاده فيمنهما هو جالس اذ عطس فطارت العدسة في الارض فاذا طائر قد انقذه الوقها وبرئ الرجل فسبحان من جعل أنف هذا الرجل حراً لقوت هذا الطائر على بعد الشقة والمسافة وأما أنا فلما هممت بالرحيل من بلدى الى المشرق في طلب العلم كنت لا أعرف التجارة ولا الى حرفة أودع اليها فجزعت من الخروج وكنت أقول ان ذهبت نفقتى ماذا أفعل وكان أقوى المال في نفسي ان أحفظ البساتين بالاجرة وأدرس العلم بالليل ثم استخرت الله تعالى فرحلت وكانت معي نفقة وافرة في هميان على وسطى وكنت أسمع المسافرين يقولون من نام بالليل (٣٤٢) في الفيا في وله نفقة على وسطه فليحلم فان اللصوص اذا كبرت الخلق يتدرون أوساطهم

وعرض المآثر بماك في فهمك أو تشغب بالشبهات في ذهنك فاطر ح ذلك وانما يجب الالتفات وعوائق الشبهات واترك الامر الصانعى جملة واخض الى فضاء الفكر الطبيعى الذى فطرت عليه وسرح نظرك فيه وفرغ ذهنك فيه للغوص على مرامك منه واضعالم حاجت وضعها كابر النظر قبل مستعرضا للفتح من الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمة وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعلت ذلك اشرفت عليك انوار الفتح من الله بالظفر بمطوبك وحصل الامام الوسط الذى جعله الله من مقتضيات هذا الفكر ونظره عليه كما قلناه وحينئذ فارجع به الى قوال الادلة وصورها فأفرغ فيها ووفقه حقها من القانون الصانعى ثم اكسبه صور الالفاظ وأبرزه الى عالم الخطاب والمشاهدة وثيق العرى صحيح البنيان * وأما ان وقفت عند المناقشة والشبهة في الادلة الصناعية وتخصيص صوابها من خطئها وهذه أمور صناعية وضعمة تستوى جهاتها المتعددة وتشابه لاجل الوضع والاصطلاح فلا تميز جهة الحق منها اذ جهة الحق انما تستبين اذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتباب وتسدل الحجب على المطلوب وتقع بالناظر عن تخصصه اليه وهذا شأن الاكثرين من النظار والمتأخرين سيما من سبقته له عجمة في لسانه فربطت عن ذهنه ومن حصل له شعب بالقانون المنطقى تعصب له فاعتقد انه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين شبهه الادلة وشبهه كواولا يكاد يخلص منها والذريعة الى درك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعى كما قلناه اذ اخرج عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى واما المنطق فانه هو واصف الفعل هذا الفكر فبساوقه لذلك في الاكثر فاعته به ذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك انواره بالاهتمام الى الصواب والله الهادى الى رحمة وما العلم الامن عند الله

٣١ (فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الا نظار ولا تفرع المسائل)

(اعلم) ان العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والطبيعية والاهليات من الفلسفة وعلوم هي آليات وسبيل لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات وكالمنطق للفلسفة وربما كان آلة تعلم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المتأخرين فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل واستكشاف الادلة والانظار فان ذلك ينز يدطالها بكافي ملكته وايضا طالعانيها المقصودة واما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وامثالها فلا ينبغي أن ينظر فيها الا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك يخرج لها عن المقصود اذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير فكما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على

فخرجت من بلاد السويدية الى انطاكية وهى اذذاك حرب للروم فسر ينالبتنا وأصبحنا على باب انطاكية فاحذتنى عيني وحملت الهميان ونمت ولم أستيقظ الاضحية النهار فاستيقظت ومددت يدي الى الهميان فلم اجده فجمعت أنظر الى القافلة وألثقت الى الناس وقد أسقط في يدي ولم يبق لي حيلة فاسترجعت وورعت أخرى الى الله سبحانه واذا رجل من أهل القافلة ملتقنا الى فوق وجهى في وجهه فاذا هو يضحك لما رأى ما بي فقام مالك أيها الفقيه قلت خير فراجعني فقلت خير فقام الى وقال خذهم مالك عافاك الله فسأله كيف ظفرت به فقال رأسك قد بدخرجت ذراعين أو ثلاثة والتفت فرأيت سوادا في الموضع الذى كنت فيه فأنما فسرته اليه واخذته

فاذا هو الهميان رحمة الله عليه ورضوانه لديه (الباب الستون في بيان الخصلة التي هي ام الخصال وينبوع ملكتها الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلة وهى الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس) قالت الحكماء أصل الخيرات كلها في ثبات القلب ومنه تستمد جميع الفضائل وهو الثبوت والقوة على ما يوجبها العدل والعلم والحبين غيرة يحجمها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة غيرة يحجمها حسن الظن بالله تعالى سئل الاحنف عن الشجاعة فقال صبر ساعة وسئل ابو جهل عن الشجاعة فقال تصبرون على حر السيوف فوافقناقه وهو ما بين الحبين واعلم ان القادم للقتال طريده من طرائد الموت فاستقبل الموت خيرا من استدباره وقد قال الاول رب حياة سببها التعرض للوفاة ووفاء سببها طاب الحياة ومن حرص على الموت في الجهاد وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شقرة من شقاء الموت والقار

يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه وقالوا ثمرة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبراً أكثر من قتل مقبلاً وقالوا
تأخيراً لاجل حصن المحارب وقيل لبعضهم في أي جنة تحب ان تبقى عدوك قال بادبار دولته وان قضاء مدته واعلم ان الشجاعة لمن كانت له
الدولة واذا انقضت المدة لم تنغن كثرة العدد وقال على رضي الله عنه اذا انقضت المدة كانت الهلكة في الحجة له واعلم ان كل كريمة ترفع أو
مكرمة تكسب لا تتحقق الا بالشجاعة ألا ترى انك اذا همت ان تمنع شيئاً من مالك خارط بك ووهن قلبك وعجزت نفسك فشحت
به واذا حققت عزك وقويت نفسك وقهرت ذلك الهجز أخرجت المال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طبيعة النفس
بأخراجه أو كراهية النفس لأخراجه مع أخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل (٣٤٣) مهم الم يقارنها قوة نفس لم تتحقق

وكانت مخدوعة وروى
ان الرسول صلى الله عليه
وسلم قال الشجاعة والحج
غرائز يضعها الله تعالى
فمن يشاء من عباده فالحج
يقرب منه وأبيه والشجاعة
يقاقل عن لا يؤب به الى
رحله فبقوة القلب يصاب
امثال الاوامر والانتها عن
الزواج وبقوة القلب
يصاب اكتساب الفضائل
وبقوة القلب ينتهي عن
اتباع الهوى والتضييع
بالرذائل قال الشاعر
جمع الشجاعة والخضوع
لربه

ما أحسن المحراب في المحراب
وبقوة القلب يصبر المجلس
على ايذاء المجلس وجفاء
الصاحب وبقوة القلب
يكتم الاسرار ويدفع العار
وبقوة القلب يقتحم الامور
الصعاب وبقوة القلب
يتحمل اثقال المكازة
وبقوة القلب يصبر على
اخلاق الرجال وبقوة

ملكته بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها
مع ان شأنها اهم والعمر يقصر عن تحصيل الجمل مع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم
الأكلة تضيق للعمر وشغلها لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النجوم وصناعة المنطق واصل
الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها وكثروا من التقاريع والاستدلالات بما أخرجها عن كونها آلة
وصيرها من المقاصد دور ما يقع فيها انظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو وهي أيضاً
مضرة بالمعلمين على الاطلاق لان المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها فاذا
قطعوا العمر في تحصيل الوسائل بقي يظفرون بالمقاصد فلهاذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الا اتيان
لا يستبحروا في شأنها وينبها المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فنزعت به همته بعد ذلك الى شيء
من التوغل فلا يبرق له ما شاء من المراتق صعبا الوسا ولا وكل ميسر لما خلق له

٣٢ * (فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه) *

(اعلم) ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما
يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن
اصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك ان تعليم الصغار أشد رسوخاً وهو اصل
لما بعده لان السابق الاول للقلب كالاساس للملكات وعلى حسب الاساس وأسايبه يكون حال ما ينبنى
عليه واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات
فأما اهل المغرب فذهبهم في تعليم القرآن للولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارس بقرآن بالرسم
ومسائله واختلفت حمله القرآن فيه لا يخطون ذلك بسواه في شيء من محال تعليمهم لامن حديث ولا من
فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى أن يحدق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً
عن العلم بالجملة وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم الى أن
يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيبة وكذا في الكبير اذا راجع مداواة القرآن بعد طائفة من عمره فهم لذلك
أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم وأما اهل الاندلس فذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث
هو وهذا هو الذي يراعون في التعليم الا أنه لما كان القرآن اصل ذلك وأسهل منبع الدين والعلوم جعلوه
اصلاً في التعليم فلا يقتصر ون لذلك عليه فقط بل يخطون في تعليمهم للولدان رواية الشرح في الغالب
والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكاتب ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن
دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها الى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شد

القلب تفقد كل عزيمته وروية اوجبها الحزم والعدل وبقوة القلب يضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضعائن والاحقاد
كما قال ابو ذر وانا لك شرفي وجوه قوم وان فلو بنا لتعلمهم وقال على رضي الله عنه انا انصافاً كفا نرى قطعها وليس الصبر والشجاعة وقوة
النفس ان تكون مصر في الحال لوجاف الباطل ولا ان تكون جلداء عند الضرب صبوراً على التعيب مصمماً على التعزير والتهور فان
هذه صفات الحزم والخير والحنافير ولكن ان تكون صبوراً على أداء الحقوق عليك صبوراً على سماعها والقائها البليغ غالبها والملك
لشها واثم ما ترمي بالفضائل بجهدك عاملاً في ذلك على الحقيقة التي لا يحيل عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخبر الذي
اشار به العلم وأوجب العدل خيراً من البقاء على ما اوجب رفض العلم والعدل كما قال على بن الحسين رضوان الله عليهم ما يابني وما يابني ابوك

لو ان الخاني خالفوه اذا كان على الحق وهل الخير كله للمحق الا بعد الموت ومن هذا قالت حكما الهند اذا لم يكن للالب من نفس - معين كان في جميع اموره ضعية فاحذولا واعلم ان الجبن مقنلة والحرص محرمة والعجز ذل والجبن ضعف والجبان يعين على نفسه يقرعن أمه وأبيه وصاحبته وبنيه واعلم ان كل كريمة ما بين الحلمتين والشجاع يحصى عن لا يناسبه وبقى مال الجار والرفيق بمهجة والجبان يخاف مالا يحس به والجبان حقة - من فرقه واعلم ان الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه رجل اذا التقى الجمعان وتزاحف الزحفان واكتحلت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكروينا دى هل من مبارزو الثاني اذا التحم القوم واختلطوا ولم يدرا أحدهم أين يأتيه الموت يكون رابط الجاش (٣٤٤) سا كن القلب حاضر اللب لم يخامره الدهس ولا خالطته الحيرة فينقلب بقلب المالك

بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق باذيال العلم على المجلة لو كان فيهم - ند لتعليم العلوم ليكنهم يقطعون عند ذلك لا تقطاع سند التعليم في آفاقهم ولا يحصل بايديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه كفاية لمن أرشد - هذه الله تعالى واس - تعد اذا وجد المعلم وأما أهل افرقية فيخطون في تعليمهم للولدان القرآن بالمحدث في الغالب ومدارسة قواني العلوم وتلقين بعض مسائلها الا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اخت - لاف رواياته وقرائنه أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تتبع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب الى طريقة أهل الاندلس لان سند طريقهم في ذلك متصل بمشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب النصارى على شرق الاندلس واستقروا بتونس وعندهم أخذ ولدانهم بعد ذلك وأما أهل المشرق فيخطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا أدري بم عنايتهم منها والذي يتقرب لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانيته في زمن الشيبية ولا يخطون بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلوم له على انفرادهم كما تتعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان واذا كتبوا لهم الاواح فخط قاصر عن الاجادة ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسع له بعد ذلك من المهمة في طلبه - ويتبعه من أهل صناعته فأما أهل افرقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصود من ملكة الانسان جملة وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصر وفون عن الايمان بمنزله فهم مصر وفون لذلك عن الاس - تتعلم على اساليبهم والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير اساليبهم فلا يحصل لصاحبهم ملكة في اللسان العربي وحظه المجدود في العبارات وقلة التصرف في الكلام وربما كان أهل افرقية في ذلك أخف من أهل المغرب لما يخطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه فمقدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الآن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما أن أكثر محفوطهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما س - أتى في قصه - له وأما أهل الاندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية في أول العمر حصول ملكة صاروا بها اعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم بعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو اصل العلوم واساسها فكانوا لذلك أهل حظ وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته الى طريقة غريبة في وجه التعليم وأعاد في ذلك وأبدأ و قدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الاندلس قال لان الش - مرد يوان العرب ويدعو الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه الى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل الى درس القرآن فانه يتيسر عليه به هذه

لامر القاسم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجي ضعيفهم ويعدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فين وقع اقامه ومن وقف جملة ومن كردس فرسه كشف عنه حتى يتيسر العدو منهم وهذا أجدهم شجاعة وعن هذا قالوا المقاتل وراء الفارين كما يستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وقالوا) لكل واحد يومان لا بد منهم - ما احدهما لا يجمل عليه والثاني لا يغفل عنه فيا للجبان والفرار وكان شيوخ الحنة - ديمكون في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها

بما حوته من الرأس فيقال انه لم يرقط ضر به اقوى منها وكان شيوخ الجند في بلدنا طروشة يحكون انهم خرجوا في أيام سيف الملة في سرية الى بلاد العدو وفيهم ما هم - يرون اقل قيمتهم سرية للار ومير يدون من ممانير يد منهم قال وعرف بعضهم بعضا وكان فينا صناديد الفرسان وفيهم صناديد الروم فتوافقنا ساعة ثم شدنا وشدوا فالتقينا ونجح الدنا ساعة ثم مضى الله تعالى اكلهم فبعناهم حصيدا كانهم خرو على الاوضاع وكان هناك بقربهم قرية فيها شئ من الخرفشربنا وسكرنا ثم اشتبهنا شئ الخلف فقمنا نقطع من لحمهم ونجعل على الناروا كلنا منها ففرغ من كئنا أسرناهم منهم وبلغ الحديث الى الروم فقصت النصارى تعجبنا منا وقد ذر العر في قلوبهم (وروى) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتى عمرو بن معديكرب فقال له يا عمر وای السلاح افضل في الحرب فقال عن

أيها نسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما تقول في الرمح قال أخوك وربما خالك قال فما تقول في السيف قال ذلك ذلك لا أم لك قال فما تقول في الترس قال هو الدائرة وعليه تدور الدوائر وكان عمر وهذا من شجعان العرب وابطالها نزل يوم القادسية على النهر فقال لصحابه اني عابر على الحسرة فان أسرعتي مقدار خبز الخبز ورو جدمتوني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عرفتني القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتهم وجدتموني قتيلاً بينهم ثم انعمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد على ما تدعون صاحبكم والله ما أرى ان تدر كوه حياً فماتوا فانتروا اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكه وان القارس لم يضرب فرسه فأي قدر الفرس ان يتحرك فلما غشينا رمى الرجل بنفسه وخطى فرسه (٣٤٥) فركبه عمر وقال أنا أبو نور كدت والله

تقتدونى قالوا ابن فرسك قال رمى بنشابة فغار وشب فصرعى (ويروى) ان عمرا حل يوم القادسية على رستم وهو الذي قدمه يزدجرد ملك الفرس على قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستم على قبل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط القيل عليه مع خرج كان عليه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانتهزمت العجم وروى ان قاتل رستم زعيم بن فلان وأما الضربة التي حكيناها التي حازت ثلث البيضة بما حوته من الرأس فلم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها في كنيسة لهم وكانوا اذا عيروا بانهم زاهم يقولون لقينا أقواما هاضم بهم في رجل أبطال الروم اليها البروها وانما كانت العرب تفخر في هذا الباب بقول الفربن تواب يصف ضرب رستم

المقدمة ثم قال ويا غفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غيره أهم عليه ثم قال ينظر في اصول الدين ثم اصول الفقه ثم المجلد ثم الحديث وعلومه ونهسى مع ذلك ان يختلط في التعليم علما ان يكون المتعلم لم يقابل لذلك بحجوة الفهم والنشاط هذا ما أشار اليه القاضي أبو بكر رحمه الله وهو علم مري مذهب حسن الا أن العوائد لا تساعد عليه وهي امال بالاحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن اشارة للثبوت والشواب وخشية ما يعرض للولدى جنون الصبي من الآفات والقواطع عن العلم فيقوته القرآن لانه ما دام في الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ وانحل من ربة القهر فربما عصفت به رياح الشبهة فألقته بساحل البطالة فيغتنمون في زمان الجور ربة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خلوها منه ولو حصل اليقين باستمراره في طاب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما اخذ به اهل المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لامة عتبت لمحمد سبحانه

٣٣ * (فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم) *

وذلك ان ارماف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لانه من سوء الملة كنه من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاء الى الكسل وحل على الكذب والخيث وهو النظار بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعمله المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقه افسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والقرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عبدا لاهل غيبره في ذلك بل وكسبت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانه قبضت عن غايتها ومدى انسانيته فارتبكس وعاد في أسفل السافلين وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك امره عليه ولا تكون المملكة الكافلة له رفيقة به وتجذب ذلك فيهم استقراء وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء وحتى انهم يوصفون في كل افق وعصر بالخرج ومعناه في الاصطلاح المشهور الخباثت والسكندوسية ما قلناه فيمنعني للعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبدوا عليهم في التأديب وقد قال محمد بن أبي زبيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي ماؤدب الصبيان ان يزيدي ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة أسواط شيأ ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلما بان المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملاك له فانه أعلم بمصلحته ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد يعلم ولده محمد الأمين فقال يا أحرار أمير المؤمنين

(٤٤ - ابن خلدون) أبقى الحوادث والايام من غمر * آثار سيف قديم أثره بادي تظل تحفر عنه ان ضربت به *

بعد الذراعين والقيدين والهادي وينشد قول النابغة في السيف أيضا يقد السيلوقي المضاعف نسجه * ويوقد بالصقاح نار الجباب وابن هذا من قد الحديديا حواه من الرأس وابن الثري وابن الثرى وابن الحسام من المنجل ولولا كراهة التطويل لذكرنا من أمثال هذا ما فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت السيف لعاب المنيعة والرمح رشاء المنيعة والسهام رسل لا تؤامر من أرسلها والرمح أخوك وربما خالك والدرع مشعلة للراجل ومتبعة للفارس وانها الحصن حصين والترس يجن وعلمه تدور الدوائر * (الباب الحادي والستون في ذكر الحر وبوتدبيرها وحيلها وأحكامها) * من خرم الملك أن لا يحقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم من

في القرآن قال الله تعالى
وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم
فقوله تعالى ما استطعتم
مشتمل على كل ما في مقدور
البشر من العدة والآلة
والحيلة وفسر النبي صلى الله
عليه وسلم القوة بغير على أناس
يرمون فقال لا إن القوة
الرمي إلا إن القوة الرمي ألا
إن القوة الرمي وكان بعض
أصحابه إذا أراد الغز ولا
يقص أنظاره ويتركها عدة
ويراه قوة فأول ذلك أن
يقدم بين يدي اللقاء عملا
صالحا من صدقة وصيام
ورد مظلمة وصلوة رحم
ودعاء مخاص وأمر معروف
وتغيير منكرو أمثال ذلك
فقد كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يأمر بذلك
ويقول إنما تقابلون
بأعمالكم وروى ابن بريدا
ورد عليه بفتح للمسلمين فقال
له عمر أي وقت لقيتم العدو

برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد مل كاجلا وقال الشاعر
ولا تحقرن عدو دارمك * وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحز الرقاب
وتجزع عاتل الأبر وفي الأمثال لا تحقرن الذليل فربما شق بالذباب العزيز ومثل العدو مثل النار إن تداركت أولها سهل أطلقوها
وإن تركت حتى استحك ضرامها صعب مرامها وتضاعفت بليتها ومثله أيضا مثل الجرح الرديء إن تداركته سهل برؤه وإن أغفلته حتى تغل
عظمت بليته وأعيال أطباء برؤه (واعلموا) أن الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتباً وتبوا فيها ترتيباً فلا يسع أهل سائر الأقاليم جملها إذ
لكل أمة في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وضرب من المكيدة وجنس من اللقاء والكروا القروا وتعبية المواقب وحل بعضهم
على بعض ولكن نصف منه أشياء (٣٤٦) تجري مجرى المعادلات كد تحته تلف في إنهاء أئمة الحروب ونبدأ أولاً بما ذكره الله تعالى

قد دفع اليك مهجة نفسه وحرقة قلبه فصير يدك عليه مبسوطاً وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك
أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وزوده الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدنه
وأمنعه من الضحك إلا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد إذا
حضر واجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت معتنم فائدة تفيدك ياها من غير أن تحزنه ففقت ذهنه ولا تمنع في
مساحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والآلية فإن أباهما عليك بالشدة والغلظة اه
٣٤ * (فصل في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة من يدك في التعلم) *

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقيهم وما يستحقون به من المذاهب والقضايا تارة
علماً وتعلماً والقارة تارة محاكاة وتلقيناً بالباشرة إلا أن حصول المذاهب عن المباشرة والتلقين أشد
استحساناً وأقوى رسوخاً فلي قدر كثرة الشيوخ يكون حصول المذاهب عن رسوخها والأصطلاحات أيضاً
في تعليم العلوم مخلفة على المتعلم حتى لا يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك المباشرة
لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعداد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من
اختلاف طرقهم فيها فيجرب العلم عنها ويعلم أنها الخلق لتعليم وطرق توصيل وتنفض قواه إلى الرسوخ
والاستحسان في المذاهب ويصح معارفه ويبرزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين
وكثيرهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا من يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لا بد منها في
طلب العلم لاكتساب القوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
٣٥ * (فصل في أن العلماء من بين البشر أبعدهن السياسة ومذاهبها) *

والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانتزاعها من المحسوس وتجريد ما في
الذهن أموراً كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف
من الناس ويطبّقون من بعد ذلك الكلّي على الخارجيات وايضاً يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها
بما اعتادوه من القياس الفقهي فلا تزال أحكامهم وانظارهم كلها في الذهن ولا تصير إلى المطابقة إلا بعد
الفراغ من البحث والنظر ولا تصير بالجملة إلى مطابقة وانما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك
كالأحكام الشرعية فانها فروع عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة فنطلب مطابقة ما في الخارج لها
عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج فهم متعودون في سائر انظارهم
الأمور الذهنية والانظار الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما
يلحقها من الأحوال ويتبعها فانها أخفية ولعل أن يكون فيها ما يمنع من الحاقها بشيء أو مثال وينافي

قال غدوة قال ومتى انهزم قال عند الزوال فقال عمر ان الله وان الله راجعون وقام الشرك للإيمان من غدوة
إلى الزوال لقد أحدثتم بعدى حدثاً واحداً حدث بعدكم حدثاً والشأن كل الشأن في استجداء القواد وانتخاب الأمراء وأصحاب الولاية
فقد قالت حكيم العجم أسد بقودالف ثعلب خير من ثعلب يقودالف أسد فلا ينبغي أن يقدم على الجبش إلا الرجل ذو البسالة والنجدة
والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صادم القلب جريته رابطة الجأش صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل
الأقارن وقارع الأبطال عارفاً بوضع الفرص خبيراً بما وقع القلب والميمنة والميسرة من الحرب وما الذي يجب شحنه بالحاجة والباطال
من ذلك بصير بصنوف العدو ومواقع الغرّة منه ومواقع الشدة منه فإنه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنه مثله فإن

الكلّي

رأى لقراع السكاك وجهها والاردود الغنم للزريبة (واعلم) ان الحزب خذعة عند جميع العقلاء واخر ما يجب ركوبه قرع السكاك
 وحمل الجيوش بعضها على بعض فلم يدأ بتصرف الحيلة في نيل الظفر (قال) نصر بن سيار كنت أمير خراسان من قبل مروان الجعدي آخر
 ملوك بني أمية قال وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للقياد العظيم القباد أن يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك
 وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحيلة الخنزير وروغان الثعلب وصبر السكاك على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب وسمن تغير وهي
 دويمة تكون بخراسان تمنع على الثعلب والشقاء وكان يقال اسد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل
 الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان (٣٤٧) يقبض الريح لمحاكاة السكاك والسكر يصرع

الانسان والنوم يذهب

السكر والهم يمنع النوم

فاشد خلق ربك اللهم فاول

ذلك ان بيت جواسيسه في

عسكر عدوه يستعلم اخباره

مع الساعات ويستعلم

رؤساءهم وقادتهم وذوي

الشجاعة منهم ويدس اليهم

ويهدمهم وعداجيلهم

ويوجه اليهم بضروب

الخدعة ويقوى أطعمهم

في ان يثابروا معده من

الهبات الفاخرة والولايات

السنية وان رأى وجهها

عاجلهم بالهدايا والتخف

وسألهم اما الغدر صاحبهم

واما اعتزاله وقت اللقاء

وينشئ على السنتهم كتباً

مداسة اليه وينبها في

عسكره ويكتب على السهام

اخباراً وزقوة ويرى بها في

جيوشهم ويضرب بينهم بما

في المبسور ومن ذلك فان

جميع ما ذكرناه تنفق فيه

الاموال والجمل واللقاء

تنفق فيه الارواح والروس

ووجوه الخداع فيه

لا تحصى والمحاضر فيها

بكون الرأي عند من يملكه

برأى غير مستبد وبحزم غير

قبل اقدامك توفى واوصت

وجه المهرب منها فان النفس

لم يكن النصر من الله تعالى

فانذرها واختلس من الحارب

خلسة الذئب وطرمه طير ان

الغراب فان الحذر زمام

الشجاعة والتهور عدو

الكلبي الذي يحاول تطبيقه عليهم ولا يقاس شيء من أحوال العمران على الآخر كما لا تشبه في أمر واحد
 فلعلمهم الاختلاف في أمور فتكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الامور بعضها على
 بعض اذا نظروا في السياسة افرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع اساليبهم فيقعون في الغلط كثير ولا
 يؤمن عليهم ويلحق بهم اهل الذكاء والكيس من اهل العمران لانهم ينزعون بثقوب اذهانهم الى
 مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعامي السليم الطبع
 المتوسط الكيس لقصوره عن ذلك وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف
 من الاحول والاشخاص على ما اختص به ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في أكثر نظره
 المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالساج لا يفارق البر عند الموح قال الشاعر
 فلا توغلن اذا ما سبحت * فان السلامة في الساحل

فيكون مأموئنا من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة ابناء جنسه فيحسن معاشه وتندفع آفاته ومضاره
 باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا ينبغي ان صناعة المنطق غير مأمنة الغلط لكثرة ما فيها من
 الانزعاج وبعدها عن المحسوس فانها تنظر في المعقولات الثواني ولعل المواد فيها ما يمنع تلك الاحكام
 وينافيها عند مراعاة التطبيق اليقيني وأما النظر في المعقولات الاولى وهي التي تجر يدنا قريب فليس كذلك
 لانها خيالية وصور المحسوسات حافظة مؤذنة بتصديق انطباقه والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

٢٦ * (فصل في أن جملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم)

من الغريب الواقع ان جملة العلم في الملة الاسلامية أكثرهم العجم لان العلوم الشرعية تولى من العلوم
 العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيجته مع ان الملة
 عربية وصاحب شريعتنا عربي والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى
 احوال السداجة والبداءة وانما احكام الشرع التي هي اوامر الله ونواهيها كان الرجال ينقلونها في
 صدورهم وقد عرفوا ما اخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشريعة واصحابه والقوم
 يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعوتهم اليه حاجة وجرى الامر على
 ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمعون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء الذين يقرؤن الكتاب
 وليسوا اميين لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة كما كانوا عابدين لجملة القرآن يومئذ قراء اشارة الى
 هذا فهم قراء الكتاب الله والسنة المأثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الا منه ومن الحديث
 الذي هو في غالب موارد تفسيره وشرحه قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم امرين لن تضلوا ما مسكتن بهما

لا تحصى والمحاضر فيها بكون الرأي عند من يملكه لا عند من يبعثه وقال المختار لايزيد بن أنس حين ولاه الجزيرة وامره بقتال عبد الله بن زياد امض الى عدو
 برأى غير مستبد وبحزم غير متهكل ولا تركن الى الدولة فرمى انقلب واستشمر من لا يطعم في عمل ولا تسير بقلبك واستخبر الله تعالى
 قبل اقدامك توفى واوصت أم الذبال العبيبة ابنا القتالك وهو من أشد العرب يا بني لا تنشب في حرب ان وثقت شدتك حتى تعرف
 وجه المهرب منها فان النفس اقوى شيء اذا وجدت سبيل الحيلة واضعف شيء اذا لبست منها واوجد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها اذا
 لم يكن النصر من الله تعالى فانذرها واختلس من الحارب خلسة الذئب وطرمه طير ان الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو

السنة وقال ابو السرايا وكان أحد القناتك لابنه يابني كن بحيلة او ثقي منك بشدة وبحدرك او ثقي منك بشجاعتك فان الحرب حرب
 المتهور وغنيمة المحذر واعلم ان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالاعليها واذا أذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الافة في المحلة
 وقالت الحكة اذا نزل القضاء كان العطب في الحملة واذا انقضت مدة الدول أدبرت سنة الغفلة عن سنة الحذر ويغلب الضعيف يا قبال
 دولته كما يغلب القوى بفناء مدته وقالوا سعاد الدول ونحوه سعاد الملك ونحوه وقالوا أبهى زى على كل امرئ دولته فاذا
 انقضت بدت عورته وقالوا رب حيلة اهلكت المحتال فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حجة الرجال وكما لا بطل في
 القلب فانه مهم انكسر الجناحان (٣٤٨) فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفى وطوله تضرب كانت حصنا

للجناحين يأوى اليه كل
 من هزم واذا انكسر القلب
 تمزق الجناحان مثال ذلك
 الطائر اذا انكسر إحدى
 جناحيه يرجع عوده ولو
 بعد حين وان انكسر
 الرأس ذهب الجناحان ولا
 تبقى كثرة انكسار جناحي
 العسكر وثبات القلب ثم
 يرجع الفارزون الى
 القلب ويكون الظفر لهم
 وقل عسكر انكسر قلبه
 فافلح وتراجع اللهم الان
 يكون مكيدة من صاحب
 الجيش فيخل القلب قصدا
 وتعمد ولا يغادر به كبير
 أمر حتى اذا توسطه العدو
 اشتغل به به واطبقت
 عليه الجناحان ومن أعظم
 المتكايدي في الحرب الكمناء
 ولا يحصى كثرة كمن
 عسكر استبجحت ببضته
 وقل عزمه بالكمناء وذلك
 ان الفارس لا يزال على حية
 في الدفاع وحى الذمار حتى
 يلبثت فيرى وراءه بندا

كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فابعد احتيج الى وضع التفاسير القرآنية وتقييم
 الحديث مخافة ضياعه ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقيل للتمييز بين الصحيح من الاسانيد وما
 دونه ثم كثر استخراج احكام الوقائع من الكتب والسنة وفسد مع ذلك اللسان فاحتيج الى وضع القوانين
 النخوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكت في الاستنباطات والاستخراج والتنظير والقياس
 واحتاجت الى علوم أخرى وهي وسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس
 والذب عن العقائد الايمانية بالادلة لكثرة البدع والالحاد فصارت هذه العلوم كلها علموا ذات ملكت
 محتاجة الى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كنا قدمنا ان الصنائع من متجمل الحضرة وان العرب
 أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرة بقية بعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم
 العجم أو من في معنائهم من الموالى واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للحجم في الحضرة واحوالها من
 الصنائع والحرف لانهم أقوم على ذلك للحضرة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو
 سيديوه والفارسي من بعده والنزاج من بعدهما وكلهم عجم في أنسابهم وانما روي في اللسان العربي
 فاكتمس به بالمرى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفنما من بعدهم وكذا جملة الحديث الذين حفظوه عن
 اهل الاسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى وكان علماء أصول الفقه كلهم عجم كما يعرف وكذا
 جملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين ولم يبق بحفظ العلم وتدوينه الا لعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله
 عليه وسلم لم تعلق العلم باكناف السماء لئلا قوم من اهل فارس وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضرة
 وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهنم الرياسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالمال عن
 القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها وأولى سياستها مع ما يتحققهم من الانفة عن انتقال
 العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء أبدا يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجبر اليها ودفعوا ذلك
 الى من قام به من العجم والمولدين وما زالوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يحتملون حملها
 كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب جملة وصار للعجم صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عند اهل
 الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتن جاتها بما يرون أنهم بعداء عنهم مشغلين بما لا يعني ولا
 يحدى عنهم في الملك والسياسة كما ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قرناه هو السبب في ان جملة
 الشريعة او عامتهم من العجم وأما العلوم العقلية أيضا فلم تظهر في الملة الا بعد ان تميز جملة العلم ومؤلفوه
 واستقر العلم كله صناعة فاخصت بالعجم وتركتها للعرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الا المعربون
 من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولا فلم يزل ذلك في الامصار مادامت الحضرة في العجم وبلادهم من العراق

منشورا او يسمع ضرب الطبول فحينئذ همته خلاص نفسه واتكن همته وراء ذلك وعليه
 مدار الحروب في اصطناع الشجعان واختيار الابطال فاصطنع ذوى البسالة والاقدام والجراعة ولا عليك أن لا يكثر او لا يبعيد عليك أن
 يكثر او لا تمش بيت الشاعر والناس ألف منهم وكواحد * وواحد كالألف ان أمر عني بل قد جرب ذلك فوجد الواحد
 منهم خيرا من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما تقضى منه العجب فهم في الجيش وانقلوا كالانفة في اللبن في ذلك لما التقى
 المستعين بن هود مع الطاغية بن رديميل النصراني على مدينة وشقة في تغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمكافئين كل واحد منهما
 يراهق عشرين الف مقاتل بن خيل ورجل فحدثي رجل عن حضر الواقعة من الاجناد قال لساننا اللقاء قال الطاغية بن رديميل لمن يثق

بعقله وعمارته للحر وب من رجاله استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين يعرفهم كبايع - رفونسا ومن غاب منهم ومن حضر
فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عد سبعة رجال قال انظر الان من في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب
منهم فعدوهم فوجدوهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول يا بياضك من يوم ثم ناشب الحرب بينهم
فلم تزل المصاهرة بين الفريقين لم يول أحد منهم دبره ولا ترشح عن مقامه حتى في اكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم فلما كان وقت العصر
نظر والينا ساعة ثم حملوا علينا حلة ودخلونا مدخله ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحاولوا بيننا وبين اصحابنا وصرنا وابتدنا فكان ذلك
سبب وهتنا وضعفنا ولم نقيم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فاشارة قدما

(٣٤٩)

العسكر على السلطان أن ينحو

بنفسه وانكسر عسكر

المسلمين وتفرق جمعهم

وملك العدو مدينة وشقة

فليعتبر ذو الحزم والبصرة

من جمع يحتمل على

اربعين الف مقاتل ولا

يحضره من الشجعان

المعدودين الا خمسة عشر

رجلا وليعتبر بضممان العلي

بالظفر واستبشاره بالنعمة

لما زاد في ابطاله رجل

واحد (وسمعت) استاذنا

القاضي ابا الوليد الباجي

رحمه الله يحكي قال بينما

المنص - وربن ابي عامر في

بعض غزواته اخذ وقف

على نشر من الارض

مرتفع - رأى جيوش

المسلمين بين يديه ومن

خلفه وعن يمينه ويساره

قدموا السهل والجبل

فالتفت الى مقدم العسكر

وهو رجل يعرف بابن

المصفي فقال كيف ترى

هذا العسكر ايها الوزير

قال ابن المصفي ارى جمعا

وخراسان وما وراء النهر فلما سخرت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم
والصنائع ذهب العلم من الجمجمة لما شملهم من البداهة واختص العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا أوفر
اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم واخوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما
وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها فلهم بذلك حصنة من العلوم والصنائع لا تنكر وقد دللتنا
على ذلك كلام بعض علمائهم في تاليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهو سعد الدين التقي تاليفي وأما
غيره من الجمجمة فلم نرهم من بعد الامام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاهما يعول على نهايته في
الاصابة فاعتبر ذلك وتأمله ترجعنا في احوال الخليفة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو وحده لا شريك له
المملوك له الحمد وهو على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله

٣٧ * (فصل في علوم اللسان العربي) *

أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفته ضرورية على اهل الشريعة اذ ما أخذ الاحكام
الشريعة كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها
من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة وتفاوت في التأكيديتفاوت
مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فافنا والذي يتحصل ان الاله المقدم
منها هو النحو اذ به يتبين اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولا له مجهول
أصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولا أن أكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف
الاعراب الدال على الاسناد والمسند والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يبق له أثر فذلك كان علم النحو اهما من
من اللغة اذ في جهله الاخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللغة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

* (علم النحو) *

اعلم ان اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسانى فلا بد أن تصير ملكة
مترتبة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة المحاصلة
للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني
مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من الجبر ورأعي المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالافعال
الى الذوات من غير تكاف الفاظ أخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب وأما غيرهما من اللغات فكل
معنى أو حال لا يبدله من الفاظ تخصه بالدلالة ولذا لم نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام
العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا فصار

كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يعجز ان يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والمسالمة فسكت ابن المصفي فقال
المنصور وما سكو تلك اليس في هذه الجيوش ألف مقاتل قال لا قال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال افيهم خمسمائة رجل من الابطال
المعدودين قال لا فخلق المنصور ثم انعطف عليه فقال افيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال افيهم خمسون من الابطال قال لا فسمعه
المنصور واستخف به وأمر به فاخرج على أقبح صفة فلما توسطوا بالادامشركين اجتمعت الروم وتصافى الجمعان فبرز علي من الروم بين
الصفيين سالك في سلاحه يركو ويرو وهو ينادى هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقط له العليج ففرح المشركون
وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العليج يمزج بين الصفيين وينادى هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا

ساعة فقتله العليج وجعل يكره يحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل فقتله العليج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقبل المنصور وما لها غير ابن المحصني فبعث اليه فحضر فقال له المنصور الاتري ما يصنع هذا العليج الكتاب منذ اليوم قال بعيني جميع ما جرى قال فما الجملة فيه قال وما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال نعم الا ان ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور على فرس قد تشرت اورا كهاهز الا وهو يحمل قرينة ماء بين يديه على القرس والرجل في نفسه وحاجته غير متصنع فقال له ابن المحصني الاتري ما يصنع هذا العليج منذ اليوم قال قد رأيت في ما تاتري فيه قال اريد رأسه الا ان قال نعم فحمل القرينة الى رجليه وليس لامة حربة وبرز اليه فتجاولا ساعة (٣٥٠) فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم بر كض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل رأس

العليج فألقى الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المحصني من هؤلاء الرجال أخبرتك انه ليس في عسكريك منهم الف ولا جسمائة ولا مائة ولا نجسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المحصني الى منزلته وأكرمه (واعلم) ان أول الحرب شكري وأوسطها نجوي وآخرها بلوي الحرب شعناء عابسة وشوها كالحة حرور في حياض الموت شموس في الوطيس تنغذي بالنفوس الحرب أولها الكلام وآخرها الحجام الحرب مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقبلها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقالوا الحرب غشوم

سميت بذلك لانها تنطى الى غير الحافي قال الشاعر لم أكن من جناتها علم الله وانى بجرها اليوم صالى الدين وقال آخر رأيت الحرب يجنيها الناس ويصلي حرقا قوم براء وقال آخر الحرب أول ما تكون فتية * تسعي بينتها كل جهول حتى اذا اضطربت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات خليل شطاء يذبحونها وتغيرت * مكروهة للشم والنقبيل (وقال بعض الحكماء) قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا الذل الذي أنزلنا عليكم ان يكونوا واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * واستوصى قومكم انكم ينبغي في حرب ارادوها فقال أقبلوا الخلاف على امرائكم واعلموا ان كثرة الصباح فشل ولا جماعة لمن اختلف وتشتتوا فان أحرم الفريقين الركين

(وقال) عتبة بن ربيعة يوم بدر لا صحابه الا ترون أصحاب محمد جنبوا على الركب كأنهم خرس يتلظون تلتظ الحيات (ورأيت) غير واحد من ألف في الحروب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقولون يذكر الله في نفسه واعلم أرشدك الله تعالى ان الله تعالى قد أوضح لنا في كتابه حلة النصر وعلة الهزيمة والفرار فقال يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم يعني ان تنصروا ورسوله ودينه وأما الفرار فعلمته المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمع انما ستزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا أي بشؤم ذنوبهم وتركهم المركز الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يرب الرماة يوم أحد على ثلثة الجبل لئلا يعوقوا ريشا أن يخرجوا عليهم كيئاما من ذلك الموضع ثم اتقى المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة (٣٥١) لا تقوتنا الغنائم فأقبلوا على الغنائم

وتركو المركز الاول فخرحت

الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الاعراب بحجة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والمجمل وحذف ما في الصناعة من المتكر رفي أكثر أبوابها وسماه بالمعني في الاعراب وأشار الى ذلكت اعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظامت سائر هافوقنا منه على علم جم يشهد به علم قدره في هذه الصناعة ووفور بضائعه منها وكانه يخوف طريقته منخلة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشيء عجيب ذال على قوة ملكته وإطلاعه والله ينز يد في الخلق ما يشاء

(علم اللغة)

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحوي بالاعراب واستنبطت القوانين لمخفظها كما قلناه ثم استمر ذلك الفساد بلا سبة العجم ومخاطبتهم حتى تأدى الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ملامع هجينة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصرح العربية فاحتجج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والندو بن خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشعر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحيلة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان العربي وتأتي له حصر ذلك بوجوه عديدة حاضرة وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحداً فتكون كلها الاعداد على التوالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي لان التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل ثنائية يز يد عليها حرفا فتكون ثلاثية فتكون الثلاثية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية فتجمع من واحد الى ستة وعشرين على التوالي العدد يضرب فيه جملة الثلاثيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقبوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب الخارج فبدل بحروف الخلق ثم مابعده من

ولما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس لم يقم بها وموسى اذ ذاك باقر يرقية خرجوا في الجزيرة الخضراء وتخصصوا في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق وهم في ألف وتسعة مائة رجل فطعمت الروم فيهم فاقتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم تدمير استخلفه لدر يق ملك الروم وكان قد كتب الى لدر يق يعلمه ان قوما لا تدري امن الارض ام من السماء قد وصلوا الى بلادنا وقد لقمتمهم فانهم ض الى بنفسك فاتاه لدر يق في تسعين ألف عنان ولقيهم طارق وعلى خيله مغيث الرومي مولى لاوليد بن عبد الملك فاقتلوا ثلاثة أيام اشد قتال فزأى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام فخصهم على الصبر وورغهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال أين المقر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس الا الصبر منهم لكم والنصر من ربكم وأننا فاعل شيا فافعلوا كفعلي فوالله لا قصدن طاعتهم فأما أن أقتله وأما ان أقتل دونه

فاستوثق طارق من خيله وعرف حملة لدريق وعلامته وخيمته ثم جل مع أصحابه عليه جملة رجل واحد فقتل الله تعالى لدريق بعد قتل
 ذريع في العدو وحي الله تعالى المسلمين فلم يقتل منهم كثير وانهمز الروم فاقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام واحتر طارق رأس لدريق
 وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى الى الوليد بن عبد الملك وسار مغيب الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن معه غير المائدة
 التي تذكر اهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليه السلام فدفع اليه ابن اخت لدريق المائدة والتاج فقومت المائدة بمائتي
 الف لما فيها من الجواهر التي لم يرمثلها. وبهذه الحملة قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم وقعه وقتل رجاله واباد جمعه وكانت الروم
 قد جفت جيوشا يقل ان يجمع (٣٥٢) لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتاب متواصلة وعساكر مترددة

حروف الحنك ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخروها الحروف الهوائية وبدا من حروف
 الحلق بالعين لانه الاقصى منها فاذلك سمي كتابه بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم
 الى مثل هذا وهو تسميته باول ما يقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان
 المهمل في الرباعي والخماسي أكثر لقلته استعمال العرب له لثقله ولحق به الشائ في قلته دورانه وكان
 الاستعمال في الثلاثي أغلب فكانت اوضاعه أكثر لدورانه وضمن التحليل ذلك كله في كتاب العين
 واستوعبه أحسن استيعاب واوعاه وجاء ابو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة
 فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله وكثير من شواهد المستعمل ولخصه للتحفظ
 أحسن لخص والف الجوهري من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل
 البداية منها بالهمزة وجعل النجزة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر الى
 اواخر الكلام وحصر اللغة اقتداء بحصر التحليل ثم ألف فيها من الاندلسيين ابن سيده من أهل دانية في دولة
 علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض
 لاشتقاق الكلام وتعاريفها فجاءه من أحسن الدواوين ولخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من
 ملوك الدولة الحفصية بنونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار اواخر الكلام وبناء التراجم
 عليها فكانت اولى رحم وسبيل ائمة هذه اصول كتب اللغة في ما علمناه وهناك مختصرات أخرى مختصة
 بصنف من الكلام ومستوعبة لبعض الابواب اولها الان واجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك
 جلى من قبل التراكيب كما رأيت ومن الكتب الموضوعات ايضا في اللغة كتاب النخشي في الجاز بين فيه
 كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الافادته ثم لما كانت
 العرب تضع الشيء على العدم ثم تستعمل في الامور الخاصة الفاظ أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين
 الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزيز لما أخذ كل وضع الايبض بالوضع العام لكل ما فيه بياض
 ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالاشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالالمخ حتى صار استعمال
 الايبض في هذه كلها الخنا وخروجها عن لسان العرب واختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبى وافرد في
 كتاب له سماه فقه اللغة وهو من آكد ما يأخذ به اللغوي نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس
 معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك واكثر ما يحتاج الى ذلك
 الاديب في فني نظمه ونثره حذر ان يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو أشد
 من اللحن في الاعراب والخش وكذلك ألف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وان لم

وكراديس يتلو بعضها
 بعضها لا يدركهم الطرف
 ولا يخص بهم العدد وقد
 استعدوا من الكراع
 والسلاح والمجانيق
 والالآت المعدة لفتح
 الحصون في الحرب بما
 لا يحصى وكانوا قد قسموا
 بلاد المسلمين الشام ومصر
 والعراق وخراسان وديار
 بكر ولم يشكوا ان الدولة
 قد دارت لهم وان نجوم
 السعود قد خدمتهم ثم
 استعبلوا بلاد المسلمين
 فقاترت اخبارهم الى بلاد
 المسلمين واضطربت لها
 عمالكة الاسلام فاحتشد
 للقائهم البارسلان التركي
 وهو الذي يسمى الملك
 العادل وجمع جموعه
 بمدينة اصبهان واستعد
 بما قدر عليه ثم خرج
 يؤمهم فلم يزل العسكران
 يتدانان الى ان عادت
 طلائع المسلمين الى المسلمين
 وقالوا للبارسلان غدا

يتراهي الجمع ان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصى منهم الا الذي خلقهم وما المسلمون
 فيهم الا كلمة جاثق فبقي المسلمون واجين لمادهاهم فلما اصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فقال المسلمون ما راوا من كثرة
 العدو وقوتهم ولا تهم فامر البارسلان ان يعد المسلمون فبلغوا اثني عشر ألف تركي واذا هم منهم كالرقة في ذراع الحصار فجمع ذوى الرأي
 من أهل الحرب والندبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص صواب الرأي فتشاوروا وروا بره ثم اجتمع رأيهم
 على اللقاء فتواعد القوم وتحالفوا وناصحوا الاسلام وأهله ثم تأهبوا أهبة اللقاء وقالوا للبارسلان نسمي الله ونحمل على القوم فقال
 البارسلان يا معشر أهل الاسلام امهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زال

الشمس وفات الأقياء وعلما أن المعلمين قد صلوا ودعوا النوا واصلينا نحن عملنا أمرنا فصرنا إلى أن زالت الشمس ثم صلوا ودعوا الله تعالى أن ينصر دينه وأن ير بط على قلوبهم بالصبر وأن يوهن عدوهم وأن يلقى في قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق من خيمة ملك الروم وعلامته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحدكم أن يفعل كفعلى ويضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل جميعهم حملة رجل واحد إلى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها فخلصوا إليه وقتل من حوله واسر ملك الروم وجعلوا ينادون بالاسان الروم قتل الملك فسمع الروم أن ملكهم قد قتل فبعدوا وابتعدوا قواكل محرق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم بين يدي البارسلان بحبل في عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع (٣٥٣) في لو أخذتني قال فهل تشك أني كنت أقلك فقال له البارسلان

أنت أقل في عيني من أن أقلك اذهبوا به وبيعوه فمن يريه فكذا كان يقاد بالحبل في عنقه وينادي عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادي عليه بالدرهم والفلوس فلم يدفع فيه أحدا شيئا حتى باعوه من إنسان بكعب فأخذ الذي كان تولى ذلك من أمره الكتاب والملك وجعلهما إلى البارسلان وقال قد طغت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه أحدا شيئا إلا رجل واحد دفع لي فيه كعبا قال قد أنصف لأن الكتاب خير منه فاقبض الكتاب وأدفع إليه هذا الكتاب ثم أنه أمر بعد ذلك بإطلاقه فذهب إلى قسطنطينية فعزله الروم وكثارة بالأنار فانظر ماذا أتاني على الملوك إذا عرفوا في الحروب من

تبلغ إلى النهاية في ذلك فهو مستوعب لآل كثر وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمدلول من اللغة الكثير الاستعمال تهيل لا يحفظها على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكيت والفصح لتعرب وغيرهما وبعضها أقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الأهم على الطالب للحفظ والله الخلاق العليم لأرب سواه

(علم البيان)

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم الأساسية لا به متعلق بالالفاظ وما تنبئ به ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك أن الامور التي يقصد بالمتكلم بها افادة السامع من كلامه هي اما تصوره مفردات تسندو يسند اليها وبغض بعضها إلى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف واما تعبير المسندات من المسند اليها والازمنة ويقلعها بغير الحركات وهو الاعراب وابنية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحوي يبقى من الامور المتكثفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين والفاعلين وما يقصد به حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا حصلت تلك الكلمات فبالبلاغ غاية الافادة في كلامه واذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب فان كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة ألا ترى أن قولهم زيد جاءني مغائر لقولهم جاءني زيد من قبل ان المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم فن قال جاءني زيد أفاد ان اهتمامه بالجي وقيل الجي المسند وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول او بهم او معرفة وكذا أنا كيد الاسناد على الجملة كقولهم زيد قائم وان زيد قائم وان زيد القائم متغايرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق الاعراب فان الاول العاري عن التما كيد انما يفيد الخالي الذهن والثاني المؤ كيد بان يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر فهي مختلفة وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه بعينه جاءني رجل اذا قصدت بذلك التذكير تعظيما وانه رجل لا يعادله أحد من الرجال ثم الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه أولا وانشائية وهي التي لا خارج لها كالطلب وانواعه ثم قد يتبعه ترك العاطف بين الجملتين اذا كان للثانية محل من الاعراب فيشرك بذلك منزلة التابع المفرد تعاوتو كيد او بدلا بلا عطف أو يتبع العطف اذا لم يكن للثانية محل من الاعراب ثم يقتضي المحل الاطناب والايجاز فيورد الكلام عليهم ما ثم قد يدل باللفظ ولا ير يد منطوقه ويريد لازمه ان كان مقردا كما تقول زيد اسد فلا تر يد حقيقة الاسد المنطوق وانما تر يد شجاعة اللازمة وتسند ما إلى زيد وتسمى هذه استعارة وقد تر يد باللفظ المركب

(٤٥ - ابن خلدون) الجملة والقصد في المكيدة (واعلم) أن القدماء قالوا الكثرة لأرب والقلة للنصر وقد قال تعالى ويوم جنين اذا مجبتكم كثرتم فلم تغن عنكم شيئا وضافت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثره أبدأ يعجبهم الاعجاب ومع الاعجاب الهلاك وخير الاصحاب أربعة وخير السرايا أربعة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب جيش يبلغ اثني عشر ألفا من قلة اذا اجتمعت كلمهم فاما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأيانه في بلادنا وهو أرحى تدبير فعله في لقاء عدونا أن تقدم الرحالة بالدق السكاملة والرماح الطوال والمزاد بقى المسنونة النافذة فيصفوا صفة وفهم ويركزوا مرا كرههم ورماحهم خلف ظهورهم في الارض وصدرهم شارعة إلى عدوهم وهم جاثون في الارض وكل رجل منهم قد ألقم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة الخنازرون التي تمرق

سهاهم من الدروع والحميل خلف الرماة فاذا جلت الروم على المسلمين لم يترشح الرجال عن هياتها ولا يقوم رجل منهم على قدميه فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجال بالمازاريق وصعدوا الرماح تلقاهم فأخذوا يمينه ويسره فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجال فقتل منهم ما شاء الله ولقد حدثني من حضر مثل هذه الوقعة في بلدي طرطوشة قال صافقت الروم على هذا الترتيب فحملوا علينا فبينما رجل منا كان في آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه عجل من العدو فصاب غرته فقتله ولم يبرز المقتدر بالله بن هود ملك الاندلس من سر قسطة في تغور بلاد الاندلس للقاء الطاغية ردميل عظيم الروم وكان كل واحد منهم قد احتشدم بما في ميسوره فالتقى المسلمون والكفار ثم تنازلوا للقتال (٣٥٤) وتصافقوا ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون في خسران

الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير الرماد وترى يده ما لزمت ذلك عنه من الجود وقرى الضيف لان كثرة الرماد ناشئة عنهم ما فهمي دالة عليهم ما وهذه كلها دالة زائدة على دالة الالفاظ المقرود والمركب وانما هي هيات واحوال لواقعات جعلت للدلالة عليهم الاحوال وهيات في الالفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيات والاحوال والواقعات وجعل على ثلاثة اصناف الصنف الاول يبحث فيه عن هذه الهيات والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات المحال ويسمى علم الالفاظ والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستعارة والكنية كما قلناه ويسمى علم البيان والمحجوب ما صنفنا آخره والنظر في ترتيب الكلام وتحسينه بنوع من التتميق اما بسجع بقص له او بجناس يشابه بين الالفاظ او ترصيع بقطع او زانه او تورية عن المعنى المقصود ببايها معنى اخفى منه لا يشارك اللفظ بينهما او امثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع واطلق على الاصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني لان الاقدمين اول ما تكلموا فيه ثم تلاحت مسائل الفن واحدة بعد اخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى والمجاهد وقدامة واسنالم املاآت غير وافية فيها ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى أن محض السكاكي زبدته وذهب مسائله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه آنفا من الترتيب وألف كتابه المسمى بالافتاح في النحو والنصر يف والبيان فجعل هذا الفن من بعض أجزائه وأخذ المأخوذ من كتابه ولخصه وانه ما هي المتداوله لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيين وابن مالك في كتاب المصباح وجعل لال الدين القزويني في كتاب الايضاح والنخبة وهو اصغر حجم من الايضاح والعناية به لهذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره وبالجملة فالشارقة على هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه والله أعلم لم أنه كمال في العلوم اللسانية والصنائع السكاكية توجد في العمران والمشرق او فرعران من المغرب كما ذكرناه أو نقول لعناية العجم وهو معظم أهل المشرق كتنسيق الزختمري وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله وانما اختص بأهل المغرب من اصنافه علم البديع خاصة وجعلوا من جملة علوم الادب الشعرية وفروعه والالفاظ وعددوا أبوابا ونوعوا أنواعا وزعموا أنهم أحصوها من لسان العرب وانما حاشوا على ذلك الولوع بترتيب الالفاظ وان علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم ما أخذوا به من البلاغة والبيان لدقة انظارهم وانغموض معانيهم افتجافوا عنهم ما ومن ألف في البديع من أهل افريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجرى كثير من أهل افريقية والاندلس على منحاها وعلم ان ثمة هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز من القرآن لان اعجاز في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منظومة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع

فأفزع المقتدر ذلك وافرقت المسلمون من شر ذلك اليوم فدعا المقتدر رجلا من المسلمين لم يكن في التغور أعرف بالحرب منه يسمى سعداره فقال له المقتدر كيف ترى في هذا اليوم فقال سعداره هذا يوم اسود ولكن قد بقيت لي حيلة فذهب سعداره زيه زى الروم وكلامه كلامهم لمجاورتهم وكثرة مخالطتهم فاتفقوا في عسكر الكفار ثم صعد الى الطاغية ردميل فألقاهم في السلاح مكثنا في الحديد لا يظهر منه الا عيناه فجعل يتخلله ويترصده غرته الى أن أمكنته الفرصة فحمل عليه فطاعنه في عينه فخرصر يعاليد الدين والقلم ثم جعل ينادي بلسان الروم قتل السلطان يا معشر الروم فشا عتقه له في العسكر فتخاذلوا وولوا منهزمين وكان الفتح باذن الله تعالى

ولما استضعف الروم صقلية وضر بواعليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج ويحملون الاموال الى العرب بافريقية ويستجدون بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انما مثلي ومثلكم يا أهل صقلية مثل رجل له زوجتان عجوز وصيبة فكان اذا بات عند الصيبة تلقط الشيب من تحتية لتصبه فيرند في العجوز واذا بات عند العجوز تلقط الشعر الاسود من تحتية لتصبه فيرند هذا الصيبة فيه فوشك ان دام هذا به ان يصبح اطلس كذلك حالكم معي ومع العرب اذا اديتم المسال لي ولهم يوشك ان تنقذوا والكم فتبقوا فقر اضعفاء فأتسلكم واتسلم البلاد ويروى انه لما هم بحصار صقلية امر أن يبسط بساط في الارض ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال لوجه رجاله من اخذ منه كم هذا الدينار ولم يأت بالبساط علما انه يصلح للبلد فوقه واحوله ولم يصل احد اليه

فلما عياهم ذلك طموها وناحية من البساط من عنده وامر كل واحد ان يطوى مما يليه حتى طوى البساط فذوا ايديهم فحقة والديغار
فحينئذ قال لهم اذا اردتم مدينة صقلية خذوا ما حوله من المصون والمدن الصغار والاضلاع والقرى حتى اذا ضعفت اخذتموها وكان
بسرقة فارس يقال له ابن فتحون وكان يناسبني فبقع خال والدني وكان اشجع العرب والعجم وكان المستعين ابوا المقدر يرى له ذلك
ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية جسمائة دينار وكانت النصرانية باسرها قد عرفت مكانه ومكانها فقامت لقاء فيجئ كي ان الرومي اذا
سقى فرسه فلم يشرب يقول له اشرب هل ابن فتحون رأيت في المساء في سدة نظرائه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فأوغروا به صدر
المستعين فغناه اياما ثم ان المستعين انشأ غزوة الى بلاد الروم فتوافقت المسلمون والمشركون (٣٥٥) صقوفاتهم برز على الى وسط الميدان

ينادي هل من مبارز فخرج

اليه فارس من المسلمين

فتجاولا ساعة فقتله الرومي

وصاح الكفار سرورا

وانكسرت نفوس المسلمين

وجعل الرومي يكر بين

الصفيين وينادي هل من

اثنين لواحد فخرج اليه

فارس من المسلمين فقتله

الرومي فصاح الكفار سرورا

وانكسرت نفوس المسلمين

وجعل يحول بين الصفيين

وينادي ويقول ثلاثة

لواحد فلم يستجري احد من

المسلمين ان يخرج اليه

وبقي الناس في حيرة فقبل

للسلطان ما اله الا هو الوليد

ابن فتحون فدعاه ونطفت

به وقال له اماتري ما يصنع

هذا العلي فقال هو يعني

قال فما الحيلة فيه فقال

ابو الوليد فتاذا تر يد فقال

اكف المسلمين شربة فقال

الساعة يكون ذلك ان

شاء الله تعالى فلبس قيصر

كتان واسهوى على

الكمال فيما يختص بالالفاظ في انقائها وجودة رصعها وتر كيتها وهذاهو الاعجاز الذي تقصر الافهام
عن دركه وانما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فمدرك
من اعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه اعلى مقام في ذلك لانهم
فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجودا وافر ما يكون واصح وأجوج ما يكون الى هذا الفن
المفسرون واكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جارا لله الزخشيرو وضع كتابه في التفسير ويتبع
آي القرآن باحكام هذا الفن بما يمدى البعض من اعجازه فانقرده هذا الفضل على جميع التفاسير لولا انه
يؤيد عقائد اهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة ولاجل هذا يتحاشاه كثير من اهل السنة
مع وفور بضاعتهم من البلاغة فن أحكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقدر على
الرد عليه من جنس كلامه او يعلم انه بدعة فيعرض عنها ولا تضرب في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا
الكتاب للظفر بشئ من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

(علم الادب)

هذالعلم لاموضوع له ينظر في اثبات عواضده او نفيها وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي
الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه
تحصل به الحكمة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الاجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء
ذلك متفرقة يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم
به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة والمقصود بذلك كله ان
لا يتخفى على الناظر فيه شئ من كلام العرب واساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا تحصل الملكة من
حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما وقف عليه فهمه ثم انهم اذا ارادوا هذه الفن قالوا
الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان والعلوم
الشريعة من حيث متونها فاقطعوهي القرآن والحديث اذا لم يدخل لغز ذلك من العلوم اللسان والعلوم
الما ذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة الحديث من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات
العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها وسماعها من
شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانها أربعة دواوين وهي أدب الكتاب لابن قتيبة
وكتاب الكامل للبردو وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى
هذه الاربعة فنبه عليها ووفرع عنها كتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدد الاول من أجزاء

سرجه بلاسلاح واخذ بيده سوطا طويل الطرف وفي طرفه عقدة معقودة ثم مر زاليه فحجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهم ما على
صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لاشئ منه في السرج ثم طفر على
سرجه وحمل عليه وضرب به بالسوط في عنقه فالتوى على عنقه فحذبه بيده من السرج فاقتله من سرجه وجابهه بجرحه فالتوى بين يدي
المستعين فعلم المستعين انه كان قد اخطأ في صنعه معه فأكرمه وردده الى أحسن احواله أيها الاجناد أقبلوا الخلفاء على الامراء فلا ظفر مع
اختلاف ولا جاعة لمن اختلف عليه قال الله تعالى ولا تنازعوا فتشوا وتذهب ربحكم وأول الظفر الاجتماع وأول الخذلان الافتراق
وعمد الجاعة السمع والطاعة وانما أتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين من العصبان وكان قد ظهر اهل العراق على اهل

الاشام ووضعت صفوق معاوية فاحسن بالشروانه مغلوب فقال لعمر بن العاص اذهب فخذ لنا الامان من ابن عمك يعني عليا فادار
عمر والحيلة فامرهم ان يرفعوا المصاحف في اطراف الرماح وينادون ندعوكم الى كتاب الله تعالى فلما رأى ذلك اصحاب على كفوا عن
الحرب فقال لهم على رضي الله عنه اى قوم هذه مكيمة منهم ولم يبق في القوم دفاع فعصوه وتركو القتال وكان ذلك سبب الحكمين
واعلموا ان من احزم مكاييد الحرب ذكاء العيون واستطلاع الاخبار وانشاء الغلبة واطهار السور ورواية المحدث والاحتراس من العدو وان
لا تخرج هارباً الى قتال ولا تضيق اماناً على مسلمان وقال بعض المصنفين كثرة التكبير عند اللقاء فسل غصوا الاصوات وتجليبوا السكينة
واكملوا الوثام واحتموا الجبن (٣٥٦) وادعوا الليل فانه اخفى للويل الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع الليل المدد

هـ ذال الف لهما هو تاسع للشعر اذا الغناء انما هو تلحينه وكان الكلب والقضلاء من الخواص في الدولة
العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل اساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتحاله قادحاً في العدالة
والمروءة وقد ألف القاضي أبو الفرج الاصبهاني وهو ماموكنا في الاغانى جمع فيه اخبار العرب وأشعارهم
وانسابهم وايامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشييد
فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب ووافاه ولعمري انه ديوان العرب وجامع اشعار الخاسن التي سلفت لهم في
كل فن من فنون الشعر والنار يخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية
التي يسو اليها الاديب ويقف عندها وافي له بها ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الاجال فيما تكلمنا
عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

٣٨ (فصل في أن اللغة ملكة صناعية)

(اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذهى ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها
وقصورها بحسب تمام الملكة او نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب
فاذا حصلت الملكة النامية في تركيب الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف
الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى
البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع اولاً وتعود منه للذات صفة ثم تكرر فتكون
حالا ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة اى صفة راسخة فالتكلم من العرب
حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام اهل جيله واساليبهم في مخاطبتهم وكيفية
تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها
فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يشكر الى أن يصير
ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم هكذا تصيرت الاسن واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم
والاطفال وهذا هو معنى ما نقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع اى بالملكة الاولى التي اخذت عنهم
ولم يأخذوها عن غيرهم ثم انه لما قسدت هذه الملكة لاضرر بمخاطبتهم الاعاجم وسبب فسادها ان الناس
من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات اخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن
مقصوده لكثرة انخاططين للعرب من غيرهم ويسمع كصفات العرب ايضا فاختلط عليه الامر وأخذ من
هذه وهذه فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة
قريش اوضح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم ان كسفتهم من

الاعظم المحازم يحدروا
على كل حال الموابنة ان
قرب والغارة ان بعد
والحكمين ان انكشف
والاستطارد اذا ولي الجهل
قوة الجرات من اعتر بقبوة
فقدوه من ليس من القوة
التورط في الهوة لكن أشد
ما كنت حذرا ما كنت
عند نفسك أكثر قوة
وعندنا من اسنضعف
عدوهما غتر ومن اغتر ظفر به
عدوهما غتر وعروا قلوبكم في
الحرب الجرات فاتها سبب
الظفر واذا كروا الضعائن
فانها تبعث على الاقدام
والتزموا الطاعة فاتها
حصن المحارب اذا وقع
اللقاء من القضاء اذا لقي
السيف السيف زال الحبار
رب مكيدة ابلغ من نجدة
رب كلمة هزمت عسكرا
الصبر سبب النصر الظفر
مع الصبر اجعل قتال عدوك
آخر حيل النصر مع التدبير
لا ظفر مع بني ولا تغتر

بالاقوياء بفضل قوتهم على الضعفاء لا تجبنوا عند اللقاء لا تملوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور
ولا تغلوا عند الغنائم نزهوا الجهاد عن عرض الدنيا
اعلم وقفت الله تعالى ان مذهب الخلق في القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات منشئة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره
وحكمه حادث فن خالفنا في القضاء والقدر وافقنا في العلم وقد تبين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما
لديهم فرحون ولم نضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتياج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجلدات واسفار وانما نذكر في هذا الكتاب
احكاما ظاهرة قريية من المأثورات القائدة على الناظر فيه فاعلم اولاً ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضرر

تقيف

(الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطلب)

وايمان وكفر وطاعة ومعصية بقضاء وقدر وكذلك لا يطير ما اثر بجناحيه ولا يدب حيوان على بطنه وزجليه ولا تطير به وضعة ولا تسقط ورقة
 الا بقضاءه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك الا بقدره سبق علمه به ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب
 لا يتضادان وذلك ان تعلم ان كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما علم الله تعالى انه يكون فهو كائن ومن خالفنا في القضاء
 والقدر وافقنا في العلم فرب امر قد رآه تعالى وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب
 والطلب ايضا من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب في انه مأمور ان في ههنا قلنا انه - مالا يتنافيان وكذلك التوكل مع
 الكسب لان التوكل محلله القلب والكسب محلله الجوارح ولا يتضاد شيان في محلين (٣٥٧) بعدما يتحقق العبد ان المقدور من قبل
 الله تعالى فان تعمير شيء

فبتقديره وان اتفق
 فبتيسيره قال انس جاء
 رجل على ناقه له فقال
 يا رسول الله ادعها واتوكل
 فقال اعقلها وتوكل
 والتوكل والاعتصام بالقدر
 يستمدان من العقل والطلب
 والكسب يستمدان من
 الامر فالتمس على الله تعالى
 هو الثقة بما ضمنه والتمس
 يكون ما حكم به في راس امر
 من الامور ليس الطريق
 في تحصيله ان يغلق باب
 عليه ويقوض امره الى
 ربه وينظر حصول ذلك
 الامر بل الطريق ان يشرع
 في طلبه على الوجه الذي
 شرعه الله فيه وقد ظاهر
 النبي صلى الله عليه وسلم
 بين درعين واتخذ خندقا
 حول المدينة يستظهر به
 ويحترس من العدو واقام
 الرماة يوم أحد ليحفظوه
 من خالد بن الوليد وكان
 يلبس لامة الحرب ويعبى

تقف وهذيل وخرقة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى قميم وامان بعد عنهم من ربيعه وتوكلهم وحذام
 وغسان وايد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة
 بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الحكمة والفساد عند اهل
 الصناعة العربية والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٣٩ * (فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وجحير) *

وذلك انما نجد بها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها الادلة المحركات
 على تعيين الفاعل من المفعول فاعتصموا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد
 الان البينان والبلاغة في اللسان المضري اكثر واعرف لان الالفاظ باعيناها الدالة على المعاني باعيناها
 ويبقى ما تقتضيه الاحوال ويسمى بساط المسال محتاجا الى ما يدل عليه هو كل معنى لا بدوان تكتنفه
 احوال تخصه فيجب ان تعتبر تلك الاحوال في تأدية المقصود لانها صاغته وتلك الاحوال في جميع الالسن
 اكثر ما يدل عليها بالالفاظ تخصها بالوضع واما في اللسان العربي فاما يدل عليها باحوال وكيفيات في
 تراكم الالفاظ وتاليها من تقديم او تأخير او حذف او حركة اعراب وقديلا عليها بالحروف غير
 المستقلة ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات
 كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك اوجز واقل الالفاظ وعبارته من جميع الالسن وهو ذمامه في
 قوله صلى الله عليه وسلم لم أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا واعتبر ذلك بما يحكي
 عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض النحاة اني اجد في كلام العرب تكرار في قولهم زيد قائم وان زيد قائم
 وان زيد قائم والمعنى واحد فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لفادة الخالي الذهن من قيام زيد والثاني
 لمن سمعه فانه كره والثالث ان عرف بالاصرار على انكاره فاختلقت الدلالة باختلاف الاحوال وما زالت
 هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفت في ذلك الى خرفشة النحاة اهل صناعة
 الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت وان اللسان العربي
 فسد اعتبارا بما وقع واخرالكلام من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي مقالة دسهما التشيع
 في طابعهم والافهام التصوري في افئدتهم والافئتن نجد اليوم الكثير من الفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها
 الاولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الابانة وجود في كلامهم لهذا العهد واساليب اللسان
 وفنونه من النظم والنثر موجودة في خطاطباتهم وفهم الخطيب المصقع في محافلهم وبحامهم والشاعر
 المفلح على اساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من احوال اللسان المدون

الجيوش وبأمرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم واسترقي وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالداواة وقال أنزل الداء الذي أنزل الداء (فان قيل)
 قد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقي او اكنزى فقد برئ من التوكل (قلنا) اليس قد قال اعقلها وتوكل وظاهر بين درعين
 وسائر ما ذكرناه اتفاقا (فان قيل) هذا الجمع بين ذلك (قلنا) معناه من استرقي واكنزى متكلا على الرقية والسكنى وان البرء من قبلها ما خاصة
 فهذا يخرجهم من التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله تعالى فاما من باشر الاسباب والادوية وتعاطى تدبير الامور
 بنفسه واعوانه وماله على ما جرت به سيرة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتد على شيء من ذلك بل هو واثق القلب ان ما حصل
 فبتقديره وما تعمير فبتقديره معتد في ذلك على المسبب لا على الاسباب فهذا هو المتوكل لكن شرطه ان يمشي في ذلك كله مع الاثر ولا يسلب

بالقدر فانك اذا اجهدت نفسك بالطلب بوجوه التدبير المحمودة مصداقاً بقدر نلت متحاول ولم تلتو عليك الامور وان علمت بذلك
 فالتوى عليك امر من مطلوبك فذلك من اعانة الله دروايك قد اتيت ذنبه افترقه جوارحك واستكشف ظاهرك وباطنك وتب الى
 الله تعالى من كل ذنب اتيت به بخارجة من جوارحك واخرج من كل مظلمة ظلمت افاذا علمت ذلك قابلك الحظ وساعدك القدر ان شاء الله تعالى
 * واعلم ان هذا الاصل الذي قررناه يخرج عليه ما ورد في القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الامر بالنوكل على الله والتسليم
 اليه والتقوى يضل به من ذلك ان تسليم الخواص لا يوم اقوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال ما ينبغي لعمد بعد هذه الآية
 ان يلجأ الى احد غير الله فلنا معناه لا يلجأ الى الاسباب اعتماداً عليها ولكن يلجأ اليها (٣٥٩) وانقaban الله تعالى يفعل ما يشاء

كما امر النبي صلى الله عليه
 وسلم بعقل النافقة ولبس
 درعين الاتري ان من يطلب
 الزرع والولد ثم يعد في
 بيته لم يطار زوجته ولا بذر
 ارضه معتمدا في ذلك على
 الله تعالى واثقابه ان تلد
 امرأته من غير وقاع وتنبت
 ارضه الزرع من غير بذر
 كان عن المعقول خارجا
 ولا مر الله تاركا وللأئمة
 والحكماء في القدر الفاظ
 بارعة على السهر والامتحان
 * منها ما روي ان علي بن
 أبي طالب رضي الله عنه
 سئل عن القدر فأعرض
 عن السائل فأبى الاجواب
 فقال علي اخبرني أخلاقك
 الله كما تشاء او كما يشاء
 فامسك الرجل فقال علي
 للحاضر بن اترونه يقول
 كما تشاء اذا والله أضرب
 عنه فقال الرجل كما يشاء
 فقال علي أيحييك كما
 تشاء او كما يشاء قال كما
 قال أيحييك كما تشاء او كما

وهم من اعقاب مضر وسائر الجبل منهم في النطق بهذه القاف أسوة وهـ ذه اللغة لم يبتدعها هـ ذا الجبل بل
 هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك انها لغة ضرا الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها
 وقد ادعى ذلك فقهاء اهل البيت وزعموا ان من قرأ في أم القرآن اهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التي
 له ذا الجبل فقد نحن وافسد صلاته ولم ادر من اين جاء هذا فان لغة اهل الامصار ايضا لم يستحدثوها
 وانما تناقلوها من لدن سلفهم وكان اكثرهم من مضر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح واهل الجبل ايضا
 لم يستحدثوها لانهم ابعدهم مخالطة الاعاجم من اهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم انه
 من لغة سلفهم هـ ذامع اتفاق اهل الجبل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وانها الخاصة التي يتميز بها العربي
 من الهجين والمخضري ففهم ذلك والله الهادي المبين

٤. * (فصل في ان لغة اهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر) *

اعلم ان عرف التخاطب في الامصار وبين الحضرة ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة اهل الجبل بل هي لغة
 أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجبل العربي الذي لعهدنا وهي عن لغة مضر ابعدها
 انها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغير الذي يعد عند صناعة اهل النجوم منا وهي مع
 ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم فلغة اهل المشرق مبنية بـ بعض الشيء للغة اهل المغرب وكذا
 اهل الاندلس معهم ما وكل منهم متوصل بلغته الى تادية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان
 واللغة ووفقا لان الاعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد وما انها ابعده عن اللسان الاول من
 لغة هـ ذا الجبل فلان البعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجمة فن خا ط العجم اكثر كانت لغته عن ذلك
 اللسان الاصل ابعدا لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة متميزة من الملكة الاولى التي كانت
 للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسمعون من العجمة ويربون عليه يبعدون عن الملكة
 الاولى واعتبر ذلك في امصار افريقية والمغرب والاندلس والمشرق اما افريقية والمغرب فخالطت العرب
 فيها البرابرة من العجم بوفور عرانيهم ولم يكديخلو عنهم مصر ولا جيل فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي
 الذي كان له موصارت لغة أخرى متميزة والعجمة فيها الغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الاول ابعده وكذا
 المشرق لما غلب العرب على اعمه من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الكرة والفلاحين
 والسبي الذين اتخذ ذومهم خولا ودايات وأطئار او مرضع ففسدت لغتهم بقساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى
 وكذا اهل الاندلس مع عجم الجلالة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم اهل لغة أخرى
 مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف ايضا بعضها بعضا كما نذكره وكانها لغة أخرى لاستحكام ملكتها

يشاء قال كما يشاء او كما يشاء قال كما يشاء قال أفيديك حيث تشاء او حيث يشاء قال حيث يشاء قال قم فليس لك من
 الامر شيء وروى ان رجلا قد ربا بمجوسيا تناظر فقال القدرى للمجوسى مال لا تسلم فقال المجوسى لو اراد الله تعالى لاسامت فقال القدرى
 قد اراد الله ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك قال المجوسى فانما مع اقوامهم ما وروى في الاسرائيليات ان نبيا من انبياء الله تعالى مرفيع منصوب
 واذا طائر قرىب منه فقال الطائر يا نبي الله هل رايت اقل عقلا من هذا انصب هذا الفخ لصيدي فيه وانا انظر اليه قال فذهب عنه ثم
 رجع فاذا الطائر في الفخ فقال له عجب لك اولست القائل آتفا كذا وكذا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين وقال رجل من
 الخوارج لعلي رضي الله عنه ارايت من جنبني سبل الهدى وسبل بي سبل الردى أحسن الى ام اساء فقال له علي ان كنت استوجبته عليه

حقا فقد أساء وان كنت لم تستوجب عليه شيئا فهو يفعل ما يشاء (وقال) ميمون بن مهران لغيلان القدرى سئل فاقوى مات كوثون اذا سألته فقال غيلان أشاء الله ان يعصى فقال ميمون أيعصى كارهافا قطع غيلان وروى ان رجلا قال لبرز جهر تعالى تتناظر في القدر فقال وما تصنع بالمتناظرة في القدر رأيت ظاهرا استدلت به على الباطن ورأيت احق مرزوقا وعاقلنا محروما فاعلمت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه ويعطى المني من حيث يحرم طالبه ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدى سليمان فقال موسى ان الهدى هدى هندس (٣٦٠) المساء فى الارض القبا فى ويصير القريب منه والبعيد على بعده فى النجوم ثم ينصب له

فى اجاب الله والله يخلق ما يشاء ويقدر

٤١ * (فصل فى تعليم اللسان المضرى)

اعلم ان ملكة اللسان المضرى لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجبل كلهم مغايرة للغة مضر التى نزل بها القرآن وانما هى لغة اخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه الان اللغات لما كانت ملكات كما كان تعلمها ككاشان سائر الملكات ووجه التعليم لمن يتخى هذه الملكة ويروم تحصيلها ان يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على اساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب فى اسجاعهم واشعارهم وكلمات المولدين ايضا فى سائر فنونهم حتى ينزل كثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور ومنزلة من نشأ بينهم ولم تلقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف به - وذلك فى التعبير عما فى ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاء وحفظه من اساليبهم وترتيب الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهم ما رسوخا وقوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهيم الحسن لمنازع العرب واساليبهم فى التراكييب ومراعاة النطق بينها وبين مقتضيات الاحوال والنزوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيها - ما كذا ذكر وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة القول المصنوع نظاما ونثرا ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها وهكذا ينبغي ان يكون تعلمها والله يهدي من يشاء بفضلها وكرمه

٤٢ * (فصل فى ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها فى التعليم)

والسبب فى ذلك ان صناعة العربية انما هى معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لانفس كيفية فليست نفس الملكة وانما هى بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا مثل ان يقول بصير بالخياطة غير محكم لما كثر فى التعبير عن بعض انواعها الخياطة هى ان يدخل الخيط فى خرت الابرة ثم يغرزها فى لفتى الثوب بمجتمعين ويخرجها من الجانب الاخر بمقدار كذا ثم يردّها الى حيث ابتدأت ويخرجها قدام منقذها الاول بمطرح ما بين الثقبين الاولين ثم يتعاضدى على ذلك الى آخر العمل ويعطى صورة الجميل والتدبير والتقييم وسائر انواع الخياطة واعمالها وهو اذا طواب ان يعمل ذلك بده لا يحكم منه شيئا وكذا الوشيل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول هو ان تضع المتشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه واخرها لتلك تمسك بطرفه الاخر وتعاقبانه بينكما واطرافه المضرسية المحددة تقطع ما مرت عليه ذامبة وجائية الى ان ينتهى الى آخر الخشبة وهو لوط ولوط لب هذا العمل اوشى منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة فى نفسها فان العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية

الصبي الفخ بالذود والجملة
فلا يصير حتى يقع فيه
وفى الاسرائيليات ان
الهداهد كانت رائدة
سليمان بن داود عليهم
السلام الى الماء فتقدم
معسكره ثم تنظر الارض
فتقول الماء ههنا على
الف قامة واقل او اكثر
فتبادر الجحش تحفره فلا
يلحق سليمان الا وقد
استعد الماء واعلموا ان
المبارب مما هو مقضى
مقدر كالمنقلب فى كف
الطالب وانشد بعضهم

واذا خشيت من الامور
مقدرا

وفررت منه فحواه تتوجه
والبشار

طبع على ما فى غير مخبر
هو اى ولو خبرت كنت

المهذبا

اريد فلا اعطى واعطى فلم ارد
وقصر عاى ان ينال المغيما

واصرف عن قصدى وعلى
مقصر

العمل

وامسى وما اعطيت الا التعجبا ولما وقع الطاعون بالكوفة فرابن ابي لبلى

على جماره يطلب النجاة فسمع منشد اينشد ان يسبق الله على جمار * ولا على ذى منعة طيار او يأتى الخنف على مقدار * قد يصبح الله امام السارى فذكر راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله امام السارى فلان حين مهرب وانشد بعضهم

اقام على المسير وقد انيخت * مطايا وغر حادياها وقال اخاف عادية الا الى * على نفسي وان القى رداها ومن كذبت منيته بارض * فليس يموت فى ارض سواها ولما قتل كسرى بزر جهر وجدوا فى منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فاحرص باطل واذا كان الغدر فى

الناس طبا عا فالثقة بكل أحد عجزوا اذا كان الموت بكل احد نازلا فالطمة ائينة الى الدنيا حتى وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصرى

في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لو حامن ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الذبا وتعلم باهالها كيف يطمئن اليها الا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث رجل يريد تناول رزقه بتهديبه
وهو يرى تناقص تدبيره ورجل شغلهم غده وعالم مقتون يعيب على زاهد مغبوط ومن عجيب ما نزل بالاستسكنه دريه ان رجلا من
خدمة السلطان غاب عن خدمته اياما فقبضه الشرط وجملوه الى دار السلطان فانساب منهم في بعض الطريق وترامى في بئر والمدينة
مسربة تحت الارض باسم ارب يمشي الماشي فيها فاعلمنا بخبرها ويداود وروها لان (٣٦١) في دورها آبارا على تلك السروب فلا

زال الرجل يمشي الى ان لاح
له بئر مضئ فطعم فيها واذا
البئر في دار السلطان فطاع
الرجل في دار السلطان
قاده السلطان فكان فيه
المثل السائر الفار من القضاء
الغالب كالمغلب في يد
الطالب وقال ابن مسعود
ان الرجل ليشرف على
الامر من الامارة والتجارة
او غير هاذ كره الله تعالى
فوق سمواته فيقول للملك
اصرف عن عبدي هذا
الامر فاني ان ايسره له ادخله
به جهنم فيظل يتعيط على
جيرانه فيقول سبقني فلان
وحسدني فلان وما صرّفه
عنه الا الله تعالى وانشدوا
قالوا تقيم وقد احأ
ط بك العدو ولا تقرب
فاجبتهم الشيخ ما
لم ينتفع بالعلم غير
لانك خير اما بعد
مت ولا عداني الدهر شر
ان كنت اعلم ان غي
والله ينفع او يضر

العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثير من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين
علماء بتلك القوانين اذا مثل في كتابة سطرين الى اخيه او ذى مودته او شوكوى ظلامة او قصده من قصوده
اخفاها عن الصواب واكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المتصوّد على اساليب
اللسان العربي وكذا نجد كثير ممن يحسن هذه الملامكة ويحيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن
اعراب القاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم ان
تلك الملامكة هي غير صناعة العربية وانما مستغنية عنها بالجملة وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب
بصير اجمال هذه الملامكة وهو قليل واتفاق واكثر ما يقع للمخاطبين الكتاب سيبويه فانه لم يقتصر على
قوانين الاعراب فقط بل ملاء كتابه من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح
من تعليم هذه الملامكة فجد العاكف عليه والحاصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في
محفوظه في اما كنهه ومفاصل حاجاته وتنبه له شأن الملامكة فاستوفى تعليمها فكان ابلغ في الافادة ومن
هو لا للمخاطبين الكتاب سيبويه من يغفل عن التقطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه
لاملكه واما المخاطبون لكتب المتأخرين العاربة عن ذلك الامن القوانين النحوية مجردة عن اشعار العرب
وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بامر هذه الملامكة او ينتبهون لاشانها فتجدهم يحسبون انهم قد حصلوا على
رتبة في لسان العرب وهم ابعدا الناس عنه واهل صناعة العربية بالاندلس وعلموها اقرب الى تحصيل
هذه الملامكة وتعليمهم سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب واما ملهم والتفقه في الكثير من التراكييب في
محالس تعليمهم فيسبق الى المبتدى كثير من الملامكة اثناء التعليم فتقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها
وقبولها واما من سواهم من اهل المغرب واقريقية وغيرهم فاحر واصناعة العربية مجردة عن العلوم بحسبها
وقطعوا النظر عن التفقه في تراكييب كلام العرب الا ان اعرابا وشواهدا او رجوا مذمبا من جهة الاقتضاء
الذهني لامن جهة محامل اللسان وتراكييبه فاصبحت صناعة العربية كلها من جهة قوانين المنطق
العقلية او الجدول وبعدت عن مناحي اللسان ولاملكه وما ذلك الا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان
وتراكييبهم وتقيير اساليبهم وغفلتهم عن المران في ذلك للتعليم فهو احسن ما تفهمه الملامكة في اللسان وتلك
القوانين انما هي وسائل للتعليم لكانهم ابحروها على غير ما قصدوها واصاروا على ما بحثوا وبعدا عن ثمرتها
وتعلم مما قرئوا في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بذكر الحفظ من كلام العرب حتى
يرتسم في خياله المنوال الذي تسجوا عليه تراكييبهم فينسخ هو عليه وينزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخاطط
عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملامكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر

(٤٦ - ابن خلدون) استأذن العقل على المجد فقال اذهب لاحاجة لي بك فقال العقل ولم فقال انك تحتاج الى ولا
احتاج اليك (واوصي) حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جدا يخدمك به ذوا العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الجود وكان يقال
افراط العقل مضر بالجود وروى ان رجلا خيرا في اعرافه ان يختار وقال أنا بجدى اوثق منى بعقلي فافرغوا في الامثال اسع بجد لا بكد
اسع بجد او دع جددك لا كدك الجدد لا الجدد الجدد اغنى من الكدد واعلم ان زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض اقل من
التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهاذوا فينا لندينهم سبيلا وقد كنت جعته فيه كتابا من جملة كتابي في الاسرار هل
التوفيق مكتوب ام موهبة بلا سبب فلا ترد عليه ومن لطيف ما وقفت عليه في مجاري القضاء والقدر ان الهارب من المقدور

كالمنفقات في يد الطالب ما نزل في مدينة الاسكندرية في قضية الرجل الذي تقدم ذكره * (الباب الثالث والسبعون وهو جامع من اخبار ملوك العجم وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول) * (الاول) يشتمل على اخبار رفعت البنا بعد الفراغ من الكتاب فالتمتها (والثاني) يشتمل على حكم الحكيم الفرس خاصة (والثالث) يشتمل على حكم حكيم الهند خاصة (والرابع) يشتمل على حكم حكيم العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم مجموعة من متخبة رستم ذلك لتنظر في عقول القوم واغراضهم ومنتهى مرامهم من كتاب حاو يدان خرد الفارسي قال ثلاثة لا يصلح فسادهم بشئ من الخيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة في القول وثلاثة لا يستفسد صلاحهم بنوع (٣٦٢) من المكر والخيل العبادة في العلماء والتقوى في المستبصرين والسخاء في ذوي الاخطار

الامور كلها والله أعلم بالغيب

٤٣ * (فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل غالب المستعربين من العجم) *

اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعتنون بعلوم البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة للكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للترا كيب في افادة ذلك فالتمه - كالم - بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على اساليب العرب وانحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فاذا اتصت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد ينحرف فيه غير منحنى البلاغة التي للعرب وان سمع تركيها غير جار على ذلك المنحنى محج ونساعته سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر الا بما استفاد من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعرابا وبلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها ساجبة لمه وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والنطق لخواص ترا كيبه وليست تحصل بعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبط أهل صناعة اللسان فان هذه القوانين انما تفيد دعما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها وقد مر ذلك واذا تقرر ذلك فلا بد من البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لترا كيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه الملكة حيداعن هذه السبيل المعنية والترا كيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده واذا عرض عليه الكلام حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه ومجه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم ورعا يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانية فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفيدة بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ ورعي في جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولى على غايتها وليس من العلم القانوني في شئ وانما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجميل بحفظ كلامهم واسرارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في

وثلاث لا يشجع منهم - من الحياة والعافية والمسال وقال ابن لقمان لا يبيده يا ابي ما الداء العياء قال دعونة وولدته قال فما المخرج الدوى قال المرأة السوء قال فما المحل الثقيل قال الغضب ولما قرأ هذه الحكاية أبو عباد الكاتب وكان ظريفا في اخباره قال والله الغضب أخف على من ريشة وكان اسرع الناس غضبا فقبل له انما عني اقم ان احتمال الغضب ثقيل فقال لا والله لا يقوى على احتمال الغضب الا الجمل وغضب يوما على بعض اصحابه فرماه بدواة فشحه ففعل الدم يسيل فقال ابو عباد صدق الله العظمى حيث قال والذين اذا ما غضبوا هم يعقرون فاستدعاه المأمون وقال ويحك لا تحسن أن تقرأ آية من كتاب الله تعالى قال بلى والله يا امير المؤمنين

اني لا قرأ من سورة واحدة الف آية فحكك المأمون وامر باخراجه وقيل لا توشروا ن ما العقل

جيلهم

قال القصد في كل الامور قيل في المروءة قال ترك الريبة قيل في السخاء قال ان تنصف من نفسك قيل في الحمق قال الاغراق في الذم والمجد وقيل لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء الظن وقال بعضهم في قوله الحزم سوء الظن قال انما اراد سوء الظن بنفسه لا بغيره قيل في الصواب قال المشورة قيل في الذي يجمع القلوب على المودة قال كف بذول وشر جميل قيل في الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقال معاوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا فان الغيرة كائنة وواجب للرجوع والتزوع ببيعة من قلبك واحذر صولة الانهمالك فانها تؤدي الى المهالك وهو مثل قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه احبب جبينك هو ناما عسى أن يكون يغيبك

يوما ما وابعض يغضك هو ناما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ومن ذلك قول الاول وأحبيب حبيبك جبار ويدا فليس يع- والآن أن تضمر ما
وقال آخر ولا تأسن الدهر من حب كاشم * ولا تأمن الدهر صرم حبيب وسئل برز جهر عن العقل فقال ترك ما لا يعنى قيل
فما المحرم قال انتهز الفرصة قيل فمالحظ قال العفو عند المقدرة قيل فمالشدة قال ملك الغضب قيل فمالخرق قال حب مغروق وبعض
مفرط وقيل لبعض الملوك وبلغ في المنزلة والقدر ما لم يبلغه أحد من ملوك زمانه ما الذي بلغ بك هذه المنزلة قال عفو عن عدي عند قدرتي وإني
بعد شدتي وبذلي الانصاف ولو لمي لنفسي وابقائي في الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال وقال الاسكندر لبعض الحكماء وأراد سقرا
أرشدني لأخزم أمرى قال لا تملك قلبك بحبة الشيء ولا يستولين عليك بغضه (٣٦٣) واجعلها مقصدا فان القلب كاسمه

يتقلب وله خاصية في
القلب تنزع وترجع
واجعل وزيرك الثابت
وسميرك النيقظ ولا تقدم
الابعد المشورة فانها نعم
الدليل واذا فعات ذلك
ملك قلب وعيتك ملك
استعباد قال الشاعر
وما سمى الانسان الا لانه
ولا القلب الا انه يتقلب
وقيل لبعض الحكماء
الدليل الناصح قال غريزة
العقل مع الطبع قيل فمالقائد المشفق قال حسن
المنطق قيل فمالعناء
المعي قال تطبيعك من
لا طبع له وقال الفضل بن
مروان سألت رسول ملك
الروم عن سيرة ملكهم قال
بذل عرفه وجر دسيفه
فأجتمعت عليه القلوب
رغبة ورهبة لا ينغص جنده
ولا يخرج رعيته سهل
النوال خزن النكال الرجاء
والخوف معقودان في يده
قلت فكيف حكمه قال

حياتهم ويري بين أحيائهم والقوانين بمعزل عن هذا واسم تعبير هذه الملكة عند ما ترسخ وتستقر اسم الذوق
الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وانما هو موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه
الملكة في اللسان من حيث النطق باللام كما هو محل لادراك الطعوم اسم تعبير لها سمى وايضا فهو
وجداني اللسان كما أن الطعوم محسوسة له ففقد له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت منه أن الاعاجم
الداخلين في اللسان العربي الطائرين عليه المضطرين الى النطق به لخاططة أهله كالفرس والروم والترك
بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا أمرها لان
قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى الى اللسان وهي لغاتهم أن يعتنوا بما يتداوله أهل
مصر بينهم في المحاوراة من مقرر ومركب ما يرضون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لأهل
الامصارو بعدوا عنها كما تقدم وانما لهم في ذلك ملكة أخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن
عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شيء انما حصل أحكامها
كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتیاد والتكرار للكلام العرب فان عرض لك ما سمعته
من أن سيبويه والقاسمي والزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا اعجابا مع حصول هذه الملكة
لهم فاعلم أن أوائل القوم الذين تسمع عنهم انما كانوا اعجابا في نسبهم فقط وأما المربي والنشأة فكانت بين
أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لأوراءها وكانهم في أول
نشأتهم من العرب الذين نشؤوا في أحيائهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها فهم وان كانوا اعجابا
في النسب فليسوا باعجابا في اللغة والكلام لانهم أدركوا الملة في عنقوانها واللغة في شباهاها ولم تذهب
آثار الملكة ولا من أهل الامصار ثم عكفوا على الممارسة والمدايسة الكلام العرب حتى استولوا على غايته
واليوم الواحد من العجم اذا خاطب أهل اللسان العربي بالامصار فأول ما يجد تلك الملكة المقصودة من
اللسان العربي مخيبة الا نأروا ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مخالفة لملكة اللسان العربي
ثم اذا فرضا ناله أقبل على الممارسة الكلام العرب وأشعارهم بالمدايسة والمقظ يستفيد تحصيلها فقل ان
يحصل له ما قدمناه من أن الملكة اذا سبقتهم ملكة أخرى في المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان
فرضا عجميا في النسب سلم من مخالطة اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمدايسة
فربما يحصل له ذلك لكنه من النذور بحيث لا يخفى عليك بما تقررون وما يدعي كثير من ينظر في هذه
القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها وهو غلط او مغالطة وانما حصلت له الملكة ان حصلت في تلك
القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شيء والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

يرد الظلم ويردع الظالم ويعطى كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور في القلوب فتغضي
له العيون قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغاني اليه واقبال عيني عليه وكانت الرسل تنزل عندي فقال لترجمانه الذي يقول الرومي
قال يصف له ملكهم ويند كسيرته فكلم الترجمان بشيء فقال لي الترجمان يقول ان ملكهم ذؤانة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو
سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجرام قد كسار عيته جميع نعمته وقصرهم تعنيف عقوبته فهم يترآونه ترائي الملال حبالا
ويخافونه مخافة الموت نكالا وقد وسعهم عدله وردعهم سطوته علة فلا تمتنه فخره ولا تثويسه غفلة اذا اعطى اوسع واذا عاقب اوجع
فالناس اثنان راج وخائف فلا راجي خائب الا مل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف وهبهم له قال لا ترفع اليه العيون اجفانها ولا

تبعه الابصار انسانها كان رعيته فطافرت عليهم صغور وواثقوا لخدث المأمون بهذين الحديثين فقال لي كم قيمتهم ما عندك قلت الف درهم قال يا فضل ان قيمتهما اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن افترى احد ادمان الخطباء البلاء يحسن ان يصف احد ادمان خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد امرت له ما بعشرين الف دينار معجلة لهما واجعل العدة مائة بيني وبينهم ما على العود فلو لا حقوق الاسلام واهله لرايت اعطاءهم ما في بيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه وقال الفضل بن سهل كان هندي رسول ملك الروم وكان يحسدني عن أختي للملك يقال لها خاتون قال اصابتنا سنة احترم شواظها علينا (٣٦٤) بحرارة المصائب وصنوف الآفات ففرغ الناس الى الملك فلم يدروا يحجبهم به فقالت

٤٤ * (فصل في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصوها له اصعب واعسر) *

والسبب في ذلك ما يسبق الى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما سبق اليه من اللسان الحضري الذي افادته العجمة حتى نزل بها اللسان عن ملكته الاولى الى ملكة اخرى هي لغة الحضرة لهذا العهد ولهذا نجد المعلمين يذهبون الى المسابقة بتعليم اللسان للولدان وتعتقد النخلة ان هذه المسابقة بصناعة لهم وليس كذلك وانما هي بتعليم هذه الملكة بمخاطبة اللسان وكلام العرب نعم صناعة النحوق قرب الى مخاطبة ذلك وما كان من لغات اهل الامصار عرق في العجمة وابعدهن لسان مضمر قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها التمكن المتأقاة حينئذ واعتبر ذلك في اهل الامصار فاهل افرريقية والمغرب لما كانوا عرق في العجمة وابعدهن اللسان الاول كان لهم قصور وتام في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن الرقيبي ان بعض كتاب القير وان كتب الى صاحب له يا اخي ومن لاعدمت ففقد اعلمني ابو سعيد كلاما انك كنت ذكرت انك تكون مع الذين تأتي وعاقنا اليوم فلم يتبأ لنا الخروج واما اهل المنزل الكلاب من امر الشين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا وكفى اليك وانا مشتاق اليك ان شاء الله وهو هكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري شبيهة بما ذكرنا وكذلك اشعارهم كانت بعبادة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تنزل كذلك لهذا العهد ولهذا ما كان بافرريقية من مشاهير الشعراء الا ابن رشيق وابن شرف واكثر ما يكون فيها الشعراء طائفتين عليهما ولم تنزل طبقتهم في اللغة حتى الا ن مائلة الى القصور واهل الاندلس اقرب منهم الى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامثالهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا وكان فيهم ابن حيان المؤرخ امام اهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها وابن عبدربه والقسطلي وامثالهم من شعراء ملوك الطوائف لما زخرت فيها بحار اللسان والادب وتداول ذلك فيهم مشين من السنين حتى كان الانقراض والجلاء ايام تغلب النصرانية وشغلوا عن تعلم ذلك وتناقص العمران فتناقص ذلك شأن الصناعة كلها فصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت المحضض وكان من آخرهم صالح بن شريف ومالك بن المرحل من تلمذة الطبقة الاشبيلية بسبب بنة وكتاب دولة ابن الاخر في أولها وألقت الاندلس أفلاذ كبدها من اهل تلك الملكة بالجملة الى الدعوة لدعوة الاشبيلية الى بسبب بنة ومن شرق الاندلس الى افرريقية ولم يلبثوا الى أن انقرضوا وانقطع سبب تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول العدو لها وصعوبتها عليهم بعوج ألسنتهم ورسوخهم في العجمة البربرية وهي منافية لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجى بها ابن بشر بن وابن جابر وابن الجباب وطبقتهم ثم ابراهيم

له خاتون أيها الملك ان الحزم عاق لا يخافك جديده ولا يمتن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجله عن استفسادها وقد فرغت رعيتهك البك الفضل العجز عن الالتجاء الى من لا تريده الاساءة الى خلقه عزاولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ماسكا وما أحد أولى بحفظ الوصية من الموصي ولا بركوب الدلالة من الدال ولا بحسن الرعاية من الراعي ولم تنزل في نعمه لم تغيرها نعمة وفي رضالم يذكره مسخط الى ان جرى القدر بما عصى منه البصر وذهل عنه الحذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعد اليه بشكر النعم وعذبه من قطع النعم حتى تدسه ينسك ولا تجعل الحياء من التذلل للمزبدل شركا بينك وبين رعيته فكيف تسحق مذموم

العاقبة ولا يكن مرهم ونفسك بصرف القلوب الى الاقرار لله بكنهه القدرة وتذليل الاسن في الدعاء بمحض الشكر فان الملك ربحا عاقب عبده ليرجعه عن شئ فعل الى صالح عمل وليبعثه على دؤب شكر يحوزه بفضل أحرارها الملك ان تقوم فيهم فتندبرهم بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم الوعظ في الامر والنهي فخال عليهم المحول وما بينهم مفتقد فمة كان سلمها وتواترت عليهم الزيادات بحمد الصنيع فاعترف الملك لها بالفضل فقلدها الملك بعده وجع الرعية على الطاعة لها في المحبوب والمكر وههنا فعل الله باعداءه وضرأثر نعمته لما شكره أعاد لهم من نعمه ما كان قد استرجعهم وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف يني يوحده وانه يؤمنون به لو صدقت نياتنا وصحبت ضمائرنا وقال الواقدي توفي رسول بعض الملوك بدمشق في خلافة هشام فوجدني

الساحلي

جيبه لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الخيانات امتحنت البركات وقال
الوضاحي وجهه انوشروان رسول له الى الملك قد اجمع على محاربه وامره ان يتعرف سيرته في نفسه وورعيه فخرج اليه فقال وجدت عندك الهزل
اقوى من الحمد والكذب اكثر من الصدق والجور ارفع من العدل فقال انوشروان رزقت الظفر به سراليه وليكن عليك في محاربه بيهما هو
عنده اضعف واقل واوضح فانك منصور وهو مخدول فصار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال بزرجه المزعج آفة الحمد والكذب عدو
الصدق والجور مفسد الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهب هيئته واذا استحب الكذب استخف به واذا بسط الجور فسد سلطانه وكان
نقش خاتم رستم وهو احد ملوك الفرس الهزل مبعضة والكذب منقضة والجور مفسدة وقتل بعض اصحاب اسفنديار رجل من الترك فاصيب
في عنقه لوح ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهييب وآفة المنطق الحياء وآفة كل شيء الكذب (٣٦٥) وقيل لبعض الحكماء ما قيمة الصدق

قال الخلد في الدنيا قيل فما
قيمة الكذب قال موت
عاجل قيل فما قيمة العدل
قال ملك الابد قيل فما
قيمة الجور قال ذل الحياة
قال وسأل ملك الهند
الاسكندر وقد دخل بلاده
ما علامه الملك ودولته قال
له الخلد في كل الامور قال
فما علامته قال له الهزل
الهزل فيه قال فاسرور
الدنيا قال الرضا عار رزقت
قال فما غمها قال المحرص
على ما لك لا تناله وقال
بزرجه ثلاث هن سرور
الدنيا وثلاث هن غمها فاما
السرور فالرضا بالقسم
والرضا بالطاعة في النعم ونفي
الاهتمام بالرزق لغد واما
الغم فحرص مسرف وسؤال
مخجف وتضييع ما يلهف ومر
بعض الملوك بغلام يسوق
جارا غير منيعت وقد
عنق عليه في السوق فقال
يا غلام ارفق به فقال
الغلام يا ايها الملك في الرفق
به مضرة عليه قال وما

الساحلي الطريق وطبقته وقفاهم ابن الخطيب من بعدهم الملك لهذا العهد شهيدا بسعاية أعدائه
وكان له في اللسان ملكة لا تدرك واتبع اثره تلميذ ذهب بعده وبالجملة ففسدان هذه الملكة بالاندلس أكثر
وتعلمها أيسر وأسهل بما هم عليه لهذا العهد كما قدمناه من معاناة علوم اللسان ومحافظتهم عليها وعلى
علوم الآداب وسند تعليمها ولأن أهل اللسان العجمي الذين تقسموا كتبهم انما هم طارئون عليهم وليس
عجمتهم أصلا لأهل الاندلس والبربر في هذه العدة وهم اهلها ولسانهم لسانها الا في الامصار فقط وهم
فيها منغمسون في بحر عجمتهم وروايتهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم
تخلاف أهل الاندلس واعتبر ذلك بحال أهل المشرق لعهد الدولة الاموية والعباسية فكان شأنهم شأن
أهل الاندلس في تمام هذه الملكة واجادتها بعدهم لذلك العهد عن الاعاجم ومخاطبتهم الا في القليل
فكان أمرهم هذه الملكة في ذلك العهد داقوم وكان في قول الشعراء والكتاب اوفر لتوفر العرب وأبنائهم
بالمشرق وانظر ما اشتمل عليه كتاب الاغانى من نظمهم ونثرهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم
وفيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم وملتهم العربية وسيرتهم وآثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغنائهم
وسائر مغانيهم له فلا كتاب اوعب منه لاحوال العرب وبقي أمر هذه الملكة مستحكما في المشرق في الدولتين
وربما كانت فيهم أبلغ ممن سواهم ممن كان في الجاهلية كما نذكره بعد حتى تلاشي أمر العرب ودرست لغتهم
وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم وصار الامر للاعاجم والملوك في أيديهم والتغلب لهم وذلك في دولة
الديلم والسلاجقة وخلاطو أهل الامصار والحوادث حتى بعدوا عن اللسان العربي ومملكة وصار متعلمها
منهم مقصر عن تخصصيها وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فن المنظوم والمشهور ان كانوا أكثر من
والله يخاف ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لأرب سواه

٤٥ * (فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر) *

اعلم ان لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون
اوزانه كلها على روى واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل
على فنون ومذاهب في الكلام فاما الشعر فله المدح والمجاء والرثاء واما النثر فله السجع الذي يؤتى به
قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقا
ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسلانا من غير تقييد بقافية ولا غير ما يسمى سجعيا في الخطب والدعاء وترغيب
الجمهور وترهيبهم واما القرآن وان كان من المنشور لانه خارج عن الوصفين وليس يسمى مراسلا مطلقا ولا
سجعا بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية

مضرته قال تطول طريقه ويشد جوعه وفي العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يخفف جملة ويطول اكله فاعجب الملك بكلامه
وقال له قد أمرت لك باف درهم قال رزق مقدور وواهب مأجور قال وقد أمرت بآيات اسمك في حشمتي قال كفيتم مؤنة ورزقت بها
معونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال ان يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد
التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يملوها قال فاستوزره فوجده ذاريا صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق قال وكتب
الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد نفذ في الشرق والغرب وبلغ منهم ما لم يبلغه احد دقبله اكتب الى لفظا موزنا ينفع ويردع فيكتب
اليه اذا استولت بك السلامة فقد ذكر العطب واذا هنتك العافية فحدث نفسك بالبالاعوا اذا طمأن بك الامن فاستشعر الخوف واذا

بلغت نهاية الامر فاذا كرم الموت فان احببت نفسك فلا تجعل لها في الاساءة اليها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء مدكافا قال له ايها الملك ان الدنيا دار عمل والاخرة دار ثواب ومن لا يقدم لا يجد فنه نفسك حلاوة عيشها بترك الاساءة اليها او اعلم ان زمام العاقبة بيد البلاء وامن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكون في حال من هذه الثلاثة غير متوقع لاضدادها ولا تجعل نفسك عرضا لسهام الملائكة فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد واذا فركت في نفسك وعدوها اسستغثيت عن الوعظ (قال) وكتب الاسكندر على باب الاسكندرية اجل قريب في يد غيرك وسوق خبيث من الليل والنهار واذا انتهت المدة حمل بينك وبين العدة فاحمل قبل المنع (٣٦٦) واكرم اهل الجلب بحسن صحبة السائقين واذا اتى نفسك السلامة فاستوحش بالعطب فانه الغاية

والا فاحت للعافية فاحزن للبلاء فاليه تكون الرحمة واذا بسطك الامر فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المورد (وقال) ابن الاعرابي حدثني من رأى بين اصبهان وفارس حجرا مكتوبا عليه العافية مقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة بالعطب والامن مقرون بالخوف ولما ضرب أنوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دين الجوسية وانقل الى دين المسيح عليه السلام وجد في منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان القدر حقا فاحرص باطل واذا كان الغد رقي الناس طبا عافا لثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدين احق ولما تاب الله تعالى على النبي سليمان عليه السلام ورد عليه ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافية

والاخرى بعد ما وبتني من غير التزام حرف يكون سبعا ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الآيات ويسمى آخر الآيات منها فواصل اذ ليست اسجعا ولا الاتزم فيما يلتزم في السجع ولا هي أيضا قواف واطلق اسم المثاني على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بام القرآن للعافية فيها كأنهم للثريا ولهذا سميت السبع المثاني وانظر هذا مع مقاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني يشهد ذلك الحق برحان ما قلناه واعلم ان لكل واحد من هذه القنون اساليب تختص به عند أهلها لا تصح للفن الاخر ولا تستعمل فيه مثل النسب المختص بالشعر والمجد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وامثال ذلك وقد استعملت المتأخرون اساليب الشعر وموازينه في المنشور من كثرة الاسجاع والتزام النقيصة وتقدم النسيب بين يدي الاغراض وصار هذا المنشور اذا تأملت من باب الشعر وفنه ولم يقتصر على الوزن واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصر والاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناشوه وخصوصا أهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي أشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنشور لما في ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان تنزه المخاطبات السلطانية عنه اذ اساليب الشعر تنافيها للودعية وخطا الحمد بالملز والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك في الخطاب والتزام النقيصة ايضا من اللودعية والتزيين وحوال الملك والامتنان وخطاب الجهور وعن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك ويباينه والمحمود في المخاطبات السلطانية الترس وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجييع الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملائكة ارسالا من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام حقه في مطابقتها لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من اطناب او ايجاز وحذف او اثبات او تصريح او اشارة وكنابة واستعارة واما اجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على اساليب الشعر فذموم وما حمل عليه اهل العصر الاستيلاء الجمجمة على السنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقتها لمقتضى الحال فعجز واعن الكلام المرسل لبعده في البلاغة وانفساح خطوبه وولعوا بهذا المسجع يلققون به مانقصة هم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويحجبونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والالقاء البديعة ويغفلون عما سوى ذلك واكثر من أخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر الخاء

نزل البلاء واذا تمت السلامة نجم العطب واذا تم الامن عان الخوف (وحقر) كلامهم حقيير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة أسطر محفورة أولها أيها المعافي ابشر بالبلاء والثاني أيها السلام توقع العطب والثالث أيها الا من خذ أهبة الخوف والرابع أيها الموسر ان بعد عنك العسر ولما نزل أبو مسلم مدينة سمرقند أدناه اسبه ندها فقال ايها الملك ان بالقندهار حجر امدوني فانيه ثلاثة أسطر وجدت في الكتاب ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث به ودفن في هذا الموضع ووجد انك أنت الذي تستخرج جهوت عمل بما فيه فأمر به فأخرج فاذا أول سطر منه الحزم انتهى القرصة وترك الوفاء يخاف عليه القوت والسطر الثاني الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الا بآء من ترك الابناء ولم يصب من لم يحب في كان أبو مسلم يقول علم جليل به

تم هذه الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول بيننا وبين المحذور فلم ينزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فاعماه القدر عن الاستعانة بالمحذوف فله ابو جعفر المنصور ولما حج ابو مسلم قيل له ان بالحيرة نصرانيا قد أتت عليه مائتا سنة وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه فأتى به فلما نظر الشيخ الى أبي مسلم قال قدمت بالاكفافية ولم تأل في العناية وقد بلغت النهاية أحرقت نفسك لمن سبب سبكت حسك وكان قد عانيت رمسك فبكي ابو مسلم فقال لا تبك فانك لم تتوث من خرم وثيق ولا من رأي رتيق ولا تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولا كن ما استجمع احد لامله الا أسرع في تقريب اجله قال فحقى تراه يكون قال اذا تواطأ الخليفة فان على امركان والتقدير في يدي من يبطل معه التدبير وان رجعت الى خراسان سلمت وهيئات فاراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضى ووجهه (٣٦٧) اليه من يحثه فلو لان البصر يعمرى اذا نزل القدر لكانت هذه

دلالة تقع موقع العيان وتبعث على التيقظ في المحذور والاحتياط في الحرب على ان لكل نفس غاية واسكن امر نهاية (وقيل) لمجاليوس وهو وحكم الطب وفلسوفه وقد نهكت العلة الاتعاج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء واذا قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل وبش الداء الامل وقال بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فرأينا فيه صورة الاسد من حجر مكتوب عليه المحلة خير من الشدة والتأني أفضل من العجلة والجهل في الحرب أخزم من العقل والتفكير في العاقبة مادة الجزع (وقال) أحمد بن سهل وجه ملك الروم الى هرون الرشيد بثلاثة اسداف مع هدايا كثيرة وعلى سيف منها مكتوب ايها المقاتل

اجل تنعم ولا تفكر في العاقبة فتهزم وعلى الثاني منها مكتوب اذ لم تصل ضربة سبقت فصلها بالقاء خوفك وعلى الثالث مكتوب التأني فيما لا يخفى عليه الفوات افضل من العجلة الى ادراك الامل وقال الحسن بن سهل قرأت في كتاب جاويدان خرد ثلاث تبطل مع ثلاث الشدة مع المحيلة والعجلة مع التأني والاسراف مع القصد (وقال) الخضر بن علي رأيت بعدن حجرا عليه مكتوب بالحيرة ايها الشديدا حذر المحيلة ايها العجول احذر التأني ايها المحارب تأس من الفكر في العاقبة ايها الطالب موجود لا تقطع املك من بلوغه (وكتب) قيصر الى كسرى اخبرني بأربعة اشياء لم اجد من يعرفها واخبرني عندها عندك اخبرني ما عدا الشدة وصديق الظفر ومدرك الامل ومفتاح الفقر فكتب اليه المحيلة عدو الشدة والصبر صديق الظفر والتأني مدرك الامل والوجود مفتاح الفقر (وقال) بعض الملوك للحكيم وأراد سقرا أو فقي

كلامهم كتاب المشرق وشعر اوه هذا العهد حتى انهم لم يخجلون بالاعراب في الكلمات والتصرف اذا دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يجتمعان معهما فيرجحون ذلك الضنف من التجنيس ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس فتأمل ذلك بما قدمناه لك تنق على صحة ما ذكرناه والله الموفق للصواب بمنه وكرمه والله تعالى أعلم

٤٦ * (فصل في انه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم والمنشور معا الا لالقل) *

والسبب في ذلك انه كما ينهه ملكة في اللسان فاذا تسبقت الى محله ملكة اخرى قصرت بالحل عن تمام الملكة اللاحقة لان تمام الملكات وحصولها للطبايع التي على الفطرة الاولى اسهل وأيسر واذا تقدمتها ملكة اخرى كانت منازعة لها في المادة القابلة وعائقة عن سرعة القبول فوَقعت المناقاة وتعدرا تمام في الملكة وهذا موجود في الملكات الصناعة كلها على الاطلاق وقد برهننا عليه في موضعه بنحو من هذا البرهان فاعتبر مثله في اللغات فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شيء من العجمة كيف يكون قاصرا في اللسان العربي ابدالا لعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستولى على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي والافرنجي قل ان تجد احد منهم يحكم الملكة اللسان العربي وما ذلك الا ما سبق الى السنتهم من ملكة اللسان الاخر حتى ان طالب العلم من اهل هذه اللسان اذا طلبه بين اهل اللسان العربي جامع قصرا في معارفه عن الغاية والتحصيل وما أتى الامن قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل ان اللسان واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك ان الصنائع وما كاتها لا تزدهم وان من سبقت له اجادة في صناعة فقل ان يجيد اخرى أو يستولى فيها على الغاية والله خلة لكم وما تعلمون

٤٧ * (فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه) *

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات الا اننا لا نعلم كلام في الشعر الذي للعرب فان أمكن ان تجد فيه اهل اللسان الاخرى مقصودهم من كلامهم والافلك لسان احكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب التزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مقصود قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ويسمى الحرف الاخير الذي تتفق فيه روي او قافية ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلية وينفرد كل بيت منه باقادة في تراكيبه حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا افرد كان تاما في بابه في مدح أو تشييب او رثاء فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل في اقادته ثم يستأنف في البيت

على أشباه من حكمته عمل بها في سفرى فقال اجعل تأنيك زمام عجلتك وخيلتك رسول شديك وعقولك ملك قدرتك وأناضامن لك
 قلوب رعيته ان لم تحرجهم بالشدة او تبطرحهم بالاحسان اليهم وقال الخضر بن علي قرأت في كتاب جاويدان خرد وهو اجل كتاب للفرس
 الخيلة أنفع من أقوى الشدة وأقل التأني اجل من اكثر العجلة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان براهية عميت عليه المارشد
 وكان التجسس كان ابو بزرجه راحل القدر وضيق الحال مغفمه المنطق فلما انت لبزرجهر خمس عشرة سنة وحضر في مجلس الملك وقد
 جلست الوزراء على كراسيها والمرازيبة في مجالسها وقف بحبال الملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمه المرهوب نعمة الدال عليه بالرغبة اليه
 المؤيد الملك بسعوده في الفل (٣٦٨) حتى رفع شأنه وعظم سلطانه وانار به البلاد واعاش به العباد وقسم له في التقدير وجوه

الاخر كلاما آخر كذلك ويسر تطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود وبان يوطئ المقصود
 الاول ومعاينه الى ان تناسب المقصود الثاني ويناسب الكلام عن التناظر كما يستطرد من التشبيب الى
 المدح ومن وصف البديع والطول الى وصف الركب والخيول والطيف ومن وصف الممدوح الى وصف
 قومه وعساكره ومن التفتيح والعداء في الرثاء الى التأثروا مثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في
 الوزن الواحد حذر ان يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقه دينخي ذلك من اجل
 المقاربة على كثير من الناس وهذه الموازين شروط واحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن يتفق في
 الطبع استعماله العرب في هذا الفن وانما هي اوزان مخصوصة تسمى اهل تلك الصناعة بالبحر وقد
 حصرها في خمسة عشر بحرا يعني أنهم لم يجدوا للعرب في غير هاهن الموازين الطبيعية نظاما واعلم ان فن
 الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم
 وخطتهم واصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات
 كلها والملكات اللسانيات كلها انما تكنسب بالصناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبهة في تلك
 الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد ان يكتب ملكته بالصناعة من المتأخرين
 لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام في مقصوده ويصلح ان ينفرد دون ماسواه فيحتاج من اجل ذلك الى
 نوع تلاف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر
 العرب ويرزقه مستقلة بنفسه ثم يأتي بيت آخر كذلك ثم يبيت ويسر تكمل الفنون الوافية بمقصوده
 ثم يناسب بين البيوت في موالات بعضها مع بعض بحسب اختلافي الفنون التي في القصيدة واضعوبة
 منحاه وغرابة فنه كان محكالا للقرائح في استجداء أساليبهم وشخذ الافكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكفي
 فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلاف وتحويلة في رعاية الاساليب التي
 اختصتها العرب بها واستعمالها ولذا ذكر هنا سلوك الاسلوب عند اهل هذه الصناعة وما يريدون بها في
 اطلاقهم فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي يشجع فيه الاثر كيب والقالب الذي يفرغ فيه ولا
 يرجع الى الكلام باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من
 خواص التراكيب الذي هو وظيفة الالاف والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعماله العرب فيه الذي
 هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة
 ذهنية للتراكيب المنتظمة كنية باعتبار انطباقها على تراكيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من
 اعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب او المنوال ثم ينتقى التراكيب الصحيحة عند

التدبير فرعى رعيته بفضل
 نعمته وجماها المؤيدات
 واوردها المعشبات وذادها
 عن الاكسين والقهها
 بالرفق واللين انعاما من الله
 تعالى عليه وتبديت المافي
 يديه واسأله ان يبارك له
 فيما آتاه ويخير له فيما
 استرعاه ويرفع قدره في
 السماء وينتدز كره تحت
 الماء حتى لا يبقى له بينهما
 مناوى ولا يجده فيهما
 مداني واستوهد له حياة
 لا تنغيص فيها وقدره
 لا شاذ عنها وملكها بؤس
 فيه وعافية تدبلم البقاء
 وتكثر له النما وعزايثومنه
 من انقلاب رعيه او هجوم
 بليه فانه مولى الخيودافع
 الشرفاخر الملك فحشي في
 بئين الجواهر ورفيعه ولم
 يدفع حداثة سنة مع نبيل
 كلامه ان استوزر وقادته
 خيره وشبهه فكان اول
 داخل واخر خارج (وقال)
 عمر بن عبدالعزيز بالله

على العاقل نعمة بعد الاسلام افضل من مباينة هذه السفلة بالفهم والعقل ولولم يكن هذا
 ما عرف الله تعالى الابالجهل الا ترى ان الله تعالى خاطب اولي النهى وذوى الالباب وذوى البصائر ويوجب على العلية ان يحمدوا الله
 تعالى على مباينتهم هذه السفلة بالعقول والافهام كما يحمدونه على جميع النعم (وقيل) لمروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي
 أصارك الى هذ قال الاستبداد برأي ما كثر على كتب نصر بن سيار ان أمه بالاموال والرجال قلت في نفسي هذ ارجل يريد
 الاستكثار من الاموال والجنديا يظهر لي من فساد الدولة قبله وهيئات ان ينتفض على خراسان فانتفضت دولته من خراسان وقال
 الواقدى قال الفضل بن سهل لما دعي للمأمون في كور خراسان بالخلافة جاء تناهدا بالملوك سرورا وكانه من الخلافة ووجه ملك

العرب

كالبسة تان شيخا يقال له ذوبان وكتب يذكرانه قدوجه بهدية ليس في الارض اسنى منها ولا ارفع ولا أنبل ولا أفخر منها فاعجب المأمون وقال سل الشيخ مامعه فسأله فقال مامعي شئ أكثر من علمي قلت وأى شئ علمك قال رأى ينعم وتديبر يقطع ودلالة تجمع قال فسأل المأمون بذلك فأمر بانزله واكرامه وكتما امره فلما اجتمع على التوجه الى العراق لقتال اخيه قال لذوبان ماترى في التوجه الى العراق قال رأى وثيق وخزم مصيب ومالك قرىب فالسير ماض فاقض ما انت قاض قال له فن توجه قال الفتى الا عود الطاهر الا طهر يسير ولا يعثر قوى مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكلم توجه من الجند قال اربعة آلاف صوارم الاسياف لا ينهتقصون العدد ولا يحتاجون الى المدد فسار المأمون بذلك ووجه بطاهر بن الحسين قال وفي اى وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع (٣٦٩) لك الامر ويصير الى النصر نصر

سريع وقتل ذريع
وتفريق تلك المجموع
والنصر له لاعليه ثم يرجع
الامر اليك واليه فظفر طاهر
وكان له النصر وقتل على بن
عيسى وزير الامين واستولى
على عسكره وحاز امواله فامر
المالك لذوبان بمائة الف
درهم فلم يقبلها وقال ايها
المالك ان ملكتى لم يوجهنى
اليك لا تقصك مال فلا
تقبل ردى لنعمتك تسخطا
وسا قبل ما بيني هذا المال
ويزيد عليه قال المأمون
وما هو قال كتاب يوجد
بالعراق فيه مكارم
الاخلاق وعالم الاق
من كتب عظيم القرس
فيه شفاء النفس من صنوف
الآداب ليس في كتاب
عند عاقل لميب ولا فطن
اريب يوجد تحت ايوان
بالمداين فيقاس بالذرعان
في وسط الايوان لازيادة
ولا نقصان فاحفر الممد
واقطع الحجر فاذا وصلت الى

العرب باعتبار الاعراب والبيان في رصا كما يفعله البناء في القالب او النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ما ملكت اللسان العربي فيه فان لكل فن من الكلام اساليب تختص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسؤال الطول في الشعر يكون بخطاب الطول كقوله * ياد ارمية بالعلياء فالسند * ويكون باستدعاء الصب للوقوف والسؤال كقوله * فانسأل الدار التي خف أهلها * او باستدعاء الصب على الطل كقوله * فقا نيك من ذكرى حبيب ومنزل * او بالاستفهام عن الجواب كخطاب غير معين كقوله * ألم تسأل فتخبرك الرسوم * ومثل تحية الطول بالامر كخطاب غير معين بتحياتها كقوله * حتى الديار بجانب الغزل * او بالدعاء لها بالاسقيا كقوله * اسقى طلولهم أحش هذيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم او سؤاله السقيا لها من البرق كقوله

يا برق طالع منزل بالابرق * واحد السحاب لها حذاء الانيق
او مثل التفجيع في الجزع باستدعاء البكاء كقوله
كذا فيجل الخطب وليقذع الامر * وليس لعين لم يقض ماؤها عذر
او باستعظام الحادث كقوله * أرايت من جملوا على الاعواد * او بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقده كقوله
منابت العشب لاحام ولا راع * مضى الردى بطويل الرمح والباع
او بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية
يا شجر الخابور مالك مورقا * كانك لم تجزع على ابن طريف
او بتثنية فريقه بالراحة من ثقل وطأته كقوله

التي الرماح ربيعة بن نزار * أودى الردى بقر يعل المغوار
وامثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنظم التراكيب فيه بالجمول وغير الجمول انشائية وخبرية اسمية وفعلية متقنة وغير متقنة مفصلة وموصولة على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه ما تستقيده بالارتياض في اشعار العرب من القالب السكلى المجرد في الذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو كالبناء او النساج والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبنى فيه او المنوال الذي ينسج عليه فان خرج عن القالب في بنائه او على المنوال في نسجه كان فاسدا ولا تقوان ان معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك لانا نقول

(٤٧ - ابن خلدون) الساجدة فافلعهما تجدد الحاجة ولا تلزم لغيرها فيلزمك غب ضررها فاسر المأمون الى ايوان كسرى فخر وافي وسطه فوجدوا صندوقا صغيرا من زجاج عليه قفل منه فحمل الى المأمون فقال لذوبان هذا يغيبك قال نعم ايها الملك قال خذها وانصرف فتكلم بلسانه ونفخ في القفل فانهفتح فخرج منه خرقة ديباج فنشرها فاسقط منها اوراق فعددها مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شئ غيرها فآخذ الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فحسبته فسأله فقال هذا كتاب جاويدان خرد تأليف كيجور وزير ملك ايران شهر فطلعت منه شيئا فدفعت الى ورقات منه وترجمها الى الخضر بن علي ثم اخبرت المأمون فقال اجل الى الورقات فحملتها اليه فقرأها فقال والله هذا الكلام لا مائن فيه من لى السندنا * (فصل في نوادر برزجر حكيم القرس نصيحي النجباء ووعظي الوعاء شفقة

ونصيحة وتأديبا فلم يعطني أحد مثل شي ولا ينحني مثل فكري ولقد استضأت بنور الشمس وضوء القمر فلم استضي بشئ أضوأ من نور قلبي وكنت عند الأحرار العبيد فلم يملكني أحد ولا قهرني غيرة هواي وعاداني الأعداء فلم أر أعدى لي من نفسي إذا جهلت واحدة تترزت لنفسي بنفسي من الخلق كلهم حذر أعليها وشقة فوجدتها أشمر النفس لنفسها ورأيت أنه لا يأتيها الفساد إلا من قبلها وزخني المضايق فلم يزخني مثل الخلق السوء ووقعت من أبعاد البعد وأطول الطول فلم أقع في شئ أضر علي من لسانى ومشيت على الجرو ووطئت على الرمضاء فلم أر ناراً أحر من غضبي إذا تمكنت منى وطالبني الطلاب فلم يدركنى مدرك مثل إنسانى ونظرت ما الداء القاتل ومن أين نالنى فوجدته من معصية ربى سبحانه والتست الراحة (٣٧٠) لنفسى فلم أجد شيئاً أروح له من تركها مالا يعينها ورأيت البحار ورأيت الأهوال

فلم أره ولا مثل الوقوف على سلطان جائر وتوحيث في البرية والجبال فلم أر مثل القرن السوء وعالجت السباع والضباع والذئاب وعاشرتهم وعاشرتنى وغلبتها فغلبنى صاحب الخلق السوء وأكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم أجد شيئاً الذم العافية والأمن وتوسطت الشياطين والجبال والسباع فلم أخرج الأمن الإنسان السوء وأكلت الصبر وشربت المر فلم أر شيئاً أمر من الفقر وشهدت الحروب وتعبية الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الأقران فلم أر قرناً غلب من المرة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم أر رجلاً أثقل من الدين ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر الأقوي ويضع الشريفة فلم أر أذلاً من

قوانين البلاغة إنما هي قواعد علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس وهو قياس على صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الأساليب التى نحن نقررها ليست من القياس فى شئ إنما هي هيئة ترسخ فى النفس من تتبع التراكيب فى شعر العرب بحرانيها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثلها والاحتذاء بها فى كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك فى الكلام باطلاق وأن القوانين العلمية من العربية والبيان لا تفيد تعليمه بوجه وليس كل ما يصح فى قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعماله وإنما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء معروفة يطالع عليها المحفظون لكلامهم تدرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية فإذ انظر فى شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهبية التى تصير كالقوالب كان نظار فى المستعمل من تراكيبهم لا يفهم يقضيها القياس ولهذا قلنا إن المحصل لهذه القوالب فى الذهن إنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون فى المنظوم تكون فى المنثور فإن العرب استعمالوا كلامهم فى كلا النوعين وجاؤا به مفصلاً فى النوعين وفى الشعر بالقطع الموزونة والقوافى المقفدة واستقلال الكلام فى كل قطعة وفى المنثور يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً وقد يقيده بالاسجاع وقد يرسخ لونه وكل واحدة من هذه معروفة فى لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذى يبنى مؤلف الكلام عليه تأليفه ولا يعرفه إلا من حفظ كلامهم حتى يتجرد فى ذهنه من القوالب المعينة للشخصية قالب كلى مطلق يحذو حذوه فى التأليف كما يحذو البناء على القالب والنساج على المنوال فلماذا كان من تأليف الكلام منقرداً عن نظار النحوى والبيانى والعروضى نعم إن مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها فإذا انحصلت هذه الصفات كلها فى الكلام اختص بنوع من النظر لطيف فى هذه القوالب التى يسعونها أساليب ولا يفيد الاحتفاظ كلام العرب نظاماً ونثراً وإذا تقرر معنى الأسلوب ما هو قلنا ذكر بعده هذا الورع للشعر به تفهم حقيقة مقته على صعوبة هذا الغرض قلنا لم نقف عليه لحد من المتقدمين فيما رأينا وقول العروضيين فى حده أنه الكلام الموزون المقفى ليس بهذا الشعر الذى نحر بصدده ولا رسم له وصناعتهم إنما تنظر فى الشعر باعتبار ما فيه من الأعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقة من هذه الحيشة فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصلة بأجزائه متفقة فى الوزن والروى مستقلة كل جزء منها فى غرضه ومقصده عمادته له وبعبارة الجارى على أساليب العرب المخصوصة به فقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والأوصاف فصل عما يخلو من هذه فإنه فى الغالب ليس بشعر وقولنا المفصلة بأجزائه متفقة فى الوزن

ذى فاقة وحاجة ورشة بالنشاب ورجت بالحجارة فلم أر أنفذ من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق وعمرت السجن وشددت فى الوثاق وضربت بهمداً لم يجد فليدمنى مثل ما هدمنى الغم والهمل والحزن واصطنعت الأخوان وانتخبت الأقسام للعدو والشدوة والنائبة فلم أر شيئاً أخير من التكرم عندهم وطلبت الغنى من وجوهه فلم أر أغنى من القنوع وتصدقت بالذخائر فلم أر صدقة أنفع من رذوى ضلالة إلى هدى ورأيت الوحدة والغربة والمذلة فلم أر أذل من مقاساة الجوار السوء وشيدت البنيان لا عز به واذكر فلم أر شر فإرفع من اصطناع المعروف ولبست الكساء الفاخرة فلم ألبس شيئاً مثل الصلاح وطلبت احسن الأشياء عند الناس فلم أجد شيئاً احسن من حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك وحبائهم فلم أسر بشئ أكثر من الخلاص منهم * (فصل) * ومن حكم شباباق السندى

والروى

من كتابه الذي سماه مشكل الجواهر للكبش بن فايز الهندي يا أيها الملك اتق عثرات الزمان وتخس تساط الأيام ولوم علية الدهر واهل ان
للإعمال جزاء فأتق العواقب وللأيام عثرات فكن على حذر ولا تقدر مغيبات فاستعد لها وللزمان منقلب فأحذر دولته أئتم الحركة تخف
سطوته سر يع الغرة فلا تأمن دولته واعلم ان من لم يدان نفسه من سقام الآثام في أيام حياته فما بعده من الشقاء في دار لا دواء له بها
ومن أذل حواسه واستعبد هافيا يقدم من خير لنفسه بان فضله وظهور نبيله ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس
واذا لم يضبط حواسه مع قاتمها وذاتر اصعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في قواصي البلاد
وأطراف الممالك أبعد من الضبط فليبدأ الملك بسطانه على نفسه فليس من عدوا حقيق (٣٧١) ان يبدأ بالقهر من نفسه ثم يشرع

في قهر حواسه الخمس لان
قوة الواحدة منهن دون
صواحبه قد تأتي على
النفس القوية المحذرة
فكيف اذا اجتمعت خمس
أنفس على واحدة واعلم
ان لكل واحدة منهن
شركة ليست للآخرى غيرها
تسلم من شرها وانما يهاب
الحيو ان بالشهوات لا ترى
أن القراش يكره الشمس
فيسكن من حرها ويعجبه
ضوء النار فيه فنومها
فتحرقه والظبي على نثار
قلبه وشدة حرصه ينصت
للسماع المونق الملهي
فيمكن القانص من نفسه
وذباب الورد المتبع لطيب
الارايح يطلب ما يقطر
من اذن القبل لطيب
رائحته فانه في طيب رائحة
المسك فيلهيه طيب الرائحة
عن الاحتراس من تحريك
القبل اذنه فيتوجع في
أصل اذنه فتقع عليه
ضربة الاذن فتقتله

والروى فصل له عن الكلام المنشور الذي ليس بشعر عند الكل وقولنا مسة تقل كل جزء منها في غرضه
ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا يكون أبياته الا كذلك ولم يقصص به شيء وقولنا
الجاري على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجز منه على اساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا
يكون شعر النما هو كلام منظوم لان الشعر له اساليب تخصه لا تكون المنشور وكذا اساليب المنشور لا
تكون للشعر فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعرا وبهذا الاعتبار كان
الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في
شيء لانهم لم يجزوا على اساليب العرب من الامم عندهم من يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى انه
لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجاري على الاساليب المخصوصة وقد فرغنا من الكلام
على حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا
أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة يشجع على منوالها ويتخير
الحفوظ من الحر النقي الكثير الاساليب وهذا الحفظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول
الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذو الرمة وجرير وابي نواس وجيب والبحتري والرضي وابي
فراس وأكثر شعر كتاب الاغانى لانه جمع شعر أهل الطبقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن
كان خالبا من الحفظ فنظمه فاصر ردى ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة الحفظ فخن قل حفظه او
عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر أولى من لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من
الحفظ وشحذ القرينة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالا كذا رمنه تستحكم ملكته وترسخ وربما
يقال ان من شرطه نسيان ذلك الحفظ لتحمي رسومه المحرفية الظاهرة اذهى صادرة عن استعمالها بعينها
فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتفى السلب فيها كانه منوال يأخذ بالنسج عليه بامثالها من كلمات
أخرى ضرورة ثم لا بد له من الحلاوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذا المسموع لاستئثار
القرينة باستجماعها وتنشيطها لاذن سرور ثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جسام ونشاط فذلك
أجمع له وأنشط للقرينة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه قالوا وخرير الاوقات لذلك اوقات البكر
عند المبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجاهل وربما قالوا ان من بواعثه العشق
والانتماء ذلك ان ريشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب الذي انفرج هذه الصناعة واعطاء حقه ولم
يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت آخر ولا يكره
نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من اول صوغه ونسجه بعضا ويبني الكلام عليها الى آخره لانه

والسك في البحر تحمله لذة الطم ان يتلعه فتحصل الصنارة في جوفه فيكون فيه حنقه (وذكر الحكيم) ان خص الامعروفة قتلت بالافراط
فيها ملو كاعمر وفيها فاصيد مات فيه قيده المالب والافراط في العهومات منه سبب المالب والافراط في السكرات فيه حاذق المالب وشدة
الحرص مات منه مهريق الملك والغضب أخرسخي الملك والطمع وائل والفرح واطبات والانفة بوليس والتواني زمير بهروا خلق
بخصال اهل كمت ملو كان يجتنبها الملوك واعلم ان الرعية تستطى الى المالب العادل استطاء اهل الجلب الى الغث ويطعشون
بطبعته عليهم كانهما النبات بما يناله من القطر بل الرعية بالمالب العادل أتم نفعها منها بالغيث لان المنفعة الغيث وقتامع لوما وعدل
المالب على الدوام لا يتعين له وقت ويحسن بالمالك ان يشبه تصاريه تدبيره بطباع ثمانية أشياء وهي الغيث والشمس والقمر والريح

والنار والارض والماء والموت فاما شبه الغيث فتواتره في أربعة اشهر من السنة ومنفعة لجميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطى جنده وأعدائه في الاربعه أشهر تقديرا لثمة السنة فيجعل رغبهم ووضعهم في الحق الذي يستحقون به من غلاتهم وخراجهم كما تسخن الشمس مشرقه وغائطه مستقره ويعمر كرامه بقدر حبه ثم يستجيب للملك في الثانية الاشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما تسخن الشمس بجرها وشدة فعلها انداوة الغيث والمطر في الاربعه الاشهر واما شبه الريح فان الريح لطيفة المداخل تسرح في جميع المنافذ حتى لا يفوتها مكان كذلك الملك ينبغي ان يتوكل على قلوب الناس بحواسه وعيونهم لا يخنفون عنه شيء حتى يعرف ما يأتمرون به في بيوتهم وأسواقهم وكالقمرا اذا استهل أيامه فأضاء (٣٧٢) واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغي ان يكون الملك بهيئته وزينته واشراقه

ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محالها فربما تجب عنافرة قلقه واذا سمع الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الا ليق به فان كل بيت مستقر بنفسه ولم يتبق الا المناسبة فليغير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتفحيم والنقد ولا يرض به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو نبات فكره واخترع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكييب والمخالص من الضرورات اللسانية فليجربها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حظرت أئمة اللسان عن المولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالدول عنها الى الطريفة المثل من الملائكة ويحتمل ايضا المعتمد من التراكييب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق الفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت الفاظه طبعا على معانيه او وفيه فان كانت المعاني كثيرة كان حشا واستعمل الذهن بالغوص عليها فخرج الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا يخرجهم الله يعيرون شعر أبي بكر بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيرون شعر المتنبي والمعري بعدم النسيج على الاساليب العربية كما مرف كان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحكا كمثل ذلك هو الذوق وليجنب الشاعر ايضا الحوشى من الالفاظ والمقصر وكذلك السوقى المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة ايضا فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار طارة والسماء فوقنا ومقدار ما يقرب من طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذ هما طرفان ولهذا كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الاجادة في الغالب ولا يحدق فيه الا الفحول وفي القليل على العشر لان معانيها متداولة بين الجمه وورق صغير مبتذل لذلك واذا تعدد الشعر بعد هذا كله فليعرضه ويعاوده فان القرينة مثل الضرع يدور بالامتراء ويحجب بالترك والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمد لابن رشيق وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب المجهود من اراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البقية من ذلك وهذه نبذة كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن أحسن ما قيل في ذلك وأظنه لابن رشيق

لعن الله صنعة الشعر ماذا * من صنوف الجهال منه لقينا * يثرون الغريب منه على ما
كان سهلا للسامعين مبينا * ويرون المحال معني صحبا * وخسيس الكلام شيا أمينا
يجهلون الصواب منه ولا يد * روى للجهل انهم يحجلونا * فهم عنده من سوانا يلامو

في مجلسه وائنا سه رعيته
ببشره فلا يخص شريفا
دون وضيع بعده
وكالارض في كتمان السر
والاحتمال والصبر والامانة
وكانار على أهل الذعارة
والفساد وكعاقبة الموت
في الثواب والعقاب يكون
ثوابه لا يقصر عن اقامة
حدولا يتجاوز وكالماء في
لبنه لمن لا يئنه وهدمه
واقلعه عظيم الشجر لمن
حاربه واعلم انه قد يكتنف
السلطان من شرار الناس
والاعوان على الحاجة اليهم
من يستمشع ويستكره
كالحيات تكتنف بالصندل
فيمتثلها الصندل بطيب
رائحته وبرده ويمسه
ويستمتع الصندل بها اذ
لا يقرب منه من يريد ان
يقطعه * ليكون فيك مع
تلفك تشديد البلاء فلا
يتجرأ عليك فان القهر
يستأثر بضوئه ويظهره
لكن الشمس يستظل من

حرها ويسكن لها وقد قالت العرب في مثل هذا لا تكن حلوا فتستترط ولا مرافق لفظ اجعل لكل
طبقة من أعدائك أشباههم من أعوانك يسوسونهم فانهم كالماء في الاذن لاحيلة في اخراجه الابار فيق من الماء الذي هو من جنسه
اذا عادت رجلا فلا تعاد جنسه واستبق من دونه أحد افعى تنفع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الواقى ولا تطمع في
الكذب والمطبوع على الشمر ان تعطفهما بالا حسان فانهما كالقرن كلسا من باطعام الحلاوة والدم ازداد وجهه قبحا * قد يرد الواحد
كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يرد الظل حرشع الشمس اذا كان واقفا غاية ارمى الناس ان يقتل بسهمه واحدا لكن رمية عاقل ذهن
تقتل الجيش بأسره والملك الشريف العاقل لا يتقدمه قدح أهل ابغى من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهر المضيء بنوره لا تطفئه

عصف الرياح من كان قابلا لما يورد عليه في اصغائه الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل به كل ربح لينته ثم لا يلبث ان عصف
الرياح ان يطفأ * تدبير الملك الحازم في سلطانه كتهامد صاحب البستان ببسته تانه يخرج ناحل عمدانه وشوك شجره فيحيط به على ثمره
وذره لبقه من الثمر والفساد كما ينتخب الملك اهل الشكمة والشوكه فيجعلهم في اقصاه وحدوده رد الالمه * وليكن الملك احذر ما يكون
امن ما يكون (قلت) وقد صدق الشاعر اأمنتم ريب المنون ففتم * رب خوف مكن في امان قال الاتري ان بهر شان الملك انا مت
المرأة على فراشه ر جلا فلما رام فراشه وثب عليه فقتله وباسراج الملك قتلته بخنخال مسموم ودرؤف الملك قتلته امرأته بمدية خبأتها في
عقاصها واعلم ان العدو قد علم منك مواضع الحذر وحالات الامن وانما ترصده لك (٣٧٣) في حالات الامن والمواضع التي تظن
العدو لا يمكن فيها فكن
احذر ما يكون فيها وسائر
حكم هذا الباب قد قدمتها
في تراجم كتابنا

(فصل) * قال غيره
لا ينبغي للملك ان يكون له
ايام مع لومة يظفر فيها
فان في ذلك خصا لا مذمومة
منها انه قد يعوق عن ذلك
اليوم مملكتهم او بعض
كسل أولذة معتمنة فيلزمه
الخروج على كره ومنها انه
اذا تخلف عن الظهور في
ذلك اليوم لامر ما تطاوت
الاعناق من الرعية وكثر
كلامها وقالوا مرض اومات
او اصابته آفة فيكسب
العدو جرة وسرورا ويكسب
الولي خزا وجسا ومنها انه
قد يواءم عدوه ليوم
يلتقيان فيه فلا يتم له ذلك
ولا ينبغي ان يكون الملك
كثير النصرف عند فساد
الزمان وخبت الرعية
وعن هذا قالت الحكماء
اذا كان الجمل كثير الفقز

ن وفي الحق عندنا يعذر ونا * انما الشعر ما يناسب في النظم * هو ان كان في الصفت فنونا
فاني بعضه يشا كل بعضا * واقامت له الص - دورا المتونا * كل معني أذاك منه على ما
تقني ولم يكن او يكونا * فتناهي من البيان الى أن * كاد حسنا يبين للناظرينا
في كان الالفاظ منه وجوه * والمعاني في ركن فيها عيونا * ان ما في المرام حسب الاماني
يتحلى بحسنه المندونا * فاذا ما مدحت بالشعر حرا * رمت فيه مذهب المشتبهينا
فجعلت الذئب سهلا قريبا * وجعلت المديح صدقا مبينا * وتعلبت ما يهجن في السه
مع وان كان لفظه موزونا * واذا ما عرضته بهجاء * عبت فيه مذهب المرقبينا
فجعلت النصر يح منه دواء * وجعلت التعريض داء فدينا * واذا ما بكت فيه على العا
دين يوما للبين والظاعنينا * حلت دون الاسى وذلت ماكا * ن من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتبا جئت بالوع * دوعيه اداو بالصعوبة لينا * فتركت الذي عبت عليه
حذرا آمنا عز زمامينا * واصح القريرض ما قارب النظم * هو ان كان واضحاً مستبيناً
فاذا قيل اطمع الناس طرا * واذا ريم أعجز المعجزينا

ومن ذلك ايضا قول بعضهم

الشعر ما قومت ربع صدوره * وشددت بالتهذيب أس متونه
ورأيت بالاطناب شعب صدوعه * وفطحت بالايجاز عو رعيونه
وجعت بين قريبه وبعيده * وجعت بين محبة ومعينه
واذا ما دحت به جوادا ما جدا * وقضيت به بالشكر حرق ديونه
أصفيت به بنفثش ورضيته * وخصصته بخطيره وحنينه
فدكون جزلا في مساق صنوفه * ويكون سهلا في اتفاق فنونه
واذا بكت به الديار وأهلهما * أجريت للمحزون ماء شؤونه
واذا أردت كناية عن ريمته * باينت بين ظه - وره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه * بثبوت - ونه ونبهه

٤٨ * (فصل في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني) *

(اعلم) ان صناعة الكلام نظاما ونثرا انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تتبع لها وهي اصل
فالصانع الذي يحاول مائة الكلام في النظم والنثر انما يحاول في الالفاظ بحفظ أمثاله من كلام

كان نصيب الذئب * (فصل) * من نوادر كلام العرب من حكما كنهم من صيفي وهذا رجل كان له عقل وعلم ومعرفة وتجربة وقد علق
الناس عنه حكما لطيفة والفوا فيها تصانيف فن حكمه قال من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء أفضل من السؤال ركوب الاهوال
من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه العديم من احتاج الى لثيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عسرة تقال ولا كل فرصة تنال لا وفاهم ليس له حياء
قد يشهر السلاح في بعض المزاج من وفي بالعهذ فاز بالحق - الموت يدنو والمرء يلهو وطول الغضب يورث الوصب رب عتق شر من رق من
اصطنع قوما احتاج اليهم يوما ما الكذب جهت والحلاف مقت من لم يكف اذا له في ماساهل الحر يتقاضى لل - من نفسه واللثيم يستحسن
تسوية وجهه ليس بانسان من ليس له اخوان أنت خر رب نفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالجمالة لمن لا تدوم له مواضع له في

الاسفار يمدوا الاختبار أقصد كل تحسب من ليس له أدب أفضل الأفعال صيانة العرض بالمال ليس من حادث الجهول يبدى معقول ليس للمخلف مثل الرد من جالس الجهال فليستعد لقل وقال ما جلا عنك النسيان مثل البيان ولا نفي عنك البهتان مثل البرهان لم ينج من الموت غنى لماله ولا فقير لا قلاله اذا أردت طرد الحرفه الهوان كثرة العلال آية البخل كفر النعمة ألوم وصحبة الاحق شؤم ان من الكرم ليس الشيم اياك والخديعة فانها خلق انيم أحض أخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة رب سبب قد هاجه العتاب الصدود أفة المقت سبب الحرمان التواني من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤب ان من الفساد اضاعه الزاد من حلم سادوم تفهم ازدا لا ترغب (٣٧٤) فيمن يزهد فيك رب بعيد أقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق

قبل الطريق وعن الجار
قبل الدار عنك خير من
سمين غيرك من أجد المسير
أدرك المقييل استرعوة
أخيك لما يبع لم فيك
لا تكثر من المزاح فتذهب
هيبك ولا من الضحك
فيستخف بك من أكثر
من شئ عرف به كفى بالحلم
ناصر المنة تهدم الصنيعة
نعم الشئ الهدية بين يدي
الحاجة ربما نصح غير
الناصح وربما غش المنص
الكلام فيما يتقنع
خير من السكوت والسكوت
عما يضرك خير من
الكلام لا يغرنك من
جاهل قرابة ولا جوار ولا
الف فان أقرب ما تكون
من النار قربا أقرب
ما تكون منها لها بارفص
أهل الدانة تلمزك المهابة
دع مجالسة أهل الريب
على كل حال فانك ان يسلم
دينك لم تسلم من سوء المقل
الكرم شكر البلاء والألوم

العرب لي أكثر استعماله وجره على لسانه حتى تستقر له الملة في لسان مضر ويتخلص من العجة التي ربي عليهم في جيله ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جبل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك اننا قدمنا أن لسان ملة من الملة كانت في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ وأما المعاني فهي في الضمائر وأيضا فالمعاني موجودة عندك واحد وفي طوع كل فمكر منها ما يشاء ويرضى فلا تحتاج الى صناعة وتأليف الكلام للعبارة عنها والمحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحده في نفسها وانما الجاهل بتأليف الكلام واسا ليعه على مقتضى ملة لسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه والله يعلم كم مالم تكونوا تعلمون

٤٩ * (فصل في ان حصول هذه الملة بلبثة المحفوظ وجودتها بجودة المحفوظ) *

قد قدمنا انه لا بد من كثرة المحفوظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملة الحاصلة عنه للمحافظ فن كان محفوظه شعر حبيب أو العتاني أو ابن المعتز أو ابن هانئ أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هرون أو ابن الزيات أو البديع أو الصائبي تكون ملة كتبه أجود وعلى مقاما ورتبة في البلاغة من يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن النجبة أو ترسل البيهقي أو العماد الاصبهاني لنزول طبقة هؤلاء عن أولئك يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المجموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم اجادة الملة من بعدهما فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملة الخاصة له لان الطبع انما يسهج على منوالها وتنمو قوى الملة بتغذيتها وذلك ان النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الادراك واختلافها انما هو باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملاكات والالوان التي تعكفها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعول صورتها والملاكات التي تحصل لها انما تحصل على التدريج كما قدمناه فالملة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسيل والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخرج الفروع على الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات

كفر النعمة اكرم الصنائع سلامة الصدور ان تسلم من الناس حتى يسلموا منك من عدم الايمان والاذا كار لم تزده الرواية فقها الخزن مفسدة للعقل ومقطعة للحيلة كثرة النوم امانة للقلب شدة المخذرتدل على ضعف اليقين محادثة الخبي والسفهاء تورث سوء الخلق الدليل على الحق اعجاب المرء بعقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤنته من حدث من لا يفقه كن قدما مائدة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحدته فليس بصاحب أدب من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه من وصل من يحسده قوى عدوه وقصر بنفسه اغفر زلة صديقك من غضب من غير شئ رضى من لاشئ من غضب على من لا يقدر عليه طال خزنه الرجل عبده واهل لاجل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف ربه كف ظلمه كسمل الفقير هلا كه شيخ

الغنى فضيخته من لم يتورع في كلامه أظهر فجوره كل شيء لا يوافق الاحق فاعلم انه صواب اذا غلبت امرأتك فجاهد ما فاتها عدوك من
لم يعرف الخير من الشر فالحقه بالباطم من طلب ما عند البخيل مات جوعا جارا الرجل الجواد كجاورا البحر لا يخاف العطش وجارا البخيل في
المفاضة الكاذب اذا لم تنفع بمصادقة الاحياء فأت أهل القبور من عادي من فوقه ابغضه من تحته الرزق مقسوم والخير يصحح محروم من كثر
كلامه على المسائدة غش بطنه وأبغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجمل شين ومضرة الجاهل يستطعم الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من
لم يرتح للنساء فليس له نصيب في المروعة اذا كان الكجاء وصديق لا يتنفع به فصوره مثله في الحائط فانه أزين للحائط واخف للأؤنة العاقل
يرغب في الادب والمجاهل يهرب منه العاقل اذا فاته الادب لزم الصمت لا تستنطق (٣٧٥) من تكذب العاقل يتهم رأيه في نفسه

والمجاهل يقيم على جهله
من لم يملك عقله لم يملك
نفسه من أظهر محاسنه
ودفن مساويه كمل عقله
من غلب هواه عقله
افتضح من استشاره عدوه
في صديقه أمر بقطيعته
مصادقة الكرام غنمة
ومصادقة اللئام ندامة
لا تدخل على صديقك
التهمة فيرجع لك عن
النصيحة اذا انقطع رجائك
عن صديقك فالحقه
بعدوك من طاب مرضاة
الاخوان بغير شيء فليصادق
أهل القبور العاقل ليس
في مصادقته مخادعة رأس
مال الاحق المديعة
وفائدتها الغضب والحلم
رأس ماله الصمت وفائدتها
الحلم اذا جهل عليك
الاحق فالبس له سلاح
الرفق واللاطف صديق
كل امرئ عقله وعدو كل
امرئ حقه من أنزل نفسه
عاقلا أنزله الناس جاهلا

والاذكار تعطيل الحواس الظاهرة بالخلو والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع
الى حسه الباطن وروحه وينقلب ربانيا وكذا سائرها وللنفس في كل واحد منها لون تنكشف به وعلى
حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها فذلك البلاغة العالية الطبقة
في جنسها التماثل يحصل بحفظ العالي في طبقة من الكلام ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في
البلاغة وما ذلك الا لما سبق الى محفوظهم ويمتلئ به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجية
عن أسلوب البلاغة والنزالة عن الطبقة لان العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاذا
سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور
وانخرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم وهو كذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والنظار
وغيرهم ممن لم يمتلئ من حفظ النقي المحرم من كلام العرب (أخبرني) صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن
رضوان كاتب العلامة بالدولة المربنية قال ذا كرت يوما صاحبنا بالعباس بن شعيب كاتب السلطان
أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهدده فانشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسبها له وهو هذا
لم ادر حين وقعت بالاطلال * ما الفرق بين جديدها والبالى

فقال لي على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن أين لك ذلك قال من قوله ما الفرق اذهي من عبارات
الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب فقلت له لله أبوك انه ابن النحوي وأما الكتاب والشعراء فليسوا
كذلك لتخبرهم في محفوظهم ومخاطبتهم كلام العرب وأسانيبهم في الترسيل وانقائهم له الجيد من الكلام
ذا كرت يوما صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الاجر وكان الصدر المقدم في
الشعر والكتابة فقلت له أجد استصعابا على في نظم الشعر متى رمت مع بصرى به وحفظي للجيد من الكلام
من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قلب لا وانما أتيت والله أعلم من
قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى
والصغرى في القرآن وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول وجمال الخونجي في المنطق
وبعض كتاب التسهيل وكثير من قوانين التعليم في انجالس فامتلأ محفوظي من ذلك وخذش وجه
الملكة التي استعدت لها بالحقول الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاق القريحه عن
بلوغها فنظر الى ساعة معجباً ثم قال لله أنت وهل يقول هذا الامثال ويظهر لك من هذا الفصل وما
تقرؤه سر آخر وهو اعطاء السبب في أن كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة واذا وقعها
من كلام المجاهلية في منشورهم ومنظومهم فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطبة

من قنع بكذب الثناء أظهر للناس رقايعه السكوت عن الاحق جوابه السكوت يزين الاحق والكلام يشينه من استمال عليك بملسه
وتحلى بقضله فلا كثر الله في الناس مثله الجواد محبوب والبخيل مبغض اذا جملت البخيل مؤنة أبدى لك الحرمان والعداوة البخيل يمنع
ما عنده ويخجل على الجواد بجوده من طلب من البخيل حاجة فهو شرم منه من بذل لبخيل صلاته ورفع عنه مؤنته دامت له مودته ضيف
البخيل آمن من النخمة من طلب من لئيم حاجة كمن طلب السمك في المفاضة عدة الكريم نقود عدة اللئيم تسويف الكريم بواسي
اخوانه في دولته واللئيم يقطعهم لا تخضع للئيم فانه لا يعطيك انما الصديق الذي يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك
عند الغيب ويفعلك عند الرجاء اذا صادقت الوزير فلا تخش الامير من لم ينحك في الصداقة فعاده من غشك في العداوة فلا تلمه من كان

الناس عنه دسوا ولم يكن له اصدقاؤه من صادق الاخوان بالمركة كافتوه بالغدر من لم يواس الاخوان في دولته خذل عنه دما منه اياك ان تبغى مودة من يحسدك فانه لا يقبل اخاك من حسدك على علمك لم يستمع حديثك الحاسد فيرحلته ويغيب صوابك اذ ارايت من يحسدك ويسرك ان تسلم منه فم عليه امورك من صبر على مودة الكاذب فهو مثله وكل شيء مودة الكاذب لشيء من بدالك بحمله فكافئه بحملك نعمه اول المروعة طلاقه لوجهه والثانية التودد والثالثة الفصاحة الفاجر لا يبالي ما قال والورع يتعاهد كلامه من شغل مشغولا فقد أظهر ثقله من صبر على شغل سوء فقد نظر الى سخنة عينه من لم يغلب الحزن بالصبر طالع غمه من استطال على الناس بغير سلطان فليصبر على الذل والهوان لا تحقر (٣٧٦) الفقير السري ولا ترغب في الغنى الذي من تشبه بالسرارة وغلبت عليه الدناءة فلا تكرمه

وجريرو القرزدق ونصيب وغيره لان ذى الرمة والاحوص وشارثم كلام السلف من العرب في الدولة الاموية وصدر من الدولة العباسية في خطبهم وترسلهم ومحاوراتهم للملوك ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادركو الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثليهما الكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على اساليبها فوسمهم فنضت طباعهم وارقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم احسن ديباجة واصفى رونقا من اولئك وأرصف مبني وأعدل ثقة فإما السلف فتفادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت من اهل الذوق والتبصر بالبلاغة واقد سألت يوما شيخنا الشريف ابا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسبعة عن جماعة من مشيختهم من تلاميذ الشلوبيين واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه فسأله يوما ما بال العرب الاسلاميين اعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستهم بذكر ذلك بذوقه فسكت طويلا ثم قال لي والله ما ادرى فقلت اعرض عليك شيئا أظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه وذكرت له هذا الذي كتبت فسكت معجبا ثم قال لي يا فقيه هذا كلام من حقق ان يكتب بالذهب وكان من بعدها يؤثر محل ويصيح في مجالس التعليم الى قولي ويشهد لي بالنباهة في العلوم والله خلق الانسان وعلمه البيان

٥٠ (فصل في ترفع اهل المراتب عن احتمال الشعر) *

(اعلم) ان الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم وحكمهم وكان رؤساء العرب منافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لا نشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز حوله حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق أشعارهم بركان البيت المحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من أصحاب المعاني السبع فانه انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومته وعصبية ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحى وما أدعاهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم اسس مقرر ذلك واونس الرشيد من الملة ولم ينزل الوحى في تحريم الشعر وحظوه وشعره النبي صلى الله عليه وسلم وأتاب عليه فرجعوا حينئذ الى دينهم منه وكان

من اغضبه انكرته من اغنيته اعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب بهزيمة من صانع بماله لم يحشهم من طالب حاجته من صاحب الكتاب ملوه ومن عاداهم أنكره من شمع عليك بانفه وطمع بصره ولم يدخل عليك فضله فليمن عليك سلمه السفيه يقطع مودة لم تزل ويكتسب عداوة لم تكن حمل المروعة ثقيل من سالم الناس غنم خذلان الجوار لؤم ورجال البلاء قليل احفظ اخا وانك تذلل اعداءك ما أجل الصبر على ما لا بد لك منه المحرم من طال نصبه وكان لغيره شبه لا قوى أقوى عن قوى على نفسه ولا عاجز اعجز عن عجز عنها الخير في أهله غريب ما أضعف قوة من يغالب من لا يغالب (الباب الرابع والستون) * مشتمل على حكم مشنورة *

اعلم ايها المرء ان الله تعالى يمتحن أنبياءه واصفياءه باعدائه ويضطر أوليائه واحباءه الى أعدائه رفعة وتقربا لانيائه وتحصيل الهفوات أوليائه وذخرا لهم عنده وزاني لديه تعظيم الاقدارهم وتشريف المنازلهم وترفع الدرجاتهم قال الله سبحانه وتعالى تعز به لذيبي محمد صلى الله عليه وسلم اعظيم ما كان يلقاه من سطوات أعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ومن المجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تنهمنا في سيرتنا فمنا نخبه ويحبنا فالبللاء على وجهين احدهما الذنب والاخر رفع درجة وتوفير أجر ولذلك كان أشد الناس بللاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثال فالبللاء بلا أن بللاء لضعيف درجة وتحبص سيئة وبلوغ فضيلة وعلوم منزلة وبللاء عقوبة

لهم

لاتهالك حرمة واقتراف معصية لن تخلوا لما كاره ان تكون لمحدث رجة فلا رغبة عما أنعم الله به منها والسيئة عن اصابة فلا غنى عن زاجر عنها فلا ي ذلك كان حلو لها عظمت به المنة ووجبت لله به النعمة (وكان جعفر بن محمد) (٣٧٧) رضي الله عنه اذا وقع في شئ يكرهه يقول اللهم

اجعله ادبا ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المؤمن في رأس جبل لقبض الله له من يؤذيه يامن ضاق صدره وخرج قلبه وساء خلقه من عدو أو خلقه وحاسد حسده طيب نفسا وقرعينا وأنعم عشا بشهادة الرسول لك بالايمن وعدوك بالنعاق ينج ان عنتها أما لك في الانبياء اسوة أما لك في الصالحين قدوة فلو لم نلقى الله عز وجل من الحسنات الامعاء اقترفناه اختيار الله علينا الله تعالى فقرعنا من الحسنات ثقلنا من السيئات قال الشاعر قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم قال بعض الحكماء الذي رأيت انما يحب فيما ذكره أكثر مما رأيت انما يحب فيما يحب وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما ألهمني ذنب امهات بعده حتى أصب لي ركعتين السجود قبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء واسعد الناس من كان القضاء له مساعدا

لعمري بن أبي زبيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبيعة مرتفعة وكان كثير ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه محببا ثم جاء من بعد ذلك الملك والدولة العزيزة وتقرّب اليهم العرب بأشعارهم فندحونهم بها ويحيزهم الخلقاء باعظم الجوائز على نسبة الجوده في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويحرصون على استمداء أشعارهم يطاعون منها على الآثار والاختبار واللغة وشرف اللسان والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم ينزل هذا الشأن أيام بني أمية وصدر من دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والريوخ فيه والعناية بالتحال والتبصر بحيد الكلام وديته وكثرة محفوظه منه ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا بأشعارهم أمراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالين معروفهم فقط لا سوى ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والبحري والمقتبي وابن هانئ ومن بعدهم الى هلم جرا فصار غرض الشعراء في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه الاولين كما ذكرناه آنفا وأنف منه لذلك أهل المهمل والمراتب من المتأخرين وتغير الحال وأصبح تعاطيه هجنة في الرياسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

٥١ * (فصل في أشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد) *

(اعلم) ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية او عجمية وقد كان في القرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب المنطق او ميريس الشاعر واثني عليه وكان في حمير ايضا شعراء متقدمون ولما فسد لسان مضر ولغتهم التي دونت مقاييسها وقوانين اعرابها وفسدت اللغات من بعد بحسب ما خالطها وما زجها من العجمة فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الاعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك المضر اهل الامصار نشأت فيهم لغة اخرى خالفت لسان مضر في الاعراب واكثر الاوضاع والتصاريف وخالفت ايضا لغة الجبل من العرب لهذا العهد واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات اهل الآفاق فلاهل الشرق وامصار لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره وتختلفهم ايضا لغة اهل الاندلس وامصاره ثم لما كان الشعراء موجودا بالطبع في اهل كل لسان لان الموازين على نسبة واحدة في اعداد متحرركات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يجر الشعراء لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا فحولهم وفرسان ميدانه حس بما اشتهر بين اهل الخليفة قبل كل حيل واهل كل لغة من العرب المستعجمين والمضر اهل الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله ووصف بناءه على مهيج كلامهم فاما العرب اهل هذا الجبل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعراض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعراء وأغراضه من النسيب والمدح والثناء والمجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام ووربما هجموا على المقصود لاول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون فاهل امصار المغرب من العرب يسعون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى الاصمعي رواية العرب في أشعارهم واهل المشرق من العرب يسعون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الخنا بآسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون به ويسعون الغناء به باسم الخواري نسبة الى خواري من اطراف العراق والشام وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يحثون به مصعبا على أربعة أجزاء يخالف

(٤٨ - ابن خلدون) وكان لمساعدته اهلا غاب على الكريم من بدر اليه الشعلة ثلوم عوام الناس عدة نحواصهم بحى القدر يسبق الخدم من سخر من شئ حاق به من غير شئ ابتلى به الخلق نهب المصائب ماذا كره الرجال تلبس لابلابها

أقل ما في طالب الجملة الخروج من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه اعظم جرما عليهم من المعاقب له على اقرابة بغير منفعة بلبية عظيمة
النعمة متمعة كمالك أدبانه فسك (٣٧٨) ما كرهته من غيرك الحجة شؤ بوب الجهل الانفة قوام السفة قل انك لم يعقب ذلا

آخرها الثلاثة في روية ويلترمون القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة شبيها بالمرسع والخمسة
الذي أحده المتأخرون من المولدين ولؤلؤ العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفهم الفحول والمتأخرون
والكثير من المنتخبين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستندون هذه القنون التي لهم اذا سمعها وسمع
نظمهم اذا أنشد ويعتقد أن ذوقه انما نبأ عنها الاستحسان وفقدان الاعراب منها وهذا انما أتى من فقدان
الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه بلاغته ان كان سليما من الافات
في فطرته ونظيره والا فلا عراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام المقصود ولتقتضي
الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع الدال على الفاعل والنصب الدال على المفعول أو بالعكس وانما يدل
على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح
في ملكة واشتهر صحت الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة
بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعراء وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في أواخر
الكلام فان غالب كلماتهم موقوفة الآخر ويقتصر عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن
الكلام لا بحركات الاعراب فن أشعارهم على لسان الشريف بن هاشم يكي الحجازية بنت سرحان ويذكر
ظنهم مع قومها الى المغرب

قال الشريف بن هاشم على * ترى كبدى حراش كنت من زفيرها
يعزل الالام أين مارأت خاطرى * يرداء لام البدي يلقى عصيرها
وماذا شكات الروح مما طار لها * عذاب ودائع تلف الله خيرها
بحسن قطاع عامرى ضميرها * طوى وهند جاني ذكريرها
وعادت كما خوارة في يد غاسل * على مثل شوك الطلح عقدوا يسيرها
تجابدوها اثنين والسنزعينهم * على شول لعه والمعافى جريها
وبانت دموع العين ذارقات لاشانها * شبيهه دوار السواني يديرها
تدارك منها الجمح ذراو رادها * مروان يحى مترا كبا من صبيرها
لصب من القيعان من جانب الصفا * عيون ولحمان البرق في غديرها
ها أيقنى منى سنا بليت غدوة * بغداد ناحت منى حتى فقيرها
ونادى المنادى بالرحيل وشددوا * وعرج غاربها على مستعيرها
وشدها الادهم دياب بن غانم * على يدماضى وليد مقرب ميرها
وقال لهم حسن بن سرحان غربوا * وسوقوا التجوع ان كان تاهو غيرها
ويدلص وسدها بالتساح * وباليمن لا يحسدوا في صغيرها
غدرفى زمان السقمع من عابس الوغى * وما كان يرمى من حمير وميرها
غدرفى وهو زعم صديقي وصاحبى * وناليه مامن درمى ما يديرها
ورجع يقول لهم بلاد بن هاشم * لمخير البالد الماعشة ما يخيرها
حرام على باب بغداد وأرضها * داخل ولا عائله من يعيرها
فصدق درمى من بلاد بن هاشم * على الشمس احوال العظامن هجيرها
وبانت نيران العذارى قوادح * بخر وابجر طان فيبروا أسيرها

الغادر كين لا يؤمن من
ازدحام الكلام مضلة
الصواب عجب لولا القرى
قبل سوء الظن والحقاق
السبة أعجب ما في هذا
الانسان قلبه وله مواد من
الحكمة واضحة دامن
خلافها فان سمح له الرجاء
اذله الطمع وان هاج به
الطمع أهلكه الحرص
وان ملكه اليأس قتله
الاسف وان عرض له
الغضب اشتد به الغيظ
وان استعد بالرضا نسي
التحفظ وان ناله الخوف
شغله الخدروا ناسع له
الامن استلبته الغرة وان
حدثت له نعمة اخذته
العزلة وان امتحن بصميمة
فضحه الجزع وان افاد
مالا أطاعه الغنى وان عضته
قافة أشغله البلاء وان
أجهدته الجوع قعد به
الضعف وان أفرط في
الشمع كظنه البطنة فكل
تقصير به مضر وكل افراط
له مفسد افضل القول
بديهية امرئ وردت في مقام
خوف اشد الناس غما
الذي يرى غيره في الموضع
الذي هو فيه او لا ما اخذ
الله طاقة احد الارفع عنه
طاعته من العجب ان لا
ترضى عن ابغى رضاك

وأعجب من ذلك ان تسخط عليه زئير الاسد يشبه صولته علامة العلم العمل بالاعراض عند المزايدة
لا تعادوا حتى تروا لا تعجزوا حتى تفعلوا لا تنفوا حتى تظلموا ووجه الشعراء برأى الساحة من لزوم الحجة والاستقامة لزمته الغيبة والسلامة

قصص الاوابين مواعظ الاخرين البحث يوضح الحق كما يورى النار القدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط غناء (قال جعفر بن محمد الصادق) عجب من ان يلبى باربوع كيف يغفل عن اربوع (٣٧٩) لمن ابتلى بالضر كيف يذهب عنه

ان يقول مسني الضر وانت
ارحم الراحمين والله تعالى
يقول فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر وعجبت من بلى
بالغم كيف يذهب عنه ان
يقول لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين والله
تعالى يقول فاستجبنا له
ونجيناه من الغم وكذلك
تنجي المؤمنين وعجبت
من خاف شيئا كيف يذهب
عنه ان يقول حسبي الله ونعم
الوكيل والله تعالى يقول
فاتقوا الله فانه نعم الله وفضل
لم يمسسهم سوء وعجبت
من مكر به كيف يذهب
عنه ان يقول واقض
امري الى الله ان الله بصير
بالعباد والله تعالى يقول
فوقاه الله سمات ما مكروا
وعجبت من نعم عليه بنعمة
خاف زوالها كيف يذهب
عنه ان يقول ولولا اذذخات
جنتك قلت ما شاء الله
لا قوة الا بالله كذا سمعته الله
سبحانه فمن صدق في
التجائه اليه ولم يتوكل في
مهمات الاعماله الى
مأتمه او مذمة الذل والوارد
منجاة من متلفه او قدوم
غائب بعد ان جاء بالبأس
منه الركائب واشهر المصادر
ظفر على قنوط الطيبة
مخالفة للاروة فاصبر لحق

ومن قولهم في رثاء امير زناته اني سعد البقري مقارعههم بافر يقية وارض الزاب ورتاؤهم له على جهة التهميم
تقول فتاة الحمى سعدى وهاضها * ولها في ظمونها الباكين عويل
اياسائل عن قبر الزناتي خليفه * خذ النعمت مني لا تكون هبيل
تراه العالي الواردات وفوقه * من الربط عيساوي بناه طويل
وله ميل الفور من سائر النقا * به الواد شرفا والبراع دليل
ايالهف كبدي على الزناتي خليفه * قد كان لاعتقاب الجيا سليل
قتيل فتي الهجاء ياب بن غانم * جراحه كافوا الهزاد تسيل
يا جارات الزناتي خليفه * لا ترحل الا ان ير يد رحيل
وبالامس رحلتك ثلاثين مرة * وعشرا وستا في النهار قليل
ومن قولهم على لسان الشريف بن هاشم يذكرون ما وقع بينه وبين ماضي بن مقرب
تبدي لي ماضي الحميا د وقال لي * اياشكر ما احناشي عليك رضاش
اياشكر عدي مابق وديمتنا * ورائنا عريب عر بالابسين نماش
نحن عدينا فصادفوا ما قضى لنا * كما صادفت طعم الزناد طشاش
باعدينا ياشكر عدي لبرسلامه * لنجد دمن عر بلا ده عاش
ان كانت بنت سيدهم بأرضهم * هي العرب ما ردنا لمن طباش
ومن قولهم في ذكر رحلتهم الى الغرب وغلبهم زناته عليه

واي جميل ضاع على في الشريف بن هاشم * واي جميل ضاع قبلي جميلها
انا كنت انا وياه في زهو بيتنا * عناني كجبه ما عناني دليلها
وعدت كافي شارب من مدامه * من الخزرقه ومة ما قدر من جميلها
او مثل شعطات مضيون كبدها * غريبا وهي مدوخه عن قبيلها
اتاه زمان السوء حتى ادوخت * وهي بين عرب غافلا عن نزيلها
كذلك انا مما لماني من الوحي * شاكي بكبد باديا من عليها
وامرت قومي بالرحيل وبكروا * وقوا وشداد الحوايا جميلها
قعدنا سبعة ايام محبوس نجعتنا * والبدو ما ترفع عمود يقيها
تظل على احداث الثنايا سوارى * يضل المحرق فوق التصاوي نصيلها
ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزواودة احدث بطون رياح واهل الرياسة فيهم يقولها وهو معتقل
بالمهديه في سجن الامير ابي ذكريان ابي حفص اول ملوك افر يقية من الموحدين
يقول وفي نوح الدجاء دذمة * حرام على احقان عيني منامها
ايا من لقي حالف الوجه والاسي * وروحاها مي طال ما في سقامها
ججارية بدوية عريية * عداوية ولها بعي دأرامها
مولعة بالبدول تألف القري * سوا عابل الوعسا بوالخيماها
عمان ومشتهيا بها كل سرية * محونة بها ولها صحيج غرامها
ومر باعها عشب الاراضي من الحيا * لو اني من الحور الحلايا خاسماها

وجب عليك وان خالف هواك بهاء المجلس الشريف بالرجل الفاضل اليه بين راحة وروح العمل النافذ بالرجل المدبر كهاء الباقوت
واللؤلؤ في تيجان الملوك ما انور الهدى ما انظم العمى ما اكرم النقي ما اخدع الهوى ما اسرع البلاء ما اجلد الصبا الجودان بهضم الروح حظ

المجد والاسراف ان يهضم الجسد حفظ الروح والعدل ان يعطى كل واحد منهم ما حظه والشبح ان تكف خطو ظههم ما عندهم ما عدو يخاف الله
فيما تذكره خير من صديق لا يخافه (٣٨٠) فيما تحب من العجب ان تطاب في صحة كل علم ما ينفعنا ونكمل العلم الى الله تعالى

من غير بحث عن صحته
لا يترك الباطل مما ترمى
به ولكن احذر ان يصدع
عليك بالحق فيشهد عليك
عنك ووجهك من بطل
دشاه بطل منحه الراغب
فقير بقدر رغبته الحق
يعطى ويمنع تجاوز عن
ذنوب الناس لتنج عليهم
واجتنب الذنوب لتقل
حجبتهم عليك الفراغ الفاضل
عن الحسام مقسدة الحجة
احدى العلتين الفرق
ينسى الحجة جاني العلية في
كلامك وسو بينهم وبين
السفلة في احكامك موت
في عزخير من حياة في ذل
الا كفء من كل غط
متباغضون ماضاع امرؤ
عرف قدر نفسه الدعة
الهنية تكون بعد انقضاء
العمل لن يفارق الخير
صاحبه حتى يفارقه خير
الناس من تواضع عن
رفعة وعما عن قدرة الحاسد
يظهر وده في كلامه وبغضه
في افعاله فاسم الصديق
ومعنى العدو الرياء يقصد
العلانية والعجب يقصد
عمل السريرة اذا كثرت
القدرة قلت الشهوة من
عرف قدره كفالك نفسه
كفى بالظفر شقيا للآذنب
الى الحليم لسان الجاهل

تسوق بسوق العين مما تداركت * عليها من السحب السواري غمامها
وماذا بكت بالما وماذا تبلطت * عيون عذاري المزن عذابا جمامها
كان عروس البكر لاحت ثيابها * عليها ومن نور الاقاصي خزامها
فلا ودهنا واتساع ومنه * ومرعى سوى ما في مراعى نعامها
ومشروها من مخض ألبان شولها * عليهم ومن لحم الحواري طعامها
تعاتب على الابواب والموقف الذي * يشيب الفتى مما يقاسى زحامها
سقى الله ذا الرادى المشجر بالحيا * وبلا ويحيى ما بلى من رمامها
فكافاتها بالود منى وليتى * ظفرت بأيام مضت في ركامها
لبالى اقواس الصبى سواى * اذاقت لا تخطى من أيدى سهامها
وفرسي عديد تحت سرجى مسافة * زمان الصبى سرجا وبدي لجامها
وكمن رداح أسهرتني ولم أرى * من الخلق أبهى من نظام ابتسامها
وكم غيرها من كاعب مرجنة * مطرقة الاجفان باهى وشامها
وصفقت من وجدى عليها طريحة * بكفى ولم ينسى جدامها ذمامها
ونابح خطب الوجى دتوهج في الحشى * وتوجع لا يطغى من الماضى رامها
أيا من وعدنى الوعدى هذا الى متى * فى العدم فى دار عمى ظلامها
ولكن رأيت الشمس تكسف ساعة * ويغى عليها ثم يبرى غمامها
بنود ورايات من السعدا قبلت * الينا بعون الله يهتد وعلامها
أرى فى القلابل العين أظعان عزوتى * ورعى على كفى وسبرى امامها
بحر عاتق النور من عود شامس * أحب بلاد الله عندى حشامها
الى منزل بالجمعة قرية للذى * مقبى بها مالد عندى مقامها
وتلقى سراة من هلال بن عامر * يزيل الصدا والغل عنى سلامها
بهم تضرب الامثال شرقا ومغربا * اذا قاتلوا قوم اسرىع انهم رامها
عليهم ومن هو فى حياهم تحية * من الدهر ما غنى بقبة حمامها
فدع ذاولا تأسف على سالف مضى * ترى الدنيا ما دامت لا حدوامها

ومن اشعار المتأخرين منهم قول خالد بن خزيمة بن عرش شيخ الكعوب من اولاد دأبى اللبل يعاتب أقاتلهم اولاد مهلهل ويحبيب شاعرهم شبل بن مسكينة بن مهلهل عن أبيات فخر عليهم فيها بقومه

يقول وذا قول المصاب الذى نشأ * قوارع قيعان يعانى صغابها
يريح بها حادى المصاب اذا انتقى * فنونا من انشاد القوافى عرابها
مخبرة مختارة من نشادنا * تحدى بها تام الوشا ملتبابها
مغربلة عن نافذ فى غضونها * محكمة القيعان داني ودابها
وهيض بندكارى لها ياذوى الندى * قوارع من شبل وهذى جوابها
اشبل جنينان حبلى طرائفا * فراح يريح الموجه بين الغنابها
نخرت ولم تقصر ولا أنت عادى * سوى قلت فى جهورها ما عابها

دليل حنقه لاطفر مع بنى ولا صحة مع منهم ولا نناء مع كبر ولا صداقة مع خب من لم يعرف قدره فاكفه
نفسك أبقى ما ردد ما خالف شهادة العتل قطع ظهري وأفسد الدين رجلا ناسك وعالم فاجره ذابده والناس الى جهله ينسكه
لقولك

بمثل الكبير من اسـ متغنى
 بالله افتقر الناس اليه
 المقصـ ير يخلخل عن
 الصواب الاقراط يعظمك
 في الخطا ثلاث خصال
 ما اجتماع الا في كريم حسن
 المحضر واحتمال الزلة
 وقلة المالا وكفى مخبرا عما
 بقي ماضى وكفى عبـا
 لذوى الالباب ماجربوا
 اتهاون بالباطـ لب اول
 اسباب حرمانه الشبه ظلمة
 لن يضيـع امر و صواب
 القول حتى يضيـع صواب
 العمل خير الامور ما امر
 عاجله وحسنت عاقبه
 لا شرف مع سوء ادب ولا بر
 مع شـخ ولا اجتباب محرم مع
 حرص ولا محبة مع زهو
 باجالة الفكر يستخرج
 الراى المصيب وبحسن
 التأنى تدرك المطالب
 وبالنصفة يكثر المـتواصلون
 الفاحشة عارا لا بد وعقوبة
 عند الشهامة تعقب الندامة
 من سخر ابـتى قال الله تعالى
 ان تسخر وامنافانا تسخر
 منه كم كلما تسخرون اذا فقد
 المنفصلون هلاك المتجملون
 رب صيانة غرست من
 لحظة وحرـب جنيت من
 لفظة ما شاهد على غائب
 بادل من طرف على قلب

بضعن قطوع البعيد لا تخشى العدا * فتون بحربات مخوف جنابها
تري العين فيهما قل لشبل عرائف * وكل مهاة محظيها ربابها
تري أهلها غص الصباح أن يقلها * بكل حلوب المجوف ماسد بابها
لها كل يوم في الارامى قتائل * ورا الفاجر المزوح عفو اصبابها
ومن قولهم في الامثال الحسكية

فشايب وشباب من اولاد برجم * جميع البرايا تستكي من ضهادها
ومن قوله يعاتب اخوانه في موالاته شيخ الموحدين ابي محمد بن تافرا كين المستبد بحجابه السلطان بتونس
على سلطانها مكفولة ابي اسحق ابن السلطان ابي يحيى وذلك فيما قرب من عصرنا
يقول بلاجهل قفى الجود خالد * مقالة قوال وقال صواب
مقالة حيران بذهن ولم يكن * هريجا ولا فيما يقول ذهاب
تهجست معناها بها لا الحاجة * ولا هرج يتقادمه معاب
وليت بها كبدى وهى نعم صاحبها * خزينه فـ كروا الحزين يصاب
تقوهت بادى شرهاعن ما رُب * جرت من رجال فى القميل فراب
بني كعب أدنى الاقرب بين لدمنا * بنى عم منـ شايب وشباب
جرى عنه دفتح الوطن من البهضم * مصافاة ود واتساع جناب
وبعضهم ملئاله عن خصمه * كما يعلموا قولى يقينه صاب
وبعضهم ومروء من بعض ملائكا * ضرابا وفي حراظهم كتاب

شر المال لا ينفق منه أفضل المال ما يمين به العرض وبالأفضال تشرف الاقدار الذي يكون سبباً للفساد انفسه اذ لم ينفسده عدوه
او دهره لا تعدن ودبعة مالا المشهورة ريق الجريص كليب يعبر على الانسان اللسان وعلى المودة العينان لا تشرف اعلى من الاسلام ولا كرم

أغلى من التقوى ولا شفيح اعنى من التوبة أولى الناس بأمر من حافظ عليه الخير موضوع لمن أراد موافقته عمل لله الرغبة مفتاح
الطالب ومطية الحسرة المحرص داع (٣٨٢) الى الحرمان التفضل بالحسنة ينفي السيئة المكافأة بالسيئة دخول فيها البغي سائق

الى الحين اصلاح الرعية
أنفع من كثرة الجنود حق
المذموم التائب وحق
المرحوم المعونة من الجهل
والجفاء اظهار الفرح عند
الحزون الحزون يحمد
على الفرح ويشكر للكتب
من ظل السلامة تدب افاعي
الآفات اعظم الناس
قدرا من لم يجعل الدنيا
لنفسه قدرا ما حدث محدث
بدعة الا ترك بها سنة
عزائم الامور خيارها
ومحدثاتها شرورها الملك
يكسب من انفاقه والعامه
تنفق من تكسبها من أفنى
عمره في جمع المال مخافة
العدم فقد أسلم نفسه
للعدم (قال الشاعر)
ومن ينفق الساعات في
جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل
الفقر

من لم يقدر على جمع
القضاء فليترك فضائله
ترك الرذائل اذا لم تكن
ملياً تصلح فلا تكن ذبابا
تفسد اسه تصالح بعض
العدو افضل من اهلاكه
من سعادة المرء ان يطول
عمره ويرى في عدوه ما يسره
خير الكتب ما اذا أعاد
قارئه النظر فيه زاد حسنه
أو وقف على خيره أثقل

وبعضهم جانا جرحا تسحمت * خواطر منها للنزول وهاب
وبعضهم تظار فينا بسوة * نقهنا حتى ما عنا به ساب
رجح ينهني عما سقهننا قبيحه * مرارا وفي بعض المراتب هاب
وبعضهم وشاكي من اوغاد قادر * غلق عنه في احكام السقائف باب
فصمناه عنه واقتضى منه مورد * على كرهه مولى البالي ودياب
ونحن على دافى المدان طلب العنلا * لهم ما حططنا للفجور نقاب
وخرنا حى وطن بترشيش بعدما * نقهنا عليها سبعا ورقاب
ومهم من الاملاك ما كان خارج * على احكام والى آخرها ناب
بردع قروم من قروم قبيلنا * بنى كعب لا واهما الغريم وطاب
جربنا بهم عن كل تأليف العدا * وقنا لهم عن كل قيد مناب
الى ان عادم لا كان فيه مبهمة * ربيها وخيراته عليه نصاب
وركبوا السبايا المثلثات من أهلها * ولبسوا من أنواع الحرير ثياب
وساقوا المطايا بأشر الانسواله * جباهير ما يغلو بها بحلاب
وكسبوا من أصناف السعيا ذخائر * ضخام لحزات الزمان تصاب
وعادوا نظير البرمكيين قبل دا * والا هلالا في زمان دياب
وكانوا لنا درعا لكل مهمة * الى ان بان من نار العدو شهاب
دخلوا الدار في جنح الظلام ولا تقوا * ملامه ولا دارا لكرام عتاب
كسوا الحى جلباب الهميم لستره * وهم لودر والبسو اقبح جباب
لذلك منهم حابس مآدار القنا * ذهل حلى ان كان عقله غاب
يظن ظنه ونا ليس نحن باهلها * غنى يكن له في السماح شعاب
خطاهو ومن واتاه في سوطه * بالاثبات من ظن القبايح عاب
فواعزوتى ان الفتى بو محمد * وهوب لاف بغير حساب
وبرحت الاوغاد منه وبجسبوا * بروحه ما يحيى بروح سحاب
جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع * لقوا كل ما يستأملوه سراب
وهو لوعطى ما كان للراى عارف * ولا كان في قلة عطاء صواب
وان نحن مانس تاملوا عنه راحة * وانه باسهمم التلاف مصاب
وان ما وطرشيش بضياق وسعها * عليه ويمشى بالقزوع لزاب
وانه منها عن قريب مفاصل * خروج عنازها والمها وقباب
وعن فائنات الطرف بيض غوانج * ربوا خلف استار وخلف حجاب
يتيه اذا تاهوا ويصبوا اذا صبوا * بحسن قوانين وصوت رباب
يضلوه من عدم اليقين وربما * يطرح حتى ما كانه شاب
هم حازله زمه وطوع أوامر * ولذمه ما كول وطيب شراب
حرام على ابن تافرا كين ماضى * من الودا لا مبادل بحراب

الاجال من اتسمت مروءة وقلت مقدرة استحي من الله بقدر قر به من عقلك وأطعه بقدر حاجتك اليه وخفه
بقدر قدرته عليك واعصه بقدر نصيرك على النار واعمل للدين بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها الملك ينفق ليكتسب

والعامة تكتسب لتتفق الطاعة به - در الفاقة يفسح زوال النعم اذا زال معها التجمل - اولى الامور بك اوجبه عليك الدنيا العافية - والشباب الصالحة اذا قبل الامر سر به واذا اذبر صرح اذا عدل السلطان ملك قلوب (٣٨٣) الرعية واذا جازم يملك منهم الالوية

والتي صنع الصدقة من سعة

وابداً بمن تعول اذا أضرت

النوافل بالفرائض تركت

النوافل وقدمت الفرائض

قدر الرجل على قدره منته

وصدقته على قدره وعنه

وشجاعته على قدر انفته

وعفته على قدر غيرته

من اطاع الواشي ضيع

الصديق ومن جعل لنفسه

حظاً من حسن الظن روح

قلبه شرم مالك ما لزمك اسم

مكتسبه وحرمت منفعة

انفاقه رب مقبوط بليلة

قامت بوا كيه في آخرها

لا تخرج خير من لا يرجو خيراً

ولا تأمن جانب من لا يأمن

جانبك تارك الطلب

ضجراً أرحى للعودة من

تاركه خوار ثمرات الشهوات

الخاوي المخصوصة تمرض

القلب أعم الاشياء نفعا

فقد الاشرار من استكفي

الكفاة كفي الاعداء خير

مالك ما غناك وخير

منه ما وقاك صولة الكريم

سلمية ذنب أسد خير من

رأس كلب بجبهة العير

يقدي حافر الفرس من

استمد برأيه خفت وطأته

على اعدائه انما لك من

دينك ما أصـ لمحت به

مثواك من أمن الزمان

خانه ومن تعزز عليه اهانه

وان كان له عقل رجب وفطنة * يلجج في اليم الغريق غراب
وأما البـ دالابدها من فياءـل * كبرالى أن تبقى الرجال كباب
ويجـ مى بهاسوق علينا سـلاعه * ويحمار موصوف القناوجهاب
ويسمى غـلام طالب رجب ملكـا * ندوما ولايمسى صحب بناب
أياوا كـلـين الخـ بز تبغوا ادامـه * غلطتوا أدمتوا في السموم لباب

ومن شـعر على بن عمر بن ابراهيم من رؤساء بني عامر لهذا العهد أحد بطون زغبة يعاتب بني عامر المتطاولين الى رياسته

محبـرة كـالدري يدصانع * اذا كان في سـلك الحـر ير نظام
اباحها منها فـه أسباب ماضى * وشاء تبارك والضـعون تسام
غدا منه لـام الحى حين وانشطت * عصاها ولا صـبنا عليه حـكام
ولكن ضميرى يوم بأن بهم الينا * تبرم على شـوك القنا دبرام
والا كابر اص التهامى قـوادح * وبين عواج الكـ انفات ضرام
والا لـكان القلب في يد قابض * أناهـم بمنشار القـ طيح غشام
لما قلت سمـان شقا البين زارنى * اذا كان ينادى بالـ راق وخام
ألا ياربوع كان بالامس عامر * يحيى وحـله والقـطين لمام
وغـيد تدانى لافطافى ملاعب * دجى الليل فيهم ساهـر ونيام
ونعم يشوف الناظرين التحامها * لنا ما يدام من مهرق وكظام
وعرود باسمها يدعو لسـر بها * واطـلاق من شرب المـها ونعام
واليوم ما فيها سوى اليوم حولها * ينـوح على اطـلال لها وخيام
وقفنا بها طوطا ولا نسالها * بعـين سـخـيـفا والدموع سـبحام
ولا صـح لي منها سوى وحش خاطرى * وسـقمى من أسباب ان عرفت او هام
ومن بعد ذاتى لنصو ربوع على * سـلام ومن بعد السلام سـلام
وقـولـواله يا بوالوفا كلـع رايبكم * دخلتم بحـو و رغامات دهـام
زواخر ما تنقاس بالـود انما * لها سـيـلات على الفضاوا كام
ولا قـسـتموافيها قياسا يدلكم * ولبس البـحـور الطاميات تعام
وعانوا على هـل كاتكم في ورودها * من الناس عـدمان العقول اثم
أبا عزوة ركبوا الضـلالة ولـاهـم * قـرار ولا دنيا لهـن دوام
الاعناهاـمـو لو ترى كيف رأيتهم * مـثل سرور فـلاهـمـن تمام
خـلوا القنا وبـقوا في مرقب العلا * مواضع ما بهـالـهـم مقام
وحق النـبي والبيت واركانه الذى * وما زارها في كل دهر وعام
لـبر الـيالى فيه ان طالت الحـيا * يذوقون من خط الكساع مدام
ولا برها تبقى البوا دى عوا كف * بـكل ردني مطرب وحسام
وكل مسافـه كـالهدايا عابر * عليـه امن اولاد الكرام غـلام
وكل كـيـت يكتـهـص عض نابه * يظـل بصارع في العنان لجام

كل يجب أن تكون المرأة أضواء من الناظر فيها فكذلك يجب ان يكون المؤدب أفضـل من يؤدب من ترك العمل بما ينبغي عومل بما لا ينبغي ليس في الشراسوة ولا في الخطا قدوة ان تكون لله ناصحا حتى تحب عـدوك اذا اطاع الله في عداوته وتقلع عما

عاداك عليه وتبعض وليك اذا عصى الله في موالاتك وتزع عما والاك عابه لا تكن على الاساءة اقوى منك على الاحسان الشقي من جمع لغيره وضيق على نفسه (٣٨٤) شر اخلاق الكريم أن يمنع خيره من كانت الآخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت

وتحمل بنا الارض العقيمة مدة * وتولدنا من كل ضيق كظام
بالابطال والقود الهجان وبالقتنا * لها وقت وجنات البدور فظام
أنتجني دني وانا عبق مدقة ودها * وفي سن رمحي للحر وب ع لام
ونحن كاضراس الموافي بنجهم * حتى يقاضوا من ديون غرام
متى كان يوم القسط يام مير ابو علي * ياتي سعا يا صايرين قدام
كذلك بوجه والى اليسر ابتغاه * وخذلي الجباد العالمات تسام
وخلي رجالا لا يرى الضيم جارهم * ولا يحجمو ابدهي العدو زمام
الايقه موهما وعقد بدوسهم * وهم عذر عنه دأنا ودوام
وكم نار طعننا على البدو سابق * ما بين صحاصح وما بين حسام
فتي نار قطار الصوي يومنا على * لنا ارض ترك الطاعة بين زمام
وكم ذليجيبوا اثرها من غنيمة * حليف النبا سماع كل غيام
وان جافأ جفوه الملوك ووسعوا * غدا طبعه يجدي عليه قيام
عليكم سلام الله من لسن قاهم * ما غنت الورقا وناح حمام
ومن شعر عرب بنو احي حوران لامرأة قتل زوجها فبعثت الى اخلافه من قيس تغريهم بطاب تاره تقول
تقول فتاة الحبي أم سلاله * بعين أراع الله من لارثي لها
تبيت بطول الليل ما تالف الكرى * موجهة كان الشقاق في مجالها
على ماجرى في دارها وبوعيا لها * بلحظة عين البين غي حالها
فقد تاوى شهاب الدين يا قيس كلهم * ونمنا عن أخذ النار ما دام قائلها
أناقات اذا ورد الكتاب يسرني * ويبرد من نيران قلبي ذبالها
أياحين تسريح الذوائب والكمي * وببيض العذارى ما جيت واهمالها

(الموشحات والازجال للاندلس)

وأما أهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهدبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث
المتأخرون منهم فنما منه سموه بالموشح ينظمونه أسماءا أسماطا واغصانا اغصانيا يكثر من منها ومن
اعاراضها المختلفة ويسمون المتعد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافي تلك الاغصان وأوزانها امتتاليا
فيما بعد الى آخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها
بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد وتجاروا في ذلك الى الغاية
واستظرفه الناس بجملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع له ابجزيرة الاندلس
مقدم بن معافر القرزبري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني واخذ ذلك عنه ابو عبد الله أحمد بن
عبدربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لهم ماع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهم ما ف كان أول من برع في
هذا الشأن عبادة القرزاشاعر المعتصم بن صمداح صاحب المرية وقد ذكره في الاصل البطلاني وسي انه سمع أبا بكر
ابن زهير يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القرزاشاعر فيما اتفق له من قوله
بدرتم * شمس ضحا * غصن نقا * مسك شم
ما تم * ما أوضحا * ما أوقا * ما أنم
لاجرم * من لحا * قد عشقا * قد حرم

الدنيا رأس ماله كانت
الآخرة خسارته أفضل
العلم وقوف الرجل عند
علمه أفضل المال ما قضيت
به الحق وق البديع فخاخ
محبوة قد دألت عليها
ألفاظا ظاهرة رجاء العامة
أمنية على ضلالة ورجاء
الخاصة يقين على ثقة
القليل من المال كالكثيرة
من غيره عطاء الملوك زينة
وسواهم شرف وفي الامثال
جاور بجرأ أوملا كما اذا
كذب السغير بطل التدبير
أجبت الازمنة زمنا
لا يتميز فيه الصواب لا تعطوا
في الفضول ما خفتم العجز
عن الحقوق الاذان أقاع
تؤدى والقلوب قوابل
تعي من أحب أن يسمى
داهيالم يظهر دهاه لا دليل
أهدى من التوفيق الحلاء
البلاء من عرض نفسه
للتهم فلا يلومن من أساءه
الظن الحفظ في العلم
المدارسه اذ كاء للهم
المقايسة احياء الفطن
استدم النعمة بالشكر
والقدرة بالعفو والطاعة
بالتأليف والنصرياتواصل
لله والرحمة للخلق استقلال
الكثير تعرض للتغير
ثلاثة أشياء تدل على
عقول أربابها الكتاب يدل

على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديه الم يحكم على العقول حاكم وزعموا
كأعبر ولم يحكمها كالتجربة من عاب سقالة فقد رفعه ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه أحق الناس أن يؤمن على الدنيا أهل الآخرة

صح من صحت سريره وسقم من سقمته ظواهره بالكلية يعرف فضل العلم كماله رسول يعرف قدر المدرس ملك أموركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الادب وحصن أعراضكم الحلم اذا أعطيت ما لا ترضى قارض (٣٨٥) بما أعطيت كلما ازداد الخير

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف وجاءه صليبا خلفه منهم ابن ارفع راس شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة قالو قد أحسن في ابتدائه في موشحته التي طارت له حيث يقول العود قد ترنم * بابتدع التحين * وسقت المذائب * رياض البساتين وفي انتهائه حيث يقول

تخطر ولا تسلم * عسالك المأمون * مروع الكائب * يحيى بن ذى النون ثم جاءت الحلبة التي كانت في دولة الممتن فظهرت لهم البدائع وسابق فرسان حلبتهم الاعشى الطليطلى ثم يحيى بن بتي وللطليطلى من الموشحات المذهبة قوله

كيف السبيل الى * صبرى وفي المعالم اشجان والركب في وسط الفلا * بالخرى والنوام قد بان وذ كر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون ان جماعة من الوشاحين احتجوا في مجلس بشيبيبة وكان كل واحد منهم مصطنع موشحة وتأتى فيها فتقدم الاعشى الطليطلى للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله

صاحك عن بجان * سافر عن در * ضاق عنه الزمان * وحواه صدى صرف ابن بتي موشحته وتبعه الباقيون وذكر العلم البليوسي انه سمع ابن زهير يقول ما حدثت قط وشاحا على قول الابن بتي حين وقع له

أما ترى أحمد * في مجده العالى لا يلحق * أطاعه الغرب * فارنا مثله يامشرق وكان في عصرهما على الموشحين المطبوعين أبو بكر اليبض وكان في عصرهما ما أيضا الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكمايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سر قسطة فالتقى على بعض قينانه موشحته

جر الذيل أيماجر * وصل الشكر منك بالشكر فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر * لامير العلاء أبى بكر فلما طرقت ذلك التحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت وحلف بالايمن المغظة لا يمسي ابن باجة الى داره الا على الذهب خفاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بان جعل ذهبا في نعله ومشى عليه * وذ كر أبو الخطاب بن زهر أنه جرى في مجلس أبى بكر بن زهر يرد كر أبى بكر اليبض الوشاح المتقدم الذ كر فغص منه بعض الحاضر بن فقال كيف تغص عن يقول

مالذي شرب راح * على رياض الافاح * لولا هضم الوشاح * اذا أسى في الصباح أوفى الاصيل * أضحى يقول * مالش مول * اطمت خدى وللشمال * هبت فالى * غصن اعتدال * ضمه بردى * ما اباد القلوبا * يمسي لنا مستريما * بالحظه رديوبا * وبالماء الشنبيا برد غليل * صب عليه * لا يستحيل * فيه عن عهدى ولا يزال * فى كل حال * ير جـ والوصال * وهـ وفى الصد واشتهر بعده هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبى الفضل بن شرف قال الحسن بن دويد رأيت حاتم

(٤٩ - ابن خلدون) صنع معك خيرا فاضعه له والا فلا تجزان تكون مثله الاشجار يتبعون مساوى الناس ويعقلون من محاسنهم كما يسمع الذباب المواضع الثغلة من الجسد ويدع صحيحه الظرف فطنة ما رجتها عبادة مع حذر وتوق فاذا خلت النقطة من

التوقي فصاحبها لا يستمتع به أهل المروعة وإذا دخلت القنطرة من العبادة وقارنتها فصاحة فصاحبها غير طيب الظرف الالفاظ التي يرتفع عنها أهل الجمالة من المخاضين (٣٨٦) في باطن الدنيا والمترفين في ظاهرها الحال (وسمعت القاضي) أبا العباس البحراني رحمه الله

بالبصرة يقول أول من
نطق بهذه الكلمة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه
وذلك أنه أتى بسارق فقال
له أسرفت قل لا فقال الرجل
لا فقال عمر أنك لظريف
جهد البلاء الاقلال والعمال
ينبغي للعالم أن يتطامن
للجاهل بقدر ما رفعه الله
عليه العقل أفقر إلى
الحكمة والادب من الجسد
إلى الطعام والشراب أعظم
الناس غما من زالت نعمته
و بعث شهوته وضائق
مقدرة قلة العيال أحد
اليسارين مع العجوة الموجود
خير من انتظار المفقود من
عدم الحياء عند الفضيحة
والصبر عند النصيحة سهوات
عليه المعاصي كلها العالم مثل
السراج من حربه اقتبس
منه من تقدم بحسن
النية نصره التوفيق
أن تكون لله ناصحا حتى
تحب أن يكون عدوك
مطبعا من آذى الناس
بلا سلطان كان مصيره
إلى الهوان ما حدثت
ليس فيك مخاطب لغيرك
فجوابه وثوابه ساقدان
عندك المكي والخديعة
في النار الاحداث تأتي من
على ما منه يؤتى المحذر
المأكول للبدن والموهوب
للمعاد والمحفوظ للعدو ومن

ابن سعيد على هذا الافتتاح
وابن بهرودس الذي له
وابن موهل الذي له
شمس قاربت بدرا * راح ونديم
يا ليلة الوصل والسعود * بالله عودي
ما العبد في حلة وطاق * وشم طيب
وانما العبد في التلاقي * مع الحبيب

وأبو اسحق الرويني قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن بن سهل بن مالك يقول انه دخل على ابن زهير وقد أسن
وعليه زى البادية اذ كان يسكن بحسن استيه فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرحت المحاضرة
فانشد لنفسه موشحة وقع فيها
كحل الدجى يحرق * من مقلعة الفجر * على الصباح
ومع صم النهر * في حلال خضر * من البطاح
فتحرك ابن زهير وقال أنت تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال
ابن سعيد وسابق الحيلة التي أدركت هؤلاء أبو بكر بن زهير وقد شرفت موشحاته وغربت قال وسمعت
أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل لك ما أبدع وأرفع ما وقع لك في التوشيح قال كنت
اقول

مالا موله * من سكره لا يقى * ياله سكرانا
من غير حجر * ماله كئيب المشوق * يندب الاوطانا
هل تستعاد * أيا منى بالخليج * وليا لنبينا
أونس تفتاد * من النسيم الاريح * مسك دارينا
وادي كاد * حسن المكان البهيج * أن يحبينا
ونهر ظله * دوح عليه أنيق * مـ ورق فيندان
والماء يجري * وعائم وغريق * من جنى الريحان
واشتهر بعد ابن حيون الذي له من الزجل المشهور قوله

تفوق بينهم كل حية * بما سبب من يدوعين
علقت ملج علمت رامي * فليس يخل ساع من قتال
ويعمل بذى العيين منامى * ما يعمل فينا بذى النبال

واشتهر معهم ما يومئذ بغرناطة المهر بن الفرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهير قوله
لله ما كان من يوم الحج * بنهر حص على تلك المروج * ثم انعطفتا على فم الخليج
نقض في حانه مسك الختام * عن عسجد زانه ضافي المدام * ورد الاصيل ضمه كف الظلام
قال ابن زهير كنا نحن عند هذا الرداء وكان معه في بلدة مطرف * أخبر ابن سعيد عن والده ان مطرفاه ذا
دخل على ابن الفرس فقام له وأكرمه فقال لا تفعل فقال ابن الفرس كيف لا أقوم لمن يقول
قلوب مصائب * بالمحاط تصيب * فقل كيف يبقى بلا وجد
وبعد هذا ابن جرمون بمروية * ذكر ابن الراسين ان يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحة
لنفسه فقال له ابن جرمون لا يكون الموشح موشح حتى يكون عاريا عن التكاف قال على مثل ماذا قال على
يا هاجرى هل الى الوصال * منك سبيل
أوهل ترى عن هوال سالى * قلب العليل
وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدى يحب بقوله

غضب على من لا يقدر على غمه عذب نفسه واشتد غيظه اطلب ما يعينك واترك ما لا يعينك فان في ترك ما لا يعينك
درك ما يعينك من انك لا تترك ما يعينك كل آت قريب الاستغناء عن الشيء خير من الاستغناء به ومن خير خبر ان

تسمع بالمطر لا تخفى زول ولا غنى فيما لا يبقى شر العيوب ما كان معينا على العيوب شر الذنوب ما كان علة للذنوب أبلغ الرسل الكتب
حاول الأمور بالنفقة وأنازهم لك بالافقر من أراد جلا لاتهدهم الايام فليحجب (٣٨٧) المروعة والصباية فهم ماذرة الشرف

رب أمره ما بعده من سبق
الملك كان له صقوه من
شر وط المروعة للتغابن
للضعيف المروعة ترك
الريفة يكاد استضاء القوي
على الضعيف أن يكون
ظلمة يكاد استضاء الغنى
من الضعيف أن يكون
جور القرآن ظاهرة أنتق
وباطنه عبق أوله حكم
وأخوه لم المحادثة على
الطعام تزيد في الشهوة
وتذهب المحشمة وتزيل
الانقباض لن تنال ماتحب
حتى تصبر على كثير مما
تكبره ولن تنجو مما تكبره
حتى تصبر عن كثير مما تحب
ذهاب البصر خير من كثير
من النظر لا تعد العزم
عزما إذا ساق غمام الرأى
الاول الوهم النظرة بعد
النظرة تعقب لما قبلها
وتزيد لما بعدها ليس
مدح الرجل بما فيه تركية
أنعم الناس من كفى أمر دنياه
ولم يمه دينه الغريب من
فقد أخوانه ونظراؤه وان
كان في وطنه الغريب من
لا صدق له الغريب
الفقير الغريب الا حق
الغريب من لا ناصر له
شأن لا يستحق العاقل
منهم المرض وذو القرابة
الفقير من كانت الدنيا

ان سيل الصباح في الشرق * عاد بحر في اجمع الافق * فتداعت نوادب الورق
أترها خافت من الغرق * فبككت سحب رقة على الورق
واشتهر بأشبهية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيده عن والده سمعت سهل بن مالك يقول
يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك
واحسر الزمان مضى * عشية بان الهوى وانقضى * وأفردت بالرغم لا بالرضى
وبت على جرات الغضى * أعانق بالفكر تلك الطلول * وأثم بالوهم تلك الرسوم
قال وسمعت أبا بكر بن الصابوني يشد الاسناد أبا الحسن الزجاج وشحاته غير مامرة فما سمعته يقول له لله
درك الا في قوله
قسم بالهوى لذى حجر * مالميل مشوق من فجر
نجد الصبح ليس بطرد * مالميل فيما أن غد * صح يا ليل انك الابد
أو قطعت قد وادم النسر * فنجوم السماء لا تسرى
ومن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حل صب ذي ضنى واكتئاب * أمرضه يا ويلته الطبيب
عام له محبة وبه باجتناب * ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفوني النوم لكنتى * لم أبكك الا لفة دالحبال
وذا الوصال اليوم قد غدرنى * منه كما شاء وساء الوصال
فلسيت باللائم من صدى * بصرة المحق ولا بالمثل
واشتهر بين أهل الدعوة ابن خلف الجزايرى صاحب الموشحة المشهورة
يد الا صباح قد قدحت * زناد الانوار * في مجامر الزهر
وابن هزر البجاني وله من موشحة نغرا زمان موافق * حياك منه باباسام
ومن محاسن الموشحات للتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبقة من بعدها فنما قوله
هل درى ظلي الحمى أن قد حى * قلب صب حله عن مكس
فهو في نار وضيق مثل ما * لعبت ريح الصبا بالقدس
وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره وقد مر
ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيث هما * يا زمان الوصل بالاندلس * لم يكن وصالك الاحلاما
في الكرى أو خلسة المختلس * اذ يقول الدهر أسباب المني * تنقل الخطو على ماترسم
زما بين فرادى وثنى * مثل ما يدعولوفود الموسم * والحيا قد جلال الروض سنا
فسنا الازهار فيه تبسم * وروى النعمان عن ماء السماء * كيف يروى مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما * يزدهى منه باهى ملبس * في ليل كتمت سر الهوى
بالدجى لولا شعوس القدر * مال نجم الكاس فيها وهوى * مستقيم السير سعد الاثر
وطر ما فيه من عيب سوى * انه مر كالمع البصر * حين لدا النوم منها أو كما
هجم الصبح نجوم الحرس * غارت الشهب بناور عبا * أثرت فينا عيون الترجس
أى شئ لا مرئ قد خلاصا * فيكون الروض قد كتن فيه * تنهب الازهار فيه القرصا

سبب صلته فانها سبب قطيعته فاحذر ان تجعلها أو سيظا بينك وبين أحد علامة الاشراق أن من خالطهم لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفوا
شهرهم عنه وأما الاخبار فن خالطهم ربح عليهم ومن خالطهم ترك رشده البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسر والعفو عند القدرة

من عتب على الزمان طالت معتبه ستساق الى كل ما أنت لاق اذا صاحب الارتداد الرشاد وجد المراد ما اعتق من الذم من ملكه الجهول ولا ظفر بالعزم من احتمال ما في المعصية (٣٨٨) من الذل ولا خرج من الدناة من صرف جميع عقله الى الدنيا أخو الظلماء مريب

أمنت من مكره ما تنقيه * فاذا الماء تنابحى والخصا * وخلا كل خليل باخيه
تبصر الورد غيورا بدما * يكتسى من غبطة ما يكتسى * وترى الآس لبيا فها
يسرق الدمع بادنى فرس * يا أهيل الحى من وادى الغضى * وبقي مـ يكن أنتم به
ضاق عن وحدي بكم رغب الفضاض * لا أبالى شرقه من غربه * فاعيدوا عهد أنس قدمضى
تقـ ذوا عائدكم من كربه * واتقوا الله واحبوا مغرما * يتـ الاشئ نفسا فى نفس
حبس القلب عليه كم كرما * افترضون خراب الحبس * وبقي فيكم مـ ومقـ ترب
باحديث المنى وهو بعيد * قـ راطلع منه المغرب * شقوة المغررى به وهو سعيد
قد تساوى محسن أو مذبذب * فى هواه بين وعد ووعيد * ساحر الملة معسول الامى
جال فى النفس مجال النفس * سد السـهم وسعى ورمى * بقوادى نهبة المفترس
ان يكن جار وخاب الامـل * وفؤاد الصب بالشوق يذوب * فهو للنفس حبيب أول
ليس فى الحب محبوب ذنوب * أمره معتمـل ممتـل * فى ضلوع قد برها وقلوب
كم اللحظ بها فاحتكما * لم يراقب فى ضعاف الانفس * ينصف المظلوم من ظلما
ويجازى البر منها والمسى * مـ القـ لـى كـ لها هبت صبا * عاده عيـد من الشوق جديد
كان فى اللوح له مـ كتبا * قوله ان عـ ذابى لشـديد * جـ لبـ له والوصـ بما
فهو ولا شجان فى جهـ جهـد * لا عـج فى أضلـى قد أضـرما * فهى نار فى هـ شـم الـيس
لم تدع من مـجـتى الا الذما * كبقاء الصبـع بـد الغـلس * سلمى يا نفس فى حكم القضا
واعمرى الوقت برجـى ومتاب * واتركى ذكرى زمان قد مضى * بين عـنى قد تـضـت وعـتاب
واصر فى القول الى المولى الرضى * ملهم التوفيق فى أم الكتاب * الكـ رـيم المـتـهى والمـتـهى
اسـد السـرح و بدر المجلس * ينزل النصر عليه مـثل ما * ينزل الوحى بروح القدس
وأما المشاركة فالتـ كاف ظاهـر على ما عانوه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سنا
الملك المصرى اشتهرت شرفا وغـر با وأولها

يا حبيبي ارفع حجاب النور * عن العذار
تنظر المسك على الكافور * فى جلتار

كللى يا سـجـب تـيجـان الربى بالـجلى * واجـعـلى سوارها من عطف الجدول
ولما شاع فن التوشيح فى أهل الاندلس واخذ به الجمهور اسلاسته وتتميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت
العامـة من أهل الامصار على منواله ونظمه وافى طريقته بلغتهم المحضرية من غـيران يلتزموا فيه الاعرابا
واستحدثوه فناسموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فخاؤا فيه بالغرائب واتسع فيه
للبلاعة مجال بحسب لغتهم المستحكمة * وأول من ابدع فى هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قرمان وان
كانت قبـلت قبله بالاندلس لـكن لم يظهر حـلاها ولا انسـبـكت معانيها واشتهرت وشاقته الا فى زمانه وكان
لعهد الملمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سـعـيد ورايت أنجاله مروية بـعـد ادأ كثر عماريتها
بحواضر المغرب قال وسـمـعت ابا الحسن بن جـمـدرا الشـبـلى امام الزجالين فى عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة
هذا الشأن مثل ما وقع لابن قرمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منزله مع بعض اصحابه فجلسوا تحت عريش
وامامهم تمثال اسد من رخام يصب الماء من فيه على صفائح من الحجر مدرجة فقال

المسئلة آخر المسئلة ما عد
من أهل الحـجـى من كان
من أهل الهوى ولا كان
من أهل التقى من حاد عن
سبيل الهدى من ذم أدنى
الاحسان لا امتناع أقصاه
لم يحمدشأ منه من دواعى
الملكـة اضاعة المعرفة
واجبـا لمن يبنى داره وجـهـه
يهدم ولان يبرم أمور الدنيا
وأموـره فى نفسه تخـلـ (قال
على رضى الله عنه) من لم
يكن معنا كان علينا
والساكت أخو الراضى
الساكت لا علم لـكن لا علم له
أوهو غـير واثق فيه
بالصواب المرء محبوب تحت
لسانه قـبـمة كل امرئ
ما يحسن العلم بما فى المصيبة
من الثواب ينسى المصيبة
شر من المصيبة سوء الخلق
منها الحكمة ربيع القلوب
المخسومة تكشف العورة
وتورث المعرفة بلا المؤمن
من عاقبته كالنار حريقها
من نورها قد يكون اليأس
ادرا كا اذا كان الطـمع
هـلا كما من لم يرفع نفسه عن
قدرا الجاهل رفع الجاهل
قدره عليه الذلة مع القلة
تجوع الحـرة ولا تأكل
بـديـها موت عاجل خـبر
من ضنى آجل الغضب
عند المناظرة منساة للحجة

الاختصار أثبت لـكم وأفهم لـسامع المكاب فى المحاضرة ينبج الضيف ويدفع الزائر ويرد السائل وعريش
والكـاب فى البادية يعين الصاحب وينذر بالضيف ويدفع السارق لا تغتر بقول الجاهل المـ ان فى يدك لؤلؤة وانت تعلم انها بـرة

مثل الصلابة مع سائر العبادات مثل السفينة مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان أصيبت أصيب الكل الحب والبغض فتنه
طالب المطمع خرم وطالب المأوى يسبحر قد ينظر المنطق من يعني به اذا فسد الزمان (٣٨٩) كسدت الفضائل وضربت

ونفقت الرذائل ونفقت
وصار خوف المومنين أكثر
من خوف المعسر لقاء اهل
الخبر عمارة القلوب لا يصيد
الكثير من لا يصيد لنفسه
الواحدة بالعلم بل يحسن
المنطق وبالقوة يتم العمل
الفكرة مرآة من أعظم الناس
من قل ماله وكثر محبه
الأدب مع العقل كالشجرة
المتمرة والعقل بالأدب
كالرجل العقيم الماء ألين
من القول والقلب أقسى من
الحجر وقد يلم الماء بالحجر اذا
كثر انحاده عليه أشد الأشياء
اخفاء الغافقة أولى الناس
بالرحمة عالم يجري عليه حكم
جاهل لم يرغب من شهد رأيه
ولم يقن من بقي أثره ولم يمت
من خلد علمه وقد سبق
المثل ليس به الله من ترك
مثل مالك كما انه قبيح اذا
ركبنا الخيل أن تجري بنا
حيث أرادت دون أن
نديرها كذلك قبيح أن
يجري البدن والنفس
بالعقل حيث أرادت من
الشهوات اشق الأمور
معرفة المرء بنفسه عائب

الاجتماع عليه محجوج ليس
شيء من البر الا ودونه عقبة
من الصبر ضرب الانسان
عاريا وفيه مظهر

(قبل الحكيم) هل للغضب مادة تحسسه قال نعم ان يعلم الانسان انه ليس يجب أن يكون مطاعا ابدا ولا يجب أن يخدم أبدا ولا يجب أن
يختمل خطوه أبدا ولا يجب أن يصبر عليه أبدا بل قد يطبع ويخدم ويختمل الخطأ ويصبر على النوايب فاذا عقل ذلك لم يغضب وان

وعر يش قد قام على دكان * بحال رواق

واسد قد ابتلع ثعبان * في غائط ساق

وفتح فيه بحال انسان * فيه الفواق

وانطلق يجري على الصفاح * واتى الصباح

وكان ابن قرمان مع أنه قرطبي الدار كثر ما يتردد الى اشبيلية وبيت بنهرها فاتفق أن اجتمع ذات يوم
بجامعة من اعلام هذا الشأن وقد ركبوها في النهر للنزهة ومعهم غلام جميل الصورة من سروات اهل البلد
وبيوتهم وكانوا مجتمعين في زورق للصيد فنظموا في وصف الحال وبدأ منهم عيسى البليدي فقال

يطمع بالخلاص قلبي وقد فاتني * وقد ضاع عشقو بسهم ماتني

تراه قد حصل مسكين جلاتني * فقلني ولذلك أمر عظيم صاباتني

فوحش الجفون الكحل اذا عاتوني * وذيك الجفون الكحل ابلا تني

ثم قال ابو عمرو بن الزاهر الاشبيلي

نشب والهوى من لج فيه ينشب * ترى اش كان دعاء يشقي ويتعذب

مع العشق في قام في مالويلعب * وخلق كثر من ذا اللعب ماتني

ثم قال ابو الحسن المقرئ الداني

نهار ملج تعجني أوصافني * شراب وملاح من حولي طافني

والمعلمين يقولوا بصفصافني * والنوري أخرى بمهلاتني

ثم قال ابو بكر بن مرتين

الحق يريد حديث تعالى عاد * في الوادعجرو والمنزه والصاد

تنذبه حيتان ذلك الذي يصطاد * قلوب الوري هي في شبيكاتني

ثم قال ابو بكر بن قرمان اذا شعرا كما ويرميها * ترى النور يشرق لذلك الجيها

وليس مراد وان يقع فيها * الا ان يقبل يديدا تني

وكان في عصرهم بشرق الاندلس محلف الاسود وله محاسن من الرجل منها قوله

قد كنت مشبوب واخشيت الشيب * وردني ذا العشق لارصعب

حين تنظر الخلد الشريف الهبي * تنتهي في الحجره الى ماتتني

يا طالب الكيمياء عيني هي * تنظر بها الفضة ترجع ذهب

وجاءت بعد ذلك حيلة كان سابقها مدغيس وقعت له العجائب في هذه الطريقة فن قوله في زجله المشهور

ورد اذ دق ينزل * وشماع الشمس يضرب فترى الواحد يقضض * وترى الاخر يذهب

والنبات يشرب ويسكر * والغصون ترقص وتطرب وترى تجي النسا * ثم تسبحي وتهرب

ومن محاسن أزجاله قوله

لاح الضياء والنجوم حيارى * فقم بنا تنزع الكسل * شربت عجزوا من قراعا

أحلى هي عندي من النسل * يامن يلدني كما تقلد * قلدك الله بما تقول

يقول بان الذنوب به ولد * وأنه يفسد العقل * لارض الحجاز يكون لك أرشد

اش ما ساق لك الفضول * مرأنت للحج والزيارة * ودعني في الشرب منهول

تخيب فقل السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه لا تنفع كثرة العلم لمن لا يعمل كما لا ينفع ضوء الشمس لمن لا يبصر رضى
بالذل من كشف ضره بترك التورع (٣٩٠) وأزرى بنفسه من استشعر الطمع البدع فذو خسرته هاز خرفة الكلام وخدع المال

الناس في الدنيا بالاخوان
وفي الآخرة بالأعمال صديق
الرجل عقله وعدوه حقه
من اجتمعت اليه النعمة
أدبتم له الرغبة تحفظ
الاجتناب من كل شيء الا من
نفسه لاجود الابدال ولا
صدقة الا بوفاء ولا فقه الا
بورع العليل الذي يشتهى
أرجي من الصحيح الذي لا
يشتهى قلب الرجل
وحشية فمن تألفها أقبلت
عليه اجعلوا بينكم وبين
الحرام سترة من الحلال لقاء
الرجل اخلاؤه مسلاة لهم
من لم يصلح على تدبير الله لم
يصلح على تدبير نفسه
والاحلام فرح وهم كاذب
والعامل بها كالمعتمد على
الظل الزائل الدنيا دول فسا
كان منها لك أتاك وما كان
عليك لم تقو على دفعه
العافية خير من الواقعة
الكريم لا يستحي من اعطاء
القليل العفاف زينة الفقير
الكرم حسن القناعة واللؤم
سوء التعاقب اختلاف كلام
المزحل على ميل الهوى به
من حق النعمة أن يرى
أثرها من كان شبعه في
الطعام لم يزل جائعا ومن
كان غناه في المال لم يزل فقيرا
ومن كان قصده بحوائجه
الحاق لم يزل محروما ومن

من ليس لوقدره ولا استطاعا * النية أبلغ من العمل
وظهر بعده هؤلاء بأشبهية ابن جحدر الذي فضل على الرجال في فتح مبرقة بالزحل الذي أوله هذا
من عاندا التوحيد بالسيف يحق * أنا برى عن يعاندا الحق
قال ابن سعيد لقيته ولقيت تليذه المعصية صاحب الزحل المشهور الذي أوله
يأبى أن رأيت جمبي * أقبل اذنوب الرسلا ليس اخذ عنق الغزير * وأسرق فم الحيلة
ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد
الله بن الخطيب امام النظم والنثر في الملة الاسلامية من غير مدافع عن محاسنه في هذه الطريقة
افرج الاكواس واملا لي تجدد * ما خلق المال الا أن يبدد
ومن قوله على طريقة الصوفية وينحوي الشترى منهم
بين طلوع ونزول * اختلطت بالغزول * ومضى من لم يكن * وبقى من لم يزول
ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى

البعدينك يا بني اعظم مصابي * وحين حصل لي قربك نسيت قرايبي
وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من أهل وادي آش وكان اماما في هذه
الطريقة وله من زجل يعارض به مدغيس في قوله * لاح الضياء والنجوم حيارى * بقوله
حل المجون يا أهل الشطار * مذ حلت الشمس بالحل * جددوا كل يوم خلاعا
لا تتجسسوا اسمها عيل * اليها يتخلعوا في سميل * على خضرة ذلك التبات
وصل بغداد واجتاز النيل * احسن عندي في ذيك الجهات * وطافتها أصلح من أربعين ميل
ان مرت الريح عليه وجات * لم يلبث في الغمار امارا * ولا عدا داما يكتمل
وكيف ولا فيه موضع رفعا * الا ويسر فيه النخل

وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد في العامة بالاندلس من الشعرو فيها نظمهم حتى انهم لينظمون بها
في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامة ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم
لي دهر بعشق جفونك وسنين * وأنت لاشفقة ولا قلب يلين
حتى ترى قلبي من اجلك كيف رجح * صنعة السكة ما بين الحدادين
الدموع ترشش والنار تلتهب * والمطارق من شمال ومن عين
خلق الله النصاري للغزو * وأنت تغزو في قلوب العاشقين
وكان من المجدين لهذه الطريقة لأول هذه المائة الاديب ابو عبد الله اللؤس وله من قصيدة يمدح فيها
السلطان ابن الاخر

طل الصبح قم يا نديمي شربوا * ونضحكو من بعد ما نطربو * سديكة الفجر أحلت شققا
في ميلق الليل وقوم قلبو * ترى غبارا خالص أبيض نقي * فضة هو لكن الشفق ذهبو
وسكرو سكروا عند البشر * نور الجحوق من نورها تسكبو * فهو النهار يا صاحبي للأعاش
عيش القتي فيه بالله ما أطيبو * والليل نصلا للقبيل والعناق * على سرير الوصل يتقبلو
جاد الزمان من بعدما كان بحيل * واش كعقلته من يريه عقربو * كما جرع مر وفيما قد مضى
يشرب سواه ويا كل طيبو * قال الرقيب يا ادبالاش ذا * في الشرب والعشق ترى تنحبو

وتحبوا
استعان في امره بغير الله لم يزل مخذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخفه من
قونه ما تحسنه وما تعمل به لغيرك نوره وعليك بوره واعجب ان يختار المذلة في طلب ما يقف على العز في طلب ما يبقى من حذر كمن بشر

الشقق جناح الطالب اذا اقبلت الدنيا عليك فانفق منها فانه الاتقي واذا أدبرت عنك فانفق منها فانه الاتقي قال الشاعر
فأنفق اذا اسرت غير مقتر * وانفق على ما خلت حين تسمر فلا الجود يعني المال والمحظ مقبل * (٣٩١) ولا البخل يبق المال والمحظ مدبر

والغيره

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة
فالن يضر بها التبذير
والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود
بها
فالشكر منها اذا ما أدبرت
خلف

الغريب في كل مكان
مظلوم من سلك المحذار من
العشار لم يحرقا كب القصد
عجايب الله يستعمل الفقر الذي
منه هرب ويغوته الكرم
الذي اتاه يطلبه فيعيش في
الدنيا عيش الفقراء
ويحاسب في الآخرة حساب
الاغنياء من يطل ذيله يكثر
ويله (وقال على رضى الله
عنه) ما يظل فعل الله
ينطق به غمك خير من
سمين غيرك ان أحبت أن
لا يقولك ما تشبهى فاشته
ما يمكنك من قصد أسهل
ومن اسرف أو عر القصد
أخو الحما شر السير الحقيقة
بوى لنفسك في المجالس
مجلسا لا يقصر بك ولا تقام
عنه اقطع الشرم من صدر
غيرك يقطعه من صدرك
وازجر المسمى بما نابة المحسن
لسكى يرغب في الاحسان لن
يهلك من مالك ما وعظك
الخلاف يهدم الرأى خير
الناس لغيره خيرهم لنفسه

وتعجبوا عذالى من ذا الخبر * قلت يا قوم مما تعجبوا * يعيش ملج الارقيق الطباع
علاش تكفروا بالله أو تكتبوا * لبس يريح الحس الاشاعر اديب * يقض بصر وويدع ينيو
اما لكاس خرام نعم هو حرام * على الذى ما يدري كيف يشربوا * ويد الذى يحسن حسابه ولم
يقدر يحسن الفاظ ان يجلبوا * واهل العقل والفكر والمجون * يغفر ذنوبهم له ذان اذنبوا
ظلي بهى فيها يطفي الحجر * وقلبي في حجر الغضى يلبس * غزال بهى ينظر قلوب الاسود
وما لهم قبل النظر يذهبوا * ثم يحيههم اذا ابتسم ضحكوا * ويقرحوا من بعد ما ينسبوا
فويم كالخاتم وتغر نقي * خطيب الامه للقبل يخطبوا * جوهر ورجان اى عقد يا فلان
قد صدقه الناطم ولم يقبوا * وشارب اخضر ير يد لاش يريد * من شبهه بالمسك قد عيبوا
يسبل دلال مثل جناح الغراب * لىالى هجرى منه يستغربوا * على بدن ابيض بلون الحليب
ما قد طارعى للغنى يحلبوا * وزوج هندات ما علمت قبلها * ديك الصلاياريت ما اصلوا
تحت العكا كن منها خصر ارقى * من رقى ويخفى اذا تطلبوا * ارق هو من ديني فيما تقول
جد يد عتيك حق ما كذبوا * اى دين بقالى معاك واى عقل * من يتبعك من ذا وذا تسلبوا
تحمى اوداف ثقال كالرقيب * حين ينظر العاشق وحين يرقبوا * ان لم ينفس غدا وراى ينقش
في طرف ديسا والبشر تطلبوا * يصير اليك المكان حين تنجي * وحين تعقب ترجع في عني تبوا
محاسنك مثل خصال الامير * أو الرمل من هو الذى يحسبوا * عماد الامصار وفضيح العرب
من فصاحة لفظه يتقربوا * بحمل العلم ان فردو العمل * ومع بديع الشعر ما كتبوا
في الصدور بالريح ما طعنه * وفي الرقاب بالسيف ما ضربوا * من السماء يحسد في أربع صفات
فن يعد قلابى أو يحسبوا * الشمس نور والشمس همتموا * والغيت جود و النجوم منصوبوا
يركب جواد الجود و يطلق عنان * الاغنياء والجنه حين يركبوا * من خلعتو يلبس كل يوم بطيب
منه نبات المعالي تطيبوا * نعمتو تظهر على كل من يحبه * قاصد ودارد قط ما خيبوا
قد اظهروا الحق وكان في حجاب * لاش بقدر الباطل بعد ما يحسبوا * وقد بنى بالمرر كن التقي
من بعد ما كان الزمان خربوا * تخاف حين تلقاه كتر تحبه * فمع سماعة وجهه وما أسيموا
يلقى الحروب ضاحكا وهى عابسه * غلاب هو لاشي في الدنيا يغلبوا * اذا جدد سيقه ما بين الردود
فليس شئ يغنى من يضربوا * وهو سمي المصطفى والاله * للسلطنة اختاروا واستحبوا
تراه خليفة أمير المؤمنين * يقود جيوش ووزين موكبوا * لذي الامارة تخضع الرؤس
نعم وفي تقيمه يديه يرغبوا * ببيتته بقى بدور الزمان * يطلعوا في الجود ولا يغربوا
وفي المعالي والشرف يبعدوا * وفي التواضع والحما يقربوا * والله يقيمهم مادار الفلك
واشرفت شمس ولح كوكبوا * وما يغنى ذا القصد يد في عروض * يا شمس خدر ما لم مغربوا
ثم اسد تحدث اهل الامصار بالمغرب فذا آخر من الشجر في أعار بض مزدوجة كالموشع نظموا فيه بلغتهم
الحضر به ايضا وسموه عروض البلاد وكان أول من استحدثه فيهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس يعرف
بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشع ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب مطالعها
أبكاني بشاطى النهر نوح الحما * على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف البحر يحوم مداد الطلام * وماء الندى يجرى بثغر الاقحاح

احسان الله مكة وعنده من أصبح مصر على ذنب مستور يصير التخلق خلقا بالاجتهاد والاعتقاد الحجر الغصب في البنيان رهن على الخراب
وبما شرق شارب المساء قبل ربه رأى أنفع من مال وخرم اوقى من رجال من استوعب الحلال تاقت نفسه الى المحرام من ذم الزمان لم

يحمد الاخوان بنقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال من عرف الزمان لم يحتج الى ترجان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد رسولك
ترجان عقلك الطاعة غنيمة الاكياس (٣٩٢) عند تقريظ العاجز كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج الثناء باكثر من الاستحقاق

مافي والتقصير عن
الاستحقاق عني او حسد
اولى الناس بالرجة من
احتاج اليها فخرهم ان لم
يدروا قدر البلية لم يرحم اهلها
كفالك ادب لنفسك ما كرهته
لغيرها محال الساة الا حرق غرر
والقيام عنه ظفر لا تسأل عالم
يكن فان في الذي كان
شغل البخل جامع لمساوي
العيوب وهو زمام يقاد به الى
كل سوء اذا صح القلب وصح
العمل كان التوفيق احراز
العواقب بالاجتهاد
والاجتهاد اربح بضاعة
التوفيق خير قائد لكل
العمل التوفيق من ترفق في
استتمام الحظ من البغية
أدرك وبلغ مقاربة الناس
في اخلاقهم امن من
غوائلهم لا تنظر الى احد
بالموضع الذي رتب فيه
زمانه ولكن انظر اليه بقيمه
في الحقيقة فانها مكانه
الطبيعي ابعد الناس سفرا
من سافر في طلب اخ صالح
ليست البركة من الكثرة
ليكن الكثرة من البركة
(وقال دواد عليه السلام)
ان كان ماتري من الجهل
يقبض اذن يكثر الجهل
ويطول غمك (قيل
لنرجه) ما لكم لا تعاتبون
الجهلة قال لانما تريد من

باكرت الرياض والطليل فيها افتراق * سراج جواهر في نخبه ودرجته وار
ودمع النواير ينهـ رق انهـ راق * يحساكي ثعابين حلقمت بالثمار
لو ابالغصون خلتال على كل ساق * ودار الجيع بالروض دور السوار
وايدي الندي تحرق جيوب الحكام * ويحمل نسيم المسك عنهارياح
وعاج الصببا يطلى بمسك الغمام * وجر النسبـ يـم ذيلوا عليه ساوفاح
رايت الحسام بين الوزق في القضيـب * قد ابليت ارياشو بقطر الندي
تنوح مثل ذاك المسـتهام الغريب * قد اتف من قوبوا الجـديدي رددا
واكن بما أجرو ساوق خصب * ينظم سـلوك جواهر وينقلـدا
جلس بين الأغصان حاسة المسـتهام * جناح توسـد والتوى في جناح
وصار يشـكي مافي القواد من غرام * منها ضم مقاره لصـدره وصاح
قلت يا حجام احرمت عيني المجوع * اراك ما تزال تبـكي بدمع صفوح
قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع * بلا دمع نبقى طول حياتي تنوح
عـلى فرخ طار لي لم يكن لو رجوع * ألقت البكا والحزن من عهـد نوح
كذا هو الوفاء وكذا هو الزمام * انظر حفون صارت بحال الجراح
وانتم من بـكي منكم اذا تم عام * يقول غسان في ذالـبـكا والنـواح
قلت يا حجام لو خضت بحر الضنى * كنت تبـكي وترثي لي بدمع هتون
ولو كان بقلبك ما بقلبي انا * ما كان يصير تحتك فروع الغصون
اليـوم نقاسي المجر كم من سـنا * حتى لا سبيل جـله ترائي العيون
ومما كسا جسمى الخول والسقام * اخفاني نحو لي عن عبون اللواح
لوجهـني المنايا كان يموت في المقام * ومن مات بعد يا قوم لقد اسـتراح
قال لي لو رقدت لا وراق الرياض * من خوفي عليه ودالنفوس للفؤاد
وتخضت من دمعي وذاك البياض * طوق العهد في عنقي ليوم التناد
اما طرف منقاري حديثا واستفـاض * باطراف البلاد والجسم صار في الرماد

فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركو الاعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه
بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزدوج والكارى والملمعة والغزل واختلقت اسماءها
باختلاف ازدواجها ولاحظاتهم فيها فن المزدوج ما قاله ابن شجاع من فحولهم وهو من اهل تازا
المال زينة الدنيا وعز النفوس * يهـى وجوها ليس هي باهيا
فها كل من هو كثير الفـلوس * ولوه الكلام والرتبة العاليا
يكبر من كثر مالو ولو كان صـغير * ويصـغر عزيز القـوم اذ يفتقر
من ذا ينطبق صدرى ومن ذا يصـير * يكاد ينقع لولا الرجوع للـدر
حتى يلتجئ من هو في قومه كـبير * لمن لا اصل عنـده ولا لـو خطر
لذا ينبغي يحزن عـلى ذى العكـوس * ويصـبغ عليه توب فراش صافيا
الى صارت الاذنا امام الرؤس * وصار يستفيد الواد من الساقيا

العميان أن يصبوا العشق مرض نفس فارغة لاهمة لها اجالة القكرة واستخراج الفطنة تتبع الاساءة

ضعف
بالندم وتبـسـع الندم بالاقلاع الامن البراءة وكثرة الصديق بالتواضع وأعم الاشياء نفعاً فقد الاشرار من يذر عداوة حصداً دامة السمينة

لأنه غفلة ولا رجال غفلة (قال المسيح) عليه السلام ما حل من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب
سبحانه عبادة الذنوكي الجني في غير وقت والجلوس فوق القدر اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة (قيل للحكيم) أخرج الله من قلبك قال
ليس باذني دخل من اغتر بحاله قصر في احتياله اياكم وطلب الامر من غير وجهه فاعينكم (٣٩٣) طلمه اولاد تدر كوا حطامها هبته

الزال تورث الحصر (قيل
للحكيم) لا شيء تزوجت
امرأة دمية وانت وسيم قال
اخترت من الشر أهله (وقيل
للحكيم) ما تقول في الزواج
قال لذته شهر وهم دهر فتنة

عالم الى ابليس خير من
غواية الف جاهل تخي
المعاتب ولا تقي المعاذير
الموالة في الاسلام بمنزلة
الحلف في الجاهلية سب
الجاهل للحكمة شريف
لهم عند أهل الفضل لأن
الجاهل منسوب الى
فعله ولو كان الحكيم يتألم
بحديث الجاهل كذلك
الجاهل يتألم بسماع
الحكمة أغنى الناس عن
الحمد من عظم قدره عن
الحداثة الكبرى المهمة من
الرجال من كان عنيف
الناسخ عنده لطف موقعا
من ملق الكاشح ان كانت
الحدود هي الخطوط فما
بالحرص وان كانت
الامور ليست بدائمة فبال
السرو وان كانت الدار
غدارة فبال الطمأنينة

(وقال الشعبي) ما رأيت الله
سبحانه وتعالى أعطى عباده
أجل من الحلم (وقال عمر
ابن الخطاب) رضى الله

ضعف الناس على ذل وفسد هذا الزمان * ما يدروا على من يكثر اذا العتاب
الى صار فلان يصبح بآبوفلان * ولو رأيت كيف يرد الجواب
عشنا والسلام حتى رأينا عيان * أنفاس السلاطين في جلود الكلاب
كبار النفوس جدا ضعف الأسوس * هم ناحيا والنجس في ناحيا
يروا أنهم والناس يروهم تيوس * وجوه البلد والعمة الراسيا
ومن مذاهم قول ابن شجاع منهم في بعض مزدوجاته

تعب من تبع قلبه واملح ذا الزمان * اهل يافلان لا يلعب الحسن فيك
مامنهم مملح عاهد الاوخان * قليل من عليه تجسس ويحبس عليك
يهبوا على العشاق ويمتعهوا * ويستمدوا وتقطع قلوب الرجال
وان واصلوا من حينهم يقطعوا * وان عاهدوا خنوا على كل حال
مملح كان هو يتوشت قلبه معو * وصيرت من خدى لقدمون عال
ومهدت لومن وسط قلبه مكان * وقلت لقلبي اكرم لمن حل فيك
وهون عليك ما يعتريك من هوان * فلا بد من هول الهوى يعتريك
حكمه توا على وارضيت بوا مير * فلو كان يرى حالي اذا بصرو
يرجع مثل درحول بوجه الغدير * مرديه ويتعطس بحال الخروا
وتعلمت من ساعا ببق الضمير * ويقههم مرادوقبل ان يذكرو
ويحتل في مطلو ولو ان كان * عصر في الربيع أوفى الليالي يريك
ويمشي بسوق كان ولو باص بهان * وايش ما يقل يحتاج يقل لو يحيت

حتى أتى على آخرها * وكان منهم على بن المؤذن سلمان * وكان لهذه العصور القرينة من فحولهم بزدهون
من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف أبدع في مذاهب هذا الفن ومن أحسن ما ملق له بحفظه
قوله في رحلة السلطان الى الحسن بن مري الى افر يقية يصف هزيمتهم بالقيروان ويغزيهم عنها
ويونسهم بما وقع لغيرهم بعد أن عجزهم على غزاتهم الى افر يقية في ملعبة من فنون هذه الطرية يقول
في مقته فها هو من أبدع مذاهب البلاغة في الاشعار بالمقصود في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة
الاستهلال

سبحان مالك خوامر الامرا * ونواصيها في كل حين وزمان
ان طعناه عطقه هم لنا قسرا * وان عصيناه عاقب بكل هوان

الى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخاص

كن مرعى قل ولا تكن راعى * فالراعى عن رعيته مسؤول
واستفتح بالصلة على الداعي * للاسلام والرضا السنن المكمول
على الخلفاء الراشدين والاتباع * واذا كرههم اذا تحب وقول
أجبا تحللوا الصحرا * ودواسر البلاد مع سكران
عس كرفاس المنيرة الغرا * وين سارت بوعزائم السلطان

(٥٠ - ابن خلدون) عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترحبه شيء من أمر الدنيا والاخرة من لم تعرف الوثيقة في أرومته والدماثة
في خلقه والكرم في طبعه والنبل في نفسه والتحاقر عند ربه (قال عبد الله بن حمدون) كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما
الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصور هاشم خرج فرأى ديرا قد يماها نك حسن البناء بين مزارع وأنهار وانشجار فدخله فبينما

هو يطوف اذ بصبر برقة قد الصقت في صدره فامر بقلعهما فاذا فيه هذه الالبات ايامنزل بالدير اصبح خاليا * تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك ببض او انس * ولم يتجتر في فنائك حور
اذ البسوا اذراعهم فعباس * (٣٩٤) وان لبسوا تيجانهم فبدور على انهم يوم اللقاء ضراغم * وانهم يوم التوال بحور

ليالى هشام بالرفافة قاطن
وفيل ابنه يادير وهو امير
اذ العيش غص والحلافة
لذة

وانت طرب والزمان غريب
ورضك مرتادونورك مزهر
وعيش بني مروان فيك نصير
بلى فسفك الغيث صوب
سحاب

عليك لما بهد الرواح بكور
تذكرت قومي فبكافيتهم
بشجوة ومثلي بالبكاء جدير
فعزيزت نفسي وهي نفس
اذا جرى

لما ذكر قومي انه لغير
لعل زمانا جاريوما عليهم
لهم بالذي تهوى النفوس
يدور

فيقرح محزون وينعم باس
ويطلق من ضيق الوثاق
اسير

رويدك ان الدهر يتبعه غد
وان صرف للدائرات تدور
فلما قرأها المتنول ارتاع
وتظير وقال اعوذ بالله من
شر اقداره ثم دعا صاحب
الدير فسأله عن كتبها فقال
لا علم لي به واما الكتب
وصفاتها فتجل عن الوصف
ولقد احسن ابن الجهم
في قوله

سمير اذا جالسته كان مسلما

أحاجا بالنسي الذي زدت * وقطعت لو كلاكل البيدا
عن جيش الغرب حين يسألكم * المتلوف في افريقيا السودا
ومن كان بالعطايا يزودكم * ويدع برية الحجاز زغدا
قام قل للسد صادف الجزرا * ويججز شوط بعد ما يخفان
وينفردوم وتهب في الغبرا * اى ما زاد عزالمهم سبحان
لوكان ما بين تونس الغربا * وبلاد الغرب سد السكندر
مبنى من شرقها الى غربا * طبقا بحديد او نانيا بصفر
لا بد الطيران تجيب نبا * اوى اى الريح عنهم بفردخبر
ما أعوصهم من أمور وماشرا * لوتقرا كل يوم على الديوان
لجرت بالدم وانصدع حجرا * وهوت الحراب وخافت الغزلان
أدرلى بعقلك الفخاص * وتقمركلى بخاطر جمعها
ان كان تعلم حمام ولا رقص * عن السلطان شهر وقبلة سبعا
تظهر عند المهين القصاص * وعلامات تنشر على الصعما
الا قوم عاريين فلا ستر * محجهم ولين لا مكان ولا مكان
ما يدروا كيف يصوروا كسرا * وكيف دخلوا مدينة القيروان
امولاي ابو الحسن خطيبنا الباب * قضية سبينا الى تونس
فقنا كناء الى الجريد والزاب * واشلك في اعراب افريقيا القوبس
ما بلغت من عمر فقى الخطاب * الفاروق فاتح القرى المولس
ملك الشام والحجاز وتاج كسرى * وفتح من افريقيا وكان
ردولدت لو كره ذكرى * ونقل فيها تفرق الاخوان
هذا الفاروق مردى الاعوان * صرح في افريقيا بهذا التصريح
وبقت حى الى زمن عثمان * وفتحها ابن الزبير عن تميم
لمن دخلت غنائمها الديوان * مات عثمان وانقلب عليه نار الحرج
وافترق الناس على ثلاثة امرا * وبقي ما هو للسكوت عنوان
اذا كان ذاتى مدة البروا * اش نعمل في اواخر الازمان
واصحاب المحضر في مكنا ساتا * وفي تاريخ كائنا وكينا وانا
تذكر في صحتها ابيانا * شق وسطج وابن مرانا
ان مرين اذ انكف برأيا تا * لجدا وتونس قد سقط بنيانا
قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا * عيسى بن الحسن الرفيع الشان
قال لي رأيت وانا بهذا أدرى * لكن اذا جاء القدر عجت الاعيان
ويقول لك مادى المرينيا * من حضرة قاس الى عرب دياب

فؤادك مما فيه من ألم الوجد يفيدك علما او يزيدك حكمة * وغير حسود أو مصر على الحق
ويحفظ ما استودعته غير غافل * ولا خائن عهدا على قدم العهد زمان ربيع في الزمان باسره * يبيحك روضا غير ذاو ولا جعد
ينورا حيانا بور بدائع * أخص واولى بالنفوس من الورد وأنشد بعض العجم اذا ما خلا الناس في دورهم * بخمر سلاف وخود كعاب

اراذ

وانسهم في ظلام الليال * لغير الندامى ودهو السحاب
ودرس العلوم شراب العقول * فدوروا على بذاك الشراب
ومن ملج ما ينشد في الكتب اذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤانس لي دفتري (٣٩٥) فلم أخل من شاعر محسن * ومن علم صالح منذر
ومن حكم بين انائها

فوائد للناظر المتفكر
وان ضاق صدرى بأسراره
وأودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب
بلم أحشيه ولم أحضر
وان عدت من ضجيره بالهجا
وسب الخليفة لم أحذر
ونادمت فيه كريم الغيب
لندما طيب المخبر
فلمست ادى مؤنسا ما حبيت
عليه نديما الى المحشر
وانشد ابن خزم لبعض
الادباء
ان صحننا الملوك تاهوا علينا
واسئبه دوا بالراى دون
الجلس
اوصحننا التجار عدنا الى الفقه
روصنا الى حساب الفلوس
فلزنا البيوت نتخذ الحجة
رونغلا به وجوه الطروس
لوتر كنا وذاك كنا ظفرنا
من امانينا بعلق نفيس
غير ان الزمان أعنى بنيه
حسدونا على حيات النقرس
وانشد غيره
أنست الى النقر دطول عمرى
فالى في البرية من أنيس
جعلت محادثى ونديم نفسى
وانسى دفتري بدل العروس
قداس تغنيت عن فرسى
برجلى

اراد المولى بموت ابن يحيى * سلطان تونس وصاحب الابواب
ثم اخذ في ترحيل السلطان وجيوشه الى آخر رحلته ومتهنى امره مع اعراب افرقية واتي فيها بكل غريبة
من الابداع وأما أهل تونس فاستعدوا في الملعبة ايضا على لغتهم الحضرية الا أن أكثره ردى ولم يعلق
بمخفوطى منه شئ لردائه وكان لعامة بغداد ايضا فن من الشعر يسمونه المواليا وتحتة فنون كثيرة يسمون
منها القوما وكان ومنه مفرد ومنه في بيتين ويسمونه دوبيت على الاختلافات المعبرة عندهم في كل
واحد منها وغالبا مزدوجة من أربعة اغصان وتبهم في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالغرائب
وتجروا فيها في أساليب البلاغة فيمقتضى لغتهم الحضرية بخاؤا بالعجائب ومن أعجب ما علق بمخفوطى منه
قول شاعرهم

هذاجرا حى طريا * والدما تضح
وقاتلى يا أخيا * فى الفلايمرح
قالوا وناخذ بنارك * قلت ذا أبيع

ولغيره

طرفت باب الحباقات من الطارق * فقلت مفتون لانا هب ولا سارق
تبسمت لاحلى من نغرها بارق * رجعت حيران فى بحر ادمعى غارق

ولغيره

عهدى بها وهى لانا من على البين * وان شكوت الهوى قالت فذلك العين
لمن تعنى لها غيرة غليم زين * ذكرتها الهوى وقالت لك على دين

ولغيره فى وصف الحشيش

دى نجر صرف التى عهدى بها باقى * تغنى عن النجر والنجار والساقى
فجما ومن قبحها تعمل على احراقى * خبيتها فى الحشى طالت من احداق

ولغيره

يا من وصالو لاطفال المحبة يج * كم توجده القلب بالمحجـران أو هـ
أودعت قلبى حوحو والنصبر يج * كل الورى كخ فى عبنى وشخصك دح

ولغيره

ناديتها ومشيمى قد طواني طى * جودى على بقية له فى الهوى يامى
قالت وقد لى كوت داخل فؤادى كى * ما هكذا القطن يحشى فم من هوى

ولغيره

رانى ابسم سمعت سحب ادمعى برقه * ما ط اللثام تبـدى بدر فى شرقه
اسبلى دجى الشـعرتاه القلب فى طرقه * رجـع هـذا بنـجـيط الصبـع من فرقـه

ولغيره

يا حادى العيس اخرج بالمطايـزجر * وقف على منزل احبابى قبيل الفجر
وصبح فى حيهـم يامن يريد الاجـر * ينهض يصلى على ميت قبيل المجر

اذا سافرت او نعل كبوس ولى عرس جديد كل يوم * بطرح الهم فى امر العروس فبطنى سفرنى والخروج جسمى * وهم يانى فى ابد او كيسى
وبيتى حيث يدركنى مسائى * واهلى كل ذى عقل نفيس ولئن كان الناطقون قد وصفوا فجو دوا قالوا فبلغوا فله قد قصر واولم مدوح
من اسبقه فى مدحه المنتهى واستنر فى تفریطه الخنقل وكيف لا والـ كتاب نم الانيس فى ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة

ونعم القرن والذخيل ونعم الوزير والنزيل وعالم مائي علمنا وظرف حشي ظرفا وانا مائي فراجا وخبذاسه تان يحمل في ردن وزر ووضه
تنقلب في حجره ل سمعت بشجرة توفى أكلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعموم متباينة هل سمعت بشجرة لاندوى وزهر لا يتوى وثمر
لا يقنى ومن الكنجليس يقيدك الشئ وخر لافه والجنس وضده ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ان غضبت عليه لم يغضب وان
سخطت عليه لم يجب أكرم من الارض (٣٩٦) وأنهم من الريح والهي من الهوى وأخذع من المتى وامتع من الضمى وانطق من سبحان

ولغيره

عيني التي كنت ارجاكم بها باتت * ترعى النجوم وبالتسبيد اقتاتت
واسمهم البين صابتي ولا فأتت * وسلموني عظم الله أبحر كم ماتت

ولغيره

هو يت في قنطر تكم ياملاح المحكر * غزال يملى الاسود الضار يابا الفكر
غصن اذا ما انتفى يسي البنات البكر * وان تهال فبالبدرد عندو ذكر

ومن الذي يسمونه دوبيت

قد اقس من أحبه بالبارى * أن يبعث طيفه مع الاسحار
يانار شوي بقي به فاقه دى * ليلا فعماسا متهدى بالنار

واعلم أن الاذواق في معرفة البلاغة كلها انما تحصل لمن خالط تلك اللغة وكثر استعمالها ومخاطبته بين
أجبالها حتى يحصل ما كتها كما قلناه في اللغة العربية فلا الاندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ولا
المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس والمشرق ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس
والمغرب لان اللسان الحضري وترا كيبه مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق محاسن
الشعر من أهل جلدته وفي خلق السموات والارض واختلاف السننكم وآيات وقد كدنا أن
نخرج عن الغرض وعزما أن نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب الاول الذي هو طبيعة العدمان
وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائله ما حسمناه كفاية واعل من يأتي بعده ناعمان يؤيده الله بفكر صحيح
وعلم مبين يغوص من مسائله على أكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه
تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه والمتأخرون لمحقون المسائل من بعده شيئا فشيئا إلى أن
يكمل والله يعلم وانتم لا تعلمون

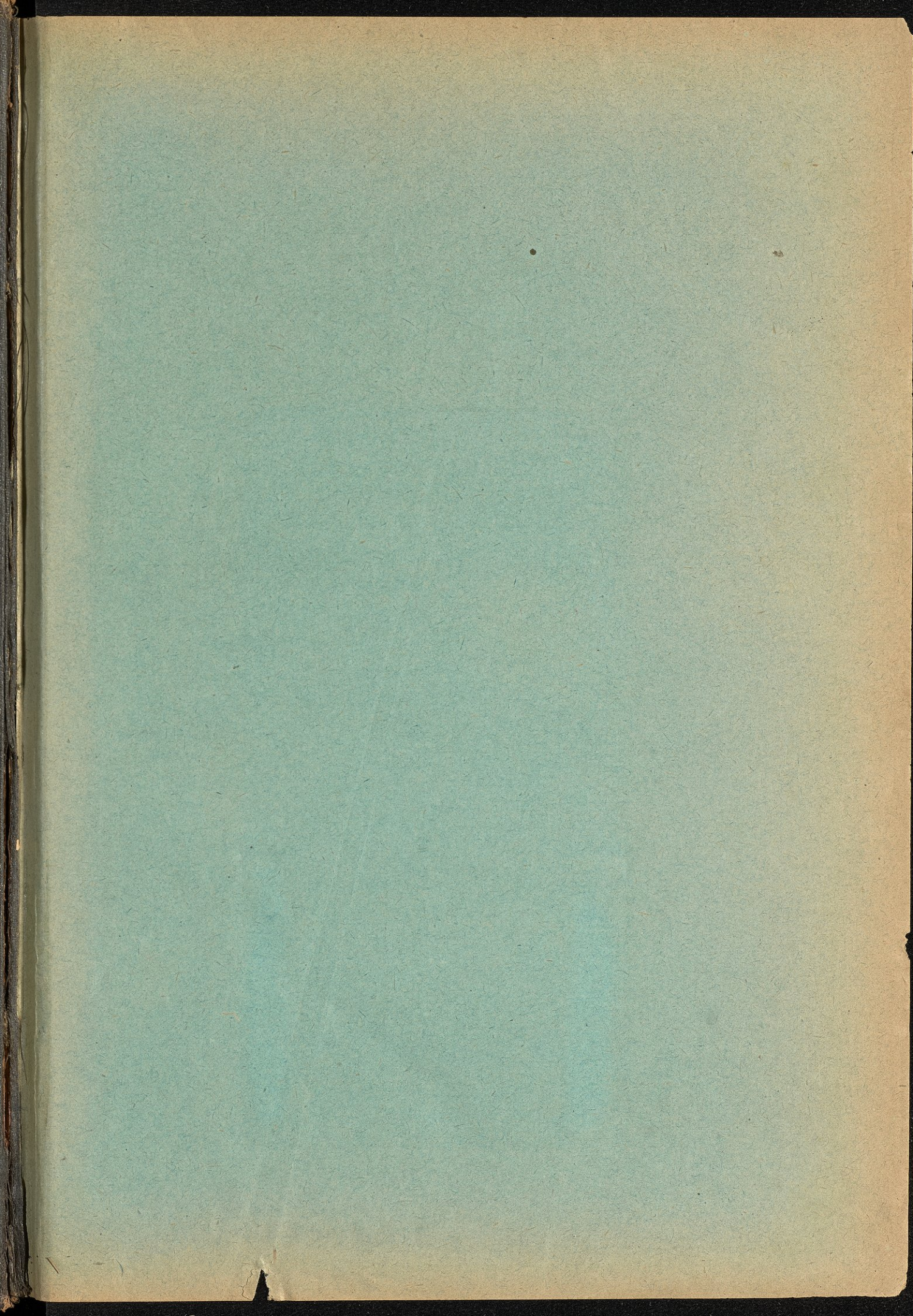
قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهديب في مدة
خمس أشهر آخرها من نصف تمام تسعة وسبعين وسبعمائة ثم تنقيحه بعد ذلك وهذبه وألحقته به تواريج
الامم كما ذكرت في أوله وشرطته وما العلم الامن عند الله العزيز الحكيم

(يقول مصححه عفا الله عنه)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله قد تم طبع مقدمة العالم الشهير والفاضل التحرير
صاحب التأليف العديدة والاقوال المقيمة من أقرت بفصاحته المتقدمة والمتأخرون الاستاذ
الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن خلدون محلاة الهوامش بكتاب شراج الملوك للعلامة أبي بكر محمد بن
محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشي تفننا الله بعلمهم آمين وذلك بالمطبعة الفاتكة ذات الادوات
الباهرة الرائقة الموسومة بالازهرية المصرية ادارة الراحي من الله الغفران حضرة السيد محمد رمضان
في غرة ربيع الثاني سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والتحية

واثل وأعي من باقل هل
سمعت بعلم واحد تحلى بحال
كثير وجمع اوصافا غزيرة
عربي فارسي هندي سندی
رومي يوناني ان وعظ أسمع
وان الهى امتم وان أبكى ادمع
وان ضرب اوجع يقيدك
ولا يستفيد منك وينز يدك
ويستريدك ان جد فيسر
وان فرح فتره قبر الاسرار
وحرز الودائع قيد العلوم
وينبوع الحكيم ومعدن
المكارم ومؤنس لا ينام
يقيدك علم الاولين ويخبرك
عن كثير من أنباء الآخرين
هل سمعت في الاولين
أو بالغت عن أحد من
الساقيين جمع هذه الاوصاف
مع قلة مؤلفه وخفة جملة
لا يبرز لك شيئا من ذنباك نعم
الذخر والعدة والمستغل
والحرفة جليس لا يضربك
ودقيق لا يملأ بطبعك
بالليل طاعته بالنهار
ويطبعك في السفر طاعته
في الحضرة أدمت النظر
اليه أطال امتاعك وشهد
طباعك وبسط لسانك
وجود دنائك ونفخ الفاظك
ان ألقته خلد على الايام

ذكرك وان درسته رفع في الخلق قدرك وان جلته نوه عندهم باسمك يقعد العبيد في مقاعد السادة ويجلس السوق في مجلس الملوك فآكرم به
من صاحب وأعز به من مرافق وقد قال فيه الاول لنا جلاسا ما نزل حديثهم الباء أموتون غيبا ومشهدا يقيدوننا من علمهم علم ماضى *
بلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة * ولا تبقى منهم لسانا ولايدا فان قلت اموات فإنت كاذب *
فهذا ما أردنا ان نغليه في هذا الكتاب فآكتبوا ان شئتم انفسه ان كانت الانفاس عما يكتب



0035463368

893.7Ib56

T13

DUE DATE		
NOV 23 1993		
FEB 15 2008		
OCT 16 2007		
201-6503		Printed in USA

NOV 23 1993

FEB 15 2008

OCT 16 2007

201-6503

Printed
in USA

JUL 10 1964

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58870016

893.71b56 T13

Muqaddimah : al-juz

RECAP



71b56